موسوعة الشريف المرتضى

الديوان

تأليف

علم الهدى

السيد علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى

٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ

الجزء الثاني والعشرون

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

الدِّيوَانُ

موسوعة الشريف المرتضى

الديوان

تأليف

علم الهدى

السيد علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى

٣٥٥ـ٤٣٦هـ

الجزء الثاني والعشرون

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

THE ARABIC HISTORY
Publishing & Distributing

العنوان الجديد

دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩/ ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧

Beyrouth -Lebanon—Airport Road -Behind Golden Plaza—P.O:11/7957—Postal Code:-11/072250 Tel:009611455559 - 009611452469 -- Fax : 009611/850717
Email:darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

قافية الشين

قال يرثي فخر الملك :

ألا ماذا يَريبُك من همومي ومن نَبواتِ جنبي عن فراشي؟
ولي في كلّ شارقةٍ خليلٌ أفارقُهُ بلا نَزَواتِ واشِ
وأنزعُ وصلَهُ بالرّغم منّي كما نزعتْ يدي عنّي رِياشي [1]
إلى كم ذا التّتابعُ والتّمادي وكم هذا التّصامُّ والتّغاشي؟[2]
وكم « شَنِفٍ » يُنكّدُ لا يُحابي وصُمٍّ كالأراقم لا تُحاشي [3]
يكون بها انحطاطي وارتفاعي ومن يدها انتكاسي وانتعاشي
وما هذا العكوفُ على حقيرٍ يُساق إلى التحلّلِ والتّلاشي ؟
فضربٌ بالرّءوس بلا تَجيمٍ وطعنٌ في النّحورِ بلا رَشاشِ [4]
تُشيك أخامصي منه خطوبٌ إذا ماشِكْنَ يمنعنَ انتعاشي [5]
ويغدي واهناً فيه بنَدْبٍ ويُسبِق راكباً ممّا يُماشي [6]
وكم أنجى فتًى خاض المنايا وأرداه على ثَبَجِ الفراش [7]
فيا متنظَّراً منّي احتراشاً متى يأتي علي يدك احتراشي ؟[8]

---

(١) الرياش : الثياب الفاخرة .
(٢) التتابع: الرمي بالنفس في الأمور من غير تثبت، والتمادي: اللجاج في الغي، والتغاشي: التستر.
(٣) شنف : مبغض ، وفي الأصل «شمف» وهوالشموف أي المجنون وما وضعناه أنسب، وينكد: يكدر ، ويحابي : يداري والأراقم : جمع الأرقم وهو أخبث الحيات ، وتحاشي : تستثني .
(٤) الرشاش : ماترشش من الدم .
(٥) تشيك : تصيب بالشوكة ، والأخامص : جمع الأخمص وهو أسفل القدم ، والانتعاش : النهوض والإنتشاط .
(٦) الواهن : الضعيف ، والندب : السيد الشجاع .
(٧) ثبج الفراش : وسطه .
(٨) الاحتراش : الاصطياد .

فُجعتُ بمُشبعِ السَّغَبـــاتِ جوداً ... وناقعِ غُلّةِ الهِيمِ العِطـــاشِ (١)
ووهابِ اللُّهَا في يومِ سلمٍ ... وضرّابِ الكُلَى يومَ الهِراشِ (٢)
تغلغلَ حبُّهُ في أُمِّ رأسي ... وخاض ودادُه منّي مُشاشي (٣)
وأفرشني القَتادَ أسًى عليـــه ... فليت لغـــيره كان افتراشي (٤)
وكنت على الرّزايا ذا إباء ... فقد قادتْ رزيّتُه خِشاشي (٥)
وقلتُ لمن لحَا سَفَهاً عليـــه ... وراحٍ في الملامةِ مثلُ خاشٍ : (٦)
تُعنِّفُني وبالُكَ غـــيرُ بالي ... وتعذلُني وجأشُك غيرُ جاشي (٧)
ولستُ سواه متّخذاً خليـلًا ... ولا يغشى هواي سواه غاشِ
فإنّي إنْ فزعتُ إلى بَديلٍ ... فزعتُ إلى الأُجاجِ من العِطاشِ (٨)
فمالي بعـــد فقدك طيبُ نفسٍ ... ولا جَذَلٌ بشيء من معاشي (٩)

* * *

---

(١) السغبات : الجوعات ، والناقع : المروى ، والغلة : العطش ، والهيم : الإبل العطاش .
(٢) اللها : جمع اللهوة وهي العطية ، والهراش : العراك .
(٣) أم الرأس : الدماغ ، والمشاش (بضم الميم) : رءوس العظام الممكنة المضغ كالغضروف أو الغرضوف .
(٤) القتاد : شوك صلب ، والأسى : الحزن .
(٥) الخشاش (بكسر الخاء) : عود يجعل في عظم أنف البعير .
(٦) لحا : لام .
(٧) الجأش : القلب .
(٨) البديل : العوض ، والأجاج : الماء الملح المر .
(٩) الجذل : الفرح والسرور .

قافية الصاد

قال (أدام الله علوّه) يفخر ويعرّض ببعض الناس :

خليليّ ألا تُحجِما بالقلائصِ   على «حائرٍ» في عَرْصَةِ الدّارِ شاخِصِ؟ (١)
يُخالُ ورسمُ الحيِّ يُخرِسُ نُطقَهُ   أخا مِيتَةٍ لولا ارتعادُ الفرائصِ (٢)
ولمّا تولّوا يحملون قلوبنا   على راتكاتٍ بالحُدوجِ رواقِصِ (٣)
ظَلَلْنا بذي الأرطى كأنّ عيونَنا   مَزادٌ أضلَّتْهنّ راحةُ «عافِصِ» (٤)
نقاسِمُهم شطرَ العيونِ فما ترى   من القوم إلّا ناظراً بتَخاوصِ (٥)
«ونلثمُ في رَبْعِ الّذين تحمّلوا   من التُّربِ آثارَ الخُطا والأخامصِ» (٦)
بنفسي وإنْ لم أرضَ نفسي أوانسٌ   يُفتِّلْنَ في جُنْحٍ عقودَ العقائصِ (٧)
عقائلُ يَكتُمْنَ المحاسنَ كلَّها   وينظرن وهْناً من عيون الوصاوص (٨)
فراقٌ لنا لم يَدْعُهُ نَعْقُ ناعقٍ   ومُنصدِعٌ لم يَجْنِهِ قبصُ قابِصِ (٩)
ومن ذا الذي تبقى على الهجرِ والنّوى   مودّتُهُ غيرُ المحبِّ المخالصِ ؟
«وزارٍ» على مجدي ولم أرَ «زارياً»   على الفضلِ إلّا مُثقَلاً بالمناقِصِ (١٠)

---

(١) تحجما : انطقتما وملتما ، والقلائص : جمع القلوص وهي الناقة الفتية ، والعرصة : الساحة ، والشاخص : المزعج والمقلق (على المفعول) وفي (هـ،س) « جائر » مصحفة عن « حائر » .

(٢) الفرائص : جمع الفريصة وهي اللحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع .

(٣) الراتكات : النوق التي ترتك في سيرها أي تعدو في مقاربة خطو ، والحدوج : الهوادج .

(٤) الأرطى : شجر ثمره العناب المعروف والواحدة منه أرطاة ، والمزاد : أوعية الماء التي على الحمر والبعران ، والعافص : الذي يشد العفاص وهي جليدة يغطى بها رأس القارورة ، وفي (هـ،ش) « عامص » بدل « عافص » تصحيف .

(٥) التخاوص : غض البصر

(٦) هذا البيت غير موجود في (س) .

(٧) الجنح : الظلام ، والعقائص : جمع العقيصة وهي الضفيرة من الشعر .

(٨) وهنا : ضعفاً ، والوصاوص : البراقع مفردها الوصواص ، وعيون الوصاوص : ثقوبها .

(٩) القبص : عدو الخيل الشديد فلا تمس الأرض إلا بأطراف سنابكها .

(١٠) الزاري : العائب ، وفي (س) « مزر » في موضع « زار » و « مزرياً » في محل « زارياً » . وهما بمعنى .

ألا لا تُفاحِصْنِي فتعلمَ أيُّنا ... يروح ويغدو خازياً بالمفاحِصِ

وكيف تساميني وظلُّك قالصٌ ... وظلِّي على سُوحِ العُلا غيرُ قالصِ ؟

وأنت حريصٌ أن يقال مؤمِّلٌ ... وإني على كسب العُلا غيرُ حارِصِ

وأبني أهاضيبَ المكارم والندى ... وأنتَ مُعَنًّى بابتناءِ القرامِصِ (١)

بني عمّنا كم « تَكْظِمُ » الغيظَ منكمُ ... على لاذعاتٍ بيننا وقوارِصِ ؟ (٢)

ودِدْتُمْ بأنّ المجدَ أصبحَ شارداً ... وليس لنا فيه اقتناصٌ لقانِصِ

وماذا عليكمْ مَنْ « عَلَا رَتَبَاتِكمْ » ... ولم « تَبْتَنوها » في أجلِّ المراهِصِ (٣)

وتطوون منّا ماقضى اللهُ نشرَهُ ... وما ضرَّ ضوءَ الصُّبحِ إنكارُ غامِصِ (٤)

وقلتمْ بأنّ النَّجْرَ والسِّنْخَ واحدٌ ... فماذا وقد فُتْنا كُمُ بالخصائِصِ (٥)

تعالَوْا نعدُّ الفخرَ منّا ومنكمُ ... لننظر أوْلانا برجع النقائِصِ

فما لكُمُ مجدٌ سوى مالِ باخلٍ ... ولا فيكُمُ مدحٌ سوى قولِ خارِصِ (٦)

وما أنتُمُ بُخْلُ البطونِ لزادكمْ ... ولكنْ لأزوادِ البطونِ الخمائِصِ (٧)

بني عمّنا كم تسرحون بِهامَكمْ ... بعَقْوَةِ مفتولِ الذّراعِ قُصاقِصِ ؟ (٨)

---

(١) القرامص : جمع القرموص والقرماص وهى حفرة واسعة الجوف ضيقة الرأس كالتنور .

(٢) فى (س) « نسكتم » بدل « نكظم » مصحفة .

(٣) الرتبات : جمع الرتب وهو ماأشرف من الأرض ، والمراهص : جمع الرهص (بالكسر) : وهو العرق الأسفل من الحائط أى الأس ، ويصح أيضاً أن تكون الرتبات جمع الرتبة وهى المنزلة والمكانة ، والمراهص هى المراتب والدرجات وواحدتها رهصة ، وفى « ه » « تبنوها » بدل « تبتنوها» وفى «ش» « تبتنوها » وفى(ش) « على ربتكم » وفى (ه) « على رتبتكم» تصحيف .

(٤) الغامص : الذى يعيبه الغمص وهو ماسال من الرمص وهو وسخ أبيض يجتمع فى موق العين ، والغامص أيضاً : المستصغر للشىء العائب له .

(٥) النجر : الأصل ، والسنخ : مثله .

(٦) الخارص : الكاذب .

(٧) الخمائص : الجائعات .

(٧) البهام : جمع البهم (بالفتح) ، والبهم : جمع البهمة وهى ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى ، والعقوة : ماحول الدار ، والقصاقص : الغليظ القصير وهو وصف للشجاع .

وكَمْ تحملونا كلَّ يومٍ وليلةٍ ... على ظهرِ جمّاحٍ من الشرِّ قامصِ[1]

يُعَنُّ فيجرى مِلْء كلَّ فروجِهِ ... «ويُتلى» غداةَ الجرْى «منه» بناكِصِ[2]

أفى الحقِّ أنْ نمشى الضَّراء وأنتمُ ... تدِبّون «من خَلْفٍ» دَبيبَ الدَّعامِصِ؟[3]

ونرضى بدونِ النَّصْفِ منكمْ وأنتمُ ... تُلِطّون إلطاطَ الغريمِ المُلاوِصِ[4]

ولم تعطِسُوا لولاىَ إلّا بأجدَعٍ ... ولم تنظروا إلّا بعُمْىٍ بخائِصِ[5]

ولم تركبوا إلّا قَرا كلِّ ظالعٍ ... أجبَّ سنامِ الظَّهرِ بالرَّحلِ شامصِ[6]

صِلوا الحسَبَ الماضى بما لا يَشينُهُ ... فكم ذى نِجارٍ خالصٍ غيرُ خالصِ[7]

ولا تحصُلوا من جانب الفخرِ كلِّهِ ... على أوّلٍ «زاكٍ» وأصلٍ مُصامِصِ[8]

وكونوا ابتداء الفخر لا غايةً له ... «وثَبْتين» فى مرأى وفى فحص فاحِصِ[9]

كأنّى بها تختال بين صفائحٍ ... رقاقٍ وأرماحٍ طِوالٍ عَوارصِ[10]

«تسدّ» فجاجَ «العُذرِ» منّا ومنكمُ ... فليس إلى عُذرٍ محيصٌ لحائصِ[11]

* * *

(١) القامص من الخيل وغيرها : الذى يرفع يديه ويطرحها عند العدو وهى صفة لسرعة الجرى، وفى (هـ) «قابص» والمعنى متقارب لأن القبص من الخيل إذا ركضت لم تصب الأرض إلا أطراف سنابكها

(٢) يعن (على البناء للمجهول) : يحبس بعنانه ، والناكص : المحجم والراجع ، وفى (ش) «ونبلى» بدل «ويتلى» وفيها أيضاً «منكم» بدل «منه» .

(٣) الضراء : الاستخفاء بالمشى ، والدعامص : جمع الدعموص وهى دويبة أو دودة سوداء تكون فى الغدران إذا نشت ، وفى النسخ «فى حق» بدل «من خلف» .

(٤) النصف (بفتح النون) : العدل والإنصاف ، والإلطاط بالأمر : لزومه ومماطلته ، والغريم: المدين ، (ويطلق على الدائن أيضا) ، والملاوص : الحائد والفعل لاص أى حاد .

(٥) الأجدع: الأقطع، والبخائص: جمع البخصاء والصواب «بخص» لأن فعلاء لا تجمع قياساً فعائل

(٦) القرا «بفتح القاف مع القصر» : الظهر ، والظالع : الأعرج والذى يغمز الأرض بمشيته ، والأجب : المقطوع ، والشامص من الإبل كالشامس : وهو الممتنع على راكبه المنسرع .

(٧) يشينه : يعيبه ، والنجار : الأصل .

(٨) المصامص : الحسيب الزاكى ، وفى «هـ» «زال» تصحيف عن «زاك» .

(٩) فى (هـ) «وسيئين» بدل «وثبتين» وبالأول يسوء المعنى وينعكس .

(١٠) الصفائح : السيوف ، والعوارض : جمع العارض وهو من الرماح اللدن المضطرب .

(١١) فى (س) «نشد» بدل «تسد» و «العمر» فى موضع «العذر» تصحيف وتحريف.

قافية الضاد

باب الضاد المضمومة

قال في الأدب :

أؤمِّلُ أن أعيش ودون عيشي ... كما أهوى مقـــاديرٌ عِراضُ

وهل لي من نجاء في الليالي ... وحولي للرَّدَى أُسْدٌ رِباضُ؟(١)

وقد أقرضتَ في الدنيا سروراً ... فلا تجزعْ إذا رُدَّ القِراضُ

وكنْ مثلَ الأُلى درجوا وأبقَوْا ... حديثاً ما لزهرته الرِّياضُ (٢)

هُمُ قَذَعوا نفوسَهُمُ ولوَّوْا ... أعِنَّتَها إلى التقوى وراضوا(٣)

فأمَّا نُبْلُهُمْ فلهمْ نفوسٌ ... صحيحاتٌ وأجسامٌ مِراضُ (٤)

---

(١) رباض : جمع رابض وهو البارك .

(٢) درجوا : ماتوا أو رحلوا وذهبوا .

(٣) قذعوا : أصل القذع الشتم والانتقاص وهنا معناها أذلوا وزجروا .

(٤) مضت الإشارة إلى أن المرتضى أخذ معنى هذا البيت من جده المرتضى علي عليه السلام في صفة المتقين حيث يقول « تحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض » راجع كذلك البيت ١٤ ص ٢٠٢ من القسم الأول من هذا الديوان .

باب الضاد المفتوحة

قال فى معنى عرض له[1] :

أَلَا أَرِقْتَ لضوء برقٍ أَوْمضا ... ما زار طرفى ومْضُهُ حتّى مضٰى ؟
أمسٰى يُشوّقنى إلى أهل الغَضا ... شوقاً يقلّبنى على جمر الغضـا
ومن البليّةِ أنّ قلبـك عاشقٌ ... مَنْ لم تَنَلْ وهو الرّضا منه الرّضا
ما ضرّ مَن أضحٰى يصرّحُ صدُّهُ ... بتلاقةٍ لو كان يوماً عَرّضـا ؟
أَلِفَ الصُّدُودَ فما يُرٰى إلّا أمرءا ... مُتَجَنِّياً أو عاتباً أو مُعرِضـا[2]
للهِ موقفُنـا بخَيْفِ مَتالِعٍ ... نشكو التفرّقَ ما أَمضّ وأَرْمضا[3]
ووراءهمْ قلبٌ مُعَنًّى بالهوٰى ... ما صحّ من سُقمِ الغرامِ فيمرَضـا
ومحرّضٍ بعث النَّوٰى فكأنّه ... يوم أُعتنقنا للنّوٰى ما حرّضـا
أضحٰى يعضّ بنـانَهُ متخفضاً ... و يودّ قلبى أنّه ما خفّضـا[4]
ولقد «أتانى» الشيب فى عصرالصّبا ... حتّٰى لبست به شباباً أبيضا[5]
لم ينتقصْ منّى أوانَ نزولهِ ... بأْساً أطال على العُداةِ «وعرّضا»[6]
فكأنّما كنتُ أمرءاً متبدّلًا ... أثوابَه كَرِهَ السّوادَ فبيّضـا

---

(١) أورد الثعالبي بيتين من هذه القصيدة فى كتابه «خاص الخاص» (ص١٥٩) ط.الاتحادالمصرى

(٢) متجنياً : متهماً غيره بالجناية ، وفى (ش) «متجنبا» بالباء من التجنب .

(٣) الخيف : ما انهبط من الأرض ، والمتالع : المرتفعات ، وخيف متالع : موضع .

(٤) البنان : رءوس الأصابع ، ومتخفضاً : متخشعاً متذللا ومنه قوله تعالى «واخفض لهما جناح الذل» .

(٥) فى «خاص الخاص» للثعالبي «عرانى» بدل «أتانى» .

(٦) البأس : الشدة والقوة ، والعداة : الأعداء ؛ وفى «ه،ش» «أعرضا» فى موضع «عرضا» .

• يا صاحبيَّ تعزَّيا عن فاعلِ الـ معروفِ فالمعروفُ فينـا قد قضى
وتعلَّمـا أنْ ليس يَحْظَى بالغِنَى إلّا امروٌ « سِيم » الهوانَ فأغمضا[1]
والعيش دينٌ لا يخاف غريمُهُ مَطْلًا به وقضاؤه أن يُقتضَى[2]
قد قلت للمُنضين فيه رِكابَهم : يكفيكُمُ مِن زادِهِ ما أنهضا[3]
ما لى أراكم واللُّبانةُ فيكُمُ ترضون فى الدّنيا بما لا يُرتضَى ؟[4]
إن كان رَوْضُ الحزْنِ غرّكُمُ فقدْ أضحَى يصوِّح منه ما قد رُوِّضا[5]
أوْ ما بَنَتْهُ يدُ الزّمانِ لأهلِهِ فهو الذى هدم البناء فقوّضا
لا تَغْبِنوا آراءكمْ بثميلةٍ نَكْداءَ تأخذها الشفاهُ تبرّضا[6]
فمعوَّضٌ عن نَزْرِ ماء حيائِهِ ـ بكثير ما بلغ الغِنَى ـ ما عُوِّضا
كم ذا التعالُّ بالمُنَى وإزاؤنا رامٍ إذا قصد الفريصةَ أغرضا[7]
يرمى « ولا يدرى » الرمىّ وليته لمّا أراد الرَّمْىَ يوماً أنبضا[8]
والنّفسُ تُنكرُ ثمّ تعرف رُشْدَها فاطلبْ شفاءَك من يَدَىْ مَن أمرضا
أينَ الذين تبوءوا خِطط العُلا وقضَى على الآفاقِ منهمْ مَن قضَى ؟
وجَرَوْا إلى غايِ المكارم والعُلا ركْضَ الجواد سعَى فأدرك مركضا[9]

---

(١) فى (ش) « شم » بدل « سيم » مصحفة ، والهوان : الذل .
(٢) الغريم : المدين ويطلق على الدائن أيضا .
(٣) أنضى : أهزل ، والركاب : الإبل .
(٤) اللبانة : الحاجة .
(٥) الحزن : ماغلظ وارتفع من الأرض ، ويصوح : يجفف .
(٦) الثميلة : البقية فى الإناء من ماء وغيره ، والنكداء : الناقة التى لا لبن لها ، والتبرض : أخذ الشىء قليلا قليلا .
(٧) الفريصة : واحدة الفريص وهى أوداج العنق ، وأغرض : أصاب الغرض وهو الهدف .
(٨) « لايدرى » ساقطة من (ه) ، وأنبض فى القوس : حرك وترها لترن .
(٩) غاى : جمع لغوى لغاية .

تندى على « غُلَلِ العُفاةِ » أكفُّهمْ   فيعود منهمْ مثريًا مَن أنفضا (١)
وإذا أهبتَ بهمْ ليومٍ عظيمةٍ   حملتَ أعباءَ العظيمة نُهَّضا (٢)
من كلِّ قَرْمٍ لا يريد ضجيعَهُ   إلّا سِنانًا أو حسامًا مُنتضَى (٣)
وتراه أنّى شئتَ من أحوالهِ   لا يَرتضى إلَّا الفِعـــالَ المُرتضَى
دَرَجوا فلا عينٌ ولا أثرٌ لهمْ   فكأنّهمْ حُلُمٌ «تراءَى» وانقضَى (٤)

* * *

وقال (أدام الله علوه) يذكر إيوان كسرى وقد كان خرج إليه وشاهده ، وذلك فى شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة :

هل مُجـــيرٌ من غصّةٍ ما تقضّى   أو شفيعٌ فى حاجةٍ ليس تُقضَى ؟
يا خليـــلى أنِخْ بشرقىِّ ساباطَ   مُناخًا على الرّكائب دَحْضا (٥)
وتلفّتْ فيما بنى آل ساسانَ   عفـــاهُ الزّمانُ ثلمًا ونقضا
عرصـــاتٌ أصبحن وهى سماءٌ   ثمّ أمسين بالحوادث أرضـــا
وثرًى يُنبتُ النّعيمَ إذا أنـــبتَ تُرْبُ البلاد عُشبًا وحَمْضا (٦)
قد رأينا الإيوانَ إيوانَ كسرى   فرأينا كالطّوْدِ طولًا وعُرضا
أو جَــلالَ جَلَنْفَعٍ صَحِبَ الأيّامَ حتّى أعدْنَه اليومَ نِقْضـــا (٧)

---

(١) الغلة (بضم الغين) : العطش ، والعفاة : طالبو المعروف ، وفى (ش) « علل » بدل غلل ، وأنفض القوم : ذهب زادهم .
(٢) أهبت بهم : دعوتهم .
(٣) القرم : السيد الشجاع ، والسنان : الرمح ، والحسام : السيف ، والمنتضى : المستل .
(٤) درجوا : هلكوا وماتوا ، و « تراءى » ساقطه من (ه) .
(٥) ساباط : بلد بمدائن كسرى ، والدحض : الزلق .
(٦) الحمض : ماملح وأمر من النبات .
(٧) الجلنفع : الغليظ الأحمق والمقصود هنا المتين المعظم ، والنقض : المنتقض من البناء .

أثر الرَّحْلُ فى قَراهُ نُدوباً نِلْنَ منه بعضاً وأعفَيْنَ بعضا (١)
فهو يلقــــاكَ بادناً بعد ما أبـ ـلى كُرورُ الأيّامِ منــه وأنضَى (٢)
عَرَقَ الدّهرُ حُسْنَــهُ وهو باقٍ كالمُدى تعرُقُ التَّريبــةَ نَحْضا (٣)
فترى العينُ فيه أُبّهَـــــةَ المُلـ ـكِ وعيشاً لأهله كان خَفْضا (٤)
فهْىَ تَغشاهُ بالتّنــكّرِ وحْشاً خَلَقاً ثُمّ بالتّذكّرِ غَضّا
وشَبِيـــــا فى عَرْصةٍ لم تزلْ فيـ ـها أُمورُ الملوكِ تُمضَى وتُقضَى
كلُّ قَرْمٍ كاللّيثِ إنْ هجهجوه عن صريعٍ له أزمَّ وأغضَى (٥)
لَبِسَ المُلكَ يافعاً ووليداً وارتقــاه شدًّا إليــه ورَكْضا (٦)
وجنا ناشئاً على خشبِ المُلـــكِ فأرجا فى العالمين وأمضَى (٧)
وعرانينُ لا يطورُ بهـا الرّغـ ـمُ وأيدٍ يطلْنَ بسطاً وقبضا (٨)
ورءوسٌ بين الأنامِ رءوسٌ وجسومٌ غُذِينَ بالعزِّ مَحْضا (٩)
ولقد مَضَّنى هجوى على الدّا رِ بلا آذنٍ على الدّارِ مضّا (١٠)

---

(١) الرحل : مركب البعير وهو أصغر من القتب ، والقرا : الظهر ، والندوب ، جمع الندب (بفتحتين) : ما بقى من آثار الجرح بعد البرء ، يريد أن الزمان أثر فى هذا الإيوان كما يؤثر الرحل فى قرا الجمل المرحول ، على سبيل الاستعارة .

(٢) البادن : السمين الضخم ، وأنضى : أبلى .

(٣) عرق لحمه : أزال ما عليه من اللحم ، والمدى : جمع المدية وهى السكين ، والتريبة : عظام الصدر ، والنحض : مصدر نحض كعرق السالف تفسيرها .

(٤) خفض العيش : لينه .

(٥) القرم : الشجاع ، هجهجوه : صاحوا به وهيجوه ، وأزم زمزمة الأسد : صوّت ، وفى (ه) « أمضى » مصحفة عن « أغضى » .

(٦) اليافع : الغلام الشاب .

(٧) أرجا : أرجأ أى أخر .

(٨) العرانين : جمع العرنين وهو أعلى الأنف ويريد بهم سادة الناس ، ولا يطور بها الرغم : أى لا يقربها أو يحتورها الذل .

(٩) المحض : الخالص من كل شىء .

(١٠) مضنى : آلمنى وأحزننى .

مَرِحاً أسحبُ الإزارَ على أجْـ ... ـردَ ينزو طَوْراً ويقبض قبضا (١)

حيث كانت ضلوعُ من وَلَجَ الأبْـ ... ـوابَ يُنْفَضْنَ بالمخافةِ نَفْضا

ورِباعٌ كانت غُيوضَ أسودٍ ... أصبحتْ للضّباعِ مأوًى ومَغْضى (٢)

ومُناخٌ للجودِ يَحظى ويَرضى ... فيه مَن لم يكنْ على الدّهر يرضى

عقروا عنـده المطيَّ وألقوا ... ـوقد استوطنوا ـ «نجاداً وغَرْضا» (٣)

بين قومٍ يزيدهمْ عذلُ اللّوّامِ ... في المكرُماتِ حثّاً «وحَضّا» (٤)

سكنوا جانبَ المدائنِ في أبْـ ... ـيَضَ كالشّمس يوسعُ العينَ ومْضا

يأخذون الأموال بالسّيف حتّى ... يهبوها الرّجالَ نَفْلاً وفَرْضا (٥)

كلّما «أتلفوا أخلفوا» كوَفِيِّ «الـ ... قوم» أمَّ الغِنى ليقضِيَ قَرْضا (٦)

ومهيبون يُحسَبُ الأمنُ مِن مَوْ ... لاهُمُ الخوفَ والمحبّةُ بُغضا

وجليدُ الرّجال إنْ واجهوه ... غَبِنَ اللّحْظَ من حِذارٍ وغضّا

كيف أرضى عن الزّمان وما أرْ ... ضى كريماً قبلي الزّمانُ فأرضى !

نقتريه جَدْباً وبيناً ونَمْريـ ... ـهِ ضَبيعاً ونَرْتَعي منه بُرْضا (٧)

---

(١) الأجرد من الخيل: القصير الشعر الأصيل، وينزو: يثب، والقبض: ضد البسط.

(٢) الغيوض والأغياض: جمع الغيضة وهي مجتمع الشجر.

(٣) النجاد: حمائل السيف، والغرض: كالحزام للدابة. وفي الأصول «بجاراً وعرضا» تحريف وتصحيف.

(٤) في (م) «وعضا» بدل «وحضا» وهي من التصحيفات القبيحة، والحض كالحث وزناً ومعنى.

(٥) النفل: مايفعل استحباباً، والفرض: الواجب.

(٦) في (م) أخلفوا مقدمة على أتلفوا من سهو الناسخ، يعني أنهم كلما أنفقوا المال عوضوا مكانه لينفقوه مرة أخرى كأنهم مدينون بذلك كمقترض القرض، و «القوم» ساقطة من (ش).

(٧) نقتريه: نطلب قراه أي ضيافته أو من الفعل اقترى البلاد: إذا سار فيها وتتبعها كتقراها، ونمريه: من الفعل مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن، والضبيع: الجدب، والبرض (بضم الباء) والبرضة: الأرض لانبت فيها، والبرض (بالفتح): القليل من الماء وغيره، وفي (م) «صنيعا» مصحفة عن «ضبيعا».

ليس يُبقِي إلّا ويُفنِي ولا يُعْـ ـلي قليلاً حتّى يطأطىء خَفْضا
سُنّةُ اللّيثِ كلّما همّ أنْ يُبعـ ـدَ وَثْباً زاد انحطاطاً وربْضا
ولفِـكرى « فيمن » يساق إلى المو تِ مدا الدّهر كيف يطعمُ غمضا؟[1]

* * *

وقال فى يوم عاشوراء من « سنة ٤٣٠ » :

يا خليـــــلى ومُعِيني كلّما رمت النُّهوضا
داوِ دائى أوْ فعُدْنى مَعَ فؤادى مريضا
فقبيحٌ بك أن ترْ فِضَ من ليس رَفوضا
قد أتى من يوم عاشو راء ما كان بغيضـــا
دَعْ نشيجى فيـــه يعلو ودموعى أنْ تَفيضـــا
وبَنانِي قد خُضِبْنَ الـــدّمَ من سِنّي عَضيضا
وكُنِ النّاهضَ للحزْ بِ متى كنتَ نَهوضا
وأجعلِ الجيبَ لدمعِ من مآقيك مَغيضـــا
إنّه يومٌ شقيـــنا من نواحيه مضيضا[2]
هزَلَ الدّينُ ومَن فيـ ـهِ وقد كان نحيضا[3]
ورمتْ مُجْهِضَةً مَنْ كان في البطن جهيضا
ودعِ الأطرابَ وأسمعْ مِن مراثيهِ «القريضا»[4]

---

(١) فى الأصل « فيما » بدل « فيمن » .
(٢) المضيض : ألم المصيبة الممض .
(٣) النحيض : السمين ذو اللحم المكتنز .
(٤) الأطراب : الأشواق ، وفى الأصل : « القريضا » .

لا تُرِدْ فيـــه وقد أدْ نَسْنا ثوباً رَحيضا (١)
قلْ لقومٍ لم يزالوا في الجهالاتِ رُبوضا
غرّهمْ أنّهُمُ ســـا دوا وما شادوا بموضا
في غــدٍ بالرّغم منكمْ سترُدُّون القُروضـــا
سوف تلقون بناءً لكُمُ طال نقيضـــا
والذى يحلو بأفوا هِكُمُ اليومَ حميضـــا
وقِبـــاباً أنتمُ فيـ ـها وِهاداً وحضيضا (٢)
وأراها عن قريبٍ كالدَّبى سوداً وبيضا (٣)
وترى للبِيض والبيـ ـضُ عليهنّ وميضا (٤)
وعلى أكتادها كلّ فتىً يُلفى جَريضا (٥)
فبِهِمْ يطمَحُ طَرْفٌ كان بالأمرِ غضيضا
وبهمْ يبرأ من كا نَ ـ وقد ضيموا ـ المريضا
وبهمْ يرقد طَرْفٌ لم يكنْ وَجْداً غموضا
لأباةٍ دَمُهُمْ ســـا لَ على الأرض غريضا (٦)
رُفِعَ الرّأسُ على عا لى القنا يحكى الوميضا
وأُنثنى الجسمُ لجُرْدِ الـ ـخيلِ بالعَدْوِ رضيضا

---

(١) الرحيض : المغسول .
(٢) الوهاد : جمع الوهدة وهى المنخفض من الأرض ، والحضيض مثلها .
(٣) الدبى (بفتح الدال) : الجراد قبل أن يطير ، والواحدة دباة ، وقد شبه الشاعر ـ رحمه الله ـ الخيل بالدبى لكثرتها .
(٤) البيض (بالكسر) : السيوف ، وقد يريد بها الرجال الأنقياء الأعراض ، والبيض (بالفتح) : جمع البيضة وهى من حديد يلبسها الفارس فى رأسه : والوميض : اللمعان .
(٥) الأكتاد : الظهور ، والجريض : المغموم .
(٦) الغريض : الطرى .

حاشَ لى أنْ أتخلّى   منهُمُ أو أستعيضا
فسقى اللهُ قبوراً   لهمُ العذبَ الغضيضا
وأبتْ إلّا ثرى الأخـ   ـضرِ والرّوضَ الأريضا
وإليهنَّ يشُدُّ الـ   ـقومُ هاتيك الغُروضا[1]
ما نحوُهُنَّ لندْبٍ   إنّما قصدوا فُروضا[2]
وحَبْوهُنَّ استلاماً   يترك الأفواهَ فوضى

* * *

وقال مجيباً بعض أصحابه وقد كتب إليه أبياتاً طالباً منه الإجابة على وزنها :

أترى يؤوب زمانُنا   غضًّا بأودية الغَضا ؟[3]
ويعود فينا مقبلًا   مَنْ كان عنّا معرضا
قمرٌ بصفحة خدِّهِ   عَضْبُ المحاسنِ مُنتضى[4]
ملّكتُهُ قلبى وكمْ   رَجَعَ الذى قد أقرضا
ولقد أقول وكم أرى   عجباً قضاهُ من قضى :
أنتَ الصّحيحُ فكمْ تكو   ن لمن يحبك ممرضا
وإذا عُشِقتَ فلا تزا   لُ لأهلِ عِشقِك مُبغضا
بدّلتَ رأسى أسوداً   لمّا هجرتَ بأبيضا

---

(١) الغروض : جمع الغرض وهو للرحل كالحزام للسرج .
(٢) مانحوهن : اى ماسيروهن ووجهوهن ، والنحو : القصد ، والندب : النفل والمستحب وهو دون الفرض .
(٣) يؤوب : يرجع ، والغضا : شجر عظيم .
(٤) العضب : السيف ، والمنتضى : المستل .

ما ضرّ رامى مهجتى لو أنه لىَ أنبضا ؟
ومجدّدَ الإعراضِ لو قبل التلاقى أعرضا
مَن مبلغٌ عنّى الرئيـسَ مُصرِّحًا ومُعرِّضا
أنتَ الذى لمّا ظفرتُ بودِّه نِلتُ الرّضا
وغفرتُ من جُرمِ الزّمانِ لأجله ما قد مضى
أبناء « ماسرجِسَ» ما زالوا الـكفاةَ النُّهَّضا[1]
السابقين إلى الفضائلِ كلٌّ سارٍ رُكّضا
أُسْدٌ تراهمْ للفرانِسِ فى الفضائل رُبّضا
وإذا رمى منهمْ فتًى يوماً أصاب فأغرضا[2]
وإذا استغاث بهمْ جريحٌ فى وغًى سدّوا الفضا
بصواهلٍ وذوابلٍ وصوارمٍ مثلِ الإضا[3]
حوشيتُ أنْ أسلاكمُ وأملّكمْ أو أُعرِضا
أو أنْ أرى بسواكمُ متبدّلًا متعوّضا
لا حال ودٌّ بيننا عُمْرَ الزّمان ولا انقضى
وخباءُ ما أضحى وأمسى بيننا ما قُوِّضا[4]
وإذا أقمتُ فلا أبالى مَن يرحّلُهُ القَضا

---

(١) رأس الأسرة الماسرجسية هو أبو على الحسن بن عيسى بن ماسرجيس النيسابورى ، كان نصرانياً من أهل التقدم والثروة وأسلم على يدى عبد الله بن المبارك ورحل فى طلب العلم ولقى الشيوخ وسمع منه أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وغيرهم ، وكان ديناً ورعاً ثقة ، توفى منصرفه من مكة سنة ٢٣٩ أو ٢٤٠ ، قال السمعانى « ولم يزل عقبه بنيسابور فقهاء ومحدثين » (الأنساب) . (م.ج) .

(٢) أغرض : أصاب الغرض وهو الهدف .

(٣) الإضاء : جمع الأضاة وهى الأجة أى الشجر الملتف .

(٤) الخباء : الخيمة والبيت من الشعر والصوف ، وقوض : هدم .

خذها يسوق بها الودا　دُ إليك سوقاً مُجهِضا
تكسو الّذي لم يَعْرَ منه　ولا نضارة مَن نَضا (١)
لو رامها منّي سوا　كَ لَبات منها مُنفِضا (٢)

* * *

وقال في الشيب

صدّ عنّي وأعرضا　إذ رأى الرّأسَ أبيضا
واستردّ الزّمانُ منّي　ما كان أقرضا
ورماني بشيبِ رأ　سيَ ظلماً وأغرَضا (٣)
واستحال الطبيبُ لي　مِن سَقامي فأمرضا
ومحبّ عهدتُهُ　صار بالشّيب مُبغِضا
كان يرضى ولم يَدَعْ　شيبُ رأسي له رضا
قال لي مفصحاً وما　كان إلّا معرِّضاً
أين شرخُ الشّباب قُلْـ　ـتُ : خِباء تَقَوّضا ؟ (٤)
أو منامٌ أتى الصّبا　حُ إلينا وقد مضى

* * *

---

(١) نضا : خلع . (كذا ورد البيت) .
(٢) النفض : المعدم .
(٣) أغرض : أصاب الغرض أي الهدف .
(٤) الخباء (بالكسر) : الخيمة أو بيت الشعر ، وتقوض : انهدم .

وقال فيه أيضاً :

لَوَتْ وجهها عن شيب رأسي وإنّها   لَوَتْ عن بياضٍ أبيضاً لونُهُ غضّا
ولو أنصفتْ ما أعرضتْ عن شبيهها   ولا أبْدَلَتْهُ من محبّتِهِ بُغضـــا
وأغضيتُ عنهـا والبلابل في الحشا   ومن كان مثلي حاملاً للهوى أغضى
وما كنتُ أرضى بالرّضا قبل حبّها   فصيّرني - بالشيء لم أرضه - أرضى

Digitized by Google

باب الضاد المكسورة

قال فى الغزل :

ياناقضـاً لعهودِ مَن لم يَنقُضِ   كم مقبلٍ نال المُنى من مُعرِضِ
مطرتْ علينـا من سمائك جفوةٌ   هَطَلتْ ولامعُ برقِها لم يومِضِ (1)
ماذا ينـال مُحكَّمٌ متجرِّمٌ   فى كلّ يومٍ من محبّ مُغمِضِ (2)

* * *

وقال فى غرضه :

قل لمن كلّما سبقتُ إلى العلـياء يغتابنى ويَطْعَمُ نَحْضِى (3) .
أنت تَجنِى فى كلّ يوم على عِرْ   ضِكَ عمداً فكيف يسلم عِرضِى !
لعن اللهُ مدّةً كنتَ فيهـا   كلّ همّى وأنت مِنّى كبعضى
ليس أدعو عليك بالقتل عِلماً   أنّك اليومَ قاتلٌ لك بُغضِى

* * *

(1) كأن الشريف المرتضى نظر إلى قول إبراهيم بن المهدى :

أقولُ وقد رأيتُ لهـا سماءً   من الهجرانِ مقبلةً إلينا
وقد سحّتْ غَزاليها بصدٍّ :   حوالينا الصُّدُودُ ولا علينا

(2) المتجرم : الذى يدعى الجرم على غيره ولم يجرم .
(3) النحض : اللحم ، ويطعم نحضه أى يغتابه كما تقول يأكل لحمه كناية عن اغتيابه .

قافية الطاء

وقال ـ رضي الله عنه ـ يفخر :

أظُنُكَ من جَدْوى الأحبّةِ قانطــا ... وقد جَزَعوا بطنَ الغُوَيْر فواسطا [1]

أصاخوا إلى داعي النّوى فتحمّلوا ... فلم أرَ إلا قاطناً عاد « شاحطا » [2]

كأنّ قطينَ « الحيّ » عِقدٌ مُنظّمٌ ... أطاع على رَغْمي أكفّاً خوارطا [3]

وقفنا فمن جأشٍ يخفّ صَبابةً ... وجأشِ أمرىءٍ قضّى لخلناه رابطا [4]

ودمعٍ تهاوى لا يُرى الجفنُ « مُترَعاً » ... بوا كِفةٍ حتّى يُرى منه هابطا [5]

نجود بما نحوي لمن ظلّ باخــلاً ... ونُعطي الرّضا عفواً لمن بات ساخطا

ومن « شَعَفٍ » وليتَ يومَ مُحجّرٍ ... غَشوماً وأعطيتَ الحكومةَ قاسطا [6]

أراكَ « خَفوقاً » في الهوى ثمّ إنّه أمْ ... تحالَ فقد تمّ الهوى متثابطا [7]

« وغُرّ » الثنايا « رُقْتهُنّ » بلِمّتي ... فواعَدْنَها زَوْراً من الشّيب واخطا [8]

سوادٌ يُبرّيني وإنْ كنتُ مذنباً ... ويبسط من عذري وإن كنتُ غالطا

---

(١) الجدوى : العطاء ، وجزعوا : قطعوا ، وجزع الوادي : قطعه عرضاً ، والغوير : اسم ماء لبني كلب ، وفي (هـ) « الغرير » مصحفة ، وواسط : بلد في العراق معلوم .

(٢) أصاخوا : أصغوا واستمعوا ، والقاطن : الساكن المقيم ، والشاحط : البعيد ، وفي (هـ) « شاخطا » مصحفة .

(٣) قطين الحي وقاطنه بمعنى واحد أي ساكنه ، والعقد : القلادة ، والخوارط : جمع الخارطة ، وخرط العقد أو العنقود : اجتذب حبه بكفه .

(٤) الجأش : القلب والشجاعة والثبات ، والرابط : المقيم المواظب .

(٥) المترع : المملوء ، وفي (ش) « مفزعاً » مصحفة والواكفة : يقصد بها العين التي تجود بالدمع سحاً كالغمامة الواكفة أي الماطرة .

(٦) « شعف » وفي (س) « شغف » ومعناهما متقارب وشعفه الحب غشى قلبه ، ومحجر : موضع ، والغشوم : الظالم ، والقاسط : مثلها وهو الجائر العادل عن طريق الحق .

(٧) الخفوف : الطائش وفي (ش) « خفوقاً » مصحفة ، والمتثابط : المتريث .

(٨) رقتهن : أعجبتهن ، وفي (س) « رفهن » محرفة ، واللمة (بالكسر) : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، والزور (بالفتح) : الزائر ، والواخط : اسم فاعل من وخط ، ووخطه الشيب إذا خالط سواد شعره ، وفي (ش) « غمر » بدل « غر » محرفة .

وَيُسكنني حَبَّ القلوب وطالما	أَلفَّ على ضمّى أكُفًا سبائطا (١)
وإنّى من القومِ الذين إذا انتموْا	أسالوا من السّاداتِ بحراً غُطامِطا (٢)
يحلُّون من أرض المعالى يَفاعَها	ويأبَوْن أهضاماً بها ومهابطا (٣)
وإنْ زُرْتَهم أفضيتَ من شَجَراتِهمْ	إلى ورقٍ لا يعدَمُ الدّهرَ خابطا (٤)
«مُلبّون» إنْ يُعرَوْا وقدهتف النّدَى	بأموالهم [فـ] معاطناً ومرابطا (٥)
وإنْ يَعْلِطوا بالمرهفاتِ رقابَها	إذا كان ربُّ البُدنِ بالنّار عالطا (٦)
إذا سالموا زانُوا المحافلَ بهجةً	وإنْ حاربوا فى الرَّوْع حَشّوا المآقطا (٧)
وإن بسطوا لم تلقَ فى الخلق قابضاً	وإن قبضوا لم تلقَ فى الخلقِ باسطا
وكم أورطوا من خالعٍ رِبقَةَ الهدى	وكم أنقذوا من رِبقَةِ الكفر وارطا (٨)
وكم «أقحطوا» أرضَ العدوّ بأذرُعٍ	يَفِضْنَ فيُخصِبْنَ البلادَ «القواحطا» (٩)

---

(١) حب القلوب: سويداؤه ، وسبائط: جمع سبطة حملا على سبطة وهى ضد المنقبضة، وأكف سبائط كناية عن وصفها بالكرم .

(٢) البحر الغطامط : العظيم الأمواج كثير الماء .

(٣) اليفاع . الأراضى المرتفعة ، والأهضام : جمع اهضم (بكسر الهاء) : وهى الأرض المنخفضة وبطن الوادى ، والمهابط : مثلها .

(٤) الخابط لشجرة : الذى يشدها ثم يخبطها أى يضربها بالعصا لينفض ورقها أو ثمرها .

(٥) يعرون : يقصدون ، والندى : الكرم والعطاء . والمعاطن : جمع العطن (محركة)، والمعطن وهو مبرك البهائم ، والفاء ساقطة من النسخ أضفناها لتقويم الوزن ، ولعل أصل معاطنا « معطنا » فإن هذا الجمع فى هذا الموضع لا يستقيم مع بحر الطويل إلا بزحاف قبيح جداً .

(٦) يعلطوا : يسموا ، وعلط الناقة : وسمها فى علاطها أى صفحة عنقها ، واستعاره لمسح السيف بأعناق الإبل بعد نحرها لتنقيتها من الدم ، والبدن : جمع بدنة (بالتحريك) وهى البقرة أو الناقة السمينة ، والعالط : الواسم .

(٧) المآقط : جمع المأقط (كمنزل) وهو موضع القتال والمضيق فى الحرب .

(٨) أورطوا : أوقعوا فى الورطة وهى الحفرة ومعناها هنا أدخلوا ، والخالع والخليع : المستهتر والربقة : حلقة تشد فى حبل وتربق أى تربط بها البهيمة فى عنقها أو يدها ، والوارط : المتورط ، ومعنى البيت كم من ضال أرشدوه إلى الهدى وكافر أنقذوه من الضلال .

(٩) فى (ش) « أرقصوا » محرفة عن « أقحطوا » ، وفى (س) « النوائطا » محرفة عن « القواحطا » .

وكم ولدوا من لابسٍ مِيسَمَ العُلاَ ... يَبُذُّ وليداً فى الجهاتِ الأشامطا (١)
إذا ما كريمُ القومِ جارَى لخارِه ... أتى طَرَفاً فيــه ووافاك واسطا (٢)
ألاَ هلْ أراها ثائراتٍ كأنّمـــا ... تَعلّقنَ فى أوراكهنّ الأراقطا ؟ (٣)
بأيدٍ يَفُلْنَ البعــدَ من كلّ نَفْنَفٍ ... ويطوين طىَّ الأتحمىِّ البسائطا (٤)
يُطايرن أقطاعَ اللُّغامِ كأنّمـــا ... نَضَحْنَ على أعناقهنّ العجالطا (٥)
بكلّ غلامٍ من نزارٍ مخفَّفٍ ... كسِيدِ الغضا تلقــاهُ أغبرَ مارطا (٦)
يجوب المهاوِى واحـــداً عن بسالةٍ ... وإن كان يدعو معشراً وأراهطا (٧)
تراه إذا خيفَ التتبّعُ ســـابقاً ... وإنْ رُهِبَ الإقدامُ للقوم فارطا (٨)
وإن آنسوا نارَ الوغَى «خَذَفوا» به ... جرائيمَها إن سالماً أو مُشائطا (٩)
ويُغضِى فإن عنّتْ لعينيهِ ريبةٌ ... نضا الحِلْمَ عنــه آنفاً مُتخامِطا (١٠)
وقطّع أقرانَ الورَى دونَ همّهِ ... ولن تقطعَ الأقدارُ ما كان نائطا (١١)

---

(١) الميسم (بكسر الميم) : أثر الحسن كالوسامة وآلة الوسم وهى المكواة ، ويبذ : يفوق ويغلب ، والأشامط : جمع الأشمط وهو الذى خالط سواد رأسه بياض والصواب « الشمط » وقد وقع للشريف مثل هذا فى موضع آخر ، ومعنى البيت : أن الوليد منهم فى جهات الفخر والفضل يغلب ويسبق الكبير من غيرهم ، وفى (ش) « الأسامطا » بدل « الأشامطا » مصحفة .

(٢) الواسط : الذى فى الوسط .

(٣) الأوراك : جمع الورك وهو ما فوق الفخذ ، والأراقط : جمع الأرقط وهو النمر .

(٤) يفلن : يقطعن ، والنفنف : الأرض الواسعة ، والأتحمى : ضرب من البرود ، والبسائط : جمع البسيطة وهى الأرض المنبسطة .

(٥) اللغام : زبد أفواه الإبل ، ونضحن : رششن ، والعجالط : جمع عجلط وهو اللبن الخاثر .

(٦) المخفف : السريع النشيط ، والسيد : الأسد ، والغضا : شجر عظام ، والمارط : الأجرد .

(٧) يجوب : يجول ويطوف ، والمهاوى : جمع المهواة وهو المطمئن من الأرض ، والبسالة : الشجاعة ، والأراهط : الجماعات مفردها رهط .

(٨) الفارط : السابق ، وقيل السابق إلى الماء .

(٩) آنسوا : أبصروا ، وخذفوا (بالخاء بعدها دال) : قذفوا ، وفى (س و ه) « خذفوا » ، وفى (ش) « خذفوا » والجيم مصحف ، وجرائيم الحرب : أبطالها ، والمشائط : الهالك والمقتول ، من الفعل أشاطه إذا أهلكه أو سفك دمه واستشاط : استقتل .

(١٠) عنت : عرضت ، ونضا : نزع ، والمتخامط : المتكبر .

(١١) النائط : المعلق .

كأنَّ على عُودَىْ سَراةِ حصانِهِ ... أخا لِبَدٍ ضمَّ الفريسةَ ضاغطا (١)
إذا هَجْهَجُوهُ عن ضمانِ يمينِهِ ... « أزِمَّ » وَقوراً لا يبالى اللّواغطا (٢)
يروم بنِي الدّنيا اقتناصى بحَتْلِها ... وهيهاتَ خَتْلِى بعدما كنتُ ناشطا (٣)
ويرجون أنْ يَرْقَوْا إلى مثل ذِرْوَتِي ... وما بلغوا من دون تلك وسائطا
ألمّوا بأطرافِ العُلا واحتويتُها ... فمن كان منهمْ ذائقاً كنتُ سارطا (٤)
وما غَبَطَ الحسَّادُ إلّا فضيلةً ... وحسبك مجداً أن تَرَى لك غابطا (٥)
مآثرُ يُثقلنَ الحسودَ فخامةً ... ويُعيِين من « إشرافهنَّ » الغوامطا (٦)

* * *

وقال يذكر بنى أمية ويرثى جده الحسين عليه السلام (وقد سقط أولها) :

كأنَّ مُعَقَّرِى مُهَجٍ كِرامٍ ... هنالك يعقرون بها العباطا (٧)
فقلْ لبنِي زيادَ وآلِ حربٍ ... ومَن خلطوا بغدرهمُ خِلاطا :
دماؤُكُمُ لكمْ وهُمْ دماءٌ ... تُرَوِّيها سيوفُكُمُ البَلاطا! (٨)
كُلوها بعد غصبكُمُ عليها ... انْتِهاباً وازدراداً واستراطا (٩)

(١) السراة : الظهر .
(٢) هجهجوه : ردوه، وأزم : شمخ بأنفه ، وبرأسه رفعه، وفى (ش) «أرم» بالراء أى سكت.
(٣) الناشط : المنفلت ، ونشط البعير من العقال : إذا أفلت منه .
(٤) السارط : المبتلع .
(٥) الغابط : الحاسد ، إلا أن الغبطة هى دون الحسد وهى أن تتمنى ما بغيرك من نعمة دون أن تزول عنه .
(٦) فى (ش) « أشواقهن » مصحفة ، وإشرافهن : يعنى علوهن ، والغوامط : جمع الغامط وهو محتقر النعمة ، واغتمطه بالكلام : علاه فقهره .
(٧) العباط : جمع العبيطة وهى الذبيحة الصحيحة السالمة من العلة .
(٨) البلاط (بفتح الباء) : الأرض المستوية الملساء والأرض المبلطة بالحجارة .
(٩) استراطاً : ابتلاعاً .

فما قُدِّمْتُمْ إلّا سَفاهاً ... ولا أُمِّرْتُمُ إلّا غِلاطا
ولا كانت من الزمن المُلَحَّى ... مراتبُكم به إلّا سُفاطاً [1]
أنحوَ بنى رسولِ الله فيكم ... تقودون المسوَّمَةَ السِّلاطا؟ [2]
تُثارُ كما أثرْتَ إلى مَعينٍ ... لتُكرِعَ من جوانبه الغَطاطا [3]
وما أبقتْ بها الرَّوحاتُ إلّا ... ظهوراً أو ضلوعاً أو مِلاطا [4]
وفوق ظهورها عُصَبٌ غضابٌ ... إذا أرضيتَهمْ زادوا اختلاطا [5]
وكلُّ مرفَّعٍ فى الجوِّ طاطٍ ... ترى أبداً على كَتِفيه طاطا [6]
إذا شهد الكريهةَ لا يبالى ... أشاط على الصوارم أم أشاطا [7]
وما مدَّ القنا إلّا وخِيلتْ ... على آذان خيلِهمُ قِراطا [8]
وكم نِعَمٍ لجدِّهمُ عليكمْ ... لقين بكمْ جُحوداً أو غِماطا [9]
همُ أتكَوْا مرافقكمْ وأعطَوْا ... جنوبَكُمُ النمارقَ والنِّماطا [10]
وهمْ نَشَطوكُمُ من كلِّ ذُلٍّ ... حَلَلْتُمْ وسْطَ عَقْوتِه انتشاطا [11]
وهمْ سدُّوا مخارمكمْ ومدُّوا ... على شجراتِ دوحكمُ اللِّياطا [12]

---

(١) الملحى : الملعون ، والسفاطة : متاع البيت .

(٢) المسومة : التى عليها سمة وهى العلامة ، والسلاط : الشداد مفردها السليطة .

(٣) المعين : الماء الجارى ، والغطاط : نوع من القطا .

(٤) الملاط : كتفا البعير أو عضداه ، والملطاة : السمحاق وهو القشر الرقيق المحيط بالعظم .

(٥) العصب : الجماعات .

(٦) الطاط : الشجاع ، والباشق من الطيور .

(٧) شاط : هلك واحترق ، وأشاط (بالتعدية) : أهلك .

(٨) القراط : جمع القرط ، وهو الشنف الذى يعلق فى شحمة الأذن .

(٩) غماط النعمة : كفرانها وعدم شكرها .

(١٠) النمارق : جمع النمرقة وهى الوسادة ، والنماط : جمع النمط وهو ضرب من البسط .

(١١) نشطوكم: أنتشطوكم وأنقذوكم واستخرجوكم ، والعقوة : ماحول الدار .

(١٢) المخارم : أفواه الفجاج ومخارجها، والدوح : الشجر ، والمياط : الليطة وهى القناة والقوس

وَلولا أنهمْ حَـــدبوا عليكمْ لمَـــا طلتمْ ولا حزتمْ ضِغاطا (١)
فمَـــا جازيتمُ لهمُ جميـــلا ولا أمضيتمْ لهمُ أشـــتراطا
وكيف جحدتُمُ لهمُ حقوقاً تبين على رقابكمُ اختطـــاطــا ؟
وبين ضـــلوعكمْ منهمْ تِراتٌ كمَرْخِ القيظِ أُضرِمَ فاستشاطا (٢)
ووِترٌ كلّما عمَـــدْتَ يَبِينُ لرقعِ خُروقهِ زِدْن انعطاطا (٣)
فلا نسبٌ لـكمْ أبـــداً إليهمْ وهل قُربى لمن قطع المنـــاطا ؟ (٤)
فكمْ أجرى لنـــا عاشورُ دمعاً وقطّع من جوانحنا النِّياطا (٥)
وكم بِتْنَا به والليـــلُ داجٍ نُميط من الجوى ما لن يُماطا (٦)
يُسقِّيـــنا تذكرُهُ سِماماً ويُولِجُنا توجّعُهُ الوِراطا (٧)
فلا حُـــدِيَتْ بكمْ أبداً ركابٌ ولا رُفعتْ لـكمْ أبداً سياطا
ولا رفع الزّمان لـكم أديمـــاً ولا أزددتمْ به إلّا انحطاطا (٨)
ولا عرفت رءوسُكمُ ارتفاعاً ولا ألِفتْ قلوبُكمُ اغتبـــاطا
ولا غفر الإلهُ لـــكمْ ذنوباً ولا جُزتمْ هنالِكمُ الصِّراطا

* * *

---

(١) الضغاط : جمع الضغيطة وهي البيئة الضعيفة .
(٢) الترات : جمع الترة وهي الثأر ، والمرخ : شجر سريع الوري ، واستشاط ، التهب .
(٣) الوتر : الثأر ، والانعطاط : الانشقاق .
(٤) المناط : موضع التعليق .
(٥) النياط : القلب أو عرق معلق به القلب .
(٦) داج : مظلم ، ونميط : نبعد ونزيح ، والجوى : الحزن .
(٧) السمام : السم ، ويولجنا : يدخلنا ، والوراط : جمع الورطة وهي الهلكة
(٨) الأديم : الجلد .

قافية العَين

باب العين المضمومة

قال وكتب بها إلى الرئيس أبي الحسين البتيّ جوابا عن قصيدة أنشده إياها[1] :

لعلّ زمانًا بالثويّةِ راجعُ ... مضى وهو في قلبي مدا الدّهر رابعُ[2]
تذكّرتُ نجداً ذُكْرَةً فكأنّما ... تحمّل رأسي مائلُ الرّأس ظالعُ[3]
تعرّقتِ الرّوحاتُ منه « فَصِيلَهُ » ... فما هو إلّا أعظُمٌ وأضالعُ[4]
وكيف بنجدٍ بعد أنّ مطيّنا ... تسادَكُ بالغَوْرين منه الأكارعُ ؟[5]
يَطَأْنَ الرُّبا وطءَ النّزيف فكلّما ... هبطن الرُّبا سالتْ بهنّ الأجارعُ[6]
خليليّ هل رَمْيُ البلاد إليكما ... برَحْلِيَ ممّا شفّني اليومَ نافعُ ؟

---

(١) منسوب إلى البت بوزن القت ، قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة من راذان على فم النهر، كما في معجم البلدان والمراصد ، وفي الأنساب أن البت موضع بنواحي البصرة .
والبتي هو أبو الحسن لا الحسين أحمد بن علي الكاتب كان حافظاً للقرآن تالياً له ، مليح المذاكرة والآداب ، عجيب النادرة ، طريف المزح والمجون، توفي في شعبان سنة « ٤٠٣ » وترجمته مشهورة في التواريخ وقد تقدم نسبه برسم البيهقي مصحفاً . (مصطفى) .
أقول : والبتي هذا هو الذي استكتبه القادر بالله وكان يكتب له عند مقامه بالبطيحة وصرف به كاتبه أبا الحسن علي بن عبدالعزيز حاجب النعمان ، ويلاحظ أن كاتب القادر الأول كان له تدبير لطيف في العودة إلى الخدمة في دار الخلافة . (راجع معجم الأدباء « ج١ ص٢٣٧ـ٢٣٨ » وتجارب الأمم حوادث « ٣٨٩ » .) (الصفار) .
(٢) الثوية (بالفتح أو بالتصغير) : موضع في الكوفة أو قريب منها ، والرابع : المقيم .
(٣) الظالع : الأعرج الذي يغمز الأرض بعشيته .
(٤) تعرقت العظم : أزالت ما عليه من اللحم . وفصيله : جمع جنس للفصيلة وهي القطعة من لحم الفخذ أو أعضاء الجسد ، وفي (ه) « خصيلة » والخصيلة وهي القطعة من لحم الفخذين والعضدين .
(٥) تسادك (كتشابك) : تلازم وتنضد بعضه فوق بعض ، والغوران : موضع ، والأكارع : جمع الكراع وهو ما استدق من الساق .
(٦) النزيف : السكران ، والأجارع : جمع الأجرع والجرعاء وهي الرملة المستوية .

وهل لى إلى من كنتُ أهواه منكما ... وقد حرّم الواشون جَدْواه شافعُ ؟
عشيّةَ أغرَوْا بِى العيونَ وسطّروا ... من الوَجْـدِ ما تُمليه عنّى المدامعُ
لقد «ضلّ» قلبٌ بات فى كلّ ليلةٍ ... «يُصادِى» بُنيّاتِ الهوى ويصانعُ[1]
يصدّ ويدنو بين يأسٍ ومطمعٍ ... فلا هو وصّـالٌ ولا هو قاطعُ
فقل لأسيلاتِ الخـدود أتيننا ... يخادعن منّى صاحباً لا يُخادَعُ :
أرَدْنَ قلبى للهوى وهو مُتعَبٌ ... فإنّى وقلبى اليومَ منكنّ وادعُ
وقد كنتُ جرّبتُ الهوى وعرفتُهُ ... فما فيـه إلّا ما تجرّ المطامعُ
وقولٌ أتانى مُعرباً عن مودّةٍ ... فجاء كما كانت تشاء المسامعُ
وَلوجٌ إلى قلبى عَلوقٌ بخاطرى ... كما عَلِقَتْ بالرّاحتين الأصـابعُ
مديحٌ «تولّى الفكرُ» تنميقَ نسجِهِ ... ولبس كَوَشْيٍ نمّقَتْهُ الصّوانعُ[2]
كأنّىَ لمّا أنْ مَشتْ فى مفاصلى ... حُمَيّاهُ فى «نِهْـيٍ» من الخمر كارعُ[3]
فياعَلَمَ العلمِ الذى يُهتـدَى به ... كما فى السُّرى تهدى النجومُ الطّوالعُ
أضَفْتَ إلىّ الفضلَ «منك» تفضّلاً ... وأثنيتَ عمداً بالذى أنت صانعُ[4]
وألقيتَ منّاً فى مديحٍ نَظَمْتَهُ ... على كاهلٍ لا تمتطيه الصّنائعُ[5]
ومثلُك من قد كنتُ قبل وصالِهِ ... أحِنُّ اشتياقاً نحوه وأنازعُ

---

(١) فى (س) «ظل» بدل «ضل» ، وفى النسخ «يصاد» بدل «يصادى» والأول خطأ ويصادى معناها يدارى وصاديت فلاناً إذا داريته ، ويحتمل المخاتلة ، قال الشاعر :

أبيتُ بأبوابِ القوافى كأنّما ... أُصادِى بها سرْباً من الوحش نُزَّعا

(٢) فى (س) «تمنى الفكر» فى موضع «تولى الفكر» وفى (هـ) «تواب الفكر» وكلاها ليس بشىء ، والوشى : الثوب المنقوش .

(٣) الحميا : أول سورة الخمر ، والنهى (بكسر النون وتسكين الهاء) : الغدير وشبهه ، وفى (س) «نحى» محرفة .

(٤) فى (هـ) «فيك» بدل «منك» مصحفة .

(٥) الكاهل : أعلى الظهر مابين الكتفين .

ولمّا رآني الدّهرُ لا أرتضي له ... صنيعاً وأكدَتْ منه عنّي الذّرائعُ (1)

سقاني بك العَذْبَ الزُّلالَ وإنّما ... أطلْتُ الظّما حتّى حلَتْ لي المشارعُ

وقد كنتُ لا أرضى نصيباً أصبتُهُ ... وإنّي بقِسْمي من ودادِك قانعُ

إذا ما رعاكَ اللهُ لي بحفاظِهِ ... فلستُ أبالي أنّ غيرَك ضائعُ

وما ضرَّ مَن فارقتُ من كلِّ نازحٍ ... وقد لفَّ لي شملًا بشملك جامعُ (2)

فدونَك قولًا جاء عَفْوَ بديهةٍ ... وإنَّ مقالًا لو تعمّدْتُ واسعُ

* * *

وقال يهنئ أباه بعيد الفطر وهي من أوائل قوله :

لغيرِ الغواني ما تُجِنّ الأضالعُ ... وغيرِ التّصابي ما أرَتْهُ المدامعُ

ويا قلب ما أزمعتَ عَوْداً إلى الصِّبا ... فتطمعَ في أنْ تزدَهيك المطامعُ (3)

تضيقُ لِأنْ أرسى بساحتك الهوى ... وأنت على ما أحرجَ الدّهرُ واسعُ (4)

ويومَ اختلسنا من يد الحذرِ لحظةً ... وقد آذَنَتْنا بالفراق الأصابعُ (5)

عذرتَ امرءاً أبدى الأسى وهو حازمٌ ... وصمّ على عُذّاله وهو سامعُ

خليليَّ إنّ الدهرَ «جَمٌّ» عديدُهُ ... ولكنّه ممّنْ أُحِبُّ بلاقعُ (6)

وخُبِّرْتُما أنّ الوفاء تمارضٌ ... فمالي أعاطي صفوَهُ مَن يُمانعُ ؟

ألا في بشاشات الرِّجال ودونها ... جوانحُ في أثنائها الغيظُ ناقعُ

وما زالتِ الأيّامُ مَثْنى ومَوْحَداً ... يراوِدْن منّي شيمةً لا تُطاوعُ

---

(1) أكدت : قل خيرها وبخلت ، والذرائع : جمع الذريعة وهي الوسيلة .

(2) النازح : البعيد .

(3) أزمعته : عزمت عليه .

(4) أرسى : ألقى مراسيه أي ثبت وأقام ، وأحرج : ضيق .

(5) آذنتنا : أعلمتنا .

(6) الجم : الكثير ، والبلاقع : جمع البلقع وهي الأرض القفر ، وفي (هـ) «حر» بدل «جم» محرفة.

رضيتُ بميسور الحظوظ قناعةً ... إذا أمتدّ فى غىّ الطماعة قانعُ (١)

وعوراءَ يستدعى النفوسَ اقترافُها ... تنكّبها ناءٍ عن السوءِ نازعُ (٢)

تخيّرتُ عنها لا أهمُّ بوصلِها ... كما أنحاز عن ضمن العِذار بن خالعُ (٣)

وشهمٍ من الفتيانِ حصّنتُ سرَّهمْ ... وسرُّ الفتى ما بين جنبيه ذائعُ

سَرَوْا يسألون الدهرَ ما فى غيوبِه ... وليس لهمْ غيرَ التجاربِ شافعُ

إذا صُدّ عن نُجحِ المطالبِ جاهدٌ ... تخلّف عن كسب المحامد وادعُ

إليك ذعرتُ «الهيمَ عن كلّ بُغيةٍ» ... أسِفُّ إلى أمثالها وأسارعُ (٤)

وسوّمتُها يسترجفُ الأرضَ مرُّها ... وتُخْبى سوادَ الليلِ والفجرُ طالعُ

ولولاك لم تنفُضْ حشاى مَسرّةٌ ... ولو كثرتْ منهـا إلىَّ الذرائعُ (٥)

وأنت الذى لو لم أُفِضْ فى ثنائِه ... تحمّل عنى القولَ ماهو صانعُ

شديدُ ثباتِ الرأى بين مواطنٍ ... رياحُ الخطوبِ بينهنّ زعازعُ

وَقورٌ فإنْ لاذتْ به أريحيّةٌ ... فلا الحِلمُ مغبونٌ ولا الجدُّ خاشعُ (٦)

ويقظانُ ما ضامَ التفرّدُ حزمَه ... ولا قبضتْ من بسْطَتيْهِ الجوامعُ

تقصّتْ نهاياتِ المعالى أصولُه ... وساعفها فرعٌ على النجمِ فارعُ (٧)

كريمٌ إذا هزّ الرجاءُ عطاءَهُ ... تقاصر باعُ الغيثِ والغيثُ هامعُ (٨)

رَمى وَلَهَ الحُسّادِ قَرْمٌ مُصمّمٌ ... بيأسٍ تحرّتْه النفوسُ النوازعُ (٩)

---

(١) القناعة : الرضا بالميسور ، والقنوع : التذلل ، ومن دعائهم « نسأل الله القناعة ، ونعوذ به من القنوع » أى التذلل ، والقانع هنا : المتذلل .

(٢) العوراء : المنقصة والفحشاء ، والنائى : البعيد ، والنازع : مثلها .

(٣) العذاران : شعر جانبى الوجه ، والخالع : الغلام البالغ .

(٤) الهيم : جمع الهياء والأهيم أى العطشى والعطشان من الإبل ، وفى النسخ «الهم» محرفة وفى (س) « من كل دمنة » محرفة عن « عن كل بغية » وأسف : أدنو .

(٥) الذرائع : جمع الذريعة وهى الوسيلة .

(٦) الجد (بالفتح) : الحظ .

(٧) تقصت : تتبعت ، والفارع : المرتفع .

(٨) الغيث : المطر ، والهامع : الماطر .

(٩) القرم : الشجاع ، وتحرته : طلبته ، والنوازع : المشتاقة .

إذا بادروه المأثرات شآهم ... ودون المدا منهم «طليحٌ وظالعُ»[1]

ودون بلوغ الطالبين مكانه ... طريقٌ على ربّ الحفيظة شاسعُ[2]

وكم بحثوه عن خفايا عيوبه ... فشاعتْ معانٍ تصطفيها المسامعُ

وما النّاسُ إلا واحدٌ غيرَ أنّهم ... تفاوتُ منهم في الفعال الطّبائعُ

فداؤك من يتلو النّدى بندامةٍ ... وقد مرّقتْ من راحتيه الصّنائعُ

بعيدٌ عن الآمالِ لا يستخفّه ... سؤالٌ ولا يرجو عطاياه طامعُ

وقد علم الأقوامُ أنّك فيهمُ ... سِنانٌ إلى قلب الملمّات شارعُ[3]

وهزّوك مسنونَ الغِرارين أخلصتْ ... نواحيه وأجتاحتْ قذاه الوقائعُ[4]

ولمّا تبدّتْ آراؤهمْ وأظلّهم ... من الأمرِ مسوَدُّ المخايلِ رائعُ[5]

تداركتَهمْ والشّملُ قد رثّ «حبلُهُ» ... وأضربتَ عن مُستشرِي الخرقِ راقعُ[6]

بعزمٍ به مُستسلفُ النّصرِ كافلٌ ... وحزمٌ به مستأنفُ النّجحِ تابعُ

كفيتَهمُ الدّاني وشيّعتَ ماضيٍ ... برأيٍ توخّاه الذى هو واقعُ

ومُنكتمِ الأضغان أولاكَ بِشْرَه ... وفي صدره غِلٌّ « لحقّك» مانعُ[7]

يجرُّ أباطيلَ الحديثِ إذا ارتقى ... إلى فهمِهِ ذكرٌ لمجدك شائعُ

---

(١) شآهم : سبقهم ، والمدا : البعد والغاية ، والطليح : المهزول المجهد من أثر السفر ، والظالع الأعرج ، وفى (س) «ضليع» بدل «طليح» محرفة وفى (ش) «ضالع» بدل «ظالع» والمعنى معها معكوس إذ الضالع ذو الضلوع المتينة القوى .

(٢) الحفيظة : الذمام والحمية والغضب ، وشاسع: بعيد واسع .

(٣) السنان : الرمح ، والشارع : المسدد .

(٤) الغراران : مثنى الغرار وهو حد السيف .

(٥) المخايل : جمع المخيلة وهى السحابة المزمعة على المطر .

(٦) فى (هـ) « عقده » بدل « حبله » و « الخاق » محرفة عن « الخرق » ، والمستشرى : المتفاقم والمستفحل .

(٧) الأضغان : الأحقاد ، والغل (بالكسر) : الحقد أيضاً ، وفى (ش) « بحقك » بدل « لحقك » .

إذا أبهتته من مساعيك خلّة ... تمنّى لها أنّ العيون هواجع
ندبت له حلماً يداوى شروره ... وبعض الحجى فى ملتوى الجهل ضائع
تراخ وخفّض من همومك فالذى ... تطالبه الآمال ما أنت جامع
وقد راجعت تلك الأمور وأقبلت ... إليك بما تهوى سنون رواجع
وخلف الذى أرخى به الدهر كفّه ... حقوق لها هذى الوفود طلائع (١)
نضوت «زمانَ» الصوم عنك كأنما ... رداء الحيا تبسط من الروض يانع (٢)
وما العيد إلا ما صبحت طلوعه ... وبلجة فجر بوجهك ساطع
وهنّيته عمر الزمان مسلّماً ... يفوت الردى أو تختطيك الفجائع (٣)

* * *

وقال يهنئ جلال الدولة بعيد الفطر :

أبالبارق النجدى طرفك مولع ... يخب على الآفاق طوراً ويوضع (٤)
ولمّا أراد الحىّ أن يتحمّلوا ... ولم يبق لى فى لبثة الحىّ مطمع
جرت لى حياتى من جفونى صبابة ... وظن الغبىّ أنما هى أدمع
فليت المطايا إذ حملن لنا الهوى ... خدين عشيّاً وهى حسرى وظلّع (٥)
فإن لم يكونوا أنذروا بفراقهم ... وفاجأنا منه الرُّواء المروّع (٦)

(١) الطلائع : جمع الطليعة وهى من الجيش ما تبعث لتطلع على العدو .
(٢) نضوت : خلعت وفى (م) «نظام» بدل «زمان» وفوقها بخط رفيع «زمان» كتصحيح لها، والحيا (بالقصر) : المطر . وفى (ش) كلمة «الصوم» ساقطة وفى محلها بياض .
(٣) فى (ش) «و» بدل «أو» .
(٤) يخب : يعدو ، والخبب : ضرب من سير الخيل ، ويوضع : يسير سيراً سهلا سريعاً . وماضى الفعل أوضع .
(٥) حسرى : جمع حسير وهى الكليلة المعيية ، والظلع : جمع الظالع وهو المائل ، والظلع : العرج .
(٦) الرواء (بالضم) : حسن المنظر .

فقد صاح قبل البين لى بفراقهم ... غرابٌ على فرعِ الأراكةِ أبقعُ

سلامٌ على ملك الملوك يقودُه ... ولىٌّ يناجِى بالتحايا فيَسمعُ

مقيمٌ على دار الحفاظِ وطالما ... تناسى رجالٌ للحفاظ فضيّعوا

وأنتَ الذى فُتَّ الملوكَ فكلُّهم ... خلالك ينحو أو طريقَك يتبعُ

فمالك إلا فى السماء مُعرَّسٌ ... ومالك إلّا مَضجَعَ الشمسِ مَضجعُ (١)

فإنْ يكُ قومٌ لم يضرّوا وينفعوا ... فإنّك فينا قد تضرّ وتنفعُ

وإنّك من قومٍ كأنّ وجوهَهمْ ... كواكبُ فى ليل المعارك تطلعُ

تُساعِى لهمْ نحو العليّاتِ أرجلٌ ... وتُبسطُ منهمْ فى المكرماتِ أذرُعُ

وما امتُقِعتْ ألوانُهمْ فى شديدةٍ ... تَهابُ ولونُ اليوم لونٌ مولَّعُ (٢)

شفاهُهمُ من كلِّ عوراءَ قفرةٌ ... ودارُهُمُ من كلِّ شنعاءَ بَلقعُ (٣)

وأيديهُمُ تجرى إذا جَمَدَ الحيا ... على المُعتفين بالعطايا وتَهمعُ (٤)

سِراعٌ إلى داعى الصريخ شجاعةً ... وفى كلِّ كفٍّ منهُمُ البيضُ تلمعُ

فإنْ طعنوا يومَ الكريهة أوسعوا ... وإنْ أطعموا عند المجاعةِ أشبعوا

وإنْ وُزِنوا كانوا الجبالَ رزانةً ... وكم طائشٍ منهمْ إلى الموتِ مُسرِعُ

فما فيهمُ إلّا هُمامٌ مُرفَّعٌ ... بحيث الثريا أو غلامٌ مشيَّعُ (٥)

وكم لك فى يومٍ شهدتَ به الوغى ... وما لك إلّا الضربَ والطعنَ أذرُعُ

وفى كفِّك العضبُ اليمانىُّ قاطعاً ... وما كلُّ سيفٍ كان فى الكفِّ يقطعُ

---

(١) المعرس : منزل المسافر للاستراحة آخر الليل .

(٢) امتقعت (على المجهول) : تغيرت من حزن أو خوف ، والمولع : الذى استطال برصه أو بلقه ، والمقصود هنا اليوم المهول الشديد .

(٣) العوراء والشنعاء : النقيصة والمعاب ، وبلقع : خالية .

(٤) الحيا : المطر ، والمعتفين : جمع المعتفى وهو طالب المعروف ، وتهمع : تسيل .

(٥) المشيع : المهيب الذى يشيعه الناس أى يسيرون وراءه .

وأنت على رُخْوِ العِنانِ كأنّه   من الضُّمْرِ طاوٍ ليس يروى ويشبعُ (١)

وليس ترى إلّا الأسنّةَ رُعَّفاً   وبيضَ الظُّبا ماءَ الترائبِ تكرعُ (٢)

وقد علموا لمّا سرى البغيُ فيهمُ   وطارتْ بهمْ نكباءُ للغدرِ زَعْزَعُ (٣)

ولم ترَ إلّا شملَ عِقْدٍ مفرّقاً   وإلّا عهوداً منهمُ تتقطّعُ (٤)

وقد حال منهمْ كلُّ شيءٍ عهدتَه   فأحفظُ منهمْ للذّمامِ المضيّعُ

بأنّك رُضتَ الحِلْمَ حتّى لبستَهُ   شِعاراً ولكنْ ليس يُنضَى ويُخلَعُ (٥)

وعاد الذى قد كان بالأمسِ شامساً   إليك مطيعاً وهو عَوْدٌ موقَّعُ (٦)

ولو شئتَ لمّا أنْ تريّبتَ منهمُ ،   وراموا الذى لا يُرتَضَى وتولّعوا

أطرتَهمُ تحت السنابك فى الثرى   كما طار بالبيداء زِقٌّ مُزَعْزَعُ (٧)

فلم يُلقَ منهمْ بعد ذلك سامعٌ   ولم يبقَ منهمْ بعد ذلك مُسمِعُ

قنعتُ بحظّى منك ذخراً أعدُّه   ولستُ بشيءٍ يُقنِعُ الناسَ أقنعُ

فمالِيَ إلّا تحتَ ظلِّكَ موئلٌ   ولا لِيَ إلّا فى رياضك مَرتَعُ

ولا كان لى إلّا عليك إقامةٌ   ولا كان لى إلّا بربعك مَربَعُ

ولا قيّض اللهُ التفرّقَ عنكمُ   ولا عنّ نأيٌ بيننا وتصدُّعُ (٨)

فلو أنّنى ودّعتكمْ يومَ فُرقةٍ   لما كدتُ إلّا للحياةِ أودّعُ

---

(١) الضمر : الهزال ، والطاوى : الجائع .

(٢) الأسنة : جمع السنان وهو نصل الرمح ، ورعفا : سائلات ، والترائب : الصدور ، وأصل الترائب عظام الصدر ومفردها تريبة .

(٣) النكباء : الريح المنحرفة عن مهبها .

(٤) العقد (بالكسر) : القلادة وبالفتح : العهد .

(٥) الشعار : الثوب الذى يلى البدن ويلامس شعره وفوقه الدثار ، وينضى : ينزع .

(٦) الشامس : من الخيل والإبل الممتنع على راكبه وصعب القياد ، والعود (بفتح العين) : الجمل المسن ، والموقع : المذلل .

(٧) السنابك : أطراف حوافر الخيل ، والزق : السقاء ، والمذعذع : المفرق .

(٨) قيض : هيأ ، وعن : عرض ، والنأى : البعد والفراق .

وإمّا تكونوا لي وفي طيّ قبضتي | فلستُ بشيء غيركم أتطمّعُ
وإنْ كنتمُ لي ناصرين على العدا | فما إنْ أبالي فرّقوا أو تجمّعوا
ووُدّي لكمْ لا يستفيق ضمانةً | وما كنتُ إلّا بالذى زان أولعُ
يُعنّفني قومٌ بأنّي أطيعكمْ | ولم يرضكمْ إلّا الذى هو أطوعُ
ولم يَلحُني في نصحكمْ غيرُ كاشحٍ | وإلّا امرؤٌ في الغشّ بالعيب مولَعُ [1]
ولو أنصفوا لم يعذلونيَ في هوًى | لقلبيَ لا يَلوِى ولا هو يَنزَعُ [2]
وقد زعزعوا لكنْ لمن ليس يَنثني | وقد هدّدوا لكنْ لمن ليس يفزَعُ
وكم رَمْيةٍ لم تُصْمِ ممّن رمى بها | وكم قولةٍ من قائلٍ ليس تُسمَعُ
فإنّ خِطاراً أنْ تهيجوا مفوّهاً | له كَلِمٌ تفري البلادَ وتقطعُ
وما ضرّني أنّي قُذفتُ بباطلٍ | وما زلتُ عُمْرَ الدهرِ بالحقّ أصدَعُ
وما راعني ذاك الذى روّعوا به | فلا أنتيش من غمّائها المتروّعُ [3]
وإمّا نبا بي أجْرَعٌ فاجتويتُهُ | فلي دونه ـ منّا من الله ـ أجرعُ [4]
فدونَكها فيها معانٍ سترتُها | وأنتَ عليها دون غيرك أوقعُ
ولم يكن التعريضُ منّيَ خيفةً | ولكنّني ما اسطعتُ للشرّ أدفعُ
إذا قلتُ فيكم كنتُ للقول مُفصِحاً | وكم عيّ بالقول اللسانُ مُتَعتِعُ [5]
وكم ليَ في مدحي لكمْ من قصائدٍ | لهنّ على الآفاقِ في الأرض مَطلَعُ
فهنّ جبالٌ والقصائد كلُّها | هباءٌ ونبعٌ والأقاويلُ خِرْوَعُ
وهُنّيتَ هذا العيدَ وابقَ لمثلهِ | وأنفُ الذى يبغي لك السّوء أجدَعُ [6]

(١) يلحنى : يلومنى ، والكاشح : العدو المبغض .
(٢) يلوى من الفعل ألوى : أعرض ، ولوى عليه : عطف ، وينزع : يبعد .
(٣) انتيش : استخرج ، والمتروع : الخائف الفزع .
(٤) الأجرع : الرملة المستوية الطيبة النبت ، واجتوى البلد : كره الإقامة به وإن كان فى نعمة .
(٥) المتعتع : المتردد فى الكلام من حصر أوعى .
(٦) أجدع : أقطع .

تروح وتغدو فى الزمان مُحَكَّماً على النَّاس تُعطى مَن تشاء وتمنعُ
وغُصنُك لا يذوى مدا الدَّهر كلّه وركنُك لا يبلى ولا يتضعضعُ

* * *

وقال يرثى من تعلق به :

كم ذا نخيبُ وتكذب الأطماعُ والنَّاس فى دار الغرور رِتاعُ ؟
لحوائمٌ لا ترتوى وعواطلٌ لا تختلى وزخارفٌ وخداعُ (١)
فى كلّ يوم للحوادث بطشةٌ فينا وأمرٌ للمنونِ مُطاعُ
وإذا الرَّدى قنص الفتى فكأنه ما كان إبقاءٌ ولا إمتاعُ
والموت أملكُ بالورى ونهاية هذا السَّقامُ وهذه الأوجاعُ
وإذا تيقّنا الفراقَ لكلّ مَن نهوى هواهُ فالسَّلام وداعُ
ليس الرَّدى يا من يرومُ دفاعَه ممّا « تُحاكُ » لدفعه الأدراعُ (٢)
وإذا الرَّدى طلب النفوس فإنّما شَدُّ النَّجاء به وضاع قِراعُ (٣)
وصوارمُ الأسيافِ غيرُ صوارمٍ والسَّمهريّاتُ الطِّوالُ يَراعُ (٤)
ما لى أُعلَّلُ كلَّ يومٍ بالمُنى عيشاً وأشرى بالهوى وأُباعُ
كَرَع الحمامَ مبذِّرٌ ومقدِّرٌ وخطا إليه مُجبِنٌ وشجاعُ
ثمّ استوى فى حَسوِ خمرِ كؤوسه الـ أملاكُ والسَّاداتُ والأتباعُ
والنَّاكصون المقدمون إذا دعا أَجَلٌ بهم والمبطئون سِراعُ

---

(١) الحوائم : جمع الحائم وهو العطشان ، والعواطل : جمع العاطل وهى من النساء من لاحلى لها ، وتختلى : تلبس الحلى .

(٢) فى الأصل « تحال » بدل « تحاك » مصحفة .

(٣) شد : أسرع ، والنجاء (كالنجاة) : الخلاص .

(٤) السمهريات : جمع السمهرية وهى الرمح منسوب إلى سمهر وهو رجل كان يثقف الرماح ، واليراع : القصب .

والدّهرُ يطعن بالرّدَى لا بالقنا قَعْصاً ولا عَلَقٌ هناك يُباعُ (١)
يُبقى ويُفني ثم يسلبُ ما كسًا بالرّغم فهْوَ المُلبِسُ النَّزّاعُ (٢)
فذَ العطاء فإنْ يكن مَثْنى له غَلَطًا فإنَّ الارتجاعَ رُباعُ (٣)
خيرٌ من المُثْرِى فقيرٌ قانعٌ ومنَ الشِّباعِ من الطّعامِ جِياعُ
قلْ للذى كنز الكنوز فهمُّهُ التّجميعُ والتّرفيعُ والإيداعُ
أوَ ما علمتَ بأنّ ما أحرزتَهُ شِلْوٌ بأيدى الحادثاتِ مُضاعُ؟ (٤)
وظننتَ ما أودعتَ فى بطن الثّرى سرًّا وسرٌّ لا يُذاع مُذاعُ
تبًّا لدارٍ أشعرتْ سُكّانَها أنْ ليس فى طولِ المقامِ طَماعُ
باع الجميعُ نعيمهمْ بشقائِها بَيْعَ الغَبين ولو دَرَوْا ما باعوا
وإذا هُمُ اعتذروا إلى مَن لامَهُمْ فى الحرص قالوا: ما تراهُ طباعُ
فانظرْ إلى من قصدُهُ ترفيهُهُ فى العيش كيف تكدُّه الأطماعُ!
أين الذين على القِنانِ قِبابُهمْ ولهمْ تِلاعُ المأثراتِ تِلاعُ؟ (٥)
من كلّ مُعتَصِبِ المفارقِ لم يُطِعْ بَشَراً وفى كلّ الأمور يُطاعُ
دَرَجوا وأضحَوْا بعد عزٍّ أقعَسٍ ما إنْ لهمْ إلّا الثّرى والقاعُ (٦)
وأزالهمْ عمّا ابتنوه من البِنا هذا الختولُ الباذلُ المنّاعُ
ولقد فُجعتُ وكلُّ مَن لم يُصْمِهِ سهمُ المنيّةِ زاره الإفجاعُ

---

(١) قعصاً: طعناً، والعلق: الدم.
(٢) ما كساً: طالماً.
(٣) المثنى: الزوج أى اثنان، والرباع: معدول عن أربعة تقول: جاء القوم مثنى ورباع أى اثنين اثنين وأربعة أربعة.
(٤) الشلو: العضو.
(٥) التلاع: جمع التلعة وهى ماارتفع من الأرض:
(٦) درجوا: ماتوا أو ذهبوا، والأقعس: الثابت، والقاع: الأرض المستوية المطمئنة.

ولقد عمِرْتُ وغيرِيَ المرتاعُ ... وارتعتُ للخطب الملمِّ بساحتي
أحنى عليهــا البائرُ القطّاعُ (١) ... وقرينةٍ لمّا ألفتُ وصالَهــا
خضراءِ عنّا كوكبٌ لمّاعُ (٢) ... فَلَئِنْ هَوَتْ فَلَكَمْ هوى فى هذه الـ
ما كان منه على الفراقِ زَماعُ (٣) ... ليتَ الذى عزم الترحُّلَ غفــلةً
ووراءكِ الطُّلّاحُ والظلّاعُ (٤) ... ولقد سبقتِ صــيانةً وديانةً
وأُعتــاد قبركِ هاطلٌ لمّاعُ ... رحُبَتْ بكِ الأجداثُ أجداثُ الثَّرى
فالأرضُ متلافٌ لها مِضياعُ ... أوْدَعتُ منكِ الأرضَ خيرَ وديعةٍ
قومٍ لهمْ دون النّعيم رِباعُ ... وقضيتُ حقّكِ إذ جعلتُكِ فى حمى
سجدتْ له الأقطارُ والأصقاعُ (٥) ... صُقْعٌ لآلِ الله آلِ نبيّــهِ
والدّهرُ مِفراقٌ لنــا مِجْماعُ ... خَرَقَ الزّمانُ وما درى ما بيننا

* * *

وقال يرثى العنبرى والد صاحبه « سنة ٤١٢ » (٦) :

لحتفكَ حين لا أحدٌ مَنوعُ ... أبا بكرٍ تعرّضَتِ المنايا
وداءٌ لا دواءَ له وجيعُ ... وأوجعنِى فراقُكَ من قريبٍ
وكم باكٍ وليس له دموعُ ... بكى قلبى عليكَ مكانَ دمعى
وأنتَ لودّهمْ مرعًى مَريعُ ... كأنّكَ ما حللتَ بدار قومٍ
ولا يُرجى لغاربهمْ طلوعُ ... وسَفْرٌ لا يحين لهمْ إيابٌ

---

(١) قرينة الرجل : زوجته كذا فى الصحاح وغيره ولعل المرثية هنا إحدى زوجاته والظاهر أنه دفنها مع أجداده الكرام أهل البيت بحرم الحسين عليه السلام فى كربلاء حيث جرت عادة هذا البيت كذلك وبقرينة الأبيات الأخيرة . وأحنى عليها : أقبل عليها ضرباً أو شبهه .

(٢) الخضراء : السماء .

(٣) الزماع : المضاء والعزم فى الأمر .

(٤) الطلاح : جمع الطليح وهو البعير المهزول من أثر العياء والسفر ، والظلاع : جمع الظالع وهو الأعرج الذى يغمز الأرض بمشيته .

(٥) الصقع (بالضم) : الناحية .

(٦) هو أبو بكر محمد بن عمر الشاعر الظريف الأديب كان يغنى بشعره . (م ج) .

وسادُهمُ وإنْ كَرُموا رَغامٌ وأجداثُ القبورِ لهمْ رُبوعُ[1]
نُصابُ بكلّ مُقتَبِلٍ وهِمٍّ فَلَا هذا ولا هذا يروعُ[2]
وتخدعنا ظنونٌ كاذباتٌ فيالله ما بلغ الخدوعُ
وسُبْلُ اليأسِ واضحةٌ لدينا ولكنْ ربّما طمع الطّموعُ
فإنْ تَبْعَدْ فقد نأتِ الثّريّا وإنْ تذهبْ فقدذهب الربيعُ
وإنْ تفقِدْك حائرةً عيونٌ فلم تَفقِدْكَ حانيةً ضلوعُ
وإنْ يَحْرَجْ مكانُك من تراب فإنّك ذلك الرّحْبُ الوسيعُ[3]
وما يبقى بطيءٌ أخَّرَتْهُ منيّتُهُ فيُجزِعَنا السّريعُ
وما أبقى الزّمانُ لنا أصولًا فنطمعَ أنْ تدوم به الفروعُ
وما الأيّامُ إلّا حاصداتٌ لما زرعوا ونحن لها زُروعُ
ولولا أنّه أجَلٌ مُتاحٌ لقلتُ أسيءَ منك بنا الصَّنيعُ[4]

* * *

وقال يمدح بعض الهاشميين ويعزيه عن فقيد له :

صبرتَ ومثلُك لا يجزعُ وناءَ بها صدرُك الأوسعُ[5]
وعزّيتَ نفسَك لمّا علمتَ أنّ العزاءَ لها أنفعُ
وداويتَ داءَك لمّا رأيتَ دواءَ طبيبك لا ينجعُ

---

(١) الرغام : التراب ، والأجداث : القبور .
(٢) المقتبل : الشباب ، والهم (بكسر الهاء) : الشيخ الفانى ، ويروع : يفزع .
(٣) يحرج : يضيق .
(٤) المتاح : المقدر .
(٥) ناء بها : حملها ونهض بها .

ولمّا بُخِسْتَ بضيمِ الزّمانِ قنِعْتَ وإنْ كنتَ لا تقنعُ
وقلتَ لعيْنيك لا تدمعِي فلا العينُ تهمِى ولا تدمعُ
ولم تشكُ ما دفنتْهُ الضّلوعُ وفى حشوها المؤلمُ الموجِعُ
فإنْ تكُ شنعاءَ جاء الزّمانُ بها فالتّشكّى لها أشنعُ
وما إنْ يفيدُ سوى الشّامتين أنْ يشكوَ الرّجلُ الموجَعُ
ولمّا نهضتَ بدفعِ الخطوبِ رضيتَ بما لم يكن يُدفَعُ
وقِدْمًا عَهِدناكَ ثَبْتَ المَقام وإنْ هبّتْ العاصف الزّعزعُ
ولِمْ لا وأنتَ أمرؤٌ فى الصّعابِ إلى رأيِهِ أبداً نَرْجِعُ
وقد علمتْ سَوْرَةُ الحادثاتِ أنّ صَفاتَكَ لا تُصدَعُ[1]
وأنّ جَميمَكَ لا يُختَلَى وأنّ قِلالكَ لا تُفرَعُ[2]
وإنْ فَنِيَتْ فى الرّجالِ الحلومُ كانَ إلى حلمك المَفْزَعُ
هو الدّهرُ ينقضُ ما يبتنيهِ جهاراً ويحصد ما يزرعُ
فإنْ يَشفِنا فبطولِ السّقامِ وإنْ يعطنا فبما يمنعُ
ونحن بنو الأرض تغتالُنا وتأكلنا ثمّ لا تشبعُ
فدارٌ تغصُّ بسكّانها ودارٌ لنا مثلُها بَلْقَعُ[3]
وآتٍ يجىء ولم ندعُهُ وماضٍ يمرُّ ولا يرجِعُ
وإنّى منكَ مهما يُصِبْكَ يُصِبْنِى وفى مَرْوَتِى يَقرعُ[4]
وكيف يُمَيَّزُ ما بيننا ويجمعنا الحسبُ الأجمعُ ؟

---

(١) السورة (بفتح السين) : الحدة والشدة ، والصفاة : الحجر العريض الأملس .
(٢) الجميم : النبات الكثير ، ويختلى : ينجل ويقطع ، وتفرع : ترتقى وتصعد .
(٣) بلقع : خالية .
(٤) المروة : الصخرة .

ويرفعنا فوق هامِ الرّجالِ   عَرِينٌ لنا دونهمْ مُسبِع[1]
وإنّا «ألتفَفْنا» بسِنْخِ الرّسولِ   فنطلُعُ منــــه كما أطلع[2]
فكم ذا لنا خاطبٌ مِصقَعٌ   وكم ذا لنــا عالِمٌ مُقنِعُ
ولمّا كرِعتُك دون الأنامِ   رَويتُ وطاب لِيَ المَكْرَعُ
وفقدُ النّساء كفقدِ الرّجال   يحزّ إذا حزّ أو يقطعُ
وأخطأ مَن قال إنّ النّساء   أهلون للنقــد أو موضعُ
فلا زال ما بيننا كالرّياضِ   جادتْ له سُحُبٌ هُمَّعُ[3]
ولا ساءنى فيك مرّ الزّمان   مرأى ولا رابنِي مَسْمَعُ

* * *

وقال رضى الله عنه :

تعالَوْا إلى ما بيننا من تجرُّمٍ   ومِن ذاك ما تحنى عليه الأضالع[4]
نَقُلْ فيه لا تثريبَ يوماً عليكُمُ   كما قال مَن أثنتْ عليه القوارع[5]
فعُمْرُ التّلاحِي فى الهوى غيرُ عامرٍ   وعيشٌ به هجرُ الأحبّةِ ضائع[6]

* * *

(١) العرين : بيت الأسد .
(٢) التففنا كذا فى الأصل ولعلها التقينا أو انفقنا ، والسنخ : الأصل .
(٣) الهمع : الماطرة .
(٤) التجرم : ادعاء الجرم على الغير وإن لم يجرم .
(٥) التثريب : التعيير والاستقصاء فى اللوم .
(٦) التلاحى : التلاوم والتنازع

وقال يرثى أبا عبد الله جعفر بن محمد[1] :

أَمِنْ أجلٍ أن أعفاكَ دهرُكَ تطمعُ ... وتأمن فى الدنيا وأنتَ المروَّعُ ؟[2]
فإنْ كنتَ مغروراً بمن سمحتْ به ... صروف الليالى فهى تُعطى وتمنعُ
شفاءٌ وأسقامٌ وفقرٌ وثَرْوَةٌ ... وبَعْدَ ائتلافٍ نَبْوَةٌ وتصدُّعُ[3]
تأمّلْ خليلى هل ترى غيرَ هالكٍ ... وإلّا مُبقّى هُلْكُهُ متوقّعُ ؟
فما بالُنا نبغى الحياةَ وإنّما ... حياةُ الفتى نَهجٌ إلى الموتِ مَهْيَعُ[4]
لنا كلَّ يومٍ صاحبٌ فى يد الرّدى ... وماضٍ إلى دار البِلَى ليس يرجعُ
ومَغْنَى جميعٍ فرّق الدّهر بينهمْ ... ودارُ أنيسٍ أوحشتْ فهى بَلْقَعُ[5]
وخَرْقٌ نُرجّيـه بـدٍّ فروجهِ ... وآخرُ لا يخفى ولا هو يُرقَعُ
تحسَّى الرّدى لَخْمٌ وأبناء حِمْيَرٍ ... وقيدَ إلى الأجداث عادٌ وتُبّعُ[6]
وآلُ نزارٍ زَعْزَعتْ من عروشهمْ ... بأيدى الرّزايا السّود هوجاءُ زَعْزَعُ[7]
ولم يبق من أبنـاء ساسانَ مُخبِرٌ ... ولم يبدُ من أولادِ قيصر مُسمِعُ
ولم يُنجهمْ منـه عديدٌ مُجمّعُ ... ولم يَثْنِهمْ عنـه مَشيدٌ مُرفَّعُ

---

(١) أبو عبدالله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الرازى الدوريستى نسبة إلى دوريست قرية بفارس ، ترجمناه من جملة تلامذة المرتضى (راجع ص « ١٠٧ » من مقدمتنا على الديوان فى القسم الأول منه ، وقد كان المذكور عالماً تقياً ورعاً معظماً فى الغاية عند نظام الملك وزير ألب أرسلان وملكشاه السلجوقيين ، وكان الوزير المذكور يذهب فى كل أسبوعين مرة من الرى إلى قرية دوريست لسماع مجالسه والتمتع ببركاته . (الصفار) .
(٢) المروع : المخوف المفزع .
(٣) النبوة : الجفوة ، والتصدع : التفرق .
(٤) النهج . الطريق ، والمهيع : الواسع .
(٥) المغنى : المنزل ، وبلقع : خالية .
(٦) تحسى : شرب ، والأجداث : القبور .
(٧) الهوجاء الزعزع : الريح القاصفة وهى كناية عن المنية .

فلا مِعصَمٌ فيه سِوارٌ مُعطَّنٌ | ولا مَفرِقٌ يعلوه تاجٌ مُرَصَّعُ[1]
كأنَّهمُ بعد اعتلاءٍ وصولةٍ | أديمٌ مفرًّى أو هشيمٌ مُذَعذَعُ[2]
وليس لهمْ إلّا بناءٌ مُهدَّمٌ | وركنٌ بمرِّ الحادثاتِ مُضعضَعُ
وقطّع عنّي معشري وأصادقي | وشملُ امرئٍ فات الرّدى متقطّعُ
وكانوا وعزّاتُ الزّمانِ ذليلةٌ | لديهمْ وأجفانُ المنيّاتِ هُجَّعُ
متى عُجِموا كانوا الصّخورَ وإنْ هُمُ | دُعوا يومَ مكروهٍ أجابوا فأسرعوا[3]
وإنْ شهدوا الهيجاءَ والسُّمرُ شُرَّعٌ | فذاكَ عرينٌ لا أباً لكَ مُسبِعُ
تفانَوْا فماضٍ بانَ غيرَ مودّعٍ | نعاجلُهُ صرفُ الرّدى أو مودِّعُ
ألا قلْ لناعي جعفرِ بنِ محمّدٍ | وأسمَعَني ياليت لم أكُ أسمعُ
فما لكَ منّي اليومَ إلّا تلهّفٌ | وإلّا زفيرٌ أو حنينٌ مُرجَّعُ
وإلّا عِضاضٌ للأباهمِ من جوًى | وهل نافعٌ أنْ أُدميَتْ ليَ إصبعُ[4]
ولو كانت الأقدارُ توقَى وقتْكَ من | نُيوبِ الرّدى أيدٍ طِوالٌ وأذرُعُ[5]
وقومٌ إذا ما أطعموا بأكفّهمْ | طِوالَ القَنا لحمَ التّرائبِ أشبعوا[6]
كِرامٌ إذا ضنَّ الغمامُ تدفّقوا | وإنْ أقحطَ العامُ الشّماليُّ أمرَعوا[7]
وإنْ طلبوا صَعْباً من الأمرِ أرهقوا | وإنْ طرقوا بابَ العظيمةِ قعقعوا[8]
معاقلُهمْ ما فيهمُ من بسالةٍ | وليس لهمْ إلّا القنا السُّمْرَ أذرُعُ

---

(١) المعطن : هنا معناه الملبوس وأصل العطن مبرك الإبل ومربض الغنم ، والمفرق (بكسر الراء وفتحها) : وسط الرأس وهو موضع فرق الشعر .
(٢) الأديم : الجلد ، والمفرى : المشقق ، والهشيم: النبات اليابس المتكسر ، والمذعذع : المفرق.
(٣) عجموا (للمجهول) : من عجم العود إذا عضه ليعلم صلابته ، والمعنى إذا امتحنوا .
(٤) الأباهم : جمع الإبهام ، والجوى : الحزن .
(٥) النيوب : جمع الناب .
(٦) الترائب : عظام الصدر مفردها تريبة .
(٧) ضن: بخل وشح، والشمالي : نسبة إلى الشمال المطلق على الشؤم والقحط ، وأمرعوا:أخصبوا
(٨) أرهقوا : أدركوا .

«وبيضاً» تراهنّ العيون وعهدُها بَعيدٌ بأيمانِ الصّياقلِ تلمعُ [1]
وما فيهمُ والحربُ تقتنصُ الطُّلى بأيدى الظّبا إلّا الغلامُ المُشيَّعُ [2]
صحبتُ به عصرَ الشّبابِ وطيبَه وكنتُ إلى نجواه فى الهمّ أفزعُ
وللسّرِّ منّى بين جنبيه مَسكَنٌ حمىٌّ أبىٌّ شاحطٌ مُتمنّعُ
وكم رامه منّى الرّجالُ وإنّما يرومون نجماً غارباً ليس يطلعُ
فلِى جزَعٌ باقٍ عليه وإن عفا الـتّجمل مافى أضلُعى والتّصنُّعُ
ولم أسلُهُ لكنْ تجلّدتُ كى يرى شموتٌ يحُزْنى أنّ صدرِىَ أوسعُ
وقالوا: عهدنا منك صبراً وحِسْبَةً وفى الرُّزء لا يجرى لعينيك مدمَعُ [3]
فقلتُ مصيباتُ الزّمان كثيرةٌ وبعض الرّزايا فيه أدهى وأوجعُ
ذكرتُك والعينان لا غَرْبَ فيهما فلم تبقَ لِى لمّا ذكرتُك أدمُعُ [4]
ومازُلتَ عن قلبى وإنْ زُلتَ عن يدى وقد تنزع الأقدار ما ليس يُنزعُ
فإنْ ترقَ عينى من بكاه تجمّلاً فمن دونها قلبٌ بفقدك موجَعُ [5]
وإنْ غبتَ عن عينى فما غبتَ عن حَشى مُقلْقلَةٍ تحنو عليك وأضلُعُ [6]
وما بعد يومٍ أمطرَتْكَ مدامعى لعينِىَ مَبكًى أو لقلبِىَ مَجزَعُ
وكم قلّبتْ كفّاى من ذى مودّةٍ فلم يَلقَنِى إلّا الملومُ المقرَّعُ [7]

---

(١) «بيضا» معطوف على القنا وهو مستثنى مقدم، وفى الأصل «وبيض»، والصياقل: جمع الصيقل وهو صانع السيوف.

(٢) الطلى: جمع الطلية وهى الرقبة، والمشيع: المهيب الذى يشيعه الناس أى يمشون وراءه.

(٣) حسبة: أجراً وثواباً.

(٤) الغرب: الدمع المنهمل.

(٥) رقأ الدمع: جف ثم سهلت الهمزة.

(٦) أضلع معطوف على ضمير الرفع المستكن فى «تحنو» وهو جائز فى النثر على رأى الكوفيين فضلا عن الشعر، قال الشاعر:

قلتُ إذ أقبلتْ وزهرٌ تهادى كنعاج الفلا تعسّفن رملا (م.ج.)

(٧) المقرع: المؤنب.

عرفتُك لمّا أنْ وفيْتَ وما وَفَوْا | وحين حفظتَ العهدَ منّى وضيّعوا
فنعمَ مشيراً أنتَ والرّأىُ ضيّقٌ | ونعم ظهيراً أنت والخطب أشنعُ (١)
وإنّ غنــاء بعد هُلْكِكَ أصْلَمٌ | وإنّ وفاء بعــد فقدك أجْدَعُ (٢)
وليس لإخوانِ الزّمان وقد سُقوا | فراقَك صِرْفاً مَن يضرّ وينفعُ
عهدتُك لا تعنو لبأسٍ ولم تَبِتْ | وخدُّك من شكوى الشّدائد أضرعُ (٣)
وعزّ على قلبى بأنك مفردٌ | أناجيك لَهفاً نائماً ليس تسمعُ
وأنّك من بعد امتناعٍ وعزّةٍ | تُحَطُّ على أيدى الرّجالِ وتُرفعُ
فما لك مهجوراً وأنتَ مُحبّبٌ | وما لك مبذولاً وأنت المُمَنّعُ ؟
وقد كنتَ صَعْباً شامسَ الظّهر آبياً | وأنتَ لرَحْلِ الموت عَوْدٌ مُوَقّعُ (٤)
وما ذاك عن عجزٍ ولا ضَعْفِ قوّةٍ | ولكنّه الأمرُ الذى ليس يُدفعُ
وما سرّنى أنّى نبذتُك طــائحاً | بغـــبراء لا تدنو ولا تتجمّعُ
وأودعتُ بطنَ الأرضِ منك نفيسةً | وهلْ مودَعٌ فى التّربِ إلّا المُضَيّعُ ؟
سقى قبرَكَ الثّاوى بملســاء قفرةٍ | غزائرُ من نسج العشيّاتِ هُمَّعُ (٥)
كأن السّحابَ الجوْنَ ينطِفُ فوقه | ركائبُ يحملن الهوادجَ ضُلّعُ (٦)
ولا زال مطلولَ التّراب وحوله | من الرّوض مخضرُّ السّباسب مُمْرِعُ (٧)

---

(١) الظهير : المعين .
(٢) الأصلم : مقطوع الأذن ، والأجدع : مقطوع الأنف .
(٣) تعنو : تخشع ، ومنها قوله تعالى : « وعنت الوجوه للحى القيوم » ، والأضرع : الذليل .
(٤) الشامس : من الخيل والإبل الممتنع على راكبه وصعب القياد ، والآبى : الممتنع ، والعود : الجمل المسن ، والموقع : المذلل .
(٥) غزائر : جمع غزيرة أى وافرة الماء ، والهمع : الماطرة .
(٦) الجون : الأسود أو الأبيض ، وينطف : يقطر ، والضلع : جمع الضالع وهو ذو الأضلاع القوية والمائل والمثقل .
(٧) المطلول : المبتل إذا أصابه الطل وهو المطر الخفيف ، والسباسب : القفار مفردها السبسب ، والممرع : المخصب .

وجِيد بريحـــانٍ وَرَوْحٍ ورحمةٍ وناه بمـــا فيه الشّفيعُ المشفّعُ[1]

* * *

وقال فى الزهد :

لاهطل الغيثُ بدار الأُلىٰ ليس بهم راضٍ ولا قانعُ
الشّرُّ فى أبيـاتهم لا بثٌ والخير فيما بينهم ضائعُ
منْ يشترى منّى جِوارى لهم فإنّنى اليومَ له بائعُ ؟

* * *

وقال ـ رضى الله عنه ـ يفخر[2] :

هل ليــالِيَّ بالمُنَقَّىٰ رجوعُ مثلما كنّ لِى ونحن جميعُ؟[3]
زَمنٌ راعنى تذكّرُهُ « الثا وى» وإن كان ماضياً لا يَريعُ[4]
كم إليــه لذاكريه حنينٌ وعليـه لنـــاظريه دموعُ
ونزاعٌ ما إنْ يُخاف وإن أكـ ثر عُذّاله إليـه النُّزوعُ[5]
حبّـذا ظلّه ونحن ومَن نَهْـ وى فريقانِ حافظٌ ومُضيـعُ
إذ قنـــاتى ممتدّةٌ وشفيعى من شبابى إلى الحسانِ شفيعُ[6]

---

(١) جيد : أصابه مطرجود أى وابل ، والروح (بالفتح) : الراحة ، وناه : نهض .
(٢) أورد ابن شهر آشوب فى «المناقب» (ج٣ص١٥٩) بيتاً واحداً من هذه القصيدة وهو البيت الواحد والثلاثون .
(٣) المنقى موضع .
(٤) راعنى : أعجبنى ، والثاوى : المقيم ، وفى (س) «النادى» بدل «الثاوى» ، ويريع: يرجع .
(٥) النزوع : الاشتياق .
(٦) قناتى : قامتى .

ساحباً بالبقيع من نَشَواتى فضلَ ثوبى إذ البقيعُ بقيعُ[1]
وطنٌ طاب جوّه وثراه فكأنّ المصيفَ فيه ربيعُ
حيث لا تهتدى الخطوب ولا يخـفِقُ من ريبةِ الحوادث رُوعُ[2]
لا أريد الصّديقَ فى مشهدَىْ «عَيْنى» كليلاً وفى المغيب قطوعُ[3]
حَسَنٌ منه ما بدا وقبيحٌ كلُّ شىء تُجِنُّ منه الضلوعُ[4]
وإذا عنّ منظرٌ رائقٌ منه لعينيك فالسّرابُ اللموعُ
كلَّ يوم له عَوارٌ تغطّيه عليه وجانبٌ مرقوعُ[5]
وإذا ما نَكِرْتُ أرضاً فإنّى لارتحالٍ عن أهلها مستطيعُ
بخليلٍ جفا علىّ خليلٌ وربوعٍ نَبَتْ برَحْلى ربوعُ
وقَرا كلّ جَسْرَةٍ تحمل الهمّ فتنجو وما علاها القطيعُ[6]
تصلُ الوَخْدَ بالوجيف وسيّان هجيرٌ فى سيرها وهزيعُ[7]
يَحسَبُ الجاهلُ المضلّلُ أنّى إنْ غلا بى البعادُ سوف أضيعُ[8]
بعد أنْ سارت الرّكاب بذكرى من فخارى يُذيعه مَن يُذيعُ

---

(١) البقيع : اسم موضع ولعل المقصود به بقيع الغرقد وهو مكان بالمدينة المنورة على ساكنها وآله أفضل الصلاة والسلام ، والبقيع هو الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وقد كان بقيع الغرقد كذلك فزال عنه الشجر وهو اليوم مقبرة فيها السادات من أهل البيت والصحابة وغيرهم سلام الله عليهم .

(٢) الروع : القلب .

(٣) فى النسخ «عنى» مصحفة عن عينى ، والكليل : ضد القاطع .

(٤) تجن : تستر وتكن .

(٥) العوار (بالفتح) : الخرق والعيب فى الثوب .

(٦) القرا : الظهر ، والجسرة : الناقة المقدامة على سلوك الأوعار ، والقطيع: هنا بمعنى القضيب أو السوط بمعنى أنها لا تضرب بالسوط .

(٧) الوخد والوجيف : ضربان من السير المسرع والهجير والهاجرة : نصف النهار وشدة الحر، والهزيع : الطائفة من الليل نحو ربعه ، ومضى هزيع من الليل أى طائفة منه .

(٨) غلا : جاوز الحد وفى (س) و (ه) «علانى» .

« أرَجٌ لا يضيعُ بين رجالٍ حاولوا طَيَّهُ ولكنْ يضوعْ » (١)
والليالى يعلمن أنّ صنيعى «ساطعٌ» فى سوادهنّ «صَديعُ» (٢)
ولقد أعضَلَ امرءا جحد البَدْرَ أو الشّمسَ مشرقٌ وطلوعُ
سائل العاجزَ الجبانَ إذا ما أيقظتْكَ الأوتار كيف الهجوع ؟
ولماذا أسمو بنفسى إذا ما راعها فى زماننا ما يروعُ (٣)
لو نجا خائفٌ بفرْطِ توقّيه لما فارق الحياةَ الهَلوعُ (٤)
ضلّ من يبتغى الحياةَ بذلّ فَلَشرٌّ من المماتِ الخُشوعُ
وقديماً حبُّ الحياةِ لَعوبٌ بعقول الرّجالِ منّا خدوعُ
إنّما الفخرُ أن تَوَلَّجَ أمراً كلُّ قومٍ عن بابه مدفوعُ (٥)
وتجوبَ الدّجى لفُرصةِ أمرٍ وطيورُ « الرّجاء » عنها وقوعُ (٦)
وبنفسى فتًى وقلتُ له نَفْسِى خَروجٌ من الخطوب طَلوعُ
يشهدَ الحربَ حاسراً ثمّ يأتى وعليه من النّجيعِ دُروعُ (٧)
وتراه القَصِىَّ إنْ سِيمَ ضيماً وهو فى كلّ ما أَرَغْتَ مطيعْ (٨)
وبطىءٌ عن القبيحِ ثقيلٌ وخفيفٌ إلى الجميلِ سريعُ
وإذا شِيمَ بارقٌ من نداهُ فغمامٌ دانِى الرّبابِ هَموعُ (٩)

---

(١) الأرج : رائحة الطيب ، وحاولوا طيه : أى إخفاءه ، ويضوع : يفوح وينتشر ، وهذا البيت ساقط من « س » .
(٢) فى (ﻫ) «ساطعاً» بدل «ساطع» و «الصديع» فى موضع «صديع» .
(٣) راعها : أفزعها .
(٤) الهلوع : الجزوع .
(٥) تولج : تتولج أى تدخل والولوج : الدخول .
(٦) تجوب : تطوف ، وفى «ﻫ» «الرجال» بدل «الرجاء» .
(٧) الحاسر : المنكشف ، والنجيع : الدم ، ويريد الشاعر أن ذاك الفتى يذهب إلى الحرب بلا درع ثم يرجع منها وعليه الدماء بدل الدروع .
(٨) أرغت : طلبت وأردت .
(٩) شيم : لوحظ وأبصر ، والرباب : السحاب الأبيض ، والهموع : المنسكب .

نحنُ قومٌ تحلو لنا جُرَعُ المَوْ ... تِ إذا كان في الدّعاءِ الخضوعُ
والذي نبتنيهِ في عَرَصاتٍ ... للمعالي هو البناءُ الرّفيعُ
ولنا يعلمِ الأنامُ قنـــاةٌ ... ليس فيها لعاجميها صُدوعُ[(١)]
وصَفاةٌ يزِلُّ أيٌّ زليلٍ ... عن علوقٍ بها المقالُ الشّنيعُ[(٢)]
« وثنًا » لم يخُنْهُ فينا عيانٌ ... وأُصولٌ ما كذّبتها فُروعُ[(٣)]

* * *

وقال في الزهد :

كم ذا تذِلّ بهذا الأمرِ أنفُسُنا ... وما لنا فيه إلّا الرّيُّ والشِّبَعُ ؟
لم يَبْعُدِ المرءُ فِتراً مِن مَذَلّتِهِ ... بين الرّجالِ وفي حَيْزومِهِ الطَّمَعُ[(٤)]
لاتطلب النّفْعَ في الدّنيا فكم طلب الـ ... ـرّجالُ نفعاً من الدّنيا فما انتفعوا
إنْ لم يكنْ في طِلابِ الوَفْرِ مُنتَجعٌ ... ففي طِلابِ جميلِ الذِّكرِ مُنتَجَعُ[(٥)]
وأنظر إلى النّاسِ قاضٍ لا يُطيقُ لما ... عراهُ دفعاً وماضٍ ليس يُرتَجَعُ
كأنّهم بعــد أنْ شطّ الفراقُ بهمْ ... لم يلبثوا بيننا يوماً ولا اجتمعوا[(٦)]

* * *

(١) لعاجمها : مختبرها من عجم العود إذا عضه ليعلم صلابته ، والصدوع : الشقوق .
(٢) الصفاة (بفتح الصاد) : الحجر العريض الأملس .
(٣) الثنا (كالحصى) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء أي ذكره بالغيب ، وفي (س) « ثناء » ، والعيان : المشاهدة .
(٤) الحيزوم : وسط الصدر .
(٥) الوفر : المال الكثير ، والمنتجع : موضع طلب الكلأ .
(٦) شط : بعد

باب العين المفتوحة

قال يمدح فخر الملك [1] :

ليت أنا لمّا فقـــدنا الهجوعا   وهو إلْفٌ لنا فقدنا الدّموعا
حاش لله أنْ أكون [وقد] فا   رقتُ أهلَ الخيام يوماً قَنوعا
مَنْ يَغِبْ عنه ساكنُ الدارِ لا يَـ   ألُ إلّا طلولهـــا والرّبوعا
لو علمنا أنّ الفراق طويلٌ   لأطَلْنا يومَ النّوى التوديعـــا
لا رعَى اللهُ للوُشاةِ ولا نا   دَوْا مجيباً فى النّائباتِ سميعـــا
قد أضاع الذين كانوا على العهْـ   ـدِ عهودى وما رأوْنى مُضيعا
و بلونا من الغرام بمـــا لَوْ   كان من غيرهمْ لـكان وجيعا
قل لطيفِ الخيال ليـــلة هَوَّمْـ   ـنا بنجدٍ ألا طَرَقْتَ هزيما ؟ [2]
والمطايا من الـكلالِ على رَمْـ   ـلِ زَرودٍ قد افترشْنَ الضّلوعا [3]
ما علىّ من يَحُلُّ بالغَوْرِ لو با   تَ لنا طيفُهُ بنجدٍ ضَجيعا ؟ ! [4]
خادِعونا بالزُّور منكم عن الحقّ   فما زال ذو الهوى مخدوعا
وكِلونا إلى النُّزُوعِ عن الحبّ   وهيهات أنْ « نريد » النّزوعا [5]
وأطلبوا إنْ وجـــدتُمُ كاتماً للسّرّ فيـكمْ فقد وجدنا الُمذيعا

---

(١) أورد الناظم فى « طيف الخيال » عدة أبيات من هذه القصيدة « ص٨٦ » .
(٢) هومنا : مالت رءوسنا من النعاس والطروق : الإتيان ليلا ، والهزيم : الطائفة من الابل نحو ثلثه أو ربعه .
(٣) زرود : موضع .
(٤) الغور : موضع .
(٥) النزوع : العدول عن الشيء ، وفى « الطيف » « يريد » بدل « نريد » .

أيهـــا النَّاخلُ الرِّجال يُرجِّى رجلاً واحـــداً لخلٍّ مطيعا
كنْ أخا نفسِكَ الَّتى أنت منها آمنٌ واحـــذرِ الأنامَ جميعا
لا تُصخْ نحوهمْ بسمعٍ فكم لا موا وَقوراً منهمْ وأعفَوْا خليعا[(١)]
ومتى ما يَضمك ريبٌ فلا تُبـ ـدِ خضوعاً ولا تُطأطئْ خُشوعا
ما يضرّ الفتى إذا صحّ عِرْضاً أن يرى النَّاسُ ثوبَه مرقوعا
إنَّ فخرَ الملوكِ أودَعَ عنـــدى نِعَماً أخجلتِ النَّهارَ طُلوعا
كلَّ يومٍ أُثنى بفعلٍ كريمٍ جاءنى منـــــه أو أعدُّ صنيعا
مأثُرَاتٌ ما نلتُهـــا بوسيلٍ لِيَ منه ولا دعوتُ شفيعا
وإذا ما مضتْ عليها اللّيالى زدتُ فيهـــا نضارةً ونصوعا
ورجالٌ راموا مداه وقد فا ت فراموا ما يُعجزُ المستطيعا
قد رأوْهُ بالأمسِ يحمى عن المُلْـ ـكِ عِداهُ فمـــا رأوْه جَزوعا
ورأوْا فى يديه بِيضَ المواضى فى ذُرا الهامِ سُجَّداً ورُكوعا
وإذا صِينَ بالدُّروعِ جسومٌ جعلَ الطّعنَ للجسومِ دُروعا
قد ركبتمْ فمـــا ركبتمْ عظيماً وبنيتُم فمـــا بنيتُمْ رفيعا
وجهدتُمْ أن تُدركوا سَوْرَةَ العِزِّ فكانتْ منكمْ سَراباً لَموعا[(٢)]
وسُئِلْتمْ فمـــا بذلْتُمْ وما سا وَى بَذولٌ فى المكرماتِ مَنوعا
لا يَملُّ الإرمامَ إنْ وادعوه وأخو طَيْشةٍ إذا هو ريعـــا[(٣)]
يا إلهَ الورى الذى ملأ الأرْ ضَ به رأفةً وأمْناً وســيعا
كنْ له جانباً حَريزاً من الخوْ فِ وحِصناً من الخطوبِ منيعـــا

(١) الخليع : الغلام المتهتك .
(٢) السورة : الحدة والشدة .
(٣) الإرمام : السكوت ، وريع : أفزع .

وأَقِلْهُ صَرْعَ الزَّمانِ فكَمْ أنْـ ـقَذَ من نَبْوَةِ الزَّمانِ صريعا

* * *

وقال فى العظة:

صبراً على مضضِ الخطو ب وإن أسَأْن بنا صنيعا

يعطى الزَّمانُ وليتَه أعطى ولم ينوِ الرّجوعا

مَنْ عاذرى مِن مَطْمَعٍ أغدو له دهرى مطيعا؟

أفنى الأصول وليتَه أبقى فلم يُفنِ الفروعا

أين الذين تبوَّءوا نَشَزاً من الدُّنيا رفيعا؟[1]

خلفوا البدور إذا أمحتْ ولَطالما خلفوا الرّبيعا

وإذا الجسومُ تدرَّعتْ جعلوا عزائمَهمْ دروعا

* * *

وقال يعزّى عميد الرؤساء أبا طالب[2] بن أيوب عن ولد سقط عليه السقف فمات وسلم إخوته:

ما أساء الزَّمانُ فيك الصَّنيعا فاشكرِ اللهَ سامعًا ومطيعا

أخذ اللهُ واحداً ثمّ أبقى لك ممَّن تهوى وترجو جميعا

فهب الحزنَ للسّرورِ ولا تذْ رِ على ما مضى وفات دموعا

---

(١) النشز (بتسكين الشين أو فتحها): المتن المرتفع من الأرض.

(٢) هو محمد بن أيوب بن سليمان البغدادى الوزير، كان كاتباً للخليفة القادر بالله ثم ولى الوزارة لابنه القائم بأمر الله قبل أن يلى الخلافة وذلك سنة «٤٢١»، ولما عزل أبو الفضل محمد بن على ابن حاجب النعمان عن وزارة القادر بالله رتب مكانه وذلك سنة «٤٢٢» وتوفى القادر فى هذه السنة وولى القائم فأقره على الوزارة نحواً من ثلاث عشرة سنة وعزل رئيس الرؤساء على بن المسلمة سنة «٤٣٦» وكان فاضلا بليغاً وصنف كتاباً فى الخراج وله ترسل حسن توفى فى المحرم سنة «٤٤٨» (م ج).

ما لنا نجزعُ ولو أنه كا ... ن لحوشيتَ أن تكونَ جزوعا
قد شكرنا يداً تجافَتْ عن الأصْ ... لِ وإن جثّت الغصونَ فروعا[1]
ونجا سالماً من الهَوْلِ مَن دا ... وى نجاءً منه الفؤادَ الوجيعا
ولو أنّا حقًّا نفكّر فيما ... يفعل الدّهرُ مُعطيًا ومنوعا
لعددنا منه العطاءَ ابتزازاً ... وحسبنا الغروبَ منه الطُّلوعا
وثلومُ الزّمانِ فى قاطع الأسـ ... ـيافِ يُمْهِدن لا يُصِبن القطيعا
وإذا هبّتِ الرِّياحُ فما زَعْـ ... ـزعنَ فينا إلّا البناءَ الرّفيعا
ولِحَمْلِ الأثقالِ لا يطلبُ الحا ... ملُ منّا إلّا الجلالَ الضّليعا[2]
والمصيباتُ لا يُصِبْنَ سوى الأخْـ ... ـيارِ منّا إذا وَلَجْن الرُّبوعا[3]
وإذا لم يكن سوى الموتِ فالما ... ضى بطيئًا كمَنْ يموت سريعا
أنا منكمْ خَفْضًا وبُؤسًا وأمْنًا ... وحِذاراً وعزّةً وخشوعا[4]
ولوانّى استطعتُ ماسكَّك السّو ... ء وتبقى علىَّ أن أستطيعا

* * *

وقال فى النسيب :

ويوم وقفنـا للوداعِ وكلُّنا ... يُطَفِّحُ يومَ البينِ عينيه أدمعا[5]
رأينا حلومًا عارياتٍ ولم نجدْ ... من الصَّبرِ إلّا واهيًا متقطِّعا[6]
ولم تسمع الآذن إلّا تشاهقًا ... وإلّا حنينًا يوم ذاك مُرَجَّعا

---

(١) جثّ الشجرة : قلعها من أصلها .
(٢) الجلال : المسن من الإبل وغيرها ، والضليع : المتين ذو الأضلاع القوية .
(٣) ولجن : دخلن .
(٤) الخفض : لين العيش وترفه ، والبؤس : ضده .
(٥) يطفح : يملأ حتى يفيض .
(٦) الواهى : الضعيف .

فيالك يوماً فاضحاً لمتيم ويالك مبكى للعيون ومجزعا
كأنا وقد سل الفراق عقولنا سلكنا جنوناً أو كرعنا المشعشعا(١)
كأن عيوناً يمطر الدمع هدبها غصون مطيرات الذوائب همعا(٢)

* * *

وقال فى الغزل :

بأبى وجهك الذى جمع الحسن أجمعا
وثناياك إنهن فضحن المشعشعا
لست أنساك مسعفاً بعناق مودعا
لجفونى على فرا قك يقطرن أدمعا
لا رعى الله معشراً صدعوا ما تصدعا
تركوا دار ودنا منهم اليوم بلقعا
أسهروا ليلنا وبا توا مدا الليل هجعا

* * *

وقال - رحمه الله - يرثى الوزير أبا على الرخجى وتوفى فى شوال « سنة ٤٣٠ » فتولى الصلاة عليه فى مقابر قريش :

قل لعينى لا تملأ الدموعا تارة أدمعاً وأخرى نجيعا
ودعا الفكر فى الهجوع فيأبى لكما الرزء أن تذوقا الهجوعا
إن هذا الخطب الفظيع وما شا هدتما من سواه خطباً فظيعا

---

(١) المشعشع : الخمر الممزوج بالماء .
(٢) مطيرات : ممطورات ، وذوائب الغصون : نهاياتها ، والهمع : السائلات .

أيّها الآملُ الخيـــاةَ وما يخـ   ـشى غروباً كما يرجّى طلوعا
والذى يرفع القصورَ كأنّ الدّهرَ أعفى بنـــاءه المرفوعا
قد رأينـــا كما رأيتَ عليّا   فى الثّريّا حلّ الترابَ صريعا
لاتخفْ إنْ حَيِيتَ غيرَ المنايا   وإذا ماعلوتَ إلّا الوقوعا
وإلى كم تكون فى هذه الدّ   نيا أسيراً معلّلاً مخدوعا ؟
هل ترى إنْ رأيتَ إلّاخداعاً   وسراباً فى كلّ قاعٍ لموعا ؟
ولباساً متى تشـاء الليـــالى   كان عنّا محوّلا منزوعا
لاتكنْ فى البقاء ـ والدّهرُ يفنيـــك صباحاً وفى المساء ـ طَموعا
لم تدعْ حادثاتُ هذى الليالى   عنـــدنا تابعاً ولا متبوعا
ولو أنّى أنصفتُ نفسى لصيّرْ   تُ سلامى على الورى توديعا
ياخليليّ غنّيانى بتذكيرى الرّ   زايا وسقّيـــانى الدّموعا
وأسمعا مثلما سمعتُ من الأيّـــام هذا التّخويفَ والتّرويعا
وإذا لم تدعْ صروفُ الليالى   لى أصولاً فكيف أرجو فروعا؟
أين قومٌ كانوا على الليل صُبحاً   لا يُوارى وفى الجدوب ربيعا؟
أين من كان للرّدى طارداً بالـ   ـبأس عنّا وبالنّدى ينبوعا ؟
فتراهم من بعد عزّ عزيزٍ   فى بطون الثّرى جثوماً خُشوعا[1]
ليتَ دهراً أعطى وعاد إلينـا   مستردّاً لذاك كان منوعا
وإذا لم يكنْ سوى الموت فالمـا   ضى بطيئاً كمن يموت سريعا[2]
قل لناعى أبى علىٍّ ألا ليـ   ـت الذى قلت لم يكن مسموعا

(١) جثوما : باركين .
(٢) هذا البيت نفسه مر فى القصيدة التى قبل هذه فى تعزية عميد الرؤساء أبى طالب بن أيوب (ص ٢٠٧) والمرتضى رحمه الله مولع بتكرير بعض الألفاظ بل الأبيات بأعيانها فضلا عن المعانى كما تجده فى غير موضع من الديوان .

إنَّ رَوْعاً أُلقيتَ فى الرَّوعِ مِنِّى يوم خبّرتَ لم يدعْ لِيَ رُوعا (1)
سلْ غيرى فليس كلُّ جَزوعٍ عضّـــه الرُّزء كان مثلى جزوعا
لم أكنْ قانعاً بشىءٍ من الدّهـ ـرِ وعُلِّقْتُهُ فصرتُ قنوعا
كان تِرْبِى وصاحبى وإذا ما خفتُ حصناً من الخطوب منيعا (2)
وله الذِّكرُ خالداً كلّمـــا أُخْـ ـلِقَ ذِكْرٌ سواه عاد نَصوعا
وحيـــاتى مثلُ المماتِ إذا فا رَقْتُ من كان لى جَناباً مَريعـــا
أىُّ مَلْكٍ فى عصرنا لم يـكن لمّـــا دهاكَ الرّدى بك المفجوعا ؟
أنتَ أوسعتَهم وقد أعْضَلَ الخطْـ ـبُ مقـــالًا كفاهُمُ وصنيعـا
كم أصاخوا إليك والرأىُ شورى وأجابوا نـــداءك المسموعا
ما أبالى إذا حفظتُ عهوداً لصديقى مَنْ كان غـــيرى مُضيعا
قد عَمِرْنا كما نشاء اشـــتراكاً واشتباكاً وصبوةً ونزوعا (3)
وامتزجنـــا حتّى جعلتك لمّا غِبتَ عن مقلتى لجدّى ضجيعا (4)
فى مكانٍ تأتى ملائكةُ اللـــهِ إليه عشيّةً وهزيعـــا (5)
وإذا ما دعوتَ ربّكَ فيـــه وسألتَ العظيمَ كان سميعا
وجوارٍ لمن إذا كنتَ مَوْقُو ذاً من السّيّئاتِ كان شفيعا (6)
فهنيئاً بأنْ سكنتَ رباعاً كنّ للغرِّ آل موسى ربوعا
وإذا لم يكن لهمْ يومَ حشرٍ روعةٌ تتّقى فلستَ مَروعا

(1) الروع (بالفتح) : الفزع ، وبالضم : القلب .
(2) الترب (بكسر التاء) : من ولد معك .
(3) الصبوة : الشوق ، والنزوع مثلها .
(4) يعنى أنه دفنه فى مقابر قريش عند جده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .
(5) الهزيع : الطائفة من الليل .
(6) الموقوذ : المشرف على الموت من أثر الضرب .

وإذا ما شفاهُهُمْ كرِعَتْ ثَمَّ زُلالًا أصبحتَ فيـــه كَروعا
وسقى اللهُ تُربةً أنت فيهـــا زَجِلًا بالزّلال كان هَموعا[1]

* * *

وقال فى الغزل :

يا بأبي مَن زارني في الدّجى مِن بعد ما قد كان ممنوعا
بات يعـــاطيني أحاديثَه وحبّـــذا ذلك مَــكروعا[2]
حتى إذا الصّبحُ بدا نورُهُ وقطّع الظّلمـــاء تقطيعا
ولّى كأنّ اللّيلَ في وصلِهِ كـــا قميصاً عاد منزوعا
لا فَقَدَتْه مُقلتي لا ولا بتُّ بشيء منـــه مفجوعا

* * *

---

(١) الزجل : ذو الرعد (صفة للسحاب) ، والهموع : السكوب .
(٢) المكروع : المشروب وكرع الماء : إذا شربه بفيه .

باب العين المكسورة

قال - أدام الله علوه - يخاطب الشريف الطاهر [أباه] ذا المنقبتين عند رجوع النقابة إليه بعد قدومه من فارس :

ضَمِنَتْ مجــدَكَ العُلا والمساعى   وضمان العَلاء حربُ الضِّياعِ (١)
آنَ أنْ تُقْتضَى حقوقٌ تراختْ   آذنَتْ بعد « فُرقةٍ » باجتماعِ (٢)
زاوَلوها وأنتَ ترغب عنهـــا   والأحاظى نتائجُ الإمتناعِ (٣)
ظَعنتْ لم تُراعِهـــا باشتياقٍ   وأنابتْ لم تدعُها بزَماعِ (٤)
رَبَعَتْ مُذْ نفضتَ كفَّكَ منهـا   بين حقٍّ ثاوٍ وحقٍّ مضاعِ (٥)
كيف « لا تَجْتَوِى » محلَّ الدّنايا   وهى قد فارقتْ عزيزَ البقاعِ ؟ (٦)
وعلا الدَّمُ مَن ألَظَّ بغَوْرِ الـــأرض من بعد نَجدها واليَفَاعِ (٧)
قَصُرتْ دونها الأكفُّ فألقتْ   أوْقَها عنـد مستطيل الذِّراعِ (٨)
مُضربٍ عن تصفّحِ الذّنبِ لاهٍ   عن حسودٍ لمـــا عناه مراعِ
كلِفِ الرّأى فى المحامدِ سارٍ   فى أقاصى الآمالِ والأطماعِ

(١) الضياع (بفتح الضاد) : الهلاك .
(٢) آذنت : أعلمت وأنذرت ، وفى (هـ) « فروة » محرفة عن « فرقة » .
(٣) الأحاظى : جمع الحظوة (بضم الحاء وكسرها) وهى المنزلة والمكانة .
(٤) ظعنت : رحلت وذهبت ، وأنابت : رجعت ، والزماع : المضاء فى الأمر والعزم .
(٥) ربعت : أقامت ، والثاوى : المقيم .
(٦) تجتوى : تكره من اجتوى البلد إذا كره الإقامة فيه وإن كان فى نعمة ، وفى (س) « تحتوى » والمعنى معها منحوس معكوس .
(٧) ألظ ، أقام فى المكان ولزمه ، والغور : ما انهبط من الأرض ، والنجد : ضدها ، واليفاع : ما ارتفع من الأرض .
(٨) أوقها : ثقلها وعبئها .

وإذا نكَبتْ وجوهُ أناسٍ   عن سبيلَيْ رعايةٍ ودفاعِ

جاش وادى حِفاظِه فتمدّتْ   زَخْرةُ المدِّ مُشرفاتِ التِّلاعِ [1]

مُرهَقٍ فائتِ الأمورِ بجِدٍّ   فى أبىِّ الخطوبِ جِدِّ مُطاعِ [2]

ثاقبِ الزَّندِ مُنجحِ الوعدِ صافى الـ   رِّفْدِ ماضى الشَّبا فسيحِ الرِّباعِ [3]

لا تراه على منازعةِ الأيّامِ   يخلو لمُفرِحٍ بنزاعِ

وإذا سربلَ الخداعُ «نفوساً»   حسَرتْ نفسُه قِناعَ الخداعِ [4]

مأثراتٌ «شقَقْن» حتّى لقد قد   نَ بعذرِ المقصّرِ المُرتاعِ [5]

قد تعاطوْا مداه فانصرف الفوْ   تُ به عن معاشرٍ طُلّاعِ [6]

كلُّ غالٍّ لم يَشفِهِ يومُ حِلْمٍ   برءه فى دواءِ يومِ المِصاعِ [7]

ما اصطفاه فيك الخليفةُ جلَّى   عن نفوسٍ بين الشكوكِ رِتاعِ [8]

قد رأوْه مُستدنياً لك حتّى   أعوزَتْهُ مواطنُ الإرتفاعِ

وبأسماعِهمْ جرى «فَرْطُ تقريـ   ظك» والفهمُ شافعٌ للسّماعِ [9]

حيث تسترجف القلوبُ وتعنو   لجلالِ المقامِ نفسُ الشّجاعِ [10]

---

(١) جاش: هاج، والحفاظ والحفيظة: الحمية والغضب، والتلاع: جمع التلعة وهى الرابية المرتفعة.

(٢) المرهق: المدرك بسرعة.

(٣) الشبا: حد السيف.

(٤) فى النسخ «نفوس» خطأ، وحسرت: كشفت.

(٥) شققن: صعبن، وفى (س) شثقن، وفى «ش» «شنفن» تصحيف عما أثبتناه. والمرتاع: الخائف الفزع.

(٦) الفوت: فوات الفرصة وذهاب وقتها، والطلاع: جمع الطلاع (بفتح الطاء) وهو مبالغة من الطالع، ومنه طلاع الثنايا الذى يركب مشاق الأمور ويطلب معاليها.

(٧) الغل (بكسر الغين): الحقد، والمصاع (بكسر الميم): القتال والجلاد.

(٨) اصطفاه: اختاره، وجلى تجلية: أوضح وكشف، ورتاع: جمع راتع واستعير للراتعة أى المقيمة المرعى.

(٩) فى (ه) «قرط تقريطك» تصحيف.

(١٠) تعنو: تخشع.

قرَّبتْكَ الحقوقُ منــه وأدَّا ك إلى حمده كريمُ الطِّباعِ
غَمَرَ النُّجْحُ غَمْرَ آمالنــا فيك فلم تبقَ حجّةٌ في اُصطناعِ[1]
ولِّها وجهَنا الغـــداةَ وخذْ ما شئتَ من نهضةٍ وفضلِ اُضطلاعِ

* * *

وقال في الأدب :

لا درَّ درُّ الحِرْصِ والطّمعِ ومذلّةٍ تأتيكَ مِن نُجَعِ[2]
وإذا اُنتفعتَ بما ذَلَلْتَ به فلأَنتَ حقًّا غـيرُ مُنتفِـعِ
ومصارعُ الأحيـاءِ كلِّهمُ في الدّهرِ بين الرِّيّ والشِّبَـعِ
وإذا علمتُ بفرقتي جِدَتِي فعلامَ فيما فاتني جزعي ؟[3]
من لا تراه معي وقد قعدتْ عنّي الرّجال معاً فليس معي
وإذا ثويتُ بدارِ مَخصبةٍ وشَرِكتُ فيها فالورى شِيَعِي[4]

* * *

وقال في الملك العزيز وقد أبل من مرضه :

من أين زُرتَ خيالَ ذاتِ البُرْقُعِ والرّكبُ سارٍ في جوانب بَلْقَعِ ؟[5]
كيف اُهتديتَ ولا صُوًى لولا الهوى أغراك في جُنْحِ الظّلامِ تُوضِعِي ؟[6]

---

(١) الغمر : الماء الكثير .
(٢) النجع : جمع النجعة وهي طلب الكلاء من مواضعه .
(٣) الجدة : الغنى :
(٤) الشيع والشيعة : الأتباع والجماعات .
(٥) بلقع : خالية .
(٦) الصوى : جمع الصوة وهو حجر ينصب في المفاوز المجهولة يستدل به على الطريق ، وجنح الظلام : طائفة منه ، والتوضع : الإسراع في السير .

ومن العجيبة أنْ يلِمَّ مُصحَّحٌ ... ما دبَّ فيـــه سَقامُه بالموجَعِ

فى معشرٍ لهمُ الثَّرى فُرُشٌ ولمْ ... يتوسَّدوا غيرَ الطُّلى والأذرُعِ (١)

سكنوا قليلًا بعد أنْ كانوا على ... طولِ الدُّجى من موجِفٍ أو موضِعِ (٢)

وأصارهمْ طولُ السُّرى من غير أنْ ... عرفوا الكلالَ إلى قوائمِ ظُلَّعِ (٣)

خُوصٍ كأمثالِ القِسِىِّ وما لها ... يومَ الرِّمايةِ لامرئٍ من مِنزَعِ (٤)

لم تتركِ الرَّوْحاتُ فوق ضلوعها ... وقد التَوَيْنَ بهنَّ غـــيرَ الأضلُعِ

فكأنَّهنَّ من البِلى أشطانُها ... أو أنْسُعٌ تمشى إليكَ بأنْسُعِ (٥)

وإلىْ ذُرا ملك الملوك أثرْتُها ... والليلُ مشتملٌ بشملةِ أدْرَعِ (٦)

عجلان قد ولَّتْ عســـاكره وقد ... همَّ الصَّبـــاحُ ورأسُه لم يطلُعِ

رقَّتْ غلائلُهُ لنـــا فكأنَّه ... للمبصرين إليه هامةُ أنزَعِ (٧)

حيث النَّدى ثاوٍ به لم يُفتَقَدْ ... والمجـــدُ معتنقٌ به لم يُنزَعِ

والسُّؤدُدُ الضَّخمُ الخِضَمُّ وكلَّمـــا ... يرويك من بحرِ الفَخارِ المُترَعِ (٨)

ولقـــد فخرتَ على الملوك جميعِهمْ ... بالأصل منك وفرعِك المتفرِّعِ

---

(١) الطلى : جمع الطلية وهى الرقبة .

(٢) الموجف : فاعل من الوجيف وهو ضرب من السير السريع ، والموضع : من الإيضاع وهو ضرب من السير أيضا .

(٣) السرى : السير ليلا ، والظلع : جمع الظالع وهو البعير الأعرج الذى يغمز الأرض بمشيته .

(٤) الخوص : جمع الأخوص والخوصاء وهو من الإبل الغائر العينين من أثر الهزال والتعب ، والمنزع (بكسر الميم) : السهم البعيد المرمى .

(٥) البلى (كذا فى الأصل) : وهو الهلاك ، والأشطان : جمع الشطن وهو الحبل ، والأنسع : جمع النسع وهو سير يضفر من أدم تشد به الرحال .

(٦) الأدرع : من الخيل ما اسود رأسه وابيض سائره ، وفى البيت كناية عن ذهاب الليل ووضوح الصباح كما يفسره البيت الذى يتلوه بقوله : ولت عساكره . . .

(٧) الغلائل : جمع الغلالة (بكسر الغين) وهى شعار يلبس تحت الثوب أو الدرع ، والهامة : الرأس ، والأنزع : المنحسر شعر رأسه كالأصلع .

(٨) الخضم : البحر العظيم ، والمترع : المملوء .

ومحاسنٍ لم يقطنوا بشعابها كلاّ ولا اجتازوا لهنّ بأجرعِ [1]

وبلوتَهم فسبقتهم «وفرَعتهم» فضلاً وأيُّهمُ علا لم «يفرَعِ» [2]

فإذا همُ قيسوا إليك فمثلُ مَنْ قاسَ الذّراعَ طويلةً بالأذرُعِ

للهِ دَرُّك في مقامٍ ضيّقٍ أبدلتَه بتفسّحٍ وتوسّعِ!

بالضّربِ في هامٍ هناك وأذرُعٍ والطّعنِ في ثُغَرٍ هناك وأضلُعِ

والخيلُ عاديةٌ بكلّ مُخفّفٍ عارٍ من الجبن اللئيم مُشيَّعِ [3]

ما ريعَ قطُّ ولم يكن في خُطّةٍ نكراء إلّا كان عزَّ الأروعِ [4]

والطّعنُ يترك كلَّ بُرْدٍ في الوغا متوشّماً ولكان غير موشّعِ [5]

في غُلْمةٍ نبذوا الفِرارَ وهاجروا في مطمع العلياء كلَّ تودّعِ [6]

متهجّمين ولاتَ حين تهجّمٍ متسرّعين ولاتَ حين تسرُّعِ

لا مطعمٌ إلّا الجميلُ ومالهمْ في حيث لا يردُ الفتى من مَكْرَعِ [7]

حتّى رددتَ الموتَ عنك مخيّباً ما نال منيته بأنفٍ أجدَعِ [8]

وأنا الذي لمّا اشتكيتَ موكَّلٌ بي كلُّ أدواء الورى لم تقلعِ [9]

ومزعزعٌ تشكو حشاهُ خيفةً ومروّعٌ تجري حِذاراً أدمُعي [10]

---

(١) يقطنوا : يسكنوا ، والشعاب : بطون الوديان وعال القوم ، والأجرع : الرملة المستوية .

(٢) فرع قومه : علاهم شرفا وفي الأصل « قرعتهم » و « يقرع » وليس بشيء .

(٣) المخفف : الشجاع والسريع ، والمشيع : المهيب الذي يشيعه الناس أي يمشون وراءه .

(٤) ريع : أفزع (على المجهول) ، والأروع : الذي يعجبك بحسنه أو شجاعته .

(٥) البرد أو الثوب المتوشع : الذي فيه طرائق .

(٦) الغلمة: شهوة الضراب والقتال ، هاجروا : هجروا ونبذوا ، والتودع : وداع البعض للبعض الآخر .

(٧) المكرع : المشرب .

(٨) الأجدع : الأقطع .

(٩) تقلع : ترتحل وتذهب .

(١٠) المروع : المخوف الفزع .

ومذ اشتكيتَ فبالحضيضِ مُعَرَّسِى — وعلى القضيض تقلُّبِى فى مضجعى (١)
ولو انَّ أمرى نافذٌ فى صحتى — لبذلتُ منها كلَّ مالِىَ أو معى
لا مُنْعِمةٌ لِى بالّذى لم تلفِهِ — وبأنْ كُفيتَ ـ وإن دُهيتُ تمتُّعِى
ويهون عندى أنْ تكون مُصَحَّحاً — ومن الضَّنَى حيكَتْ لجسمى أدرُعِى
وإذا صححتَ فكلُّ شىءٍ نافعى — وإذا اعتللْتَ فليس شىءٌ مُقنِعِى
حتّى أتاح اللهُ ما أمَّلتُهُ — من صحةٍ أعطَتْ بغير تمنُّعِ
وفدَتْ وقد آلتْ بأنّ ضياءها — ما يمّحى وعطاءها لم يرجعِ (٢)
فالحمدُ للهِ الذى لم يَشجُنا — إلّا اجتيازُ لِمامِ خطبٍ مُسرعِ
مازارنا إلّا كما زار الكرى — باللّيل جَفْنَ الخائفِ المُتَروِّعِ (٣)
ولقد رمى الرّحمانُ فى أوصاله — لمّا أتى بتبدّدٍ وتَذَعْذُعِ (٤)
وتقطعٍ لولا سعادتُك التى — ملأتْ حريمك كان غيرَ مقطَّعِ
ولقد نفعتَ بأنْ ضررتَ وكم لنا — نفعٌ يزور رباعَنا لم ينفعِ
ولو اطّلعتَ على ضميرٍ فيك لِى — أبصرتَ منه تفشُّعِى وتروُّعِى
وبلابِلاً شوهِدنَ لولا أنّنى — غطّيتُها بتجمُّلِى وتصنُّعِى
فبأىِّ سِرٍّ ما رأيتَ كآبةً — أم أىُّ قلبٍ فيك لم يتطلّعِ ؟
فاشكرْ جميلًا نلتَه ومُنِحْتَه — فالشّكرُ رَبْطُ تفضُّلٍ وتبرّعِ
ولو انّنِى أُعطى الخيارَ لكان فى — رَبْعٍ حَلَلْتَ تقلُّبِى وتربُّعِى
واعتضتُ عندك من شبابٍ فاتنى — بعصائرٍ وأواصرٍ لم تجمعِ (٥)

---

(١) الحضيض : المنخفض من الأرض ، والمعرس : موضع نزول المسافر للاستراحة آخر الليل . والقضيض : الخشن المؤلم من القضض وهو الحصى المتفتت فلا يمكن أن يستريح النائم عليه .

(٢) آلت : حلفت من الألية وهى القسم .

(٣) المتروع : الخائف الفزع .

(٤) الأوصال : المفاصل ، والتذعذع : التفرق .

(٥) الأواصر : جمع الآصرة وهى الرحم والقرابة .

وأخذتُ ثاراتي من الزّمنِ الذي | قد طال منـــه تألُّمي وتوجُّعِي
فأحقُّ بابٍ بابُكَ المعمورُ بِي | وعليـــه طولُ توقُّفي وتضرُّعِي
فهو المَعَتــــادُ لآمنٍ أو خائفٍ | إنْ زاره وهو المرادُ لمُزمِــعِ (١)
فمتى ألِفتُ بِمَن فِنائك مَأْلَفي | وإذا رتعتُ ففي رياضكَ مَرْتَعِي (٢)
ولو أنّ شملي بات ملتفًا به | ما كان شَمْلِي قطُّ بالمتصدِّعِ
وحللتُ عندك رُتبــةً لا ترُتَقى | في خــير منزلةٍ وأشرفِ موضعِ
ولو استطعتُ نفضتُ كلّ إقامةٍ | إلّا على الـكَنَفِ الرّحيب الأوسعِ
في حيثُ لا تسري الأذاةُ بمَضجعِي | طولَ الحياةِ ولا القَذاةُ بمدمعي (٣)
ولئنْ بَعُدتُ محـــلّةً فتقرّبي | بتودُّدي وتشوُّقي وتطلُّعِي
ولقد دُعيتُ فما سمعتُ ولم يكنْ | إلّا نداؤك وحده في مَسْمعي
فإذا نطقتُ أبى عليّ تكلّمي | وإذا جرعتُ أبى عليّ تجرُّعي
يارافعَ الآدابِ رفّعني إلى | حيثُ اقتضاهُ تصعُّدي وترفُّعِي
لا تمزجنّي بالّذين تراهمُ | فالنّبعُ ممزوجٌ بغــير الخِرْوَعِ (٤)
كم بين قولٍ في الصّــدور وقولةٍ | هبّتْ بها نـكباءُ ريحٍ زَعْزَعِ (٥)
وإذا رضيتَ مقـــالتي فَلْيَهنِنْ | من صمّ عنهـــا مُعرِضًا لم يسمعِ
وإذا رضيتَ فضيـــلةً لي لم أُبَلْ | من نام عنهـــا بالعيونِ الهُجَّعِ (٦)
خذها كما وَضَحَ النّهـــارُ لمبصرٍ | وأفترّ روضٌ غِبَّ غيثٍ مُقلِعِ (٧)

(١) المزمع على الأمر : العازم عليه والماضي فيه .
(٢) الفناء (بالـكسر) : الساحة أمام البيت .
(٣) الأذاة : الأذى ، والقذاة والقذى : ما يقع في العين من قش وشبهه .
(٤) النبـع: شجر أصفر العود رزينه تتخذ منه القسي والسهام، والخروع : نبات رخو معروف.
(٥) النـكباء : الريح تهب منحرفة ، والزعزع : القاصفة المزعزعة .
(٦) أبل : فعل ماضي مخفف من أبالي .
(٧) وضح النهار : أشرق وأضاء ، وافتر : ضحك ، والغيث : المطر . والمقلع : المرتحل.

غرّاء تحسبها نجاحَ لُبانةٍ	هبّتْ عليك من النّواجي النُّسَّعِ (١)
ومتى أراد رواتُهـا طيًّا لها	نمّتْ على إحسانها بتضوّعِ (٢)
كم لِي عليها من حسودٍ شاعرٍ	شَغَفًا بها أو من خطيبٍ مِصْقَعِ
والشّعرُ ما قُضِيَتْ حقوقٌ جمّةٌ	فيه لسامي الكبرياءِ سَمَيْذَعِ (٣)
والخيرُ فيه إذا انزوى عن مَنْكِبٍ	والشّرُّ فيه متى يُقَلْ فى مطمعِ
ولأنتَ أولى بالقريضِ من الورى	وبطوقِهِ وبتاجِهِ المترصّعِ

* * *

وقال فى النسيب (٤) :

ولو شئتِ لمّا أزمع الحىُّ رَوْحَةً	أشرتِ إلينا بالبنانِ المُقمَّعِ (٥)
فما بان ماضٍ بان وهو مودِّعٌ	وقد بان كلَّ البين غيرَ مودِّعِ
وصَدَّكِ قومٌ عن زيارةِ مُقْلتِي	فلِمْ لمْ تزورِى القلبَ ساعةَ مضجعى؟
وحاذرتِ وصلًا يعرف النّاسُ حالَه	فما ضرَّ من وَصْلٍ ولا أحدٌ معى ؟

* * *

وقال فى العتاب :

قصدتَ بيأسى منكَ إقذاءَ ناظرى	فأعفيتَنِي من أنْ أذلَّ لمطمعِ
فلم تكُ إلّا نافعًا غيرَ ضائرٍ	وكم ذا أخذنا النفعَ من غير مَنْفَعِ

---

(١) اللبانة : الحاجة يريد الانسان قضاءها ، والنواجى : جمع الناجية وهى الناقة السريعة ، والنسع : جمع الناسعة وهى طويلة الظهر .
(٢) التضوع : انتشار رائحة الطيب .
(٣) السميدع (بالدال أو الذال) : السيد الكريم الشريف والشجاع .
(٤) أورد الناظم هذه القطعة فى « طيف الخيال » (ص ١٠٢) .
(٥) البنان : رءوس الأصابع أو هى ، ومفردها بنانة ، والمقمع : المخضب ، وأصل القمع احمرار موق العين .

فحسبُكَ لا تزدَدْ قبيحاً مجـــدَّداً   فإنّ الذى قد بان لِى منك مُقنِعِى

* * *

وقال فى طلب العز :

فــلو أنّــنِى أنصفتُ نفسى لصُنتُهــا   ونزّهتُهــا عن أنْ تذلَّ لمطمعِ
ومالى وأبوابَ المــلوكِ وموضعى   من الفضلِ والتّجريبِ والفضلِ موضعى ؟!
ومالهُمُ مالِى من العــلم والتُّقَى   ولا معهمْ يوماً من الحــلمِ مامعى
وهل أنا إلّا طالبُ النّقصِ عنـدهمْ   وإلّا فقضلى بعــلم اللهُ مُقنِعِى
وهل لصحيحِ الجــلدِ من مُتَمَعَّـكٍ   لذى العرِّ والجلدِ المُفَرَّى بمضجعِ ؟ (١)
وما أنا بالرّاجى لمــا فى أكفِّهِمْ   فلِمْ نحوهُمُ ياويحَ نفسى تطلُّعِى ؟
ولِمْ أنا مرتاعٌ لمـــا يجلبونَهُ   وما زلتُ فى الأقوامِ غيرَ مُروَّعِ ! (٢)
وقد عشتُ دهراً ناعمَ البـــال راكباً   من الخفضِ فى أقتادِ عَوْدٍ مُوَقَّعِ (٣)
أبيًّـا فلا ظُفْرُ الظّــلامةِ جارحِى   هناك ولا داعى المـــلامةِ مُسمِعِى
وما زال هـــذا الدّهرُ يخسِرُ صفقتِى   ويُبدِلُ نَبْعِى كلّ يومٍ بخِرْوَعِ
إلى أنْ أرانى حيثُ شئتَ سفاهةً   لــكلّ مُلَوًّى عن جميلٍ مُدَفَّعِ
فعدِّ مقرَّ الضّيمِ إنْ كنتَ آنفــاً   ودعْ جانباً تُخزَى بساحتِهِ دَعِ
فمصرعُ مَن ولّى من الذُّلِّ هارباً   ببيضِ الوغا أو سُمرِها غــيرُ مصرعِ

* * *

---

(١) التمعك : كالتحكك والدلك ، والعر : الجرب ، والمفرى : المشقق .
(٢) المروع : المخوف المفزع .
(٣) الخفض : لين العيش وسعته ، والأقتاد : جمع القتد (بالتحريك) . وهـو خشب الرحل ، والعود (بفتح العين) : البعير المسن ، والموقع : المذلل .

وقال فى الشيب :

تقاسَمَ اللّيلُ والإصباحُ بينهما ... عمرى فمن حاصدٍ طوراً ومن زَرِعِ
أعطَى نهارى وليلى جَانَّ ضدّيهما ... فنسجُ أيدى الدُّجى ثم الضّحى خِدَعِى
لِلّيلِ سودى وللصّبحِ المنيرِ إذا ... جَلاهُ شيبى فلومى فيه أوْ فدَعِى
فنَوْبةُ اللّيلِ قد ولّتْ كما نزلتْ ... ونوبةُ الصّبحِ من هذا الشيبِ معى

☆☆☆

وقال بواسط « منحدره » إلى حضرة الشريف (الطاهر ذى المنقبتين والده - أدام الله علوه -) (١) :

حُيّيتَ يا رَبْعَ الهَوَى من مَرْبَعِ ... وسُقيتَ أنديةَ الغُيوثِ الهُمَّعِ (٢)
فلقد عهِدتُك والزّمانُ مسالمٌ ... فيك المُنَى وشفاءُ داءِ المُوجَعِ
أيّامَ إنْ يدعُ الهوَى بى أتبعْ ... وإذا دُعيتُ إلى النُّهَى لم أتبعِ (٣)
إذْ قامتِى ممتدّةٌ وذوائبى ... مسودّةٌ ومسائحى لم تَصْلَعِ (٤)
وإذ النّضارةُ فى أديمى جَمّةٌ ... والشّيبُ فى فَوْدَىَّ لمّا يطلُعِ (٥)
سَقْياً له زمناً نَعِمتُ بظلّهِ ... لكنّه لمّا مضَى لم يَرْجِعِ
شَعَرٌ شفيعى فى الحسانِ سوادُهُ ... حتّى إذا ما ابيضّ « بى » لم يَشْفَعِ (٦)

---

(١) واسط : بلد فى العراق معروف ، ومنحدره : أى زمن انحداره ، وفى (س) « منحدراً » وما حصرناه فى قوسين ساقط منها ، وقد أورد الناظم فى « طيف الخيال » (ص ٧٥ الشطر الأول من مطلع هذه القصيدة وخمسة أبيات أخر ، كما أورد فى « الشهاب » (ص ٥٤) ثلاثة أبيات منها مع شرحها .

(٢) الغيوث : الأمطار ، والهمع : المنسكبة .

(٣) النهى : العقل .

(٤) المسائح : جمع المسيحة وهى الذؤابة .

(٥) الأديم : الجلد ، والفودان : جانبا الرأس .

(٦) فى (س) « لى » بدل « بى » .

عُوِّضْتُ قَسْراً من غُدافٍ مفارِقٍ ... وهيَ الضَّنِينةُ بالغرابِ الأبقعِ (١)
لونٌ تراهُ ناصعاً حتَّى إذا ... خَلَفَ الشَّبابُ فليس بالمُسْتَنْصِعِ
أحْبِبْ إليَّ وقد تفشَّى ناظرى ... وَسَنُ الكرى بالطَّيفِ يطرق مضجعى (٢)
ما زال يخدعنى بأسباب الكرى ... حتَّى « حسبتُ » بأنه حقّاً معى (٣)
ولقد عجبتُ على المسافةِ بيننا ... كيف اهتدى من غير هادٍ موضعى ؟
أفضى إلى شُعْثٍ لقوا هاماتِهِمْ ... ـ لمَّا سُقُوا خمرَ الكرى ـ بالأذرُعِ (٤)
هجعوا قليلاً ثمَّ ذَعْذَعَ نومَهمْ ... غِبَّ السُّرى داعى الصَّباحِ المُسمِعِ
من بعد أن عَلِقَ الرُّقادُ جفونَهمْ ... هجروا الكرى فى أيِّ ساعةِ مضجعِ
فتبادروا بطنَ السَّفينِ وأسرعوا ... زُمَراً كجافلةِ القطا المُتَرَوِّعِ (٥)
من كلِّ سوداءِ الأديمِ كأنَّها ... شَغْواءُ تنجو فى الرِّياحِ الأربعِ (٦)
هزَّتْ جناحيها على سَغَبٍ بها ... وقد اهتدتْ بعد الضَّلالِ المُطمِعِ (٧)
« لا تشتكى مَعْ طولِ إدمانِ السُّرى » ... مَسَّ اللُّغوبِ ولا كَلالَ الظُّلَّعِ (٨)
ركبوا عميقاً قعرُهُ ، متلاطماً ... أمواجُهُ ذا غاربٍ مُسْتَتْلِعِ (٩)

---

(١) الغداف : الغراب الضخم الأسود .
(٢) الوسن : النوم الخفيف ، ويطرق : من الطروق وهو الإتيان ليلا .
(٣) فى « طيف الخيال » « خشيت » مصحفة عن « حسبت » .
(٤) الشعث : جمع الأشعث وهو مغبر الرأس ، والهامات : الرءوس .
(٥) الزمر . الجماعات مفردها زمرة ، والمتروع : الفزع .
(٦) شغواء : العقاب لزيادة منقارها الأعلى على الأسفل ، فقارها يشبه جؤجؤ السفينة ، وتنجو : تسرع .
(٧) السغب : الجوع .
(٨) فى « ش » « لاتشتكى الإدمان مع طول السرى » من سهو الناسخ ، واللغوب : التعب ، والظلع جمع الظالع وهو الذى يغمز الأرض بمشيته والأعرج .
(٩) غارب البحر : أمواجه العظام من غارب البعير وهو ما بين السنام والعنق ، والمستتلع : المرتفع ، من التلعة وهى المرتفع من الأرض .

يَمْجون كلَّ قرارةٍ لا تَهتَدِي | أو يطلعون ثَنِيَّةً لم تُطلَعِ (١)
في حيث لاتُنجي الرِّجالَ جَلادةٌ | ولَرُبَّمـــا نجَّتْك دعوةُ إصبعِ (٢)
ولقد عجِبتُ لخابطٍ ورقَ الغِنَى | من كلِّ ذي جَشَعٍ وخدٍّ أضرَعِ (٣)
وكأنّهم لم يعــلموا أنَّ الّذي | جمعوا بمرأى للخطوب ومسمعِ
والعامرُ الـكفَّـين من هذا الورى | لا ينثني إلّا بكفٍّ بَلْقَعِ (٤)
جمعـــوا لينتفعوا فلمّـا أنْ دعَوْا | أموالهمْ حين الرَّدى لم تنفعِ
واستدفعوا بالمـال كلَّ مضرّةٍ | حتّى أتى الأمرُ العزيزُ المَدفَعِ
هيهـــاتَ أين الأوّلون وأين ما | شادوه من مَغْنًى ومن مُتَرَبَّعِ ؟ (٥)
والرّاحضون العارَ عن أثوابهمْ | والرّافعون النّـارَ للمُسْتَلمِعِ (٦)
والموسعو مُعتامِهمْ أموالَهمْ | والنّازلون على الطّريقِ المَهْيَعِ (٧)
من كلِّ مُعتَصِبِ المفارق إنْ مشى | نَمّتْ عليـــه ثيابُه بتضوُّعِ (٨)
تعنو الرِّجال لذي التّمائمِ منهمُ | ويسود طفلُهمُ ولم يَتَرَعْرَعِ (٩)
لا يجمعون المـــالَ إلّا للنّدى | أو لاصطناع صنيعةٍ لم تُصنَعِ
وإذا وفدتَ إليهمُ عن أزمَةٍ | فإلى أعزَّ ندًى وأخصبِ «مَرْتَعِ» (١٠)

---

(١) يمجون : يدخلون ، والقرارة : الأرض المطمئنة الواطئة كبطن الوادي ، الثنية : الطريق في الجبل أو العقبة ،ولا تهتدي بمعنى لاتهدي أي تضل .
(٢) الجلادة : الصبر والشجاعة .
(٣) الأضرع : الذليل .
(٤) بلقع ، خالية .
(٥) المغنى : المنزل .
(٦) الراحضون : جمع الراحض أي الغاسل ورحض الثوب : غسله .
(٧) المعتام : الضيف ، والمهيع : الواسع .
(٨) التضوع : انتشار رائحة الطيب .
(٩) تعنو : تخشع ، والتمائم : جمع التميمة وهي خرزات تعلق على الصبيان وتزعم العرب أنها تقيهم من الإصابة بالعين .
(١٠) الأزمة : الشدة والضيق ، وفي « ش » «مربع» بدل « مرتع »

وإلى الجفانِ الغرِّ فى يوم القِرى   والطعنِ فى اللَّباتِ يومَ الفزَعِ (١)
وإلى الحديث تطيب فى يوم الثنا   نفحاتُهُ ويضىء يومَ المجمعِ
وكأنما فتحتَ منــــه لمبصرٍ   أنوارَ روضٍ غِبَّ غيثٍ مُقلِعِ (٢)
سكنوا الخَوَرْنَقَ والسَّديرَ وحلقوا   فى رأس غُمدانَ البناءِ الأرفعِ (٣)
« وتقسَّموا من » مأرِبٍ عَرصاتِهِ   والأبلقَ الفردِ العرينِ الممنعِ (٤)
أخذوا إتاوات المـــلوكِ غَلُبَّةً   مابين بُصرى والفراتِ ويَنْبُعِ (٥)
وأطاعهمْ وأنقاد فى أيديهمُ الـ   ـدانى القريبُ إلى البعيد المَنْزَعِ (٦)
هتف الحِمامُ بكلِّ حىٍّ منهمُ   فأجابه مستكرهاً كالطيِّــــعِ
واراهمُ فى مضجعٍ وأتاهمُ   من مطلعٍ وسقاهمُ من مَـكْرَعِ (٧)

* * *

وقال يرثى ابن شجاع الصوفى وكان مختصاً به :

إنِّى الشجاعُ وقد جزِعتُ كما ترى   منِّى الغَـداةَ بمصرع ابن شجاعِ
ساقتْ مصيبتُهُ إلىَّ بلابلى   سَوْقاً وألقتنى إلى أوجاعِ
فالماء من عينىَّ يقرح ناظرى   طوعَ النوى والنارُ فى أضلاعى

(١) اللبات : جمع اللبة (بوزن الحبة) وهى المنحر .
(٢) الغيث : المطر ، والمقلع : المرتحل .
(٣) الخورنق والسدير وغمدان : أسماء قصور .
(٤) فى (هوش) « وتفسحوا » فى موضع « وتقسموا » ، ومأرب (كمنزل) : موضع باليمن ومنه سد مأرب المشهور ، والعرصات: جمع العرصة وهى الساحة . والأبلق الفرد: حصن للسموءل بن عاديا بناه أبوه بأرض تيماء وقصدته الزباء ملكة تدمر فعجزت عنه وعن مارد فقالت : « تمرد مارد وعز الأبلق » كذا بعض ماذكره الفيروز آبادى فى المحيط ، والعرين : بيت الأسد .
(٥) الإتاوات : جمع الإتاوة وهى المال الذى يؤخذ على الأرض الخراجية ، وغلبة : قهراً .
(٦) البعيد المنزع : الغريب .
(٧) واراهم : سترهم وأخفاهم ، والمكرع : المشرب .

ووددتُ لو تُغني الوِدادةُ في الرّدى ... أنّ التكذّبَ ما يقولُ النّاعى
ومن العجائب أنّنى ضنًّا به ... رَمّلتُهُ ورميتُهُ في قاعِ (١)
ويسوءنى أنّى أراهُ في الثّرى ... يَبلَى وأمرى فيه غيرُ مُطاعِ
بيَفاعِ مشرفةٍ وهل يُغنِي الفتى ... سُلِبَ الحياةَ مَقيلُهُ بيَفاعِ ؟ (٢)
في مُمرِعٍ خَضِلٍ وما أغنى امرأً ... في اللّحْدِ عن خِصْبٍ وعن إمراعِ (٣)
أعزِزْ علىّ بأنْ توفّاكَ الرّدى ... وأصمَّ سمعكَ عن مقالِ النّاعى
وأردتُ حِفظَكَ في الضّريحِ وإنّما ... صيّرتُ شِلْوَكَ في يدَىْ مِضياعِ (٤)
خرقاءَ تأكلُ لا لجوعٍ كلَّ من ... يُهدى إليها الموتُ أكلَ جِياعِ (٥)
مَنْ لِى ترى مِن بعد فقدِكَ صاحبٌ ... أُلقِى إليه متى أردتُ بَعاعى ؟ (٦)
ومَنِ المُطيلُ تَتمُّني بغرائبٍ ... مِنْ بَثّهِ ومَنِ المقصِّرُ باعِى ؟
وإذا دنا الأجلُ المقدَّرُ للفتى ... لم أُنجِهِ منه وضاعَ دِفاعى
وقواطعى وهى الحِدادُ كَليلةٌ ... عنه وَنَبْعى فيه مثلُ يَراعى (٧)
وأنا الطّويلُ يداً فإنْ مدّ الرّدى ... نحوى يداً منه تقاصَرَ باعى
كم ذا تعالِطُنا الحياةُ ونشتهي ... منها بخدعةِ مائنٍ خدّاعِ ؟ (٨)
أين الذين عَلَوْا على هامِ العُلا ... وتبوّءوا بالمجد خيرَ رِباعِ ؟
الباذلين لما حوَتْهُ خيامُهم ... والواهبين لما يسوق الرّاعى

---

(١) ضناً به : شحاً وبخلا به ، والقاع : المستوى من الأرض ويقصد بها ساحة القبر .
(٢) اليفاع : ماارتفع من الأرض والمقيل : منزل الاستراحة وقت القيلولة وهى الظهر .
(٣) المرع : المخصب ، والخضل : المبتل .
(٤) الضريح : الشق فى وسط القبر كما أن اللحد هو الشق فى جانبه ، والشلو : العضو .
(٥) الخرقاء : الحمقاء ويقصد بها الأرض .
(٦) البعاع : الجهاز وثقل السحاب ، وألقى إليه بعاعه : كناية عن تحميله أثقاله ومهماته .
(٧) النبع : عود أصفر صلب ، واليراع : القصب .
(٨) المائن : الكذاب .

فَـقَتْ تراَبك ياحُسينُ بوا كِرٌ   ترمى الدّيارَ بعــارِضٍ همّـاعِ (١)
وكأنْ ـ لَمْعَ بروقِهِ هِنْدِيةٌ   مسلولةٌ جُنْحَ الدُّجى لقِراعِ
وكأنَّ زَمْجرَةَ الرُّعودِ خلالَهُ   دوحٌ تقصّفَ أوزئيرُ سِباعِ (٢)
ودفاعُ ربّكَ عنك شرَّ عقــابهِ   عن سيّئٍ خيرٌ من الدّفّاعِ

* * *

وقال وقد نُعي إليه بعض الأعداء :

أىُّ ناعٍ نعاهُ لِى أىُّ ناعِ   لارَمَى اللهُ شَعْبَه بانصـداعِ
لم يَرُعْنِي وطالما أتْرعَ النّا   عُون فينا قلوبَنا بارتيـاعِ (٣)
لا ولا موجِعاً لقلبى بما قا   ل ولكنْ داوَى به أوجاعِي
ولقد قلتُ إذْ سمعتُ الذى كنـ   ـتُ أُرَجِّى : لله دَرُّ النّاعى!
خبرٌ مُبهجٌ لقلبِى وقد كا   ن كئيباً ، مؤرِّجٌ لرِباعى (٤)
لم أزلْ مُبغضــاً لكلِّ نذيرٍ   للمنايا حتّى نعاه النّاعى!
أمتَعَ القلبَ بالبشـارة لا زا   ل مُحَيًّا بالسُّؤلِ والإمتـاعِ.
ولو أنّى استطعتُ شاطرتُ عمرى   [ثُمَّ] ذُخرى ومُتعتى ومَتاعى (٥)
فلَهُ والحقوقُ تُلفَى وتُرعَى   كلُّ حقٍّ علىَّ غيرُ مُضاعِ
إنَّ داءً أودَى بمن كان للعا   لَمِ داءٌ لَسَيِّدُ الأوجاعِ
قدمضَى مَعْدِنُ النّفاقِ وأصلُ الْـ   ـمَيْنِ عنّا ورأسُ كلِّ خِداعِ (٦)
والّذى كنتُ فى قناعٍ فلمّا   ضلَّ هُلْـكاً ألقيتُ عنّى قِناعى

(١) العارض : السحاب ، والهماع : المنصب .
(٢) الدوح : الشجر ، وتقصف : تـكسر .
(٣) يرعنى : يفزعنى ، وأترع : ملأ والارتياع : الفزع .
(٤) مؤرج : معطر ، والأرج : الطيب .
(٥) [ثم] ساقطة من نسخة الأصل أضفناها لاقتضاء الوزن لها .
(٥) المين : الـكذب .

كان باعِي وأنتَ حيٌّ قصيراً وثويتَ الثَّرى فطوّلتَ باعي
وأرَدْتَ الضَّرّاءَ لِي وكفى اللـــهُ فأولىٰ مكانَ ضَرّى انتفاعي
وَرَمَتْنِي السّهامُ منك ولكنْ لم تَفِرْنى واللهُ من أدراعي
كلُّ شكري لأنّني نلتُ ما كنـ ـتُ أرَجِّي باللهِ لا باصطناعي
وكُفِيتُ المكروهَ منك وشيكاً بدفاعِ الإلٰه لا بدفاعي
وامتلأ رَبْعِيَ الجديبُ من الخِصْـ ـب كما أشتهيه لا بانتجاعي[(١)]
وقِراعُ الإلٰهِ عنّيَ أغـنىٰ ياخليلي كما ترى عن قِراعي
حارَبَتْكَ الأقدارُ عنّي على أنّي شجاعٌ وأنتَ غيرُ شجاعِ
ورمى الله في ظلامك لمّا غَشِيَ النّاسَ كلّهمْ بانقشاعِ
وغُروسٌ غرستَها عوجِلَتْ مَـنّا من الله وحدَهُ بانقلاعِ
ولَئِنْ بِنْتَ واغتربتَ فما عنـ ـدك شوقي ولا إليك نِزاعي[(٢)]
ومتى ماسُئِلتُ عنك فقولي: لارعاهُ في طَرْفِهِ مَنْ يُراعِي
وقلوبٌ حُشــين في الموت باللَّوْ عاتِ ما خُرْنَ فيك بالإتباعِ[(٣)]
لك نزْرٌ من كلِّ خـيرٍ فإنّي كِلْتُ للشّرِّ وحدَه بالصّاعِ
إنّ غدراً ثوى فلم تخلُ أضلا عُكَ منــه ما اجتاز في أضلاعي
وغروري بك الغداةَ كما غَـ رَّ سرابٌ بومْضِهِ اللمّاعِ
ولحا اللهُ كلَّ من ليس فيه الــخيرُ في ضيقةٍ ولا في اتّساعِ
وإذا ما عَلِقتَــهُ فعُلوقي بجَنابِ هاعٍ لعمرُكَ لاعِ[(٤)]

(١) الانتجاع: الذهاب في طلب الكلأ من مواضعه.
(٢) بنت: بعدت، والنزاع: الاشتياق.
(٣) اللوعات: جمع اللوعة وهى الحرقة في القلب من حزن أو شوق، والاتباع: مصدر، وخرن: فترن من الخور (بفتحتين) وهو الضعف والفتور.
(٤) الهاع: مقلوب من الهائع وهو الجزوع واللاع: من اللائع وهو الجبان الضعيف ويقال: هو هاع لاع.

لم يكنْ بين ما كرِهتُ وما أحـ ببتُ إلّا وقتٌ قصيرُ السّاعِ [1]
وكفانى الإلٰهُ شرَّ أمرئ لبـ ـس يُراعى من التُّقَى ما أراعى
إنّ عُلوّاً لا يستحقّ كسُفْلٍ وارتفاعاً لا ينبغِى كاتّضاعِ
ولَئِنْ فزتَ بالمرادِ فـكم كفٍّ أتاها اليَسارُ غـيرِ صَناعِ [2]
ليت ما كان بيننـا لم يكن كا ن قديمـاً من إلْفَـةٍ واجتماعِ
بعتنِي بالرّخيص من غـير أن أ نْكُثَ عهـداً أو أنْ يحين بياعِى
وسيدرِى مَن باعنى بحقـيرٍ أىُّ غَـبْنٍ عليه مِن مبتـاعى
وإذا ما جهلت فخرِى وجودى بين كفّيك طاب فيه ضَياعى
ضاع ودّى من لم يكنْ أهل ودّى وشقىٌّ غادٍ بودٍّ مُضـاعِ
قد أتانى الوعيدُ منك فما فـكَّرْ تُ فيـهِ ولا أضاق ذراعى
كان مثلَ الضّياحِ فى القاعِ طَوْراً وحـكَىٰ تارةً ثُغاءَ الرّاعى [3]
وعلى ذا مضى الزّمانُ فحىٌّ غيرُ ساهٍ وميّتٌ غـيرُ داعِ
كيف قدّرتَ أنّنِي من أناسٍ قُدْتَهمْ نحو حَيْنِهمْ باختداعِ؟ [4]
حاشَ للهِ أنْ أكون سريعـاً ومجيباً من الورىٰ كلَّ داعِ
وغبـينٌ مَن هاج منّى لساناً مثلَ حدِّ الحسامِ يومَ المِصاعِ [5]
ورجا والرّجاء نحسٌ وسعدٌ لَيَّ رُمحٍ يومَ الوغى بيَراعِ [6]
وتعاطى جهالةً منـه ترويـ ـعَ جَنانٍ ما كان بالمرتاعِ [7]

---

(١) الساع : الساعات .
(٢) اليسار : الغنى، وكف صناع (بفتح الصاد) : حاذقة فى الصنعة .
(٣) الضياح (بفتح الضاد) : اللبن الرقيق . والثغاء : صوت الشاة وما شاكلها .
(٤) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك .
(٥) المصاع (بكسر الميم) : القتال والجلاد .
(٦) البراع : القصب .
(٧) الترويع : التخويف والإفزاع ، والمرتاع : الفزع ، والجنان (بفتح الجيم) : القلب .

ولوادٍ حللتَ فيـــه جديبٌ بك نائى الإخصابِ والإمراعِ
ليس فيـــه إلّا الُجنابُ لراجٍ يرتجيه أو الهشيمُ لراعِ [(١)]
وصدًى لم يَطُفْ به قطُّ إرْوا ءٌ وجوعٌ لم يُرْوِ بالإشبـــاعِ [(٢)]
بين وَهْدٍ غُبْرِ المتون وهَيْهــــا تَ وهادٌ مغــبرّةٌ من قِلاعِ [(٣)]
ليس يرميـــه آملٌ برجاء لا ولا ينتحيـــه سعىٌ لساعِ
وإذا ما أُلفيتَ فيه فـــا يلـ ـقاك إلّا بباخلٍ منّاعِ
مَجْثَمُ اليـأسِ والقنوط فما فيـ ـهِ مزارٌ لجائلِ الأطماعِ [(٤)]
وبوُدّى أنْ لم يكن لِىَ تعريـــجٌ إليـــه ولا عليه اطّلاعى [(٥)]
وإذا ما بقيتَ فاْجتنب الغـــا بَ محلَّ الرّدى ومَطْوَى السِّباعِ
ودعِ الإغترارَ بالسِّلْمِ فالسِّلْـ ـمُ طريقٌ إلى ركوبِ القِراعِ
إنّـنى وحدىَ الّذى لو تأمّلْـ ـتَ ملأْتُ الوادى بغُرِّ المساعى
وأتبـــاعى ما كان قطُّ لخلقٍ وأولو الفضلِ كلُّهمْ أتباعى
وغبينٌ مَن ليس يعـــلم شيئاً بعيـــانٍ يُرى ولا بسماعِ
أىُّ فضلٍ فى العقل غـــيرُ مطاعٍ وانتفاعٌ بالقلب ليس بواعِ ؟
وإذا ما مررتُ يوماً على قبـ ـرك شرِّ القبورِ فى شرِّ قاعِ
قلتُ لا مَسّكَ النّسيمُ ولا أعتا دكَ نَوْءٌ مِن واكِفٍ همّاعِ [(٦)]
وعداك السّلامُ والرَّوحُ والرّحْـ ـمةُ من فائضِ الجدا النفّـاعِ [(٧)]

---

(١) الجناب (بضم الجيم) : الداء المعروف بذات الجنب ، والهشيم : النبات اليابس المتكسر .
(٢) الصدى : العطش .
(٣) الوهد : ما انخفض من الأرض .
(٤) المجثم : المبرك ، والجائل : اسم فاعل من جثل ، وجثل الشعر أو الشجر إذا كثف والتف
(٥) التعريج : الميل من جانب الى آخر .
(٦) النوء : المطر : وأصله مساقط النجوم المثمرة بنزول المطر ، والواكف : المنهل ، والهماع: مثله
(٧) الروح (بالفتح) : الراحة ، والجدا (بالفتح والقصر) : العطاء .

وسُقِيتَ العَذابَ لا العَذْبَ والزّ ... زالَ تأتى به يدُ الزَّعْزاعِ
وإذا جوزِىَ الأنامُ فلا جو ... زِيتَ إلّا باللُّؤمِ اللّذّاعِ

* * *

وقال يرثى جلال الدولة وتوفى فى شعبان « سنة ٤٣٥ »

وكان مجلا للمرتضى معظما :

دعوا اليومَ ما عُوِّدتُمُ من تصبُّرٍ ... فإنَّ نزاعى غالبٌ لنزوعى (١)
فما القلبُ منّى فارغاً من تذكُّرٍ ... ولا العينُ منّى غيرَ ذات دموعِ
ولو كنتُ مسطيعاً جعلتُ صبابةً ... مكان دموعى فى البكاء نجيعى (٢)
ففيما تركتُ لا يُخاف تردُّدى ... وفيما وهبتُ لا يُخاف رجوعى
وكيف بقائى لا أموت وإنّما ... ربوعُ الأنامِ الهالكين ربوعى ؟
وما أنا إلّا منهمُ وعليهمُ ... إذا ما انقضى عمرى يكون طلوعى
ألمْ ترَ هذا الدهرَ كيف أظلّنا ... على غفلةٍ منّا بكلِّ فظيعِ ؟
وكيف أنتقىْ عظمِى وشرّد صَرْفُهُ ... رُقادى وأودى عَنْوَةً بهجوعى ؟
وجرّ على شوكِ القتادِ أخامِصِى ... وأضرم ناراً فى يبيسِ ضلوعى (٣)
وأكرعنِى حزناً طويلًا ولم أكنْ ... لغير الذى أختاره بكَروعِ (٤)
رمانِى بخطبٍ لا يكفكفُ وَقْعَهُ ... سوابقُ أفراسِى ونسجُ دروعى
وما عاصِمِى منه حُسامى وذابِلِى ... ولا ناصرى رَهْطِى به وجميعى (٥)

---

(١) النزوع : الاشتياق .
(٢) النجيع : الدم .
(٣) شوك القتاد : شوك صلب كالإبر ، والأخامص : جمع الأخمص وهو أسفل القدم .
(٤) أكرعنى : سقانى .
(٥) الذابل : الرمح ، ورهط الرجل : عشيرته وأهل بيته .

أتاني ضُحًى لا دَرَّ دَرُّ مجيئه ... فعاد وما هاب النّهارَ هزيعي (١)
وضاعَفَ من شَجْوِي ورادف حزنَه ... خضوعي عليه راغماً وخشوعي
وصيّر في وادي المصائبِ مسكني ... وفي جانب الحزنِ الطّويل ربوعي
وقالوا بركن الدين ولّتْ يدُ الرَّدى ... فخرّ صريعاً وهو خيرُ صريعِ
فشبّوا لهيبَ النّارِ بين جوانحي ... وجثّوا أُصولي بالجوى وفروعي (٢)
ومرّوا وقد أبقوا بقلبيَ حسْرةً ... وذرّوا طويلَ اليَأس منه «بروعي» (٣)
فلو كنتُ أستطيع الفداء فديتُهُ ... وأعيا بداء الموت كلُّ جميعي
وشاطرتُهُ عمري الّذي كان طالعاً ... عليه بما أهواه خيرَ طلوعِ
وقالوا: اصطبرْ، والصّبرُ كالصّبرِطعمُهُ ... إذا كان عن خَرْقٍ بغير رقوعِ
وعن رجلٍ لا كالرّجالِ فضيلةً ... وعن جبلٍ عالي البناء رفيعِ
وعزّاك مَن سقّاك كلّ مرارةٍ ... وحيّاك مَن لقّاك كلَّ وجيعِ
ولو كنتُ أرجو عودَه لا حتسبتُهُ ... ولكنّه ماضٍ بغير رجوعِ
كأنّيَ ملسوعٌ وقد قيل لي مضى ... وما كنتُ من ذي شوكةٍ بلسيعِ
فأيُّ انتفاعٍ بالرّبيع وإنّه ... زماني وقد ولّى الرّدى بربيعي؟
وبالعيشِ من بعد امرئٍ كان طيبَه ... ويُبدلُ منه ضيّقاً بوسيعِ
وبالمال من بعد الّذي كان مُخْلِفاً ... لكلِّ الّذي أفنتْهُ كفُّ مُضيعِ
وبالعِرْضِ من دون الذي كان رمحُهُ ... يقارع عنه الدّهرَ كلَّ قريعِ
ذَممْتُ سواك المالكين لأنّهمْ ... تولّوْا وما أوْلَوْا جميلَ صنيعِ

---

(١) الهزيع: الطائفة من الليل.
(٢) جثوا: قطعوا، والجوى الحزن الشديد.
(٣) بروعي: بقلبي، والروع (بضم الراء): القلب، وفي الأصل «نزوعي» مصحفة عن «بروعي».

وَلَمْ تكُ منهمْ مِنَّةٌ بعـــد مِنَّةٍ ... ولا نزعوا أثوابهمْ لنزيعِ [1]
فكم بين مُعطٍ للأماني وسالبٍ ... وبين مُجيعٍ لي وقاتلِ جوعي ؟
ولمّا رأيتُ الفضلَ فيـــه أطعتُه ... وما زلتُ للأملاكِ غيرَ مطيعِ
ألمْ ترَني لمّا بلغتُ فِناءه ... عقرتُ بعيري أو قطعتُ نسُوعي ؟ [2]
وقد علم الأقوامُ أنّك فيهم الـ ... ـنّفوعُ إذا لم يعثُروا بنفوعِ
وأنّك تُؤوي الخائفين من الورى ... ذُرا كلِّ مرهوبِ الشَّذاةِ رفيعِ [3]
وأنّك لمّا صرّح الخوفُ في الوغى ... بيومٍ صقيلِ الغرّتين لَموعِ
وللخيلِ من نسج الغبارِ براقعٌ ... وأجلالُها من صوبِ كلِّ نجيعِ [4]
ولو لمْ تبضِّعْ بالطّعانِ لحومُها ... لآبتْ وما سالتْ لنا ببضوعِ
أخذتَ لواءَ النّصرِ حتّى ركزتَه ... بيُمناك من أرضِ اليقينِ بقيعِ [5]
ولم تهبِ البيضَ الصّوارمَ والقنا ... يَرِدْن إذا أُورِدْنَ ماءَ ضلوعِ
ولمّا ذكرتُ الموتَ يوماً وهَوْلَهُ ... تقاصر خَطْوي واقشعرَّ جميعي
وما أنا إلّا في انتـــظارِ لزائرٍ ... قدومٍ على رغم الأُلوفِ طَلوعِ
يمزّق أثوابَ الذي كنتُ أكتسي ... وينزعها بالرّغمِ أيَّ نزوعِ
ويهدم ماشيّدتُه وبنيتُه ... ويحصدُ من هذي الحياةِ زُروعي

* * *

(١) النزيع : الغريب .

(٢) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة ، وما اتسع أمام الدار فهو فناؤها ، والنسوع : جمع النسع وهو سير عريض تشد به الرحال .

(٣) الشذاة : الأذاة .

(٤) الصوب : الانصباب ، والنجيع : الدم .

(٥) القيع : جمع القاع وهى الأرض المستوية .

وقال يفتخر بنفسه وقومه ويعرض ببعض أعدائه :

مَن ذا الطَّبيبُ لأدوائى وأوجاعى ... أو الرَّفيق على همّى وأزماعى ؟ (١)
قد كنتُ جَلداً ولكنْ رُبَّ أقضيةٍ ... خَلَطْن جَلْداً على البلوى بمُلتاعِ (٢)
ياصاحبى يوم رام الدّهرُ منقصتى ... وراع منّى جَناناً غيرَ مرتاعِ (٣)
قم سلْ قلبىَ عمّا فى بَلابِلهِ ... ففيه ما شئتَ من سَقْمٍ وأوجاعِ
ليس اللّسانُ وإن أوفَتْ براعتُهُ ... مترجماً عن جوًى ما بين أضلاعى
إذا سقَى اللهُ أجزاعاً على ظمأٍ ... فلا سقَى اللهُ هذا العامَ أجزاعى (٤)
ولا رَمَيْنَ على جَدْبٍ بأنديةٍ ... ولا صَبَبْنَ على مَحْلٍ بإمراعِ (٥)
إنّى مُقيمٌ على كُرهٍ بناحيةٍ ... غرثَى المسالك من طِيبٍ وإمتاعِ (٦)
فى معشرٍ ما لجَنانٍ منهمُ أدبٌ ... كهَجْمَةٍ مالها فى القاعِ من راعِ (٧)
كم حمّلونىَ ثِقلاً لا نهوضَ به ... وكلّفونىَ فعلاً غيرَ مُسطاعِ
بدّلْ بلادَك إمّا كنتَ كارهها ... داراً بدارٍ وأجراعاً بأجراعِ (٨)
كم ذا المقامُ على هُونٍ ومَهْضَمَةٍ ... وقارصٍ من يدِ الأقوامِ لذّاعِ ؟ (٩)
وأسهُمٍ من مقالٍ ما يحصّنُ مِن ... خدوشهنّ بجلدى نسجُ أدراعى

---

(١) الأزماع : جمع الزمع (بفتحتين) وهى شبه الرعدة تأخذ الإنسان .
(٢) الجلد : الصبور ، والأقضية : جمع القضاء وهو القدر ، والملتاع : المحترق من الحزن .
(٣) راع : أفزع ، والجنان (بفتح الجيم) : القلب .
(٤) الأجزاع : جمع الجزع (بكسر الجيم) وهو منعطف الوادى والمنعرف من الأرض فى جنبه طمأنينة .
(٥) الإمراع : الخصب .
(٦) غرثى : جائعة .
(٧) الهجمة من الإبل : أولها أربعون إلى مازادت ، أو ما بين السبعين إلى المئة أو إلى دونها ، والقاع : الأرض المستوية .
(٨) الأجراع : جمع الأجرع وهى الأرض ذات الحزونة ، أو جانب منها رمل والآخر حجارة .
(٩) الهون . الذل والاحتقار .

أأحملُ الضيمَ والبيــداءُ مُعْرِضَةٌ ... وفى قَرا النّابِ أقتادى وأنساعى؟[1]

ومِلْءُ كفّى طويلُ الباعِ معتدلٌ ... أو مِقبَضٌ لرقيقِ الحــدّ قطّاعِ

إنْ لم أُثِرْهنّ عن وادى الخنا عجِلًا ... فلا دعانى إلى يومِ الوغى داعِ[2]

لِمَنْ خَبَأْتُ إذا لم أنجُ عن سَعَــةٍ ... مافى النّجائبِ من حثٍّ وإيضاعِ[3]

إنْ لم يُنجّك سعىٌ عن مقرّ أذًى ... فيــالحا اللهُ ما يسعى له السّاعى

قالوا قنعتَ بدونِ النّصْفِ قلت لهمْ ... هيهات ما باختيارى كان إقناعى[4]

ما زال صرفُ الليــالى بى يطاولنى ... حتّى رخصتُ على عمدٍ لمبتــاعِ

خــيرٌ من الذلّ فى قصرٍ نمارِقُهُ ... مبثوثةٌ منزلٌ للعزّ فى قاعِ[5]

إنْ كنتَ حرًّا فلا تَدْنَسْ بذى طمعٍ ... ولا تَبِتْ بينَ آمالٍ وأطماعِ

ولا تَعُجْ بيســارٍ دونه مِنَنٌ ... تجنيه من كفّ إخضاعٍ وإضراعِ[6]

لا أشبعَ اللهُ مَن أُلهُوا وما علموا ... عن المعــالى بإرواءٍ وإشباعِ

غُرّوا بحبلٍ من السّرّاءِ مُنتَكِثٍ ... وبارقٍ من غِنَى الأيّامِ لمّاعِ

وكلّمــا طمِعوا فى النَّيلِ أو حذروا ... تطارحوا بين ضرّارٍ ونفّاعِ

حلفتُ بالبيت طافتْ حوله زُمَرٌ ... جاءوه أنضاءَ إعجــالٍ وإسراعِ[8]

(١) المعرضة : العريضة الممتدة طولا وعرضا ، والعرض يأتى بمعنى الاتساع ومنه قوله تعالى : « جنة عرضها السماوات والأرض » أى سعتها ، والقرا : الظهر ، والناب : الناقة المسنة وجمعها النيب ، والأقتاد : جمع القتد وهو خشب الرحل ، والأنساع : جمع النسع وهو سير من أدم عريض يشد به الرحل .

(٢) الخنا : الفحش .

(٣) النجائب : جمع النجيبة وهى السريعة من النوق ، والايضاع : الإسراع فى السير .

(٤) النصف (بالفتح) العدل والانصاف .

(٥) النمارق : جمع النمرقة وهى الوسادة ، والقاع : الأرض المستوية .

(٦) عاج بالمكان : أقام ، واليسار الغنى ، والإضراع : الذل والخضوع .

(٧) السراء : السرور ، والمنتكث : الرث الركيك .

(٨) أنضاء : متعبين مرهقين ، يقال نضته الأسفار إذا أجهدته ونضا الفرس الخيل : سبقها .

و بالمُحَصَّبِ حطَّ المُحْرِمونَ به والبُدْنُ ما بين إلقاء و إضجاعِ (١)
ومَن «بجَمْعٍ» وقد ألقى الكلالُ بهمْ هنـاك أجسادَ طُلّاحٍ وضُلّاعِ (٢)
والقومُ فى عرفاتٍ يُرسلون إلى نحو الجرائرِ منهم دعوةَ الدّاعى (٣)
لأُمْطِرَنَّ على الآفاقِ عن كَثَبٍ من عارضٍ بدمِ الأجوافِ لمّاعِ (٤)
بكلِّ نَدْبٍ عن العَوْراءِ منقبضٍ نزاهةً وعلى الأهوالِ طَلّاعِ (٥)
يهوى إلى الذِّكرِ ولّاجاً مخارِمَه هوِىَّ نجمٍ من الخضراء مُنصاعِ (٦)
قلْ للعِدا قد مضى رفقى بهمْ زمناً فحاذروا الآن غِبَّ الحكم إيقاعى
لم تشكروا من نسيمى ما هببتُ به وليس بعد نسيمى غيرُ زَعزاعِ (٧)
أبَعدَ حىٍّ على الجَرْعاء كنتُ به ملآنَ من دافعٍ سوءًا ومنّاعِ (٨)
عُمْىٌ عن الفحش صُمٌّ عن مقالتهمْ على ثواقب أبصـارٍ وأسماعِ
طاروا فطالتْ بهمْ كفّى إلى وَطَرى ونال مالم ينـله قبله باعى
أُمْنى بمن ليس من عِدٍّ ولا ثَمَدى ولا يكيل بمُدّى لا ولا صاعى (٩)

---

(١) المحصب : موضع بمنى ، والبدن : جمع بدنة (بالتحريك) : من الإبل والبقر ما يهدى إلى الحرم سميت كذلك لأنها تسمن .

(٢) جمع (بلالام) : المزدلفة بمنى ، والكلال : التعب : والطلاح : جمع الطليح ، ويطلق على البعير أو الناقة المهزولة المجهدة من السفر ، والضلاع : جمع الضالع وهو الذى يغمز الأرض بمشيته كالأعرج أو هو .

(٣) الجرائر جمع الجريرة وهى الذنب .

(٤) الكثب : القرب، والعارض : السحاب المعترض .

(٥) الندب : السيد الغيور والشجاع الخفيف ، والعوراء : المنقصة ، وطلاع أهوال : ركوب صعاب كطلاع الثنايا .

(٦) الذكر : العلاء والشرف ، والولاج : الدخال ، والمخارم: أفواه الفجاج والطرق فى الجبال، والخضراء : السماء ، والمنصاع : المتفرق .

(٧) الزعزاع : الريح الشديدة الهوجاء .

(٨) الجرعاء : الرملة المستوية وقيل الكثيب .

(٩) أمنى . أبتلى ، والعد (بكسر العين) : الماء الكثير ، والثمد : الماء القليل ، والمد : مكيال ، والصاع : كذلك .

لولا احتقاريَ فيه أن أعاقبه أطرْتُهُ بين تيّارى ودفّاعى
حتّى متى أنتَ يادهرى تُسابقنى بعاثرٍ وتساميني بدَعْدَاعِ ؟ (١)
من كلّ عارٍ من المعروفِ منكبُهُ هاعٍ إذا غِرْتَ فى تفتيشه لاعِ (٢)
أستودعُ اللهَ مَنْ شطّ الفراقُ به عنى ولم يقضِ تسليمى وتَوْداعى (٣)
لولا المصيبة فيه ما اهتدتْ أبداً هذى الخطوبُ لإحزانى و إجزاعى
تقول مِن بعده عيني وقد أرِقَتْ : ياقومُ أين مضى غُمضى وتَهجاعى ؟
يانفسُ إمّا مَقيلٌ رأسَ شاهقةٍ أو قَعْصَةٌ بالعوالى فوق جَعْجَاعِ (٤)
خافى ملاماً بلا عذرٍ لصاحبهِ ولا تخافى الذى ينعى به النّاعى
فإنّما المرء فى الأيّامِ مُحتَبَسٌ على الرّدى بين أطباقٍ وأنساعِ (٥)

* * *

(١) الدعداع : العاثر أو كثير العثار ، ودعدع ، كلمة تقال للعاثر دعاء له أى قم وانتعش .
(٢) الهاع : الجزوع وأصلها هائع ، واللاع : أصلها لائع وهو الضعيف؛ ويقال رجل هاع لاع : أى جبان ضعيف .
(٣) شط : بعد .
(٤) قعصة : ضربة أو طعنة مميتة، والعوالى : الرماح ، والجعجاع : ذو الجعجعة وهى الصوت .
(٥) الأطباق : جمع الطبق وهو غطاء كل شيء لازم عليه ، والأنساع : جمع النسع وهو سير من جلد عريض يشد به الرحل .

باب العين المسكنة

قال فى معنى العتاب :

عمدتَ إليَّ فآيستني فأخرجتني من إسار الطَّمَعْ (١)
فكنتُ كسَيْفٍ جُلَنْدِيَةٍ فزال ولم يدرِ عنه الطَّبَعْ (٢)
وسيّانِ ذلك من شيمتى أأعطى جوادٌ لها أمْ مَنَعْ
ولم أدرِ أنّك ممّا يضرّ إذا لم تكنْ لِيَ ممّن نَفَعْ

---

(١) الإسار : القيد .

(٢) السيف الجلندى : نسبة إلى جلنداء ملك عمان ، والطبع (بالتحريك) : الوسخ الشديد من الصدأ .

قافية الغين

باب الغين المضمومة

قال رضى الله عنه ـ فى النسيب :

أقول لهـــا لمّا ألتقينا على مِنًى ... وأبرزها ذاك الخمـــارُ المُصبَّغُ
وأبدَتْ صدوداً لم يكن عادةً لهـــا ... وقد يتجنّى فى الهوَى المتمرّغُ (١)
لقـــد خان مَن أدّى المحالَ إليكُمُ ... ومان علينا فى المقـــال المبلِّغُ (٢)
شُغلنـــا وأنتمْ فارغون ولم يَعُجْ ... على ذى اشتغـــالٍ دَهرُه المتفرّغُ
كأنّيَ أشكو الحبَّ شكوى مُجَمْجِمٍ ... فتًى ضلَّ عن وادى البلاغة ألثغُ (٣)

* * *

وقال فيه أيضا :

فؤادِيَ مشغولٌ بك العمرَ كلَّه ... وأنتَ كما يهوى الخليُّون فارغُ
وإنْ أكُ فى دار الهوى وسْطَ عَقْرِها ... فإنّك عن دار الصّبابةِ رائغُ (٤)
تباعدتَ عنّى بعد أن [قد] مَلَـكْتَنِي ... فألّا ولم تبلغْ بقلبى المبالغُ ؟ (٥)
خُلِقتَ بقلبٍ لم تجزْ فيه صَبوَةٌ ... وقد صاغ قلبى للصّبابة صائغُ

* * *

(١) المتمرغ : المتقلب فى الرذائل أو النعيم .
(٢) مان : كذب من المين وهو الـكذب .
(٣) المجمجم : الـكاتم كمن يخفى شيئاً فى صدره ولا ينطق به ، والألثغ : ظاهر اللثغة وهى تحول اللسان من حرف إلى حرف كقلب الراء غيناً أوياء والسين ثاء قال الشاعر مستملحا :

وشادنٍ قلتُ له ما اسمُـكَا ... فقال بالأُلْثغَةِ عبّاثُ
فصرتُ من لُثغَتِهِ ألثغًا ... فقلتُ أين الـكاثُ والطّاثُ

(٤) العقر (بضم العين أوفتحها مع تسكين القاف) : من الدار أو غيرها وسطها وأصلها ، والعقر بالفتح أيضاً القصر والبناء المرتفع ، والرائغ : المائل .
(٥) [قد] من إضافاتنا الضرورية وقد سقطت من الأصل .

باب الغين المفتوحة

قال فى النسيب أيضاً :

لا رعَى اللهُ مَن إلى   قول واشٍ لنا صغَى
كلَّ يومٍ يطغَى وبظـ   ـلمُ من لم يكن طغَى
وإذا أقلقَ الجوا   نحَ شُغــلٌ تفرّغا
قد أطعتمْ وما أطعْـ   ـتُ نَموماً مبلّغــا
أنا منكمْ من بعد بذْ   لِ عهـــدناهُ فى وغى
حاشاَ للهِ أنْ أكا   فِىءَ بالبغى مَن بغى
لنْ ترانى وإنْ لُدغـ   ـتُ بسوء مُـــلدِّغا
وعتابى بالصّفح عمّـــ   ـن جنى كان أبلغا

* * *

باب الغين المكسورة

قال فى النسيب كذلك :

لعَمْرُكَ ما أوْرَى الذى بِى و إنّمــا بُلينا على شغلِ القلوب بفارِغِ [1]
و يبلغ « مِنّى » ما يشاء من الهوٰى وما أنا شيئاً من هواى ببالغِ [2]
يُراوِغنِي عن وصلِهِ طولَ عمرهِ وأين أنتفاعٌ بالخدوعِ المراوِغِ ؟
و يقلبُ جنبيَّ الهوٰى كلَّ ليلةٍ على جَمَراتٍ أو حُماتٍ لوادِغِ [3]

---

(١) أورى : أو قد ،والزند : أخرج ناره .
(٢) فى الأصل « منا » بدل « منى » إذ المتكلم مفرد .
(٣) حمات : جمع حمة وهى الإبرة للعقرب والحية وغيرها

قافيَة الفاء

باب الفاء المضمومة

قال وقد سأله بعض أصحابه عملها فى غرضه له :

عجبتُ لقلبي كيف يصبو ويَكلَفُ ... وبُرْدُ شبابي بالمشيب مُفوَّفُ ؟ (١)
أحِنُّ إلى مَن لا يَحِنُّ وليتَه ... « لِمَنْ كان محنوناً محبّيهِ » يعرفُ (٢)
يباعدنى عن كلّ ما كنتُ أرتجى ... ويوسعني من كلّ ما أتخوّفُ
ويَمطُلُني بالوعد منه وإنّما ... يماطل بالميعاد مَن ليس يُخلِفُ
ويُصبح منّى ساكنَ القلب والحشا ... وفى كلّ يومٍ منه قلبيَ يَرجُفُ
وقد كنتُ أغربتُ الهوى يوم « غرّبوا » ... فعاد به « داعٍ » على الغُصنِ يهتفُ (٣)
ينوح وقلبي للهوى دون قلبه ... وعينيَ دمعاً دون عينيه تذرفُ
ألا قاتل اللهُ الهوى فطِلابُهُ ... متاعٌ من الدّنيا قليلٌ وزُخرُفُ
يروم الرّضا مَن لايدوم على الرّضا ... ويطلب فيه النّصْفَ مَن ليس يُنْصِفُ (٤)
أقول لمرتاحٍ إلى الفضلِ والعُلا ... يخُبُّ على ظهرِ المطيِّ ويوجِفُ : (٥)
أنخْ فى ذُرا الشيخ الرئيس فإنّما ... إلى مثله فى المجد كنتَ تَشَوَّفُ (٦)
إلى الغَمْرِ معروفاً وعلماً وسُؤْدُداً ... وبأساً إذا هاب الرّجالُ ووقّفوا (٧)

---

(١) يكلف : يولع ويلهج ، والكلف : الحب المفرط ، والبرد المفوف : الذى فيه خطوط بيض وهو تشبيه لوخطات الشيب فى سواد الشعر .

(٢) فى (س) « ممنوناً » بدل « محنونا » وفى « س » « يحبيه » بدل « محبيه » تصحيف.

(٣) غربوا : ارتحلوا وفى (ش) « غرب » ، وفى (هـ) « جاع » بدل « داع » محرفة .

(٤) النصف : العدل والإنصاف .

(٥) يخب : يعدو ، والخبب : ضرب من السير السريع ، ويوجف : يمشى الوجيف وهو والعنق « بالتحريك » ضربان من السير الفسيح .

(٦) تشوف : تتشوف ، والتشوف : الطموح بالبصر والنظر من محل مشرف عال .

(٧) الغمر : معظم البحر ، والكثير .

حلفتُ بمـــا افَ الحطيمُ وزَمْزَمٌ ... وما ضَمّهُ خَيفَـــا مِنًى والمُعرّفُ
وشُعثٍ أتَوْا عارِين من كلِّ « لُبْسَةٍ » ... فعاذوا بأركان الإلهِ وطوّفوا (١)
لَهَنُّـكَ أوْلانا بكلِّ فضيــــلةٍ ... وأعشقُ للمعروف فينـــا وأشعفُ (٢)
وأنك لمّـا أنْ جرَى النّـاسُ فى مَدًى ... « تُدُقّيتَ » فيه سابقـاً وتخلّفوا! (٣)
فيا أيّهـا القَرْمُ الرّئيسُ ومَن له ... على«قِمّةِ » النّسْرَيْنِ فىالعزِّ موقفُ(٤)
ليُهْنِكَ أنّ اللهَ « فَوّقَكَ » العِـدا ... وقد طالعوا فيك الرّجاء وأشرفوا (٥)
وعاد إليهمْ « ناكيـاً » فى جلودهمْ ... من الـكيد ماحدّوا ظُباه وأرهفوا (٦)
ولم يغنهمْ ـ واللهُ حِصنُـك منهُمُ ـ ... من القـــولِ زورٌ لفقوه وحرّفوا
وودّوا وقد طاشتْ إليـك سهامهمْ ... بأنّهُمُ لم يفعـــلوا ما تـكلّفوا (٧)
ألا فاغفر الأجرامَ رِفقًا بأهلها ... فلَلْعفو أولى بالـكرامِ وأشرفُ
وحتّى يقولَ النّـاسُ أسرف مُفضِلًا ... عليهمْ كما قالوا أساءوا فأسرفوا
فللهِ ما تُفضِى وأصبح آمنًا ... غـــداً مَن تراه يومَه يتخوّفُ
فلم يُعطَ مكنونَ الضّمائر بيننـا ... من النّـاس إلّا المُنعِمُ المتـــألّفُ
وأمّا أبوسفيان فاشددْ به يداً ... ففى الـكفّ منه إن تأمّلتَ مُرهَفُ

---

(١) اللبسة : الشبهة ، وفى (س) « لبة » مصحفة .

(٢) الهن : الشيء والمقصود هنا لشخصك أو لذاتك كما يقال الرجل ياهن أقبل أى ياشخص ، والأشعف : الأشوق والأحب .

(٣) فى (س) « ترقيت » بدل « تلقيت » .

(٤) القرم : الشجاع ، والنسران : كوكبان أحدهما يسمى النسر الطائر والآخر النسر الواقع ، وفى (س) « قنة » بدل « قمة » والقنة (بضم القاف) : أعلى الجبل .

(٥) فوقك : أى جعلك فوقهم ، وفى (هـ) « قوتك » وفى (ش) « فوتك » والكل ليس بشيء .

(٦) ناكياً : مصيباً وقاتلا ، وفى (س) ناكثا مصحفة ، والظبا:حد السيف ونحوه ، وأرهفوا: رققوا حده .

(٧) طاشت : مالت عن الهدف أى لم تصب .

أليس الّذى واساك ودًّا بنفسه ... ولم يَثْنِه عنك العدوُّ المخوِّفُ

ولمّا تعسّفْتَ الطّريقَ وجدتَه ... وراءك « منقدًا » من النّاس يَعْسِفُ[1]

ومثلُك من يولِى الحقوقَ « رعايةً » ... وغيرُك لا يَرعَى ولا يتعطّفُ[2]

وأنّى ممّنْ لايواليك رغبةً ... «وأين» من الرغبات من ليس يُنْطَفُ[3]

وقد كنت لولا أنّ فضلك باهرٌ ... أَصُدُّ إذا ماسِيمَ مدحى وأصدِفُ[4]

فدونك نَظْماً ما تكلّف ناظمٌ ... معانِيَهُ والحقُّ لا يُتَكَلَّفُ

* * *

وقال وكتب بها إلى الشريف أبى الحسين أحمد بن الحسن الناصر خاله يعزيه عن بنت له توفيت، وهى من أوائل قوله :

أبَى الزّمانُ سوى ما يكره الشّرفُ ... والدّهرُ صَبٌّ بإسخاطِ العُلا كَلِفُ[5]

لو كان شخصٌ تفوت الحزنَ مهجتُهُ ... لكنتَ ذاك، ولكنْ ليس تنتصفُ

إذا بَقِيتَ فمن يعدوك مُحتَسَبٌ ... فى الشّمسِ ما أشرقت عن كوكبٍ خَلَفُ

إذا تيقّنَتِ الأرواحُ بِعَذْبَتِها ... إلى الحِمامِ فماذا ينفع الأسفُ ؟

وكيف تُخطِى سهامُ الموت « مُفْلِتَةً » ... مَنْ نَحرُهُمْ لحنيّاتِ الرّدَى هدفُ؟[6]

يسعى الفتى وخيولُ الموت تطلبه ... وإنْ نوى وقفةً فالموتُ ما يقفُ

نَلقَى من الدّهر ما يُدمِى محاجِرَنا ... ومالنا عن هوَى رؤياه مُنْصَرَفُ

---

(١) تعسف الطريق: تجشمه وخبطه على غير هدى ، ومنقداً : مشقوقاً ومقطوعاً، وفى (ه) «منقذا» .

(٢) فى (ه) « وعاية » بدل « رعاية » تصحيف .

(٣) فى (ه) « وأنى » بدل « وأين » ، وينطف : يعاب .

(٤) أصدف : أعرض وأميل .

(٥) الكلف : المفرط فى الحب .

(٦) فى (ه) « من مقتل » فى موضع « مفلتة » محرفة .

أفعالُنا للرَّزايا فيه مُنكرةٌ ونطقُنا بارتحالٍ عنه معترفُ
« إنْ لم توفَّ » لياليه مكارمَها فقد تقدَّم فى أرزائها سَلَفُ[1]
كلُّ المواطن من كفِّ الرَّدى كَثَبٌ وكلُّ أرضٍ على هول الرَّدى شَرَفُ[2]
لا دَرَّ دَرُّ اللَّيالِي أخذُها فُرَصٌ ومنعُها غُصَصٌ بل جودها سَرَفُ
إذا حزنتَ فقلبُ المجد مكتئبٌ وإنْ قَذِيتَ ففى وجه الضُّحى سَدَفُ[3]
ولو علمتَ ببسطِ الدَّهرِ قبضتَهُ إلى فِنائك ما طالتْ له كَتِفُ[4]
لكنَّه سارقٌ يُخفِي زيارتَه وليس من سطوةِ السُّرَّاقِ مُنتَصَفُ
إنْ كان أطلق فيك الدَّهرُ منطقَه فقد دعاك لسانٌ حشوُهُ كَنَفُ[5]
أو كان أَلْهبَ فى مَغناك « سابقَهُ » فقد ثناه برجلٍ ملؤُها حَنَفُ[6]
يُهدِى العزاء إلى المفقودِ مُفتَقِدٌ مؤزَّرٌ بثيابِ الموتِ مُلتحفُ
ويصرف الهمَّ عن قلبٍ أطاف به مَن قلبُهُ لنواصى الهمّ مكتنفُ
إنَّ التى « أضرمتْ » أحشاءنا جزَعاً تلقاك منها غداً فى الجنَّةِ الزُّلَفُ[7]
ولن يُذكِّرك المُسلون موعظةً وأنت تعلم منها فوقَ ما وصفوا

* * *

---

(١) فى (هـ) « إن تك وفت » فى موضع « إن لم توف » .

(٢) الكثب : القرب ، والشرف : الإشفاء على الخطر يقال هو على شرف من الهلاك أى مشرف عليه ومقارب له .

(٣) مكتئب: حزين ، وقذيت: من القذى وهو مايدخل فى العين من قش وغيره ، والسدف: الظلمة.

(٤) الفناء (بالكسر) : الساحة .

(٥) الكنف : طلب السائل بكفه .

(٦) المغنى : المنزل ، والسابق : أول خيل الحلبة ، وألهب سابقه : جعله يعدو بشدة حتى يثير اللهب ، والحنف فى الرجل : الاعوجاج وهو إقبال القدم على الأخرى بإبهامها .

(٧) فى (هـ) « أظريت » محرفة عن « أضرمت » ، والزلف : جمع الزلفة وهى القربة والمنزلة.

وقال فى الافتخار :

لنا من ثنـــاياكِ الغريضُ المُرَشَّفُ ... وفى الدِّرعِ غضُّ البانةِ المتعطّفُ (١)
وأنتِ وإنْ لم نلق عنـــدكِ راحةً ... أحبُّ إلينا من سواكِ وأشغفُ
وسوّفتِنا بالوصلِ منك وربّمـــا ... قضى دون وصلٍ لم ينله المسوّفُ
وما الحبُّ إلّا ذلّةٌ وطاعـــةٌ ... جناها عليــه فائلُ الرأى مُسرِفُ (٢)
ولولا الهوى ما ذلّ ذو خُنْزُوانةٍ ... ولا كان من لا يعرف الضَّعفَ يضعفُ (٣)
ولمّا لحقنـــا بالحمول عشيّةً ... وفيهنّ مودودُ الشّمائلِ أهيَفُ (٤)
مشى فى حيازيمِ الغرام كأنّمـــا ... مشتْ فىَّ حمراء الغلائلِ قَرْقَفُ (٥)
وما كان عنـــدى أنّ قلبى بصيده ... بمقلتـــه ذاكَ الغزالُ المُشَنَّفُ (٦)
ضعيفٌ ولـكنّ الذى فى فؤاده ... بلابلُ من وَجْدٍ به منـــه أضعفُ
فيـــا دارَهمْ سقّاكِ مِن شَعَفٍ بهمْ ... سِجالًا من النَّوْءِ السِّماكينِ أوْطَفُ (٧)

---

(١) الغريض : ماء المطر ، والمرشف : المأخوذ قليلا قليلا ، والدرع هنا : ثوب تلبسه المرأة فى بيتها ، والمتعطف : المنثنى .

(٢) فائل الرأى : ضعيفه ومخطئه .

(٣) الخنزوانة : الكبر .

(٤) الأهيف : الرشيق والدقيق الخصر .

(٥) الحيزوم : وسط الصدر ، والغلائل : جمع غلالة وهى شعار يلبس تحت الثوب ، والقرقف : من أسماء الخمر .

(٦) المشنف : الذى علق بأذنه الشنف وهو كالقرط يعلق بأعلى الإذن .

(٧) الشعف : كالشغف وزنا ومعنى ، وشعفه الحب أمرضه ، والسجال . جمع السجل وهو الدلو العظيمة مملوءة ، والنوء : طلوع نجم يشعر بنزول المطر ، والسماكان : نجمان أحدهما يسمى السماك الرامح والآخر السماك الأعزل ، والأوطف من السحاب : المتدلى الكثير المطر .

إذا لاح منـــــه أسحمٌ متهدّلٌ تقول المطايا بالحــــدوج ترجّفُ (١)
ولا زال منـــــه بارقٌ متلهّبٌ عليك وإلّا راعـــدٌ متقصّفُ (٢)
إلى أنْ يؤوب الرّوضُ فيك كأنّه نجومُ سماء أو رداء مُفوّفُ (٣)
وأذكرني نجداً على شحْطِ نأيهـــا ونحن بأرض الغوْرِ نكباء حرْجفُ (٤)
تهبُّ برَيّا مَن أودُّ لقـــاءه ومِن دونه سَهْبٌ عريضٌ ونفنفُ (٥)
أيفخرُ قومٌ ما لهمْ مثـــلُ مفخرى وأين من النّهْجِ القويمِ التعسُّفُ (٦)
ولى فوق أسماكِ المجرّةِ منزلٌ وفى موقف الزُّهرِ الكواكبِ موقفُ
وقومى الألى لمّــا توقّف معشرٌ عن الذِّرْوَةِ العَليـــاء لمْ يتوقّفوا
كرامٌ متى سيموا الدّنيّـــةَ يَعزِفُوا وإنْ شهدوا نجْوَى العَضيهةِ يَصدِفوا (٧)
وإنْ ركبوا ظهراً من الفخر أردفوا وإنْ طلبوا شيئاً من الذّكرِ ألحفوا (٨)
وما فيهمُ إلّا الذى يشهد الوغى فيُحيي بهـــا من ذا يشاء ويُتْلِفُ
وإنْ أنْهَبَ الأموالَ جودُ أكفّهمْ أفاءوا بأطرافِ الرّماح وأخلفوا (٩)
فلا عيبَ إلّا ما ادّعاه عـــدوُّهمْ وما قال فيهمْ حاسدٌ مُتشَنّفُ (١٠)
إذا سحبوا البُرْدَ اليمـــانىَّ وارتدوا وأرخَوْا مُلاءً للقناعِ وأغـــدفوا (١١)

---

(١) الأسحم : الأسود ، والحدوج : الهوادج .
(٢) الراعد : ذو الرعد ، والمتقصف : القاصف ذو الصوت الشديد .
(٣) يؤوب : يرجع ، والمفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول .
(٤) الشحط : البعد ، والنأى : كذلك ، والنكباء : الريح التى تهب منحرفة عن مهاب الرياح ، والحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
(٥) الريا : الرائحة الطيبة ، والسهب : الفلاة ، والنفنف : المهوى بين جبلين .
(٦) التعسف : الجور والميل عن طريق القصد .
(٧) يعزفوا : ينصرفوا ، والعضيهة : البهتان ، ويصدفوا : يميلوا وينحرفوا .
(٨) أردفوا : أركبوا خلفهم ومعناها تقدموا وسبقوا ، وألحفوا : ألحوا .
(٩) أفاءوا : أرجعوا واستردوا ، والفيء ، أصابوه .
(١٠) المتشنف الرافع طرفه إلى الشيء كالمتعجب منه أو الكاره له .
(١١) الملاء : جمع الملاءة وهى الإزار ، والقناع : الخمار ، وأغدفوا : سدلوا .

وفاحوا فأخزَوْا نَشْرَ كلِّ لَطِيمةٍ ذَكا، وعَرْفُ الفاطميّين يُعرَفُ (١)
رأيتَ رجالًا كالليوثِ وفِتْيَةً كما سام ذلك الزّاجرُ المتعيِّفُ (٢)
بهاليلَ وهّابين كلَّ نفيسةٍ إذا ضنَّ بالنَّيْلِ البخيلُ المُطَفِّفُ (٣)
تراهمْ على قَصْدٍ فإن هتف النَّدَى بأموالهمْ أعطَوْا كثيراً وأسرفوا
لنا فى قريشٍ كلّما لِتَبيِّهمْ ومن بينهمْ ذاكَ السّتارُ المُسَجَّفُ (٤)
فإنْ مسحوا أركانه فبذكرنا ويدعو بنا إنْ طوّف المتطوِّفُ
ونحن نصرناهْ بأُحْدٍ وخَيْبَرٍ وقد فرّ عنه ناصروه فأُرجفوا (٥)
ونحن فديناه الرّدَى فى فراشهِ وللموتِ إرْقالٌ إليه وتَجرُّفُ (٦)
وآثرنا دون الأنامِ بصِهْرِهِ وقد ذِيدَ عنه الطّالبُ المُتَشَوِّفُ (٧)
وأسكننا يومَ العباءةِ وَسْطَها والبابُ من لم يُعطَ ذاكَ تَرَجَّفُ (٨)

* * *

---

(١) النشر : الرائحة الطيبة ، واللطيمة : العنبرة لطمت بالمسك ، والذكاء : سطوع الرائحة ، والعرف : مطلق الرائحة .

(٢) الزاجر : الذى يتيمن بسنوح الطير ويتشاءم ببروحها ، والتعيف : كالزجر .

(٣) بهاليل : جمع بهلول (بضم الباء)، وهو السيد الجامع لكل خير ، وضن : بخل ، والمطفف: المقلل الباخس للكيل .

(٤) المسجف : المسدول .

(٥) أرجفوا (على المجهول) : زلزلوا .

(٦) الإرقال : الإسراع ، والمجرف والمجرفة : الإقدام فى هوج .

(٧) ذيد عن الشىء : أبعد عنه وطرد ، والمتشوف: الناظر من عل لشىء والطامح ببصره نحوه.

(٨) الألباب : العقول ، يشير المرتضى بهذه الأبيات ويفخر بها لأجداده على بن أبى طالب وأبنائه الكرام من جهاد ومآثر فى سبيل نصرة الدين وشد أزر الإسلام ، على الصادع به وأهل بيته وأصحابه أفضل التحيات وأجل السلام .

وقال فى غرض له :

رمانِىَ بالداء الّذى فيـــه وانثنىٰ ... يَتَعَجَّبُ مِمّا جرّه وهو قارفُ (١)
وهيّجنِى بَغْياً لنحتِ « صَفَـاتِهِ » ... وكم سَقَمٍ بَرْحٍ تَهِيجُ القوارفُ (٢)
وهبّتْ له ريحٌ فطِنَّ بقـــاءها ... وهيهات أنْ تبقى صَبًا ورفارفُ ! (٣)

✡ ✡ ✡

وقال فى الطيف (٤) :

نأيْنا فمِن دون اللّقـــــاء تنائفُ ... وسَهْبٌ عنيفٌ بالمطايا ونَفْنَفُ (٥)
فلا وَصْلَ إلّا ما تقرِّبُ بيننـــــا ... أكاذيبُ من أحلامنـا وتؤلّفُ
فلله فى جُنحِ الدُّجُنَّةِ عائجٌ ... تصيّدنى بالحبّ فيما يطوِّفُ (٦)
يخيلُ علينـــــا والنّهارُ شِعارُنا ... وفى الليلِ مُنْهَلُ العطيّةِ مُسْرِفُ (٧)
وأغنى وما أغنـــاك إلّا تَعِلَّةٌ ... وِصالٌ مُحالٌ أو لقـاءٌ مُزَخْرَفُ

✡ ✡ ✡

---

(١) القارف : المذنب .

(٢) الصفات (بكسر الصاد) : معلومة ، والصفاة (بفتحها) : الصخرة ، ونحت صفاته كما يقال غمز قناته : أى طعن فى عرضه أو حسبه ، وفى الأصل « صبأته » محرفة عما أثبتناه ، والبرح : الشديد المؤذى ، والقوارف : جمع القارف وهو الذى يزيل قشرة الشيء كالقرحة اليابسة وتطلق مجازاً على العائب .

(٣) الصبا (بالفتح) : ريح مهبها مطلع الشمس وعكسها الدبور ، والرفارف : جمع الرفرف ويطلق على معان كثيرة منها الثياب الرقيقة وما تهدل من أغصان الأيكة والخيمة وغير ذلك .

(٤) ورد فى « طيف الخيال » صدر مطلعها (ص ١٠١) وجاء فيه « نأيا » تحريف « نأينا » .

(٥) نأينا : بعدنا ، والتنائف : جمع التنوفة وهى المفازة ، والسهب (بالفتح) : الفلاة ، (وبالضم) المستوى البعيد من الأرض ، والنفنف : المهوى بين جبلين .

(٦) الدجنة : الظلمة ، وجنحها : قطعة منها ، والعائج بالمكان : المقيم فيه والمنعطف عليه ، ويطوف : يكثر التطواف .

(٧) الشعار : أصله الثوب الذى يلى البدن ، والمنهل : المنصب .

وقال يرثي جده الحسين عليه السلام ويذكر آل حرب :

خــذوا من جفوني ماءها فهي ذُرَّفُ   فما « لـكُمُ » إلّا الجوى والتّلهّفُ (١)
وإنْ أنتما أستوقفتما عن مَسيلهـــا   غُروبَ مآقينا فمـا هنّ وُقّفُ (٢)
كأنّ عيوناً كنّ زَوْراً عن البكا   غصونٌ مَطيراتُ الذُّرافهي وُكّفُ (٣)
دعا العَذْلَ والتّعنيفَ في الحزن والأسى   فمـــا هجر الأحزانَ إلّا المعنّفُ
تقولون لي صبراً جميـــلاً وليس لي   على الصّبرِ إلّا حسرةٌ وتَلَهُّفُ
وكيف أُطيقُ الصّبرَ والحزنُ كلّما   عَنُفْتُ به يقوى عليَّ وأضعُفُ (٤)
ذكرتُ بيومِ الطّفِّ أوتاد أرضِهِ   تهبُّ بهم للموت نكباءُ حَرْجَفُ (٥)
كرامٌ سُقوا ماءَ الخديعةِ وارْتَوَوْا   وسيقوا إلى الموت الزُّؤام فأوجفوا (٦)
فكم مُرْهَفٍ فيهمْ ألمّ بحـــدِّه   هنالك مسنونُ الغِرارين مُرْهَفُ (٧)
ومعتــدلٍ مثل القنـــاةِ مثقّفٍ   لواه إلى الموتِ الطويلُ المثقّفُ (٨)
قضَوْا بعد أن قضّوا مُنًى من عـدوّهمْ   ولم ينكـلوا يوم الطّعـانِ ويضعفوا
وراحوا كما شاءتْ لهمْ أرْيَحيّةٌ   ودَوْحـةُ عزٍّ فرعُهـــا متعطّفُ (٩)

---

(١) الذرف : سائلة الدمع ، والجوى : الحزن الشديد وفي الأصل « لـكما » بدل « لـكم » .
(٢) الغروب : جمع الغرب وهو انهمال الدمع من العين .
(٣) زوراً : عوجاً وميلا ، ومطيرات : ممطورات . والوكف : الماطرات من الوكيف وهو القطر .
(٤) عنفت : لمت من التعنيف وهو اللوم .
(٥) يوم الطف : يوم مقتل الحسين بن علي عليهما السلام في كربلا والطف : شاطىء النهر وتطلق على أرض كربلاء المشرفة بدماء الشهداء صلوات الله عليهم ، والنكباء الريح تهب منحرفة ، والحرجف : الريح الباردة الشديدة .
(٦) أوجفوا : جدوا في السير .
(٧) الغرار : حد السيف ، والمرهف : رقيق الحد .
(٨) القناة : الرمح ، والمثقف : المقوم ، والرمح نفسه .
(٩) الأريحية : الشهامة وسعة الخلق ، والدوحة : الشجرة ، والفرع : الغصن ، والمتعطف : المتهدل .

فإنْ ترهمْ في القاعِ نثراً فشملهمْ ... بجنّاتِ عدْنٍ جامعٌ متألّفُ (١)
إذا ما ثنوا تلك الوسائدَ مُيَّلاً ... أُديرَتْ عليهم في الزّجاجةِ قرْقفُ (٢)
وأحواضُهم موْرودةٌ فعدوُّهمْ ... يُحَلّأُ وأصحابُ الولايةِ ترْشُفُ (٣)
فلو أنني شاهدتُهمْ أو شهِدْتُهمْ ... هنالك وأنيابُ المنيّةِ تصْرِفُ (٤)
لدافعتُ عنهمْ واهباً دونهمْ دمي ... ومن وهبَ النفسَ الكريمةَ مُنصِفُ
ولمْ يكُ يخلو من ضرابي وطعنتي ... حسامٌ ثليمٌ أو سِنانٌ مُقصَّفُ (٥)
فيا حاسديهمْ فضلَهمْ وهو باهرٌ ... وكم حسد الأقوامُ فضلاً وأسرفوا !
دعوا حَلَباتِ السَّبْقِ تمرح خيلُها ... وتغدو على مضمارها تتغطْرَفُ (٦)
ولا تزحفوا زَحْفَ الكسيرِ إلى العُلا ... فلن تلحقوا وللصِّلالِ «التّزَحّفُ» (٧)
وخلّوا التكاليفَ التي لا تُفيدكمْ ... فما يستوي طَبعٌ نبا وتكلُّفُ
فقد دام إلطاطٌ بهمْ في حقوقهمْ ... وأعوزَ إنصافٌ وطال تحيُّفُ (٨)
تناسيتمُ ما قال فيهمْ نبيُّكمْ ... كأنّ مقالاً قال فيهمْ مُحرَّفُ
فكم لرسول اللهِ في الطّفِّ من دمٍ ... يُراق ومن نفسٍ تُماتُ وتُتْلَفُ

---

(١) القاع المستوى من الأرض .

(٢) القرقف : الخمرة .

(٣) يحلأ : يطرد ويبعد وأصل الفعل يحلأ وسهلت الهمزة للخفة ، وأصحاب الولاية : يريد بهم أتباع وشيعة على بن أبي طالب عليه السلام الذين والوه وتابعوه وسموا بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه يوم غدير خم في حجة الوداع بجمع غفير من المهاجرين والأنصار وغيرهم « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه الخ . . . » ، وترشف : تشرب ، وفي ذلك إشارة إلى الحديث الوارد بحق على من كونه الساقي على حوض الكوثر في يوم المحشر .

(٤) تصرف : من الصريف وصريف الناب كصريف الباب أو صريرها كناية عن الهول والشدة .

(٥) مقصف : مكسر .

(٦) الحلبات : جمع الحلبة وهي الدفعة من الخيل في الرهان خاصة ، والمضمار : الموضع تضمر فيه الخيل أي تضعف بتدريبها على الجري كي يقل لحمها فيخف جسمها ، وتتغطرف : تختال .

(٧) الصلال : جمع الصل من الحيات ، والتزحف : الزحف ، وفي الأصل « التزجف » ولا موضع له .

(٨) الإلطاط : جحود الحق ، وأعوز : تعذر ، والتحيف : الميل عن الحق والجور .

ومن ولدٍ كالعين منه كرامةً يُقاد بأيدى النّاكثين ويُعسَفُ[1]

عزيزٌ عليه أن تُباع نساؤُهُ كما بيع قِطعٌ فى عُكاظَ وقَرطَفُ[2]

يُذَدْنَ عن الماء الرِّواءِ وتَرْتوى من الماءِ أجمالٌ لهمْ لا تُكَفْكَفُ[3]

فبالعيونِ جائراتٍ عن الهدى وبالقلوبِ ضِغنُها مُتَضعِّفُ[4]

لكمْ أم لهمْ بيتٌ بناه على التُقى وبيتٌ له ذاكَ السّتارُ المُسجَّفُ ؟[5]

به كلَّ يومٍ من قريشٍ وغيرها جهيرٌ مُلَبٍّ أو سريعٌ مطوِّفُ

إذا زارَهُ يوماً دَلوحٌ بذنبه مضى وهو عُريانُ الفِرا متكشِّفُ[6]

وزمزمُ والرُّكبُ الذى يمسحونه وأيمانُهمْ من رحمة الله تَنطِفُ[7]

ووادى مِنًى تُهدى إليه نحائرٌ تُكَبُّ على الأذقانِ قسراً فتُحْتَفُ[8]

وجَمْعٌ وما جمعٌ لمن ساف تُربَهُ ومن قبلِه يومُ الوقوفِ المُعرَّفُ[9]

وأنتمْ نصرتُمْ أم هُمُ يومَ خَيْبَرٍ نبيَّكُمُ حيث الأسنَّةُ تَرعُفُ ؟[10]

فررتمْ وما فرّوا وحِدتُمْ عن الرّدى وما عنه منهم حائدٌ مُتحرِّفُ

لحصنٌ مشيدٌ بالسّيوفِ مهدَّمٌ وبابٌ منيعٌ بالأنامل يُقذَفُ[11]

---

(١) النا كث : الناقض للعهد ، ويعسف : يظلم ويجار عليه .

(٢) القطع : البساط أو النمرقة ، وعكاظ : من أعظم أسواق العرب فى الجاهلية ، والقرطف : القطيفة.

(٣) يذدن : يبعدن .

(٤) الضغن : الحقد .

(٥) المسجف : المرسل أى المسدول .

(٦) الدلوح : المثقل .

(٧) تنطف : تقطر .

(٨) النحائر : جمع النحيرة أى المنحورة من النوق ، وتحتف : تهلك .

(٩) جمع (بلالام) : المزدلفة بمنى ، وساف : شم .

(١٠) ترعف : تسيل دما .

(١١) الأنامل : جمع الأنملة وهى رأس الأصبع وتطلق الأنامل على اليد من باب إطلاق الجزء على الكل ، يشير الناظم بهذا البيت إلى قلع الإمام علىّ لباب حصن خيبر بيده .

توقّفتمُ خوفَ الرّدى عن مواقفٍ   وما فيهمُ من خِيفةٍ يتوقّفُ

لهم دونكمْ فى يوم بَدْرٍ وبعدها   بيوم حُنَيْنٍ كلّما لا يُزَحْلَفُ (١)

فقل لبنِي حرْبٍ وإنْ كان بيننا   من النَّسَبِ الدّانى مَرائرُ تُحْصَفُ (٢)

أفى الحقّ أنّا مخرجوكم إلى الهدى   وأنتمْ بلا نهجٍ إلى الحقّ يُعْرَفُ ؟

وإنّا شَبَبْنا فى عِراصِ دياركمْ   ضياءً وليلُ الكفر فيهنّ مُسْدَفُ (٣)

وإنّ رفعناكمْ فأشرف منكمُ   بنا فوق هاماتِ الأعزّةِ مُشْرِفُ

وها أنتمْ ترموننا بجنادلٍ   لها سُحُبٌ ظلماؤها لا تَكشّفُ

لنا منكمُ فى كلّ يومٍ وليلةٍ   قتيلٌ صريعٌ أو شريدٌ مخوَّفُ

فخرتمْ بما ملّكتموه وإنّكمْ   سِمانٌ من الأموال إذْ نحن شُسَّفُ (٤)

وما الفخر ـ يامَنْ يجهل الفخر للفتى ـ   قميصٌ موَشّى أو رداءٌ مُفوَّفُ (٥)

وما فخرنا إلّا الذى هَبَطَتْ به الـ   ـملائك أو ما قد حوى منه مُصْحَفُ

يُقِرُّ به من لا يُطيق دفاعَه   ويعرفه فى القوم من يتعرّفُ

ولمّا ركبنا ما ركبنا من الذّرا   وليس لكمْ فى موضع الرِّدفِ مَرْدَفُ

تيقّنتمُ أنّا بما قد حويتمُ   أحقّ وأولى فى الأنامِ وأعرفُ

ولكنّ أمراً حاد عنه محصِّلٌ   وأهوى إليه خابطٌ متعسِّفُ (٦)

---

(١) يزحلف : يدفع .

(٢) المرائر : الحبال مفردها مريرة ، وتحصف : تفتل ، وبينهما حبل من النسب محصف أى قرابة ثابتة قوية .

(٣) العراص : جمع العرصة وهى الساحة بين الدور ليس فيها بناء ، والمسدف : المظلم .

(٤) الشسف : جمع الشاسف وهو الضامر الهزيل .

(٥) الموشى : المنقوش ، والمفوف : الذى فيه خيوط بيضاء على طوله .

(٦) المحصل : المميز العارف ، والمتعسف : الجائر العادل عن الحق .

وكم من عتيقٍ قد نبـا بيمينِـهِ   حسامٌ وكم قطَّ الضَّريبةَ مُقرِفُ[1]

فلا تركبوا أعوادَنا فركوبُهـا   لمن يركبُ اليومَ العَبوسَ فيوجِفُ[2]

ولا تسكنوا أوطانَنـا فعِراصُنـا   تميـلُ بكمْ شوقاً إلينا وترجِفُ

ولا تكشفوا ما بيننا من حقائدٍ   طواها الرِّجالُ الحازمون ولفَّفوا

وكونوا لنـا إمّا عدوًّا مجامِلاً   وإمّا صديقاً دهرَه يتلطَّفُ

فللخيرِ إنْ آثرتُمُ الخيرَ موضعٌ   وللشَّرِّ إنْ أحببتُمُ الشَّرَّ موقفُ

عكفنا على ماتعلمونَ من التُّقى   وأنتمْ على مايعلـمُ اللهُ عُكَّفُ

لكمْ كلُّ موقوذٍ بكِظَّةِ بَطنِهِ   وليس لنـا إلّا الهضيمُ المخفَّفُ[3]

إلى كمْ أُداري مَن أُداري من العِدا   وأهدُنُ قوماً بالجميـلِ وألطُفُ ؟

تلاعَبُ بي أيدي الرِّجالِ وليس لي   من الجورِ مُنجٍ لا ولا الظُّلمِ مُنصفُ

وحشو ضلوعي كلُّ نجلاءَ ثرَّةٍ   متى ألَّفوها أقسمَتْ لاتألَّفُ[4]

فظاهرها بادي السَّريرةِ فاغرٌ   وباطنها خاوي الدَّخيلةِ أجوفُ[5]

إذا قلتُ يوماً قد تلاءم جُرحُهـا   تحكَّكُ بالأيدي عليَّ وتَقرِفُ[6]

---

(١) العتيق : النجيب الكريم ، والمقرف : المتهم والمعيب .

(٢) الأعواد : جمع العود (بفتح العين) وهو الجمل المسن الذى جاوز البازل ، وربما يقصد بها أعواد المنابر ، ويوجف : يسرع من الوجيف وهو ضرب من السير السريع .

(٣) الموقوذ : المدنف الثقيل ، وكظة البطن : تخمتها ، يشير بهذا البيت إلى أن من بنى أمية من لا هم لهم إلا البطن فيصاب بالبطنة وهى التخمة ، وقد اشتهر عن معاوية بن أبى سفيان بأنه كان أكولاً حتى دعا عليه النبى (صلى الله عليه وسلم) بقوله « لا أشبع الله بطنه » قال الشاعر :

وصاحبٌ لى بطنُهُ كالهاوِيَهْ   كأنَّ فى أمعائه معاوِيَهْ

كما ذكر عن ابن عبد الملك سليمان بأنه كان يكنى بأبى الذبان لكثرة أكله ونتانة بخره ، والهضيم : الدقيق الخصر وخميص البطن .

(٤) النجلاء : الفوهاء الواسعة ، والثرة من الطعنات : كثيرة الدم ، وألفوها : جمعوها بمعنى سدوها .

(٥) الفاغر : المفتوح فاه ، والخاوى : الخالى ، والدخيلة : السر .

(٦) تقرف : تتقشر ، وقرف القرحة : أزال قشرتها اليابسة .

فكم ذا أُلاقِي منهمُ كلَّ رابحٍ — وما أنا إلّا أعزلُ الكفِّ أكشفُ
وكم أنا فيهمْ خاضعٌ ذو أستكانةٍ — كأنّي مابين الأصحاء مُدْنَفُ (١)
أُقادُ كأنّي بالزّمامِ مُجَلَّبٌ — بطىءُ الخطا عارى الأضالعِ أعجفُ (٢)
وأرسُفُ فى قيدٍ من الحزمِ عنوةً — ومن ذِيدَ عن بسط الخطا فهو يَرسُفُ (٣)
ويَلصَقُ بى من ليس يدرى كَلالةً — وأحْسَبُ مضعوفاً وغيرى المضعَّفُ (٤)
وعُدنا بما مِنّا عيونٌ كثيرةٌ — شُخوصٌ إلى إدراكه ليس تَطرِفُ (٥)
وقيل لنا حان المَدا فتوكّفوا — فيا حُجَجاً للهِ طال التَّوَكُّفُ (٦)
فَحَاشَا لنا من رِيبةٍ بمقالِكمْ — وحاشا لكمْ من أن تقولوا فتُخلِفوا
ولم أخشَ إلّا من معاجلةِ الرّدى — فأُصرفُ عن ذاكَ الزّمان وأُصدَفُ (٧)

* * *

وقال فى النسيب :

لو أنصف القلبُ لمَا ودّكمْ — لكنّه الطّائشُ لا يُنصِفُ
يهمُّ بالوِرْدِ الذى لم يزلْ — يُصرفُ عنه الدّهرَ أو يُصدَفُ
ويَعشقُ اللّاهِى «على» أنّه — يُمرِضُه حيًّا أو المُتلِفُ (٨)
يلومني والجورُ مِنْ عنده — كيف يلوم الوافِىَ المُخلِفُ ؟
ويجحدُ المرَّ الذى ذُقتُه — فى حبّه وهو به أعرفُ ؟

---

(١) الاستكانة : الخضوع ، والمدنف : المريض .
(٢) الأعجف : الضعيف الهزيل .
(٣) أرسف : أمشى مقيداً ، وذيد : طرد وأبعد ، والعنوة : القهر والقسر .
(٤) الكلالة : بعد النسب .
(٥) تطرف : تغمض ، وطرفت العين : انطبقت أجفانها .
(٦) التوكف : كالتوقع والترقب وزناً ومعنى .
(٨) أصدف : أنحى وأمال .
(٨) فى الأصل «عن» فى موضع «على» محرفة .

وبدّني فيَّ أدّعاء الهوى   وشاهدايَ الجَسَدُ المُدْنَفُ(1)

ليتَ أناساً أخلفوا وعدنا   لم يَعِدوا أو ليت لم يخلِفوا

ليس إلى القَصْدِ سبيلٌ لهمْ   إمّا ضنينٌ الكفِّ أو مُسرِفُ

وكلّما استنجدتُ في عطفهمْ   بدمعِيَ الواكف لم يعطفوا

* * *

(1) المدنف : المريض .

باب الفاء المفتوحة

قال فى الغزل :

بنفسى مَن لقيتُ غداةَ «جَمعٍ» على عَجَلٍ بسجّين الشُّفوفا[1]
مررناهنّ نعتسِفُ المطايا نريد مِنًى فما زمنا وقوفا
وفى الأظعان بدرُ دُجًى سبانى بطلعته وما ألقَى النَّصيفا[2]
ولمّا أن تمثّل لِى هواه عدانى بالثنيّة أن أطوفا[3]
وزلّتْ عن تُقًى قدمى كأنّى هنالك لم أكنْ رجلًا عفيفا

* * *

وقال فى غرضه عرضه له :

مَنْ مبلغٌ عنّى بنى مالكٍ أنّ الذى داويتُمُ أقرفا[4]
دُمنا على العهد لمن لم يدمْ وقد وفينا للذى ماوفى
وليس فى العدل ولا غيره أنْ يظلم الظالمُ مَن أنصفا
لا تسمعوا القولَ بلا حجّةٍ فطالما بُدِّلَ أو حُرِّفا
ولا تزيدونا أباطيلكمْ فإنّما أمرضتمُ مُدْنَفا[5]
كم فيكمُ مِن ماطلٍ وعدَه فإنْ يجُدْ يوماً به أخلفا
ومِن مُصِرٍّ زاد إصرارَه إنْ لِيمَ فى الشّئ أو عُنِّفا

---

(١) جمع (بلالام) : المزدلفة بمكة ، وسجين : يعددن ويسترن ، والشفوف : الثياب الخفيفة .
(٢) الأظعان : الهوادج ، والنصيف : الخمار .
(٣) عدانى : صرفنى وشغلنى ، والثنية : طريق العقبة فى الجبل .
(٤) أقرف : انتكس فى المرض من تقرفت القرحة إذا تقشرت .
(٥) المدنف : المريض .

وكم عطفنا منكمُ مُعرِضاً   فلم نجدْ من معرضٍ مَعْطَفا
وما رأينا منكمُ في الهوىٰ   إلّا بخيل الكفِّ أو مُسرفا
عودوا إلى السِّلمِ كما كنتمُ   فقد مضىٰ من حربكمْ ما كفىٰ

✿ ✿ ✿

وقال في النسيب :

بنفسي مَن رأيتُ بجُنْحِ ليلٍ   فضاء بنور طلعته الطِّرافا [1]
حكى لي ريقه عَذْباً نميراً   وسقى من صبابته ذُعافا [2]
وكنتُ أضِنُّ في كَلَفِي بقلبي   فها أنا ذا أجود به جُزافا [3]

✿ ✿ ✿

وقال فيه أيضاً :

قل لمن بالجمال والـ   حُسنِ فينا تعرفا :
سلَّ جسمي بحبِّهِ   وهو في ذاك ما اشتفىٰ
نتَ أرجوك محسناً   فكن اليومَ منصفا
ما علىٰ مالكٍ لنا   لو علينا تعطّفا ؟
فتىً فاه ضامئاً   وشفى فيه مُدْنَفا [4]

✿ ✿ ✿

وقال فيه كذلك :

أفِي الحقِّ أنْ أخلفتنِي ماوعدتنِي   ولم ترَ منّي الدّهرَ في موعدٍ خُلفا

---

(١) جنح الليل : طائفة منه ، والطراف : الخيمة أو بيت من أدم .
(٢) النمير : المستساغ عذباً كان أو غير عذب ، والذعاف : السم .
(٣) أضن : أبخل وأشح ، والكلف : الولع والشوق .
(٤) المدنف : المريض .

وتمنعنى من رِفدِ كفك واحداً وأعطيك ـ لا مَنًّا عليك ـ به ألفا[1]
فإنْ كنتَ من داء الغرام مُصَحَّحاً فإنّ مريضاً بالهوى منك قد أشفى[2]
وإن بتَّ ملآنَ الجفونِ من الكرى فإنّ الذى نازعتَه الغُمضَ ما أغفى
وبى منك يامَن لا صَبابةَ عنده من الحبّ مالا أستطيع له وصفا

* * *

وقال فيه أيضا :

من كَلَفِي أننِي مررتُ به فلم يَعِرْنى من طَرْفِهِ طرَفا
وكدتُ لمّا رأيتُ غِلظتَهُ أنجع جسمى بمهجتى أسَفا[3]
قدقادنى حُسنُه إليه كما قاد اليمانون جِلَّةً شرَفا[4]
فقلت : رفقاً فلستَ أوّلُ مَن لاذ مُسِيئٌ بعفوه فعفا

* * *

وقال فى العتب مخاطباً بعض عداه :

رأيتُكمُ تجنون ما قد غرستمُ فلا تُنكروه أنْ يكون ذُعافا[5]
وعافوا القذى أو فاكرعوه ضرورةً ومَن لم يَرِدْ إلّا الأُجاجةَ عافا[6]

---

(١) الرفد : العطاء .
(٢) أشفى المريض : أشرف على الهلاك .
(٣) أنجع : أخضب بالنجيع وهو الدم وقيل دم الجوف خاصة ، والمهجة : دم القلب .
(٤) الجلة : جمع الجليل أو المسن من الإبل وغيرها : قال امرؤ القيس :

ألا إنْ لم تكنْ إبلٌ فمعزى كأنّ قرونَ جِلّتِها العِصِىُّ

(٥) ذعافا : سما .
(٦) عافوا : تركوا ، والقذى : ما يدخل فى العين من قش وغيره ، والأجاج : الماء المالح المر .

ولا تحسبوا ما نحن نَرْأَبُ كسرَهُ | وفاقاً فمن قربٍ يعود خلافا [1]
ولا تأمنوا الأضغان وهى دفينةٌ | فذو الحزمِ مَن هاب الغيوب وخافا
فما نحن للأقدار إلّا رَميَّةٌ | يُصِبن صميماً أو يُصبن شَغافا [2]
وسيّانِ فى تضييعِىَ الحزمَ أننى | رهبتُ أماناً أو أمنتُ مخافا
فما لِىَ أسقى فِىَّ أو فى أصادِقِى | كؤوساً «دِهاقاً» لم يكن سُلافا ؟ [3]
إذا صاحبى أضحى سقيماً من الأذى | فما سرّنى أنى أبيتُ معافَى
ولم أنجُ من سوء أصابَ معاشرى | وعاجَ بخلٍّ أرتضيه وطافا [4]
دعونِىَ منكمْ لا تردّون طالباً | ولم تلبسوا إلّا الغرورَ عِطافا [5]
وكم ذا أُرِيدَتْ بالهَوانِ بيوتُكمْ | فلمْ تجعلوا من دونهنّ سِجافا [6]
ولو كنتُمُ لمّا غمزتُمُ قناتَكمْ | على أَوَدٍ أوسعتموه ثِقافا [7]
وداويتُمُ الأدواءَ وهى ضعيفةٌ | فكم من قويّاتٍ نشأنَ ضِعافا
لقيتُمْ كما شئتم وشئناه فيكمُ | ولكنّ أمراً جلّ أن يُتلافى
كأنّكمُ رَكْبٌ على دوٍّ قفرةٍ | يُزَجِّى مطايا للنّجاء عِجافا [8]
بمَهْلَكةٍ خِرّيتُها هالكٌ بها | وكم مرّةٍ شمّ التّراب وسافا [9]

---

(١) نرأب : نصلح ونلائم .
(٢) الشغاف (بالفتح) : غلاف القلب .
(٣) دهاقا : ممتلئة ، وفى الأصل « دفاقا » مصحفة ، والسلاف : الخمرة .
(٤) عاج : أقام .
(٥) العطاف (بالكسر) : الرداء .
(٦) السجاف : الستار .
(٧) غمز القناة : عضها ليعلم صلابتها ، والأود : الاعوجاج ، والثقاف التقويم .
(٨) الدو : المفازة ، ويزجى : يسوق ، والنجاء : الهرب والخلاص ، والعجاف : الهزيلات .
(٩) الخريت : الدليل الحاذق ، وساف : شم .

إذا هَيْقُها مدّ الجناحَ فإنّمـــا ... إماء بَنِي لَخْمٍ مَدَدْنَ طِرافا [1]

سقى الله أقواماً مضوا لسبيلهمْ ... وقد ملأوا سُبْلَ الطّماعِ عَفــافا

لهم فى ندًى سِيلوه أو بدأوا به ... أكُفٌ يناوِلْن النّوالَ جُزافا [2]

أجابوا أُنوفَ الموتِ رغمَ أُنوفنا ... فــاذا جنَى ذاك المتــافُ هِتافا ؟

---

(١) الهيق (بفتح الهاء وتسكين الياء) : الظليم وهو ذكر النعام ، والطراف : البيت من أدم .
(٢) النوال : العطاء .

باب الفاء المكسورة

قال وكتب بها إلى الرئيس أبي الحسين[1] البتي يعاتبه على الإخلال بزيارته :

أَضَنًّا بالتَّواصلِ والتَّصافي ... وبذلًا للتَّقاطعِ والتَّجافي ؟ (٢)
ونبذاً المودّةِ عن ملالٍ ... كما نُبِذَتْ حُصَيَّاتُ القِذافِ ؟
وسيراً في الجفاءِ على طريقٍ ... شديدٍ تَنَكُّرِ «الأعلامِ» خافِ ؟ (٣)
إذا الأقدامُ خاطئةً خَطَتْهُ ... فمن كابٍ لجبهتِهِ وهافِ (٤)
أيا مَنْ بعتُهُ وَصْلِي جُزافاً ... فقابلني بهجرانٍ جُزافِ
أتحسَبُ أنْ « تُرَنِّقَ » منك شربي ... قضاءً بعد إسلافي سُلافي ؟ (٥)
وتثني عِطْفَكَ المُزْوَرَّ عنّي ... وما لسواكَ حظٌّ في انعطافي (٦)
ومن عَجَبٍ خلافُكَ لي وقِدْماً ... أَمِنْتُ على اقتراحك من خلافي
وخلفُكَ موعدي وعليك فرداً ... مقامي بالمودّة واختلافي (٧)
وأنك واردٌ « جَمّاتِ » ودّي ... وتمنعني صُباباتِ النِّطاف (٨)

---

(١) مرت ترجمته في « ص ١٨١ » من هذا الجزء وأنه أبو الحسن لا الحسين فلتراجع .

(٢) ضنا : بخلا وشحا .

(٣) الأعلام : جمع العلم وهى العلامة يستدل بها على الطريق وفى (س) « الأعداء » محرفة عن « الأعلام » .

(٤) الكابي : العاثر ، والهافى : الزال .

(٥) ترنق : تكدر ، وفى « ه » « ترنق » مصحفة ، والسلاف : الخمر .

(٦) العطف : الجانب .

(٧) الاختلاف : هنا بمعنى التردد والمراجعة ومنه فلان كان يختلف إلى فلان أى يتردد إليه ويراجعه وعلى هذا المعنى يفسر الشيعة الإمامية حديث « اختلاف أمتى رحمة » — إن صح — خلافا لما عليه الجمهور من غيرهم ، وهو حمل موجه ووجيه يتفق مع كتاب الله وأدلة العقل .

(٨) الجمات : من الجم وهو الكثير ، وفى (ه) « حمات » (بالحاء) : جمع الحمة وهى العين الحارة يستشفى بها من الأمراض ، والأولى ما ذكرناه ، والصبابة : بقية الماء فى الإناء ، والنطاف : جمع النطفة وهو الماء الصافى أو ما بقى منه فى دلو أو قربة .

وكنتُ متى أنَلْ شَطَطَ الأمانى ... سَخِطْتُ فصرتُ أرضى بالكَفافِ [1]
وقد علم المبلّغُ عنك أنّى ... حَطَطْتُ عليه ثالثةَ الأثافى [2]
وكنتُ عليه لمّا أهتشَ قومٌ ... إلى « نجواه » كالسُّمِ الذُّعافِ [3]
أتنسى إذْ لديك شجونُ نفسى ... وإذ معكَ أرتباعى واصطيافى ؟
وإذ « سِرِّى » بمرأى منك بادٍ ... ومادونى لسرِّك من سِجافِ [4]
تنازعنى المسائلَ والمعانى ... وتاراتٍ تُناشدنى القوافى
وكم معنًى أقام « المَيْلَ » منه ... ـ وقد أعيا ـ ثِقافُك أو ثِقافى [5]
وآخرَ ضلّ عنه رائدوهُ ... ففاز به اختطافُك واختطافى
مجالسُ لم يكن فيها طريقٌ ... لشَهْواتِ النفوسِ على العَفافِ
ألا ياليتَ شعرى عن صديقٍ ... تكدّر لى لِمَنْ بعدى يُصافى ؟
وكيف تُفيدُهُ « الأيّامُ » مثلى ... وما يكفى مكانى اليومَ كافٍ ؟ [6]
ولمّا أن جريتُ إلى المعالى ... تبيّنَت البِطاءُ من الخِفافِ
فما عِيفَ أصطلاعى واصطناعى ... ولا حِيفَ أنصرافى وأنحرافى [7]
سلامٌ من « دَوِى » الأحشاء مُضْنًى ... على زمنٍ مضى وافى الخوافى [8]
أُشمّرُ فيه أذيالى مُجوناً ... وأحياناً أجرُّ به عِطافى [9]

---

(١) شطط الأمانى : بعيدها ، والكفاف : ماسد الرمق من القوت .
(٢) الأثافى : جمع الأثفية (بضم الهمزة) وهى ما يوضع عليه القدر من حجارة وما أشبه .
(٣) النجوى : الصوت الخفى ، وفى (هـ) « نحواه » تصحيف ، والذعاف من السم : القاتل .
(٤) فى (س) «ترنى» تصحيف عن «سرى» ، والسجاف : الستر .
(٥) فى (ش) «المبل» تصحيف عن « الميل » ، والثقاف : التعديل .
(٦) « الأيام » ساقطة من (ش) .
(٧) عيف : ترك ، وحيف : ظلم .
(٨) فى (س) « روى » بدل « دوى » وفى « هـ » « ذوى » وكلاها ليس بشىء ، والدوى : المصاب بالداء ، والمضنى : المريض ، والخوافى : مادون الريشات العشر من مقدم الجناح وهن رقيقات ناعمات ؛ والمعنى هنا مستعار للزمن الناعم الرخى .
(٩) المجون : الاستهتار ، والعطاف : الرداء .

طَوَتْ آثارَه نُوَبُ اللّيالى وقَوَّض مِثلَ تقويض الطِّرافِ [1]
فما لى بعـــده إلّا التفاتٌ إلى طَلَلٍ من الإخوان عافِ [2]
تبدّل بعد ساكنه بنـــاءٍ وبعـد وصالِ واصله بجافِ [3]
فياراضى الجفاء متى التّلاقى ؟ ويا جانى الذّنوب متى التّلافى ؟
وإن كنتُ اقترفتُ إليك جرماً فقـــد ذهب اعترافى باقترافى [4]

* * *

وقال يفتخر [5] :

ربعَتْ « لتَنْعابِ » الغراب الهاتفِ وتأوّلتهـــا فُرْقةً من آلِفِ [6]
فاستبطنتْ من رِقْبَةٍ لعُداتهـــا حُرَقاً نُضِحْنَ بدمع جَفْنٍ ذارفِ [7]
ورأتْ بيـــاضاً فى نواحى لِمّةٍ ما كان فيها فى الزّمان السّالفِ [8]
مثلَ الثّغامِ تلاحقتْ أنوارُه عمداً لتأخــذه بَنانُ القاطِفِ [9]
ولقـــد تقول ومِن أساها قولُها : ما كان هذا فى حساب العائفِ [10]
أين الشّبابُ وأين ما تمشى به فى البِيض بين مساعدٍ ومساعفِ ؟

---

(١) نوب الأيام : مصائبها ، وقوض : هدم وطوى ، والطراف : الخيمة أو بيت من أدم .
(٢) العافى : الخالى .
(٣) النائى : البعيد ، والجافى : القاسى .
(٤) الاقتراف : اكتساب الذنب .
(٥) ورد فى « الشهاب » (ص٥٣) بضعة أبيات من هذه القصيدة .
(٦) التنعاب : صياح الغراب ، وفى «ش» «شعاب» بدل « بتنعاب » مصحفة .
(٧) استبطنت : أخفت ، والرقبة : المراقبة ، والعداة : الأعداء ، والحرقة : حرارة الحب أو الحزن ، ونضح الماء والدمع : رشه وصبه ، والذارف : المنصب .
(٨) اللمة : الرأس .
(٩) الثغام : نبت أبيض ، والأنوار: جمع النور (بفتح النون) ، والبنان: رءوس الأصابع أو هى
(١٠) أساها : حزنها ، والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها .

ما فيكَ يا شَمِطَ العِذارِ لرامِقٍ ... عَبِقِ الجوانحِ بالهوى من شاعفِ (١)

فلْيَخلُ قلبُكَ من أحاديثِ الهوى ... وليخلُ غُمضُكَ من مطيفِ الطائفِ

ولقـد سريتُ بفِتْيَةٍ مُضَرِيَّةٍ ... ليلَ التَّمامِ إلى الصَّباحِ الكاشفِ

فى ظهرِ مُلتَبِسِ الصُّوَى متنكِّرٍ ... لا يُهتدَى فيه بسوفِ السّائفِ (٢)

ظامى الموارد ليس فى غـدرانِهِ ... لمُسَوِّفٍ بالوِرْدِ غَرفةُ غارفِ

وكأنما « حُزُقُ النَّعامِ » بدوِّهِ ... « ريحٌ تلوّنُ طوائفاً » بطوائفِ (٣)

وإذا تَقَرّاهُ فلا أثراً ترى ... « بترابه » إلّا لريحٍ عاصفِ (٤)

من كلِّ أبناءِ لكلِّ دَنيّةٍ ... ذى مارنٍ للذُّلِّ ليس بعارفِ (٥)

وتراه ينتعلُ الظّهائرَ كلّما ... « جَحَرَ» الهجيرُ بناعمٍ مُتَتارِفِ (٦)

قومٌ يخوضون الغِمارَ إلى الرّدَى ... خوضَ الجبانِ الأمنَ غِبَّ مخاوفِ

لا يأخـذون المالَ إلّا بالظُّبا ... تَنْدَى دماً أو من سِنانٍ راعِفِ (٧)

وإذا رأيتَ على الرّدَى «مِقدامَهمْ» ... فكأنّ قلباً منه ليس بخائفِ (٨)

---

(١) الشمط : الذى خالط سواد رأسه بياض ، والعذار : شعر الوجه ، والرامق : المبصر ، والعبق : العطر ، والجوانح : الضلوع ، والشاعف : المحب المدنف .

(٢) الصوى: جمع الصوة وهى العلامة كالحجارة وغيرها تكون فى المفازة فيستدل بها على الطريق والمتنكر : الخافى ، والسوف : شم تراب الأرض ويعمل الدليل ذلك ـ وهو السائف ـ ليعلم على قصد هو أم لا .

(٣) الحزق : جمع الحزيقة وهى الجماعة ، والدو المفازة ، وفى «هـ» «خرق اللغام» بدل «حزق النعام » واللغام : زبد أفواه الإبل ، وفى (س) « بدوة » بدل « بدوه » « زبح تلون طائفا » بدل ريح ، وفى (هـ) «زبح» ، والبيت مرتبك المعنى مضطرب الألفاظ مصحفها ومحرفها وذلك من نسخ الناسخين والتبعة عليهم .

(٤) تقراه : تتقراه أى تتبعه وتفحص أثره ، وفى (س) « بترائه » بدل « بترابه » .

(٥) المارن : الأنف .

(٦) الظهائر (كسحائب) : جمع الظهار (كسحاب) وهو ظاهر الحرة أى الحجارة النخرة السوداء ، جحره وأجحره : أدخله الجحر (بفتح الجيم) وهو الغار البعيد القعر ، والهجير : شدة الحر ، والمتتارف : اللين من الترف .

(٧) السنان : الرمح ، والراعف : القاطر بالدم .

(٨) فى النسخ « اقدامهم » بدل « مقدامهم» ولا يتسق المعنى بالأول والراجح تصحيفه عما أثبتناه .

وتراهُمُ فى كلّ يومٍ عظيمةٍ مُتَنصِّتِين إلى صريخِ الخائفِ
سحبوا مُروطَ العزِّ يومَ لِزَازِهِم بالفخر سَحْبَ غلائلٍ ومطارفِ (١)
وتلَوْا على كَلَبِ الزّمانِ وضِيقهِ للمُمْلِقين عوارفاً بعوارفِ (٢)
أيدٍ تفجَّرُ بالعطاءِ سماحـــةً فتَوالِدٌ فى بذلها كطوارفِ (٣)
وندًى يفيض تَعَجْرُفاً وتَغَشْمُراً ومجارفُ المعروف غيرُ مجارفِ (٤)
وأرى شجاعَ الجود يوم تَواهُبٍ شَرْوَى شجاعِ الحربِ يومَ تسايُفِ (٥)
ومحذّرى شرَّ الزّمان كأنّه لم يدرِ أنّى ناقدٌ للزّائفِ
قد كنت أُلْحِى فيـــه كلَّ مفارقٍ فالآن أُلْحَى فيـــه كلَّ مُقارِفِ (٦)
وإذا الشّكوكُ تقاربتْ وتلاءمتْ فعن الزّمانِ وما حواه تجانُفِى (٧)
وإذا التفتَ إلى اختلاف خطوبه فإلى اختلاف عجائبٍ وطرائفِ
يسترجعُ الموهوبَ رَجْعَ مناقشٍ من بعد أن أعطى عطاءَ مُجازِفِ
يا منهلاً للسّوءِ ما أَلْقَى له فى كلّ «أحيافِ» الورى من عائفِ (٨)
لم يَخْلُ برقُك خُلَّباً من شائمٍ وسَرابُ أرضِك مُطمعاً من عاكِفِ (٩)

---

(١) المروط : جمع المرط (بالكسر) وهو كساء تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به ، والمطارف : جمع المطرف (بضم الميم وفتح الراء) وهو من الثياب ما جعل فى طرفيه علمان .

(٢) المملقون : جمع المملق وهو الفقير ، والعوارف : جمع العارفة وهى المعروف والعطية .

(٣) التوالد : جمع التالد وهو فى المال القديم الموروث ، الطوارف : جمع الطارف وهو الحديث منه .

(٤) التعجرف : التكبر ، والتغشمر : مثله .

(٥) الشروى : المثل والنظير ، والتسايف : القراع بالسيوف

(٦) ألحى : ألوم ، والمقارف : المقترب .

(٧) التجانف : الميل والعدول .

(٨) المنهل : المشرب ؛ والأحياف (كذا فى ه) : جمع الأحيف وهو البلد لم يصبه المطر ، وفى (س وش) « أخياف » أى مختلفون يقال « الناس أخياف » أى مختلفون ، والإخوة أخياف : إذا كانت أمهم واحدة وآباؤهم شتى ، والظاهر أن الجمع محرف عن « أعياف » (بالعين) وهو جمع للعيوف (كصبور) وهو من الإبل الذى يشم الماء فيدعه وهو عطشان والعائف : التارك للشيء والكاره له ، وكذا معناه المتكهن الصادق الحدس .

(٩) البرق الخلب : المطمع ولا مطر فيه ، والشائم : الناظر وشام البرق : نظره ورقبه أين يمطر ، والعاكف : المقيم والملازم .

وحطامُ رزقك وهو جِدُّ مُصَرَّدٌ في كلِّ يومٍ من محبٍّ كالفِ (١)
كم في صروفك للنُّدوبِ تلاحمتْ بعد المِطالِ بِبُرْئها من قارفِ (٢)
ويدٍ تَمُدُّ ذراعَها ببليَّــــةٍ فتنال شِلْوَ النَّازحِ المتقاذفِ (٣)
لا يَعصِمُ البانين منهـــا ما ابتنَوْا واستفرشوا من نُمْرُقٍ ورفارفِ (٤)
وأنا الغبين لِأنْ منحتُك طائعاً قلبي وفيك كما علمتُ متالِفي

* * *

وقال - أدام الله علاه - في معنى القصيدة الدالية التي تقدمت في القسم الأول [من الديوان] وأولها : « ألا هل أتاها كيف حزني بعدها » (٥)

ياحاديَ الأظعانِ عرِّجْ بي هُديتَ إلى الطُّفوفِ
عرِّجْ إلى ذاكَ المحل الـ فَخمِ والعَطَنِ الشَّريفِ (٦)
حيث الثَّرى مُلقًى هنـــا كَ على قَرا جبلٍ مُنيفِ (٧)
حيث القِرى عفو الإلـ ـهِ عن القبائح للضيوفِ (٨)
ما ذا يريبُكَ - ريب غيـ ـرِكَ - من «عكوفي» أووقوفي (٩)
فَلَقَلَّمـــا نَفِسَ الرَّفيقُ عليَّ بالنَّزرِ الطَّفيفِ (١٠)

---

(١) المصرد : المقلل والمتقطع ، والكالف : المتولع بالشيء المشغوف به .
(٢) الندوب : جمع الندبة وهي ما بقي من أثر الجرح بعد البرء والقارف : المقشر للقرحة اليابسة بعد برئها .
(٣) الشلو : العضو ، والنازح : البعيد ، والمتقاذف : مثله .
(٤) النمرق والنمرقة : الوسادة الصغيرة والطنفسة . والرفارف : جمع الرفرف ويطلق على الفرش والثياب والوسادة .
(٥) راجع (ص ٢٤٨ القسم الأول من هذا الديوان) .
(٦) العطن (بفتحتين) : مبرك الإبل ومربض الغنم .
(٧) القرا (بالفتح والقصر) : الظهر ، والمنيف . العالي .
(٧) القرى (بالكسر) : ما يقدم للضيف .
(٩) العكوف : الإقامة وملازمة المحل ، وفي (هـ) « غلوى » بدل « عكوفي » محرفة .
(١٠) نفس بالشيء : ضن وبخل .

ومتى رأيتَ مدامعى تنهلُّ بالدّمعِ الوكيفِ (1)
فعلى التى ولّتْ بهـــا عن ساحتى أيدى الحُتُوفِ (2)
وسَقَيْنَنِي بفراقهـــا كأساً من السُّمِّ المَدوفِ (3)
وكأنّنى لمّـــا سمعتُ نَعِيَّها « مثلُ » النَّزيفِ (4)
أو مُعْجَلٌ دامى القَرا والصّدرِ منفصمُ الوَظيفِ (5)
أو أعزَلٌ نبـــذ الزّمانُ به إلى الشَّقِّ المخوفِ (6)
يا موتُ كم لك فى فؤا دى من نُدوبٍ أو قروفِ! (7)
ألّا أخـذتَ بمن أخذتَ تليـــدَ مالى أو طريفى ؟
وعدلتَ عن كهفى ودو نَكَ ما أردتَ من الكهوفِ
كم ذا أصابتْ مُصمِيا تُكَ من خليلٍ أو أليفِ (8)
أضحَى معى زَمنَ الرّبيع وراح عنّى فى المصيفِ
« فاتَ » القوىَّ من الخطوبِ ومات بالخطْبِ الضَّعيفِ (9)
يا مُخرِجَ الآســـادِ خاشعةَ الرءوس من الغَريفِ (10)
يا قانصاً نفسَ الشُّجاع يكرّ ما بين الصّفوفِ

(1) الوكيف : المتقاطر .
(2) الحتوف : جمع الحتف وهو الموت والهلاك .
(3) المدوف من السموم : المذاب بالماء .
(4) فى النسخ « كل » فى موضع « مثل » والظاهر تحريفها عما أثبتناه ، والنزيف : السكران.
(5) الوظيف : مستدق الذراع من الساق من الخيل والإبل .
(6) الأعزل : العارى من السلاح ، والشق (بالفتح والكسر) : الوادى والجانب .
(7) الندوب : جمع الندب (بالتحريك) وهو أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد ، والقروف (كفروح) : جمع قرفة (كفرحة) وهى القشرة اليابسة التى تعلو القرحة .
(8) المصميات : القاتلات .
(9) فى (س) « مات » بدل « فات » مصحفة .
(10) الغريف : أجمة الأسد .

يا مُبرِزَ الغِيـــدِ الحِسانِ من السّتائِرِ والسُّجوفِ (١)
ومُعَرِّيَ الأجسادِ مِنْ سَرَقِ السّبائبِ والشُّفُوفِ (٢)
يا فاعــــلاً ما يشتهى برُّ على رغم الأنوفِ
كيف الفِرارُ من الرّدى وعلى مسالكهِ وجيفى ؛ (٣)
أم كيف أنجو من يَدَىْ أدنى إلىّ من الرّديفِ ؟ (٤)
وإذا سعيتُ أفوتُهُ لم تدرِ بُطْئِي من خُفوفى
لا تُتّقى منــــه البَليّـ ـةُ بالرّماحِ أو السّيوفِ
« ذلٌّ » لنـــــا وشِعارنا حبٌّ لنافرةٍ صَدوفِ (٥)
مثــــلُ البَغِيِّ تبطّنَتْ عَطَلاً ولاحتْ بالشُّنوفِ (٦)
تُعرِى التقِيَّ من التُّقى وتَزِلُّ بالرّجلِ العفيفِ
وَلَــكَمْ بهــا مِن مَخْبَرٍ صَدِيٍ ومن مرأىً مَشوفِ (٧)
ولقد ألِفتُ وصــــالها فرجعتُ مستلفَ الأليفِ
صِفرَ اليدين من القنا عةِ والنّزاهةِ والعُزوفِ (٨)
والعزُّ كلُّ العزِّ فى الـ ـدُّنيا لطَيّانٍ خَميفِ (٩)

---

(١) الغيد : جمع الغيداء وهى الفتاة الناعمة المتثنية فى مشيتها ، والسجوف : الستائر .
(٢) السرق (بفتحتين) : شقق من الحرير الأبيض الواحدة سرقة (معرب) ، والسبائب : جمع السبيبة وهى الشقة الرقيقة من الكتان ، والشفوف : الثياب الرقيقة مفردها الشف .
(٣) الوجيف : ضرب من السير السريع .
(٤) الرديف : الذى يركب خلف الراكب
(٥) فى (هـ) « ذلا » بدل « ذل » ، والصدوف : المنحرفة .
(٦) العطل : الخلو من الزينة ، والشنوف : جمع الشنف وهو القرط الأعلى .
(٧) الصدىء : الذى علاه الصدأ ، والمشوف : المطلى بالقطران .
(٨) العزوف : الانصراف عن الشىء والزهد فيه .
(٩) الطيان : مبالغة من الطاوى وهو الجائع .

« تركَ » المُنى وأقام يرْ قُبُ هَتْفَةَ الأجلِ الهتوفِ [1]

☆☆☆

وسُئل – رضى الله عنه – إجازة قول النوّاح المرادى :

يا إبلى روحى على الأضيـافِ إنْ لم يكن فيكِ غَبوقٌ كافِ
فأبشرِى بالقِـدْرِ والأثافى وغارفٍ ومِغْرَفٍ جرّافِ

☆☆☆

فقال – أدام الله تأييده – :

يا إبلى كونى قِرَى الأضيافِ فليس عنـد الجود بالإنصافِ
أإنّ لى « نعلًا » وجارى حافِ وإننى مُثْرٍ وجارى عافِ ؟ [2]
يُؤْمنني اللوّامُ أنْ تخافى وأن تَبيتى نُهْزَةَ الطوّافِ [3]
إذا دنا ضيفٌ إلى طِرافى فالويلُ للكوماءِ من أسيافى [4]
فى ليلةٍ حالـكةِ الأسدافِ كأنّما تَشُكُّ فى الأطرافِ [5]
مِن خَصَرٍ « فهنّ بالأثافى » يا بُعْدَ بين ممسكٍ طفّافِ [6]

---

(١) فى (هـ) « نزل » محرفة عن « ترك » ، والهتفة : الصيحة .
(٢) فى (هـ) « نعلان » بدل « نعلا » من تحريف النساخ والنون من فضلة فضولهم .
(٣) النهزة : كالفرصة وزناً ومعنى .
(٤) الطراف : الخيمة أو البيت من أدم ، والكوماء : الناقة ذات السنام الضخم .
(٥) الأسداف : الأستار والظلمات ، والحالكة : الشديدة السواد ، والشك : الطعن ، والأطراف من البدن : نهاياته كاليدين والرجلين والرأس .
(٦) الخصر (محركة) : البرد الشديد وأذاه ، والأثافى – مضى تفسيرها فى أول القصيدة ، وفى س « الأشاف » وفى (هـ) « الأشافى » تصحيف ، وفى (هـ) « فيهن » بدل « فهن » ، والممسك : البخيل ، والطفاف : المطفف وهو المقلل فى الكيل .

جَعْدِ اليدين ضَيّق المِطاف « يُرْتَمَكَّنَّ » أبْرَقَ العَزّافِ [1]
« فيما » تَمَنَّيْتَنَّ من إزيافِ في حَرَمٍ مُمَنَّعِ الأكنافِ [2]
خافٍ من اللّومِ عن القوافي أعيا على الرُّوّادِ والسُّوّافِ [3]
وبين سَمْحٍ واهبٍ مِتْلافِ تراه إمّا همَّ بالإسعافِ
لا يفتـدى السِّمانَ بالعِجافِ ياصاحبي ولستَ لِي بالوافي [4]
ولا لدانٍ عنـدكمْ مِن شافِ نـكصتَ عنّي ليلة الإيجافِ [5]
وخفتَ مرعوباً بلا مَخـافِ وطِرتَ كالزِّفّةِ بالسَّوافي [6]
ماذا عليك « يا أبا الجَجّافِ » من راسبٍ فيك وطَوْراً طاف؟ [7]
ما أنتَ مِن « عِدٍّ ولا نِطافِ » ولا لتقْـتِيرى ولا « إسرافي » [8]
لاتُنـكِرَنْ صـدّى ولا انحرافي وأنت طَلّاعٌ إلى « خِلافي » [9]

---

(١) جعد اليدين : ضد سبطهما، والأول البخيل الممسك، والثانى : ضده ، والمطاف : الرداء ، وفى (هـ) « يربمكن » بدل « يرتمكن » تصحيف ، وأبرق العزاف : ماء لبنى أسد بن خزيمة فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة .

(٢) فى (س) « فما » بدل « فيما » وفى (هـ) « تمنيتن » تصحيف « تمنيتن » ، والإزياف التبختر فى المشية ، والأكناف : النواحى والظلال .

(٣) السواف : جمع السائف وهو الدليل يكون فى الفلاة فيستاف تراب الأرض أى يشمه ليعلم أعلى قصد هو أم لا .

(٤) العجاف : جمع العجفاء وهى المهزيلة الضعيفة .

(٥) الإيجاف : الجد فى السير .

(٦) الزفة : الريشة الصغيرة ، والسوافى الرياح .

(٧) فى (هـ) « ياناه » بدل « ياأبا » محرفة ، وأبو الججاف (بتشديد الجيم كذا فى النسخ) ولعلها مصحفة عن أبى الجحاف بتقدم الجيم على الحاء المشددة ، وهى كنية رؤبة بن العجاج الشاعر ، والظاهر أن الأصل « ياأبا الحجاف » والحجاف بوزن الكتاب: هو أن تصيب الدلوفم البئر فتصب ماءها وربما تخرقت .

(٨) العد (بكسر العين) : الماء الكثير ، والنطاف : الماء القليل ، وفى (س) « عذبى » بدل « عدى » « ونطاف » بدل « نطافى » « وإسراف » بدل « إسراقى » والتقتير . ضد الإسراف تحريف فى النسخ وتصحيف .

(٩) فى (س) « خلاف » بدل « خلافى » .

وكادرٌ لِى ولغيرى صافِ ووَاصلٌ لكلِّ مَن «لِى جافِ»[1]

ماعاد سَبْرى لك واستشفافى وعاد تقويمِىَ أو ثِقافى[2]

ودَلَجِى نحوك واعتسافى إلّا بخلٍّ منك غيرِ كافِ[3]

ملآنَ مِن مَطْلٍ ومن إخلافِ سيراً ذوى الأحساب والآنافِ[4]

عن موطنِ اللُّؤمِ الدَّريسِ العافى ليس بمَشْتًى لا ولا مصطافِ[5]

ولا رمادَ فيه للأثافِى حيث تُهانُ نخوةُ الأشرافِ[6]

ونستوى الأخفافُ بالأظلافِ بين الأُلىٰ جاءوا من الأقرافِ[7]

ليس عتابٌ منهمُ لجافِ ولا لَعاً عندهمُ لهافِ[8]

فإنّما الدِّيارُ بالألّافِ

* * *

وقال فى الافتخار (*) :

ماذا جَنَتْه ليلةُ التّعريفِ شغفتْ فؤاداً ليس بالمشغوفِ[9]

ولو أنَّنِى أدرى بما حُمِّلتُهُ عند الوقوفِ حذرتُ يومَ وقوفى

---

(١) فى (هـ) « فى حاف » بدل « لى جاف » تحريف وتصحيف ، والجافى : ضد المواصل .

(٢) السبر : امتحان الغور ، ومنه سبر الجرح بالمسبار وهو ميل يسبر به الجرح ، والاستشفاف : الاستقصاء والتبين ، والثقاف : التقويم .

(٣) الدلج (محركة) : السير آخر الليل ، والاعتساف : ركوب الأمر بلاروية .

(٤) فى (ش) « والأنافى » بدل « الآناف » تحريف .

(٥) الدريس : المندرس لاأثر فيه ، والعافى : مثله .

(٦) الأثافى : مر تفسيرها فى أول القصيدة ، والنخوة : العظمة والحماسة .

(٧) الأقراف : جمع القرف (بفتحتين) وهى الأراضى الموبوءة .

(٨) لعاً : كلمة تقال للعاثر دعاء له بإقالة العثرة ، والهافى : الساقط .

(*) أشار الناظم فى «الشهاب» إلى هذه القصيدة وأورد الشطر الأول من مطلعها وأربعة أبيات منها (ص ٨٠) .

(٩) التعريف : الوقوف بعرفات ،

ما زال حتى حلَّ حَبَّ قلوبنـا ... بجماله سِرْبُ الظِّباءِ الهِيفِ [1]
وَأَرَتْكَ مُـكْتَتَمَ المحاسن بعد ما ... ألقى تُقَى الإحرامِ كلَّ نَصِيفِ [2]
وقنعت منهـا بالسّلامِ لو أنّه ... أرْوَى صَدَى أو بلّ لَهْفَ لهيفِ [3]
والحبُّ يُرضِي بالطّفيفِ معاشراً ... لم يرتضوا من قبلـه بطفيفِ
ويُخِفُّ من كان البطيءَ عن الهوى ... فـكأنّه ما كانـ غير خفيفِ
ياحبّهـــا رفقاً بقلبٍ طالمـــا ... عرّفته ما ليس بالمعروفِ
قد كان يرضى أن يـكون محـكّماً ... فى لُبِّهِ لو كنتَ غيرَ عنيفِ [4]
أطرحتِ ياظمياءُ ثِقْلَكِ كلّه ... يومَ الوَداعِ على فقارِ ضعيفِ ؟
يقتــادُه للحبّ كلُّ مُحَبَّبٍ ... ويروعه بالبين كلُّ أليفِ
وكأنني لمّـا رجعتُ إلى النّوى ... أبكى رجعتُ بناظرٍ مطروفِ [5]
وبزفرةٍ شهد العذولُ بأنّها ... من حاملٍ ثِقْلَ الهوى ملهوفِ
ومتى جَحَـدْتُهُمُ الغرامَ تصنُّعـاً ... ظهروا عليـه بدمعِيَ المذروفِ [6]
وعلى مِنًى غُرَرٌ رمين نفوسَنـــا ... قَبْلَ الجمارِ من الهوى بحُتُوفِ [7]
يسحبن أذيالَ الشّفوفِ غوانيـاً ... بالحسنِ عن حَسَنٍ بكلّ شُفوفِ [8]
وعدلْنَ عن لبس الشّنوفِ وإنّما ... هنّ الشّنوفُ محاسناً لشنوفِ [9]

---

(١) حب القلوب : سويداؤها ، والهيف : جمع الأهيف وهو دقيق الخصر .
(٢) النصيف : الخمار .
(٣) الصدى : الظمآن والصدى (بالقصر) : الظمأ .
(٤) اللب : العقل .
(٥) النوى : الفراق ، والعين المطروفة : التى أصابها شىء فدمعت .
(٦) المذروف : السائل .
(٧) الجمار : رمى الجمرات أو موضعها من مناسك الحج ، والحتوف : الهلاك .
(٨) الشفوف : جمع الشف وهو الثوب الرقيق .
(٩) الشنوف : كالأقراط إلا أنها تعلق فى أعلى الأذن .

ونعجّبتْ للشّيب وهى جنــايةٌ ... لدلالِ غانيةٍ وصدِّ صَدوفِ (١)
« وأناطتْ » الحسناء بى تَبِعاتِه ... فـكأنمـــا تَمويهُهُ تفويفى (٢)
هو منزلٌ بُدِّلتُهُ من غـــيره ... وهو الفِنَى فى المَنزلِ المألوفِ
لا تُنْـكِريه فهو أبعــدُ لُبْسَةٌ ... من قذفِ قاذفةٍ وقَرْفِ قَروفِ (٣)
و بعيدة الأقطارِ طامسة «الصُّوَى» ... من طول تَطْوافِ الرّياحِ الهوفِ (٤)
لا صوتَ فيهـا للأنيسِ وإنمــا ... لعصائبِ الجِنّانِ جَرْسُ عزيفِ (٥)
وكأنمـــا حُزَقُ النّعامِ بدوّها ... ذَوْدٌ شردن لزاجرٍ هِنّيفِ (٦)
قَطَعَتْ ركابى وهى غـــيرُ طلائحٍ ... مع طولِ إيضاعى ونطٍّ وَجيفى (٧)
أبغى الذى كلُّ الورى عن بَغْيه ... من بين مصدودٍ ومن مصدوفِ (٨)
والعزُّ فى كلّ الرّجال ولم يَنَلْ ... عزٌّ بلا نَصَبٍ ولا تـكليفِ (٩)
والجدْبُ مغنًى للأعزّةِ دارهٌ ... والذّلُّ بيتٌ فى مكانِ الرّيفِ (١٠)
ولقـــد تعرّقَتِ النّوائبُ صَعْدَتى ... وأجادصَرْفُ الدّهرِ من تشفيفى (١١)

---

(١) الصدوف : المائلة عن الشيء الزاهدة فيه .

(٢) أناطت : علقت ، وفى « الشهاب » « أحاطت » تصحيف ، والتبعات : جمع التبعة وهى الإثم والذنب ، والتفويف فى الثياب : الخطوط البيضاء فيه .

(٣) اللبسة : الشبهة ، والقرف : ذكر الشخص بسوء .

(٤) الصوى : جمع الصوة وهى الحجارة توضع علامة فى المفازة ، وفى الأصل « الطوى » بدل « الصوى » محرفة .

(٥) العصائب : الجماعات ، والجنان : جمع الجان ، والجرس : الصوت ، والعزيف : صوت الجن.

(٦) الحزق : جمع الحزيقة وهى الجماعة ، والدو :المفازة ، والذود : الجماعة من الإبل ،والهنيف: العنف فى السير مأخوذة من التهنيف والهناف وهو الإسراع .

(٧) الطلائح : جمع الطليح وهو البعير المتعب ، والإيضاع : الإسراع فى السير ، والنط الامتداد والذهاب فى الأرض ، والوجيف : ضرب من السير السريع .

(٨) المصدوف : كالمصدود زنة ومعنى .

(٩) النصب (بالتحريك) : التعب .

(١٠) المغنى : المنزل ، والداره : الدائم والحامى، ودره لهم وعنهم : دفع وحامى .

(١١) تعرق العظم: أكل ما عليه من اللحم ، والصعدة: القناة المستوية ويريدبها هنا القامة، وتعرقت النوائب صعدته: أى احكمته التجارب بجملته كالعظم المزال عنه اللحم ، والتشفيف : الترقيق والنحول.

وحللتُ من ذلٍّ الأنامِ بنجوةٍ ... لا لَوْمتي فيهـــا ولا تعنيفى [1]
فبدار أنديةِ الفخار إقامتى ... وعلى الفضائل مَربَعى ومصيفى
وسرى سُرَى النَّجمِ المحلِّقِ فى العُلا ... نَظمِى وما ألَّفتُ من تصنيفى
ورأيتُ من غـــدْرِ الزَّمانِ بأهلِهِ ... مِن بعد أن أمنوهُ كلَّ طريفِ
وعجبتُ من حَيْدِ القوىّ عن الغنىٰ ... طولَ الزَّمانِ وخطوةِ المضعوفِ
وعَمَى الرِّجال عن الصَّواب كأنَّهمْ ... يعمون عمَّــا ليس بالمكشوفِ
وفديتُ عِرْضِى من لئـامِ عشيرتى ... بنزاهتِى عن شَيِّئِى وعزُوفى [2]
فبقـــدر ما أحميتُهمْ ماساءَهمْ ... أعطيتُهمْ من تالِدِى وطريفى [3]
كم رُوِّع الأعداءُ قبـــل لقائِهمْ ... ببروقِ إيعادى ورعدِ صَريفِى [4]
وكأنَّهمْ شَرَدٌ سوامُهُمُ وقد ... سمعوا على جوّ السَّماء حفيفى [5]
قومى الذين تمَلَّكوا رِبَقَ الورىٰ ... بطعـانِ أرماحٍ وضربِ سيوفِ [6]
ومواقفٍ فى كلِّ يومٍ عظيمةٍ ... ما كان فيهـــا غيرُهمْ بوَقوفِ
ومشاهدٍ ملأتْ شعوبَ عُداتِهمْ ... بقذًى لأجفانٍ ورغمِ أنوفِ
همْ خوّلوا النِّعَمَ الجسامَ وأمطروا ... فى المُمْلقين غنائمَ المعروفِ [7]
وكأنَّهمْ يومَ الوغى خَلَلَ القنــا ... حيّـاتُ رَمْلٍ أو أُسودُ عَزيفِ [8]

---

(١) النجوة : كالربوة وزنا ومعنى .
(٢) العزوف : الزهد والانصراف عن الشيء .
(٣) التالد : المال القديم الموروث والطريف : الجديد المكتسب .
(٤) الصريف : كالصرير للباب والناب .
(٥) الشرد: جمع الشارد (كخدم جمع خادم) ، والسوام :الأنعام السائمة أى الراعية : والحفيف : الدوى وصوت الأغصان عند تحركها .
(٦) الربق : جمع الربقة وهى كالحلقة تربق ـ أى تربط بها ـ البهيمة .
(٧) المملقون : الفقراء المعدمون .
(٨) العزيف : أجمة الأسد .

كم راكبٍ منهم لغاربِ سَدْفَةٍ ... طرباً لجودٍ أو مهينِ سَديفِ (١)

ومُتَيَّمٍ بالمكرُماتِ وطالما ... أَلِفَ النَّدى مَن كان غيرَ أَلُوفِ

وحلاتُ أنديةَ الملوكِ مُجيبةً ... صوتى ومصغيةً إلى توقيفِى

وحميتُهمْ بالحزمِ كلَّ عَضِيهةٍ ... وكفيتُهمْ بالعزمِ كلَّ مخوفِ (٢)

وتراهمُ يتدارسون فضائلى ... ويصنِّفون من الفخار صُنوفى

ويردِّدون على الرُّواةِ مآثرى ... ويعدِّدون من العَلاءِ أُلوفى

ويسيِّرون إلى ديار عدوِّهمْ ... من جُندِ رأى العالمين زُحوفى (٣)

وإذا هُمُ نَكِروا غريباً فاجئاً ... فَزِعوا بنُكرِهمُ إلى تعريفى

دفعوا بِىَ الخطبَ العظيمَ عليهمُ ... واستعصموا حَذَرَ العدى بكنُوفى (٤)

وصحبتُ منهمْ كلَّ ذى جَبْرِيَّةٍ ... سامٍ على قُلَلِ البريَّةِ موفِ

ترنو إليه وقد وقفتَ إزاءه ... بين الألوف بناظرَىْ غِطْرِيفِ (٥)

فالآن قلْ للحاسدين تنازحوا ... عن شمس أُفقٍ غيرِ ذاتِ كسوفِ (٦)

ودعوا لسيلِ الواديين طريقَه ... فالسَّيلُ جرَّافٌ لكلِّ جَروفِ

وتزوَّدوا يأسَ القلوب عن الذُّرا ... فمنيفةٌ دارٌ لكلِّ مُنيفِ (٧)

وارضَوْا بأنْ تمشوا ولا كرمٌ لكمْ ... فى دارِ مجد الأكرمين ضيوفى

* * *

---

(١) الغارب : الكاهل والجانب المرتفع من البعير ما بين السنام والعنق . والسدفة : ظلمة أول الليل وآخره ، والسديف : شحم السنام .

(٢) العضيهة : البهتان .

(٣) الزحوف : جمع الزحف وهو الجيش يزحف إلى العدو .

(٤) الكنوف : جمع الكنف (محركة) وهو الجانب والظل .

(٥) الغطريف : السيد الشريف .

(٦) تنازحوا : تباعدوا .

(٧) المنيفة : العالية .

وقال في .. ـد :

مَن دَلّني اليومَ على صاحبٍ ... لم يُقذَ في شيء له طَرْفي ؟

إذا طلبتُ النَّصْفَ من غيره ... لم ألْفِ مَن جاء على النَّصْفِ (١)

ماعاج في وعدٍ ولا موعدٍ ... قطّ بتسويفٍ ولا خُلْفِ

كأنما صِيغَ لبذلِ المُنى ... أو طُبِعَتْ كفّاه للعُرفِ (٢)

* * *

وقال في غرض له ينقد به بعض العباسيين ممن مدحهم أولا :

مدحتُكُمُ علماً بأنّ مدائحي ... تضيع وتَذْرِي في الرّياح العواصفِ

فلم أكُ إلّا موقداً في ظهيرةٍ ... بلا صَرَدٍ أو هاتفاً في تنائفِ (٣)

وإنّ لكمْ عندي حقوقاً كثيرةً ... أبى لي حِفاظي مَحْوَها من صحائفي

جزيتُكُمُ عنها ولم تشعروا بها ... مراراً بأسبابٍ خفاه لطائفِ

وشاطرتُكُمْ منّي المودّةَ كلَّها ... شطارِيَ مابين الشّريك المناصفِ

فإنْ لم توفّوا حقّ ماقيل فيكُمْ ... فلم تُبتلوا إلّا بنقصِ العوارفِ (٤)

وليتكُمُ لمّا تركتمْ حقوقَها ... رجعتمْ إلى عرفانِ بعض المعارفِ

فما ضرّ لو أعطتمُ ما أتاكُمُ ... فلم يكُ مُولِ للجميلِ بآسِفِ ؟

وإلّا تجمّلتمْ على غير خبرةٍ ... فكم ذا غَطَى التّحسينُ سوأةَ زائفِ

فإن عِفتُمُ مالم تكونوا عرفتُمُ ... فكم ْ إلىَ العَذْبُ الرِّواءِ بعائفِ (٥)

(١) النصف (بالفتح) : العدل والإنصاف .

(٢) العرف : المعروف .

(٣) الظهيرة : منتصف النهار ، والصرد : البرد ، والتنائف : جمع التنوفة وهي الفلاة .

(٤) العوارف : جمع العارفة وهي العطية .

(٥) عاف الشيء : تركه .

فيا ضيعةً للطالعاتِ إليكُمُ طلوعَ المطايا من خلالِ النفائفِ (١)
أبيتُ أروضُ الصّعْبَ منها وإنها تحيصُ شماسَ المائلِ المتجانفِ (٢)
وأُكرهها سَوْقاً إليكمْ ولم تزلْ تحايَدُ عنكمْ بالطُّلى والسّوالفِ (٣)
كأنّىَ أهديهنّ نحو بيوتكمْ أقود إلى المهارِ بعضَ العفائفِ
أبَيْنَ ولم يأبَيْنَ شيئاً سواكُمُ وما كنّ إلّا ليّناتِ المعاطفِ (٤)
وكنتُ وقد وصّفتُ ماتاه عندكمْ أودُّ وداداً أنّنى غيرُ واصفِ
وما غرّنى إلّا مشيرٌ بمدحكمْ وكم عارفٍ يقتادُهُ غيرُ عارفِ
فخالفتُ حزمى سالكاً غيرَ مذهبى وما كنتُ يوماً للحِجى بمخالفِ (٥)
وكيف امتداحُ المرءِ مَن ليس عنده مفارقةٌ مابين مُثنٍ وقاذفِ
له العِرْضُ لا يسلمْ به لمديحةٍ ولا كان يوماً للثناء بآلفِ
وكم لِىَ فيكمْ من صديقٍ كأنّه سرابٌ على قيعانِ بُعدٍ صفاصِفِ (٦)
متى يُدعَ يوماً للوغى فهشيمةٌ تصفقها أيدى الرياحِ الزفازفِ (٧)
أودُّ إذا ما سمتُهُ النّصْرَ أنّنى أُبدَّلُ منه بالعدوِّ المكاشفِ
وقد كنتُ أرجو طوعَه بنصيحتى فلا خيرَ فى نصحٍ يُساق بعانفِ
فيالك من ودٍّ تعلّق منكُمُ سَماها بأسبابٍ ركاكٍ ضعائفِ
سُررْتُ به حيناً فلمّا بلوتُهُ بكيتُ عليه بالدّموعِ الذّوارفِ

---

(١) النفائف : جمع النفنف وهو كل مهوى بين جبلين .
(٢) تحيص : تميل وتحيد ، والشماس : فى الخيل وغيرها : صعوبة الانقياد ، والمتجانف : المائل .
(٣) الطلى : الرقاب مفردها طلية ، والسوالف ، جمع السالفة وهى ناحية مقدم العنق .
(٤) المعاطف : الجوانب .
(٥) الحجى : العقل .
(٦) الصفاصف : جمع الصفصف وهى الأرض المستوية .
(٧) الهشيمة : مؤنث الهشيم وهو النبات أو الورق اليابس المتكسر .

وكنتُ إذا مارابني وُدُّ صاحبٍ ... وناءَ بأخلاقٍ لئــامٍ سخائفِ (١)
قذفتُ جميلًا كان بيني و بينــه ... وإنْ كنتُ ذاضنٍّ بهِفي القواذفِ (٢)
تريدونَ منّا أن نُبِرّ ولاءكمْ ... وفى أنّنا نُبديه كلُّ التكالُفِ
فلا تسألونا ما تجُنّ قلوبنُــا ... فإنّ بناتِ الصّدرِ غيرُ خفائفِ (٣)
وداويتُمُ منّا خدوشَ جلودِنا ... وأعرضتُمُ عن أسْوِكُمْ للجوائفِ (٤)
فماذا وأنتمْ فى الحضيض غبــاوةً ... إذاضُرِبتْ خيماتُكم فى المشارفِ؟ (٥)
وإمّا وقفنــــا ظِلّةً بطلولكمْ ... رجعنا ولم نظفرْ بمُنْيةِ واقفِ (٦)
كأنّىَ منكمْ فوق غبراء قفرةٍ ... على ظالعاتٍ من مطىّ عجائفِ (٧)
يَعُدْنَ عشيّـــاتٍ ذواتَ تسادُكٍ ... وقد كنّ أصباحاً ذواتَ تجارفِ (٨)
فلا تطمعوا فى مثلهنّ فإنمـــا ... يصلْنَ لطلّاعِ الثّنايا الغطارفِ (٩)
أُناسٌ يخوضونَ الرّدى وأكفُّهمْ ... تهزّ أنابيبَ القَنِىِّ الرّواعفِ (١٠)
كرامٌ فلا ساحاتُهمْ مستضـــامةٌ ... ولا جارهمْ فى النّائباتِ بخائفِ
ولم يسكنوا إلّا ظِلالَ عظيمــــةٍ ... ولم يأمنوا إلّا خلالَ المخاوفِ
دعِ الذّلّ فى دار الثّواء ولا تُقِمْ ... على أمَلٍ بين البِطـــاءِ الخوالفِ

---

(١) ناء : نهض، وأثقل .
(٢) ضن : بخل وشح .
(٣) تجن : تخفى .
(٤) الأسو : المعالجة والتضبيب ومنها الآسى وهو الطبيب ، والجوائف : جمع الجائفة وهى الطعنة التى تبلغ الجوف .
(٥) الحضيض : ماانهبط من الأرض ، والمشارف : مرتفعاتها .
(٦) الظلة : الوقفة والإقامة .
(٧) الظالعات : جمع الظالعة وهى العرجاء التى تغمز الأرض بمشيتها ، والعجائف : جمع العجفاء وهى الناقة الهزيلة .
(٨) التسادك : السير الضعيف ، والمجرفة فى الإبل : قلة المبالاة فى السير .
(٩) الثنايا : جمع الثنية وهى العقبة ، وطلاع الثنايا : ركاب المشاق ، والغطارف : جمع الغطريف وهو السيد الشريف .
(١٠) القنى : جمع القناة وهى الرمح والرواعف : جمع الراعف وهو القاطر دما .

وكنْ آنِفاً مِنْ أنْ تُقيمَ على أذى بجنبِ غِنًى فالميتُ ليس بآنِفِ
لخيرٌ من القصر المشيد بجنةٍ سُرًى فى ظهور اليَعْمَلاتِ الخوانِفِ (١)
إذا ما هَبَطْن الرّملَ رمْلَ مُفَمَّسٍ زحفن ولا زَحْفَ الصّلالِ الزّواحفِ (٢)
حَمَلْن الرّجا والخوفَ فينا على الوَجا ونقّلنَ مِنّا كلَّ شاتٍ وصائفِ (٣)
لهنّ على وادى مِنًى كلَّ حجّةٍ بُروكٌ وقد قضّين كلَّ المواقفِ
فكمْ قد نجونا من ردًى ذُقْنَ دونه ـ لِيُنجيننا منه ـ ذُعافَ المتالفِ
لعلّ الليالى أنْ يَعُدْنَ فربّما يعود حبيبُ النفس بعد التّقاذُفِ (٤)

* * *

وقال فى النسيب:

قلْ لِخلِّ له ـ وإنْ كان لا يَدْ رى ـ جميعى وتالدى وطريفى
لِمَ لمّا أردتَ بيعى ولم أحْ وِجْ إلى البيع بعتنِى بالطّفيفِ؟
إنْ تكن جاهلاً بحُبّى فخذ عِلْ ماً بحُبّى من دمعِىَ الذروفِ
ليتنِى كنتُ فى أماكِنِ أطوا قِكَ أولا فنى مكان الشّنوفِ (٥)
لِىَ خوفَ الوشاة ظاهرُ قالٍ غيرَ أنّى بباطنٍ مشغوفِ (٦)
كلُّ شىء ولا كعنفِ قوىٍّ فى الهوى عامداً لصبٍّ ضعيفِ

* * *

(١) اليعملات: جمع اليعملة وهى الناقة الفارهة الجبلة، والخوانف: جمع الخانف وهو من الجمال والخيل ما يميل رأسه إلى الزمام من نشاطه.
(٢) مفمس (كمعظم): موضع قرب مكة على طريق الطائف.
(٣) الوجا: الحفا.
(٤) التقاذف: التباعد.
(٥) الشنوف: جمع الشنف وهو القرط الأعلى.
(٦) القالى: المبغض.

وقال فيه أيضا :

مَن ذَلّ لِي عيناً على غُمضِها　　ليلةَ ضاعَ الغمضُ من كفّي ؟
أسهرنِي في حُبِّـــهِ راقداً　　واستلب الرّقدةَ من طَرْفي
مَن يعشقُ الظّلمَ فما عنـده　　لعاشقٍ شيءٌ من النَّصْفِ [1]
ويَقتُ الوَعْدَ فإنْ أمَّـــهُ　　نَقَّصَـــه بالمَطْلِ والخُلفِ

---

(١) النصف (بالفتح) : العدل .

باب الفاء المسكنة

قال يرثي « أبا الحسين » الأفساسي العلوي (١) :

عرفتُ وياليتني ما عرفتُ   فمُرُّ الحياةِ لمن قد عَرَفْ
فها أنا ذا طولَ هذا الزّمانِ   بين الجوى تارةً والأسَفْ
فمنْ راحلٍ لا إيابٌ له   وماضٍ وليس له من خلَفْ
فلا الدّهرُ يُتبِعُني بالمقيمِ   ولا هو يُرجِعُ لي من سَلَفْ
أروني إنْ كنتمُ تقدرون   من ليس يكرع كأسَ التّلَفْ
ومَن ليس رَهْناً لداعي الحِمامِ   إذا ما دعَى باْسمه أو هتَفْ
وما الدّهرُ إلّا الغرورُ الخدوعُ   فماذا الغرامُ به والكَلَفْ ؟
وما هو إلّا كلمحِ البُروقِ   وإلّا هبوب خريفٍ عَصَفْ
ولم أرَ يوماً وإنْ ساءني   كيومِ حِمامِ كمالِ الشَّرَفْ
كأنّيَ بعد فراقٍ له   وقَطْعٍ لأسبابِ تلك الأُلَفْ
أخو سفرٍ شاسعٍ ما له   من الزّادِ إلّا بقايا لَطَفْ (٢)
وعوّضني بالرّقادِ السُّهادَ   وأبدلني بالضّياءِ السَّدَفْ (٣)
فراقٌ وما بعده مُلتقى   وصدٌّ وليس له مُنعطَفْ

---

(١) الأفساسي : نسبة إلى الأفساس من نواحي الكوفة وهو أبو الحسن (لا الحسين كما جاء في الديوان) محمد بن الحسن العلوي الزيدي النسب ، من أشراف العلويين ، حج بالناس نيابة عن الشريف المرتضى سنين كثيرة وكان أديباً وله شعر مقبول ، توفي سنة « ٤١٥ » ورثاه المرتضى بهذه الرثية . (م . . ج) ، أقول وقد أورد ابن الجوزي في المنتظم ثلاثة أبيات من هذه القصيدة (في ج ٨ ص ٢٠) كما أورد له شعراً مليحاً . (الصفار) .

(٢) اللطف : اليسير من الطعام .

(٣) السدف : سواد الليل .

وبعتُك كرهاً بسوءِ الزّمانِ بيعَ الغبينِ فأين الخلَفْ ؟
وعاتبتُ فيك صُروفَ الزّمانِ ومَن عاتب الدّهرَ لم ينتصفْ
وقد خطف الموتُ كلَّ الرّجالِ ومثلك من بيننا ما خَطَفْ (١)
وما كنتَ إلّا أبيَّ الجنانِ عن الضَّيْمِ محتمياً بالأَنَفْ (٢)
خَليًّا من العارِ صِفْرَ الإزارِ مدى الدّهرِ من دَنَسٍ أو نَطَفْ (٣)
وأذرى الدّموعَ ويا قلّما يَرُدُّ الفوائتَ دمعٌ ذَرَفْ
ومن أين ترنو إليك العيونُ وأنت ببَوْغائها فى سُجُفْ ؟ (٤)
فبِنْ ما مُلِلْتَ وكم بائنٍ مضى موسعاً مِن قِلًى أو شَنَفْ (٥)
وسقّى ضريحك بين القبورِ من البِرِّ ما شئتَه واللُّطُفْ
ولا زال من جانبيه النّسيمُ يعاوده والرّياضُ الأُنُفْ (٦)
وصيّرك اللهُ من قاطِنِى الـ ـجنانِ وسكّانِ تلك الغُرَفْ
تجاور آباءك الطّاهرين ويتبعُ التّائبين الخلَفْ

---

(١) هذا البيت والبيتان اللذان بعده مما أوردها ابن الجوزى فى المنتظم حسبما أشرنا إلى ذلك من قبل.
(٢) الجنان (بالفتح) : القلب ، والأنف : الأنفة والعزة .
(٣) النطف (بالتحريك) : العيب .
(٤) البوغاء : التربة الرخوة ، والسجف : الأستار .
(٥) القلى : البغض ، والشنف : كذلك .
(٦) الروضة الأنف (كعنق) : لم ترع .

قافِيَة القاف

باب القاف المضمومة

قال ـ أدام الله قدرته ـ يهنئ فخر الملك (أعز الله نصره) بعيد الفطر
الواقع فى سنة اثنتين وأربعمائة وبتحويل مولده ،
واتفق أن ذلك كان ليـلة الفطر :

يهون عندكُمُ أنّى بكم أرِقُ ... وأنّ دمعاً على الخدّين يستبقُ
وأنّ دَيْناً عليكمْ لا قضاء له ... وأنّ رَهْنـاً عليكمْ تائهٌ غَلِقُ
وكيف ينفعنا صدقُ الحديثِ وقد ... قبلْتُمُ قول أقوامٍ وما صدقوا ؟
وهلْ دنُوُّكُمُ مُسلٍ ونحن إذا ... كنّـا جميعاً بطولِ الصّدِّ نفترقُ ؟
كلُّ المودّةِ زورٌ غـيرَ وُدِّكُمُ ... وكلُّ حبٍّ سوى حبّى لكمْ مَلَقُ
ياصاحِبَيَّ « أمتحانى » من عيونكما ... فإنّ لى مُقْـلَةً إنسانُها غَرِقُ (١)
واستوضحا هل حمولُ الحيِّ زائلةٌ ... والرَّكْبُ عن جَنَبَاتِ الحيِّ منطلقُ؟
وفى الحدوج « التى » خفّ القَطينُ بها ... ظبْىٌ بمـا شاء من ألبابنا عَلِقُ (٢)
ودِدْتُ منه وقد خفّ الوشاةُ « بنا » ... أنّا بعِلّةِ قُرْبِ البينِ نعتنِقُ (٣)
قل للذى بات محروماً يُثبّطُـهُ ... عن مطمحِ العزِّ منه الرُّعْبُ والشّفَقُ (٤)
يرعى الهشيمَ مُلِـظّاً قعرَ أوديةٍ ... غرْثَى المسالكِ لا ماءٌ ولا ورقُ (٥)
إنّى علقتُ بفخر الملكِ فى زمنٍ ... ما كان لى منه فى الأقوامِ مُعتَلَقُ

---

(١) امتحانى : استقيانى ، والماتع : المستقى ، وفى (س) « امنحانى » .
(٢) « التى » ساقطة من (هـ) من سهو الناسخ ، والقطين : الساكن .
(٣) فى « هـ » « بما » محرفة عن « بنا » .
(٤) يثبطه : يحبسه ويؤخره ، والشفق : الخوف .
(٥) الهشيم : النبات اليابس المتكسر ، والملظ : المقيم ، والغرثى : الجائعة .

مردَّدٌ كلَّ يومٍ في مواهبِهِ متوَّجٌ منــــه بالنعماء مُنْتَطِقُ
ياصَفْونا في زمانٍ كلُّهُ كَدَرٌ وفجرَنا في زمانٍ كلّــه غَسَقُ (١)
« وحاملَ العبْء كلَّتْ دونه مُنَنٌ وقائدَ الجيشِ ضاقتْ دونه الطُّرُقُ » (٢)
ورابطَ الجأشِ والأبطالُ هائبــةٌ والهامُ بين أنابيب القنـا فَلِقُ
في موقفٍ حَرِجٍ يُلْقَى السّلاحُ به والقِرْنُ من ضيقــهِ بالقرن معتنقُ
قد كان قبلك قومٌ لا جميـــل لهمْ كأنّهمْ من خمول الذّكرِ ما خُلِقوا
فوتُ الأمانيَ ماشادوا ولا كرموا نُكْدُ السّحائبِ ما أنهلوا ولا برقوا
فمـــا نفقنا عليهم من غباوتهمْ وما علينـا بشيء منهُمُ نفقوا
وأين قبلك يافخرَ المـلوك فتًى مُـتَجَمِّـعٌ فيه هـذا الخَلْقُ والخُلُقُ ؟
ومَنْ إذا دخل الجبّـارُ حضرتَهُ يزداد عزًّا إذا « ذَلّتْ » له العُنُقُ ؟ (٣)
وأيُّ مُخْتَرِقٍ يُضحِي وليس به إلى الفضيلةِ منك النّصُّ والعَنَقُ ؟ (٤)
وأيُّ مُقْصًى عن المعروف ليس له مُصْطَبَحٌ بين ماتُولي ومُغْتَبَقُ ؟ (٥)
شِعْبٌ به لذوي الأنضـاء مُرتَبَـعٌ وجانبٌ فيــه للمحروم مُرتَزَقُ (٦)
مُستَمْطَرُ الجود لا فقرٌ ولا جَهَـدٌ ومُستجارٌ فلا خوفٌ ولا فَرَقُ (٧)
ومشهدٌ ليس فـيه من هوًى جَنَفٌ ولا يُطاشُ به طيشٌ ولا خُرُقُ (٨)

---

(١) الغسق : ظلمة أول الليل .
(٢) المنن (بضم الميم) : جمع المنة وهى القوة ، وهذا البيت ساقط من نسخة (س)
(٣) فى (س) « زلت » بدل « ذلت » مصحفة .
(٤) المخترق : الجانب والطائف ، والنص: أقصى السير، والعنق (بفتحتين) : السير الفسيح .
(٥) المصطبح : موضع شرب الصبوح وهو شرب الصباح ، والمغتبق : موضع شرب الغبوق وهو شرب العشى .
(٦) الأنضاء : جمع النضو (بالكسر) وهو البعير المهزول أو الناقة .
(٧) الجهد : كالنكد زنة ومعنى ، والفرق (بفتحتين) : الخوف ، وفى (ه) «مزق» مصحفة .
(٨) الجنف (محركة) : الميل والجور ، والخرق : الحمق والطيش .

لا يألف الحِقْدُ مَغْنًى من مساكنه ... ولا يُلَبِّثُ فى « أبياته » الحَنَقُ (١)

قد قلتُ للقومِ لم يخشوا صريمتَهُ ... وربّما خاب بغياً بعضُ مَنْ يَثِقُ (٢)

حذارِ من غفلاتِ الليثِ يَخْدُرُ فى ... رأى العيون وفى تاموره النَّزَقُ (٣)

يُغضِى كأنّ عليه من كرَى سِنَةً ... وإنّما حشوُه التّسهيدُ والأرَقُ (٤)

ولا تراه وإنْ طال المِطالُ به ... إلّا مُكِبًّا على الأوصال يعترقُ (٥)

أوْ مِن ضئيلٍ كجُثمانِ الفظيعِ له ... فى كلّ ما «ذَرّ» نجمٌ أوْهوى صَعِقُ (٦)

أُرَيقِطَ غيرَ أرفاغٍ « نَجَوْنَ » كما ... مسّ الفتى من نواحى جلده البَهَقُ (٧)

تراه فى القيظِ مُلتفًّا « بسَخبَرةٍ » ... كأنّما هو فى تدويره طَبَقُ (٨)

فالفخرُ فما الفخرُ إلّا ما خُصِصتَ به ... وفخرُ غيرك مكذوبٌ ومُختَلَقُ

فالمجدُ وَقفٌ على دارٍ حللتَ بها ... وما عداك فشىءٌ منك مُسترَقُ

واسعدْ بذا العيد والتّحويلِ إنّهما ... توافقا ، والسّعودُ الغرُّ تتّفقُ

عيدانِ هذا به فِطرُ الصّيامِ وذا ... زار البسيطةَ فيه الوابلُ الغَدَقُ (٩)

وقتٌ به السّعدُ مقرونٌ ومُلتبسٌ ... وطالعٌ وَسْطَه التوفيقُ مُرتفِقُ

---

(١) المعنى : المنزل ، وفى (ه) «إتيانه» مصحفة عن « أبياته » ، والحنق : شدة الاغتياظ .

(٢) الصريمة : العزيمة .

(٣) يخدر : يستتر ويتوارى ، والتامور : القلب ، والنزق : الطيش والحمق .

(٤) السكرى : النوم ، والسنة : أول النوم أو الغفوة الخفيفة .

(٥) الأوصال : العظام ومجتمع المفاصل ، ويعترق العظم : يزيل ما عليه من اللحم نهشاً .

(٦) الفظيع : القبيح المنظر ، وذر : طلع ، وفى (ه) «زار» على «ذر» محرفة ، والصعق : من غشى عليه .

(٧) الأريقط : تصغير الأرقط وهو ما كان جلده ذا نقط بيضاء أو سوداء ، والأرفاغ : جمع الرفغ وهو أصل الفخذ من باطن ، وفى (ه) « أرفاع » مصحفة وفى (س) « الجفون » فى موضع «نجون» أى نجون من الترقيط ، والأولى محرفة .

(٨) القيظ : شدة حر الصيف ، والسخبرة : « شجرة » تشبه الإذخر ، وفى (س) « سبخرة » مصحفة عن « سخبرة » .

(٩) الوابل : المطر الشديد ، والغدق : الغزير .

وليلةٌ صقل التحويلُ صبغتَها فإنّما هي للسّارى بها فَلَقُ [1]
ومن رأى قبل أنْ ضوّأتَ ظُلمَتَهُ ليلاً له فى الدّآدى منظرٌ يَقِقُ ؟ [2]
ضاق القريضُ عن استيفاء فضلك يا ربَّ القريض وعَيَّتْ ألسُنٌ «ذُلُقُ» [3]
وإنّما نشكر النُّعمى وإنْ عظمتْ فكم أُناسٍ بمـا أُولوهُ ما نطقوا
فاسلمْ ودُمْ فزِنادُ الملك «واريةٌ» وكلُّ مختلفٍ فى الخلقِ مُتّسِقُ [4]
وعشْ كما شئتَ عمراً «ما لنائبةٍ» به مجالٌ ولا فيـه لها طُرُقُ [5]

* * *

وقال فى الغزل :

ما كان عندى والرِّكابُ مُناخةٌ قبلَ التفرّقِ أنني أُستاقُ
إن كان يومُ البينِ شتّت شملَنـا فخلالَه قُبلٌ لنا وعنـاقُ
لا تطمعوا فى الصّبر منّى بعـدكمْ فلَقَلَّمـا تتصـبَّر العشّاقْ

* * *

[وقال يمدح آل الرسول ويفتخر بهم] [6] :

لأنتمُ آلُ خير النّاسِ كلّهمُ المنهلُ العذْبُ والمستوردُ الغَدَقُ [7]

---

(١) الفلق : الصبح والفجر .
(٢) الدآدى : الليالى الشديدة الظلمة مفردها الدأدأ ، واليقق (بفتح القاف وكسرها وهو أولى) : الشديد البياض .
(٣) الذلق : جمع الذلق وهو من الألسن الفصيح ، وفى (س) «نطق» بدل «ذلق» .
(٤) فى (س) «مقتدح» فى موضع «وارية» والمعنى مقارب ، والمتسق : المنتظم .
(٥) فى (هـ) « ما كنائبه » محرفة عن « مالنائبة » .
(٦) أورد هذه القصيدة ابن شهر آشوب فى كتابه المناقب «ص١٣١» ولم ترد فى أصول الديوان .
(٧) الغدق (بفتحتين) : الكثير .

وليس لله دينٌ غـــير حبّـكمُ ولا إليه سواكمْ وحـدَكمْ طُرُقُ
وإنْ يكن من رسول الله غيركُمُ سوى الوجود فأنتمْ عنـده الحدَقُ
رُزِقتمُ الشّرفَ الأعلىٰ وقومُـكمُ فيهمْ غضابٌ عليكمْ كيفما رُزقوا ؟
وأنتمُ فى شديداتِ الورٰى عُصُرٌ وفى سواد الدّياجى أنتمُ الفَلَقُ (١)
ما للرّسول سوى أولادكمْ وَلَدٌ ولا لنَشْرٍ له إلّا بكمْ عَبَقُ (٢)
فأنتمُ فى قلوب النّاس كلّهمُ السَّمْتُ نقصده والحبلُ نَعتَلِقُ (٣)
هل يستوى عندذى عينٍ رُبًى ورُبًى أو الصّباح على الأوتادِ والغَسَقُ ؟ (٤)
وُدّى عليـه مقيمٌ لا بَراحَ له من الزّمان ورَهْنى عندكم عَلِقُ (٥)
وثقتُ منكمْ بأن تستوهبوا زَلَلِى عنـد الحساب وحسبى مَنْ به أثقُ

* * *

وقال رضى الله عنه فى الافتخار بسبب :

ما للخيالِ ببطن مَرّ يطرقُ أنّىٰ وليس له هنالك مَطْرَقُ ؟ (٦)
زار الهجودَ ولم يَنَلْهُ ولا اهتدٰى منّا إليه مُسَهَّدٌ ومؤرَّقُ (٧)
لو كان حقًّا زار فى وَضَحِ الضُّحٰى فالزَّوْرُ وَهْناً كاذبٌ لا يصدقُ (٨)
زرتَ الّذين توهّموها زَوْرَةً ومضيتَ لمّا خفتَ أن يتحقّقوا

---

(١) العصر : جمع العصر ، والدياجى : الظلمات ، والفلق : الصبح .
(٢) النشر : رائحة الطيب وتضوعه ، والعبق مثلها .
(٣) السمت : القصد والطريق .
(٤) لعل إحدى الربى «زبى» بالزاى والزبى جمع الزبية وهى الرابية العالية لا يصل إليها الماء ، أو الحفرة للأسد فى أعلى الرابية ، والأوتاد : الجبال ، والغسق : الظلام .
(٥) البراح : المتحول .
(٦) بطن مر : موضع على مرحلة من مكة ويقال له «مر الظهران» .
(٧) الهجود : جمع الهاجد وهو النائم ليلا .
(٨) وضح الضحى : بياضه ، والزور : الزائر ، والوهن : منتصف الليل .

وقَرُبتَ قرباً عاد وهو تبعُّدٌ ووصلتَ وصلاً آب وهو تفرُّقُ

وخدعتَ إلّا أنَّ كلَّ خديعةٍ رَوَّتْ صدىً كلِفٍ بحُبٍّ وبعشقُ[1]

ما كان عندى والرّقادُ مجانبٌ لجفونِ عينى أنَّ طَيفَكَ يطرُقُ

كيف اهتدى والبعدُ منّا واسعٌ لرحالنا هذا العَناقُ الضيِّقُ ؟[2]

أم كيف طاف مُسلَّمٌ بتكلّمٍ ؟ أم كيف عاج على الأسير المطلقُ ؟[3]

ومُجدَّلٍ بيد الكَلال كأنّه فى الرِّىّ يُصبح بالمُدامِ ويَغبقُ[4]

أمسى موسّدَه ـ وقد سكن الكرى فى مُقلتيه ـ ساعدٌ أو مِرْفَقُ

وإذا ترفّعت الحدوجُ فقل لما واراه عنّا الوَشْىُ والإستبرقُ :[5]

حتّى متىْ عطشانُكمْ لا يرتوِى من مائكمْ ومريضُكمْ لا يُفرِقُ ؟[6]

لم تعرفوا شوقاً فلم تأووا لمن يُضحِى ويُمسِى نحوكم يتشوّقُ

أقسمتُ بالبيتِ العتيق تزوره بالشّاحطين من الرّجال الأينُقُ[7]

لمّا أتوه خائفين تشبّثوا بستاره ليُجيرهمْ وتعلّقوا

والقومُ فى وادى مِنًى فمجرّدٌ أو لابسٌ ومُلبَّدٌ ومُحَلِّقُ[8]

---

(١) الصدى : العطش .

(٢) العناق (بالفتح) : الأنثى من أولاد المعز .

(٣) المكلم : المجروح ، وعاج : مال .

(٤) المجدل : المطروح على الأرض ، والمدام : الخمر ، ويغبق : يشرب الغبوق وهو شرب العشى ، والصبوح : الشرب صباحاً .

(٥) الحدوج : الهوادج ، والوشى : نوع من الثياب المنقوشة ، والإستبرق : الديباج الغليظ وثياب من حرير .

(٦) يفرق : يفيق ويبرأ ، والماضى منه أفرق .

(٧) البيت العتيق : الكعبة المشرفة ، والشاحط : البعيد ، والأينق : النوق .

(٨) الملبد : المحرم يجعل فى رأسه شيئا من صمغ ليتلبد شعره بقياً عليه لئلا يشعث فى الإحرام .

والبُدْنُ يُهرَقُ ثَمَّ من أوداجِها ... مالم يكن لولا العبادةُ يُهرَقُ (١)
والموقفَين ومن تراه فيهما ... يرنو إلى عفو الإله ويرمُقُ
لبسوا الهجير محرِّقين جلودهم ... من خوف نارٍ فى الجحيم تُحرِّقُ
إنّ الذين أعدّهم من عنصرى ... وبهم إذا فاخرتُ يوماً أعلقُ
لم يخلق الرحمانُ شبهاً واحداً ... لهُمُ ولا هو بعد ذلك يخلقُ
شَجُعوا فمِنْسَرُهم يروّع جحفلا ... ووحيدُهم يومَ الكريهةِ فَيْلَقُ (٢)
وهُمْ إذا جمدتْ أكفٌّ فى ندًى ... أو فى وغًى أيدٍ هناك تَدَفَّقُ
قلْ للذين تطامحوا أنْ يفخروا ... بمفاخرٍ ببنائهم لا تَعْلَقُ
غُضّوا اللحاظَ فقد علَتْ تَلْعاتِكُمْ ... فى مفخرٍ منّا الجبالُ الشُّهَّقُ (٣)
وإذا تسابقت الجيادُ إلى مدًى ... أو غايةٍ أخذ الرهانَ السُّبَّقُ
ولنا وليس لكم سوى الثَّمْدِ الذى ... لم يروِ ظمآناً ، بحورٌ فُهَّقُ (٤)
كم ذا نكصتمْ عن طلابِ فضيلةٍ ... أنا من جوانبها أخُبُّ وأعنِقُ! (٥)
وفررتُمُ ووقفتُ فى ملمومةٍ ... فيها القنا بيد الطّعانِ تُدَقَّقُ
وخرستُمُ ونطقتُ فى النادى الذى ... يُعطَى المقادةَ فيه مَن هو أنطقُ
ورُزِقتُ لمّا أن سعيتُ إلى العُلا ... فاَسعوا كما أنّى سعيتُ لتُرزقوا
وفريتُ لمّا أنْ خلقتُ فما لكمْ ... والفَرْىُ ناء عنكُمُ أنْ تخلقوا (٦)

---

(١) البدن : جمع البدنة (بالتحريك) مايهدى للبيت من الإبل السمان .

(٢) المنسر (كمجر ومجلس) : قطعة من الجيش تمر قدامه ، والجحفل : الجيش الكثيف ، والفيلق من الجيش : مابلغ خمسة آلاف جندى .

(٣) التلعات : جمع التلعة وهى ماعلا من الأرض .

(٤) الثمد : الماء القليل ، والفهق : الممتلئة .

(٥) أخب الفرس وأعنق : سار الخبب والعنق وهما ضربان من السير السريع .

(٦) فريت : شققت وقطعت ، وخلقت : قدرت من التقدير أوقدرت من القد وهو قبل القطع ، ومنه قول الحجاج : « ما خلقت إلا فريت ، وما وعدت إلا وفيت » .

والنّاسُ فى الدنيا إذا جرّبتَهمْ إمّا هباءٌ أو سرابٌ يبرقُ
إمّا صديقٌ كالعدوِّ تقاعداً عن نصرتى أو فالعدوّ المُحْنَقُ
لا مَخبَرٌ يُرضِى القلوبَ ولا لهمْ مرأى به ترضى النّواظرُ يُونِقُ
فى كلِّ يومٍ لِى ديارُ أخوّةٍ تخلو وشملُ مودّةٍ يتفرّقُ
والقلبُ منّى بالكروبِ مُقَلْقَلٌ والجلدُ منّى بالنّيوبِ مُمزّقُ [1]
وعَرِيتُ من ورق الإخاء وطالما كانت غصونى بالأخوّةِ تورقُ
فاليوم مالِى من خليلٍ أرتضِى منه الإخاءَ ولا صديقٌ يصدقُ
أعطامُ زمنٌ مضى فتجمّعوا وأبتزّهمْ زمنٌ أتىٰ فتفرّقوا
فلقد قطعتُ العمرَ فى قومٍ لهمْ فى كلّ مكرُمةٍ جبينٌ مشرقُ
وعليهمُ من كلّ مازان الفتىٰ فى العين أو فى القلب منّا رَوْنَقُ
مافيهمُ إلّا مُحلًّى بالعُلا ومَسَوّرٌ ومتوّجٌ ومطوّقُ
وتراهُمُ سامين فى طرقِ العُلا فإذا رأوْ سُبُلَ العضيهة أطرقوا [2]
فالآن والسّبعون تعطِفُ صَعْدَتِى وتَرِثُ منّى ماتشاء وتَخلِقُ [3]
وتألّقتْ لِى لِمّةٌ كان الهوىٰ كلّ الهوى إنْ لم تكنْ تتألّقُ [4]
وأسودَ منّى كلُّ ماهو أبيضٌ بالرّغمِ لمّا أبيضَ منّى المَفرَقُ
طوّحتُ بين معاشرٍ مافيهمُ خُلُقٌ ولا خَلْقٌ يُحَبُّ ويومَقُ [5]
من دونهمْ أبداً لكلّ فضيلةٍ سَترٌ وبابٌ للكريمةِ مغلقُ
فالظّنّ فيهمْ للجميل مكذّبٌ والظّنّ فيهمْ للقبيح مصدّقُ

(١) النيوب : جمع الناب .
(٢) العضيهة : البهتان والإفك ، وأطرقوا : غضوا أبصارهم .
(٣) الصعدة : القناة المستوية ، ويريد بها هنا القامة ، وتعطف : تحنى ، وترث ، وتخلق : تبلى .
(٤) تألقت : تلألأت ، واللمة : شعر الرأس .
(٥) طوح بين القوم : قذف بنفسه بينهم ، ويومق : يحب .

فإلامَ يرميني بسهمٍ صائبٍ   مَن ليس لي منهم إليه مفوَّقُ ؟[1]
فعلى الذين مضوا وعيني بعدهمْ   تجـــرى وقلبي نحوهم يتشوَّقُ
منّي التحيّةُ غـــدوةً وعشيّةً   ووكيفُ منخرقِ العَزالي مُغْدَقُ[2]
وعلى مساكنهمْ وإنْ سكنوا الثّرى الـــأرَجُ الذكيُّ أو النّسيمُ الأعبقُ[3]

☆☆☆

وقال في الافتخار أيضا[4] :

دع الهوى يتبعه الأخرقُ   لا صبوةَ اليومَ ولا مَعْشَقُ[5]
ولا دموعٌ خَلْفَ مستوفزٍ   تجرى ولا قلبٌ له يخفقُ[6]
ولو درى أهلُ الهوى بالّذى   جَنَى الهوى من قبل لم يعشقوا
ياجَمْـلُ لا أبصرنى بعدها   أرنوا إليه وجهُكِ المُشرقُ
لو لم أعرّضْ للهوى مهجتى   ما كان قلبي بالهوى يُشرَقُ
لا فرعُكِ الفاحمُ يقتادنى   ولا اطّبانى غُصنُكِ المورقُ[7]
كنت أسيراً بالهــوى عانيــاً   فالآن قلبي من هوًى مطلقُ[8]
سَلْوانُ تجتـاز به دائبــاً   روائحُ الحبِّ فلا يَعبقُ
فمَنْ يكن من حبّـكمْ مُثْرياً   فإنّني من بينهمْ مُمْلِقُ[9]

---

(١) المفوق : الذى يضع فوقة السهم فى الوتر أى المسدد .
(٢) الوكيف : التقاطر والانصباب ، والعزالى (كالمعالى والفتاوى) : جمع العزلاء وهو مصب الماء من القربة ونحوها ، والمغدق : الكثير من أغدق المطر واغدودق إذا كثر قطره .
(٣) الأرج : توهج رائحة الطيب ، والذكى : الفواح ، والأعبق : الألصق ، وعبق به الريح : لصق .
(٤) ورد فى (طيف الخيال) الشطر الأول لمطلع هذه القصيدة وأربعة أبيات منها (ص ٩٦) .
(٥) الأخرق : الأحمق .
(٦) المستوفز : المتهيء للوثوب .
(٧) الفرع من المرأة : شعرها ، والفاحم : الأسود ، واطباه : دعاه .
(٨) عانيا : أسيراً
(٩) المملق : الفقير المعدم .

لا طَرَقَ الطَّيفُ الذى كان مِنْ أكبر همّى أنّه يطرُقُ
حَدَّثَ قلبى وهْوَ طوعُ الهوى محدِّثٌ بالليل لا يصدقُ
وكيف لولا أنّه باطلٌ يسرى ولا سارتْ به الأَيْنُقُ ؟[١]
زار وما زار سوى ذكرِهِ وبيننا داويّةٌ سَمْلَقُ[٢]
غرّاءُ لا يُمسى بأرجائها إلّا ظليمٌ خلفه نِقْنِقُ[٣]
لولا مَطِيٌّ كسفينٍ بها لكان مَن يركبها يَفْرَقُ[٤]
مَن عاذرى من زمنٍ كلّما طلبتُ منه راحةً أخفقُ ؟
يخصّ بالضرّاء أحرارَه ويَرْزُقُ السرّاءَ من يَرزقُ
صحبتُه أعوجَ لا ينثنى ومعجلًا بالشرِّ لا يرفقُ
طوراً هو الموسعُ أقطارَه وتارةً أخرى هو الضيّقُ
لو أنّنى أنفقُ عِرْضى به كنتُ عليه أبداً أُنفقُ[٥]
عزّ الفتى بكظمُ حاجاتِه والناسُ مُستثرٍ ومسترزقُ
فما يبالى حافرٌ للمنى جِيدَ اللّوى أم سُقِيَ الأبرقُ[٦]
وكلّما هوّمَ فى سَبْسَبٍ وسّدَهُ الساعدُ والمِرفقُ[٧]
عِرْضٌ جديدٌ لا ينال البِلى منه وثوبٌ مُنهَجٌ مُخلَقُ[٨]

---

(١) الأينق : جمع الناقة .
(٢) الداوية : المفازة ، والسملق : القاع الصفصف .
(٣) الغراء : الشديدة الحر ، والظليم : ذكر النعام ، والنقنق : النافر ويطلق على الظليم أيضا .
(٤) يفرق : يفزع .
(٥) أنفق الأولى : أبذل ، والثانية : أروج .
(٦) جيد : (للمجهول) من الفعل جاد ، أو سقى الجود وهو المطر الغزير ، واللوى : منعرج الرمل ، والأبرق : الموضع فيه رمل وحجارة وطين .
(٧) هوم : هز رأسه من النعاس ، السبسب : المفازة .
(٨) المنهج : الخلق البالى .

وربما نال الفتى وادعاً ... مالم ينله المزعج المقلق
ودون نيل المرء أوطاره ... فتق على الأيام لا يرتق
وكل شيء راقنا حسنه ... فهو سراب في الضحى يبرق
وحب هذى الدار خوانة ... داء دوى ماله مفرق[1]
أين الأُلى حلو قلال العلا ... فمزقوا من بعد أن مزقوا ؟
كأنهم من بعد أن غربوا ... لم يطلعوا قط ولم يشرقوا
داسوا بأقدامهم شمخاً ... ترام بالأيدى ولا تلحق .
وكل نجم بالدجى ساطع ... يرميه نحو المغرب المشرق
كأنه من قبس جذوة ... أو عن لهيب خلفه يفتق[2]
كم أوضعوا في طرقات العلا ... وحلقوا في العز إذ حلقوا ![3]
حتى إذا حان بلوغ المدى ... قيدوا إلى المكروه أو سوقوا
طاحوا إلى الموت وكم طائح ... لم يغن عنه حذر مشفق
نحن أناس لطلاب العلا ... نخب في الأيام أو نعنق[4]
ماخلق الله لنا مشبهاً ... في غابر الدهر ولا يخلق
كم رام أن يصعد أطوادنا ... بواذخاً قوم فلم يرتقوا
أو يلحقوا ما امتد من شأونا ... في طلب العز فلم يلحقوا
قد قلت للقوم وكم طامع ... يصبح بالباطل أو يغبق[5]
أين من البوغاء أسماكنا ... ومن ثماد بحرنا المفهق ؟[6]

---

(١) مفرق : من افعل أفرق المريض : إذا برئ وعوفى .
(٢) القبس : الشعلة ، والجذوة (بالضم والكسر) : الجمرة الملتهبة .
(٣) أوضعوا من الإيضاع وهو السير السريع .
(٤) نخب : من الخبب ، ونعنق : من العنق وكلاهما من السير السريع للخيل والإبل .
(٥) يصبح : يشرب الصبوح وهو شراب الصباح ، ويغبق: يشرب الغبوق وهو شرب العشى .
(٦) البوغاء : وجه الأرض ودقائق التراب ، والأسماك : جمع السماك اسم نجم وهما سماكان أحدهما يسمى السماك الأعزل أى العارى من السلاح والآخر الرامح أى ذو الرمح ، والثماد جمع ثمد وهو الماء القليل لامادة له ، والمفهق : الممتلىء

في الغاب والغاب مجازٌ لكمْ		ليثٌ بلا عذر الكرى يطرقُ(١)
في كفه مثلُ حدادِ المُدى		يفري بها الجلدَ ولا تخلقُ(٢)
يغتال طولَ البعد إرقالُه		فمنجدٌ إنْ شاء أو معرقُ(٣)
فكم صريعٍ عنده للردى		وكم نجيعٍ حوله يُهرقُ!(٤)
كأنما خيط على غضبةٍ		فهوَ مغيظٌ أبداً محنقُ
خلوا التي سكانها معشرٌ		همُ بها من غيرهمْ أليقُ
قناتُهمْ في المجد لا ترتقَى		وجُردُهمْ في الجود لا تُسبقُ
قومٌ إذا ما سنحوا في الوغى		سالوا دماً أو قدحوا أحرقوا
بكلِّ مشحوذِ الظُّبا أبيضٍ		وأسمرٍ يعلو به أزرقُ(٥)
لا باسلٌ يشبهه ناكلٌ		ولا صميمٌ مثلَه مُلحَقُ(٦)
ولا سواءٌ عند ذي إربةٍ		باطنُ رجلِ المرءِ والمفرقُ(٧)
وقد زلقتُمْ في مطافٍ له		بابٌ إلى العزِّ ولم يزلقوا
وخلتمُ أنّ العُلا نُهزةٌ		يعلقها بالكفِّ مَن يَعلقُ(٨)
حتى رأيناها بأيديكمُ		تزلُّ أو تزلقُ أو تمرقُ(٩)
ودونكمْ من لؤمِ أفعالكمْ		بابٌ إلى ساحاتها مُغلقُ

---

(١) الكرى : النوم ، ويطرق : يغض بصره ويطبق جفنيه .

(٢) المدى : جمع المدية وهي السكين ، ويفري : يشق ، وتخلق : تبلى وتبلى .

(٣) الإرقال : الإسراع ، والمنجد : الذي يدخل نجد ، والمعرق : الذي يدخل العراق .

(٤) النجيع : الدم ، ويهرق : يصب .

(٥) الظبا : جمع الظبة وهي حد السيف ، والأسمر الرمح ، والأزرق : سنان الرمح .

(٦) الباسل : الشجاع المقدام ، والناكل : الناكص والجبان ، والصميم : العريق في النسب ، والملحق : ضده .

(٧) الإربة : مؤنث الإرب وهو العضو ، والحاجة أيضاً .

(٨) النهزة : كالفرصة وزناً ومعنى .

(٩) تمرق : تخرج .

إنّ أناساً طلبوا حَوْماً ورْداً شربنا صفوَه ما سُقوا
ليسوا من الفخر ولا عنده ولا لهمْ فى رَبْعِه مَطْرَقُ
إنْ سُئلوا فى مَغْرَمٍ بخّلوا أو جُمعوا فى معركٍ فرّقوا
وليس يجرى أبداً فى الورى إلّا بمــــا ساءهمُ المنطقُ
قل لرواةِ الشعر : جوبوا بهـا فجّاً من الإحسانِ لا يُطرَقُ[1]
كأنّهـــا فى ربوةٍ روضةٌ أو من شبابٍ ناعمٍ رَيِّقُ[2]
صِينتْ عن اللّين على أنّها غانٍ بهـا الإشراقُ والرَّوْنقُ
فكم أناسٍ بقيتْ منهمُ محاسنُ الشعرِ وما أنْ بقوا

* * *

وقال فى الغزل ونعت البرق :

تراءت لنــا بالأبرَقَيْن بُروقُ شُروقٌ لأفقٍ غابَ عنــه شُروقُ
كأنّ نجومَ الليل دُرٌّ وبينهـــا تلألؤ إيمـاضِ الوميضِ بروقُ
وما خلتُ إلّا الوَرْسَ فى الأفقِ إنّه متى لم يَسُكْنُه الورسَ فهوَ خَلوقُ[3]
كأنّ نجيعاً خالط الجوَّ أو جرَتْ لنا بين أثنــاء الغمامِ رحيقُ[4]
يلوح ويخفى ثم يدنو وينثنى ويوسع من مجراه ثمّ يضيقُ
فمــا خفقتْ إلّا كذاك جوانحٌ ولا نبضتْ إلّا «كذاك» عروقُ[5]
وشوّقنى إيمــــاضُه نحو أوجهٍ لهنّ سناه والمشوقُ مشوقُ

---

(١) جوبوا : طوفوا ، والفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) الريق : أفضل الناعم .

(٣) الورس : نبت أصفر يشبه الزعفران ، والخلوق (كرسول) : ضرب من الطيب أصفر لأن معظم أجزائه الزعفران .

(٤) النجيع : الدم ، والرحيق : الخمر .

(٥) « كذاك » فى الشطرين لعلها مصحفة عن « لذاك » .

ودون اللوى ظبيٌ له كلُّ ما هوى ... عَلوقٌ بحبّاتِ القلوب لَعوقُ
له حكمُهُ منّي ومن دون عطفه ... عليَّ غزيرُ اللجّتين عميقُ
وأولَعُ بالبُقيا عليـه ومالَهَ ... إلى جانب البُقيـا عليَّ طريقُ
وما وعـدُهُ إلّا اختلاجةُ خُلَّبٍ ... وإلّا سرابٌ بالفلاةِ خَفوقُ (١)
فمن لستُ مودوداً إليه أودّه ... ومن ليس مشتاقاً إليَّ يشوقُ
وإنّي على مَن لا هوادةَ عنده ... ولا شَفَقٌ منـه عليَّ شَفيقُ (٢)
فيـاداء قلبي ما أراك تُفيقُني ... ويا سُكرَ قلبي ما أراك تفيقُ!
بنفسيَ مَن ودّعتُه يومَ ضارجٍ ... وجَفنيَ من فيضِ الدّموع غريقُ (٣)
وكلّفني من ثِقْلِ يومِ وداعِـهِ ... بلابلَ لا يسطيعهنَّ مطيقُ
يُفِلْنَ أعتزامَ المرءِ وهوَ مصمّمٌ ... ويَهْدِمْنَ ركن الصّبر وهو وثيقُ (٤)
وليلةَ بِتْنا وهو حانٍ على الهوى ... بعيدُ النّوى شَحْطَ الأذاة سحيقُ (٥)
وقد ضلّ فيه الـكاشحون وقُطّعتْ ... عوائقُ كانت قبل ذاك تَعوقُ (٦)
ونحن كما شاء العـدوّ فإنّه ... شجٍ بالذى نهوى وشاء صديقُ
فعَرْفُ الوصالِ يومَ ذاك مُنَشَّرٌ ... وعذبُ المُنى صِرْفٌ هناك مَذوقُ (٧)
فلم تك إلّا عفّـةٌ ونزاهةٌ ... وإلّا اشتكاء للغرامِ رقيقُ
وإلّا انتجاء بالهوى وتحـدّثٌ ... صقيلُ حواشى الطّرّتين أنيقُ
عليـه من الجادىّ فغمةُ نَشرةٍ ... وفيـه ذكيُّ المَنْدَليِّ سَحيقُ (٨)

---

(١) الخلب : السحاب الخادع لا مطر فيه .
(٢) الهوادة : اللين والرفق .
(٣) ضارج : اسم موضع .
(٤) يفلن: يبعدن .
(٥) الشحط : البعيد ، والسحيق : مثله .
(٦) الـكاشحون : جمع الـكاشح وهو العدو .
(٧) العرف : مطلق الرائحة وغلب على الطيبة .
(٨) الجادى: نبت طيب الرائحة.والفغمة الرائحة المنتشرة ، والمندلى: عود الطيب ،و السحيق: المسحوق.

فـــا زال منّا ظامئُ الحبِّ ناقعاً — إلى أن تبدّتْ للصّباحِ فتوقُ

وأقبل مَوْشِىَّ القميص إذا بدا — وكلّ أســـيرٍ بالظّلام طليقُ

يقوِّض أطنابَ الدّياجى كأنّما — ترحّل من بعض الدّيار فريقُ (١)

فـــا هو إلّا قُرحةٌ لدُجُنَّةٍ — وإلّا فرأسٌ للظّلامِ حليقُ (٢)

وشُرِّد بالبطحاء حتى كأنّه — بِكارُ فــلاةٍ راعهنّ فنيقُ (٣)

فإن لم يكن ثغرُ الدُّجى متبسّماً — فسيمُك يا أُفقَ الصّباحِ ذَلوقُ (٤)

وإن لم يكن هــذا الصّباح بعينه — فجانبُ شرق الرّكب فيه حريقُ

فلم يبقَ للسّارى سُرًى فى لُبانةٍ — ولا لِطَروقٍ للرِّحالِ طُروقُ (٥)

* * *

وقال فى البرق أيضاً :

شاقك البرقُ اليمـــا — نىّ دجًى فما يشوقُ

صبغ الأفقَ فقلنـا : — عَنْدَمٌ ذا أم خَلوقُ ؟(٦)

أم غـدا كاليمَنِ اليو — مَ به هــــذا العقيقُ

وشكـكنا وهو بالأفـ — ـقِ عَلوقٌ وشروقُ

هل أُطيرَ اللّيلُ حتى — حانَ للشّمسِ شُروقُ ؟

---

(١) الأطناب : جمع الطنب (بضمتين) ، وهو حبل طويل يشد به البيت ، والدياجى : الظلمات ، والفريق : الجماعة من الناس وغيرهم .

(٢) القرحة كالغرة تـكون فى جبهة الفرس ، والدجنة : الظلمة .

(٣) البكار : جمع البـكرة وهى الناقة الفتية ، والفنيق : الفحل الـكريم من الجمال لا يركب ولا يؤذى لـكرامته على أهله .

(٤) ذلوق : حاد .

(٥) السرى : السير ليلا ، واللبانة : الحاجة ، والطروق : الإتيان ليلا .

(٦) العندم : صمغ ذو صبغة حمراء قيل هو دم الأخوين أو شجر البقم ، والخلوق : ضرب من الطيب أصفر .

أم بطاحُ الشّجرِ الغرْ بيّ في الدّوّ حريقُ؟[1]

والمَطايا كالحنايا غالها البعدُ السّحيقُ[2]

وجَليدُ الرّكبِ يوماً ثَمِلٌ لا يستفيقُ[3]

من رآه قال : هذا قدسرَتْ فيه الرّحيقُ[4]

وعلى العِيسِ وركبُ ال عِيسِ في البيد طريقُ

شاحطُ القُطرين ناءٍ غائر اللُّجِّ عميقُ[5]

والفتى من ركب الهَوْ لَ ولم يدرِ الرّفيقُ

* * *

وقال في الطيف :[*]

« حللتَ » بنا والّليل مُرْخٍ سُدولَه «فألاّ» وضوءُ الصّبحِ للعينِ مُشرِقُ؟[6]

« وزِدْتَ » مِطالاً عن لقاءٍ مُصَحَّحٍ وأوْسَعْتَنا منك اللّقاءَ المُزَوّقُ[7]

فأَحْبِبْ به من طارقٍ بعد هَدْأةٍ على نَشوةِ الأحلامِ لو كان يصدقُ

ولمّا تفرّقنا ولم يكُ بيننا هنالك لولا النّومُ إلّا التفرّقُ

تطايَرَ وصلٌ غرّنا فكأنّه رداءٌ سحيقٌ أو مُلاءٌ مُشَبْرَقُ[8]

* * *

(١) الدو : المفازة .

(٢) الحنايا : الأقواس . مفردها حنية ، وغالها : أبعدها ، والسحيق البعيد .

(٣) الجليد : الصبور ، والثمل : السكران .

(٤) الرحيق : الخمر .

(٥) الشاحط : البعيد ، والنائى : البعيد .

(*) وردت فى طيف الخيال « ص١٠١ » .

(٦) فى طيف الخيال « حلت » مصحفة ، وفى الأصل ، «وألا» بدل «فألا» .

(٧) فى الطيف « وددت » مصحفة عن«وزدت » ، والمزوق : المزين .

(٨) السحيق : البالى ، واللاء ، الإزار ، والمشبرق : المقطع .

وقال فيه أيضاً (١) :

أَلَمَّ خيالٌ من « أُمَيْمَةَ » طارقُ ... ومن دون مَسراه اللّوى والأبارقُ (٢)

أَلَمَّ بنا لم ندر كيف لِمامُهُ ... وقد « طالما » عاقته عنّا العوائقُ (٣)

فلله ما أولَى الكرى فى دُجُنَّةٍ ... جَنَتْها الدَّرارى «طُلَّعٌ و بوارقُ» (٤)

نَعِمْنا به حتى كأنّ لقاءنا ... وما هو إلّا غايةُ الزُّورِ صادقُ

« فما زارنى » فى اللّيل إلا وصبحُنا ... تُسَلُّ علينا منه بيضٌ ذَوالِقُ (٥)

فكيف ارتضيتَ اللّيلَ والليلُ مُلْبِسٌ ... تَضِلُّ به عنّا وعنك الحقائقُ ؟ (٦)

تُخَيِّل لِى قُرْباً وأنتَ بنجوةٍ ... « وتوهمنى »وصْلاً وأنت المفارقُ (٧)

***

وقال فى الاعتبار :

لا تحذر البيضَ الصّوارمَ والقنا ... واحذرْ بجُهدك ما يقول المنطقُ

يبقى الكلامُ وكلُّ كَلْمٍ مؤلمٍ ... يمحوه ليلٌ أو نهارٌ مشرقُ (٨)

والقولُ إمّا كان فى عِرْضِ الفتى ... كذباً فكم كذب الرّجال وصدّقوا!

---

(١) وردت فى طيف الخيال « ص١٠٦ » .

(٢) فى الأصل «أمية» بدل أميمة ، والطارق : الآتى ليلا ، واللوى : منعرج الرمل ، والأبارق جمع الأبرق وهو الموضع فيه رمل وحجارة وطين .

(٣) فى الطيف « وقد طالما » بدل «طالما» .

(٤) الدجنة : الظلمة ، وفى الطيف « طلعاً والبوارق » فى موضع « طلع وبوارق » .

(٥) فى الطيف « فيازائرى » عوضا عن « فما زارنى » ، والذوالق . الحداد المرهفة ، وفى الطيف « دوالق » بالدال مصحفة .

(٦) ملبس : مضلل .

(٧) النجوة : البعد ، وفى الأصل « توهننى » فى موضع « توهمنى » .

(٨) الكلم : الجرح .

قل للذى جمع التِّلادَ وعنـده أنّ التِّلادَ ثنِيَّةٌ لا تُطرَقُ (١)
إنّ الحِمامَ لِمَا نَظَمْتَ مُشَتِّتٌ ولما جمعتَ مبدِّدٌ ومفرِّقُ
والمالُ بعد الموتِ من خزّانِهِ شِلْوٌ على أيدى الرِّجالِ يُمزَّقُ (٢)

٭ ٭ ٭

وقال (أدام الله تأييده) وقد اجتاز بقبر بعض أهله

[وقد رثاه بقصيدة نونية سيأتى ذكرها ضمن قافية النون وأولها :
وسائلة لتعرف ما عرانى وما جرَّتْ إلىَّ يدا زمانى] :

أمُرُّ على الأجداثِ فى كلِّ ليلةٍ وقلبى بمن فيها رهينٌ معلَّقُ
وأقرِيهُم منّى السّلامَ وبيننا رِتَاجٌ ومسدودٌ من الترب مُطبَقُ (٣)
ولو أنّنى أنصفتُ مَنْ فى ترابها لما رحتُ عنه مُطلقًا وهو موثَقُ (٤)
وأنّ له منّى قليلاً جوانحٌ خَفَقْنَ وعينٌ بالدّموعِ ترقرقُ

٭ ٭ ٭

[وقال فى التوسل إلى الله تعالى بأهل البيت صلوات الله عليهم] (٥)

أقِلْنِيَ ربّى بالّذين اصطفيتَهُمْ وقلتَ « لنا » : هم خيرُ مَنْ أنا خالقُ (٦)
وإنْ كنتُ قد قصّرتُ سعيًا إلى التُّقى فإنّى بهمْ « إنْ » شئتَ عندكَ لاحقُ (٧)

---

(١) التلاد : المال ، والثنية : العقبة فى الجبل .
(٢) الشلو : العضو من الجسد .
(٣) الرتاج : الباب العظيم .
(٤) الموثق : المقيد .
(٥) أورد هذه القطعة ابن شهر آشوب فى « المناقب » (ج٥ ص١١٤) مشحونة بالتحريف والتصحيف ، وهى غير موجودة فى أصول الديوان .
(٦) فى المناقب « لما » مصحفة عن « لنا » .
(٧) فى المناقب « ما » بدل « إن » .

هُمُ أنقذوا لمّا « فَزِعتُ » إليهمُ وقد صَمّمتْ نحوى «النُّيوبُ» العوارقُ[1]
وهمْ «جَذَبوا» «ضَبْعِى» إليهمْ من الأذى وقد طرقتْ «بابى» الخطوبُ الطّوارقُ[2]
ولولاهُمُ « مانلتُ » فى الدِّينِ «حُظْوَةً» ولا اتّسعَتْ فيه علىَّ المضائقُ[3]
ولا سيّرتْ فضلى إليها مغاربٌ ولا طيّرتْهُ بينهنّ مشارقُ
ولا صيّرتْ قلبى من النّاسِ كلِّهمْ لها وَطَناً تأوى إليه الحقائقُ

✿ ✿ ✿

وقال يرثى أخا له توفيت :

أفى كلّ يومٍ لى حميمٌ أفارقُهْ وخِلٌّ نآنِى ما نبَتْ بِى خَلائقُهْ
ومُضطجِعٌ فى ريبِ دهرٍ مُسَلَّطٍ تُطالعنى فى كلّ فجٍّ طوارقُهْ
ومُلتفِتٌ فى إثرِ ماضٍ مُغرِّبٍ تراماهُ أجراعُ الرّدى وأبارقُهْ[4]
فثَلْمٌ على ثَلْمٍ ورُزْءٌ مضاعفٌ على فتىً رُزْءٍ ضلّ بالدّهرِ راتقُهْ
مصائبُ لو أُنزِلْنَ بالشّمسِ لم تُنِرْ وبالبدرِ لم تُمدَدْ بليلٍ سُرادِقُهْ[5]
فمُعْتَبَطٌ خواستُهُ ومؤجَّلٌ تلبّث حتّى خِلتُنى لا أُفارقُهْ[6]
تجافَى الرّدى عنه فلمّا أمِنتُهُ سقانِىَ فيه مُرَّ ما أنا ذائقُهْ
فسُرَّ به قلبى فغال مسرّتى زمانٌ ظلومٌ للسّرورِ يسارقُهْ
أرى يومَه يومى وأشعرُ فقدَه بأنّى وإنْ طال التّلوّمُ لاحقُهْ

---

(١) فى المناقب « فرغت » تصحيف « فزعت » ، وفيه « الـوب » محرفة عن « النيوب » ، والنيوب: جمع الناب ، والعوارق: جمع العارق وهو الذى يتعرق العظم أى يزيل ماعليه من اللحم نهشا

(٢) فى المناقب « جدبوا صنمى » تصحيف « جذبوا ضبعى » والضبع : العضد ، وجذب ضبعه وأخذ بضبعه أى انتشله وأنقذه . وفيه « باب » بدل « بابى » .

(٣) فى المناقب « زلت » محرفة عن « نلت » و « خطوة » بموضع « حظوة » والحظوة (بالضم والكسر) : المنزلة .

(٤) الأجراع : الأباطح والرمال المستوية ، والأبارق: جمع الأبرق وهو الموضع فيه رمل وحجارة وطين

(٥) السرادق : الفسطاط الذى يمد فوق صحن البيت .

(٦) المعتبط : الذى يموت شاباً من غير علة .

وكم صاحبٍ عَلَّقتُهُ فتقطّعتْ ... بأيدى المنايا من يدىَّ علائقُهْ
وكيف صفاء العيش للمرء بعد ما ... تغيّبَ عنه رَهْطُهُ وأصادِقُهْ ؟
فللهِ أعوادٌ حَمَلْنَ عشيّـةً ... خبيئةَ بيتٍ لا يرى السّوءَ طارقُهْ
على الكرمِ الفَضْفاضِ لُطّتْ ستورُهُ ... وبالبرّ والمعروفِ سُدّتْ مخارقُهْ (1)
وليس به إلّا العفافُ وما انطوتْ ... على غير ما يُرضى الإلهَ نمارقُهْ (2)
قيامُ سوادِ اللّيلِ يندى ظلامُهُ ... وصومُ بياضِ اليومِ تَحمى ودائقُهْ (3)
فدَتْنى كما شاءتْ وما شئتُ أنّها ... فدَتْنِى ولا كان الذى حُمَّ سابقُهْ
ولو أنّنى أنصفتُها من رعايتى ... وقابلتُه رُزاءًا بما هو لائقُهْ
لأكرعتُ نفسى بعدها مَكْرعَ الرّدى ... تصابحه حزنًا لها وتغابقُهْ
سقى جَدَثًا ـ أصبحت فيه ـ مُجَلْجِلٌ ... رواعدُهُ ماتنجلى وبوارقُهْ (4)
يُطيحُ الصَّدا الدّفّاعُ منه وتَرْتوى ... مغاربُهُ من فيضه ومشارقُهْ (5)
لئن غبتِ عن عينى فربَّ مُغيَّبٍ ... يروحُ وأبصارُ القلوبِ روامقُهْ (6)

* * *

وقال يرثى الملك شرف الدولة بن بهاء الدولة، ويعرض بحقوقه :

من جملتها أنه أنفذ جميع غلمان داره الأتراك لحفظداره [أى دار المرتضى]، ومنع العيارين من التعرض لها ، فأقاموا مدة بحفظها وحمايتها ، وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول « سنة ٤١٦ » وخرجت هذه القصيدة فى جمادى الأولى « سنة ٤١٧ » (7)

ألا جنّبا قلبى الأذى لا يُطيقُهُ ... وقولوا له إذْ ضلّ : أين طريقُهُ

---

(1) لطت : أسدلت .
(2) النمارق : جمع النمرقة وهى الوسادة .
(3) الودائق : جمع الوديقة وهى شدة الحر .
(4) الجدث : القبر ، والمجلجل ، السحاب الراعد .
(5) الصدى : العطش .
(6) الروامق : جمع الرامق وهو الناظر نحو الشىء طويلا .
(7) راجع حوادث « سنة ٤١٦ » فى المنتظم لابن الجوزى ج٨ص ٢١ــ٢٢ تجد تفصيل ذلك.

فما الشّوقُ والأشجانُ إلّا صَبوحُهُ وما الهمُّ والأحزانُ إلّا غَبوقُهُ (١)
فإنْ أنتما لم تُسعداه بعبرةٍ فلا تُنكرا إن سحّ بالدّمع مُوقُهُ (٢)
طوَى الموتُ أهلى بعد طىٍّ أصادِقى ولمّا يُقِمْ مَن بانَ عنه صديقُهُ
فثُكلٌ على ثُكلٍ ورُزْءٌ يسوقُهُ إلى الكَبِدِ الحرَّى عليه سَؤُوقُهُ
وما المرء إلّا عرضةٌ لمصيبةٍ فطوراً بنوهُ ثمّ طوراً شقيقُهُ
وما الدّهرُ إلّا تَرْحَةٌ بعد فرحةٍ فلا كان منه برُّهُ وعقوقُهُ
أتانى من الطّرّاقِ ما يَقرحُ الحشا وكم طارقٍ لى لايَوَدُّ طُرُوقُهُ (٣)
وقالوا : معزُّ الدّينِ تاه به الرّدى وسُدَّ به فى وَسْطِ قاعٍ خُروقُهُ
فألْهَبَ خوفاً ليس يخبو حريقُهُ وأعقب سكراً ليس يصحو مُفيقُهُ
وذاك ذهابٌ ليس يدنو إيابُهُ وَوَشْكُ غروبٍ ليس يُرجى شُروقُهُ
كأنّى وقد فارقتُهُ شِعْبُ منزلٍ تحمّل عنه راغمين فريقُهُ (٤)
وإلّا فصَدْيانٌ على ظهر قفرةٍ وما ماؤه إلاّ السّرابُ وريقُهُ (٥)
فليس الذى تجرى به العينُ ماؤها ولكنّه ماء الحياةِ أُريقُهُ
فمنْ لسرير الملك يركب متنَهُ فيعلو به إشرافُهُ وسُموقُهُ ؟ (٦)
ومَنْ لصفيحِ الهندِ يُنثَرُ حولَه فديغُ رءوسٍ فى الوغى وفليقُهُ ؟ (٧)
ومَنْ للقنا تحمرّ منه ترائبٌ كأنّ خَلوقَ المرسات خَلوقُهُ ؟ (٨)

---

(١) الصبوح : شراب الصباح ، والغبوق : شراب العشى .
(٢) الموق والماق : من العين معلوم .
(٣) الطارق : الآتى ليلا .
(٤) الفريق : الجماعة من الناس .
(٥) الصديان : العطشان .
(٦) الإشراف : العلو ، والسموق : مثله .
(٧) الفديغ : المشدوخ .
(٨) الترائب : عظام الصدر ومفردها تريبة . والخلوق : ضرب من الطيب أصفر اللون .

وَمَنْ للجيادِ الضُّمَّرِ القُودِ قادَها ... إلى موقفٍ؛ دَحْضُ المقامِ زليقُهُ ؟[١]

وَمَنْ يحمل العِبْءَ الرَّزِينَ تَكَرُّماً ... إذا كَلَّ عن حَمْلِ الثَّقيلِ مُطيقُهُ ؟

وَمَنْ لثغور الملك يرتُقُ فتقَهــــا ... إذا التاث ثَغْرٌ أو تراءتْ فتوقُهُ[٢]

فتًى كان رنَّاتِ السيوفِ سَماعُهُ ... وفيضَ نجيعِ الذَّابلاتِ رحيقُهُ[٣]

ولم تُلْفِـهِ إلاَّ وفوقَ فَقَــارِهِ ... جليــلُ الذى يقتادنا ودقيقُهُ[٤]

وقد علم الأمــلاكُ أنك فَتَّهُمْ ... وإلاَّ فقلْ مَنْ ذا الذى لا تفوتُهُ ؟

فإن نزلوا فى الفخر هضباً رفيعــةً ... فمنزلُكَ الأعلى من الفخرِ نِيقُهُ[٥]

وأنك من قومٍ كفى الخطبَ بأسُهمْ ... وقامتْ بهمْ فى معظم الأمرِ سوقُهُ

إذا ماجرى منهم كريمٌ إلى ندًى ... مضى لم يَعُقْهُ دونه مايَعوقُهُ

وفيهمْ شعابُ الملك تجرى وعندهمْ ... إذا وَشَجَتْ أغصانُه وعروقُهُ[٦]

وإن تنكُصِ الأقدامُ جُبناً فما لهمْ ... إلى المجــد إلاَّ شَدُّهُ وعنيقُهُ[٧]

قضى اللهُ لى من بعدك الحزنَ والأسى ... وليسَ بمردودٍ قضــاءٌ يسوقُهُ

وما كنتُ أخشى أنْ تَبيتَ وبيننا ... بعيدُ المدا شَحْطُ المزارِ سحيقُهُ[٨]

وأنَّى موفورٌ وأنتَ مُحَمَّــلٌ ... بثقْلِ الثَّرى ما لا أراكَ تُطيقُهُ

يُفيقُ الرِّجالُ الشَّاربون من الكَرى ... وسكرك من خمر الرَّدَى لا تُفيقُهُ

---

(١) الضمر : المهزولات ، والقود : جمع الأقود والقوداء من الخيل والإبل الطويلة الظهر والعنق، والدحض : الزلق .

(٢) التاث : اختلط والتبس واشتد .

(٣) النجيع : الدم ، والذابلات : الرماح الدقيقة ؛ والرحيق : الخمر .

(٤) الفقار : من الظهر معلومة وهى عظام الصلب المنضدة واحدتها فقارة .

(٥) النيق : أرفع موضع فى الجبل .

(٦) وشجت : التفت واشتبكت .

(٧) الشد فى السير : الإسراع فيه ، والعنيق من السير : كالعنق بفتحتين والإعناق وهو السير الفسيح .

(٨) الشحط : البعيد ، والسحيق : مثله .

وَلِمْ لا أقيك السّوءَ يوماً وطالما	وقيتَ من الأمر الذُّعاف مَذوقَهُ
ولمّا عرانِي ما عرانِيَ وٱلتَوَى	علىَّ أخٌ فيما عرا وشقيقُــــهُ
تشمّرتَ لِي حتّى أضــاءَ ظلامُهُ	وطاوع عاصيه وأرحَبَ ضيقَهُ
فإنْ تمضِ فالأنواء تمضى وإنْ تَغِبْ	فقــد غاب عنّا من زمانٍ أنيقُهُ (١)
وإن تَعْرَ منّا اليومَ فالغصنُ يُغتَدَى	وريقاً زماناً ثُمّ يَعْرَى وريقُهُ
فما لفؤادى بعــد يومك بهجةٌ	ولا شاق قلبى بعـــده ما يشوقُهُ
ولا لسلوٍّ خَطْرَةٌ فى جوانحى	ولا لجفونى طعمُ يومٍ أذوقُهُ
سلامٌ على قبرٍ حَلَلْتَ ترابَه	وهبَّ عليــه من نسيمٍ رقيقُهُ
ومِن حوله وَشْىُ الرّياض مُنَشَّرٌ	وفيــه من المسك الذّكىّ فتيقُهُ
فإنْ ضاقت الأرضُ الفضا بعد فقده	فقــد وسعته تربةٌ لا تضيقُهُ
مررنا عليــــه منشئين لقبره	غمامَ دموعٍ والحنينُ يسوقُهُ
ومِن قلّةِ الإنصافِ عيشِىَ بعــده	وفى الكفِّ منّى لو أردتُ لُحوقُهُ

(١) الأنواء : الأمطار ، وأصلها سـاقط النجوم المثمرة بنزول المطر .

باب القاف المفتوحة

قال ـ أدام الله علوه ـ في غرض له :

قرّبا منّيَ القِلاصَ العِتاقا   وخذاها رحلةً وفراقا (١)
ودعا عنّى أنّنى حليمٌ   ربّ أمرٍ ضقتُ عنه وضاقا
عصفتْ بي عنكما عاصفاتٌ   ويقيمُ المرء فيما أطاقا
لستُ أرضى منكما برفيقٍ   حسبُ نفسى قدسئمتُ الرّفاقا
موثِقاً كنتُ حياءً وحِلْماً   فاتركانى قد قطعتُ الوَثاقا
لا سقى اللهُ شِعابَ خلافٍ   لم أصِبْ قطُّ بهنّ وِفاقا
وإذا البرقُ حداهُ رُكامٌ   فحماهُ اللهُ تلك البِراقا (٢)
ليس قلبي يا خليليّ منّى   إن «نزا» شوقاً إليها وتاقا (٣)
غيرَ هـذا الحيَّ عُلّقَ وُدّى   وسواه هاج قلبي وشاقا
كلَّ يومٍ في صَفاتى ثلومٌ   سوف تقيك ردًى أن تُذاقا (٤)
واعتراقُ النّحْضِ من عارِقيهِ   جَعَلَ العِرْقَ سريعاً عُراقا (٥)
أعِراقٌ أنتَ فيـــه أميمٌ   فاتّخذْ غيرَ العراقِ عِراقا ؟ (٦)

---

(١) القلاص : جمع القلص (بضم القاف واللام) ، والقلص جمع القلوص وهى من النوق الشابة الحسناء ، والعتاق : الأصيلات .

(٢) الركام : السحاب المتراكم .

(٣) في (هـ) « نراه » بدل « نزا » و « لهن » بدل « إليها » ، وتاق : اشتاق .

(٤) والصفاة (بالفتح) : الحجر العريض الأملس .

(٥) الاعتراق : إزالة ماعلى العظم من اللحم ، والنحض : اللحم الكثير المكتنز ، والعراق (بالضم) : العظم الذى أكل لحمه .

(٦) الأميم والمأموم : المصاب بالآمة وهى الضربة تبلغ من الرأس أم الدماغ .

إنّ بالزَّوْراء دارَ أُناسٍ أنْشَقُ الشرَّ بهـا وأُساقَى[1]
سجنونا بينهمْ ثمّ نادوا : لا ترومواِ من يدينا أَباقا[2]
عجّل الله فراقَ قوماً تركونى لا أذمّ الفراقا
أنا فى كلّ وَقاحِ الُمحَيَّا لا يريك الوُدَّ إلّا نفاقا
إنْ كبا عن تَلْعَةٍ للمخازى نزع العِرقُ به « فتَرَاقَى »[3]
معشرٌ إنْ خُبِروا فغصونٌ حَسُنَتْ مرأًى ومَرّت مَذاقا
كلّما زِدتُهُمُ من جميلٍ زدتُهمْ مَقْلِيَةً وشِقاقا[4]
وإذا عاتبتُهمْ أوسعونى كلماتٍ أوسعوها اختـــلاقا
نَتَلاقَى وسقامُ قلوبٍ لا نداويه بأنْ نتلاقَى
أمِنَ الأشجانِ كنتُ خَلِيًّا حين حادِى الذَّوْدِزَمَّ وساقا؟[5]
قاد قلبى منهُمُ أحْوَذِىٌّ رشّحوهُ ليقودَ النِّياقا[6]
قالْ لمنْ عانقنى ثمّ ولّى : سوف أحيا لا ألَذُّ العِناقا
عَجِبَ الركبُ ضُحَى يومِ بانوا كيفَ لم «نزدَدْ» هوًى واشتياقا[7]
ثمّ قالوا نحن نعتدّ عـــذراً إنْ تفرّقْنا وعشتَ فُواقا[8]
قد أفاق الواجـدون وملّوا والذى يهواكُمُ ما أفاقا

---

(١) الزوراء : من أسماء بغداد .
(٢) الأباق : الهرب .
(٣) كبا : عثر ، والتلعة : المرتفع من الأرض ، والعرق : الأصل ، وتراقى : ترامى إليه ، وفى س « فاستراقا » .
(٤) المقلية : البغض .
(٥) الذود : الجماعة من الإبل ، وزم البعير : شد زمامه .
(٦) الأحوذى : الحاذق السريع فى الأمور .
(٧) فى « س » « نرد » بدل « نزد » .
(٨) الفواق : الزمان اليسير وهو مابين الحلبتين ، يقال : أمهلى فواق حالب أو فواق ناقة أى مدة قصيرة .

ليس عندى لسواكُمْ خَلاقٌ فاجعلوا عنـدكُمْ لى خَلاقا (١)

نحن قومٌ فى ذُرا باسقاتٍ ضرب العزُّ عليهـا رِواقا (٢)

نَقْتَنِى إمّا رماحاً طِوالاً للأعادى أو سيوفاً رقاقا

فى خيـامٍ للقِرَى ماثلاتٍ ربطتْ أطنابُهنَّ العِتاقا (٣)

وإذا ما جُلْتَ حول « فِناء » فاق مَنْ نُؤْويه منّا فَفاقا (٤)

« لم » تجدْ إلّا مجرَّا لرمحٍ أو نجيعاً من عدوٍّ مُراقا (٥)

ونَمَتْنا من قريشٍ بُدورٌ طالعاتٌ لا تُخاف مُحاقا

لبسوا المجـــد فإمّا رداءً سحبوا هُدّابه أو نِطاقا (٦)

« قد خَلَوْنا » بعدكُمُ بالمعالى نتعاطاها كؤوساً دِهاقا (٧)

لم يَعُقْنا عن بلوغ الأمانى فى المعالِى ما ثنا كُمْ وعاقا

عجّ هذا الدّهرُ ياقومُ منّى كعجيجِ الفحلِ أمَّ الحِقاقا (٨)

كلمّا تُبْطِنى عن مرامٍ زادنِى ضِنًّا به واعتلاقا (٩)

إنّ للدّنيا حِبالَ غرورٍ فاخترقْها تنجُ منها اختراقا

مَن أراد العزَّ فيها مقيماً فلْيُبِنْها كلَّ يومٍ طلاقا

* * *

(١) الخلاق : النصيب .

(٢) الباسقات : العاليات ، والرواق : مقدم البيت أو سقف مقدمه .

(٣) القرى (بالكسر) مايقدم للضيف ، والأطناب : جمع الطنب وهو الحبل تشد به الخيمة ، والعتاق : الأصائل من الخيل .

(٤) الفناء (بالكسر) : الساحة ، وفى (ه) « قباء » تصحيف .

(٥) فى (ه) «لا» بدل «لم» ، والنجيع : الدم ، والمراق : المسفوح أو المنصب .

(٦) هداب الرداء : ماتدلى منه ، والنطاق : شقة من ملابس النساء .

(٧) فى (ه) « تدخلونا » فى موضع « قد خلونا » تصحيف ، والدهاق : الممتلئة .

(٨) الحقاق : من الحقق وهو وقاع الذكر للأنثى .

(٩) الضن : البخل والشح .

وقال ـ رضي الله عنه ـ في الفخر : (١)

لمنْ ضَرَمْ أعلَى اليَفاعِ تعلقا ... تألَّقَ حتى لم يجد متألَّقا ؟ (٢)

إخالُ بهِ يخفى ويبدو مكانه ... وينْئَى ويدنو في دجى الليلِ أوْلَقا (٣)

كأنّ شموساً طالعاتٍ خلالَه ... وإلاّ وَريساً من مُلاه تمزّقا (٤)

ذكرتُ به عصراً تصرّم طيِّباً ... وعيشاً سرقناه بوَجْرَةَ مُشرِقا (٥)

وريّانَ من خمر الكرى طولَ ليلِهِ ... يهون عليه أنْ أبيتَ مؤرّقا

ويحرمنا منه النَّوالَ تجنباً ... ويُعرِضُ عنّا بالوصال تعشّقا

وشنباء تستدعي العَزوفَ إلى الصِّبا ... فيعلقها السالي الذّي ما تعلّقا (٦)

تضِنُّ على الظّامي إليها بريقِها ... وإنْ هي سَقّتْهُ الأراكَ المُخَلَّقا (٧)

ولمّا التقينا للوداعِ رَقَتْ لها ... دموعٌ ودمعي يوم ذلك مارَقَا (٨)

ولمّا مررنا بالظِّباءِ عشيّةً ... علوْنَ النَّقا وَهْناً بأوفى من النَّقَا (٩)

سفرن فأبدلن الدّياجيَ بالضُّحى ... وأجرينَ من تلك العشيّات رَوْنقا

---

(١) ورد في طيف الخيال (ص٩٧) الشطر الأول من مطلعها مع البيتين التاليين ولم يثبتا في القصيدة وهما :

وقد زارَني بعد الهُدُوِّ خيالُهُ ... فجدّد من شوقي وما كان أخلَقَا

فلله مردودٌ إليَّ طُروقُهُ ... وما كنتُ أرجومنه بالليلِ مَطْرَقا

(٢) الضرم : لهب النار ، واليفاع : ماارتفع من الأرض ، وتألق : تلألأ .

(٣) الأولق : الجنون .

(٤) الوريس : المصبوغ بالورس وهو نبت أصفر كالزعفران ، والملاء : الإزار .

(٥) وجرة : إسم موضع قرب مكة على طريق البصرة .

(٦) الشنباء : ذات الشنب وهو صفاء الأسنان ، والعزوف : الزاهد .

(٧) تضن : تبخل ، والأراك : شجر تتخذ من فروعه المساويك واحدته أراكة ، والمخلق : الذي طيب بالخلوق (بفتح الخاء) وهو نوع من الطيب .

(٨) رقا الدمع : جف وسهلت الهمزة للضرورة .

(٩) النقا (بالفتح) : الكثيب من الرمل ، والوهن : نحو منتصف الليل ، والوهن : الضعف أيضاً .

فمِسْنَ غصوناً وأُطْلِعْنَ أهلّةً وفُحْنَ عبيراً أو سُلافاً معتّقا (١)
وعيّرْتَني شيباً سيُكسَيْنَ مثلَهُ ومن ضلّ عن أيدى الرّدى شاب مفْرقا (٢)
وهل تاركٌ للمرء يوماً شبابَه صباحٌ وإمساءٌ ومنأًى وملْتَقى ؟
فقلْ للعدا كَمْ ذا الطّماحُ إلى الذى علا قبلكمْ نحو السّماء مُحلّقا ؟
أراحتُكُمُ ذاكَ الذى لِىَ مُتعِبٌ ونومُكُمْ ذاكَ الذى لِىَ أرّقا
ولستمْ سواءً وامرؤٌ فى مُلِمّةٍ خدمتُمْ بها خوفَ الحِذارِ وأشرقا
ولمْ يَقْرِها إلّا الصّفيحَ مُثلّماً وإلا الوَشيجَ بالطّعانِ مُدقّقا (٣)
وشهّاقةً ترنو نجيعاً كأنّما خرقتَ « به » نَوْءَ الحيَا فتخرّقا (٤)
فتحتُ لهمْ قعراً عميقاً كأنّنى فتحتُ بها باباً إلى الموتِ مُغْلَقا
تحكّكتُمُ منه بصلٍّ تنوفةٍ ثوى لا يذوق الماءَ فيمنْ تذوّقا (٥)
يَرُمُّ وما إرْمامُهُ لمخافةٍ ويُخشَى الرّدى ممّنْ « أرمّ » وأطرَقا (٦)
يمُجُّ سِماماً من فروجِ نُيوبِهِ متى مارقاها القومُ صَمّتْ عن الرُّقىٰ (٧)
وبحرُ النّدى يَمٌّ الرّدى لمُرِيغِهِ إذا صابَ أغنىٰ أو إذا صَبَّ أغرقا (٨)

---

(١) مسن : ملن ، والسلاف : الخمر .

(٢) ورد هذا البيت فى « الشهاب » (ص٦٨)

(٣) الصفيح : السيف ، والوشيج : الرمح .

(٤) الشهاقة : من الشهقة وهى الصيحة أى الناعية أو الباكية ، وترنو : تنظر ، والنجيع : الدم ، وفى الأصل « بها » بموضع « به » والنوء : السحاب ، والحيا المطر .

(٥) التنوفة : المفازة .

(٦) يرم : يسكت أو يطرق .

(٧) النيوب : جمع الناب ، ورقاها : قرأ عليها الرقية وهى العوذة وجمعها رقى .

(٨) اليم : البحر ، والمريغ : طالب الشىء على وجه المكر ، وصاب من الصوب وهو المطر على وجه المنفعة والنعمة وصب على وجه العذاب والنقمة ومنه قوله تعالى « فصب عليهم ربك سوط عذاب » .

وليثاً ترى فى كلّ يومٍ « بجنبه » لصرعاه أعضاداً قُطعن وأسؤقا (١)
شديدَ القوى إنْ غالبَ القِرْنَ غاله وإنْ طلب الأمر الذى فات ألحقا
وإن هاجه يوماً كَمِيٌّ رأيتَهُ مُكِبًّا على أوصالِهِ مُتعرِّقا (٢)
ففخراً بنِى فِهْرٍ بأنّىَ منكمُ إذا عِيقَ عن عليائها مَن تعوّقا
تطولون بِى قوماً كما طُلتُ معشراً بكمْ سابقاً فى حَلْبةِ المجدِ سُبَّقا
وكنتُ لكمْ يوم التخاصمِ منطقاً فصيحاً وفى يوم التجالد مَرْفِقا
ولمّا ادّعيتُمْ أنّكمْ سادةُ الورى وألصقتُمُ بالمجد كنتُ المصدّقا
ولم تخفقوا لمّا طلبتمْ نجابتى وكم طالبٍ هذى النجابةَ أخفقا
وما كان ثوبُ الرَّوْعِ يوماً عليكمُ وفى كفِّىَ العَضْبُ اليمانىُّ ضيّقا
خذوا الفخرَ موفوراً صحيحاً أديمُهُ وخلّوا لمن شاء الفخارَ المُشَبْرَقا (٣)
ولمّا بنيتُمْ ذِرْوَةَ المجد والندى هزأتُمْ بقومٍ يبتنون الخورْنقا (٤)
وحرّقتمُ بالطعنِ ناراً غزيرةً فأنسيتُمُ مَن كان يُدعى المحرّقا (٥)
وحلّقتمُ فى شامخاتٍ من العُلا فأخزيتُمُ مَن كان يُدعى المُحَلَّقا (٦)
وودّ رجالٌ أنّنى لم أفُتْهُمُ تماماً وأفضالاً ومجداً ومُرتقى

(١) فى الأصل « نجيه » مصحفة عن « بجنبه » ، والأعضاد : جمع العضد .
(٢) الأوصال : المفاصل ، والمتعرق : الذى يأكل اللحم ويجرد العظم منه .
(٣) الأديم : الجلد ، والمشبرق : الممزق .
(٤) الخورنق : قصر النعمان الأكبر .
(٥) المحرق : يطلق على عدة من ملوك العرب منهم الحرث بن عمرو ملك الشام لأنه أول من حرق العرب فى ديارهم ، وعمرو بن هند لأنه حرق مائة من بنى تميم ، وامرؤ القيس بن عمرو وهو المراد فى قول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤملُ بعد آلِ محرّقٍ تركوا منازلهمْ وبعد أيادِ ؟

(٦) المحلق : لقب عبد العزى بن حنتم لأن حصانا عضه فترك أثراً كالحلقة ، وقيل أصابه سهم فكوى بحلقة فتركت أثرها ، وإياه عنى الأعشى بقوله :

تُشبّ لمقرورين يصطليانها وباتَ على النارِ الندى والمُحَلّقُ

وأنّى ما حُزتُ الفخارَ مغرّباً ... كما حزتُهُ دون الأنامِ مشرّقا
وأنّى ما أصحبتُ في طرقِ العُـلا ... قلوباً وأجساماً وخيلاً وأينُقا (1)
فلا تغضبوا من سابقٍ بلغ المـدا ... ولوموا الذى لم يُعطَ سَبْقاً فيسبقا
ولم أرَ مِن بعد الـكمال بناظرى ... من النّاسِ إلّا مُغضَباً بِيَ مُحنَقا
وماذا على الرّاقى إلى قُلَلِ الذرا ... ذُرا المجدِ بل مَن لم ينلها ولا ارتقى ؟
فـكم أنا مُزْجٍ كلَّ يومٍ قصيدةً ... ومُهدٍ إلى راوٍ كلاماً مُنمَّقا (2)
وليس بشافٍ داءَ قلبِيَ مِقوَلِى ... وإنْ كان مرهوبَ الشَّباةِ مُذَلَّقا (3)

* * *

وقال فى الفخر أيضاً (4) :

ما قرّبوا إلّا لبينٍ نوقا ... فاحبسْ دموعًا قد أصَبْنَ طريقا
رحلوا فليس ترى على آثارهمْ ... إلّا دموعاً ذُرَّفاً وغريقـــا
وأسيرَ شَجْوٍ لا يُطيق فراقهمْ ... يبكى وقد شَحَطَ الخليطُ طليقا (5)
طَرَقَ الخيالُ ولم يكن قبل النّوى ... هـذا الخيالُ لنا هناك طَروقا (6)
لم أدرِ ما هو غـيرَ أنّ طُروقَه ... أغرى بشـائقةِ القلوبِ مشوقا
ياضَرّةَ القمرين لِمْ ذوّقتِنى ... مالم يـكن لولا هواكِ مذوقا ؟
لو كنتِ ريحاً كنتِ نَشْرَ لَطيمةٍ ... أو كنتِ وقتاً كنتِ منه شُروقا (7)
وعجبتُ من قلبٍ يودّك بعـد ما ... أضرمتِ بالهجرانِ فيه حريقا

---

(1) الأينق : جمع الناقة .
(2) المزجى : السائق .
(3) المقول : اللسان ، والشباة : الحد ، والمذلق المحدد الطرف ومن الألسن : الذرب البليغ .
(4) أشار الناظم إلى هذه القصيدة فى « طيف الخيال » ص(٩٨) وأورد صدر مطلعها وبيتين منها هما الرابع والخامس .
(5) شحط : بعد ، والخليط الصاحب والمخالط .
(6) طرق : أتى ليلا ، والطروق (بالفتح) : الآتى ليلا .
(7) النشر : الرائحة ، واللطيمة : العنبرة لطمت بالمسك .

إنْ كنتِ آمنــةَ الفراق فإنّنِي ... مازِلتُ من يوم الفراقِ فَروقا (١)
رحنـــا نعلّلُ بالوداعِ مطيقــةً ... مالم أكن للثِّقْلِ منـه مطيقـــا
ورأيتُ مدمَعهـــا يجود بلؤلؤ ... فيعود من ورد الخــدود عقيقـا
ذهب الشّبابُ وكم مضى من فائتٍ ... لانسـتطيع له الغداةَ لحوقا
ما كان إلّا العيشَ قُضِّيَ فانقضى ... بالرّغمِ أو ماء الحيـاةِ أُريقـا
فلو أنّنى خُيِّرتُ يوماً خُلّتِي ... ما كنتُ إلّا للشّبـاب صديقـا
ولقد ذكرتُ على تقـادم عهـده ... عيشـاً لنـا بالأنْعَمين أنيقـا
وإذا تراءتْنِي عيونُ ظبـائهمْ ... كنتُ الفتى المرموقَ والمَوْموقا (٢)
ومرشَفِ الشّفتين زارَ مخاطراً ... حتّى سقـانى من يديه الرّيقـا (٣)
ما إنْ يبـالى مَن تذوّق عَذْبَهُ ... وهْوَ المُنى أنْ لا يذوق رحيقـا (٤)
ومرنّحين من الـكلالِ كأنّهمْ ... كرعوا سُلافَ البابلِيّ عتيقا (٥)
ركبوا قلائصَ كالنّعائمِ خرّقتْ ... عنها الظّلامَ بوَخْدِها تخريقا (٦)
يقطعن أجوازَ الفَلا كمعابِلٍ ... يمرُقْنَ عن جَفْنِ القِسِيِّ مُروقا (٧)
حتّى بدا وَضَحٌ كغُرّةِ شادخٍ ... أو بارقٌ يحدو إليك بُروقا (٨)
فكأنّه للمبصرين ذُبالةٌ ... عَلِقَتْ ببادرةِ الزّنادِ علوقا (٩)

---

(١) الفروق : الخائف الفزع .
(٢) المرموق : المنظور ، والموموق : المحبوب .
(٣) المرشف : طيب الريق ورشف الشفة : مص ريقها .
(٤) الرحيق : الخمر .
(٥) المرنح : المتمايل من سكر أو نعاس ، وكرعوا : شربوا ، والسلاف : الخمر .
(٦) القلائص : جمع القلص وهى جمع القلوص ، والقلوص من النوق : الشابة المسنة ، والوخد الإسراع فى السير .
(٧) المعابل : جمع المعبلة (بكسر الميم) ، وهى نصل السهم ، ويمرقن : يخرجن وينفذن .
(٨) الوضح : البياض وضوء الصبح ، والشادخ : الشاب .
(٩) الذبالة : الفتيلة ، وبادرة الزناد : طرفها .

ولقد فخرتُ بمعشرٍ لمّا اعتلَوْا ... لم يرتضوا النَّسْرين والعَيّوقا (١)
ملكوا الفخارَ فما ترى مِن بعدهم ... إلّا افتخاراً منهُمُ مسروقا
النّاحرين إذا الرّياحُ تناوحتْ ... للنّازلين فنيقةً وفنيقا (٢)
أكل الضّيوفُ لحومَها ولطالما ... أكل السُّرى دَمَكاً بها وعنيقا (٣)
والمُسبلين على الصّديق مَبَرَّةً ... والمطرين على العــــدوّ عقوقا
والمُحرجين فضاءَ مَن ناواهُمُ ... والرحبين على الوليّ مضيقا
وإذا جروا طَلَقاً إلى شأو العُلا ... تركوا سَبوقَ معاشرٍ مسبوقا (٤)
قومٌ إذا شهدوا الوغى ملأوا الوغَى ... بالضّرب هاماً للكماةِ فليقا
وإذا سرحتَ الطّرفَ لم تَرَ فيهمُ ... إلّا نجيعاً بالطّعانِ دفيقا (٥)
ومتى دعوتَهُمُ ليومِ عظيمةٍ ... جاءوا صباحاً مشرقاً وشُروقا
تركوا المعاذرَ للجبان وحلّقوا ... في شامخٍ عالى الرَّجا تحليقا
وإذا الكرامُ لدَى فخارٍ خُصّلوا ... كانوا كرامَ ثرًى وكانوا النِّيقا (٦)
مِن كلّ أبلجَ كالهلال تخاله ... عَضْباً صقيلَ الطُّرّتين ذَلوقا (٧)
قد قلتُ للمتولّعين بيأسهم ... والفاتقين إلى البَوارِ فتوقا :
إيّاكُمُ أنْ تركبوا من سخطهمْ ... بحراً غزيرَ اللُّجّتين عميقا

---

(١) النسران والعيوق : نجوم .
(٢) تناوحت : اشتدت واختلفت مهابها ، والفنيق : الكريم من الإبل لا يركب ولا يؤذى لكرامته على أهله .
(٣) السرى : السير ليلا ، والدمك : السير السريع ، والعنيق والعنق : مثله .
(٤) طلقا : شوطا ، يقال عدا الفرس طلقا أو طلقين ، والشأو : الغاية .
(٥) النجيع : الدم .
(٦) خصلوا : غصوا لمعرفة خصالهم،والخصلة هى الفضيلة والرذيلة وغلبت على الأولى ، والنيق: أرفع موضع فى الجبل .
(٧) الأبلج : الأبيض اللامع ، والذلوق : الحاد القاطع .

وأنا الذي مازلتُ من جَنَفِ الرّدَى ... رُكناً لأبناءِ الحِذارِ وثيقا (١)

أقرِي الذي ذادوه عن باب القِرَى ... وأعيدُ محرومَ الغِنَى مرزوقا (٢)

والضّربُ يهتِكُ جانباً متستّراً ... والطّعنُ يفتُقُ جانباً مرتوقا

واليومُ ليس ترى به متحكّماً ... إلا حديدَ الشّفرتَين رقيقا

يَفرِي الترائبَ والطُّلَى وكأنه ... لَطْخَ الكميِّ بما أسالَ خَلوقا (٣)

وعصائبٌ دبّوا إلى خُطَطِ العُلا ... فرأوا مجازَ اللَّهْدِ آنَ خَليقا (٤)

وتقوّضوا من غير أن يتلوّموا ... مثلَ الغمامِ إذا أصاب خريقا (٥)

للمجدِ أجلابٌ وليس نراكُمُ ... أبداً لأجلابِ الأماجد سوقا

لا مُدَّ فيه لكمْ فكيف أراكُمُ ... - كَذِبَ المُنى - أن تأخذوه وُسُوقا؟ (٦)

خلّوا الفخارَ لمعشرٍ ما فيهمُ ... إلا الذي اتّخذ الحسامَ رفيقا

وإذا مضى قُدُماً يُريغ عظيمةً ... لم تلقَه عمّا يروم مَعوقا (٧)

مُستَشهِدٌ أبداً لنَجدَة بأسه ... ثَلْمَ الحسامِ وعاملاً مدقوقا (٨)

وجماجماً يهبطن عن نثر الظُّبا ... خللَ العجاج وأذرُعاً أو سوقا

وله إذا جمد الكرامُ عن الندى ... مالٌ يهانُ ندًى وعِرْضٌ يوقَى

---

(١) الجنف : الجور والميل .

(٢) أقرى : أضيف ، والقرى : طعام الضيف ، وذادوه : طردوه .

(٣) يفرى : يشق ، والترائب: عظام الصدر، والطلى : الرقاب ، والكمى : الشجاع ، والخلوق ضرب من الطيب أصفر .

(٤) اللهد : انفراج يصيب الإبل فى صدرها من صدمة ونحوها ، والخليق : البالى .

(٥) يتلوموا : ينتظروا ويتريثوا ، والخريق : الريح الباردة السريعة .

(٦) المد : مكيال عند المتقدمين يقدر بملء كفى الإنسان المتوسط ، والوسوق : جمع الوسق:وهو ستون صاعا والصاع أربعة أمداد .

(٧) يريغ : يطلب .

(٨) النجدة : الشدة ، والعامل : الرمح .

مَنْ مُنصِفِي من حكمِ أعوجَ جائرٍ ... أعْيَتْ نعوتُ خصاله المنطيقا ؟
أعلاَ السّفيه وحطَّ أهـلَ رزانةٍ ... فـكأنه جعل اللّبابةَ مُوقا (١)
ماضرَّ مَنْ صحّتْ عهودُ حِفاظِهِ ... أنْ كان بعضُ قميصِه مخروقا ؟
فدع امرأً طلب الغِنىٰ بمـذلّةٍ ... سُلِبَ الرّشادَ وخُولِس التّوفيقا
جمع النُّضارَ إلى النُّضارِ ولم يخفْ ... من دهره التّمزيقَ والتّفريقا (٢)
أين الأُلىٰ طلعوا النِّجادَ مهابةً ... وتسنّموا فلكَ النّجومِ سُموقا ؟ (٣)
الرّافعين مع السّماء رءوسهمْ ... والضاربين إلى البحور عروقا
بادوا كما اقترح الحِمامُ ومزّقَتْ ... أيدى البِلىٰ أشلاءهمْ تمزيقـــا
فهمُ بأجـداثِ القبور كأنّهمْ ... كلأٌ هشيماً بالرّياح سحيقا (٤)
فمتى أردتَ العزَّ فاجعلْ رِشْـــاءَه ... إمّا سيوفاً أو رماحاً روقا (٥)
وابسطْ إلى الإعطاء راحةَ واهبٍ ... لا يعرف التّقتيرَ والتّرنيقـــا (٦)
واتركْ لمن طلب الغِنىٰ دنياهمُ ... وحُطامَها وأُجاجَها المَطروقا (٧)
وكن الذى ترك السؤالَ لأهــلِه ... وأقامَ من سُكرِ الطّلاب مُفيقا

✲ ✲ ✲

وقال يعزى كمال الدين ابن عبد الرحيم عن ولد له توفى وهو نازل بعسكبراء :

أرونى امرءاً من قبضةِ الدّهرِ مارقا ... ومن ليس يوماً للمنيّـةِ ذائقا

---

(١) اللبابة (بالكسر) : ثوب يلبس فوق الثياب للتحزم لحرب ، والموق : خف غليظ يلبس فوق الخف .
(٢) النضار : الذهب
(٣) النجاد : جمع النجد وهو ما ارتفع من الأرض ، والسموق : العلو .
(٤) الأجداث : جمع الجدث وهو ساحة القبر، والكلأ : العشب، والهشيم : النبات اليابس المتكسر.
(٥) الروق (بالضم) : جمع الروق (بالفتح) وهو الرمح يضمه الفارس بين أذنى الفرس .
(٦) التقتير : البخل والترنيق : التكدير .
(٧) الأجاج : الماء الملح المر ، والمطروق : الذى خاضته الإبل وبالت فيه .

هو الموتُ ركّاضٌ إلى كلِّ مهجةٍ … يُكِلُّ مطايانا ويُعيِي السّوابقا

فإنْ هو ولّى هارباً فهو فائتٌ … وإنْ كان يوماً طالباً كان لاحقا

فكم ذا تغول النّائباتُ نفوسَنا … وتستلب الأهلينَ ثمّ الأصادقا

وكم ذا تغير المُطمعات عيونَنا … وتُدنى إلى ريح الغرورِ المناشقا (١)

ونعشق في دار الفناءِ مواطناً … يعزّين منّا لم يكنّ معاشقا

وشتاق إمّا قالياً أو مقاطِعا … فيا شائقَ لى ما أضرّك شائقاً ! (٢)

ولو أنّني وفّيت حقّ تجاربي … قطعتُ من الدّهرِ الغَرورِ العلائقا

نطاح إلى الأجداثِ في كلّ ليلةٍ … ونوسَدُ في قفْرِ التّراب المرافقا (٣)

فيا خبراً أذرى العيونَ جوامداً … وأبقى القلوبَ السّاكناتِ خوافقا

أتاني طَروقاً وهو غيرُ مُحبَّبٍ … وكم جاء ما لا تشتهى النّفسُ طارقا (٤)

وددتُ وداداً أنّه غير صادقٍ … وكم قائلٍ ما كنتُ أهواه صادقا

أصابك من سهم الرّدى ما أصابني … وكان لجلدى قبل جلدك خارقا

ولو أنّني حُمّلتُ ثقلَك كلَّه … حملتُ عَلوقاً بالذى كنتُ عالقا

فإنْ يكُ غصنٌ من غصونك ذاويا … فقد أبقت الأيامُ أصلَك باسقا (٥)

وإنْ يكُ نجمٌ غار بعد طلوعه … فقد ملأتْ منك الشّموسُ المشارقا

أزال الرّدى منّا على الرّغم تَلْعةً … وأبقى لنا منك الجبالَ الشّواهقا (٦)

وما ضرّ والسّربالُ باقٍ على الفتى … إذا شقّقتْ منه اللّيالي البنائقا ؟ (٧)

---

(١) المناشق : جمع المنشق وهو الأنف .

(٢) القالي : المبغض .

(٣) الأجداث : القبور مفردها جدث .

(٤) الطارق : الآتي ليلا .

(٥) الباسق : الطويل .

(٦) التلعة : الأرض المرتفعة .

(٧) البنائق : جمع البنيقة وهي لبنة القميص أو جربانه أي زيقه الذي يفتح على النحر .

وفيكَ وفى صِنْوٍ له عوضٌ به ... إذا نحن أنصَفْنا الخطوبَ الطّوارقا[1]
وساه به مَن سرّنا بمـــكانه ... وأفناه مَن أعطاه بالأمس رازقا
حُرمناهُ حظًّـا بعد أنْ أخذتْ لنا ... على حظّنا منك اللّيالى المواثقا
وما كنتُ أخشى أنْ يَسُدَّ به الرّدى ... فُروجَ الليالى دوننا والمخـــارقا
وأنْ يحجبَ الصُّفّاحُ بينى و بينـه ... و يودعه وسْطَ العَراءِ الشّقائقا[2]
فيا أيّها ذا العادلُ « المُقْرَمُ » الذى ... رضيناه خلقًا كاملًا وخلائقا[3]
تَعَزَّ عن المـــاضى ردّى بثوابه ... وكن بالذى يجزى على الصَّبرِ واثقا
فليس لمخلوقٍ و إن عضّه الرّدى ... فضاق ذراعًا أنْ يعارض خالقا

* * *

وقال فى موت بعض أعدائه :

ياطَلَلَ الحىّ بذاتِ النّقا ... مَن أسهر العينين أو أرّقا ؟[4]
قد آن والحرمانُ من وصلكمْ ... حَظّىَ أن أُعطى وأنْ أُرزقا
كم قد رأت عينىَ فى حبّكمْ ... وجهاً مضيئاً نورُه مشرقا
يحِقُّ لمّـا أنْ رأتْ حسنَه ... عينىَ أنْ أهوى وأنْ أعشقا
كم أخلَقَ الحبُّ وحبّى لكمْ ... مارثّ بالدّهرِ وما أخلقا
قد طرق الطّيفُ الذى لم يكن ... فى الظنّ أن يأتىَ أو يطرقا[5]

---

(١) الصنو : الأخ الشقيق .

(٢) الصفاح : الحجر العريض تبنى به القبور ، والشقائق : جمع الشقيقة وهى الفرجة بين أكمتين، وشقائق النعمان : ورد معروف .

(٣) المقرم والقرم : السيد ، وفى الأصل « القرم » ولا يتسق البيت إلا بتحريكه وبه يختلف المعنى وما وضعناه الصحيح .

(٤) النقا : الكثيب من الرمل .

(٥) طرق : أتى ليلا .

كم ذا تعدّىْ نحونا سَبْسَباً وكم تخطّى نحونا سَمْلَقا (١)
مَهامِهٌ لوجابِهــا نِقْنِقٌ بسرى إلينا أعْيَت النِّقْنِقا (٢)
خُيِّلَ لى نيلُ المُنى فى الكرى فكنتُ منه الخائبَ المُخفِقا
أرجو من الليــلةِ طولاً كما أخشى بياضَ الصبح أن يُشرقا
بتُّ أسيراً فى يمين المُنى أفْرَقُ من دائىَ أن أفْرَقا (٣)
ومُسْتَرَقّاً بالهــوى رقةً يخاف طولَ الدهر أن يُعتَقا (٤)
فقل لمن خــبّرنى بالذى أهوى: سُقيتَ المُسْبِلَ المُغْدَقا (٥)
لا فُضَّ من فيك وجُنِّبْتَ أنْ تظما إلى الرىِّ وأنْ تَشْرَقا (٦)
قد كنتُ أخشى مِيتتى قبلَه فجنّب اللهُ الذى يُتّقىْ
فالحمــدُ لله على ما كفىْ والشكر لله على ماوقىْ
والدهرُ لا نخشاه إلّا إذا كنتَ به الأمكنَ الأوثقا
أفنى اليمانين وكم شيّدوا قصراً وكم أعلَوْا لنا جَوْسَقا (٧)
إنْ كان أعلا زمنٌ معشراً فهْوَ الذى نكّس مَن حلّقا
وودّ مَن حُطّ على رأسه بعد الترقّى أ.. ما أرتقىْ
يا راضياً بالأمسِ عن معشرٍ كيف استحلتَ المُغضَبَ المُحنَقا ؟
وخارقاً من قبلُ رَتْقاً له وفارياً من قبل أن يَخْلُقا (٨)

---

(١) السبسب : المفازة ، والسملق : القاع الصفصف .

(٢) المهامه : جمع المهمه وهى المفازة ، وجابها : طافها ، والنقنق : الظليم وهو ذكر النعام .

(٣) أفرق : أخاف ، والفرق الخوف ، وأفرق المريض من مرضه : أفاق وبرئ .

(٤) المسترق : المستعبد ، ومنه الرقيق وهو العبد .

(٥) المسبل : المطر ، والمغدق : الغزير .

(٦) شرق بالماء : غص .

(٧) الجوسق : القصر .

(٨) الرتق : ضد الفتق ، والفارى : الشاق ، ويخلق : من خلق الأديم (وبابه نصر) إذا قدره قبل القطع ، وخلق الثوب (وبابه سهل) : بلى .

ما كان مَن يأخـذُ كلَّ الذى أعطاهُ إلَّا العابثَ الأخْرَقا[1]

* * *

وقال يرثى أبا الخطاب حمزة بن إبراهيم وكانت له الحقوق الوكيدة وبينهما المودة الوثيقة، واتفقت وفاته فى شهور «سنة ٤١٩»:

لو كنت أملك للأقدار واقيـةً دفعتُ عنك أبا الخطّاب ما طرقا
إنّ الزّمانَ ولا عَدْوَى على زمنٍ سقانِىَ المُرَّ مِن فقدِيك حين سقى
كم ذا كسيتَ غصوناً وهى ذاويةٌ الماء من جاهك المبسوط والورقا
وكم أجَرْتَ بلا مَنٍّ ولا كدرٍ مستمسكاً بك فى خوفٍ ومُعْتَلِقا
قد نال قومٌ وحلّوا كلَّ عاليـةٍ ومثلَ ما نلته فى النّاسِ ما اتّفقا
وما ذخرتَ سوى حَمْدٍ ومَكرُمةٍ وإنّما يذخرون العين والوَرَقا[2]
حكمتَ فى الدّهرِ لا رزقاً أصبتَ به والأمرُ بعـدك فى الدنيا لمن رُزقا
فلم تعرِّجْ على لهوٍ ولا لَعِبٍ ولا بعثتَ إلى حاجاتك المَلَقا
سُستَ الملوكَ وودَّ القومُ أنّهمُ ساسوا وما بلغوا تلك المُنَى السُّوَقا[3]
وإنما كنتَ بابا للملوك ومذْ ذُقتَ الرَّدَى سُدَّ ذاك الباب وانغلقا
وما تركتَ من الدّنيا وزينتهـا من بعـد فقدك إلّا رَثَّها الخَلَقا
وحالكٍ شَحِبِ القُطرين مُلتبسٍ أطلعتَ فيه برأيٍ واضحٍ فَلَقا[4]
وموقفٍ حَرِجِ الأرجاء قمتَ به والبَيْضُ تنثرها ما بينهـا فِلَقا[5]

---

(١) الأخرق: الأحمق.
(٢) العين: الذهب، والورق: الفضة.
(٣) السوقا: جمع السوقة وهم الرعية ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.
(٤) الحالك: المظلم، والشحب: من الشحوب وهو تغير اللون والضعف، والفلق: الصبح، ويقصد به الأمر المهم والحدث المظلم.
(٥) الحرج: الضيق، والأرجاء: النواحى، والبيض: جمع البيضة وهى خوذة الحديد يلبسها المحارب.

طَعنتَ بالرّأى فيه والقنا قَصِدٌ والطّعنُ يفتقُ بالأجساد ما ارتتقا[1]
فقد رأوا منك ماذا كنتَ تعمله فى ضالعٍ شذّ أو فى مارقٍ مرَقا[2]
ناموا عن الملك إهمالًا لنصرتهِ وأنت تكرع فيه وحدكَ الأرَقا
صدقتَ فى نصره حتّى أقمتَ له دِعامَه والفتى فى الأمرِ مَن صدقا
يا حِلفَ قصرٍ مشيدٍ فوق نُمرُقةٍ على الأريكة قد أصبحتَ حِلفَ نَقا[3]
ويا مبيناً على الأطواد من عِظَمٍ كيف ارتضيت بوَهدِ «هَبْطَةٍ» نَفَقا؟[4]
راموا لِحاقك فى علياء شاهقةٍ وهل ترى لمحلّ النّجمِ مَن لحقا ؟
وثِقتُ فيك بما لم أخشَ نَبْوتَه وطالما عاد بالإخفاقِ مَن وثقا
وطالما كنتَ لى فى كلّ مُعضلةٍ حِصناً حصيناً وماءً بارداً غَدَقا[5]
فأىُّ عينٍ عليك الدّمعَ ما قَطرتْ وأىُّ قلبٍ بنارِ الهمِّ ما احترقا ؟
ولو نظرتَ إلينا بعد فُرقتنا رأيتَ منّا الذى رتّقتَ مُنفتقا
أعززْ علىَّ بأن تُضحِى على شَحَطٍ منّا ورهنُك فى كفِّ الرّدى غَلِقا[6]
وأنْ يراك فريداً وسْطَ مُقفرةٍ مَن لو خطرتَ له لاقى الرّدى فرَقا[7]
إنْ تُمسِ مرتفقاً بالتّربِ جَندَلَةً فطالما كنت بالعَيّوقِ مرتفقا[8]

---

(١) القصد : سريع الانكسار ، وقصد (بوزن قطع جمع قصمة) : بمعنى ذلك أى منقطع ، وارتتق : ضد انفتق .
(٢) الضالع : الناقض للعهد ، والمارق : الخارج .
(٣) النمرقة : الوسادة والطنفسة ، والأريكة : السرير والمتكأ من سرير أو فراش أو منصة ، والنقا : الكثيب من الرمل .
(٤) الأطواد : الجبال ، والوهد : ما انهبط من الأرض كالهوة ، والهبطة : مثلها ، وفى الأصل « هبط » بتشديد الباء لعلها محرفة عن « هابط » ، والنفق : السرب فى الأرض يعنى به القبر .
(٥) الغدق : الكثير .
(٦) الشحط : البعد .
(٧) الفرق : الفزع .
(٨) الجندلة : واحدة الجنادل وهى الصخور ، والعيوق : نجم أحمر فى طرف المجرة .

وإنْ لمستَ الثّرى مَيْتاً فما رضيتْ منك التّرائبُ ديباجاً ولا سَرَقا (١)
وإنْ سكنتَ مُصيخاً للرّدى فبما أصبحتَ من قبل أعلا ناطقٍ نطقا (٢)
وإنْ أقمتَ مقاماً واحداً فبما شَنَنْتَ نحو المعالى النَّصَّ والعَنَقا (٣)
وإنْ مضيتَ فماضٍ خلَّفَتْ يدُه فينا الجميلَ الذى لم يمضِ وانطلقا
فما لنا صِحّةٌ من بعد مصرعه ولا دواءٌ لشاكٍ يمسِكُ الرَّمَقا (٤)
ولم يكن غيرَ نجمٍ غاب من أفقٍ وغيرَ سَجْلٍ جلالٍ للورى دَفَقا (٥)
وقد مضى مالكُ الرِّبْقاتِ قاطبةً فأنسوا بمصرعه مَن يملك الرِّبَقا (٦)
فلا لقيتَ من الضَّرّاء لاقيةً ولا سقاك «البِلى» طَرْقاً ولا رَنِقا (٧)
اذهبْ فزادكَ إنعامٌ ملكتَ به رِقَّ الرّجال وقد زوّدتني حُرَقا
ولا يزلْ جَدَثٌ أسكِنْتَ ساحتَه ملآنَ ريّانَ مِن وَكْفِ الحيا عَبِقا (٨)
وإنْ مررتُ على قبرٍ حللتَ به لَوَيتُ بعد اجتيازى نحوك العُنُقا

* * *

وقال فى النسيب :

ولقد رجوتُ وصالكمْ فكأنّنى حاولتُ شَحْطاً لا يُرامُ سحيقا

---

(١) الترائب : الصدر أو عظامها مفردها تريبة ، والديباج : الحرير ، والسرق : شقق من الحرير الأبيض وقيل الحرير بأسره معرب « سره » بالفارسية : جيد ، والواحدة سرقة .
(٢) مصيخا : مصغيا .
(٣) النص والعنق: ضربان من السير السريع .
(٤) الرمق : بقية الحياة .
(٥) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر ، والجلال : العظيم، ودفق : انصب بقوة.
(٦) الربقات والربق : جمع الربقة والربق وهو حبل فيه عروة تسمى ربقة تربق أى تشد بها البهيمة بأن توضع فى عنقها أو رجلها .
(٧) البلى : الهلاك أو الموت ، وفى الأصل «البلاء» ولا موضع له ، والطرق : الماء الذى خاضته الإبل وبالت فيه وبعرت ، والرنق : الكدر .
(٨) الجدث : القبر ، والوكف : القطر والسيلان ، والحيا : المطر ، والعبق : الطيب الرائحة .

وعطفُكم أدنى إليَّ وصالَكم فكأنني أدنى به العيُّوقا
ومن البليّةِ أنْ يؤمّلَ طافحٌ سكرانُ من خمرِ الغرامِ مُفيقا
ولو استطعتُ طرحتُ ثِقْلَ غرامكمْ فلطالما عاد الأسيرُ طليقا

* * *

وقال يرثي بعض أصدقائه وهو لحنزه التبانى [1] :

أرّقَ عيني طارقٌ ياليتَه ما طرقا
فبتُّ ليلي ساهراً أرقُبُ ذاك الفَلَقا [2]
ملآنَ همًّا وشجاً ولوعةً وحُرَقا
كأنَّ ليلي موقَداً بغيرِ نارٍ مُحرَقا
ليلُ لديغٍ مُوجَعٍ ما نجعتْ فيه الرُّقى [3]
أُغضِى وكم أغضَى الفتى على قذًى وأطرَقا
وأكتُمُ الدّمعَ وكمْ جرى دماً واستبقا
لا صبرَ لي وكلّما أمسكتُ صبراً مرَقا [4]
في ليلةٍ مرهوبةٍ نادمتُ فيها الأرَقا
أنفِقُ من دمعٍ ومَنْ أصابَ دمعاً أنفقا
وطال همّى وهْوَ ما طال عليَّ الغَسَقا [5]
من نبأٍ أُنبِئْتُهُ وددتُ أنْ لا يصدُقا

---

(١) راجع « ص١٠٨ » من القسم الأول من مقدمتنا لهذا الديوان .
(٢) الفلق : الصبح .
(٣) الرق : جمع الرقية وهى العوذة .
(٤) مرق : خرج .
(٥) الغسق : ظلمة أول الليل .

شككت فيه خدعةً لمهجتى أو شفقا
وطالما شكَّ أمروٌ فى خُـبرٍ ما تحقّقـا
نعَوْا إلىَّ صاحبـاً موافقـا موفّقا
يُخلص لِى حيث ترى فى كلِّ صَفوٍ رَنَقـا
فإنْ عرى خطبُ ردًى فدى بنفسى ووقى
أو سلَّ قومٌ فى وغًى عنّى عَضباً ذَلِقا [1]
وإنْ يخُنْ قومٌ وفى أو كذّبونى صدقا
ما كنتُ فيه بأمرىٍ أخجل لمّا وثقا
وفارجٌ بالقول إذ رأى مقاماً ضيّقا
كيف التلاقى واللقا ء بيننا «مُشفِ لَقَى»؟ [2]
ودوننا حِقفٌ لوًى يُفضى إلى دِعْصٍ نَقا [3]
فإنْ قطعتُ أبرقاً وجدتُ دونى أبرقا [4]
قد كنتَ فينا جَدِلاً محقّقاً مدقّقا
مافاتك العلمُ ولا ضَلَلْتَ فيه الطُرُقا
لحقتَ ما طلبتَه كم طالبٍ ما لحقا
ما أطيبَ العيشَ وإنْ كان لنا مرنّقا [5]
له نسيمٌ أرجٌ يُمسك منّا الرَّمَقا [6]

(١) العضب : السيف ، والذلق : الحاد .
(٢) « مشف لقى » كذا فى الأصل والمشفى من أشفى أى أشرف على الهلاك ، واللقى : الملقى المطروح ، وفى الشطر غموض .
(٣) الحقف : مااعوج من الرمل ، واللوى : منعطف الوادى ، والدعص : كثيب الرمل ، والنقا : مثله .
(٤) الأبرق : الموضع فيه رمل وحجارة وطين .
(٥) المرنق : المكدر .
(٦) الأرج : العطر الفواح ، والرمق : بقية الحياة .

لا تحرِمَنْ محرومَه وارحمْ به مَن رزقا
ولا يغرّنْك امرؤٌ فى قُلّةٍ تحلّقا [(١)]
فإنّه يهبط مِنْ عليائها كما رقى
يهوَى الفتى طولَ البقا وللفنا قد خُلقا
أنظر إلى الدّهر فكم فرّق منّا فِرَقا
أخلقَ كلَّ جِدَّةٍ وهْوَ الذى ما أخلقا [(٢)]
مُنتضلاً سهامه تُصيب منّا الحدَقا
أفنى اليمانين وقد كانوا الجبال الشُّهَّقا
ومضرٌ جهّزها إلى المنايا حِزَقا [(٣)]
أسمَنَهمْ ثمّ انتقى عظامَهمْ واعترَقا [(٤)]
واجتثّ مِن إعطائهمْ مَن كان أعطى الوَرِقا [(٥)]
مِن بعد أن كانوا على الـ ـعافى بحوراً فُهُقّا [(٦)]
وقوّدوا نحو طِلا بِ العزّ جُرْداً سُبَّقا
واستمطروا يوم الوغا من العوالِى العلَقا [(٧)]
واستفرشوا ولبسوا الـ ـدّيباجَ والإستَبْرَقا [(٨)]

---

(١) القلة : القمة ، وتحلق : طار وارتفع .
(٢) أخلق : أبلى ؛ متعدية ولازمة .
(٣) الحزق : الجماعات .
(٤) اعترق العظم : أكل ما عليه من اللحم .
(٥) اجتث : استأصل ، والورق : الفضة والدراهم المضروبة .
(٦) العافى والمعتفى : طالب المعروف ، والفهق : الممتلئة .
(٧) العوالى : الرماح ، والعلق : الدم .
(٨) الديباج : ثوب الحرير ، والإستبرق : مثله .

فمـا نلاقِي منهمُ إلَّا رَمِيماً مُخْلَقـا [1]
أىُّ نعيمٍ لم يزلْ مُجَمَّعًا ما افترقا ؟
وأىُّ ماشٍ بين أثـــناء الورى ما زلقـا ؟
سقـاكَ ربِّى رحمـةً ورأفةً إذا سقى
ولا يزلْ قبرٌ به أنتَ مضيئـاً مشرقا
وإنْ يُصِبْـه صَيِّبٌ لاطَفَـهُ ورقَّقـا [2]
فاذهبْ إلى القوم الأُلى كنتَ بهمْ مستوثِقـا
وردْ ندى حوضهمُ فى الحشر يوم المُستَقى
فلستُ مَعْ جاههمُ عليك يوماً مُشفقـا

---

(١) الرميم : البالى من العظام ، والمخلق : البالى .
(٢) الصيب : المطر .

باب القاف المكسورة

قال يفخر ويعرض ببعض أعدائه [1]:

علىّ البخيلة أن تجود لعـــاشقٍ ... مازال يقنع بالخيال الطـارقِ [2]
صدّتْ وقد نظرتْ سوادَ قرونهـا ... عنّى وقد نظرتْ سواد مفارقِ [3]
وتعجّبتْ من جُنحِ ليلٍ مظلمٍ ... أنّىٰ رمٰى فيـه الزّمانُ بشارقِ ؟ [4]
وسوادِ رأسٍ كان رَبْعَ أحبّـةٍ ... رجع المشيبُ به طلولَ «مُفارقِ» [5]
ياهندُ إنْ أنكرتِ لونَ ذوائبى ... فكما عهدتِ علائقى وطرائقى
ووراء ما شَنِئتَهُ عينُك « ضَـلَّةً » ... ماشئتِ من خُلُقٍ «يسرّكِ» رائقِ [6]
أوَميضُ شيبٍ أم وميضُ بواترٍ ... قَطَّعْنَ عند الغانياتِ علائقى
وكأنّ طَلعـة شيبـةٍ فى مَفرقٍ ... عنـد الغوانى ضربةٌ من فالقِ
ومعيِّرى شيبَ العِذار وما درٰى ... أنّ الشّبابَ مطيّـةٌ للفاسقِ
« ويقول : لو غيّرتَ منه لونَه ! » ... هيهات أُبدِلُ مؤمنـاً بمنافقِ [7]
والشّيبُ أملأُ للصّدور وإن نَبتْ ... عن لونه فى الوجه عينُ الرّامقِ [8]
وإذا ليـالى الأربعين تكاملتْ ... للمرء فهو إلى الرّدى من حالقِ [9]

---

(١) أورد الناظم فى «الشهاب» أحد عشر بيتا من هذه القصيدة مع شرحها (راجع ص ٦٠ منه)، وأورد الثعالبى فى تتمة اليتيمة بيتين منها وهما التاسع والعاشر .

(٢) الطارق : الآتى ليلا .

(٣) القرون : جمع القرن وهى الضفيرة أو الخصلة من الشعر .

(٤) الجنح (بضم الجيم وكسرها) : الطائفة من الليل .

(٥) فى (هـ) « معاسق » فى موضع « مفارق » وفى « ش » وفى «الشهاب» « معاشق » وما وضعناه الصحيح كما فى (س) .

(٦) شنئته : أبغضته وكرهته، وفى «الشهاب» « خلة » مصحفة عن « ضلة » ، وفى ش « يروقك » بموضع « يسرك » .

(٧) فى تتمة اليتيمة للثعالبى (ج ١ ص ٥٤) يروى الشطر الأول هكذا :

* وأقول إذْ غيرتُ منه لونه *

(٨) الرامق : الناظر . (٩) الحالق : الجبل العالى .

ولقد صحوتُ «من الهوى» وسلوته   أيامَ ريعان الشباب مُفارقى [1]
وكفيتُ عذالى فليس يشوقنى   من كان يوماً قبل ذلك شائقى
من بعد أن «أوضعتُ» فى سَنَنِ الصِّبا   وأخذتُ فى اللذاتِ خَصْلُ السابِقِ [2]
ومشيتُ مُلتاثَ الإزارِ كأنما   ساورتُ قهوةَ صابحٍ أو غابقِ [3]
تنزو بىَ النشواتُ كلَّ عشيّةٍ   نَزْوَ الجنادب فى متونِ حدائقِ [4]
وأخٍ رميتُ إخاءه لمّا نَبَتْ   أخلاقُهُ عنّى بفرقةِ طالقِ
وتركته لمّا وجـدتُ أديمَه   متفرّياً من قبل فَرْىِ الخالِقِ [5]
يرمى إلىَّ وقد ملأتُ ضميره   نَدَماً على ما فات لَحْظَ مُسارقِ
وأنا الذى علمتْ نزارٌ كلُّها   من بيتها فى رأسِ أرعَنَ شاهقِ [6]
وإذا تتابعت السّنون فلن ترى   أستارنا مسدولةً من طارقِ [7]
وترى على كَلَبِ الزّمانِ جِفانَنا   وتعاقُبِ الأضيافِ جِدَّ فواهقِ [8]
وتخال طالعةَ الكواكبِ وسْطَها   قد مُنطِقَتْ من نظمها بمناطِقِ
وإذا تشاجرت الرِّماحُ رأيتنى   رَحْبَ الخطا فى المأزقِ المتضايقِ
وعلىَّ من نَسْجِ الأسنةِ نَثْلَةٌ   وعلى كُماةِ الرَّوْعِ نسجُ يَلامِقِ [9]

---

(١) فى (هـ) «عن» بدل «من».
(٢) فى «هـ» «أرضعت» تصحيف «أوضعت» وأوضعت من الإيضاع وهو ضرب من السير السريع، والسنن الطريق، والخصل: إصابة الغرض، يقال: أحرز خصله وأصاب خصله.
(٣) القهوة: الخمر، والصابح: الشارب صباحاً، والغابق: الشارب مساء؛ ومنه الصبوح والغبوق لشراب الصباح والعشى.
(٤) تنزو: تثب، والجنادب: جمع جندب وهو ضرب من الجراد.
(٥) الأديم: الجلد، والمتفرى: الممزق، والخالق: المقدر للقطع أى القاد والقد قبل القطع.
(٦) الأرعن: الجبل ذو الرعان الطوال، والرعان جمع الرعن وهو أنف الجبل، والشاهق: المرتفع
(٧) السنون: جمع السنة وهى القحط، والطارق: الآتى ليلا.
(٨) فواهق: ممتلئات.
(٩) النثلة: الدرع الواسعة، والكماة: جمع الكمى وهو الشجاع المدجج بالسلاح، ويلامق: جمع اليلمق وهو القباء.

في ظهر سـابقةٍ تنىءُ عروقُها ... يومَ الجِراءِ إلى الوَجيهِ ولاحِقِ (١)
وإذا جَرتْ فالبرقُ ليس بمسرعٍ ... إيماضُهُ والطَّرْفُ ليس بسابقِ
أنمى إلى بيت العُلا من هاشمٍ ... من ذلك الأصلِ الأشمِّ الباسِقِ
قومٌ إذا حَمِيَ الحـديدُ عليهمُ ... يَرِدون أوديةَ النَّجيعِ الدّافقِ (٢)
وإذا هَوَوْا من نجدةٍ في خُطَّةٍ ... لم يَثْنِهِمْ عنها نعيقُ النّاعقِ (٣)
وهُمُ غيوثُ صنائعٍ ومجاوِعٍ ... وهُمُ ليوثُ مواقفٍ ومآزِقِ
وهُمُ صـدورُ محافلٍ ومجالسٍ ... وهُمُ بدورُ مواكبٍ وفيالِقِ (٤)
مَن مُبلغٌ عنّى بنِي جُشَمٍ وإنْ ... كانوا على حكمِ الزّمانِ أصادقِ؟
كم في صـدورِكُمُ لنا من إحْنَةٍ ... برزتْ فوَهَها لسانُ الناطقِ (٥)
«ولَـكُمْ لـكمْ بِشْرٌ تـكشّف» غِبُّه ... عن شرِّ عاقبـةٍ كخُلَّبِ بارقِ (٦)
ومتى أُصِخْ سمعاً لرجع جوابكمْ ... فإلى كلامٍ مُواربٍ ومماذِقِ (٧)
إنّى مَرَيْتُـكُمُ فـكنتُمْ كمن مَرَى ... «جدّاء» لا تسخو بدَرّةِ حالِقِ (٨)
ما في عهودِكُمُ وإنْ وثّقتُمُ ... شَطَنٌ تَعلَّقُهُ يمينُ الواثقِ (٩)

---

(١) تنىء عروقها : ترسخ أصولها أى تنتسب ، والوجيه ولاحق : من الخيول العربية الأصيلة .
(٢) النجيع : الدم .
(٣) النجدة : شدة البأس والشهامة ، وما ارتفع من الأرض كالربوة .
(٤) الفيالق : جمع الفيلق وهو الجيش .
(٥) الإحنة : الحقد .
(٦) في (ه) « وأرى لكم بشراً أكشف . . » في موضع « ولـكم لكم بشر . . . . »
والخلب : السحاب المطمع لا مطر فيه .
(٧) أصخ : أصغى ، والموارب : المخاتل ، والمماذق : المرآئى .
(٨) مريتكم . من مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن ، والجداء : الناقة التى جف ضرعها ،
وفى (س) « جذاء » بالذال تصحيف ، والدرة : الحلبة ، والحالق : الضرع الممتلىء .
(٩) الشطن : الحبل .

والجارُ بين بيوتكمْ كَثِبٌ على الـ ... ـأعداء نَصْبَ جوائحٍ و بوائقِ (1)
يسرى إليه ضرارُكم وخُصصتمُ ... من دونه بمنـــافعٍ ومرافقِ
ومتى تفكّر فى عطائكمُ أمرؤٌ ... لم يدرِ ، أسخطه قضـــاء الرّازقِ
ودرى بأنّ النُّجحَ ليس لعاقلٍ ... فينا وأنّ الحظَّ حظُّ المائقِ (2)

***

وقال يهنئ أباه بعيد النحر :

هل العزُّ إلّا فى متونِ السّوابقِ ... تصرّفها قِدْماً حُمـــاةُ الحقائقِ ؟
وما أرَبِى إلّا لقاءُ عصـــابةٍ ... ذوى مُهَجاتٍ ما حَلَوْنَ لذائقِ (3)
بسود فتامْ لم يُوَفّ شبابُهُ ... ويُدعَى إلى الجُلّى ولمّا يراهِقِ (4)
صفحتُ عن الأهواء إلّا ارتياحةً ... تَعارَضُ من قلبٍ إلى المجد تائقِ (5)
أُنقّبُ إلّا عن عَضِيهةِ صـــاحبٍ ... وأسأل إلّا عن خدور العواتقِ (6)
أتُستَلَبُ الأيّامُ لم يروِ غُلّتى ... دِراكُ طِعانٍ فى صدور الفيالقِ ؟ (7)
ولم تَرَ خيلى شُرَّعاً فى كتيبةٍ ... تُغيّبُ أشخاصَ الجبالِ الشّواهقِ (8)
ولو شئتُ والحاجاتُ منّى قريبةٌ ... منعتُ بياضَ الشيبِ أخذَ مفارقى

---

(1) الكثب : القريب، والجوائح: جمع الجائحة وهى الشدة أو النازلة العظيمة تجتاح المال وغيره، والبوائق : جمع البائقة وهى الداهية والشر .
(2) المائق : الأحمق .
(3) الأرب : الحاجة ، والمهجات : جمع المهجة وهى دم القلب .
(4) الجلى : الأمر العظيم .
(5) تائق . مشتاق .
(6) العضيهة :البهتان ، والعواتق: جمع العاتق وهى الجارية أول بلوغها أو المخدرة فى بيت أهلها.
(7) الغلة : شدة العطش ، والفيالق : الجيوش مفردها فيلق .
(8) شرعا : مسددة مصوبة .

سقطتُ وراء الحزم إنْ لم أشُنّه ... على الجوْرِ يوماً مستطيرَ البوائقِ (١)
« مليئاً » بتشييد المعالى إذا مضى ... أقام « بناهُ » فى بطون المهارقِ (٢)
تخوّفنى الخرقاء أوْبَةَ خائفٍ ... «وما الحزمُ سلطاناً» على كلّ عائقِ (٣)
لحاَ اللهُ أحداثَ الزّمان فإنّها ... ركائبُ لم تُسْنَدْ إلى حفظ سائقِ
رأيتُ اضطرابَ المرء والجدُّ عاثرٌ ... كما اضطرب المخنوق فى حبل خانقِ (٤)
وما نقصَ المقدورُ من حظّ عاقلٍ ... بقدر الذى أسناه من حظّ مائقِ (٥)
خليلىّ مالى لا أعافُ مجانباً ... فأصرِمَه إلا مهجو موافقِ ؟ (٦)
ألا جنّبانى ما نبا بخلائقى ... وحسبُكما ما كان وَفْقَ خلائقى
ولا تسألا عن خبرةٍ بات علمها ... بصدْع ما بينى و بين الأصادقِ
أرانى متى جرّبتُ ودَّ مواصلٍ ... تقارب سعيى فى اتّباع مفارقِ
يُخالسنى هذا الملاء معاشرٌ ... ولكنّ قولاً يُهتدى غيرُ صادقِ
ولمّا بدا لى الكاشحون فصرّحوا ... تمنّيتُ أيّام العدوّ المنافقِ (٧)
بنى عمّنا لا تبعثوها ذميمةً ... تقرّب صفوَ الكأس من كفّ ماذقِ (٨)
أضِنًّا بتأثيل المودّةِ بيننا ... و بذلاً لتقطيع القوى والعلائقِ ؟ (٩)

---

(١) المستطير : المنتشر الشامل ، والبوائق : الدواهى والشرور مفردها بائقة .

(٢) فى الأصل « مليا » بدل « مليئا » والملى : الزمن الطويل ومنه قوله تعالى: « واهجرنى مليا » وفى (س) « تناه » بدل « بناه » ، وفى هـ « نثاه » وما وضعناه أنسب .

(٣) الخرقاء : الحمقاء ، والأوبة : الرجوع ، « وما الحزم سلطاناً » كذا فى الأصل ولعلها « وللحزم سلطان » .

(٤) الجد (بالفتح) : الحظ .

(٥) المائق : الأحمق .

(٦) فأصرمه : فأقطعه ، والصرمة : القطيعة .

(٧) الكاشحون : جمع الكاشح وهو العدو المضمر عداوته .

(٨) الماذق : كالمازج وزناً ومعنى من مذق اللبن بالماء إذا خلطه ، ووده إذا لم يخلصه .

(٩) الضن : البخل ، والتأثيل : والتأصيل .

وَفَيْنا على تلك الهَنَاتِ وأعرضَتْ ... طرائقنا عن بعض تلك الطّرائقِ (١)
وما بدّلَتْ منّا الولايةُ شيمةً ... لِنأْءِ بعيدٍ أو قريبٍ ملاصقِ
وقد كان فيما كان خرقٌ لنافذٍ ... وسَوْمٌ لمستامٍ وقولٌ لناطقِ
وهَمٌّ كتكرارِ المَلامِ شباتُهُ ... تَغَلْغَلُ فى قلبٍ قليلِ المرافقِ (٢)
يطوّحنى فى كلّ عرضٍ تنوفةٍ ... ويقذفنى من حالقٍ بعد حالقِ (٣)
وبين وجيفِ اليَعْمَلاتِ وَوَخْدِها ... بلوغٌ لباغٍ أو سلوٌّ لعاشقِ (٤)
أما وأبى الفتيانِ ما التَفْتُ فيهمُ ... وقد «جزعوا بالعِيسِ» هَوْلَ السَّمالِقِ (٥)
ولمّا رفعناهنّ من جوّ ثَهْمَدٍ ... يُعارضن أصواتَ الحصا بالشّقاشقِ (٦)
بدأْن السُّرى والليلُ لم يَقْنَ لونُهُ ... وقد شَحُبَتْ منه وجوه المشارقِ (٧)
إلى أنْ تبدّى الصّبحُ يجلو سوادَه ... فلم يبق منه غيرُ ثوبٍ شُبارِقِ (٨)
ولولا ابنُ موسى ما اهتدين لطيّهِ ... ولو وُصِلَتْ أبصارُها بالبوارقِ (٩)
فَتًى لا يُجِمُّ المالَ إلّا لَمَغْرَمٍ ... ولا يستعدُّ الزّادَ إلّا لطارقِ (١٠)
تجاوز آمالَ العُفاةِ وأشرفتْ ... يداه على فيض الغيوث الدّوافقِ (١١)

---

(١) وفينا : أشرفنا ، والهناة : الداهية .

(٢) الشباة : الحد ، والمرافق : المنافع .

(٣) يطوحنى : يقذفنى ، والتنوفة : المفازة ، والحالق : الجبل الشاهق .

(٤) الوجيف : ضرب من السير السريع ، واليعملات : جمع اليعملة وهى الناقة النجيبة، والوخد: ضرب من السير أيضا .

(٥) التفت : التفتت ، وجزعوا : قطعوا ، والعيس : الإبل البيض ، وفى (ه) «جرعوا بالعيش» تصحيف ، والسمالق : جمع السملق وهو القاع الصفصف .

(٦) ثهمد : اسم موضع ، والشقاشق : جمع الشقشقة وهى كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج ويريد بها صوتها .

(٧) السرى : السير ليلا ولم يقن: لم يحمر وقيل أصل الفعل قنأ ، وشحبت : تغيرت من الشحوب.

(٨) شبارق : ممزق .

(٩) ابن موسى : يعنى والده الحسين بن موسى، لطيه : أى طى الليل . والبوارق : السحائب ذوات البرق

(١٠) يجم المال : يجمعه ويكثره ، والمغرم : الغرامة يفتدى بها ، والطارق : الآتى ليلا .

(١١) العفاة : جمع العافى وهو طالب المعروف ، وأشرفت : زادت ، والغيوث : الأمطار .

إذا همّ لم يسترجع الرّيثُ همّهُ ... ولم تُعترَضْ حاجاتُه بالعوائقِ
يحيط بأقطار الأمور إذا سعى ... وكم طالبٍ أعجازَها غيرُ لاحقِ
وماضلّ وجهُ الرّأى عنه وإنّما ... تقاضاه من وجه الظّنون الصّوادقِ
وقد ساورته النّائباتُ فأقشعتْ ... وما حَظِيَتْ إلّا « بنَهْلَةِ شارقِ »[1]
لك الفَعَلاتُ البِيضُ ما غُضّ فضلُها ... بتالٍ ولم تُغلَبْ عليها بسابقِ[2]
تفرّدْتَ فى إبداعها، واتّباعُها ... يفوتُ إذا رامته طَوْلُ الحزائقِ[3]
معالمُ تستقصى الثّناء وتنتمى ... إلى شَرَفٍ فوقَ السّماكين سامقِ[4]
ولمّا رأى الأعداء سِلْمَك مَغْنماً ... خرقتَ لهمْ بالحرب سُحْبَ الصّواعقِ
ضِرابٌ كشقّ الثّاكلاتِ جيوبَها ... وطعنٌ كأفواه المَزادِ الفواهقِ[5]
بكلّ فتًى يغشى الهِياجَ وصدرُه ... فسيحُ النّواحى بين تلك المضائقِ
فإنْ هربوا أهدَوْا عيوباً لعائبٍ ... وإنْ أقدموا أهدَوْا رءوساً لفالقِ
يَهابُ الرّدَى مَن لم تُعِرْه صرامةً ... وجأشاً على خوض الرّدَى غيرَ خافقِ[6]
وما زلتَ والحالاتُ شتّى بأهلها ... هلالَ ندًى أو غمامةَ « بارقِ »[7]
أبَى العيدُ إلّا أن يعود صباحُه ... كما عاد موموقٌ إلى قربِ وامقِ[8]

---

(١) ساورته : خاصمته واعترته ، وأقشعت : انكشفت ، والشارق : الغاص بالماء وغيره من الشراب ، وفى (ه) « بنظمة شارق » والنظمة : الطعنة بالرمح من انتظمه بالرمح إذا طعنه ولعلها مصحفة عن لطمة ؛ يقال لطمه فشرق الدم فى عينه إذا احمرت فهو شارق والمعنى فى الجميع أنه قهر النائبات فرجعت عنه مولية خائبة .

(٢) غض فضلها : أى انتقص ، والتالى : من الخيل الذى يتلو السابق الذى هو أول خيل الحلبة .

(٣) الطول (بفتح الطاء) : القدرة ، والحزائق : جمع الحزيقة وهى الجماعة من الناس .

(٤) المعالم : جمع المعلم (بفتح الميم وتسكين العين وفتح اللام) مايستدل به على الخبر أو الطريق ، والسماكان : نجمان لامعان ، والسامق : العالى .

(٥) المزاد : القربة ، والفواهق : الممتلئات .

(٦) الصرامة : الشدة والشجاعة ، والجأش: القلب.

(٧) فى (س) « مزق » بدل « بارق » محرفة .

(٨) الموموق : المحبوب ، والوامق : المحب .

وَلَلْيَوْمُ ما تَلْقَى المطايا مُشِيحـــةً   تَقَلْقَلُ فى أكوارِها والنَّمارقِ (١)
بركبٍ أراق السَّـير ماءَ وجوههمْ   ولوَّحَها تهجيرُهُمْ فى الودائقِ (٢)
وماهو إلَّا نازلٌ طلب القِرَى   فعقَّرْ له بالبِيضِ حُمْرَ الأيانقِ (٣)

***

وقال وكتب بها إلى الشريف أبى الحسين أحمد بن الحسن الناصر خاله
ـ رضى الله عنه ـ وهى من أوائل قوله يهنيه بعيد الفطر :

ما رأتْـنِى عينـــاكَ يومَ الفراقِ   أخدع القلبَ بادِّكار التَّلاقى
وأُطَفِّى بالدَّمعِ نارَ غرامٍ   كان عوناً لهـــا على الإحراقِ
مائلًا بين نهضةٍ ومَقامٍ   حا كما بين ســـلوةٍ واشتياقِ
أذكرُ الشَّوقَ بالصُّدود « ليخفى »   وأدارى اللِّحـــاظَ بالإطراقِ (٤)
كلَّ شىء أدنى إلىَّ من الصبـ   ـرِ وصــــبرُ المشوق عينُ النِّفاقِ
ياخليلىَّ من ذؤابةِ « قَيْسٍ »   فى التَّصابى رياضةُ الأخلاقِ (٥)
غنِّيـــانِى بذكرهمْ تُطْرِبانى   وأسقيانِى دمعى بكأسٍ دِهاقِ (٦)
وخُذا النَّومَ « من » جفونى فإنِّى   قد خلعتُ الكرَى على العُشَّاقِ (٧)

---

(١) المشيحة : المقبلة المجدة ، والنمارق : جمع النمرقة وهى الوسادة الصغيرة .
(٢) لوحها : غيرها ، والتهجير : السير فى الهاجرة وهى منتصف النهار ، والودائق : جمع الوديقة وهى شدة الحر .
(٣) الأيانق : جمع الناقة .
(٤) فى (هـ) « ليخزى » بدل « ليخفى » ، وفى « ش » « ليجرى » وكلاهما محرفتان .
(٥) فى تتمة اليتيمة للثعالبى (ج ١ ص ٤٥) « بكر » بدل « قيس » ، وفى معجم الأدباء لياقوت « بكر » وفى موضع آخر « قيس » (راجع ج ١٣ ص ١٤٩ و ١٥٧ منه ط . دار المأمون مصر) .
(٦) دهاق : ممتلئة .
(٧) فى تتمة اليتيمة ومعجم ياقوت « عن » بدل « من » .

وأسألا لِى الشّمالَ عن نَشْرِ أرضٍ كنتُ أحْيِى بطيبــه أرماقى (١)
إنّهـــا إنْ مشتْ بوادى الُخزامى صَنعتْ فيـه صنعةَ السُّرّاقِ (٢)
لِى زمانٌ ظامٍ إلى ماءِ وجهى يَمْتَرِيهِ بكلِّ ما إمـــلاقِ (٣)
يتمنّىٰ بَسْطِى يمينِى لِيَسْتَمْـ طِرَفيهـــا عَزالِىَ الأرزاقِ (٤)
دون ما رامه جِمـــاحُ أبِىٍّ شَمَرِىٌّ الجنـــانِ مُرُّ المَذاقِ (٥)
تتناهَى عنـه الخطوبُ إذا ما عانقتْ كفه نحورَ العِتــاقِ (٦)
قد تمرّستُ باللّيـــالى فحسبى ما أرىٰ لِى فى ودّها من خَلاقِ (٧)
لَفِناها أقوىٰ ذَريعـــةِ عُسْرٍ وبلوغُ المُرادِ بالإخفـــاقِ
كم مقامٍ ملأتُ فيه فمَ الصُّبْـ حِ بجيشٍ عَرَمْرَمٍ غَيْداقِ (٨)
سَتَرَ الجوَّ بالعَجاجِ فعينُ الـشّمسِ مَطْرُوفةٌ عن الإشراقِ (٩)
فى رجالٍ يسابقون ظُبـــاهمْ عند وَثْباتهـــا إلى الأعناقِ
كلُّ غَضٍّ يرىٰ المنايا حياةً والعوالِى إلى المعالِى مَراقِ (١٠)
أنتَضِيهمْ على صُروفِ ليـــالٍ فأُغنىٰ عن المواضى الرِّقاقِ
قد سحبتُ القنـــا بكلّ طريقٍ « سَيْمُ السَّيْرَ فيه صبرُ النّياقِ » (١١)

---

(١) النشر : الرائحة الطيبة ، والأرماق : جمع الرمق وهو بقية الروح .
(٢) الخزامى : نبت طيب الرائحة .
(٣) يمتريه : يحتلبه أو يستجلبه من مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن .
(٤) العزالى : جمع العزلاء وهو فم القربة ، وأرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة المطر .
(٥) الجماح (بالكسر) : كالشماس وزناً ومعنى وهو فى الخيل وغيرها صعوبة الانقياد ، والجنان (بالفتح) : القلب .
(٦) العتاق : جمع العتيق وهو من الخيل الرائع الجيد .
(٧) الخلاق : النصيب .
(٨) الغيداق : الغزير .
(٩) العين المطروفة: التى أصابتها الطرفةوهى نقطة حمراء منالدم تحدثفى العين من ضربةوغيرها
(١٠) المراقى : جمع المرقاة وهى السلم .
(١١) فى (ه) الشطر الثانى من البيت هكذا «شمر السير فيه صبر الناق » وفى«ش» سمر السير فيه صبر التناق ؛ وتحريفهما ظاهر عما أثبتناه .

أنا تِرْبُ الظُّبَا رفيقُ العَوالى ... حربُ هذى الطُّلى عدوُّ التَّراقى (١)

فالقيانى الرَّدَى فإنّى رَداهُ ... وأزجُرا بِى النُّجومَ فى الآفاقِ

وإلى أحمَـدَ الّذى ظلّ عودُ الـ ... ـمجدِ لمّا استهلّ فى إيراقِ

جذبتنِي « وسائلٌ » للعُلا فيـ ... ـه غرامى لأسْرها فى وَثاقِ (٢)

لبستْ منه حَلْيَها فاستهامتْ ... بالتَحَلِّى به عن الأحـداقِ

ذاك مُوهِى عِقْدِ الخطابِ إذا ما اُعْـ ... ـتَلَجَ القولُ فى لَهـا المِلاقِ (٣)

رابطُ الجأشِ فى جليلِ الرَّزايا ... شاردُ الفِكْرِ فى المعانى الدِّقاقِ (٤)

لستُ أرضى بأنْ أقول هو البَدْ ... رُ ومُذْ تَمَّ لم يُصَبْ بمحـاقِ

فُتَّ « بالبِرِّ » بالمعـالى بَنيها ... فانظرنْ هل ترى لهمْ من لِحاقِ؟ (٥)

« كنتُ » أقضى على الورى بخلافِ الـ ... ـمجدِ حتّى قيَّدتَ مِن إطلاقِ (٦)

كيف لا أجتنِي له ثَمَرَ المَدْ ... حِ وتلك الأعراقُ مِن أعراقِ ؟ (٧)

« واقفٌ » عنـده جوادُ سباقى ... وإلى هـذه المعـالى سِبـاقى (٨)

لستُ أسخو لـكلِّ شخصٍ بلحظى ... ولو أنَّ القَتادَ فى آماقى (٩)

---

(١) الترب : الذى يولد مع غيره فى وقت واحد ، والعوالى : الرماح ، والطلى : الرقاب ، والتراقى : جمع الترقوه ، وفى الإنسان ترقوتان وهما العظمان بين ثغرة النحر والعاتق ، وقيل التراقى أعالى الصدر حيثما يترق فيه النفس ، ومنه قوله تعالى « حتى إذا بلغت التراقى » .

(٢) فى (هـ) «رسائل» مصحفة من « وسائل » ، والوثاق : القيد .

(٣) اعتلج القول فى فمه : ازدحم وتلجلج ، واللها : جمع اللهاة وتطلق على الفم وأصلها اللحمة المطبقة فى أقصى سقفه ، والملاق : الفصيح البليغ .

(٤) الجأش : القلب .

(٥) فى (س) « فى البر » بدل « بالبر » .

(٦) فى (س) « كيف » بدل « كنت » .

(٧) الأعراق : الأصول .

(٨) فى (هـ) « واقفاً » بدل « واقفا » .

(٩) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

ولَباعى « غالٍ » على كلّ جِيدٍ   ليس إلّا لقــدر رمحى عِناقى [1]

جاءك العيدُ ضامنــاً رِىّ آما   لك من مَنْهَلٍ له رَقْراقِ

فالقَــه بالمُنَى وناشِــدْه شعرى   تجِدَنْه إليـــه بالأشواقِ

واشفِقَنْ عن ضميره « تُلْفِ » حتى   رافلًا بين خِلْبِه والصِّفاقِ [2]

لا اطمأنّ الرّدَى إليك ولا زِا   ت تَلَقَّى جمــاعةً بفراقِ

وأطاع الزّمان فيك المعــالى   فاللّيــالى معروفةٌ بالشّقاقِ

* * *

وقال يرثى أبا الحسن السمسمىّ وكان ملازماً لمجلس الرماحى: [3]

ياثاوياً خلفَ الرّتاجِ المُطْبَقِ [4]   أعزز علىّ بأنّنــا لا نلتقى

دخل الزّمانُ كما كرهنا بيننـا   ورمَى اجتماعاً بيننـا بتفرّقِ

ووددْتُ لمّــا قلتُ قد فارقتُــه   تحت الجنادل أنّنى لم أصدقِ

وطرحتُــه متسربلاً نَسْجَ الثّرَى   فى قعر مُسودّ الجوانبِ ضيّقِ

وفعلتُ فيــه وإنّنى شَفِقٌ به   لمّا يئستُ فِعالَ غيرِ المشفقِ

ورجعتُ عنه كأنّنى لم ألقَه   وكأنّنى بنسيمه لم أعبَقِ

أبــكى وليس يردّ ميتاً ماضيــاً   جَزَعى عليــه ولا طويلُ تحرُّقى

وسَرقتُه مِنْ بين مَنْ حرّمته   ففقدتُه فوددتُ أنْ لم أسرِقِ

---

(١) فى (س) « عال » بدل « غال » ، والجيد : العنق .

(٢) فى (س) « تلقه » بدل « تلفه » ، والرافل : المتقلب كالرافل بالنعمة ، والخلب : حجابه الكبد ، وقيل غشاء البطن ، والصفاق : غشاء بين الجلد والمصران .

(٣) هو على بن عبيد الله السمسمى ويعرف أيضاً بالسمسانى ، كان جيد المعرفة بفنون العربية ، صحيح الخط ، غاية فى إتقان الضبط ، قرأ على أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى وكان ثقة فى روايته ، مات « سنة ٤١٥ » . (م . ج .) .

(٤) الرتاج : الباب العظيم .

أين الذين بنوا رفيعاتِ البنـا — مِن بارقٍ وسَدِيرِه وخَوَرْنَقِ ؟ (١)
ومَن ابتنَى الهَرَمين ثمّ علاهما — بالعَصْب والدّيباج والإستبرقِ ؟ (٢)
أم أين مَن أعلا بنا إيوانِهِ — عِزًّا كنجمٍ فى السّماءِ محلّقِ ؟
وترى اللّيالى بكرةً وعشيّةً — خَضِلَ الأصائلِ منه غضَّ الرَّونَقِ (٣)
كانت تفتّحُ للثّرا أبوابُه — فثناه مصرعُه بباب مُغلَقِ
ولَكَمْ توسّد فى القِلالِ نمارقًا — فالآن نوسدُه صَعيدَ الأبرقِ (٤)
ومتوّجٍ بمرصّعٍ من عَسْجَدٍ — بوغاؤه فى اللحْدِ تاجُ المَفرَقِ (٥)
تهتزّ « فوق » شَواتِه فى حفرةٍ — من بعد ألوِيَةٍ غُصونُ العِشْرِقِ (٦)
سوّى الرّدى بين الرّجال فباسلٌ — كمجبّنٍ ومُموّلٍ كالمُمْلِقِ (٧)
وإذا مضوا حِزَقًا إلى حُكم البِلَى — نُبذوا إلى كَفَّىْ سفيهٍ أخْرَقِ (٨)
فجلودُهمْ ببنانِ كلِّ ممزِّقٍ — وعظامهمْ فى ماضِغَىْ متعرِّقِ (٩)
كانوا الحلولَ بكلِّ قصرٍ شاهقٍ — فهمُ الحلولُ بكلِّ قفرٍ سَمْلَقِ (١٠)
وكأنّ فارسَهمْ لِطِرْفٍ ماعلا — وخطيبَهمْ فى محفِلٍ لم ينطقِ (١١)

---

(١) بارق : من أعمال الكوفة وقيل غير ذلك ، والسدير والخورنق : قصران للنعمان بن المنذر على الأشهر ؛ وفى الثلاثة قال الأسود بن يعفر :

أهل الخَوَرْنَقِ والسّدير وبارقٍ — والقصر ذى الشّرفات من سِنْدادِ

(٢) العصب : ضرب من البرود ، والديباج : الثوب من الحرير ، والإستبرق الديباج الغليظ .
(٣) الخضل : المبتل والأصائل جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر .
(٤) النمارق : الوسائد ، والأبرق : الموضع فيه رمل وحجارة وطين .
(٥) العسجد : الذهب ، والبوغاء : التربة الرخوة .
(٦) فى الأصل « فى » بدل « فوق » محرفة ، والشواة : جلدة الرأس ، والألوية : الأعلام ، والعشرق : نبات .
(٧) الباسل : الشجاع ، والمول : الغنى الثرى ، والمملق : الفقير .
(٨) الحزق : الجماعات ، والأخرق : الأحمق .
(٩) البنان : رؤوس الأصابع ، والمتعرق : آكل اللحم من العظم نهشاً .
(١٠) السملق : القاع الصفصف .
(١١) الطرف (بكسر الطاء) : الكريم من الخيل .

قل للذى كنز الكنوز لغيره جهلاً وجمّع ماله لمفرّقِ :
إنْ كنتَ ما أنفقتَه ضَنًّا به أضحى برغمك فى أناملِ مُنفِقِ (١)
وإذا البخيلُ حمَى لضنٍّ نفسه من رزقه فكأنَّه لم يُرزَقِ
ونعَى « إلىَّ » السُّمسىُّ مُخبِّرٌ فوددتُ أنَّ لسانَه لم يُخلَقِ (٢)
وجَهَدتُ كلَّ الجهدِ وهو مُحقِّقٌ لمقالِه أنْ كان غيرَ محقّقِ
فبليتُ من نجواه لا ناجى بهـا بمسهَّدٍ طولَ الدُّجى ومؤرّقِ
وسُلبتُ منه كلَّ خُلْقٍ مُعجِبٍ وفقدتُ منـه كلَّ شىءٍ مونِقِ (٣)
وطلبتُه بين الرّجالِ فلم يكـنْ ولربَّ مطلوبٍ بنـا لم يلحقِ
وكأنّني من بعـده ذو قفرةٍ صَفِرَتْ إداوتُه كليلُ الأينُقِ (٤)
ولقد محا آدابَه وعلومَه منّا الرّدى بالرّغمِ محوَ المُهرَقِ (٥)
فكأنّنا لكلامه لم نستمعْ وكأنّنا لعبيره لم ننشَقِ (٦)
ولوِ الرّدى ممّا يدافعه الفتى لدفعتُ عنه بكلِّ غالٍ أروَقِ (٧)
وبكلِّ خوّارِ المهزّةِ باترٍ عَضْبٍ رقيقِ الشّفرَتين مُذَلَّقِ (٨)
وحطمتُ فى دفعى رداكَ أسنَّـةً فوق الجيادِ الضُّمَّراتِ السُّبَّقِ (٩)
حتّى ألفَّ مثلَّمـاً بمثلَّمٍ ومن الوشيجِ مدقّقاً بمدقَّقِ (١٠)

---

(١) ضنا : بخلا .
(٢) فى الأصل « إليه » بدل « إلى » محرفة .
(٣) المونق : الحسن المعجب .
(٤) صفرت : خلت ، والإداوة : المطهرة وهى إناء من جلد يتخذ للماء ، والأينق : النوق .
(٥) المهرق : الصحيفة .
(٦) العبير : أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران .
(٧) الأروق من الخيل : الحسن الخلق يعجب الناظر .
(٨) الخوار : الرقيق الرخو ، والمذلق : المحدد .
(٩) الأسنة : الرماح ، والضمرات : الضامرات .
(١٠) الوشيج : قصب الرماح .

فى غَلْمَةٍ متسرّعين إلى الرّدى   متهجّمين على المَقامِ الضيّقِ (١)
من كلّ وضّاحِ الجبين كأنّه   قمرٌ ومُمتدٌّ القناةِ عَشَنَّقِ (٢)
متزاحمين فمنسِرٌ فى مَنْسِرٍ   أو فَيْلَقٍ بضرابه فى فيلقِ (٣)
لم يشربوا إلّا كؤوسَ قِسِيّهمْ   أو يطعموا إلّا لحومَ المأزقِ
لِقناهمُ بين الأضالعِ فى الوغى   زَجَلٌ ولازجالُ «الأَباءِ» المُحْرَقِ (٤)
وإذا همُ طعنوا تريبَ مُجرِّدٍ   أضحى بنسجِ «نقيعه فى فَيلقٍ» (٥)
وصحبتنى وأنا امرؤٌ متدرِّعٌ   درعَ الشّبابِ وبُرْدَةً لم تَخْلَقِ (٦)
لم تُمحَ مِنّى جِدّتى ونضارتى   كلّا ولا نَضُبَتْ غضارةُ رونقى
جادتْ عليك سحائبٌ مُنهلّةٌ   من كلِّ منفتِقِ الكُلَى متخرِّقِ
صَخِبِ الرُّعودِ له زماجرُ أخجلتْ   باللّيلِ زَمْجَرَةَ الهِزَبْرِ المُحنَقِ
وكأنّه متراكماً صُمٌّ هَوَتْ   من شاهقٍ أو جِلّةٌ من دَرْدَقِ (٧)
وسقاك ربُّك ليس ما يسقى به   بمُصَرِّدٍ كلّا ولا بمرنّقِ (٨)
ورثيتُ منك أخا فضائلَ لم تزلْ   كالشّمسِ أو كالكوكبِ المتألّقِ
عجزتْ يدى عن أنْ تبرّكَ ميّتاً   فخذ المبرّةَ كلّها من منطقِ

* * *

---

(١) الغلمة : شدة الضراب .

(٢) القناة هنا : القامة ، والعشنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل .

(٣) المنسر (كمجلس) : القطعة من الجيش ، والفيلق : الجيش العظيم .

(٤) الزجل : الصوت المرتفع ، والأباء (بفتح الهمزة) : القصب ، وفى الأصل « إناء » مصحفة .

(٥) التريب والتريبة : واحدة الترائب وهى عظام الصدر ، والنقيع : الدم على التشبيه بنقيع الزبيب ، والفيلق : كذا جاءت فى الأصل وقد كررت قبل بيتين من هذا البيت ، ولعل الكلمتين محرفتان عن « نجيعه فى يلمق » والنجيع : الدم واليلمق : القباء أو الكساء وهو أنسب .

(٦) تخلق : تبلى .

(٧) الصم : جمع الأصم وهى الحجارة الصلب ، والجلة : جمع الجليل وهو العظيم ، والدردق : الصغير من الإبل .

(٨) المصرد : المقلل وكذلك الذى يسقى أو يعطى قليلا قليلا ، والمرنق : المكدر .

وقال يرثي أبا إسحاق الصابي ويتذكر أياماً لما كان بينه وبين هذا البيت من الأُلفة المتأكدة :

ماكان يومُك يا أبا إسحاقِ ... إلّا وداعى للمُنى وفراقى
وأشدّ ماكان الفراقُ على الفتى ... ماكان موصولّا بغـــير تلاقِ
ولقـــد أتانى من مصابك طارقٌ ... لـكنه ماكان كالطرّاقِ
فالنّارُ يوقدها الأسى فى أضلُعِى ... لا للصّلى والمـــاءُ من آماقى [1]
ماكان للعينين قبلك بالبكا ... عهدٌ ولا الجنبين بالإقلاقِ
وأطَقْتُ حملَ النّائباتِ ولم يكنْ ... ثِقلٌ برُزئِك بيننا بمطـــاقِ
لولا حِمامُك ما اهتدى همٌّ إلى ... قلبى ولا نارٌ إلى إحراقى
وسُلبتُ منك أجلَّ شطرَىْ عيشتى ... وفُجعتُ منك بأنفسِ الأعلاقِ [2]
وقَذِيتُ فى قلبى بفقدك والقذى ... فى القلبِ يُنسينا قَذاةَ الماقِ [3]
لمّا رأيتُك فوق صهوةِ شَرْجَعٍ ... بيـــد المنايا أظلمتْ آفاقى [4]
وكأنّني من بعـــد ثُكلك ذو يدٍ ... جـــذّاء أو غصنٌ بلا أوراقِ [5]
أو راكبٌ فى القفر دَقَّ جَسْرَةٍ ... غَرْثَى بلا شَثٍّ ولا طُبّاقِ [6]
إنّى عليك لمـــا ذهبتَ لموجَعٌ ... وإليك لمّا غبتَ بالأشواقِ
يا نافعى والجـــلدُ منّى ضَيِّقٌ ... برزِيّتِى ألّا يَضيقَ نطاقى

---

(١) الصلى والاصطلاء : الاستدفاء بالنار .
(٢) الأعلاق : الجواهر الثمينة ، مفردها علق .
(٣) قذيت: أصابنى القذى وهو مايقع بالعين من قش وغيره، والماق والموق : من العين مجرى الدمع.
(٤) الصهوة : أعلا الشىء كمقعد الفارس وأعلا الجبل ، والشرجع : النعش .
(٥) جذاء : مقطوعة .
(٦) الجسرة : العظيمة من النوق القوية ، وغرثى : جائعة ، والشث : شجر كالتفاح الصغير طيب الرائحة مر الطعم ، والطباق (كرمان) : شجر منابته جبال مكة .

كم من ليالٍ لى قصارٍ بعده ... طُوِّلْنَ بالإيجــاعِ والإيراقِ
ولو افتُدِيتَ فداكَ بادرةَ الرّدى الْـ ... ـأقوامُ بالمهجاتِ والأحــداقِ
وبكلِّ ممتلىء الضّلوعِ بسالةً ... هادٍ إلى طُرُقِ المدى سبّاقِ
تهمى دماً من كفّه سحبُ الوغى ... من غــير إرعادٍ ولا إبراقِ
وتراه يهوى فى التّراب إلى ظُبًا ... مسلولةٍ وإلى ظهورِ عِتاقِ
وإلى سِنانٍ فوق هامةِ ذابلٍ ... هتّاكِ كلِّ تريبــةٍ خرّاقِ [(1)]
أين الرّجالُ المالـكو رِبَقِ الورى ... والمُرتقون إلى أعزِّ مراقِ؟
والطّاردون بجودهمْ وعطائهمْ ... فى المُلقين عوادىَ الإملاقِ [(2)]
ولهمْ أكفٌّ ما تولّتْ وحدَها ... فى النّاسِ إلّا قسمةَ الأرزاقِ
وإذا همُ لبسوا المحاسِنَ أُهْوِنوا ... بملابسِ التّيجانِ والأطواقِ
سِيقوا إلى حُفَرِ القَواء كأنّهمْ ... ذَوْدٌ تصرّفُه يــدا سوّاقِ
وتطارحوا فى قعر مظلمةِ الهُوى ... محجوبةِ الإصباحِ والإشراقِ [(3)]
وأُستُنزِلوا عن كلِّ شاهقةِ البِنا ... من حيث لا ترقى أخامصُ راقِ
فهمُ وقد كان الفضــاءُ محلّهمْ ... ما بين أطباقٍ وفى أعماقِ
ما ذا الغرورُ من الزّمان بكاذبٍ ... نَغْلِ المودّةِ فى الهوى ملاّقِ؟
فى كلِّ يومٍ ينثنى عنــه الّذى ... يرجوه مملوءًا من الإخفاقِ
وإذا مددتُ إلى الزّمانِ أناملى ... وشــددتُ فى أسْرِ المطامعِ وَثاقى
فالأمرُ موكولٌ إلى متجرِّمٍ ... والعظمُ مرمىٌّ إلى عرّاقِ [(4)]

---

(١) الهامة : الرأس ، والذابل : الرمح ، والتريبة : مفرد الترائب وهى عظام الصدر .
(٢) الملق : الفقير المعدم ، والإملاق : الفقر .
(٣) الهوى : جمع الهوة وهى الحفرة العميقة .
(٤) المتجرم : الذى يدعى الجرم على من لاجرم له ، والعراق (بتشديد الراء) : من عرق العظم إذا أكل ماعليه من اللحم .

ما إنْ وَنَتْ سكناتُ قلبك برهةً فيه بساعة جأشك الخفّاقِ
ومن البليةِ أننا كُلِفون مِنْ هـذى الحياةِ بِمنْكَحٍ مِطْلاقِ
فى كلّ يومٍ نرتوى من شرّها مائين من حَـذَرٍ ومن إشفاقِ
وأنا الأسيرُ لهـا فمن هـذا الذى يسعى إلى الأيّام فى إطلاقى ؟
إنْ لم تـكن من عنصرى فلأنتَ بالـــآداب من أهلى وبالأخلاقِ
ومودّةٌ بين الرّجالِ تضمُّهمْ وتلفُّهمْ خيرٌ من الأعراقِ [1]
مَن ذا نضا عنّا شعارَ جمالنـا ورمى هلالَ سمائنـا بمحاقِ ؟
مَن ذا لوانا والصّدا عَلِقٌ بنا عن وِرْدِ ذاك المَنْهَلِ الرّقْراقِ ؟
فلئنْ خرِستَ عن البيان فطالمـا حكّمتَ أنّى شئتَ بالإنطاقِ
ولئنْ مُنعتَ عن البَراحِ فبعد ما جوّلتَ أو طوّفتَ فى الآفاقِ [2]
ولئنْ كَبَوْتَ عن المدا بعد الرّدى فبما سبقتَ غـداةَ يومِ سباقِ [3]
ولئنْ تحمّلْتَ الترابَ فطالمـــا قد كنتَ محمولًا على الأعناقِ
فليمضِ بعدكَ مَن أُحِبُّ فقد مضى منـك الحِمامُ ببُغْيَتِى ووفاقى
مالى انتفاعٌ بعد فقدك صاحباً حلوَ المذاقةِ فى الورى بمذاقِ
نُسجتْ عليك رياضُ كلِّ بلاغةٍ وسقـاك منهـا مانشاء السّاقى
وعصتْ على كلّ الرّجالِ فقدتَها لرضـاكَ بالأرسانِ والأرباقِ [4]
وملكتَها طولَ الزّمانِ وإنّمـا فازتْ وقد وُوريتَ بالإعتاقِ
طلبوا مداكَ ففتّهمْ وسبقتهمْ ركْضاً ولم تسمحْ لهمْ بلحاقِ

---

(١) الأعراق : الأصول والأنساب .
(٢) البراح : التنقل ، والمتسع من الأرض .
(٣) كبوت : عثرت ، والمدى : الغاية .
(٤) الأرباق : جمع الربقة وهى الحلقة أو العروة فى حبل تربط به حلقة وتربق بها البهيمة أى تربط.

فالآن بعد اليأسِ منها أيقنوا أنّ البلاغةَ في يدِ الرزّاقِ
وليسقِ قبرَكَ كلُّ مُنخرقِ الكُلى مِرعادُ كلَّ عشيّةٍ مِبْراقِ
فإذا جفا التُّربَ السحابُ فعنده ما اخترتَ مِن سحٍّ ومِن إطباقِ[1]
لم يُفْنِ دهرٌ مَن نأى وله بنا كَلِمٌ على مرِّ الزّمان بواقِ
وإذا مضيتَ وفيك فضلٌ باهرٌ فيمنْ نساتَ فأنتَ حيٌّ باقِ

* * *

وقال في معنى عرضه :

من كان لاترضيه منك مودّةٌ فاحذرْ عداوتَه بكلّ طريقِ
فعدوُّ ما تُولاهُ غيرُ مُغيَّرٍ وحسودُ ما تُعطاهُ غيرُ مفيقِ
وإذا طلبتَ مودّةً ترضَى بها لم تُلفِها من بين كلّ فريقِ

* * *

وقال في أبي المعالي بن عبد الرحيم :

عنّ الخيالُ لنا ليالي الأبرقِ والرّكبُ بين مسهّدٍ ومؤرّقِ[2]
ومصرّعين من الكلال كأنّهمْ صبحوا وما صبحوا بكلّ مروّقِ[3]
متوسّدين وقد أمالَ رقابهمْ سُكرُ الكرى لهمُ خدودَ الأينُقِ[4]
إن كان زوراً باطلًا فَلَمَطعمهُ حلوٌ شهيٌّ في فم المتذوّقِ
لم ينههَ عنّي تقوُّسُ صَعْدَتي والشّيبُ يضحك ثغرُه في مَفْرَقي[5]

---

(١) إطباق السحاب أو المطر : عمومه وشموله .
(٢) الأبرق : الأرض ذات الرمل والحجارة والطين ، ومنزل من منازل بني عمرو بن ربيعة .
(٣) صبحوا : من الصبوح وهو شراب الصباح ، والمروق : المصفى .
(٤) الأينق : النوق .
(٥) الصعدة هنا : القامة وأصلها القناة المستوية .

ومرشّفِ الوجناتِ لولا حسنُهُ … سَلَتِ القلوبُ معاً فلم تتعشّقِ (١)
يَسبِي العيونَ بحُسنِ خدٍّ مونقٍ … حاز الجمالَ وغضٍّ قَدٍّ مورقِ
وافى وهاماتُ الكواكبِ مُيَّلٌ … والصُّبحُ قد ألقى يداً فى المشرقِ
والليلُ فى بُرْدٍ رقيقٍ أزرقٍ … سَمِلٍ ولكنْ بعدُ لم يتخرّقِ
بَرَدَتْ زيارتُهُ غليلَ تحرُّقى … وشفتْ وماعلمتْ طويلَ تشوّقى (٢)
مازدتُه شيئاً ـ وبين جوانحى … لهبُ الغرامِ ـ على الحديثِ المونقِ
يالائمى فى الحبِّ لو قاسيتَه … لعلمتَ أنّك كاذبٌ لم تَصدُقِ
ماكنتَ للعذل الذى لم تُلفِنِى … أصغِى إليه من الصّبابةِ مُعنِقِى (٣)
فدع الملامةَ لامفيقٌ من هوًى … فينا ولا فى رأيه من مُفرِقِ (٤)
قل للوزير أبى المعالى وأبنها … وسليلِ كلٍّ نجيبةٍ لم تُخفِقِ
ياسيِّدَ الوزراء من ماضٍ ومن … آتٍ ومخلوقٍ ومن لم يُخلَقِ
لازلتَ بين تملّكٍ وتحكّمٍ … أبداً وبين تصعُّدٍ وتحلُّقِ
فى خَفضِ عيشٍ لايزول نطاقُهُ … عن ساحتيك وظلّ عزٍّ مُحدِقِ
للهِ دَرُّك حيث تَشتجِرُ القنا … تحت العجاج على ظهور السُّبَّقِ
واليومُ غصّانٌ بكلِّ مجدَّلٍ … فوق الثّرى وبأذرعٍ وبأسْؤُقِ
والموتُ يستلب النّفوسَ بطعنةٍ … أو ضربةٍ فكأنّما لم تُخلَقِ
أوقَدْتَه حتى استطار شرارُه … وغمرتَ فيه فَيلَقاً فى فَيلَقِ (٥)

---

(١) المرشف : الممصوص ، ورشف الماء : مصه قليلا قليلا
(٢) الغليل : حرارة العطش .
(٣) معنق : جاعله فى عنقى .
(٤) المفرق : المفيق؛ من أفرق المريض ، إذا أفاق وبرىء .
(٥) الفيلق : الجيش العظيم .

وعصابةٍ مَرَقَتْ فرُضْتَ جِماحَها ... حتّى ألتوى فكأنّما لم تمرُقِ (١)
أنزلتها قَسْراً على حكمِ الظُّبا ... وقضيّةِ العالى الأشمِّ الأزرقِ (٢)
والبيضُ بين مُسلَّمٍ ومثلَّمٍ ... والسُّمرُ بين مصحّحٍ ومدقّقِ
لا تحفلَنْ بالغابطين على الذى ... أُوتيتَ من بحرِ الفخارِ المُفهَقِ (٣)
وقهرتَهمْ بمحلّةٍ لا ترتَقَى ... وبهرتَهمْ فى جودك المتدفّقِ
ودع الحسودَ يقول ماهو أهلُهُ ... فالقولُ بين مكذِّبٍ ومصدِّقِ
ليس الحسودُ وإنْ تموَّه أمرُهُ ... فى النّاس إلّا كالعدوِّ المُحنَقِ
أنا فى بنى عبد الرّحيم مُحَبَّبٌ ... وإذا علقتُ فنهمُ متعلّقى
وبنشرِهمْ عَبِقٌ ولولا أنّه ... ياصاحبى نشرٌ لهمْ لم أَعبَقِ (٤)
أعطيتُهمْ ودّى ولو بيدِى المنَى ... شاطرتُهمْ من مدّتى ماقد بقِى
ولو أنّ فى كفّى الشّبابَ وقد مضى ... لبذلتُهُ وخصصتُهمْ بالرّيقِ (٥)
فى أىّ شِعبٍ من شعوبِ مُرادهمْ ... ـ حتّى أتاهمَ ـ لم أخِبَّ وأُعنِقِ (٦)
فبأىّ أمرٍ فيهمُ لم ألتبِسْ ... وبأىّ حبلٍ منهمُ لم أعلَقِ ؟
كم أنقذوا من حتفِ كربٍ واسعٍ ... أو أخرجوا من كفّ خطبٍ ضيّقِ
ورقَوْا من العلياءِ مالا يُرتقَى ... وأتوا من الغايات مالم يُلحَقِ
ومتى رأيتَهمُ رأيتَ تقرّبى ... من دارهمْ وتخصّصى وتحقّقِى
لا باعد اللهُ اللّقاءَ ولا رمَى ... شملًا يضمّ جميعَنا بتفرّقِ

(١) مرقت : خرجت .
(٢) الأزرق : السنان والنصل .
(٣) المفهق : الممتلىء .
(٤) النشر : الرائحة الطيبة ، وعبق به الريح : لصق .
(٥) الريق من الشباب : إبانه وأوله .
(٦) الشعب : الطريق بين جبلين ، وتاهم : أتى تهامة ، وأخب وأعنق : من الخبب والعنق (بالتحريك) وهما ضربان من السير السريع .

قد زارنا التّحويلُ يُخـــبرأنّه أبداً يقابلنـــا بوجهٍ مُشرقِ
صقلَ الإلهُ حسامَه وأزارَه طَلَقـــاً بكلّ تهلُّلٍ وتألّقِ
كم ذا لنـا أمـــلٌ به متنظَّرٌ شوقاً ومن قلبٍ به متعلّقِ؟
وكساه من حُلَلِ القبول مجـاسداً ما كنّ من وشيٍ ومن إستَبْرَقِ[1]
وبه مفاخرُ دهرنا وعـــلاؤه دون الدّهور على الجبـال الشُّهَّقِ
وإذا استمعتَ فلا تُصِـخْ إلاّ إلى كَلِمٍ جابن على الورى من منطقِ
فى رونقٍ بَهِـجٍ، وليس برائقٍ مالم يكن عَذْباً ولاذا رونقِ
ومُنَمَّقٍ طبعـــاً وكلُّ مُنَمَّقٍ بتعسّفٍ يلقـاك غـيرَ مُنَمَّقِ
وإذا نطقتُ بغـير مدح فضائلٍ جُمعتْ لـكمْ فـكأنّنى لم أنطِقِ

* * *

وقال فى النسيب:

بقلبِيَ منكِ الهمُّ والحزنُ والأسى وقلبُـكِ مايدرى بمـا أنَا لاقِ
وعندكِ رِقّى والهوى أنتِ كلُّهُ ولـكنّنى عبـدٌ مَنَيْتِ إباقى[2]
وما أنتِ إلاّ فرقةٌ بعـــد أُلفَـةٍ وإلاّ فإعراضٌ مـكانَ فراقِ

* * *

وقال فى الطيف[3]:

وليلةَ «زرتنا» واللّيـــلُ داجٍ على تَجَـلٍ ونحن على البِراق[4]

---

(١) المجاسد: جمع المجسد (بكسر الميم) وهو القميص الذى يلى الجسد، والوشى: الثوب المنقوش، والإستبرق: الديباج.

(٢) منيت: قدرت وقضيت، والإباق: الهرب.

(٣) وردت فى «طيف الخيال» (ص١١١).

(٤) فى الأصل «زرتنى» بدل «زرتنا»، والبراق: جمع الأبرق وهو الموضع فيه رمل وحجارة وطين.

وجُدتَ لنا بتقبيل الثّنايا على رغم الوشاةِ وبالعناقِ

تلاقينا بأرواحٍ ظماء عشيّةَ «مالِ الأجسادِ» تلاقِ[1]

ولمّا أن تفرّقنا رجعنا إلى ما نحن فيه الفراقِ

فإنْ يكُ باطلاً لاحقٌ فيه فكم من باطلٍ حُلوِ المذاقِ

***

وقال فى النسيب[2] :

ياجالبًا للأرَقِ ومورثًا للحُرَقِ

ومَن إليه وحده خوفًا عليه قَلَقِى

وهاجرى فى فَلَقٍ وزائرى فى الغَسَقِ[3]

هل نافعى عذبُك يا عذبُ ومنه شَرَقى ؟

كيف تضِنُّ بالهوى بموعدٍ لم يصدُقِ ؟

ونظرةٍ يسرقها مَن لم يُزَنْ بالسَّرَقِ[4]

تسىء تعويلاً على تعويلك المُلَفَّقِ

طيفُكَ ما أبصرَهُ بقَطْعِ ذاكَ الأبرَقِ[5]

خيّل أنّا نلتقِى زُوراً وليس نَلْتقى

وافىْ إلينا «والكرَى» يُثنى إليه عُنُقى[6]

---

(١) فى الأصل «مالأجسام» بدل «مالأجساد» .

(٢) ورد منها فى «طيف الخيال» (ص١١٣ ـ ١١٤) ثلاثة عشر بيتاً .

(٣) الفلق : الصبح ، والغسق : ظلمة أول الليل .

(٤) السرق (بفتحتين) : مصدر سرق ، وهو أيضاً جم سرقة (بالتحريك) : وهى الشقة من الحرير الأبيض قيل معربة وأصلها بالفارسية «سره» .

(٥) الأبرق : الأرض ذات الرمل والحجارة ، ومن منازل عمرو بن ربيعة .

(٦) فى «الطيف» «فى الكرى» بدل «بالكرى» .

عينُ رقيبٍ مُشفقٍ مُوَكّلٍ بالحدَقِ
كأنّهـا ساهرةٌ حائرةٌ لم تُطرقِ
أعجبْ بها زيارةً لعائفٍ لم يَرْفُقِ
باطـلةً كأنّهـا هنـاك من محقَّقِ
كأنْ شوقًا قادها وهى «كمن» لم يشتقِ (١)
بتُّ بها أغلوطةً أُمسِكُ «منها» رَمَقِى (٢)
ومُخـفقٍ كأنه من طمعٍ لم يُخفقِ
لمّا دنا الصّبحُ إلى وِسادِه كاليَقِقِ (٣)
أضحى يعضّ كفّه على الدّجى مِن حَنَقِ
فى فتيـةٍ تعوّدوا بالسّيف ضربَ المَفرقِ
وطعنَ كلّ ثُغرةٍ من أسمرٍ بأزرقِ (٤)
كأنّهمْ أُسْدُ الشّرى أو جِنّةٌ من سَمْلَقِ (٥)
من كلّ ركّابٍ إلى الـ هولِ ظهورَ السُّبّقِ
وصادمٍ بفيلقٍ يوم الوغى لفَيْلَقِ
فى كلّ يومٍ يعتلِى ظَهْرَ عُلاً ويرتقى
كأنّه من كرمٍ إلى ندًى لم يُسبَقِ

* * *

٢١٨

---

(١) فى الأصل « لمن » بدل « كمن » وفى « الطيف » « يشق » بدل « يشتق » .
(٢) فى الأصل « منه » بدل « منها » .
(٣) اليقق : الشديد البياض .
(٤) الأسمر : الرمح ، والأزرق النصل .
(٥) السملق : القاع الصفصف .

قافية الكاف

باب الكاف المضمومة

قال فى الشيب :

تَضاحكتِ لمّا رأيتِ المشيبَ ولم أرمن ذاكِ ما يُضحِكُ
وما زال دَفْعُ مَشيبِ العِذارِ لا يُستطاعُ ولا يُملَكُ (١)
وقال لىَ الدّهرُ لمّا بقيتُ : إمّا المشيبُ أو المَهْلَكُ
فقولِى وأنت تعيبينَهُ لأىٍّ طريقيهما أسلُكُ ؟

***

(١) العذار : الشعر النابت على صفحة الخد مما يلى الأذن أو موضعه .

باب الكاف المفتوحة

قال يهنئ جلال الدولة بالنيروز المعتضدى و بقدومه

من عسكبراء و إصلاح العسكر :

دع الجِزْعَ عن يُمناك لا عن شمالكا فلِي شَجَنٌ أحنو عليه هنا لكا (١)
وقفْ بِي و إنْ سار المطيُّ بأهلِهِ وجُدْ لى به وأُجمِلْه بعض حِبائكا (٢)
ولولا الهوى ما بتَّ أسأل باخلًا وآملُ منَّاناً وأعشَقُ فاركا (٣)
ومَن ذا الذى لولاه ذلّلَ صَعْبَتِي ولَيَّنَ منِّى للشُّموسِ العرائكا؟ (٤)
من اللّائى يفضحن الغصون نضارةً و بالجِيد يُخجِلْنَ الظِّباء الأواركا (٥)
عَفَفْنَ فما استشهدن يومَ تفاخرٍ على عَبَقِ الأفواه إلّا المساوكا (٦)
ولمّا أرَتْنا ساعةُ البين عَنْوَةً وجوهاً وِضاءً أو شعوراً حوالكا (٧)
نزعنا ثيابَ الحِلْمِ عنّا خلاعةً فلم نَرَ إلّا سادراً متهالكا (٨)
و إلّا بدوراً بالرّحيل كواسفاً و إلّا شموساً بالحدوجِ دوالكا (٩)

---

(١) الجزع (بالكسر) : جانب الوادى أو منعطفه ، والشجن (بفتحتين) : الغصن الملتف .
(٢) الحباء (بالكسر) : العطاء .
(٣) الفارك : المرأة التى تبغض زوجها .
(٤) الشموس : من النوق أو الخيل أو النساء الممتنعة السيئة الخلق ، والعرائك : جمع العريكة وهى الخلق .
(٥) الأوارك : جمع الوركاء وهى عظيمة الورك .
(٦) العبق : لصوق الريح وانتشار رائحته ، والمساوك : جمع المسواك وهى عود يتخذ من شجر الأراك يستاك به .
(٧) البين : الفراق ، وعنوة : قهراً ، وشعور حوالك : شديدة السواد .
(٨) السادر : المتحير .
(٩) الحدوج : الهوادج والدوالك : الغاربات ، ودلكت الشمس: زالت عن كبد السماء وغربت. ومنه قوله تعالى : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل . . »

ومُنتَقِباتٍ بالجمال ملكْنَنا ... وما كنَّ لي لولا الجمالُ موالكا[1]
قتلن ولم يشهرن سيفاً وإنّما ... شهرن وجوهاً طَلْقةً ومضاحكا
فأقسمتُ بالبُزْلِ الهِجانِ ضوامراً ... يَرِدْن بنا البيتَ الحرامَ رواتكا[2]
ويُبْصَرْنَ من بعد الكلالِ نواحلا ... وقد كنّ من قبلِ الرّحيلِ تَوامكا[3]
بَرَكْنَ على وادى مِنًى بعد شِقْوَةٍ ... ومِن بعد أنْ قضَّيْنَ منّا المناسكا
ومِن بعد أنْ طرّحن أحلاسَ أظهرٍ ... أكَلْن ظهوراً بالسُّرى وحواركا[4]
أبَيْنَ وما يأبينَ إلّا نجابةً ... قُبيلَ بلوغٍ للمرامِ المباركا
وما قِلْنَ إلّا بعد لأْيٍ وبعد ما ... قطعن اللّوى قَطْعَ المَدا والدّكادِكا[5]
لقد حلّ ركنُ الدّين ماشاء من رُبًى ... وطالتْ معاليه الجبالَ السّوامكا[6]
وما زال نهّاضاً إلى المجد ثائراً ... وذا شَغَفٍ بالعِزِّ والفخر سادِكا[7]
فإنْ طلب الأقوامُ عوناً على عُلا ... توحّدَ لا يبغِى العَوينَ المشاركا
رضيتُك ما ملكَ الملوكِ من الورى ... لقلبِىَ من دون البريّةِ مالكا
ولمّا ثنتْ كفّى عليك أناملِى ... تركتُ احتقاراً كلَّ مَن كان مالكا
فإنْ كنتُ قد قلقلتُ شرقاً ومغرباً ... فها أناذا ربُّ المطىِّ بواركا
فمالى انتقالٌ بعد مَغْنًى غنيتُه ... ومالى ارتحالٌ بعد يومِ لقائكا[8]

---

(١) منتقبات : لابسات النقاب وهو الخمار .
(٢) البزل : جمع البازل وهو من الإبل والنوق ما بزل نابه أى انشق وطلع ، والهجان : من الإبل البيض الكرام ، والرواتك : جمع الراتك وهو المسرع .
(٣) التوامك : جمع التامك وهو عظيم السنام .
(٤) الأحلاس : جمع الحلس (بكسر الحاء وتسكين اللام) : وهو كساء يوضع فوق ظهر الدابة ، والحوارك : جمع الحارك وهو أعلى الكاهل .
(٥) قلن : استرحن وقت القيلولة وهى منتصف النهار ، واللأى : الشدة والبطء ، واللوى : منعرج الرمل ، والمدا المسافة ، والدكادك : جمع الدكداك وهو المتلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع.
(٦) السوامك : جمع السامك وهو كالسامق أى العالى .
(٧) السادك : المولع .
(٨) المغنى : المنزل .

وأنتَ الذى فُتَّ الملوكَ فلم يكُنْ ... لعالى البنا فى المجدِ مثلُ علائكا
أبوْا وأبيْتَ الضيْمَ فينا ولم يكُنْ ... لكلّ أباةِ الضَّيمِ مثلُ إبائكا
وقد علِمَ المُعْطَوْنَ بعد سؤالِهمْ ... بأنّك تُغنى الفقرَ قبل سؤالكا
وكم لك من فضلٍ حقرتَ مكانَه ... وإنْ هو أخزى حاتِماً والبرامكا
علوتَ عن السّامى إليك بطرفِهِ ... فأين من الرّاقين حول جبالكا ؟
وما سلّموا حتّى رأوك محلّقاً ... يشقُّ على الأيْدِين بُعْدُ منالكا [1]
فإنْ خبروا بالفضل منك رقابةً ... فقد شاهدوا ما شاهدوا من جلالكا
ومَن كان ذا ريبٍ به فى شجاعةٍ ... وبأسٍ يَسَلْ عنه الوَغى والمعاركا
غداةَ أسالَ الطّعنُ فى ثُغرِ العِدا ... كما شاءت الأيدى الدّماءَ السّوافكا
وما حملتْ يُمناه إلّا صوارماً ... لكلّ وريدٍ من كَمِيّ بواتكا [2]
ولمّا استطار البغىُ فيهمْ أطرْتَ فى ... طِلابِهمُ من ذى الجيادِ السّنابكا [3]
فروّيتَ منهمْ أسمرَ اللّون ذابلًا ... وحكّمتَ فيهمْ أبيضَ اللّونِ باتكا [4]
وما شعروا حتّى رأوها مغيرةً ... مجالًا لأطرافِ الشّكيمِ لوائكا [5]
يُخَلْنَ ذئاباً يبتدِرْن إلى القِرى ... وإلّا سيولًا أو رياحاً سواهكا [6]
ويُلْقَيْنَ من قبل اللّقاء عوابساً ... وبعد طلوعِ النّصرِ عُدْنَ ضواحكا
وفوقَ القَطا منهنّ كلُّ مغامرٍ ... إذا تاركُوه الحربَ لم يكُ تاركا [7]

---

(١) الأيدون : جمع الأيد (بتشديد الياء المكسورة) وهو القوى وخففت الياء للضرورة .
(٢) الكمى: الشجاع المدجج بالسلاح، والبواتك : القواطع .
(٣) استطار : عم وانتشر ، والسنابك : أطراف مقدم الحوافر مفردها سنبك (كقنفذ)
(٤) الأسمر : الرمح ، والذابل : الرقيق ، والأبيض : السيف ، والباتك : القاطع .
(٥) الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .
(٦) السواهك : الرياح المواصف .
(٧) القطا : جمع القطاة وهو مقعد الرديف من الفرس .

يُخيضُ الظُّبا ماءَ النُّحورِ من العِدا   ويخضبُ منهمْ بالدّماءِ النَّيازكا[1]
ولو شئتَ حكّمتَ الصّوارمَ فيهمْ   وسُمراً طِوالًا للنُّحورِ هواتكا
فسقّيتَهمْ حتّى ارْتَوَوْا كؤسَ الرّدى   وحرّقتَهمْ حتّى امّحوا بأوارِكا
وضربٌ طُلّى قطّ الطُّلى متواتراً   وطعنٌ كُلى عطّ الكُلى متداركا[2]
فإنْ رجعوا منها بهُلْكِ نفوسِهمْ   فأيديهمُ جرّتْ إليها المهالكا
فقضّيتَ من أوطارنا كلَّ حاجةٍ   وأخرجتَ أوتاراً لنا وحسائكا[3]
وكنتَ متى لاذوا بعفوكَ صافحاً   وإنْ معكوا كنتَ الألدَّ المماعكا[4]
فبشرى بما بُلّغتَه من إرادةٍ   وشكراً لما أُوتيتَهُ من نجائكا
ولله عاداتٌ لديك جليلةٌ   يَقُدْنَ إليك النّصرَ قبل دُعائكا
وما كان إلّا اللهُ لاشيءَ غيرَه   مُنجّيك منها والشّفاءُ لدائكا
ولا فِكْرَ فيمن صمَّ لمّا دعوتَه   وربُّ الورى طرّاً مجيبُ دعائكا
فإنْ كنتَ يوماً طالباً ناصحاً لكمْ   بلا ريبةٍ منه فإنّيَ ذالكا
فما أنا إلّا في يديك على العِدا   وفي قَسْمِك الأسنى وتحت لوائكا
ومالِيَ في ليلِ البهيمِ من الورى   ولا صبحَ فيه غيرُ نور ضيائكا
فلا تخشَ منّي جفوةً في نصيحةٍ   وكيف ومالي خشيةٌ من جفائكا
ولا تدّخرْ يوماً لخدمتك التي   تخصّك إلّا الحازمَ المتماسكا
ولا تغترْ بالظّاهراتِ من الورى   فكم يَقَقٍ يتلوه أقترُ حالكا[5]

---

(١) النيازك : جمع النيزك وهو الرمح القصير .
(٢) الطلى : جمع الطلية وهي الرقبة ، وعط : شق ، والكلى : جمع الكلية.
(٣) الأوتار : جمع الوتر (بكسر الواو وسكون التاء) وهو الثأر ، والحسائك : جمع الحسيكة كالضغينة وزناً ومعنى والعداوة .
(٤) معك : مطل وخاصم من المطل والخصام ومعكه في القتال : لواه وقهره .
(٥) اليقق : الناصع البياض، والأقتر الأغبر من القترة وهي الغبرة، والحالك : المظلم والشديد السواد.

وقد خبّر النيروزُ أنّ قدومَه ... يُنيخُ السُّعودَ الغُرَّ فوق رحالكا

فخذ منه فيما أنت ترجو وتبتغى ... على عقبِ الأيامِ فوق رجائكا

ودُمْ لا أُنجلتْ عنا شموسُك غُرَّباً ... ولا زال عنّا ما لنا من ظِلالكا

* * *

وقال فى [الرهبة من الله] والتوكل عليه تعالى :

ما ضرّ مَن رَهِبَ الملوكَ لو أنّه ... رَهِبَ الذى جعل الملوكَ ملوكا

وإذا رجوتَ لنعمةٍ أو نقمةٍ ... فارجو المليكَ وحاذر المملوكا

وإذا دعوتَ سوى الإلهِ فإنّما ... صيّرتَ للرحمان فيك شريكا

* * *

وقال فى العتاب :

لذْ بالعَزاء فلا خِلٌّ تَضِنُّ به ... ولا مقيمٌ على دار الحِفاظِ لكا (١)

ولا وفىٌّ إذا أعطيتَه مِقَتِى ... أعطَى المحبّةَ أو تاركتُه تركا (٢)

ولا لبيبٌ يعاطينى نصيحتَه ... ويُسلك الرَّحْلَ منى حيثما سلكا

إنْ كان خبّ بِىَ الدّهرُ العثورُ إلى ... بُغضِ الذى كنتُ أهواه فقد بركا

أما ترانِىَ فى ظلماءَ داجيةٍ ... ضاع الصّباحُ بها للقومِ أو هَلَكا ؟

وقد شكوتُ فلم أرجعْ بنافعةٍ ... لكنْ شكوتُ إلى مَن مثل ذاك شكى

فى كلّ يومٍ أخو غدرٍ يقلّبنى ... على الحضيضِ وقد ألمستُه الفَلَكا

يبغى خِلافى فإنْ لا يَنْتُه خشنتْ ... منه الخلائقُ أو باكيته ضحكا

وكم مصرٍّ على مَقْتٍ وتَقْلِيَةٍ ... أعطيتُه طَرَفَ البُقْيا فما أمتسكا (٣)

---

(١) تضن : تبخل ، والحفاظ : الذمام .

(٢) المقة (على زنة الثقة) : المحبة .

(٣) التقلية : البغض .

ما ضرّني مالكاً نفسي ومأربتي أنْ لا أكون على أعوادهمْ مَلِكا؟
ما دام عِرْضُك لم تثلمْهُ ثالمةٌ بين الرّجالِ فخلِّ المالَ مُنتَهَكا
واحقنْ حياتك فى خدّيك مبتذلاً من دونه لدمِ الأرواحِ مُنْسَفِكا
أما ترى الرّزقَ يأتى المرء ممتلئاً من الكرى فدعِ الإيجافَ والرّتكا[1]
ودعْ حِذاراً فكم حِذْرٍ تقوم به ما كان رِدْءاً لمكروهٍ يحُلُّ بِكا[2]
والمرء يَعْطَبُ مدلولاً على طَرَفٍ إلى الصّواب وينجو المرء مرتبكا[3]
كم حائدٍ عن رداه غيرِ ذى عُدَدٍ وكارعٍ من رداه يحمل الشّككا[4]
ولى صديقٌ الضّواحى وهو مضطبعٌ من العداوة أثواباً له سَلَكا[5]
إذا «سَهُلَتْ» عليه بات يحزَنُ لى وإنْ نضوّأتُ يوماً عنده «دَلَكا»[6]
وكلّما اندملتْ منّى جوائفُهُ قَرّفَ منها بأظفارٍ له ونكا[7]
يَذرى دموعاً على الخدّين يوهمنى منه الودادَ وما إنْ للودادِ بكى
وكلّما كان عندى أنّه بيدى وجدته فى يد الأقوامِ مشتركا
وصاحبٍ خدعتْ عينَىَّ نظرتُه ما كان تِبْراً ولا مالاً إذا سُبِكا[8]

---

(١) الإيجاف والرتك : ضربان من السير السريع .
(٢) الرده : العون والناصر .
(٣) يعطب : يهلك .
(٤) الكارع : الشارب ، والشكك ، جمع الشكة (بالكسر) وهى مايلبس من السلاح .
(٥) الضواحى : النواحى الظاهرة البارزة ، والمضطبع : الملتف بثوبه كالمحرم أو المدخل ردائه تحت إبطه الأيمن ومغط به الأيسر .
(٦) فى الأصل « سهكت » وسهكت الدابة : جرت جرياً سريعاً ، والظاهر تحريفها عما أثبتناه لأنها أنسب فى مقابلة قوله يحزن لى أى يخشن من الحزونة وهى الخشونة والغاظة فى الأرض، وتضوأ فلان : قام فى ظلمة ليرى بضوء النار أهلها ، ودلك : غرب ، ومنه دلوك الشمس؛ أى غروبها أو زوالها عن كبد السماء : وفى الأصل «ملكا» محرفة عن «دلكا»
(٧) الجوائف : جمع الجائفة وهى الطعنة التى تبلغ الجوف ، وقرف القرحة : أزال قشرتها المندملة ، ونكأ القرحة ونكاها ، قرفها وقشرها قبل البرء .
(٨) التبر : الذهب الخالص .

أخـــذتُه وبقيتُ الدّهرَ أجمعه أودّ أنّى له أسبتُ مُتّركا
بينى وبين الورى سِتْرٌ أُرقّعهُ ولو تغافلتُ عن ترقيعه انتهكا
فقـل لحسّادِ فضلٍ بتّ أملِكُهُ : الفضلُ يا قومُ فى الدّنيا لمن ملـكا
زَكَتْ غُروسى فمـا ذنبى إلى نفرٍ ما كان يوماً لهمْ غرسى نمـا وزكى ؟

* * *

باب الكاف المكسورة

وقال فى وفاة صديق له كان شديد المودّة له [واسمه يحيى] :

تهوين أنْ أرقىٰ ذُرا المهالكِ   والعمرُ يمضى فى خـلال ذلكِ
هالكةٌ تتبع إثْرَ هالكِ   كم من أخٍ لى أو حميمٍ شابكِ
ولّتْ به عنّى يـدُ المهالكِ   فَجْعُ الرّدٰى متمّماً بمالكِ
بعُدْتَ يايحيىٰ بعـادَ الهالكِ   بعـادَ لا قالٍ ولا مُتاركِ [1]
لـكنّه أخذُ الرّدٰى للواشكِ   لاقى الجبانِ والشّجاعِ الفاتكِ
بُدِّلْتَ بالأرض ثرٰى الدّكادكِ   وبالضّياء قعرَ لَحْدٍ حالكِ [2]
وبالأنيسِ رَنّةً من ساهكِ   سادكةً قد ظفرتْ بسادكِ [3]
مسالكٌ ما رجعتْ بسالكِ   أعيَتْ على الأخفافِ والسّنابكِ [4]
سُقيتَ صوبَ الدّيَمِ السوافكِ   من كلّ ذاتِ هَيْدَبٍ مباركِ [5]
دلّاحـةٍ كالنَّعَمِ الأوارك   دنياىَ « ما دارَ مقامٍ » داركِ [6]
هيهات أنْ « أعْلَقَ فى » حبالكِ   وما «عفا» من جسدى جراحُكِ [7]
وهـذه الفَعْلةُ من فِعالكِ

✡ ✡ ✡

(١) القالى : المبغض .
(٢) الدكادك : جمع الدكداك وهو ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع ، والحالك : المظلم .
(٣) الساهك : العاصف كالريح الساهكة أى العاصفة الشديدة ، والسادك : اللازم للمحل ولم يفارقه.
(٤) السنابك : أطراف حوافر الخيل .
(٥) الهيدب : ذيل السحاب المتدلى .
(٦) الدلاحة : المثقلة ، والأوارك : جمع الوركاء وهى عظيمة الورك ، وفى (س) « ما دارى مقام » وفى (هـ) « ما دار مقامى » والأخيرة أقرب وما أثبتناه أنسب .
(٧) فى (هـ) « تعلقنى » الظاهر تصحيفها عن « تعلقنى » وما وضعناه هو فى (س) ، وفى « هـ » « عفت » بدل « عفا » أى امحى .

وقال (أدام الله علاه) فى معنى عرض له[1] :

ألا يا ابنةَ الحيّين مالى ومالكِ ... وماذا الذى ينتابنى من خيالكِ ؟
هجرتِ وأنتِ الهمُّ إذ نحن جيرةٌ ... وزرتِ وشحْطٌ دارُنا من ديارِكِ[2]
فما نلتقى إلاّ على نشوةِ الكرى ... بكلّ خُدارِىّ من الليل حالكِ[3]
يفرّق فيما بيننـــا وَضَحُ الضُّحى ... وتجمعنا زُهرُ النجومِ الشوابكِ
وما كان هذا البذلُ منك سجيّةً ... ولاالوصلُ يوماً خَلّةً منخِلالِكِ[4]
فكيف التقينا والمسافة بيننا ... وكيف خطرنا من بعيدٍ ببالِكِ ؟
وقد كنتِ لمّا أوسعونا وشايةً ... بنا وبكمْ آيستِنا من وصالِكِ
فلم يَبْقَ فى أيمانِنا بعد ما وَهَتْ ... عقودُ التّصابى رُمّةٌ من حبالِكِ[5]
وليلة بتنا دون رَمْلةِ مُربخٍ ... خطوتِ إلينا عانكاً بعد عانكِ[6]
وما كان مَن يستوطن الرّملَ طامعاً ... وأنتِ على وادى «القرى» فى مزارِكِ[7]
ولمّا امتطيتِ الرّملَ كنتِ حقيقةً ... بغير الهدى لولا ضياء جمـالِكِ
تزورين شُعثاً ماطَـلُوا الليلَ كلّه ... على أعوجيّاتٍ طِوالِ الحوارِكِ[8]

---

(١) ورد منها فى « طيف الخيال » أحد عشر بيتاً (ص ٧٨ و ٧٩) .
(٢) الشحط : البعد
(٣) الخدارى : الليل المظلم ، والحالك : الشديد السواد .
(٤) الخلة (بالفتح) : الخصلة ، وبالضم : الصداقة .
(٥) وهت : ركت وضعفت ، والرمة (بالضم) : قطعة من حبل بال .
(٦) مربخ : رملة مستطيلة بين مكة والبصرة ، والعانك : الرمل المنعقد المرتفع ، وعنك البعير فهو عانك : وقع فى الرمل الكثير فلم يكد يتخلص منه .
(٧) فى « طيف الخيال » « منى » بدل « القرى » ووادى القرى : بين المدينة والشام (من أعمال المدينة كثير القرى) .
(٨) الشعث : جمع الأشعث وهو مغبر الرأس ، وأعوجيات : جمع أعوج وهو الفحل الكريم من الخيل ، والحوارك : جمع الحارك وهو من الفرس منبت أدنى عرفه إلى الظهر .

إذا خِفنَ فى تِيهٍ من الأرضِ ضَلَّةً ... ولاضوءَ أوْقَدْنَ الحصى بالسَّنابِكِ[1]

سلامٌ على الوادى الذى بانَ أهلُهُ ... ضُحيًا على أُدْمِ المطىِّ الرَّواتِكِ[2]

وفيهنَّ ملآنٌ من الحسنِ مُفعَمٌ ... يَنِئُ بعزمِ النَّاسكِ المتماسِكِ[3]

يتاركنى وصلًا وبذلًا ونائلًا ... وموضعُهُ فى القلبِ ليس بتاركى

إذا افْتَرَّ يومًا أو تبسَّمَ مُغرِبًا ... فعن لؤلؤٍ عذبٍ نقىِّ المضاحِكِ[4]

أبَى الرَّشْفَ حتَّى ليس يثنِى بطيبه ... بُعَيْدَ الكَرى إلّا فروعَ المساوِكِ[5]

ولمّا تنادَوْا غفلةً برحيلهمْ ... فما شئتَ بين الحىِّ من متهالِكِ

ومِن مُعْوِلٍ يشكو الفراقَ وواجمٍ ... ومِن آخِذٍ مايبتغيه وتارِكِ

مضوا بعد ما شاقوا القلوبَ ووكَّلوا ... بأعيننا فيضَ الدّموعِ السّوافِكِ

عشيّةَ لاثوا الرَّبْطَ فوق حدوجِهمْ ... على مثلِ غِزلانِ الصَّريمِ الأوارِكِ[6]

يُحدِّثْنَ عن شَرْخِ الصِّبا كلَّ مَن رأى ... تمامًا لهنَّ بالثُّدِىِّ الفَوالِكِ[7]

ألا إنَّ قومًا «أخرجوكنَّ قد بغوا» ... وسدّوا إلى طُرْقِ الجميلِ مسالكى[8]

هُمُ منحونا بِشْرَهمْ ثمّ «أسرجوا» ... قلوبًا لهمْ مملوءةً بالحسائكِ[9]

ترى السِّلْمَ منهمْ باديًا فى وجوههمْ ... وبين ضلوعِ القومِ كلُّ المعارِكِ

---

(١) السنابك : أطراف الحوافر .

(٢) الأدم : جمع الآدم وهو الأسمر ، والرواتك : جمع الراتك : وهو المسرع ورتك البعير . عدا فى مقاربة خطو .

(٣) المفعم : الملآن ، ويني، : يرجع ويذهب .

(٤) افتر: ضحك ، ومغربًا من أغرب فى ضحكه: إذا أكثر منه، والاستغراب فى الضحك هو أقصاه.

(٥) الرشف : المص ، والمساوك : جمع المسواك وهو عود يتخذ من شجر الأراك يستاك به .

(٦) لاثوا : لفوا ، والربط : الملاءة ، والحدوج : الهوادج ، والصريم : الأرض الجرداء ، والأوارك : جمع الوركاء وهى عظيمة الورك .

(٧) شرخ الصبا : إبانه وريعانه ، والفوالك : جمع الفالك وهى الفتاة التى استدار ثديها .

(٨) فى (ه) و (ش) « أحرجونى بينهم » بدل « أخرجوكن قد بغوا » .

(٩) أسرجوا : أوقدوا، وفى (س) «أشرجوا» مصحفة ، والحسائك : الضغائن مفردها الحسيكة.

وما نقموا إلّا التّصامَ «عنهمُ» وصفحى لهمْ عن آفكٍ بعد آفكِ [1]

وإنّى ألقى القولَ بالسّوء منهمُ بمَدْرَجِ أنفاسِ الرّياحِ السّواهكِ [2]

وأسترُ منهمْ جانبَ الذّمِّ مُبقياً على خارقٍ منهمْ لذاك «وهاتكِ» [3]

إذا كنتمُ آتاكمُ اللهُ رُشْدَكمْ تودّون ودّاً أنّنى فى الهوالكِ

فمنْ ذاكمُ أعددتمُ لدماركمْ إذا قمتمُ فى المأزقِ المتلاحكِ ؟ [4]

ومَن ذا يُنيلُ الثّأرَ عفواً أكفّكمْ وتُظفركمْ أيامُه «بالمهالكِ» ؟ [5]

ومَن قوله يومَ الخصومةِ فيكمُ يبرّحُ بالخصمِ الألدِّ المماحكِ ؟ [6]

ومَن دافعَ الأيامَ عن مُهَجاتكمْ وهنَّ أخيذاتٌ لأيدى المهالكِ ؟ [7]

رأيتُكمُ لا ترشحون لجاركمْ من الخير إلّا بالضّعافِ الرّكائكِ

يبيتُ خميصاً فى القضيض وأنتمُ كظيظون جثّامون فوق الأرائكِ [8]

ويُصبحُ إمّا مالُهُ فى مُلمّةٍ تنوبكمُ أو شِلْوُهُ للمناهكِ [9]

وإنّ الذى يَمْريكمُ لعطائهِ لمُستمطِرٌ رِفْداً الأكفّ المسائكِ [10]

ألا هلْ أرى فى أرضِ بابلَ أذْرُعاً تصول بأسيافٍ رِقاقٍ بواتكِ ؟ [11]

---

(١) فى (ه) «عندهم» بدل «عنهم» ، والآفك : الكاذب .

(٢) السواهك : الرياح العواصف .

(٣) فى (س) «وهالك» تصحيف «وهاتك» .

(٤) المتلاحك : المتضايق .

(٥) فى (ه) «بالترائك» بدل «بالمهالك» .

(٦) المماحك : اللجوج .

(٧) أخيذات : مأخوذات .

(٨) الخميص : الجائع ، والقضيض : الموضع فيه القضض وهو صغار الحصى ، والكظيظ : الذى أصابته الكظة وهى التخمة والجاثم : البارك ، والأرائك : الأسرة .

(٩) الملمة : الداهية والمصيبة ، والشلو : العضو ، والمناهك : المجهدات المضنيات ، وأنهك الأمر : أجهده وأضناه .

(١٠) يمريكم : يحتلبكم أو يطلب رفدكم ، من مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن ، والرفد : العطاء ، والمسائك : الممسكة البخيلة .

(١١) البواتك : القواطع .

وهلْ أرِدَنْ ماءَ الفراتِ قبيلةً بلا ظمأٍ مشلولةً بالنّيازكِ ؟ (١)

يعُجُّ القنا بالطّعنِ فى ثُغَراتِهـا عجيجَ المَطايا جُنَّحاً للمبـاركِ (٢)

وهلْ أنافى فجٍّ من الأرض خائفٌ أذودُ بأطرافِ القنا للصّعالكِ ؟ (٣)

فمن لى على كسبِ المحامدِ والعُلاَ ورغم الأعادى بالصّديقِ المشاركِ ؟

***

وقال موازناً قصيدة أخيه الرضى - رحمه الله - (٤) :

مرّتْ بنـا بمصلَّى الخَيْفِ سانحةٌ كظبيةٍ أفلتتْ أثنـاءَ أشواكِ (٥)

نبكى ويضحكها منّا البكاءُ « لها » ما ذا يمرّ من المسرور بالباكى (٦)

فقلتُ والقولُ قد « يَشْفِى » أخا شَجَنٍ وربمـا عطف المشكوُّ للشاكى (٧)

أُعطيتِ منّا الذى لم نُعطَ منك فلو رام الهوَى النِّصْفَ أعطاناوأعطاكِ (٨)

ولستِ بالرِّيمِ لـكنْ فيكِ أحسنُهُ ولستِ ظَبْيًا وريّا الظَّبْيِ رَيّاكِ (٩)

تودّ شمسُ الضّحَى لو كنتِ بهجتَها وودّ بدرُ الدّجَى لو كانَ إيّاكِ

قد كنتُ أحسبنى جَلْداً فأيقظنى منِّى على الضَّعفِ أنّى بعضُ قتلاكِ (١٠)

لابارك اللهُ فى قلبٍ قَلاكِ ولا أبكى السّماءَ لمن بالسّوءِ أبكاكِ (١١)

---

(١) المشلولة : المطرودة ، والنيازك : جمع النيزك وهو الرمح القصير .

(٢) جنحا : ميلا من جنح إذا مال .

(٣) أذود : أطرد .

(٤) القصيدة مشهورة ومطلعها :

ياظبية البـان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

(٥) الخيف (بفتح الخاء وتسكين الياء) : موضع معى معلوم ، وجاء فى «أدب المرتضى» للدكتور عبدالرزاق محي الدين (ص٢٣٤) مشكولا بكسر الخاء وهو من لحن العوام .

(٦) فى الأصل « بها » بدل « لها » .

(٧) فى أدب المرتضى « يشجى » تحريف عن « يشفى » .

(٨) النصف (بفتح النون) : العدل والإنصاف .

(٩) الريم : الظبي الخالص البياض ، والريا : الرائحة الطيبة .

(١٠) جلداً : صبوراً .

(١١) قلاك : أبغضك .

ولا تولَّى الذى ولّاكِ جانبَـهُ ... ولا عدا الخيرُ إلّا مَنْ تعدّاكِ
أشقيتِ منّا قلوباً لانقول لهـا : ... أشقى الإلـهُ الذى بالحبّ أشقاكِ
وكنتِ ملذوذةً والمرءُ منك لنـا ... وما أمرّكِ شىءٌ كان أحلاكِ
هل تذكرين ـ وما الذكرى بنافعةٍ ـ ... مَسْرَى الرّكائب يومَ الجزعِ مسراكِ؟(١)
فى ليلةٍ ضلّ فيها الرّكبُ « وجهتهمْ » ... « لولا » ضياء جمـالٍ من مُحيّـاكِ (٢)
بِتنا نَميـلُ على أقتادنا طرَباً ... مصغين نحو الذى بالحسن أطراكِ (٣)
مسهّدين ولولا داء حبّكمُ ... أكرى العيونَ لنا مَن كان أكراكِ (٤)
إنْ بتِّ آمنةً منّا عليـك كما ... شاء العَفـافُ فإنّا ما أمنّاكِ
أو كنتِ ساليـةً لمّا خطاكِ هوًى ... غدا علينـا فإنّا ماسلوناكِ
وإنْ مللتِ فقوماً لا ملالَ بهمْ ... وإنْ سَئِمتِ فإنّا ما سئمناكِ
أىُّ الشّفـاء لداء فى يديكِ لنا ... وأىُّ رَىٍّ لصـادٍ مِن ثناياكِ ؟
لولا الغُواةُ وخوفٌ مِن وشايتهمْ ... ما كان مثواى إلاّ حيثُ مثواكِ
ملكْتِنا بالهـوى والحبُّ مَتْعَبَةٌ ... فحبّذا ذاك لو أنّا ملكناكِ
ولو أُصبتِ بداء قد أُصبتُ به ... علمتِ مافى فؤادٍ بات يهـواكِ
إنْ تشكرى فاشكرى من لم يذُقْكِ هوًى ... ومَن بحبّك أبلانا وأبلاكِ
وكيف يصحو فؤادٌ فيكِ مختبلٌ ... تسرِى سُرَى دَمِهِ فيـه حُميّاكِ ؟ (٥)
ولو رميتِ وريْعـانُ الشّباب معى ... أصميتِ مِنّىَ مَن بالحبّ أصماكِ (٦)

---

(١) الجزع (بكسر الجيم) : منعطف الوادى ، وبالفتح : مصدر جزع أى قطع الوادى عرضا.
(٢) فى « أدب المرتضى » السالف ذكره « وجهته » بدل « وجهتهم » و « إلا » عرفة عن « لولا » .
(٣) الأقتاد : جمع القتد وهو خشب الرحل .
(٤) أكرى العيون : أنعسها .
(٥) الحيا : الخمرة .
(٦) أصمى : طعن فأصاب مقتلا .

كم مرةٍ زرتِنا وَهْناً على عَجَلٍ   سريتِ فيه وما أسْرَتْ مطاياكِ
حتّى التقينا على رغم الرُّقادِ وما   ذاكَ اللقاء سوى وسْواسِ ذكراكِ (١)
فإنْ هجرتِ وقد أخلَفْتِ واعدةً   فبالذى زرتِ ماواعدتِنا ذاكِ

* * *

وقال - رضى الله عنه - يتوجع [ويذكر أحبته] :

أفى دراهمْ من بعدما ارتحلوا تبكى   وتشكو ولكن ليس تشكو إلى مشكِ ؟
فيادِمْنَةَ الحىّ الذين تحمّلوا   بوادى الغَضا ماذا ألمّ بنا منك ؟ (٢)
خشعتِ فلا عينٌ تراكِ لناظرٍ   دثوراً ولا نطقٌ يخبّرنا عنكِ
وأذْكرتنِى والشّيبُ يضحك ثغرُه   بلِمّتِنا عهدَ الشّبيبةِ والفتكِ (٣)
ليالىَ لا حِلْمٌ لذى الحلمِ والنُّهى   ولا نُسُكٌ فيها يصابُ لذى نُسكِ
فلله أفواهٌ لقينَ أنوفَنا   بأذكى - وقد ودّعن - من عَبَقِ المسكِ
وكم من سقيمٍ ليس نرجو شفاءَهُ   بأجْراعكمْ أو من أسيرٍ بلا فكٍّ (٤)
فقل للأُلى تاركْتهمْ لاحتقارهمْ   فأبصرهمْ كفّى وأطمعهمْ تركى :
لَكمْ مَرّةٍ محّصتكمْ وخَبَرْتُكمْ   فبَهْرَجكمْ نقدى وزيّفكمْ سَبْكى
فلا يبعدَنْ مَن كنتُ بالأمس بينهمْ   على هَضْبةِ البانى وفى ذُروةِ السَّمْكِ (٥)
بلغتُ بهمْ مالم تَنَلْهُ يدُ المُنى   وحُكّمتُ حتّى صرتُ أحكمُ فى الملكِ
وجاورتُهمْ شُمَّ العرانين كلّما   مَعَكْتُ بهمْ جارَوْا «سبيلى» فى المَعْكِ (٦)

---

(١) ورد فى « طيف الخيال » (ص ٢٣) ، وورد هو والذى بعده (ص ٩٥) .

(٢) الدمنة : مابقى من آثار الديار بعد الرحيل ، والغضا : شجر شديد الوقود بطىء الخمود .

(٣) اللمة (بالكسر) : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٤) الأجراع : الرمال المستوية .

(٥) السمك : العلو الصاعد والسقف .

(٦) العرانين : الأنوف ، وشم العرانين : كناية عن أنفتهم ، والمعك : المطال والى ، ومعك خصمه : لواه وقهره ، وفى الأصل « سبيلك » بدل « سبيلى » .

كِرامٌ فلا أموالُهمْ لِعُبابِهِمْ ... ولا دَرُّهمْ للحَقْنِ لُؤماً وللحَشْكِ (١)

وأفنيةٌ لا يُعرَفُ الضَّيمُ بينها ... ولا الفقرُ مرهوبٌ ولا العيشُ بالضَّنْكِ (٢)

هُمُ أخرجوا من ضيقِ سخطٍ إلى رضاً ... وهمْ أبدلوا قلبي اليقينَ من الشكِّ

وهمْ نزّهوني أنْ أذِلَّ لمطمعٍ ... وهمْ حقنوا لِي ماءَ وجهي من السَّفْكِ (٣)

وهمْ ملّكوني بعدَ ما كنتُ ثاوياً ... مدى الدّهرِ واستعلَوْا بنجمِي على الفَلَكِ

وكنتُ وكانوا إلفةً وتجاوراً ... مكانَ سُرودِ العِقْدِ من مسلكِ السِّلْكِ (٤)

مضوا لا بديلٌ لِي ولا عوضٌ بهِمْ ... فها أنا ذا دهري على فقدِهمْ أبكي

تم القسم الثانى و يليه القسم الثالث وأوله قافية اللام.]

(١) عباب القوم: جماعتهم ، والدر (بالفتح) : اللبن ، والحقن : جمع اللبن فى السقاء ، والحشك: ترك حلب الناقة حتى يجتمع لبنها .

(٢) الأفنية : جمع الفناء (بالكسر) وهى الساحة .

(٣) حقن ماء وجهه : حبسه ومنعه أى تدفق .

(٤) السرود: جمع السرد وهو الثقب: والعقد (بكسر العين) : القلادة ، وفى الأصل «السدود» بالدال والظاهر تصحيفها عما أثبتناه .

قافية اللام

باب اللام المضمومة

قال يهنئ أباه بعيد النحر :

عَلَّ الهوٰى يهفو به العَذَلُ ... ويغضّ من جَمحانِهِ المَلَلُ (١)
والحبُّ أضيعُ ما أطاف به ... قلبٌ ونيطَ بحفظه شُغُلُ (٢)
ولقد صحبتُ العيشَ مصطبراً ... سلوان لايسطيعني الغزلُ
إنْ شئتُ أعددتُ الحِباءَ ولا ... تحظَى بِيَ الأستارُ والكِلَلُ
ومُلَوَّحِ الخدّين تحملُهُ ... أبداً على أعناقها السُّبُلُ (٣)
نابٍ عن الأوطانِ فهْوَ متىٰ ... ظَفِرتْ به الأوطان مُرتحِلُ
تركَ البلادَ لمنْ أقام بها ... وتقطّعتْ عن «عيشِهِ» العُقَلُ (٤)
يسعى إلى العلياءِ يُحرزها ... سعياً تحامَىٰ وقْعَهُ الزَّلَلُ
وإذا الفتى كُتبَ النَّجاهُ له ... فالكَلْمُ يعفو والأذى جَلَلُ (٥)
دَيْني وإنْ ألوَى المطالُ به ... تَلْويه «نحوى» البِيضُ والأَسَلُ (٦)
وسواءَ إنْ قعد الزّمانُ به ... قعدتْ به الآراءُ والحِيَلُ
والدّهرُ يجذبنا إلى أمَدٍ ... تَفنىٰ به الأسفارُ والرِّحَلُ
ما أقربَ الأعمالَ من أجلٍ ... العمرُ صبحٌ والرّدٰى أُصُلُ (٧)

---

(١) يهفو : يذهب ، ويغض : ينقص ، والجمحان : ركوب الهوى .
(٢) نيط : علق .
(٣) الملوح : المتغير .
(٤) العقل : كالعقد وزناً ومعنى ، « عن عيشه » كذا فى الأصل ولعلها « عن عيسه »
(٥) الكلم : الجرح ، ويعفو : يذهب أثره ويندرس ، وجالهنا : طفيف ، والجلل أيضاً الأمر العظيم فهو ضد .
(٦) البيض : السيوف ، والأسل . الرماح . وفى (ه) «نحو» بدل «نحوى» .
(٧) الأصل (بضمتين) : جمع الأصيل وهو وقت مابعد العصر .

والمرء إنْ أخـــطاهُ طالبُـهُ ... لم تخطِهِ من دهرِهِ الغِيَلُ (١)
مُلْقًى على طُرُقِ الخطوبِ له ... من كَرِّها حَــلٌ ومُرتَحَـلُ
أيقودنى أمَـــلِى فأتبَعُهُ ؟ ... والذُلُّ يصحب مَن له أمَلُ
وعلىَّ تستعلِى الرِّجالُ وما ... يبدو لعينِى منهمُ رجلُ
مالِى أُعلَّلُ بالخِـــداعِ وقد ... تُردِى المعلَّلَ دهرَه العِلَلُ
« تَقذِى » جفونى كلَّ « رائقةٍ » ... ويَمُرُّ فى لَهَواتِىَ العَسَلَ (٢)
فى كلِّ يومٍ صاحبٌ سَئِمٌ ... يُلقِىْ على ظهرى فأحتمِـلُ
وإذا وصلتُ إلى « الحسين » فذلى ... وَصْلِى له الخُلّانُ والخُلَلُ (٣)
ذاكَ الذى جُمِعَ الولاء له ... وتشايعتْ فى حبِّــه المِلَلْ
فى كلِّ عارفةٍ له قَدَمٌ ... ولـكلِّ مَـكرُمةٍ به مَثَلُ
سَبْطُ الأناملِ وَبْلُهُ دِيَمٌ ... للمعتفين ووِرْدُه عَلَلُ (٤)
والجودُ حيثُ الوعدُ مُفتقَدٌ ... والقولُ معقودٌ به العَمَــلُ
وإذا « أعار » القـــولَ منطقَه ... خَفَتَ الكلامُ وأمْسَكَ « الزَّمِلُ » (٥)
هـــذا وكم غمّـاء خالطها ... والظنُّ فيهـــا شاربٌ ثَمِلُ (٦)

---

(١) الغيل : جمع الغيلة وهى الاغتيال .

(٢) تقذى : من القذى وهو مايقع فى العين من قش وغيره ، وفى (هـ) « تقدى » مصحفة ، و « ذائقة » بدل « رائقة » مصحفة أيضاً ، ويمر : من مر الشىء وأمر إذا صار مراً ، واللهوات : جمع اللهوة وهى الهنة المطبقة فى أعلى سقف الفم ويراد بها الفم ذاته.

(٣) الحسين : يعنى أباه ، والخلل : جمع الخلة (بالضم) أى الخليل ، يستوى فيه المذكر والمؤنث أو الخل (بالكسر) وهو الصديق أيضا .

(٤) الوبل : المطر الشديد ، والديم : جمع الديمة (بالكسر) وهو المطر الدائم بلا رعد وبرق ، والمعتفون : جمع المعتفى وهو طالب المعروف ، والعلل : الشرب الثانى والأول نهل ، ويريد به راو .

(٥) فى (س) «أعاد» بدل «أعار» ، والزمل : الراجز المصوت ، وفى (س) «الرحل» مصحفة

(٦) الثمل : النشوان .

أدّته وضّاحَ الجبين كما أدّتْ صقالَ الصّارمِ الخِلَلُ[1]

ولأنتَ إنْ عُدّ امرؤٌ سَلَفاً من معشرٍ إنْ فوضِلوا فَضَلوا[2]

المفضِلونَ إذا الورى بخلوا والمقدِمون إذا هُمُ نَكَلوا

والمعجلو الجُرْدِ العِتاقِ ولا الـ أَرْسانُ تمسكها ولا الجُدُلُ[3]

غلبوا على خطط العَلاءِ وكم قد رامها قومٌ فما وصلوا

لا يطمحون إلى بُلَهْنِيَةٍ في طيّها التّأنيبُ والعَذَلُ[4]

وإذا «الصّريحُ» علَتْ غماغمُهُ وأزلّ من خطواتِهِ البَطَلُ[5]

ملأوا الفضاءَ بكلّ مُنْصَلِتٍ مادبّ في حَيْزومه الوَجَلُ[6]

لله دَرُّكَ والثّرى ضَرِجٌ والبيضُ تهطِلُ والقنا خَضِلُ[7]

فَلَرُبَّ نازلةٍ نَدبتَ لها عزماً تولّجَ رَيْثَه العَجَلُ

ومُرَوَّعٍ حصّنتَ مهجتَه وقد اشْرأبّ لأخذها الأجَلُ[8]

حيث الرّدى موفٍ بكَلْكَلِهِ ينجاب عنه الثُّكْلُ والهَبَلُ[9]

---

(١) الخلل : جمع الخلة (بالكسر) وهى جفن السيف .

(٢) السلف : الأصل .

(٣) الجدل : جمع الجديل وهو الزمام المجدول أى المفتول ، وفى (ش) «الجذل» مصحفة .

(٤) البلهنية : رخاء العيش وسعته ، والتأنيب والعذل : كلاهما اللوم والعتاب .

(٥) الصريح : الشجاع البارز ، والغماغم : جمع الغمغمة وهى أصوات الأبطال عند القتال ، وأزل : أسرع ، وفى (س) «الصريخ» بالخاء بدل «الصريح» .

(٦) الحيزوم : الصدر ، والوجل : الخوف .

(٧) الضرج : الملطخ ، والخضل : المبتل .

(٨) المروع : الخائف ، واشرأب : مد عنقه لينظر .

(٩) الكلكل : الصدر ، والثكل والهبل : الموت .

والسُّمرُ فى اللَّبَّاتِ عائشـةٌ والبيضُ تكتمُ شطرَها القُلَلُ[1]
هَجَرَ الحسودُ تباعَ زَفْرتِه وتحسّرتْ عن صدرِه الغِلَلُ[2]
ورآكَ أسبقَ إنْ جريتَ ولو أعطتْه سَبْقَ خاطبِها المُقَلُ
واليأسُ أروحُ للقلوبِ إذا كانت إلى المطلوب لا تصلُ
ماضرَّ مَن يرضاكَ «جُنَّتَهُ» إنْ حُكّمتْ فيه القنا الذُّبُلُ؟[3]
حسبى دفاعُك فهو لى حَرَمٌ يضفو على سِرْبى ويَنسدِلُ[4]
أعليتَ طرفى وهو منخفضٌ وحميتَ رَبْعى وهو مُبتَذَلُ
وبلغتَ بى فى العزِّ منزلةً «كلُّ الورى عن مثلها نُزُلُ»[5]
فلأشكرنّك ما مشتْ «بفتى قدمٌ» وحنّتْ للنوى إبلُ[6]
وليُهنِك العيدُ الذى عَزَبتْ عنه الهمومُ وأطبقَ الجذَلُ[7]
يومٌ تطيحُ به الذنوبُ كما دفعَ الغُثاءَ العارضُ الهَطِلُ[8]
فاسعدْ به فالعزُّ مؤتنَفٌ بقـــدومه والمجدُ مُقتبِلُ
واسلمْ على نُوَبِ الزمان وإنْ شَقِيَتْ بها الأملاكُ والدُّوَلُ
والعتقُ أولَى أنْ يُصان وأنْ يشقَى بجمرةِ دائه الكَفَلُ[9]

☆ ☆ ☆

(١) اللبات : جمع اللبة (بالفتح) وهى موضع القلادة من الصدر ، والبيض : السيوف ، وتكتم : تخفى وتوارى ، وكتم القناة ونحوه : أدخله فى فيه فكسره ، وتكتم الشىء تخفى وتوارى : وفى (س) «تكتم» بدل «تكتم» ، والقلل : الرءوس .
(٢) تحسرت : انكشفت . والغلل : الأحقاد .
(٣) الجنة (بالضم) : الدرع وكل ماواراك من سلاح وفى (ه) «جنته» مصحفة .
(٤) يضفو : يفيض ويسبغ ، والسرب : القلب والجماعة مستعار من سرب الحيوان أى القطيع .
(٥) فى «س» «نزلوا» بدل «نزل» .
(٦) فى (س) «قدم بفتى» .
(٧) عزبت : ذهبت ، وأطبق : عم وشمل ، والجذل : الفرح .
(٨) الغثاء : مايعلو السيل من زبد ، والعارض : السحاب .
(٩) الكفل (بالتحريك) : العجز أو الردف .

وقال (أدام الله علوه) في الغزل :

على مَن ثوى أرضَ الحجازِ تحيّةٌ ... فليس إلى غـــير السّلام سبيلُ
ولا زال مُنْهَلٌ من الوَدْقِ هاملٌ ... تُجرِّرُ منـــه في رباه ذيولُ (١)
ولا ظَفِرتْ أيدى الخطوبِ بربْعِه ... ولا أبصرتْه العينُ وهو هطولُ
أُحِبُّ مناخاً بالحجاز تعـــاصفتْ ... إلينا بريّاه صَبًا وشمـــولُ (٢)
كأنّى وقد فارقتُــه من صبابةٍ ... وإن كنتُ فى حكمِ الصّحاحِ عليلُ
وما ذاك من حبّ الدّيار وإنّمـــا ... خليلىَ منها حيث حلّ خليلُ
قليلٌ لمن فى الجِزْعِ أنّى منحتُه ... غرامى وهل بعد الفراق قليلُ ؟ (٣)
ووجـدى به مُستودَعٌ لا بِنَه ... حديثٌ ولا «يفْرِى فؤاد عذولُ» (٤)
وسمعٌ سوائى فيـــه للّوم سامعٌ ... وألبابُ غيرى فى هواه مُحولُ (٥)

* * *

وقال رضى الله عنه – فى ذم الدنيا والحثّ على الزهد فيها :

أأغفلُ والدّهرُ لا يغفلُ ... وأنسى الذى شأنُه أعضلُ
ويطمعنى أنّنى ســـالمٌ ... وداء السّلامة لى أقتَلُ
« ويمضى نهـــارى وإظلامُهُ ... بما غيرُه الأحسنُ الأجملُ » (٦)

---

(١) الودق : المطر .

(٢) الريا : الرائحة الطيبة ، والصبا (بالفتح) : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش وتقابلها الدبور ، والشمول : ريح الشمال .

(٣) الجزع (بالكسر) : منعطف الوادى .

(٤) يفرى : يشق وفى (س) « يفرى فؤاد عديل » والمعنى بها غامض والظاهر تحريفها .

(٥) الألباب : العقول ، والمحول : الماحلة الخالية .

(٦) فى كتاب قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التذكرة المنسوب لابن الجوزى الحنبلى المخطوط عندنا يروى نسخة أبيات من هذه القصيدة وفيه هذا البيت هكذا :

ويمضى نهارى وليلى معاً ... بما غيرُه الخيرُ والأجملُ

وآمُلُ أنّى أفوتُ الحِمَامَ «أمانٍ» لعَمْرُكَ لِى «ضُلَّلُ» (١)
وكيف يرى آخِرٌ أنّه «مُبَقًّى» وقد هلك الأوّلُ ؟ (٢)
ولمّا بدا شَمَطُ العارضين لمن كان من قبله يَعْذِلُ (٣)
تناهَوْا وقالوا : لسانُ المشيب له من جوارحنا أعذَلُ
فقلتُ لهمْ إنّما يعذلُ المَشيبَ على الغىِّ مَن يُقبِلُ
لحتّى متى أنا لا أرعوى ولِمْ لا أقولُ ولا أفعلُ ؟
وكم أنا ظمآنُ طولَ الحياةِ وفى كفِّىَ الباردُ السَّلْسَلُ ؟
أمانٍ ولا عملٌ بينهنّ كجوٍّ بغيمٍ ولا يَهْطِلُ
وما النّاسُ إلّا كبَهْمِ المضيع يَحْزنُ فى الأرضِ أو يُسْهِلُ (٤)
فمن عامل ماله خِبرةٌ وآخرَ يدرى ولا يعملُ
فيا ليتَ مَن علِم الموبقاتِ وقارفَها رجلٌ يجهلُ (٥)
أمِن بعد أنْ مضت الأربعون سِراعاً كسِربِ القطا «يجفِلُ» (٦)
ولم يبق فيك لشرخ الشّبابِ مآبٌ يرجّى ولا «مَوْئِلُ» (٧)
تَطامحُ نحو طويلِ الحياةِ ويوشِك أنْ مامضى أطولُ ؟
ألا إنّما الدّارُ دار البلاءِ ففى شهدها أبداً حَنْظَلُ
يعافَى من الدّاء مَن يُبتَلى وينجو من الموتِ مَن يُقتَلُ

---

(١) فى «القرة» سالفة الذكر : «أماناً» بدل أمان ، «ويضلل» بدل «ضلل» تحريف .
(٢) فى القرة «سيبق» بدل «مبق» .
(٣) الشمط : بفتحتين : اختلاف الشعر بلونين سواد وبياض ، والعارضان جانبا الوجه .
(٤) البهم : جمع البهمة وهو ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى ، ويحزن : يصير فى الحزن بفتح الحاء وتسكين الزاى وهو ماغلظ من الأرض .
(٥) الموبقات : المهلكات .
(٦) فى (س) « المجفل » بدل « يجفل » محرفة .
(٧) فى (س) « يومل » بدل « موئل » والموئل كالمآب وهو المرجع .

وسُقمٌ أقام جميعَ الأساةِ على أنه سقمٌ يقتلُ
أيا ذاهلًا ونداء الحتوفِ في النّاسِ يوقظ من يذهلُ (١)
طريقٌ طويلٌ وأنتَ امرؤٌ لعلّك في زادِهِ مُرمِلُ (٢)
أليس وراءك مُزوَرَّةٌ عليها الصّفائحُ والجندلُ ؟ (٣)
بها الصّبحُ ليلٌ وليلُ البلادِ ليلٌ بساحتها أليَلُ (٤)
إذا ما أناخ الفتىٰ عندها مقيماً فيا بعدَ مايرحَلُ
وإنْ جاءها فوق أيدى الرّجال فبالرّغم من أنفهِ ينزلُ
على أنّه ليس عنها له - وإنْ حاصَ - «مَنجّى ولامَرْحَلُ» (٥)
منازلُ ليس لحيٍّ بها معاجٌ ولا وسْطَها منزلُ (٦)
خلَتْ غيرَ ذئبٍ تراه بها يُماسِلُ أو صُرَدٍ يحجِلُ (٧)
وإلّا ترنّمُ حنّانةٍ «تئطُّ» كما زَفرَ المِرجَلُ (٨)
ترِيمُ وتقفُلُ مجتازةً بمن لا يَرِيمُ ولا يَقفُلُ (٩)
ألا أين أهلُ النّعيمِ الغزيرِ وأين «الأجادل» والبزّلُ ؟ (١٠)

---

(١) الحتوف : الهلاك .

(٢) المرمل : الذى نفد زاده وافتقر سمى بذلك للصوقه بالرمل .

(٣) المزورة: المنحرفة كنى بها عن القبر ، والصفائح جمع الصفيحة وهى حجارة عريضة رقيقة ، والجندل : الصخر .

(٤) ليل أليل : شديد الظلمة .

(٥) فى (س) « محيد ولا مزحل » والمحيد من حاد مثل حاص وكلاهما بمعنى عدل وحاد، والمزحل: من زحل إذا تنحى عن مكانه وتباعد .

(٦) المعاج : الإقامة .

(٧) يماسل : يغدو مضطرباً ، والصرد : ضرب من الطير ، ويحجل : يمشى على رجل واحدة.

(٨) الحنانة : المرأة التى فقدت زوجها فتذكره بالحزن والأنين ، وتئط : تئن ، وفى (س) : تعط بالعين أى تشق ولا موضع لها ولعلها مصحفة عن « تنط » ، والمرجل: القدر الكبيرمن نحاس.

(٩) تريم : تقيم وتفارق أيضاً ، وتقفل : ترجع .

(١٠) الأجادل : جمع الأجدل وهو الصقر ، وفى (هـ) « الاخاكد » محرفة ، والبزل : جمع البازل وهو من الإبل ما بزل نابه أى فطر وشق .

وأين الغطارفُ من حِمْيَرٍ ... وما مُلِّكوه وما خوّلوا ؟ (١)

وأين الذين إذا ما انتجَوْا ... أَزَمَّ بنجواهمُ المحفِـلُ ؟ (٢)

وأطرَقَ كلُّ طويلِ اللسانِ ... صَموتاً يُجيبُ ولا يَسألُ

إذا ما مشوا يسحبون البُرودَ ... فللرَّشفِ « مامَشَّتِ » الأرجلُ (٣)

وقومٌ إذا « ماسَرَوْا » زعزعوا ... قَرَا الأرضِ بالخيلِ أو زلزلوا (٤)

تقام ممالكُهمْ بالقنا ... ويُجبى خراجهمُ المُنْصَلُ (٥)

وكم قلّبوا فى العبادِ العيونَ ... فلم يُبصروا غيرَ ما أفضلوا

وتاهامُ عند خوفِ البلادِ ... وبين بيوتهمُ المَعْقِلُ

مضوا مثلما مضت الساريات ... أثنى بها الوطنُ المُبقِلُ (٦)

وأزعجَهمْ من « قِلالِ » القصور ... فلم يلبثوا المُزعجُ المُعجِلُ (٧)

✡ ✡ ✡

وقال وكتب (أدام الله علوه) إلى الوزير أبى على الحسن بن محمد

(أدام الله تأييده) عند انحداره إلى واسط (بغتة لخبر ورد فى الوصل اقتضى) وذلك فى شهر رمضان « سنة سبع وتسعين وثلثمائة » (٨) :

بنقَا « الرِّمْثِ » من شَرافِ غزالٌ ... ضلّ عنّى وليس منه الضّلالُ (٩)

---

(١) الغطارف : جمع الغطريف : وهو السيد الشريف .

(٢) انتجى القوم وتناجوا : تساروا وتحادثوا ، والنجوى : الحديث الخفى ، وأزم : سكت وأطرق

(٣) ق « ش » « مامست » بالسين المشددة وكذا فى كتاب التبصرة المار ذكره ولعله الأرجح ، والرشف : المص قليلا قليلا والمقصود هنا بلوغ الحاجة بالتأنى ، ومنه المثل « الرشف أنقع » أى أسكن للعطش . والشين فى « مشت » مشددة فى (هـ) .

(٤) فى (ش) « مشوا » بدل « سروا » والقرا : الظهر .

(٥) المنصل : بضم الميم وضم الصاد أوفتحها : السيف .

(٦) المبقل : الذى أنبت البقل وهو نبات الربيع .

(٧) فى (هـ) « فلاك » بدل « قلال » مصحفة .

(٨) فى (س) السنة مكتوبة رقماً (٣٩٩) .

(٩) النقا : كثيب الرمل ، والرمث : نبت ترعاه الإبل ، وفى (س) « الرمل » بدل « الرمث » ، وشراف كقطام : موضع وماء واسم جبل عال .

لمْ تزلْ بِي الأيّامُ حتّى لَوَتْه   عن لقـــائي الوشاةُ والعُذّالُ
ليس يَبرى « ما تصنع الهندُ ما تَبْـــرِى » جهاراً وتجرحُ الأقوالُ (١)
نحن بالغَوْر من تِهـــامةَ والحبّ بنجدٍ عالِي الرُّبَا لا يُنــالُ
والعُذَيْبَ العُذَيْبَ يا ركبُ فالقلْـ   ـبُ له بالعُذَيْبِ داءٌ عُضــالُ (٢)
كلّما قلتُ قد مضى عاد منــــه   وله ما يَغِبّنا وخَبـــالُ (٣)
من أناسٍ للوعدِ بينهُمُ خُلْـ   ـفٌ مقيمٌ وللدّيونِ مِطالُ
إنْ تناءَوْا فليس منهمْ تدانٍ   أو تدانَوْا فليس منهمْ وِصـــالُ
لا تلمْ ساكنَ الحجازِ بقلبٍ   فيـــه من أهلِ بابلٍ بَلْبالُ
كِدتُ أقضى يومَ الفراق « لُبانا   تِيَ » لولا أنّ المطايا عِجالُ (٤)
قلْ لمن ليـــلُهُ قصيرٌ ألا إنّ   لياليَّ مُذْ نأيتُمْ طِوالُ
حبّذا النّومُ لا لشيء أرىٰ فيـــه سوى أنْ يزور منكمْ خيـــالُ
ليس يُجدي يا صاحبيّ وقوفٌ   بِطُلولٍ ولا يُرَدُّ ســـؤالُ

---

(١) يبرى القلم أو السنان : يرقق طرفه ، وما تصنع الهند : السيوف ، يعني ليس ما يتركه السيف من كلام (بكسر الكاف) أي جروح مثلما يعضه اللسان من كلام فالأول يبرأ والثاني في القلب ينكأ وهذا عين ما قاله الشاعر :

جراحاتُ السِّنان لها التئامٌ   ولا يلتامُ ماجرحَ اللّسانُ

وقال غيره :

يموتُ الفتىٰ من عَثْرَةٍ بلسانِهِ   وليس يموتَ المرء من عثرة الرِّجْلِ
فعثرتُهُ بالقولِ تودي برأسِهِ   وعثرتُهُ بالرِّجلِ تَبْرَا على مَهْلِ

(٢) العذيب : موضع واسم ماء .

(٣) ما يغبنا :ما يأتينا بحمى الغب (بالكسر)وهي الحمى تترك أياماثم تأتي ،والإغباب في الزيارة تكون بعد فترة ، والخبال : الجنون .

(٤) في (س) « عجالا تيت » في موضع « لباناتي » واللبانات : جمع اللبانة وهي الحاجة يريد الإنسان قضاءها .

إنّما الرَّبْعُ بالمقيمين فيـــه ‌ ‌ ‌ وهو خِلْوٌ من ساكنيه مِثالُ
يا ابنَ حَمْدٍ ماذا صنعتَ بقلبي ‌ ‌ ‌ حين سِيقتْ برَحْلكَ الأجمــالُ ؟
فُرقةٌ صعبةٌ كما انصدع القَعْـ ‌ ‌ ‌ ـبُ بكفٍّ الصَّدِى وفيه الزُّلالُ[1]
لحرامٌ على الجفونِ وقد غِبْـ ‌ ‌ ‌ ـتَ كراهاً والدّمع طَلْقٌ حَلالُ
وبعيدٌ شَعْبُ انصداعِ فؤادٍ ‌ ‌ ‌ « رحتَ » عنه مودّعاً أو مُحالُ[2]
إنّ للدّهر يومَ فارقتَ بغـــدا ‌ ‌ ‌ دَ عليهـا « جريرةً » لا تُقالُ[3]
امّحى نورُها فمـــا هى إلّا ‌ ‌ ‌ ليلةٌ غاب عن دُجاها الهلالُ
أنتَ فيها فى القُرِّ شمسٌ وفى القَيْـ ‌ ‌ ‌ ـظِ وحرِّ الهجيرِ أنتَ الظِّلالُ[4]
يا لحا اللهُ مَن أراكَ على النّأْ ‌ ‌ ‌ ى طريقاً للسّوءِ فيـــه مجـالُ
حِذْتَ عنـه قبلَ التورّطِ فيـه ‌ ‌ ‌ قلّما ينفع الورودَ احتيالُ
خـــبرٌ ضرّم القلوبَ وإنْ كا ‌ ‌ ‌ نَتْ رسولاً به إلينـــا الشّمالُ
جاء من لامعِ الخِلالِ كما يلـ ‌ ‌ ‌ ـمعُ فى جانبِ البسيطةِ آلُ[5]
قد غُررنا به وكم غرّتِ النّـا ‌ ‌ ‌ سَ قديماً محاسنٌ وجمـــالُ
قد بلَوْناك يا ابنَ حَمْدٍ على الخطْـ ‌ ‌ ‌ ـبِ تناهى وأُزورَ عنـه الرّجالُ
وخـــبرناك حاملاً فأصبْنا ‌ ‌ ‌ كاهلاً لا تؤودُهُ الأثقـالُ[6]
وعرفنـاك لا تسائلُ يوماً ‌ ‌ ‌ عن كلامِ الفحشاء كيف يُقـالُ
واعترفنـا طَوْعاً بأنّك فينـا ‌ ‌ ‌ إنْ بطشنا يمينُنَا والشّمالُ

---

(١) القعب : إناء من خشب مقعر ، والصدى : العطشان .
(٢) الشعب : الإصلاح والملاءمة ، وفى (هـ) « رعت » مصحفة عن « رحت »
(٣) الجريرة الذنب ، وفى (س) « جريعة » .
(٤) القر : البرد ، والقيظ : الحر ، والظلال : جمع الظل .
(٥) الخلال : مخارج الماء من السحاب وكذا الخصال وفى البيت صناعة بديعية وتورية. والآل: السراب
(٦) الكاهل : ما بين السنام والكتف وتؤوده : تثقله .

ليس يَثني الزّمانُ يا قومُ « عمّا » ساءنى فى الذى أُحِبُّ مَقالُ [(١)]

كلَّ يوم يروعنى من نواحيـ ـه على الأمن فرقةٌ أو زوالُ

هالنِى فيك بالفراقِ وقد كُنـ ـتُ بما فى صُروفهِ لا أُهالُ

وأرانى ، وليته ما أرانى كيف حالتْ من قبلِيَ الأحوالُ

وتبيّنتُ أنّه ليس للدُّنـ ـيا صفاءٌ ولا لأمرٍ كمالُ

وبقينا فيمن يُمَلُّ ولكنْ ليس يُغنى عن الأسير المَلالُ

لا مقالٌ منهم يُرَجّى ومَن ليـ ـس مقالٌ منه فليس فِعالُ

وإذا أعوَزَ التجمُّلُ فالإعـ ـوازُ منه الإحسانُ والإجمالُ [(٢)]

عدِّ يابن الحسين عن كلِّ مَن ليـ ـس له فى الكِرامِ عمٌّ وخالُ

ليس مِن داءِ حِقْدِهِ ما دَجَى اللّيـ ـلُ وما أشرق الدُّجَى إِبْلالُ [(٣)]

« ويُريكَ أنّه يُرامِى » مراميـ ـكَ وليستْ إلّا إليك النِّبالُ [(٤)]

معشرٌ خُوِّلوا الكثيرَ وفيما يُنفقونَ الإنزارُ والإقلالُ

لا يَخِفّونَ فى الجميل ولا تُسـ ـحبُ فى الخيرِ منهمُ أذيالُ

وتراهمْ يُرضيهمُ أنْ يقلّوا فى الأعادى وتكثرُ الأموالُ

وكأنّ الآمالَ فيهمْ رسومٌ دارساتٌ تَسْفِى عليها الرِّمالُ [(٥)]

أنتَ ما بينهمْ غريبٌ وأهلٌ لك فى حبّهمْ كثيرٌ ومالُ

فانجُ عنهمْ فما يُقيمُ على الخسـ ـفِ وإنْ قيّدوه عَوْدٌ حَلالُ [(٦)]

* * *

(١) فى (س) « عنا » تصحيف « عما » .

(٢) أعوز : تعذر .

(٣) الإبلال : المعافاة من المرض ، وأبل من مرضه : عوفى وشفى .

(٤) فى (س) « ويرى أنه ليرمى » فى موضع - ويريك أنه يرامى » .

(٥) الرسوم : ما بقى من آثار الديار ، والدارسات : المندثرات المطموسات ، وتسفى : تهب .

(٦) الخسف : النقيصة والإذلال ، والعود (بفتح العين) : الجمل الذى جاوز البازل أى الذى بزل نابه ، والجلال : المسن .

وقال(١) (أدام الله علوه - عند وفاة الشريف) أبي الغنائم
محمد بن عمر (- رحمه الله -) يرثيه (لصداقة كانت بينهما)
وذلك في جمادى سنة أربعمائة :

يَجِدُّ بنا صَرْفُ الزّمان ونهزِلُ ... ونُوقَظ بالأحداثِ فيه ونَغفُلُ
ونغترّ في الدّنيا برَيْثِ إقامةٍ ... ألا إنّما ذاك المقيمُ مُرَحَّلُ
يُقادُ الفتى قَوْدَ الجنيبِ إلى الرّدى ... وما قادَهُ منه المُغارُ المُفتَّلُ(٢)
وما النّاسُ إلّا ظاعنٌ أو مودِّعٌ ... ومُستَلَبٌ مستَعجَلٌ أو مؤجَّلُ
فمِن رجلٍ قضّى الحِمامُ ديونَه ... وآخرَ يُلوَى كلَّ يوم ويُمطَلُ
وأفنيَةٍ إمّا فِناءٌ مُراوَحٌ ... مُغادًى إليه أو فِناءٌ مُعَطَّلُ
وما هذه الأيّامُ إلا منازلٌ ... إذا ماقطعنا منزلًا بان منزلُ
بنو الأرضِ يعلو واحدٌ «فوق ظهرها» ... وآخرُ تعلو هي عليه فيسفُلُ
تَعاقُبَ سَجْلَيْ ماتحٍ في رَكِيّةٍ ... فسَجْلٌ له يَرقَى وآخرُ ينزلُ(٣)
فناءٌ مُلِحٌّ ما يَغِبّ جميعَنا ... إذا عاش منّا آخرٌ مات أوّلُ
وقالوا تَمَنَّ العمرَ تحظَ بطولِه ... فقلت : وما يُغني البقاءُ المطوَّلُ ؟
قصيرُ مقامِ المرءِ مثلُ طويلِه ... يَفِيءُ إلى وِرْدِ المَنونِ ويوصِلُ
أروني الّذي فاتَ الحِمامَ ومن له ... إذا أمَّهُ المقدارُ ظهرٌ ومَعْقِلُ ؟

---

(١) في (س) بعد قال « يرثي أبا الغنائم .. » فما حصرناه بين قوسين ساقط منها .

(٢) الجنيب : الظالع الذي كأنه يمشي على جانب واحد ، والذي أصابته ذات الجنب فهو جنيب ومجنوب والذي التصقت رئتاه بجنبه من شدة العطش ، والمغار : المفتول من الحبال ، والإغارة : إحكام الفتل . قال امرؤ القيس :

فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجومَهُ ... بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بيَذْبُلِ

(٣) السجل : الدلو العظيمة ، والماتح : المستقي ، والركية : البئر .

وأين الذين استنزلَ الدهرُ منهمُ ... بهاليلَ لما أحزنوا العزَّ أسهلوا؟ (١)
تراهمْ كما سادِ الشرى فى «حفيظةٍ» ... فإنْ سئلوا المعروفَ يوماً تهلّلوا (٢)
أُذيدوا فلم يغنَوْا ولم يُغنِ عنهمُ ... من الذائدين ما أنالوا وخوّلوا (٣)
ولا أسمرٌ صَدْقُ الكعوبِ عَنَطْنَطٌ ... ولا شادخٌ وافى الحزامِ مُحجَّلُ (٤)
وكم صاحبٍ لى كنتُ أكره فقدَه ... تسلّـــه منّى الفنــاء المعجّلُ
أبدّلُ بالإخوانِ ما إنْ مَلَلْتهمْ ... وبالرغمِ منّى أننى أتبــدّلُ
مقيمٌ بمُسْتَنِّ الخطوبِ تُعِلّنى ... أفاويقَ أخلافِ الزمان وتُنهِلُ (٥)
وأغضى على ماآدَ ظهرى كأننى ... على حدَثانِ الدهرِ عَوْدٌ مُذلَّلُ (٦)
فياليتَ أنّى للحوادث صخرةٌ ... تُحمَّلُ أثقــالَ الخطوبِ فتحملُ
تمرُّ بهــا الأيامُ وهى مُلِظّــةٌ ... بعليــاء لا تهفو ولا تتزيّلُ (٧)
وياليتَ عندى اليومَ بعضَ «تَغَفُّلٍ» ... فأنعمُ منّا بالحيــاةِ المغفَّلُ (٨)
ألا عللانى «بالحيــاةِ» وخادعا ... يقينى فكلٌّ «بالحياةِ» معلَّلُ (٩)
وقولا لعلَّ الدارَ شحطٌ من الردى ... وعمرُكَ من أعمـــار غيرك أطولُ

---

(١) البهاليل : جمع البهلول (بضم الباء) وهو السيد الشريف ، وأحزنوا : صاروا فى الحزن بفتح الحاء وهى الأرض الغليظة .

(٢) فى (هـ) «خترانه» بدل «فى حفيظة» .

(٣) أذيدوا : أبعدوا ودفع عنهم .

(٤) الأسمر : الرمح ، والصدق : الصلب المستوى ، والعنطنط : الطويل ، والشادخ : الشاب .

(٥) المستن من الخطوب : المنصب والواضح ، وتعلى : تسقينى العال والأفاويق : جمع الفواق (بالضم) وهى الفترة بين الحلبتين ، والأخلاف : جمع الخلف (بالكسر) وهو الضرع ، وتنهل تسقينى النهل والشرب أوله علل وثانيه نهل .

(٦) آد : أثقل ، والعود (بالفتح) : الجمل المسن .

(٧) ملظة : مقيمة .

(٨) فى (هـ) «بعض بصيرتى» بدل «تغفل» .

(٩) فى (هـ) «فى الحياة» بدل «بالحياة» .

ولا تَعِدانِى الشَّرَّ قبلَ نزولِهِ ... فإنَّ انتظارَ الشَّرِّ أدهى وأعضَلُ

ومُدّا بأسبابِ الحياةِ طَماعتى ... فإنّا على الأطماعِ فيها نُعوِّلُ

وقودا إلىَّ اليومَ ما شئتُ منكما ... فإنّا غداً من هذه الدّارِ نُنقَلُ

ودانٍ إلى شِعْبى وقلبى تنازَحَتْ ... به فى بطونِ الأرضِ غبراءُ مجهلُ (١)

تلفتُّ أبغِى فى الطّاعةِ عَوْدَه ... وهيهات عمّا فى التّرابِ المؤمَّلُ

عليك أبنَ يحيى كلَّ يومٍ وليلةٍ ... سلامٌ كما شاءَ المُحَيُّون «مُسهِلُ» (٢)

ولا زال قبرٌ أنتَ فيه موسَّدٌ ... يُراحُ بنشرِ المندلىِّ ويوبَلُ (٣)

وإنْ جَفَّتِ الأنواءُ تُرباً «فلم» يزلْ ... تمرّ به وهو المَجودُ المبلَّلُ (٤)

تدرّ عليه كلُّ وطفاءَ جَوْنةٍ ... ويسرى إليه البارقُ المتهلِّلُ (٥)

ولمّا نعاكَ النّاعيان تهاطلَتْ ... بوادرُ ما كانتْ لغيرك تهطِلُ

وعالوك قهراً فوق صَهوةِ شَرْجَعٍ ... لنا من نواحيه حنينٌ وأزْمَلُ (٦)

غداةَ أُديلَ الحزنُ منّا فلم يكنْ ... هنالك إلّا مُعْولاتٌ ومُعوِلُ

ولا قلبَ إلّا وهو منك مُكلَّمٌ ... ولا لُبَّ إلّا وهو فيك مُذَهَّلُ (٧)

تقطّع ما بينى وبينك والتقى ... عليك على كرهى ترابٌ وجَنْدَلُ

---

(١) الشعب (بالكسر) : الناحية والحى العظيم ، وبالفتح : القبيلة العظيمة، وتنازحت : تباعدت، والمجهل : المفازة والأرض التى لا يهتدى فيها .

(٢) المسهل : الذى نزل السهل وهنا كلمة ترحيب وتحية كما يقال للزائر أهلا وسهلا أى جئت أهلا ووطئت سهلا .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة، والمندلى : عود البخور، ويوبل : يمطر أى يصيبه الوابل وهو المطر الشديد.

(٤) الأنواء : الأمطار مفردها نوء وأصلها سقوط النجوم المشهورة بنزول المطر ، والمجود : الذى أصابه مطر جود بفتح الجيم أى كثير ، وفى (هـ) « لا » بدل « لم » .

(٥) الوطفاء : السحابة المتدلية لكثرة مائها ، والجونة : البيضاء أو السوداء .

(٦) الصهوة من الفرس : مقعد الفارس منها، والشرجع : النعش ، والأزمل : كل صوت مختلط

(٧) مكلم : مجروح .

مجاورَ قومٍ فرّق الموتُ بينهمْ … وأجداثُهم في رأي عين توَصَّلُ [1]

كأنّهمُ كانوا عكوفاً ببابلٍ … « فراقَهمُ » منها الرحيقُ المُسَلْسَلُ [2]

منحتُك قولي حين لا فعلَ في يدي … ويا ليتني فيه أقول وأفعلُ

وليس يردّ الموتَ ما نحن بعده … نروِّي من الأشعار أو نتنحّلُ

✿ ✿ ✿

وقال (- أدام الله تأييده -) يهنىء الأستاذ (الأجل) أبا الخطاب (أدام الله رفعته) بالنيروز ويشكره على جميل أقواله (فيه) وأفعاله

أتُرى يؤوب لنا الأُبَيْرِقُ … والمُنى للمرء شُغْلُ [3]

طَلَلٌ « لعَزَّةَ » ما يزالُ … على ثراه دمٌ يُطَلُّ [4]

قتلوا وما قتلوا وعندهمُ … لنا قَوَدٌ وعَقْلُ [5]

قل للذين على مواعدهم … لنا خُلْفٌ ومَطْلُ

كم ضامني من لا أضيمُ … ومَلَّني من لا أمَلُّ

يا عاذلاً لعتابه … كَلٌّ على سمعي وثِقْلُ

إن كنت تأمر بالسُّلُوِّ … فقل لقلبي كيف يسلو ؟

---

(١) بينهم : هنا بمعنى الوصل فالبين وصل وفراق فهو من الأضداد ، والأجداث : القبور ، وتوصل : بمعنى تتصل .

(٢) فراقهم : أعجبهم ، وفي (هـ) « فرواهم » أي سقاهم ما يروى بدل « فراقهم » . الرحيق : الخمر .

(٣) يؤوب : يرجع ، والأبيرق : تصغير الأبرق وهو الموضع فيه حجارة ورمل وطين .

(٤) في (س) « لعمرة » بدل « لعزة » ، ويطل : يهدر .

(٥) القود (بفتحتين) : القصاص في القتل ، والعقل : دية القتيل لأن الإبل تعقل في فناء دار القتيل .

قلبي رهينٌ في الهوى « إن كان قلبُك منه يخلو »[١]
« ولقد علمتُ على الهوى » أنّ الهوى سُقمٌ وذلٌّ[٢]
وتعجّبتْ جُمْلٌ لشَيْـ ـبِ مفارقي وتشيبُ جُمْلُ
ورأتْ بيـاضاً في سوادٍ ما رأته هنـاك قَبْلُ
كَذُبالةٍ رُفِعَتْ على الـ ـهضباتِ للسّارين ضَلّوا[٣]
أيُّ المفارق لا يُزا رُ بذا البياضِ ولا يُحَلُّ ؟
لا تُنكِريه – وَيْبَ غيرِ كِ – فهْو « للجهلاءِ » غُلُّ[٤]
ومُعَرِّسٍ أيقظتُـه والليلُ للآفاقِ كُحْلُ[٥]
في ليلةٍ مضروبةٍ والقُرُّ في الأطرافِ نَمْلُ[٦]
نزع الكرى ثمّ استوى فكأنه الرَّكْبِ جِذْلُ[٧]
ياصانعَ البُكراتِ والرَّوْحاتِ تنقلُه شِمِلُّ[٨]
ينبو به في كلِّ شا رقةٍ مَرادٌ أو محلُّ[٩]

(١) عجز هذا البيت غير موجود في (س) وفي محله العجز الذي تحته أي عجز البيت الذي يليه .
(٢) صدر هذا البيت ساقط من (س) وعجزه عجز السابقة كما قدمنا .
(٣) الذبالة : الفتيلة ، والساري : السائر ليلا .
(٤) ويب : كلمة ويل زنة ومعنى وفي (ش) « للجهلات » بدل للجهلاء ، والغل (بالضم) : طوق من حديد يجعل في اليد .
(٥) المعرس : المسافر الذي ينزل للاستراحة ثم يرحل .
(٦) الليلة المضروبة : الشديدة البرد والتي يكثر فيها الصقيع فيضرب النبات فيحترق منه ، والقر : البرد .
(٧) الجذل بالكسر : عود ينصب للجربى لتحتك به ، وهو جذل الركب : أي سائسهم ومعتمدهم ومنه قول الحباب بن المنذر أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، وهو مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد على هديه .
(٨) البكرات : جمع البكرة وهي الغدوة ، والروحات : ضدها ، والشمل : السريعة من ناقة وغيرها
(٩) المراد (بفتح الميم) : موضع ارتياد الكلأ .

هذا أبو الخطّاب ذو الـ نّعماء سيّدُنا الأجلُّ
أحلَّ به عُقَدَ الرّحا لِ فليس بعد اليوم حَلُّ
واعقِرْ قَلوصَك عنده فهنـاك مالٌ ثمّ أهلُ [1]
يامفزعَ الملهوفِ ممّا خاف يعمِدُ أو يزِلُّ
« ومحصّن » المهجـات لمّا أنْ غدَوْنَ وهنّ أُكْلُ [2]
وعلى الوسائد منك لا أقوامِ « مرهوبٌ » مُجَلٌّ [3]
مُتَخَمِّطٌ يَعِدُ الرّجا لَ ودونهمْ خَرْقٌ مَضَلُّ [4]
رَهْبٌ ورَغْبٌ عنده فـكأنّه شمسٌ وطَلُّ [5]
ولربّ داهيةٍ يضيـ قُ بكيدها السِّمْعُ الازَلُّ [6]
مطموسةِ الأعلام فى طُرُقاتها حَرَجٌ وأَزْلُ [7]
كنتَ أبنَ بَجْدَتِها وقدْ دُعِيَ الرّجالُ لها فقلّوا [8]
ولقد تحققّت النّوا ئبُ أنّ غَرْبَك لا يُفَلُّ [9]
وحريزَ أمنِـــك لا يُراعُ وذَوْدَ أرضـــك لا يُشَلُّ [10]
أقسمتُ بالبيت الحرام يزوره رَكْبٌ ورَجْلُ [11]

---

(١) القلوص : الناقة الفتية .

(٢) فى (س) « واللافظ » بدل « ومحصن » ولعلها مصحفة عن « اللافظ » .

(٣) فى (س) « مرهوف » بدل « مرهوب » تصحيف .

(٤) المتخمط : المتكبر ، والخرق : المفازة ، والمضل : الأرض لايهتدى فيها .

(٥) الطل : المطر الخفيف .

(٦) السمع : بكسر السين الذئب ، والأزل : الأرسح يتولد بين الضبع والذئب وهذه الصفة لازمة له يقال « سمع أزل » .

(٧) مطموسة الأعلام : خافية العلامات .

(٨) يقال هو ابن بجدتها : أى العالم بها وبدخلتها .

(٩) الغرب : الحد .

(١٠) الذود : الجماعة من الإبل ، ويشل : يطرد .

(١١) الركب : الراكبون، والرجل : الراجلون .

وبزمزم والساكنيـ ن لما بها نهلوا وعلّوا
والنازلين على منًى لهم بها عقرٌ ونزلُ
وبمسقط الجمراتِ في الـ ـوادي المقدّسِ واستهلّوا
إنّ السجايا الغرّ عنـ ـدك ليس يعدلهنّ مِثلُ
كرمٌ وعدلٌ فانظرنْ مَن ذا له كرمٌ وعدلُ ؟
وجَنانُ منتقرِ الجرا ئرِ لا يُقيمُ عليه ذَحْلُ(١)
كم نعمةٍ لك جمّـــةٍ عندي ومعروفٌ وفضلُ
وصنائعٍ مشهورةٍ طُرُقٌ إلى شكري وسُبْلُ
ما أنسَ لا أنسَ اهتما مك بي وقد شَحَط المحلُّ(٢)
ومواقفاً لي قمتهـــا والحاسدون إليّ قُبْـلُ
وكفيتني شططَ السؤا لِ وأيُّ عضبٍ لا يُسَلُّ ؟
إن لم نوفّك قدرَ شكـ ـركَ فالمحارمُ تستحلُّ
وكثيرُ ما قمنـــا به في جنبِ حقّك مستقلُّ
واسمعْ فذا النيروزُ يخـ ـبرُ أنّ جدّك فيه يعلو(٣)
وخـــلود عزّ لا يُحا لُ ولا يزال ولا يُملُّ
واسلمْ فإنّا لا نبالي بعـد بُرْئك مَن يُعلُّ
وإذا بقيتَ محرّماً فجميع ما نخشاه حِلُّ

✿ ✿ ✿

وقال (أدام الله علوه) في معنى عرضه له :

يا راكباً وصل الوجيفَ ذميلَهُ هل زال من وادي الأراك حمولُهُ ؟(٤)

---

(١) الجرائر : الذنوب ، والذحل (بالفتح) الحقد والعداوة .
(٢) شحط : بعد .
(٣) الجد (بفتح الجيم) : الحظ
(٤) الوجيف والذميل : ضربان من السير السريع .

عُجنا عليـه وللقـلوب بلابلٌ   هيّجنَهنّ ربوعُهُ وطـلولُهُ
فخشوعنـا لخشوعِهِ ونحولُنـا   ـ إن كنت تنكره ـ «جناه» نحولُهُ (١)
من أجلِ دارٍ فوقَ وَجْرَةَ أقفرتْ   «سيلٌ» من العينين لجّ همولُهُ (٢)
نبكى وما أجـدى على متتبعٍ   أثرَ الديارِ بكاؤه وعويلُهُ
يا وحشَ وَجْرَةَ هل أراكَ على ثرًى   غضٍّ النباتِ تحومُهُ وتجولُهُ ؟
وهل الأراكُ ـ وإنْ تقادم عهده ـ   أغنى به فأظلّه وأقيـلُهُ ؟ (٣)
وهل الـكثيبُ بحاله أم رُفّعتْ   بالرّامساتِ عن الـكثيب ذُيولُهُ ؟ (٤)
أهواكَ يا شجرَ الأراكِ وبيننـا   عُرضُ الحجازِ لمن بغاك وطولُهُ (٥)
إنّ الزّمانَ جميعَه بك طيّبٌ   إصبـاحُهُ وظلامُهُ وأصيلُهُ (٦)
زمنُ اللّوى لم أدرِ كيف قصيرُهُ   حتّى انقضى فدريتُ كيف طويلُهُ
إنّ الألى حلّوا اللّوى وتحمّلوا   وَضَحَ الضُّحى فيهمْ «لقلبك» سُولُهُ (٧)
ضنّوا عليـك من النّدى بقليله   وكثيرُ حبّك عنـدهمْ وقليلُهُ (٨)
ووراءهمْ قَرِمٌ إلى أزوادهمْ   ظامٍ إليهمْ لا يَبُلُّ غليـلُهُ (٩)
ترجو معـاوَدَةَ الوصالِ كما بدا   إبّانَ جاد به عليـه بخيلُهُ ؟
يا ردَّ رُبّكُمُ إليَّ بعيـدكمْ   وأمال قلبـكُمُ علىَّ يُميلُهُ
ومزوّدٍ ماءَ الشّبابِ كأنّه   قمرُ الدُّجُنّةِ حسنُهُ «ومُثولُهُ» (١٠)

---

(١) فى (ش) « جفاه » مصحفة عن « جناه » .
(٢) وجرة : موضع ، وفى (هوش) « سبل » بدل « سيل » .
(٣) أظله : أتظلل به ، وأقيله : أستريح فيه وقت القيلولة وهى منتصف النهار .
(٤) الرامسات : الرياح الدوافن للآثار .
(٥) الأراك : شجر تتخذ من أغصانه المساويك مفرده أراكة .
(٦) الأصيل : وقت مابعد العصر .
(٧) اللوى : منعرج الرمل ، ووضح الضحى : بياضه ، وفى (ه) « لقليل » تحريف « لقلبك » .
(٨) ضنوا : بخلوا .
(٩) القرم : الذى اشتدت شهوته إلى اللحم ، ويبل : يندى ، والغليل : شدة العطش .
(١٠) الدجنة : الظلمة ، وفى (س) « أفوله » بدل « مثوله » .

أظما إلى تقبيله ولو أنّني قبّلتهُ لم يَروِني تقبيلُه
ضاقتْ به أقطارُهُ وأُقضّ ـ حتى زارني صُبحاً ـ عليه مَقيلُه (١)
من بعد ما كان الوصالُ سبيلنا فيه وكان الهجر منه سبيلُهُ
وكأنما هو نَعمة ولُدونةً نشوانُ دبّتْ في العظامِ شَمولُهُ (٢)
مَنْ مانعٌ عنّي وقد شَحَطَ الصِّبا شيباً على الفَوْدين آن نزولُهُ ؟ (٣)
وافى هَوِيَّ السِّلكِ خرّ نظامُهُ والشِّعْبُ سال على الدّيار مَسيلُهُ (٤)
سبق احتراسي من أذاه بطيئُهُ لمّا تجلّاني فكيف عجولُهُ ؟
ما ضرّه لمّا أراد زيارةً لو كان بالإيذانِ «جاء رسولُه»؟ (٥)
لا مرحباً ببياضِ رأسي زائراً أعيا عليَّ حلولُهُ ورحيلُهُ
مَن كان يرقُبُ صحةً من مُدْنفٍ فالشّيبُ داءٌ لا يَبِلُّ عليلُهُ (٦)
نَصَلَ الشّبابُ إلى المشيب وإنّما صِبْغُ المشيبِ إلى الفناء نُصولُهُ (٧)
إنّ البَهيم من الشّباب ألذُّ لي فلتَعْدُني أوضاحُهُ وحُجولُهُ (٨)
أعجِبْ به صبحاً يُوَدُّ ظلامُهُ وشهابُ داجيةٍ يُحَبُّ أفولُهُ (٩)
قالوا المشيبُ نباهةٌ وأوَدُّ أنْ باقٍ عليَّ من الشّبابِ خمولُهُ

---

(١) أقض (على المجهول) : خشن وصار فيه القضض وهو صغار الحصى يمنع النائم من النوم ، والمقيل : موضع الاستراحة أو القيلولة ظهراً .

(٢) اللدونة : اللين والطراوة ، والشمول (بفتح فضم) الخمر .

(٣) شحط : بعد ، والفودان : جانبا الرأس .

(٤) السلك : الخيط قبل أن ينظم فيه الجوهر ؛ فإن نظم فيه فهو سمط (بالكسر) ، والشعب (بالكسر) بطن الوادي .

(٥) في (م) (جار سؤله) تحريف « جاء رسوله » .

(٦) المدنف : المريض ، وبل المريض وأبل من مرضه : أفاق وبرىء .

(٧) نصل الشعر : زال عنه الخضاب .

(٨) الأوضاح : جمع الوضح (بفتحتين) : الغرة : البياض في جبهة الفرس ، و التحجيل : البياض في قوائمها وكنى بذلك عن الشيب .

(٩) الداجية : الظلمة : والأفول . زوال .

والنصلُ في الشَّعَرِ البياض وليتَه لم يَشجِنِي بفراقه مفضولُهُ
ولقد عجبتُ لمعشرٍ « صانوا » الغِنَى « وأذَالَ منهم ماسواه مُذيلُهُ » [1]
ظلُّ الغنى يا ساكنى ظلَّ الغنى يُخشَى عليه زوالُهُ وحُئولُهُ
لم يَثرِ مَن لم يُغنِ مفتقراً ولم يَنَلِ الغِنَى من لا تراه يُنيلُهُ
والجودُ لا يُبقى التِّلادَ على الفتى والبخلُ عنوانُ الغِنَى ودليلُهُ
لا يفضُلُ الأقوامَ إلّا ماجـدٌ دبّتْ إلى أيدى الرّجال فُضولُهُ
للبِرِّ ما كَسبتْ يداهُ وللنّدَى منه الغَداةَ حُزونُهُ وسهولُهُ
متلهِّبٌ فإذا علا قِمَمَ العِدا بسيوفه ماتتْ هناك ذُحولُهُ [2]
سائلْ لتعرفنى فَفيكَ جهالةٌ « خطباً » تراه يطوانى وأطولُهُ [3]
لمّا ٱلتوَتْ عنه كواهلُ معشرٍ أَخنَى علىَّ دقيقُهُ وجليلُهُ
فَأَتتْ مقارعةُ الزّمانِ مضاربِى والسّيفُ تشهد بالمَضاء فُلولُهُ [4]
وتبيّنتْ « بدمٍ » الرّجال صرامتى واليومُ تجرى بالدّماء سيولُهُ [5]
وبصيرتى يوم الهياجِ بصيرةٌ والنَّقعُ مُرخًى فى الوجوه سُدولُهُ [6]
يومٌ يسكِّرُ عزيزهُ يبغى الرّدَى ويفرّ يستبقى الحياةَ ذليلُهُ
وأنا الذى فضَلَ العشائرَ قومُه بعلاه واستلب الفخارَ قبيلُهُ
ومتى تأمّلتَ الزّمانَ فإنّه وادٍ بغُرِّ المكرُماتِ أسيلُهُ
إنّ الفتى ما إنْ تطيب فروعُه لمجرِّبٍ حتّى تطيب أصولُهُ

(١) فى (م) « صانوا » بدل « صانوا » ، ومعنى الأولة : أذلوا وقهروا ، وأذال : أهان .
(٢) الذحول : جمع الذحل : وهو الثأر والعداوة والحقد .
(٣) فى « م » « حدنا » بدل « خطبا » .
(٤) الفلول : الكسور والثلوم فى حد السيف .
(٥) فى النسخ « بهم » بدل « بدم » والظاهر تحريفها عما أثبتناه .
(٦) النقع : غبار الحرب ، ومرخى : مسدول أى مسبل ، والسدول : الأستار جمع الستر .

والنّاسُ فى الدّنيــا إذا جرّبْتَهم ... « بين » المِلا طاشت هناك عقولُه (١)
كم طالبٍ مالا يُنال وراكبٍ ... من سَيّئٍ مالا يُقال زَلِيلُه (٢)
ومزاولٍ تعجيــل أمرٍ لو أتى ... عَجِلًا إليه لساءه تعجيــلُه
« ومُرَقَّحٍ » نَشَباً حواه غيرُهُ ... ومؤمِّلٍ ولغــيره مأمولُه (٣)
والرّزقُ يُحرَمه الخبيرُ ويهتــدى ... عفواً إليــه عَقولُهُ وجَهولُهُ
لا ذاكَ يدرى كيف خاب ولا درى ... هــذا عليــه كيف كان حصولُهُ
وأخٍ بدا منــه القبيح عقيب ما ... فعل الجميــلَ فضاع منه جميــلُهُ
شَفَعَ الزّيارةَ هجرُهُ وبِعادُهُ ... وتلا الوِصالَ صدودُهُ وعُدولُهُ
ما إنْ يروعُك قصــدُهُ مستشعراً ... نَسْجَ الدُّجى حتى يروع قفولُهُ (٤)
متلوّنٌ ، إعــطاؤه حرمانُهُ ... متقلّبٌ ، ممنــوعُهُ مبــذولُهُ
مَن عاذرى مِن مُرهِقِى أو مُعلِقِى ... مِن وُدِّهِ عِلْقاً يُرادُ بديلُهُ ؟ (٥)
دَنِساً كرَيْطِ الحائضاتِ لبِسْتُهُ ... فلزِمْتُهُ حتّى استطار نَسِيلُهُ (٦)
علِّلْ برفقك مَن لقيتَ من الورى ... إنّ العليــلَ شفاؤه تعليــلُهُ
ودعِ القلوبَ بغِلِّهــا مطويّةً ... ما السّرُّ إلّا ما إليــك وصولُهُ
وانصحْ لنفسك إنْ نصحتَ فكلُّ مَن ... تلقاه فى الدّنيــا يقلُّ قبولُهُ

* * *

---

(١) فى (م) «بهم» بدل «بين» والشطر الثانى لاينسجم مع الأول والظاهر أنه ليس له .
(٢) يقال : مضارع من أقال ، وأقال زانه أو عثرته ؟ رفعه منها .
(٣) المرقح : المكتسب ، ورقح ماله : أصلحه وقام عليه ، وفى (س) « ومونر » ، والنشب : المال .
(٤) يروعك : يفزعك ، والقصد : الإتيان ، والمستشعر : لابس الشعار وهو الثوب الذى يلى شعر البدن ، ونسج الدجى : ظلام الليل ، والقفول : الرجوع .
(٥) المرهق : المثقل والمكلف والعلق : النفيس من كل شىء
(٦) الريط: الثوب ، واستطار: انتشر وامتد ، والنسيل: الصوف المنسول كالمنفوش والمنتوف .

وقال يمدح جلال الدولة فى عيد الفطر سنة «٤٢٦» :

لِى منزلٌ ولمنْ سلاكمْ منزلٌ ... فدعوا العَذولَ على هواكمْ يعذلُ
وإذا مررتُ بغيرها أسطيعُه ... فمن الضرورةِ أنّنى لا أقبلُ
بأبى وأمّى راحلٌ طَوْعَ النَّوى ... ويَوَدُّ قلبى أنّه لا يَرحلُ
ولقد حملتُ غداةَ زُمّتْ للنوى ... أحمالَكمْ فى الحبِّ مالا يُحمَلُ(١)
وعجبتُمُ أنّى بقيتُ وقد مضى ... «بالعيش»من كَنِى الخليطُ المُعجَلُ(٢)
ليس اصطباراً ما ترون وإنّما ... هو لِلُحاةِ تصبُّرٌ وتجمُّلُ(٣)
فدعوا القُرونَ بزفرةٍ لم تُسْتَمَعْ ... بعدَ الفراقِ ودمعةٍ لا تَهطِلُ(٤)
فالنّارُ يَخمدُ ظاهراً لك ضوءها ... ووراءَ ذاك لهيبُ جمرٍ مُشْعَلُ
مَن لى بقلبِ الفارغين من الهوى ... لا مهجةٌ تضنَى ولا تتقلقلُ
مَن شاء فارقنى فلا طَلَلٌ له ... يُبكَى ولا عنه ربَاعٌ تُسألُ
وإذا الرّجالُ تعزّزوا ومشتْ إلى ... مهجاتهمْ رُسُلُ الغرامِ تذلّلوا
وأُساةُ أدواءِ الشّكايةِ كلّهمْ ... يدرون أنّ الحبَّ داءٌ مُعضِلُ(٥)
مَن مبلغٌ ملكَ الملوكِ بأنّنى ... بلسانِ طاعته أُعَلُّ وأُنْهَلُ(٦)
قد كنتُ أمطلُ مَنْ بغى منّى الهوى ... حتّى دعانى منكَ مَن لا يَمطُلُ
فبلغتُ عندك رتبةً لا تُرتقَى ... ونزلتُ منك مكانةً لا تُنزَلُ

---

(١) زمت : شدت ، والنوى : الوجه الذى ينويه المسافر .

(٢) فى الأصل « العيش » والظاهر تصحيفها عن « العيس » ، والخليط : الصاحب والرفيق فى السفر .

(٣) اللحاة : جمع اللاحى وهو اللائم .

(٤) القرون : جمع القرن وهو مقدار مائة سنة .

(٥) الأساة : جمع الآسى وهو الطبيب .

(٦) أعل : أشرب وأنهل مثلها والشرب أوله علل وثانيه نهل (بالتحريك) .

وعلمتُ حين وزنتُ فضلك أنّه ... من كلّ فضلٍ للأماجدِ أفضلُ
لله درُّ بنى بُوَيْهٍ إنّهمْ ... أعطوا وقد قلَّ العطاء وأجزلوا
ولهمْ بأسماكِ المجرّةِ منزلٌ ... ماحلّه إلّا السّماكُ الأعزلُ (١)
المطعمين إذا السّنونُ تكالحتْ ... وأغبرّ فى النّاسِ الزّمان المُمحلُ
والمبصرين مكانَ حزّ شفارهمْ ... فى الرّوْعِ إذا أعشى العيونَ القَسْطَلُ (٢)
والدّاخلين على الأسنّةِ حُسّراً ... إنْ قلَّ إدخالٌ وعزّ المدخَلُ (٣)
فهُمُ الجبالُ رزانةً فإذا دُعوا ... لعظيمةٍ خفّوا لها واستعجلوا
وهُمُ الرءوس وكلُّ مَن يعدوهم ... فى المعتلين أخامصٌ أو أرجلُ
لهُمُ القطوبُ توقّراً فإذا هُمُ ... همّوا بأنْ يُعطوا النّوالَ تهلّلوا
وإذا المحاذرُ بالرّجالِ تولّعتْ ... فبهمْ من الحَذَرِ المُلِمّ المَعقِلُ
إنْ خوّلوا من غير أن يعنوا بها ... قد خوّلوا فكأنّهمْ ما خوّلوا
وإذا التفتَّ إلى عِراصِهِمُ التى ... عزّ الذّليلُ بها وأثرى المُرْمِلُ (٤)
لم تلقَ إلّا معشراً روّاهُمُ ... غِبَّ العِطاشِ تفضُّلٌ وتطوّلُ
كم موقفٍ حَرِجٍ فرجتَ مضيقه ... والرّافدان لك القنا والأنصُلُ
فى حيث لا تنجى الجيادُ وإنّما ... تُنجيك بيضٌ للقراعِ تُسَلَّلُ
وشهودُ بأسك أسمرٌ متدفّقٌ ... أو أبيضٌ ماضى الغِرارِ مُفَلَّلُ (٥)
أعطيتَ حتّى قيل إنّك مُسرِفٌ ... وحلُمتَ حتّى قيل إنّك مُهمِلُ
وجددتَ فى كلّ الأمور فلم يكن ... من قبل إلّا مَن يَجِدُّ ويهزِلُ

---

(١) المجرة: نجم كثير مجتمع فى السماء كأنه البياض المعترض ومضى تفسيره، والسماك: أحد السماكين وهما نجمان نيران أحدهما يسمى الأعزل أى العارى من السلاح ، والآخر الرامح أى ذو الرمح .
(٢) القسطل : غبار الحرب .
(٣) الحسر : جمع الحاسر أى المكشوف وهو الذى لادرع له ولامغفر .
(٤) المرمل : الفقير الذى لازاد له سمى للصوقه بالرمل .
(٥) الأسمر : الرمح ، والمتدفق : المهشم ، والأبيض : السيف ، والغرار : حده ، والمفلل:المثلم.

ومشيتَ في الخطط التَّمائب رافلًا ... ومَن الذي لولاك فيها يرفُلُ ؟ (١)
وأريتَنــــا لمَّا رميتَ فلم تَطِشْ ... عن مقتلٍ أنَّى يُصـــابُ المَقتلُ
وبلاكَ مذ دافعتَ عن أرجائِه ... مَطْوَى الأساود أو عرينُ مُشبِلُ (٢)
قلْ للذين تحكَّموا جهلاً به ... ولطالمــــا قتل الفتى ما يجهلُ
خلّوا التعرّضَ للّذى لا يُتَّقى ... فلربّمـــا عجل الذى لا يعجلُ
والشرُّ مكروهٌ وإنْ طال المدا ... بِطِالِهِ يُردِى الرِّجالَ ويقتُلُ
وأنا الذى جرّبتَــــه ولطالمـــا ... نخل الرِّجالَ تدبّرٌ وتأمُّلُ
ثاوٍ بدارٍ أنت فيهــا لم أُرِدْ ... عوضاً بها [أبداً] ولا أستبدلُ (٣)
وعجمتَ حين عجمتَ منى صَعْدَةً ... تنبو إذا ضُمّتْ عليهــا الأنمُلُ (٤)
وعلمتَ أنّى خير ما ادّخرتْ يدٌ ... وأوَى إليـــه لدَى الحِذار مُعوَّلُ
وعصائبٍ أعيتهمْ بمنــــاقبى ... إنْ يصدقوا فى عَضْهَتِى فتقوّلوا
قالوا وكم من قولةٍ مطرودةٍ ... عن جانبِ الأسماع لا تُتقبَّلُ
هيهـات أين من الصُّقورِ أباغثٌ ... يوماً وأين من الأعالى الأسفلُ ؟ (٥)
وتضاحكوا ولو انّهمْ علموا بمـــا ... تجنى جهالتهمْ عليهمْ أعوَلوا
وإذا عَريتَ عن العيوب فدع لها ... مَن شــــاء فى أثوابها يتسربلُ
وكن الذى فاتَ الخداعَ فكلُّ مَنْ ... تبع الطَّماعةَ فى الخديعــة يُبهَلُ (٦)

---

(١) رفل فى ثيابه : أطالها وجرها متبختراً .

(٢) الأرجاء : النواحى ، والمطوى : موضع الانطواء كالمخبي ، والأساود : جمع الأسود وهو العظيم من الحيات ، والعرين : بيت الأسد ، والمشبل : ذو الأشبال .

(٣) [أبداً] ساقطة من الأصل أضفناها لاقتضاء الوزن لها .

(٤) عجم القناة : عضها ليعلم صلابتها ، والصعدة القناة القصيرة ، وعجم صعدته : أى اختبره ، والأنمل رءوس الأصابع أو هى .

(٥) الأباغث : جمع الأبغث وهو طير الماء ، وبغاث الطير : ضعافها .

(٦) يبهل : يلعن ، والباهل : المتردد .

وأعُـــدُّ إثرائى وجارى مُعسِرٌ ... دَنَساً على أكرومتى لا يُغسَلُ
وقنعتُ من خلّى بعفوِ ودادِهِ ... لا بالّذى يجفو عليه ويثقلُ (١)
وإذا بدا منه التودّدُ فليكنْ ... فى صدره يَغلى علىَّ المِرْجَلُ (٢)
قولوا لمن ورد الأُجاجَ تعسّفاً ... لى فوقَ ماأهوى الرّحيقُ السّلسَلُ (٣)
عنـدى المُرادُ وأنت فيما تجتوى ... دونى وفى رَبْعى المَرادُ المُبقِلُ (٤)
وظفرتُ بالبحر الخِضَمِّ وإنّما ... أغناك لا يرويك منه الجدْوَلُ
ولك الجدائدُ فى حِلابك طالباً ... دونى وفى كفّى الضّروعُ الحُفَّلُ (٥)
فاسعد بهذا العيد وأبقَ لمثله ... يَمضى الورٰى ولك البقاء الأطولُ
فى ظلّ مملكةٍ تزول جبالنا الـ ... ـشُّمُّ العوالى وهى لا تتزلزلُ
واسمعْ كلاماً من مديحك شارداً ... طارتْ به عنّى الصَّبا والشّمألُ
صَعْبَ المَطا ممّنْ يُريد ركوبَه ... لـكنّه عَوْدٌ لدىَّ مذلَّلُ (٦)
هو كالزّلالِ عذوبةً وسلاسةً ... وَإذا شددتَ قواه فهو الجندلُ
صبحٌ وفى أبصار قومٍ ظلمةٌ ... أرْىٌ وفى حَنَكِ العدوِّ الحنظلُ (٧)
لو عاش نافسنى به « مُزَنيُّهُمْ » ... أوْلا فيحسدنى عليه « جَرْوَلُ » (٨)

* * *

(١) العفو هنا : مازاد عن القدر المعلوم أو الحاجة ، ومنه قوله تعالى « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » أى مازاد عن الحاجة .

(٢) المرجل : القدر الكبير من نحاس .

(٣) الأجاج : الماء الملح المر ، والرحيق : الخمر ، والسلسل : السائغ الجارى .

(٤) تجتوى : تستكره ، واجتوى البلد : كره الإقامة فيه ، والمراد (بفتح الميم) : موضع رياد الإبل أى اختلافها فى المرعى ، والمبقل : المعشب .

(٥) الجدائد: جمع الجداء وهى الناقة التى ذهب لبنها ، والحفل : جمع الحافل وهى الضرع الممتلىء .

(٦) المطا : الظهر ، والعود (بفتح العين وتسكين الواو) : الجمل المسن .

(٧) الأرى : العسل .

(٨) المزنى : زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى المشهور ، وجرول : اسم الحطيئة الشاعر المخضرم.

وقال فى الفخر (١):

قد كان يُدرِكُ عندكنّ السُّولُ ... فالآن لا وَصْلٌ ولا تعليلُ (٢)
ليلى وأنتم نُزَّحٌ بمُحَجَّرٍ ... ليلٌ كما شاء الغرامُ طويلُ (٣)
لم يبق منى بعد يوم فراقكم ... إلّا دموعٌ للفراقِ تسيلُ
نَمَّتْ على وَجْدى بكم لو أنّها ... كَتَمَتْهُ جامدةً لنمَّ نُحولُ
ومَلِلْتُمُ مَن لا يَمَلُّ هواكُمُ ... من غير جرمٍ والمَلولُ مَلولُ
قالوا السّلوُّ دواءُ دائك منهُمُ ... صدقوا ؛ ولكن ما إليه سبيلُ
رحنا وحشوُ قلوبنا كَلَفٌ بكمْ ... نلوى على ألوائنا ، فنميلُ
فكأنّما عبثتْ بنا « دَيْرِيّةٌ » ... أو ساورتْ منّا العظامَ شَمولُ (٤)
كم دون خيماتِ الحسانِ خُشاشةٌ ... تفنى ضياعاً أو دمٌ مطلولُ (٥)
وحياضُهنّ من الزّلالِ فواهقٌ ... لو كان ينقع عندهنّ غليلُ (٦)
ودعوتِنى عبثاً إلى خلعِ الهوى ... أنَّى وقلبى بالهوى مكبولُ ؟ (٧)
لكِ يا ابنةَ البكرىّ بين قلوبنا ... حكمٌ يُطاع ومنزلٌ مأهولُ
ومَلكتِ منّا بالجمال جماجماً ... إنْ كنتِ منصفةً فهنّ غُلولُ

---

(١) ورد فى « طيف الخيال » الشطر الأول من مطلع هذه القصيدة وأربعة أبيات منها (ص ٩٧)
(٢) السول : السؤل وهو الحاجة وما يسأل .
(٣) نزح : جمع النازح وهو البعيد ، ومحجر : موضع .
(٤) ديرية : يريد بها الخمرة التى تعمل بالدير وتكون غالبا معتقة ، وجاء فى الأصل « ذورية » والظاهر تحريفها عن « ديرية » ، والشمول (بالفتح) : الخمرة .
(٥) الخشاشة : بقية الروح ، والمطلول : المهدور .
(٦) فواهق : ممتلئات ، والغليل : شدة العطش .
(٧) المكبول : المقيد .

لمْ نحملي ثِقْــــلَ الهوى فحقرْته ... وخفيفُ أعبـاء الغرامِ ثقيـلُ
وإذا رأينـا منك طلعتـك التي ... هي رونقٌ أو جوهرٌ مصقولُ
خرس اللُّحاةُ على هواك وعرّجوا ... عنّـا فأخيبُ مَن نراه عَـذولُ
وطرقْتَني وَهْناً بأجوازِ الرُّبا ... وطروقهنّ على النّوى تخييلُ
في ليـلةٍ وافى بهـــا متمنّعٌ ... ودنتْ بعيـداتٌ وجاد بخيلُ
يا ليت زائرَنا بفاحمـة الدّجى ... لم يأتِ إلّا والصّبـاحُ رسولُ
فقليـلُهُ وضَحَ الضّحى مُستكثَرٌ ... وكثيرُهُ غَبَشَ الظّلامِ قليـلُ
ما عابه ـ وبه السرور ـ زوالُهُ ... لجميع ما سرّ القــلوبَ يزولُ
أمّا الشّعوبُ كثيرةٌ ولشَعبنا ... من هاشمٍ شِعْبٌ هنـاك جليلُ
الأُفق فيـه مع الشّموسِ كواكبٌ ... والغـابُ فيـه مع الأسود شبولُ
والجانبُ الخضِل النّدى لم يُلْفَ عن ... جَـدْواه ممنوعٌ ولا ممطولُ[1]
وإذا الرّجالُ تفـاخروا وتفاضلوا ... أرسى بهمْ دونَ الورى التّفضيلُ
من كلّ وضّـاح الجبين كأنّه ... عَضبٌ جـلاه الصّيقلون صقيلُ[2]
ومُلَوَّمٍ في المكرُماتِ وطالمـا ... عـذر الضّنينُ بهـا ولِيم بذولُ[3]
وكأنّه فرداً إذا شهـد الوغى ... ضرباً وطعناً معشرٌ وقبيلُ
ومعاشرٍ لولاهُمُ ما بيننا ... ما كان تعظيمٌ ولا تبجيلُ
عنهمْ تُلُقِّيَتِ العظاتُ وَمنهمُ ... فُهِمَ الهُدى وتُعُلِّمَ التّأويلُ
وبيوتُهمْ مأْوَى الرّشادِ وبينهمْ ... سُطِرَ الكتابُ ونُزِّلَ التّنزيلُ
وتراهُمُ صبحاً وكلّ عشيّةٍ ... يأتيهمُ ميكالُ أو جبْريلُ

(١) الخضل : المبتل ، والجدوى : العطية .
(٢) الصيقلون : جمع الصيقل وهو عامل السيوف .
(٣) الضنين : البخيل .

لو أنّهمْ لم ينهجوا سُبُلَ التُّقى ... ما بان تحريمٌ ولا تحليلُ
فهمُ عن الأمرِ الدنىِّ جوامدٌ ... وهُمُ إلى الأمرِ العليِّ سُيولُ
بيتٌ أقام دِعامَه وقبابَه ... إمّا إمامٌ أو أخوه رسولُ
بيتٌ يُناجِي اللهَ حَلّالٌ به ... وعليهمُ الأملاكُ فيه نُزولُ
ومساكنٌ ما غاب عن أفواههمْ ... فيهنّ تقديسٌ ولا تهليلُ
لهمُ مِنًى والموقفانِ وزَمْزَمٌ ... والبيتُ والتَّطْوافُ والتجويلُ
والحِجْرُ والحَجَرُ الذى لصَفاتِهِ ... أبدَ الزمانِ الضَّمُّ والتقبيلُ (١)
للهِ ما جَشِموه عن أديانِهمْ ... والدّارعون عن الطِّعان نُكولُ (٢)
طرحوا الأناةَ وطوّحوا بحِذارِهمْ ... وتيقّنوا أنّ الجبانَ ذليلُ (٣)
وتراكبوا مثلَ الدَّبَى فى غمرةٍ ... ما إنْ بها إلّا قنًا ونُصولُ (٤)
والخيلُ ساطعة العجاج كأنّما ... لعجاجها ضوء الصَّباح دليلُ
ليلٌ نجومُ سمائِهِ زُرْقُ القنا ... والشمسُ فيه صارمٌ مسلولُ
ومغامرٍ يَلِجُ القَتامَ وما لَه ... إلّا حسامٌ فى يديه دليلُ
ربحَ الحياةَ بطعنِهِ وضرابِهِ ... والهائبُ النَّخِبُ الجبانُ قتيلُ (٥)
خذها فما لطلوعها ـ مُبيضّةً ـ ... كطلوعِ أوضاحِ الصَّباح أفولُ (٦)
وكأنّما أُمنيّةٌ بُلِغَتْ بها ... وكأنّها روضُ الثرى المطلولُ (٧)

---

(١) الحجر (بكسر الحاء) : ما حواه الحطيم المدار بالكعبة المشرفة شمالا ، والحجر (بالتحريك) يعنى الحجر الأسود ، والصفاة : الحجر العريض الأملس .

(٢) جشموه وتجشموه : تكلفوه عن مشقة .

(٣) الأناة : التؤدة والرفق ، وطوحوا بحذارهم : رموا به .

(٤) الدبى : صغار الجراد قبل أن يطير ، واحدته الدباة ، والغمرة : الشدة .

(٥) القتام : الغبار الضارب إلى السواد ، والنخب (بفتح فكسر) : الجبان .

(٦) الأوضاح : البياض الغالب .

(٧) المطلول : الندىّ الذى أصابه الطل وهو المطر الخفيف .

سيارة في عرضٍ كلَّ تنوفةٍ ... ولغرَّ أبكارِ الكلام ذميلُ[1]
وإذا قرنتَ بها سواها برّزتْ ... غُرَرٌ لها لتاعةٌ وحُجولُ
والشِّعْرُ منه ناصعٌ مُتخيَّرٌ ... حُسناً ومنه الكاسفُ المرذولُ
ومن القريض سعادةٌ وشقاوةٌ ... ومن القريض نباهةٌ وخُمولُ
وقليلُهُ حيث الصوابُ وكُثْرُهُ ... من قائليه وساوسٌ وخُبولُ
والقارضون الشعر إمّا مولَجٌ ... أبوابَه أو مُبعَدٌ معدولُ
وَلَكَمْ لطلاّع الثنايا نحوه ... مُتزحزِحٌ عن طُرْقِهِ وزَليلُ
طلبوا وما وصلوا وكم من طالبٍ ... أمراً وليس له إليه وُصولُ
وإذا هُمُ لم يُحسنوا في قولهم ... أشعارَهمْ؛ أحسبتَ كيف أقول ؟!

* * *

وقال لما أتاه نعي فخر الملك «سنة ٤٠٧» بدربه :

أتانيَ والرّكبانُ يأبى نجيُّهمْ ... بما ساء أو سرّ الفتى وهو غافلُ
بأنّ الذى سالتْ شعابُ النّدى به ... تلاقتْ على رغمى عليه الجنادلُ[2]
وحلّ بدارٍ ليس عنها مُعَرَّجٌ ... ولا نازلٌ فيها مدى الدّهرِ راحلُ
أمِنْ بعد أن راع القرومَ هديرُه ... ونِيلتْ بما تجنى يداه الطّوائلُ
يُضامُ ويُسقَى غِرَّةً أكؤُسَ الرّدَى ... فلله حقٌّ غاله ثمّ باطلُ!
فإنْ غبتَ عنّا فالنّجومُ غوائبٌ ... وإنْ زلتَ عنّا فالجبالُ زوائلُ
وما أنتَ مقتولًا وذكرُك خالدٌ ... بل أنتَ لمن قد ظلّ بعدك قاتلُ

---

(١) التنوفة : المفازة ، والذميل : ضرب من سير الإبل السريع .
(٢) الشعاب : بطون الوديان مفردها الشعب ، والجنادل : الصخور العظيمة مفردها الجندل .

فلا حملتنا للجلادِ ضوامرٌ ولا فرّقتنـــا من بلادٍ رواحلُ
ولا عاد من حربٍ بمـا شاء صارخٌ ولا آب من جَدْبٍ بما رام سائلُ
ولا تبـكهِ منّا العيونُ وإنّما بـكته المواضى والقنا والعواملُ [١]
ولولا هَنَاتٌ سوف يُقلِعُ عذرها ضحًى أو عشيًّا قال ما شاء قائلُ [٢]

* * *

وقال فى غرضه ما :

قل للذين تنــا كصتْ ثقتى بهمُ وقهقرَ عنهمُ الأملُ
ووجدتُهمْ عمــداً بلا خطأٍ رابوا بمـــا قالوا وما فعلوا [٣]
ما كان عنـــدى أننى أبداً عن عُقْرِ دار الوُدّ أنتقلُ [٤]
وملتمُ مَن لا يحول ولا يمشى بعَرْصةِ سِرِّه المَلَلُ
وغُرِرتُمُ من دولةٍ عرضَتْ والدّهرُ لو أنصفتمُ دُوَلُ
هى عيشــةٌ من بعدها هُلُكٌ أو صحّةٌ فى إثرها عِلَلُ [٥]
وقد احتملتُ وإنّمـا غَشَمَتْ ظلماً أمورٌ ليس تُحتَمَلُ [٦]
وعهدتُـكمْ قولًا بلا عملٍ فالآنَ لا قولٌ ولا عملُ
ومن المُنى لى مُرُّ غيركمُ والصّاب عند ضرورةٍ عَسَلُ [٧]

---

(١) العوامل : جمع العامل وهو الرمح .
(٢) الهنات : الداهية ، ويقلع : يذهب ويرحل .
(٣) رابوا : شكوا .
(٤) عقر الدار : أحسن موضع فيها .
(٥) الهلك : الهلاك والموت وأصله تسكين اللام ، والهلك (بفتحتين) : المهوى بين جبلين ولعله استعاره للقبر .
(٦) غشمت : ظلمت ، والغشم : الظلم .
(٧) الصاب : عصارة شجر مر .

قد كان قبلكمُ وما لبثوا قومٌ إلى ما نلتمُ وُصُلُ
طاروا كما وقعوا بلا سبَبٍ وتراهُمُ خرجوا كما دخلوا
لا تحسبوها اليومَ دائمةً فالظِّلّ ظلُّ الشمسِ ينتقلُ
شتّان بين معاشرٍ نُصحوا لم يقبَلوا ومعاشرٍ قبِلوا
من أين فى الدّنيا وكيف بها حالٌ من السّراء تتّصلُ
يَفْرِى الزّمانُ وليس نُبصره ماليس تَفرِى البِيضُ والأَسَلُ(١)

☆ ☆ ☆

وقال يمدح فخر الملك :

لعينيك منها يوم زالتْ حمولُها ـ وإنْ لم تنِلْ ـ تَذْرافُها وهُمولُها
ومن أجلها لمّا مررتَ بدارها وقد أوحَشَتْ منها شَجَتْني طلولُها
ولولا الهوى لم تَلْقَني بمنازلٍ نواحلَ يستدعى نحولى نحولُها
أُغَنّى بها مجهولةً لم تبنْ لنا ويُذكِرُنى غضَّ الوصالِ مَحيلُها
من اللاتى يُسغِبْنَ النِّطاقَ هضامةً ويمشين بالبطحاء خِرْشاً حُجولُها(٢)
يَقِفْنَ فيستوقفن لَحْظَ عيوننا فما هنّ للأبصار إلّا كُبولُها(٣)
أُريغ جَداها وهْى جِدُّ بخيلةٍ وأعيا على راجى الغوانى بخيلُها(٤)
وليلةَ بتنا بالأُبَيْرِقِ جاءنى على نَشْوةِ الأحلامِ وَهْناً رسولُها(٥)

---

(١) يفرى : يشق ؛ والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .
(٢) يسغبن : يجعن من السغب وهو الجوع ، والنطاق : الحزام ، والهضامة : النحافة ، وخرشا : جوفاء من الخرشاء (بكسر الخاء) وهو كل شيء أجوف فيه انتفاخ ، وفى الأصل « خرسا » والراجح تصحيفها عن ما أثبتناه .
(٣) الكبول : القيود .
(٤) أريغ : أطلب والإراغة الطلب على وجه المكر ، والجدا بالقصر والجدوى : العطية .
(٥) الأبيرق : موضع ، ووهناً : من الوهن وهو منتصف الليل .

خيالٌ يُرِينى أنّها فوق مضجعى ... وقد شطّ عنّى بالغُوَيرِ مَقيلُها (١)

(فيها ليلةً ما كان أنعمَ بثَّها) ... « تنازح » غاويها وخاب عذولُها (٢)

(وما ضرّنى منها وقد بتّ راضياً) ... بباطلها أنْ بانَ صُبحاً بُطولُها

(فلمّا تجلّى اللّيلُ بالصّبحِ وأمحتْ) ... « دَياجِرُ » مُرخاةٌ علينا سدولُها

(أفقتُ فلم يحصل علىّ مِنَ الذى) ... خُدِعتُ به إلّا ظنونٌ أُجيلُها

. . ... وربّ بغاةٍ ضلّ عنها سبيلُها

... فما للمطايا ثَمّ إلّا حلولُها

. . . . مذللة الأرجاء سهلٌ وصولُها

وكم عُصبةٍ حطّتْ لديه رحالَها ... فأترَبَ عافيها وعزّ ذليلُها (٣)

لدى مجلسٍ لايمزج الهزلُ جِدَّهُ ... ولا ينطق العَوْراء فيه قؤولُها

تُلَوّى به الأعناقِ مَيْلاً عن الهوى ... ويُنْصَفُ من ضخمِ الشّعوب هزيلُها

إذا لم يملْ فيه إلى الحقّ جورُه ... عن القَصْدِ يوماً لم تجدْ مَن يُميلُها

فتى كلُّ أطرافٍ له فى كتيبة ... يُصرّفها أو مَكرُماتٍ يُنيلُها

يُهاب كما هاب الشّجاعُ قَرِيعَه ... ويُرجى كما ترجو الغوادى مُحولُها (٤)

وحلّ من العلياء مالا تحُلّه ... حذاراً من الشُّمّ العوالى وُعولُها

ففى كفّه رِقُّ المكارِمِ والنّدى ... وما بيد الأقوامِ إلّا غُلولُها

أآلَ بُوَيْهٍ احفظوه لدولةٍ ... له وعليه صعبُها وذَلولُها

نماها فما تدعو سواه أباً لها ... ومن جَحْرِه دبّتْ إلينا شُبولُها

---

(١) شطّ : بعد ، والغوير : موضع ، والمقيل : موضع الاستراحة وقت القيلولة أى ظهراً .

(٢) ما حصرناه بين هلالين ساقط من نسخة الأصل أتممناه بما عثرنا عليه فى طيف الخيال (ص ٧١ و ٨٧ و ٨٨) والمحال المنقوطة لم نعثر على أصلها .

(٣) أترب : استغنى وكثر ماله ، والعافى : طالب المعروف .

(٤) القريع : المقارع ، والغوادى : السحب .

مدحتك لا أنى إخالُ مديحـةً تحيط بأوصافٍ لديك جميلُهـا
ولم يأتنى التقصيرُ من عجز منطق ولكنْ دهانى من معاليك طولُها
ولو أننى وفيتُ فضلك حقَّه عددتُ مديحى زلّةً أستقيلُها
فعشْ فى نعيمٍ لا يُرى منه آخرٌ وحالٍ بعيدٌ أنْ يحول حؤولُها

* * *

وقال فى الغزل :

عليلكمْ يرجو الشفاء وإنّما أنا عليلٌ ولا يرجو الشفاء عليلُ
إذا كان دائى بالهوى وهو قاتلٌ فإنّ أساتى فى الرّجالِ قليلُ (1)
ومابى إلى أنْ أكتمَ الحبَّ حاجةٌ وفى كلّ أحوالى عليه دليلُ
فهل لى إلى أنْ يبرحَ الحبُّ مهجتى كما لم يكن فيها الغداةَ سبيلُ ؟
كأنّىَ لما أنْ ذكرتُ فراقكمْ تمشّتْ بعقلى فى الصُّحاةِ شمولُ(2)
فما أنا عن شكوى الصبابةِ ساكنٌ وإنْ أشكُها لم أدرِ كيف أقولُ
وسيّانِ عندى قبل بَلْواىَ بالهوى أضنَّ ضنينٌ أم أنالَ مُنيلُ
وما العزُّ إلّا سلوةٌ لاهوًى بها وكلُّ أسيرٍ بالغرامِ ذليلُ

* * *

وقال فى الغزل أيضاً :

لو شئتَ يومَ البينِ أسعفتنِى منك بما ليس له ثِقْلُ
بوقفةٍ أشكو إليك الهوى فيها ودمعُ العينِ مُنْهَلُّ
فإنْ عليها عاذلٌ لامَنا فطالما يُحْتَمَلُ العَذْلُ

---

(1) الأساة : جمع الآسى وهو الطبيب .
(2) الشمول : الخمرة .

ما لكَ مِثْلٌ يا غريرَ الصِّبا ... وليس لي في حبِّكم مِثْلُ (١)
وصلُك مُحيي لقتيلِ الهوى ... وفرقةٌ منك هي القتلُ
ما شئتُ سُلواناً ولو شئتُهُ ... لم يكُ عندي كَبِدٌ تسلو

* * *

وقال في المكارم :

وما ضرّني الإملاقُ والثروةُ التي ... يذلّ بها أهلُ اليَسارِ ضَلالُ (١)
أليس يُبقّي المالُ إلّا ضَنانةً ؟ ... وأفقرَ أقواماً ندًى ونوالُ (٢)
إذا لم أنِلْ بالمالِ حاجةَ مُعسرٍ ... حَصورٍ عن الشّكوى فما لي مالُ

* * *

وقال في الاعتبار :

ألا لا ترُمْ أنْ تستمرّ مسرّةٌ ... عليك فأيّامُ السّرور قلائلُ
ولا تطلب الدّنيا فإنّ نعيمها ... سرابٌ تراءى في البسيطة زائلُ
رجاءٌ وإشفاقٌ كما لعبتْ لنا ... بأطماعنا فيها البطونُ الحواملُ
وإنّ مكانَ الخطب فيما نعيده ... خطوبٌ على قرب المدى وهو ماحِلُ

* * *

وقال وكتب إلى صديق له من العرب :

توقَّ ديارَ الحيِّ فهي المقاتلُ ... فما حشوُها إلّا قتيلٌ وقاتلُ

---

(١) الغرير : الخلق الحسن .
(٢) الإملاق : الفقر ، واليسار : الغنى .
(٣) : الضنانة : البخل .

أطعتَ الهوٰى حتّى أضرَّ بك الهوٰى   وعلّم حزماً ماتقول العواذلُ
وأين الهوٰى منّى وقد شحط الصِّبا   وفارق فَوْدَىَّ الشّبابُ المُزايلُ (١)
وقد قَلَصَتْ عنّى ذيولُ شبيبتى   وفى الرّأس شيبٌ كالثّغامةِ شاملُ (٢)
ولِى من دموعى غدوةً وعشيّةً   لبين الشّبابِ الغضِّ طَلٌّ ووابلُ (٣)
وكيف يُزيل الشّيب أو يُرجعُ الصّبا   وجيبُ قلوبٍ أو دموعٌ هواطلُ ؟
ولاح لنا من أبْرَقِ الحزْنِ بارقٌ   كما لاح فجرٌ آخر اللّيل ناحلُ
يضىء ويخفى لايدوم لنـــــاظرٍ   فلا هو مستخفٍ ولا هو ماثِلُ
فلمّا أضاءتْ غُبشةً حال عندهمْ   وعَصْفَر واُحمرّتْ عليه الغلائلُ (٤)
ذكرتُ به مَن زارنى مِن بلاده   وما الذّكر إلّا ماتجرّ البلابلُ
أمِنْ بعد أنْ جرّبتُ كلّ مجرّبٍ   وسَلّمَ لِى قَصْدَ السّبيلِ الأفاضلُ
ولم يكُ لِى عيبٌ يُعاب بمثله   أولو الفضل إلّا ماتقوّل قائلُ
وسارتْ برُوّادِ الفضائل كلّهـــا   من الشّرقِ والتّغريبِ عنّى الرّواحلُ
وُحمّلتُ أعبـاء العشـيرةِ فى ندًى   ويوم ردًى، والعَوْدُ للعِبء حاملُ (٥)
وحزتُ كراماتِ الخـلائق وادعاً   وشاطرنى ضيقَ المكانِ الحُلاحِلُ (٦)
وأنجدتُهمْ بالرّأى والرّأىُ عازبٌ   وجُدتُ لهمْ بالحزمِ والحزمُ ماطِلُ (٧)
ولمّـا اُجتبَوْنى لم يَطُرْ بهمُ أذًى   وبان لهمْ منّى صحيـحٌ وباطلُ (٨)

---

(١) شحط : بعد ، والفودان : شعر جانبى الرأس مايلى شحمة الأذن .

(٢) قلصت : نقصت ، والثغامة : نبت أبيض .

(٣) الطل : المطر الخفيف ، والوابل : المطر الكثير .

(٤) حال : تغير ، وعصفر الصباغ الثوب صبغه بالعصفر وهو نبت ذو صبغة صفراء ، والغلائل: جمع الغلالة (بالكسر) : وهو الثوب الذى يلى الجسد كالشعار .

(٥) العود (بفتح ثم سكون) : الجمل المسن .

(٦) الحلاحل (بضم الحاء الأولى) السيد الركين ، والجمع حلاحل بفتحها .

(٧) أنجدتهم : نصرتهم ، والعازب : البعيد .

(٨) اجتبونى : اختارونى ، ولم يطر بهم : لم يقرب منهم ولم يطر بساحتهم والفعل يطور .

وسحّبتُ أثوابَ الملوكِ على الثّرى وغيرِيَ من حَلْيِ المكارمِ عاطلُ
ولِي موقفٌ عند الخليفة ما ادّعتْ عديلًا له هذى النّجومُ المواثلُ
أقوم وما بينى وبين سريره مقامٌ ولا لِى دونه الدّهرَ حائلُ
ويُحجبُ عنه الزّائرونَ وإنّنى إليه على ذاك التحجّبِ واصلُ
وماغاب وجهى عن مدى لَحْظِ طَرْفِهِ لدى الخلق إلّا وهو عنّىَ سائلُ
أضاف إلى ما ليس لِى ويعدّنى من القوم خوّارُ الأنابيبِ خاملُ[1]
ويحسب أنّى كالّذين يراهمُ من النّاسِ مسلوبُ البصيرةِ غافلُ
ولم أخْفَ إلّا عن عَمٍ ولطالما تغطّى عن العَشْوِ الصّباحُ المقابلُ
فإمّا يقول السِّنْخُ والأصلُ واحدٌ فقد ولدتْ كلَّ الرّجالِ الحواملُ[2]
وجدتُ ولم أطلبْ عدوًّا مكاشفاً وما فاتنى إلّا الصّديقُ المجاملُ
إلى كم أغضُّ اللّحْظَ منّى على قذًى وتكدر لِى دون الأنامِ المناهلُ ؟
وأُصبِحُ مغبوناً بكلِّ مُفَهَّهٍ له منزلٌ بين الخليقةِ سافلُ[3]
إذا قال .صدّتْ أعينٌ ومسامعٌ ولم يك فيما قاله الدّهرَ طائلُ
وإنْ شهد النّجوى فلم يرض قومه بنجوى ولا أثنتْ عليه المحافلُ
يخاتلنى والخَتْلُ من غير شيمتى وما فضح التّجريبَ إلّا المخاتلُ
ويزعم أنّى كاذبًا مستوٍ به وأنّى أستوتْ بالرّاحتين الأناملُ ؟
فمن مبلغٌ عنّى ابنَ عوفٍ رسالةً كما شاءت الأشواقُ منّى الدّواخلُ
بعدنا جسوماً والقلوبُ قريبةٌ فلا العهدُ منسىٌّ ولا الودّ حائلُ
وكم ذا لنا والهجرُ ملتبسٌ بنا نلاقى ضميراً والهوى متواصلُ

---

(١) الخوار : الضعيف .
(٢) السنخ : الأصل ، والنجر : مثله .
(٣) المفهه : ذو الفهاهة وهى العى .

فإنْ سكتتْ منّا شفاهٌ على قذًى ... فمن دونهـــا منّا قلوبٌ قواتلُ

وكم لأُناسٍ بيننـا من جوارحٍ ... يُرَيْن تروكاتٍ وهنّ فواعلُ

وإنّ ثمـار الزّرع يُجْنى إذا مضى ... على الزّرع أزمانٌ وزالتْ حوائلُ

تسلّ فأيّامُ الفراقِ كثيرةٌ ... لمُحْصٍ وأيّامُ التّلاقى قلائلُ

وقـــد أسلفتنا الحادثاتُ لياليًا ... ذهبن فأين الآتيـاتُ القوابلُ ؟

فلستُ بنـاسٍ ما حييتُ اجتماعنا ... وقد نتجتْ فينا السّنون الحوائلُ

تمرّ بنــا الأيّامُ وهْيَ قصائرٌ ... وتمضى لنا الأوقاتُ وهْيَ أصائلُ(١)

وإنّى لأرجو أن تعود وإنْ مضى ... على فقـدها ذاك المدى المتطاولُ

ألا لا أرى حقًّا فأسلك قصدَه ... فقد طالمــا التفّتْ عليّ الأباطلُ

فإنّ الرّياحَ الضّاحكاتِ عوابسٌ ... وإنّ الغصونَ المرعاتِ ذوابلُ

وسقّى الدّيارَ الماحلاتِ سحابةٌ ... لها أزجُلٌ لا تنقضى وصلاصلُ(٢)

فإنّك من قومٍ إذا حملوا القنـــا ... جرتْ علقًا من الكماةِ العواملُ(٣)

يخوضون أظلامَ الوغى وأكفُّهمْ ... تضمّ على ما أخلصته الصّياقلُ(٤)

وتُعْرَفُ مِن آبائهم وجـدودهمْ ... سِماتٌ على أخلاقهمْ وشمائلُ

إلى الحزمِ لم يُثْنَوْا على الرّأى والهوى ... ولا شغلتهمْ عن عظيمٍ شواغلُ

ولا رفلتْ فيهمْ وقد سلب النّدى ... نفائسَهمْ تلك الهمومُ الرّوافلُ(٥)

ولا خفقتْ فى يومِ روعٍ قلوبُهمْ ... ولا ارتعدتْ خوفَ الحِمامِ الخصائلُ(٦)

---

(١) الأصائل : جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر .

(٢) أزجل: أصوات مفردها زجل، والصلاصل : الأصوات كذلك للأشياء اليابسة، مفردها صلصل.

(٣) العلق : الدم ، والكماة : جمع الكمى وهو الشجاع المدجج بالسلاح ، والعوامل : جمع العامل وهو الرمح .

(٤) الصياقل : جمع الصيقل وهو عامل السيوف .

(٥) الروافل : جمع الرافل ، ورفل الرجل فى ثوبه : مشى يجر أذياله متبخترا .

(٦) الخصائل : جمع الخصيلة وهى كل لحمة على حيزها من لحم الفخذين والعضدين .

كأنى بهم مثلَ الذئابِ مغيرةً   وقد ضَحِيَتْ عنهن تلك القساطلُ[1]
ومن فوقهن القومُ ما شهدوا الظُّبا   لدَى الرَّوْعِ إلا والنساء ثواكلُ
ولستَ ترى إلّا رجالًا كأنّهم   مناصلُ فى الأيمانِ منها مناصلُ[2]
تُبلِّغُ أوطارٌ لنا ومآربٌ   وتُدرَكُ ثاراتٌ لنا وطوائلُ[3]

* * *

وقال فى النسيب :

أيا شجراتِ الواديَيْن لعلّنى   أعوجُ بما تُظْلِلْنَهُ فأقيلُ[4]
وفيكُنَّ لى ماتشتهى النفسُ من مُنًى   وليس إلى ما تشتهيه سبيلُ
ولو أنّنى منكنّ زُوِّدتُ ساعةً   ترَوَّحَ فى أظلالكنّ عليلُ
وما أبتغى إلا القليلَ وكم شفى   كثيرَ سَقامٍ فى الرِّجال قليلُ

---

(١) ضحيت : ارتفعت ، والقساطل : جمع القسطل وهو غبار الحرب .
(٢) المناصل : جمع المنصل (بضم الأول والثالث) وهو السيف .
(٣) الطوائل : جمع الطائلة وهى العداوة والذحل .
(٤) أعوج : أميل ، وأقيل : أستريح القيلولة وهى منتصف النهار .

باب اللام المفتوحة

قال (أدام الله تأييده) يعظ :

يا جامع المـــال كُلَّهُ قبل آكله ... فإنّما المالُ فى الدنيـــا لمن أكلا
أنتَ المجارِى إلى ما بتّ تجمعه ... فأُسبقْ إليه صروفَ الدّهرِ والأجلا
إنْ تُبقِ مالكَ حيناً لم تُبَقَّ له ... إمّا بطلتَ فَناء عنـــه أو بطلا
أمّا الكريمُ فيمضى مالُهُ معــه ... ويترك المالَ للأعداء مَن بخِلا

* * *

وقال (أدام الله تأييده) فى الغزل :

قالوا الحبيبةُ تيَمّمَتْ ... لكَ وواصلتك فقلتُ أهلا
من بعــد ما حُمّلتُ من ... وجدٍ بهـا يا قومُ ثِقلا
ثِقلًا تحمّله الهوى ... عن مَنكِبىّ فعاد سَهلا
بتنا كما كره الحسود ... ننـــال ما نهواه حِلّا
فى ليلةٍ ما قلتُ جا ... ء سوادُها حتى تولّىٰ
لَفّتْ بشملى شملَهـــا ... يا حبّذا لَفًّا وشَمْـــلا
وَتَنَدّتْ علىّ « مُقَبّعاً » ... بقبائع العِقْيانِ طَفْلا (١)
ومَلأْ صِبْغَ الشّبيـ ... ـهِ مُسْبَكِرَ النَّبْتِ جَثْلا (٢)

---

(١) القبع : المعطر ، وفى (س) « مقنعا » وفى « هـ » « مقمعاً » ، والقبائع : جمع القبيعة وهى ما على مقبض السيف من فضة أو حديد ، والعقيان : الذهب الخالص ، والطفل (بالفتح) : الرخص الناعم .
(٢) المسبكر : المترسل ، والجثل : الكثير اللين ، وشعر مسبكر أى جثل ومسترسل كثير .

واهاً لظبيٍ صـــدتهُ طوعاً ولم أقنصه ختْلا
لم يعطنى قبـل الرّضا حتّى نسلّفهنّ قبْلا
ولقـــد أقول تبلّداً فيمن تملّـكنى وخبْلا
بالله قلْ ولك المُنىٰ أىّ المحاسنِ منك أحلى ؟
يا مَنْ أراه حالياً فى ناظرىَّ وما تحلّى
حوشيتُ فيك من السُّلوّ وأنْ أُرىٰ أسلو وأُسلَىٰ

* * *

وقال (أدام الله تأييده) يمدح الملك (السعيد) :
بهاء الدولة ويهنيه بالمهرجان (الواقع) فى صفر
من سنة أربعمائة (١) :

إنّ العقيقَ يزيدنى خبَلاَ إنْ زرتُه صبحاً و إنْ أُصُلا (٢)
ولقـد وقفتُ عليه أسألهُ عن ملعبِ الأحباب ما فعلا ؟
وقصيرِ عيشٍ فيـه مُختلَسٍ ولّتْ غضاضتُهُ وما كَمَلا (٣)
ومن السّفاهةِ ظَلْتَ بعدهمُ تبكى الرّسومَ وتندبُ الطّللا (٤)
وعلى العقيقِ ربيبُ أفئدةٍ ولِيَتْهُ أمرى فمـــا عدلا
دمثُ الشّمائلِ بات يقتلنى وكأنّه من ضعفه قُتـــلا
لمّا استضاف إلى محاسنه سَلَبَ الغزالَ الجيدَ والكَحَلا (٥)

---

(١) ورد فى طيف الخيال الشطر الأول من هذه القصيدة وخمسة أبيات منها (ص ٧٩) .
(٢) الأصل : جمع الأصيل وهو قت ما بعد العصر إلى الغروب .
(٣) الغضاضة : النضارة .
(٤) الرسوم : ما تبقى من آثار الديار .
(٥) الجيد : العنق ، والـكحل : اسوداد منابت الأشفار طبيعة .

قل للذى مِن فَرْطِ غُرّتهِ ... مازال حتّى حرّم « القُبَلا »[1]
لا تعطنى غبّ المطالِ فما ... أعطاك ما تبغيه مَنْ مَطَلا[2]
فبما هَدَأْتَ تركتنى قَلِقاً ... وبما أمِنْتَ أبتّنى وَجِلا
ياطيفُ زُرنا إن نَشِطْتَ لنا ... فالرّكبُ بالأبواء قد نزَلا[3]
عُدَّ النّهارَ مطيّةً لَغِبَتْ ... وخذ الظّلامَ على السُّرى جَمَلا[4]
ودع التعلّلَ فالحبيب إذا ... مَلَّ الوصالَ تطلّبَ « العِلَلا »[5]
عجّل سُراك إلى مضاجعنا ... وإذا حضرتَ فلا تغبْ عَجِلا
من أين يعلم من يحاذره ... قطع الخيالُ الحبلَ أم وصلا ؟
قالوا : سَلَوْتَ ؛ فقلتُ حاشَ لمنْ ... عشق الفضائلَ أنْ يقال سَلا
لا تعذِلوا « فالجدُ » ليس لمن ... سمع الملامَ وسوّغ العَذَلا[6]
لِى ياعذولى فى الهوى شَجَنٌ ... لم يخش منّى فى هوًى « مَلَلا »[7]
لمّا أنقطعتُ إلى مودّتهِ ... لم يُبقِ لِى عذلى به غزَلا
لا تَخفِلَنْ بالمرء تألفهُ ... أبداً لماء الوجهِ مُبتَذِلا
وأرتَدْ لودّك كلَّ منخرِقٍ ... يهب الجديدَ ويلبس السَّمَلا[8]
قد قلتُ للحادين أيقظهمْ ... داعِى الرّحيلِ فأزعجوا الإبلا
أمّوا بها مَلِكَ الملوكِ فما ... نبغِى به عَوضاً ولا بدلا

---

(١) فى (ش) « القتلا » بدل « القبلا » تصحيف .
(٢) غب المطال : أى بعده .
(٣) الأبواء : موضع قرب ودان (بفتح الواو وتشديد الدال) .
(٤) لغبت : تعبت ، والسرى : السير ليلا .
(٥) فى (ه) « العدلا » تحريف « العللا » .
(٦) فى (س) « فالحب » بدل « فالجد » والظاهر تحريفها .
(٧) فى (ه) « مدلا » محرفة عن « مللا » .
(٨) المنخرق والحريق : السخى وكريم الخليقة ، والسمل : الثوب الخلق .

عَفْراً لها أنْ لا تردّ بها ... وأضلّها مقتادُها السُّبُلا
ورعتْ بِحاجاً لا تُصيب بها الـ ... حَوْذانَ مكتهلاً ولا « النَّفَلا »[1]
يا أيّها الملكُ العريضُ ندًى ... فى مُعتَفِيهِ والطّويلُ عُلا
وأبنَ الذى بسديد سيرته ... يُضحى المُحنَّكُ يضرب المَثَلا
ما زال ثمّ قَفَوْتَ سُنّتَه ... يطأ الهضابَ ويسكن القُلَلا
ومطالع الجوزاء قبلَكُمُ ... ما داسها بشرٌ ولا أنتعلا
اسمعْ مديحاً ما أمنتُ به ... لولا أهتزازك عنده الزَّللا
وإذا رضيتَ القولَ من أحدٍ ... حاز الرِّهانَ وأدرك المَهَلا[2]
أمّا الذى أوْليتَنيه بما ... شرّفتَ من ذكرى فقد وصلا
مدحٌ تُفَضّلُهُ ولو نُظِمتْ ... أبياتُهُ لسواك ما فَضَلا
يَفديك مَن آمنتَ رَوْعتَه ... وكَفيته « من » أمره « الجَلَلا »[3]
وأبتَهُ يَرِدُ الغِمارَ غِنًى ... ولقد نوى « يَتَبرّض » الوَشَلا[4]
وإذا الملوك جرَوْا إلى أمَدٍ ... كنتَ اللَّبانَ وكانت الكَفَلا[5]
لمّا تَلَوْتَهمُ سبقتَهمُ ... فخراً وإنْ كانوا لنا أُوَلا
هذا وكم لك يومُ مَكْرُمَةٍ ... تروِى الطُّلّابَ وتُشبعُ الأملا
يومٌ تطيح به المعاذرُ والـ ... أقوالُ ترجُم وسْطَهُ العَمَلا

---

(١) الحوذان : نبت سهلى حلو الطعم ، والنفل (بفتحتين) : نبت من البقول الطيبة تسمن عليه الخيول ، وفى (س) « البقلا » بدل « النفلا » مصحفة .

(٢) المهل : التقدم فى الخير .

(٣) الجلل : الأمر العظيم ، وفى (ه) « الجدلا » تحريف ، وفيها « فى » بدل « من » .

(٤) الغمار : جمع الغمر وهو الماء الكثير ومعظم البحر ، ويتبرض : يتبلغ بالقليل والبرض : مص الماء قليلا قليلا ، والوشل: الماء القليل ، وفى (س) « يتعرض » بدل « يتبرض » والظاهر تحريفها.

(٥) اللبان (بالفتح) : من الفرس ماجرى عليه اللبب من الصدر ، والكفل : العجز .

بذلٌ إذا قسنا سواه به ... فكأنّما بخـــل الذى بذلا

لله درُّك يا ابنَ بجدَتِهـــا ... تَقرى السّيوفَ وتُولِغُ الأسَلا[1]

فى موقفٍ حَمِيَ الحـــديدُ به ... حتى لو استوقدتَه اشتعـــلا

والخيـــلُ نازيةٌ كأنّ بهـــا ... مسًّا من الجنّانِ أو خَبَلا[2]

تَستَنُّ بالفرسانِ ناجيـــةً ... كالوحشِ رِيعَ أو القطا جَفَلا[3]

سوّمْ «جيادَك» وارمِ عن عُرُضٍ ... جَيْحونَ بالأبطالِ منتضِـــلا[4]

فعلى الذى وصل النجاحَ بمـــا ... تهواه ثمّ علىَّ أن تصـــلا

هى دولةٌ بيديك واحـــدةٌ ... لا تجعلنّهـــا «عامداً» دُوَلا[5]

وأسعدْ بيوم المِهْرَجانِ وخـــذْ ... منـــه طويلَ العمرِ مُقتبلا

وإذا لبستَ الليلَ تلبسُهُ ... عَطِرَ الغلائلِ بارداً خَضِـــلا[6]

وأسلمْ ولا «سلبٌ» الزّمانُ لكمْ ... ظِلّا يفىءُ لنـــا ولا نَقَلا[7]

وعيونُنا لا أبصرتْ أبداً ... أمداً لأمركمُ ولا أجلا

واحتلّتِ النَّعماء داركمُ ... وامتدّ فيهـــا العزُّ واتّصلا

فعلى الإلهِ إجابتى لـــكمُ ... وعلىَّ بالإشفاقِ أنْ أسـَــلا

* * *

---

(١) يقال هو ابن بجدتها : أى عالمها الخبير بها ، والأسل : الرماح .

(٢) نازية : واثبة من النزو ، والجنان : اسم جمع للجن .

(٣) تستن : تعدو بنشاط .

(٤) فى (هـ) « جنادل » محرفة عن « جيادك » ، وجيحون اسم نهر ، والمنتضل : المتسابق بالرمى .

(٥) فى (هـ) « حامداً » تصحيف « عامداً » .

(٦) الغلائل: جمع الغلالة (بالكسر) وهى شعار يلبس تحت الثوب أو الدرع ، والخضل: المبتل.

(٧) فى هو « سكب » تصحيف « سلب » .

وقال (أدام الله تأييده) يمدح الملك بهاء الدولة
ويهنئه بالنيروز الواقع في شعبان «سنة إحدى وأربعمائة»:

رقدتِ وأسهرتِ ليلا طويلا   وحمّلتِنا الحبَّ عِبْئاً ثقيلا
وكنتِ تعاصين قول الوشاةِ   فلمّا مللتِ أطعتِ العذولا
ولو كنتِ يومَ لِوى عالجٍ   وقفتِ، شكونا إليكِ الغليلا [1]
فإنْ أنتِ أنكرتِ ما ندّعيه   جعلنا النّحولَ عليه دليلا
ودمعاً تحبّس قبل الفراقِ   ويومَ الفراقِ أصاب «المَسيلا» [2]
سقى اللهُ جيراننا بالكُحيلِ   وحيّا به الظّبيَ أحوى كَحيلا [3]
ولقّاهُمُ بالنّعيم الكثير   وإنْ لم يُنيلوكِ إلاّ قليلا
ففي القلب منهم، على ضَنِّهمْ   غرامٌ يماطلني أنْ يزولا [4]
معاشرُ لا يألفون الوفاء   لصبٍّ ولا يعرفون الجميلا
إذا أمرضوا لم يعودوا المريضَ   وإنْ قتلوا لا يَدون القتيلا [5]
وكم فيهمُ من مليحِ الدّلا   ل تستلب العينُ منه «العقولا» [6]
يُحيّيك بالورد من وجنتيه   ويسقيك من شفتيه الشّمولا [7]
ومن شَعَفٍ ظَلْتَ من بعدهم   تُرَثّي الرّسومَ وتبكي الطّلولا [8]

---

(١) لوى عالج: موضع مرمل في ديار كلب، والغليل: شدة العطش.
(٢) في (س) «السيلا» بدل «المسيلا».
(٣) الكحيل: موضع، والأحوى: الذي يعلوه سواد، والكحيل (بفتح الكاف): المكحول.
(٤) ضنهم: بخلهم وشحهم.
(٥) يدون: يؤدون الدية.
(٦) في (هـ و ش) «القبولا» مصحفة.
(٧) الشمول: الخمرة.
(٨) الشعف: كالشغف. وشعفه الحب: أمرضه، والرسوم: ماتبقى من آثار الديار.

وتسأل كلّ طويل الصُّمو تِ يأبى له خلقه أنْ يقولا
ولولا شقاوةُ جَـــدٍّ المحبّ لحقنا على سَفَوانَ الحمولا (1)
عشيّةَ سرنا على كُثْرِهِمْ نُباريهمُ بوجيفٍ ذميلا (2)
هنيئاً لنــا فى مليك الملوك أنْ ملك الأرض عَرضاً وطولا
دعــوتَ الجبالَ فلم تمتنعْ فكيف ترى لودعوتَ السّهولا؟
وشمّاء كالنّجم مرفوعــةٍ تفوت المُنى وتُزِلُّ الوُعولا
سَمَوْتَ إليهــا وظنّ الغبىُّ أنّك لا تستطيع الوصولا
فمارِمْتَ حتّى وَلَجْتَ الصّميمَ وغادرتَ ماعزّ منها ذليلا (3)
وكانت وليس سبيـلٌ إلى معاقلها فنهجتَ السّبيـــلا
تغاضيتَ عنها صنيعَ البطىءِ فلما عزمتَ سبقتَ العجولا
لعَمْر أبيها لقــد رامها فتًى يركب الصّعبَ سَمْحاً ذَلولا
فتًى لا يبيتُ على ريبَةٍ ولا يأخذ الأمر إلاّ جليلا
ولم يُرَ قبلك مستخرجاً من الغيلِ والأسدُ فيه الشّبولا (4)
وحىٍّ خبطتَ على غِرّةٍ فأبدلتَهم بالرُّغاء الصّهيلا (5)
تأنيتَهمْ موهناً كى يروا صباحهمُ مقبلاً والخيولا (6)
عليهنّ كلُّ شجاعٍ الجنا نِ لا يجد الذُّعرُ فيــه مَقيــلا
وكم لك من معجزٍ باهرٍ نراه فننــكر منّا العــقولا

---

(١) الجد : الحظ والبخت ، وسفوان : موضع بالبصرة .
(٢) الوجيف والذميل : ضربان من السير السريع .
(٣) مارمت : مزلت ، وولجت : دخلت .
(٤) الغيل : بيت الأسد .
(٥) الغرة (بالكسر) : الغفلة ، والرغاء : صوت ذوات الخف .
(٦) تأنيتهم : أمهلتهم ، والموهن : الداخل فى الوهن وهو نحو منتصف الليل .

تجىءُ به واحــداً لاتريد معينــاً ولا تستشير الخليــلا
كليثِ العَرين يجرّ الفريسَ إلى نفسه لايريد الأكيــلا
فلله دَرُّك من مُعمِــلٍ سناناً طريراً وعضباً صقيــلا[1]
ومن واقفٍ فوق رجّافــةٍ تَزِلُّ الأخامصُ عنها زليــلا
ويفديك كلُّ بخيــل اليدين يمنّ الكثيرَ ويُعطى القليــلا
تراه إذا ما استحرّ الطّعــانُ «كزفِّ العوامل» يمضى جَفولا[2]
أما والذى زاره المحرمون على أنْ يُنيلهمُ أو يُقيــلا
ولاذوا خضوعاً بأحجــاره وجرّوا بعقْوتهن الذّيولا[3]
وشُعثٍ تلاقَوْا على المأزِمَيْنِ يزُجّون صبحاً مَطيًّا كليــلا[4]
ومضطبعين ببيض الثّيابِ تراهمْ على عرَفاتٍ نزولا[5]
لقد خصّك الله بالمــأثُراتِ إذا ما عُددن عدسن العديلا
وجاد الزّمانُ لنــا فيكمُ وكان الزّمان ضنيناً بخيــلا
فيا غيثنا لا ترِمْ أرضنــا ويا شمسنا لا تجُزنا أفولا[6]
ويا جبــلَ اللهِ فى أرضهِ لرُوّاده أعفِنا أن تزولا
فأنتَ الذى نلتُ منــه المنى ثناءً جميــلًا ونيــلًا جزيلا
وأسكنتنى - وصروفُ الزّمانِ «تُصحرنى - منك ظِلًّا ظليلا»[7]

---

(١) السنان : نصل الرمح ، والطرير : الحاد ، والعضب : السيف .

(٢) الزف : السرعة ، والعوامل : الأرجل ، وفى (س) « كزق القوقة » وجاء فى القاموس تفسير الزقة (بضم الزاى) : طائر صغير من طير الماء يمكث حتى يكاد يقبض عليه فيغوص فى الماء فيخرج بعيدا ، وجاء تفسير القوق : بأنه طائر مائى طويل العنق .

(٣) العقوة : ما حول الدار .

(٤) المأزمان على التثنية : بين المشعر وعرفة بمكة المكرمة ، ويزجون : يسوقون .

(٥) المضطبع بثوبه : المحرم الذى أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٦) لاترم : لا تفارق .

(٧) تصحرنى : من أصحرته الشمس إذا كوته وصهرته ، وهذا الشطر ساقط من (س) وفيها الشطر الذى تحته .

«وكنتَ البهيمَ طويلَ الزّمان» فأوضحتَ لي غُرَراً أو حُجولا[1]
أنيروزَ مالكِنا دُمْ له وكُنْ بالذي يبتغيه كَفيلا
وعُدْ أبداً طارقاً بابَه متى مامضيتَ نويتَ القفولا[2]
وإنْ أنتَ أفقدتنا غيرَه فأهدِ إليه البقاءَ الطّويلا

* * *

وقال (أدام الله تأييده) وقد انحدر إلى واسط لتلقي (مولانا وزير الوزراء) فخر الملك (أعز الله نصره عند وروده العراق فلقيه بها وصادف من إكرامه له وإعظامه إياه مايزيد على الاقتراح ويوفى على الإيثار بمدحه وشكره)[3] :

أما لَكَ من غرامِ ما أمالا وزادَكَ نصحُ عاذلِها خَبالا
ولو كانتْ وقد هجرتْ أرادتْ دلالًا لاحتملتُ لها الدّلالا
ومازال العذول يقول حتّى أذنتَ له فأسمعك المحالا
فمالك والحِبالَ وقد جعلتمْ قلوبَ العاشقين لكمْ حبالا
وما أُلحي سوى قلبي وفيه نُدوبٌ منك كيف إليك مالا ؟
هجرتَ ونحن أيقاظٌ بوَجٍّ وزرت بنَعفِ كاظمةٍ خيالا[4]
وليس الهجرُ عن سببٍ ولكنْ خلوتَ وما خلونا منك بالا
وطيفٌ منكمُ بجنوب نجدٍ أراني من « محاسنكمْ » مثالا[5]
أقام على مضاجعنا هُدُوّاً فلمّا زال عنّا النّومُ زالا

---

(١) البهيم: المظلم ، والغرر : جمع الغرة وهو البياض في جبهة الفرس ، والحجول البياض في قوائمها. والشطر الأول ساقط من (س) .

(٢) القفول : الرجوع .

(٣) ورد في طيف الخيال الشطر الأول من مطلع هذه القصيدة مع سبعة أبيات منها (ص ٨١ و ٨٢) ، وهذا الشطر ساقط من (س) .

(٤) وج : واد بالطائف ، والنعف : ما انحدر من حزونة الجبل وما ارتفع من منحدر الوادي ومن الرملة مقدمها وما استرق منها ، وكاظمة : اسم موضع .

(٥) في (هـ) « زيارتكم » بدل « محاسنكم » .

لَهَوْتُ بباطلِ الأحلامِ حتّى ... وددْتُ لهنّ أنّ الليلَ طالا
ألَيْتَنَا بـكاظمةٍ أضِلّي ... بياضَكِ أنْ يلمّ بنـا ضلالا
فليس الصّبحُ من أرَبِى وحسبِى ... ظِلالُ الّليلِ أسكنه ظِلالا [1]
ومعسولِ المراشفِ لو سقانى ... سقانى من مُجاجته الزّلالا [2]
متى يَفْـترّ يبسِم عن نقىٍّ ... شَتيتِ الرّصْفِ تحسبه سَيالا [3]
كأنّ به سحيقَ المسكِ وَهْناً ... تنـاثر أو عقيقَ الخمرِ سالا
وكان الدّهرُ ألبسَنِى سواداً ... أروعُ به الغزالةَ والغزالا [4]
نعمتُ بصبغِهِ زمناً قصيراً ... فلمّا حالتِ «الأعوامُ» حالا [5]
بفخرِ الملكِ أعتبتُ الّليـالى ... وعاد أُجاجُنا عَذْباً زلالا [6]
وسالمنا الزّمانُ به وكانتْ ... حروبُ صُروفه فينا سِجالا [7]
وأصبحتِ العراقُ بخير حالٍ ... وكانتْ أسْوَأَ الأمصارِ حالا
دخلتُ عليه مجلسَه فأدنى ... وأعلانى مكاناً لا يُعالَى
وأثقلنى ولم أكُ طولَ عمرى ... حملتُ لغيره المِنَنَ الثّقالا
بإكرامٍ إذا عظمتْ وجلّتْ ... لدى قلبِى أوائلُه توالَى
وقولٍ كلّما «اضطربتْ» قلوبٌ ... «بحظّى» منه أعْقبَهُ فعالا [8]

---

(١) أربى : حاجتى من الأرب بالتحريك وهى الحاجة .

(٢) المراشف : الشفاه ، والمجاجة : الريقة ومن كل شىء عصارته .

(٣) يفتر : يضحك ، والثغر الشتيت : الأفلج أى مفروق الاسنان متباعدها ، والسيال : نبت له شوك أبيض مفرده سيالة .

(٤) أروع : أفزع وأخيف ، والغزالة : مؤنث الغزال والشمس عند طلوعها ، وفى (س) «أروق» أى أعجب والأولة أقرب الى الأصل .

(٥) فى (س) «الأيام» بدل «الأعوام» .

(٦) أعتبت : أرضيت ومنه العتبى كالعقبى وهى الرضا .

(٧) سجالا : متناوبة ، يقال الحرب بينهم سجال ؛ سجل (بفتح السين وتسكين الجيم) أى دلو على هؤلاء وآخر على أولئك يعنى مرة لهم ومرة عليهم .

(٨) فى (ه) «اضطرمت» أى احترقت بدل «اضطربت» وفيها «بحظى» بدل «بحظى» أى نصيبى .

وبِشْرٍ يأخذ الأقوامُ منه   أمامَ نوالِ راحته النّوالا

ولمّا أنْ دعاكَ إليه « بدرٌ »   « سبقتَ إلى تداركه العُجالى » (١)

فأحزنتَ السهولَ حمّى « وجُرْداً »   محصّنةً وأسهلتَ الجبالا (٢)

وأبصرها « هِلالٌ » خارقاتٍ   ذيولَ النقْعِ يحملن الهلالا (٣)

« عوابس » كلّما طرحت قتيلاً   جعلن ضَفير لِمّته قِبالا (٤)

عليهنّ الأُلى جعلوا العوالى   ـ وما طالتْ ـ بأيديهمْ طوالا

كأنّ على قُنِيّهمُ نجوماً   « خَرَزْن » على القوانس أوذُبالا (٥)

ومذ « صقلوا » سيوفهمُ المواضى   بأعناق العدا هجروا الصقالا (٦)

تُمَدُّ الحربُ منك بلَوْذَعِيٍّ   يسعّرها إذا خَبَتْ اشتعالا

وقلبُك ياجرىء القلب قلبٌ   كأنّك ما شهدتَ به القتالا

« وذى » لَجَبٍ تألّق جانباه   كأنّ به على الآفاقِ آلا (٧)

---

(١) بدر : هو بدر بن حسنويه الكردى ورتبه عضد الدولة البويهى بعد موت حسنويه فولاه على الجبل وهمذان والدينور وبروجرد ونهاوند وأسد آباد وغيرها وكانت له هيبة شديدة وشجاعة وعدل وسخاء وكان كثير البر والصدقات كثير التسبيح والصلاة وقعت له حرب مع هلال ابنه فاستنجد بعضد الدولة فجهز له أباغالب فخر الملك وزيره فأنجده وأخباره مستفيضة فى كتب التاريخ منها المنتظم لابن الجوزى وكامل ابن الاثير وغيرها وذكره الدكتور عبد الرزاق محي الدين فى كتابه أدب المرتضى « ص٢٥٦ » وأنه توفى سنة «٤٠٣» والذى ذكره ابن الجوزى أنه توفى «سنة ٤٠٥» وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ودفن هناك . راجع المنتظم حوادث « سنة ٤٠٥ » ، وجاء فى (س) « له » بدل « إلى » وفى « أدب المرتضى » « سبقت له لتدركه عجالا » .

(٢) فى النسخ « غراً » بدل « جرداً » ورجحنا ما أثبتناه عن « أدب المرتضى » .

(٣) النقع : غبار الحرب .

(٤) فى (س) « عوانس » ، والضفير : المضفور من الشعر ، واللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، والقبال (بالكسر) : زمام النعل يكون بين الأصابع الوسطى والتى تليها .

(٥) القنى : جمع القناة وهى الرمح وجاء فى أدب المرتضى « حزرن » تصحيف « خرزن » والقوانس : جمع القونس وهو أعلى بيضة الحديد ، والذبالة : الفتيلة التى احترق بعضها .

(٦) فى (س) « صقلت » بدل « صقلوا » .

(٧) فى « هـ » « وذو » بدل « وذى » ، وجيش ذولجب : كثير أصوات الأبطال وصهيل الخيل ، وتألق : لمع ، والآل : السراب .

وفيه كلُّ سَلْهَبَةٍ « جَموحٍ » يعاسلن المثقّفةَ الطِّوالا (١)
فَلَوْتَ بكلِّ أبيضَ مشرفيٍّ بكَبَّتِهِ رءوساً لا تُغالى (٢)
ومَنْ لولاكَ زوّارُ الأعادى إذا ملّوكَ زدتَهمُ ملالا
وشاهقةٍ حماها مُبتنيها وطوّلها حذاراً أن تُنالا (٣)
وحصّنها وعند الله علمٌ بأنّك لم تدع « فيها » عِقالا (٤)
تراها تستدقّ لمن علاها كأنّ بها وما هُزِلَتْ هُزالا
وقُلّتُها تمسّ الأفقَ حتّى تقدّرها بخدّ الشمسِ خالا (٥)
ظفرتَ بها وضيفك من بعيدٍ يرى ما كان فيه إليك آلا (٦)
وما كان الزّمانُ يرى عليها لغير الطير جائلةً مجالا
نقلتَ بما نقلتَ قلوبَ قومٍ وبحسبك الغنيُّ نقلتَ مالا
وسقتَ إلى « قوام الدّين » فتحاً يرى كلَّ الفتوح له عيالا (٧)
وكم لك قبله من قاطعاتٍ مدا «الآفاق» لم تخفِ الكلالا (٨)
إذا ما بات يقلب جانبيها « قوامُ الدين » تاه بها وصالا
فخذها فوق ما تهواه منها عطاءً ما لقيتَ به مِطالا

---

(١) السلهبة من الخيل : الطويلة الضخمة العظام ، وفى (هـ) « سموح » بدل « جموح » ويعاسلن : يسابقن ، وعسل بمشيته : عدا باضطراب ومنه الذئب سمى العسال وكذا الرمح اللدن المهتز ، والمثقفة : الرمح .

(٢) فلوت : ضربت والكبة . الحملة فى الحرب والضربة الشديدة التى تصرع المضروب وتكبه على وجهه .

(٣) الشاهقة : العالية ويعنى بها القلعة التى كانت لهلال بن بدر الكردى فاستولى عليها فخر الملك ، راجع (ص ٢٥٧) من أدب المرتضى .

(٤) فى (س) « منها » بدل « فيها » .

(٥) الخال : الشامة .

(٦) آل الأمر إليه : رجع .

(٧) قوام الدين : بهاء الدولة .

(٨) فى (س) « الأيام » بدل « الآفاق » .

ومجدك إنه قسمٌ جليـــلٌ لقد أتعبتَ فى الدّنيا الرّجالا
إذا طلبوك فُتَّهُمُ جميـلاً وإنْ رَمَقوك رُعْتَهُمُ جمالا
فمالكَ ليس ترضى عن محلٍّ كأنك بعــدُ لم تُصبِ الكمالا ؟
أَشَـتَّ أتمّنا خُلُقاً وخَلْقاً وأبسطَنا يميناً أو شمالا ؟
فما يبغى الذى يضحى ويُمسى وقد جمع المهابةَ والجلالا ؟
ومَن لولاه كان الناسُ فَوْضَى وكان الأمر مُطَّرَحاً مُذالا [1]
فدمْ يا فخرَ « ملك » بنى بُوَيْهٍ دواماً لا نريد به زوالا [2]
وقبلك مَن حرامٌ فيــه مدحى فخذه اليوم مبـــذولًا حلالا

* * *

وقال (أدام الله تأييده) يهنىء فخر الملك (أعز الله نصره)

بعيد النحر الواقع فى سنة اثنتين وأربعمائة[3]:

نَوِّلينا منكِ الغــداةَ قليلا وصِلينا فقد هجرتِ طويلا
ودعينا من المَلالِ فمــا نعــرفُ مولًى فى الحبِّ إلّا ملولا
وأطيعى فينا العــذولَ فما زلــتِ تطيعين فى المحبِّ العذولا
وعِدينا فربّما علّل الوعـــد فى الماطلين قلباً عليلا
قد مررنا على الدّيار تبــدّلْــن دثوراً بجِدّةٍ وخمولا
نَكِرتْها منّا العيونُ فمــا تعرفُ إلّا رسومَها والطّلولا
وبوادى البَشامِ مَن لو رشفنا ه شفينا من الفؤاد غليـــلا [4]

---

(١) المذال . المتحول عنه والمتروك ضجراً .
(٢) فى (س) « كل » بدل « ملك » .
(٣) أشار الناظم فى الشهاب إلى مطلع هذه القصيدة وأورد تسعة أبيات منها (ص ٦٨–٦٩).
(٤) البشام : شجر عطر الرائحة يستاك بعيدانه ، والغليل : شدة العطش .

جمع الحسنَ وجهُه فتولّى   يحسبَ العارَ كلَّه أن يُنيلا

قلْ لمغْرٍ بالصّبرِ وهو خلىٌّ   وجميلُ العذولِ ليس جميلا

ما جهلنا أنّ السُّلوّ مريحٌ   لو وجدنا إلى السّلوّ سبيلا

جزعت للمشيب « جانبةُ الشّيـ   ـبِ » وقالت بئسَ النّزيلُ نزيلا (١)

ورأتْ لِمّةً كأنّ عليها   صارماً من مشيبها مسلولا

راعها لونُه ولم ترَ لولا   عَنَتُ الغانياتِ « منه » مهولا (٢)

عانيتْ منه والحوادثُ يُفكرْ   ن طلوعًا لم ترجُ منه أُفولا (٣)

لا تذمّيه فالمشيبُ على طو   ل بقاءِ الفتى يكون دليلا

إنّ لون الشّباب حالٌ لو امتـ   ـدّ زمانٌ أنّى لها أن تحولا

لو تخيّرتُ والسّوادُ ردائى   ما أردتُ البياضَ منه بديلا

وحسامُ الشبابِ غيرُ صقيلٍ   هو أشهى إلىّ منه صقيلا

قد طلبنا فما وجدنا عن الشّيـ   ـبِ محيصًا يُجيرنا أو مُميلا

إنّ فخرَ الملوكِ والدّين والدّو   لةِ ألقى علىّ منّا ثقيلا

نلتُ منه فوق المُنى وعُدمنا   قبله مَن « يبلّغ » المأمولا (٤)

فمتى ما مَثَلتُ بين يديه   مدّ ضَبْعِى حتّى شأوتُ المُثولا (٥)

وقرانى والشّاهدون كثيرٌ   منه ذاك التّرحيبَ والتأهيلا

ثم أدنى إلى المحلّ الذى ينـ   ـظر نحوى فيه المساقون حُولا (٦)

---

(١) فى (س) « جاء به الصد » فى موضع « جانبة الشيب »

(٢) العنت : العناد والمشقة ، وفى (س) « شيئاً » بدل « منه » .

(٣) الأفول : الزوال والغياب .

(٤) فى (س) « ينول » بدل « يبلغ » .

(٥) مثل بين يديه قام منتصبا ، والضبع : العضد أو وسطها ، ومد ضبعه وأخذ بضبعه . أنعشه وقدمه على غيره ، وشأى : سبق .

(٦) الحول : جمع الأحول .

كلَّ يومٍ له صنيعٌ كريمٌ كان للدّهر غُرّةً وحجولا
وأيادٍ جاءتْ وما « بعث » العا فى إليهـا من الطُّلابِ رسولا [(1)]
« مُشرقاتٍ » كما نظرتَ الثُّريّا أرِجاتٍ كما نشقتَ الشَّمولا [(2)]
وولوعٍ بالجود يُجزِلُ إن أعـ ـطى نفيساً وإنْ أجاب سؤولا
ترك العـــذرَ للبخيل وكم نحّى اعتذاراً من الملام بخيلا
سلْ به إنْ جهلتَ أيّامه الغـــرَّ اللّواتى علّمن فيــه الجهولا
مَن سطا بابن واصل بعـــد أنْ كا ن لملك المـلوك خطباً جليلا ؟ [(3)]
أزّه فى قَرارةٍ تخــذ اللُّجّـ ـةَ منها كهفاً له ومَقيلا [(4)]
فى سفينٍ ما كنّ بالأمسِ فى « أرْ بَقَ » إلّا نجائباً وخيولا [(5)]
وألالا مَذْروبةً ودروعاً ورماحاً خطّارةً ونُصولا [(6)]
مستجيراً بغمرةِ المـاء لا ينـ ـوى مقاماً ولا يريد رحيلا
كره الموتَ فى النّزالِ عزيزاً فانثنى هارباً فمات ذليلا
والجبـــال اللّاتى اعتصَمْن على كلّ « مُريغٍ » جعلتهنّ سهولا [(7)]

---

(١) فى (هـ) « بغت » تصحيف « بعث » ، والعافى : طالب المعروف .

(٢) فى (هـ) « مشرفات » بالفاء أى عاليات بدل « مشرقات » ، والشمول : الخمرة .

(٣) هو العباس بن واصل صاحب البصرة والبطيحة هزم جنود السلطان البويهى فى جملة معارك الى أن جهز بهاء الدولة مع فخر الملك جيشاً فسار إليه ومشى عاصراً له ، وبعد معارك طاحنة كاد يهلك فيها السلطان انتصر وزيره (راجع ص٢٥٨ من أدب المرتضى للدكتور عبد الرزاق محيي الدين).

(٤) لزه إلى كذا : دفعه إليه مضطراً ، القرارة : المطمئن ، والقاع : المستدير يجتمع فيه الماء ، واللجة : معظم الماء والبحر .

(٥) أربق : كذا فى (هـ) وهى من نواحى رامهرمز من خوز ستان ، وفى (س) « وأدب المرتضى » « إربل » وهى بلدة مشهورة فى شمال العراق .

(٦) الألال : جمع الألة وهى الحربة وعود فى رأسه شعبتان كالفالة ، والمذروبة : الحادة ، ورمح خطار : ذو اهتزاز .

(٧) المريغ طالب الشىء على وجه المكر ، وفى (س) « فريع » لعلها من فرع بتشديد الراء وفرع الجبل : علاه ونزله ، وفى « أدب المرتضى » قريع والقريع هو الشجاع كالمقارع .

لم تنلها ختلاً وشرٌّ من الخيـ   ـبةِ فى الأمر أن تكون ختولا
وأبيها « تلك » القِلالُ لقد ما   طَلْن من بأسك الشديد مُطولا [1]
لم يؤاتين طيعاتٍ ولكنْ   زُلْن لمّا أعيَيْتها أنْ تزولا
وهلالٌ أرادها غِرّةً منـ   ـك فولّى وما أصاب فتيلا [2]
زار « وَهْنًا » كما تزور ذئاب الـ   ـقاع ليلاً « فسالةً » ونكولا [3]
ورأى نفسه تهاب من الحر   ب جهاراً فاختان حرباً غَلولا [4]
فتلقّيته كمنتظرٍ منه   طلوعاً وكان يرجو « القُفولا » [5]
فى رجالٍ شمٍّ إذا رغِموا الضّيـ   ـمَ أسالوا من الدّماء سيولا [6]
ألِفوا الطّعنَ فى الترائب واللّبّـ   ـاتِ شيباً وصِبْيَةً وكهولا [7]
فثوى بعد أن مَنَنْتَ عليه   فى إسارٍ لولاه كان قتيلا
لابساً رِبْقَةَ الحياةِ وقد كا   ن قطوعاً « عِقْدَ » الحياةِ حَئولا [8]
يا أعزّ الورى نِجاراً وخِيماً   ومحلًّا وجانباً وقبيلا [9]
والذى عاد كلُّ صعب من السُّوْ   دُدِ والمجد فى يديه ذَلولا

---

(١) فى « أدب المرتضى » « ملك » محرفة من « تلك » .

(٢) يعنى هلال بن بدر بن حسنويه الكردى المار ذكره فى القصيدة التى قبل هذه ، والغرة (بالكسر) : الغفلة ، والفتيل : القشرة التى فى بطن النواة ، وما أصاب فتيلا : أى لم يصب شيئا .

(٣) وهنا : ليلا والوهن منتصف الليل ، وفى (هـ) « ليلا » بدل « وهنا » ، والفسالة : النذالة ، وفى (س) و « أدب المرتضى » « خسارة » محرفة ، وفى (هـ) « فسولة » .

(٤) الغلول بالفتح : الخائنة ، والغلول بالضم الخيانة .

(٥) فى « أدب المرتضى » « القفولا » مصحفة عن « قفولا » أى الغفلة التى أشار إليها بالغرة ، والقفول بالقاف : الرجوع .

(٦) رغموا الضيم : أكرهوا عليه .

(٧) الترائب : الصدور ، واللبات : النحور .

(٨) الربقة كالخلقة تربق أى تشد بها الشاة وغيرها ، والعقد : القلادة ، وفى « أدب المرتضى » « حبل » بدل « عقد » .

(٩) النجار بالكسر : الأصل ، والخيم (بالكسر أيضا) : الطبيعة والسجية .

شكر الله منك أنك سهّلـ   ت إلى بيته العتيق الوصولا
ورفاق الحجيج لولاك ما كا   نوا على المشعر الحرامِ نزولا
لا ولا عقّروا بخَيْفِ مِنًى نيـ   ـباً وجرّوا على المقـام ذيولا (١)
أنتَ شاطرتهمْ مقيماً بأوطا   نك ذاك التّكبير والتّهليلا
إنّ عيد النّحرِ المبارك قد جا   ء سريعاً بما تحبّ عجولا
« فأغشـه ناعمَ » الجوانح جَذْلا   نَ شروداً في الطيّبات دَخولا (٢)
لا جفاك السّعودُ من كلّ يومٍ   وتلقّاك بكرةً وأصيلا
وقضى الله في بقـائك في عـ   ـزّ عزيزٍ مَرامُـه أن يطولا
ثمّ أعطـاك في « الأعزّ وفي الأشـ   ـرفِ » ذاك الرّجاء والتّأميلا (٣)
فابْنا أنجبا وطابا فروعاً   فبما طبتَ إذ نجبت أصولا
وعلى مثل ما عهدنا ليوثُ الـ   ـغاب تمضي قدْماً عهدنا الشُّبولا

* * *

وقال يمدح جلال الدولة في المهرجان وعيد النحر :

على المزمعين البين منّا عشيّـةً   سلامٌ وإن كان السّلامُ قليلا (٤)
وما ضرّهمْ لمّا أرادوا ترحُّلاً   عن الجِزْع لو داوَوْا هناك عليلا؟ (٥)
ولو أنّني ودّعتهمْ يوم بينهمْ   قضيتُ ديوناً أو شفيتُ غليلا (٦)

---

(١) النيب : النوق .
(٢) في (س) « فاغتنمه غض » بدل « فاغشه ناعم » ، والجذلان : الفرح .
(٣) الأعز والأشرف : ابنا فخر الملك .
(٤) المزمع : العازم على الأمر الماضي فيه .
(٥) الجزع : محلة القوم وبطن الوادي .
(٦) الغليل : حرارة الحب أو الحزن أو العطش .

ولمّا وقفنا بالدّيار التى خلتْ ... بكينا على سكانّهنّ طويلا
وكانت دموع النّاشجين عليهمُ ... بوادٍ جَفَتْهُ المعصراتُ سيولا [1]
وعزّ على طرف بأنْ كان بعدهمْ ... يرى أرْبُعاً حلّوا بهنّ طلولا
فلا تطلبوا منّى دليلاً على الهوى ... كفى بضنى جسمى عليه دليلا [2]
ولا تحملوا ثِقْلاً علىّ من الهوى ... كفى بالهوى حِمْلاً علىّ ثقيلا
أحبُّ التى ضنّتْ علىّ بوصلها ... وقد أزمع الحىُّ الحلول رحيلا [3]
وظنّ بغاةُ الشّرّ أنّى أملّها ... وهيهات قلبى أن يكون ملولا
خليلىّ علّلانى على الحبّ بالمُنَى ... إذا كنتُ لا أرضى سواكِ خليلا
وقلْ لىَ فيما أنتَ حيّيتَ قائلاً ... لعلّ ضنيناً أن يجود ضنيلا
أيا ملك الأملاك خذْ ما سألتَه ... فما زلتَ لله الكريم سؤولا
وحاشا دعاء منك يصدر فى ضحًى ... وعند مساء أن يخيب قبولا
وما كان إلّا اللهَ لا شىء غيره ... برجع الذى غلّوه منك كفيلا [4]
ولمّا تراخى منك نصرٌ عهدتَه ... وظنّوا جواداً بالنّجاح مَطولا
وكانتْ هَناةٌ باعد الله شرّها ... وكان عليها راعياً ووكيلا [5]
ركبتَ من النّصر الذى قد عهدتَه ... من الله عَوْداً للرّجال ذَلولا [6]
ولم تك إلّا ساعةً ثمّ أسفرتْ ... كما رفعتْ أيدٍ هناك سُدولا [7]
فعاود رمح الله منك مثقّفاً ... وعاد حسامُ الله منك صقيلا

---

(١) الناشج : الباكى ، والمعصرات : السحب الممطرة .
(٢) الضنى : المرض المزمن .
(٣) ضنت : بخلت .
(٤) غلوه : أخذوه غيلة وخيانة .
(٥) الهناة : الداهية .
(٦) العود (بفتح فسكون) : الجمل المسن .
(٧) السدول : الأستار .

وقد علم الباغون أنك زرتَهم تجرّ رَعيلاً نحوهمْ ورعيلا [1]
فلم يسمعوا إلّا صهيل صواهلٍ وإلّا لصكّاتِ الحديدِ صليلا
وحولك طلّاعون كلّ ثنيّةٍ إلى الموت صِرْفاً صِبْيَةً وكهولا
كأنّهمُ أسْدُ الشّرى حول غابةٍ حَمَيْن وقد جدّ النّزالُ شبولا
ومحتقرين للحِمام تخالهمْ هجوماً على غير الحمام نزولا
وكلّ جرىءِ البأس مثل حياته إذا خاف ذلّا أنْ يموت قتيلا
فما صدّقوا حتّى رأوا جانب الفلا يفيض رجالًا نُسَّلًا وخيولا [2]
وظنّوا نجاةً منك والبَغْيُ صائرٌ قيوداً لهم لا تنثنى وكُبولا [3]
سلبتَ الرّجالَ المقدمين نفوسَهمْ وكلّ النّساء المُحْجَبات بُعولا
فلم يك إلّا فى التّراب مُجَدّلًا وإلّا مُقاسٍ فى يديه جَديلا [4]
فللّه يومُ القاع أوسعَ من ردًى وساق إلى خَطْمِ الفحول فحولا [5]
حسبناه والآسادُ من خَلَلِ القنا تَضارَبُ فيه بالصّوارمِ غِيلا [6]
ولمّا رأوها رايةً مَلَكيّةً تولّوْا كسِرْبِ الرّيْدِ مرْجفولا [7]
وألقوا جميعاً كلّ مافى أكفّهمْ أعِنَّةَ جُرْدٍ سُبَّقٍ ونُصولا
وما أسرعوا إلّا لكَرْعِ حُتوفهمْ كما أسهلَ الموتُ الزّؤامُ وُغولا [8]
لعمرُ أبيها فتنةٌ لم تَصِرْ لنا وليًّا على طول الزّمان قتيلا

(١) الرعيل: كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال.
(٢) نسلا: مسرعين.
(٣) الكبول: القيود.
(٤) الجديل: الحبل المجدول أى المفتول.
(٥) القاع: الأرض الواسعة المطمئنة، والخطم: وضع الخطام فى الرأس.
(٦) الغيل: الشجر الكثير الملتف وموضع الأسعد.
(٧) السرب: القطيع من الظباء وغيرها، والريد: الحرف الناتىء فى الجبل.
(٨) الحتوف: الهلاك، والوغول: الدخول.

وعادتْ على مَن كان أضرم نارها — وبالًا وحَيْنًا لا يُعاجُ وَغُولا (١)
وكانتْ جبالًا شاهقاتٍ ودسْتَها — فغادرتَها بيداً لنا وسهولا
فلا تطمعوا فى مثلها بعد هذه — فمن عزّ لا بالحقّ عاد ذليلا
أمِنْ بعد نعماه عليكمْ عريضةٍ — جررتَ لها بين الأنام ذيولا
وكان لساحات الجرائم طاويًا — صَفوحًا وساعات العثار مُقيلا
تعرّيتَ منه بعد ما كنتَ تنتمى — إليه ولا تبغى سواه بديلا
فلو أنتَ بُلّغتَ الذى قد بَغَيْتَه — لما كان عذرٌ جاء منك جميلا
وكيف بلوغٌ للذى سوّلتْ به — لك النفس مغروراً ولستَ عديلا
ولمّا كسوتَ الجذْعَ منك بشِلْوِه — رأينا رجاءً للقلوب وسولا (٢)
وأطعمتَ منه الطيرَ رغمًا لأنفه — وكان طعامًا يَجْتَويه وبيلا (٣)
فإنْ لعبتْ يمناه فينا فإنّه — بملعبةٍ للعاصفاتِ مُثولا
تصرّفه أيدى الرّياح فتارةً — جَنوبًا وأخرى بالعشيِّ شُمولا
ولم يُبقِ فيه ما رأته عيونُنا — تِراتٍ لنا مطويّةً وذُحولا (٤)
هنيئًا بهذا العيد والفتح بعده — وبالمِهْرَجانِ غُدْوَةً وأصيلا
ولا زال هذا الملك ملكَك سرمداً — ودار مقامٍ رغدةً ومقيلا
وإنْ ذبلتْ أغصان قومٍ فلا رأتْ — أغصنك عينٌ للزّمان ذبولا
ولا زلتَ فينا آمراً متحكّمًا — عزيزاً قؤولًا فى الأنامِ فعولا

* * *

---

(١) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك ، ولا يعاج : لا يعطف ولا عال ، والغول : المهلكة
(٢) الشلو : العضو ، والسول : السؤل .
(٣) يجتويه : يكرهه .
(٤) الترات : جمع الترة وهى الثأر ، والذحول : الذحل (بالفتح) وهو الثأر .

وقال يعزي جلال الدولة عن ابنته التي عقد عليها للملك أبي كاليجار

في المحرم « سنة ٤٣٠ »

قل للنوائب قد أصبتِ المقتلا وسقيتِنا فيما جنيتِ الحنظلا
أثكلتِ مَنْ أمّا جزعنا ثُكلَه أنسيتنا من قبله ما أُثكلا
فالعينُ يجري ماؤها لا للصّدَى والقلبُ يُوقَدُ جمرُهُ لا للصَّلَى(١)
عادات هذا الدّهر أن يحتلَّ منّا الأماثلُ المأمولَ ثمّ الأمثلا
إنّا نبدّل كلَّ يومٍ حالةً بخلافها من قبل أن نتبدلا
وينقّل الإنسانُ عن حالاتِه ولِداته من غير أن يتنقّلا(٢)
نبني المعاقلَ للخطوب فإنْ أتتْ رُسُلُ الحِمام فما أبتنينا معقلا
كم ذا لنا تحت التّرابِ محاسنٌ ترمى على عمدٍ إلى نحو البِلَى
والمرء في كفّ الزّمان وديعةٌ كي تقتضَى وحديقةٌ كي تُختَلَى(٣)
ماذا البكاء على الذي ولّى وقد جُعلتْ له جنّاتُ عَدْنٍ منزلا ؟
وعلى مَ نُسقَى الصّابَ فيه وإنّه يُسقَى هناك كما يشاء السَّلْسَلا
ملكَ الملوكِ أصغ لقولةِ ناصحٍ حُكْمُ الصّوابِ لمثلها أن تقبلا
إنْ كنت حُمّلْتَ الثّقيلَ فلم تزلْ للحزم أنهض للثّقيل وأحملا
عمرٌ قصيرٌ ما انقضى حتّى قضَى فينا بأنّ لك البقاءَ الأطولا
يا حاملًا أثقالنا حوشيتَ أنْ تعْيا بأمرٍ كارثٍ إنْ أعضلا
ما إنْ عهدنا الدّهرَ إلّا فارجًا بك ضيّقًا أو موضحًا بك مشكلا

---

(١) الصدى: العطش ، والصلى (بالفتح أو الكسر): الوقود والاستدفاء بالنار .
(٢) اللدات : جمع اللدة وهو الترب ومن يولد معك في وقت واحد ويتربى .
(٣) تختلى : يجز ويقطع نبتها .

فدعِ التفجُّعَ والتوجُّعَ والأسى ... وخذ الأجلَّ من الفتى والأجملا
خيرٌ من الماضى لنا الباقى ومنْ ... ثاوٍ تعجَّله الرَّدى مَنْ أجَّلا
فلئنْ هوى جبلٌ فقد أثوى لنا ... خلفاً له ملأ الكنانة أنصُلا (١)
لا تعجبوا منه يصاب فإنما ... ندعو إلى ثِقْلِ الرحال الأبزلا (٢)
إنَّ العواصفَ لاتنال من البنا ... إلا بناء كان منها أطولا
فاصبرْ لها فلطالما أوسعتنا ... فى المعضلات تجلداً وتحمُّلا
وإذا جزعتَ من المصاب فقل لنا ... مَن ذا يكون إذا جزعنا المَوْئلا ؟ (٣)
فتعزَّ بالباقى عن الفانى ردًى ... وبمن ثوى وله الهوى عمَّن خلا
أخذ الذى أعطى وبقَّى بعده ... أوفى وألْيَقَ بالبقاء وأجملا
وإذا قضى الله القضاء فكنْ إلى ... بَغَتاته مستأنساً مترسِّلا
لا تأمننَّ بنائمٍ لك دهرَه ... يُعطى المرادَ ولا تُجوِّز أعدلا
ما إنْ ترى فى العمر سوءاً بعدها ... فاقبل من الدهر المسىء تنصُّلا (٤)
كم ذا شققتَ إلى بلوغ إرادةٍ ... قَلْبَ الخميس وخضت فيه القَسْطَلا (٥)
وقطعتَ فى أرَبٍ بهيماً مظلماً ... وركبتَ فى طَلَبٍ أغرَّ محجَّلا (٦)
لله درُّك فى مكانٍ ضيِّقٍ ... أرضيتَ لمَّا أنْ غضبتَ المُنْصُلا (٧)
والذابلُ العسَّالُ يأبى كلَّما ... طعنَ الشواكلَ والكُلى أنْ يذبلا (٨)

---

(١) أثوى: أبقى ، والكنانة : وعاء السهام ، والأنصل : جمع النصل وهو حديدة السهم والسيف.
(٢) الأبزل: الأشد الأقوى اسم تفضيل من البزل وهى القوة والشدة، والبازل : الجمل ابن التاسعة.
(٣) الموئل : المرجع والملاذ .
(٤) التنصل : البراءة .
(٥) الخميس : الجيش ، والقسطل : غبار الحرب .
(٦) الأرب : الحاجة .
(٧) المنصل (بضم الصاد وفتحها) : السيف .
(٨) الذابل : الرمح الدقيق والعسال : المهتز ، والشواكل : جمع الشاكلة وهو البياض ما بين الأذن والصدغ .

والخيلُ يخبطن الجماجمَ كلّما ... خبطتْ خيولُ النا كلين الجرْولا (١)
لا راعنا فيك الزّمان ولا رأتْ ... عينُ أمرىء شِعْباً حللتَ مُعطّلا
وَعلتْ ديارَك كلُّ هَوْجاء الخُطا ... تدع الكميَّ معفراً ومجدَّلا (٢)
وإذا تخلْخلَ يَذْبُلٌ عن جانب ... أرسى به جُنُبْتَ أنْ تتخلْخلا (٣)
وبقيتَ فينـــا آمراً متحكّماً ... ومعظّماً بين الأنامِ مُبَجّلا
وسقى الإلهُ ترابَ مَن كانتْ على ... رغم الأنوف بنـــا الغمامَ المُسْبِلا

* * *

وكتب هلال بن المحسن بن أبي إسحاق الصابي إليه

هذه الأبيات في التقرّب إليه والمودّة :

أسيّدَنا الشريفَ عَلَوْتَ عن أنْ ... تضاف إليك أوصافُ الجلالَهْ
لأنك أوْحَـدٌ والنّاسُ دونٌ ... ومَن يسمو لمجـــدك أنْ ينالَهْ ؟
وفُتَّ وزدتَ فضلاً ، إنّ فضلاً ... كفضلك لا تحيط به مقالَهْ
ولى أمَلٌ سأُدركه وشيكاً ... بعون الله فيك بلا محالَهْ
وليس على مُوَالاتى مزيدٌ ... لأنّى لم أرِثْهـــا عن كلالَهْ (٤)

* * *

فقال مجيباً له :

متى يُبدِي الكثيبُ لنا غزالَهْ ... ويُدْنى من أناملنا منـــالَهْ

---

(١) الجرول : الأرض ذات الحجارة .
(٢) الهوجاء : الحمقاء المتسرعة ، والكمى : الشجاع المتكمى أى المتغطى فى سلاحه ، والمجدل : المصروع .
(٣) يذبل : اسم جبل .
(٤) الكلالة : بعد النسب ومن تكال نسبه بنسبك لم يكن لحافيه ، ولم يرثها عن كلالة : أى لم يرثها عن عرض وبعد ، بل عن قرب واستحقاق .

وكيف يُنيلنا مَن ليس نَلْقى ـ وقد وعد النّدى ـ إلّا مطالَهْ
أراد زيارتى غلطاً فلمّا مددتُ لنيلها كفّى بدا لَهْ
ولمّا أنْ جفا عينى نهاراً رضيت بأنْ أرى ليلاً خيالَهْ
وعِفتُ حرامَه فأنال عينى وقلبى فى الدُّجى منه حلالَهْ
يُرِى عينى الكرى أنّى أراه ولم أرَ فى الكرى إلّا مِثالَهْ
عدمتُ صحيحَه فرضيتُ قَسْراً بأنْ ألْقى على سِنَةٍ مُحالَهْ (١)
وقولٍ زارنى فوددتُ أنّى وقيتُ بمهجتى مَن كان قالَهْ
ذكرتُ به التّصابى والغوانى وأيّامَ الشّبيبةِ والبطالَهْ
وكيف ألومُ إمّا لمتُ دهراً ضللتُ به فأطلعَ لِى هِلالَهْ ؟
ولمّا أنْ ظمئتُ به سقانى عذوبتَه وأوردَنى زُلالَهْ
وكان من العِدا قلبى نفوراً على حَذَرٍ فكان له الحِبالَهْ (٢)
غفرتُ له ذنوبَ الدّهرِ لمّا أتى كفّى فأعلقها وِصالَهْ
وما أنا مصطفٍ إلّا خليلاً رضيتُ على تجاربه خِلالَهْ
تركتُ بجانبِ الوادى ثُماماً فلم أعرض له وجنيتُ ضالَهْ (٣)
وإنّك من أُناسٍ ما رأينا لهمْ إلّا الرّياسةَ والجلالَهْ
علَوْا قُلَلَ الكلامِ الجزْلِ فينا وحلّوا كيفما شاءوا جبالَهْ
وكمْ رامَ امرؤٌ بهمُ لُحوقاً بطرقِ المأثراتِ فما استوى لَهْ

---

(١) السِنة : أول النعاس والنوم الخفيف ، ومنه قوله تعالى « لا تأخذه سِنة ولا نوم » وقال عدى بن الرقاع :

وَسْنانُ أقصده النعاسُ فرنّقَتْ في عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

(٢) الحِبالة : ما يصاد به .

(٣) الثمام : نبت ضعيف ، والضال : شجر كالسدر .

وما زالوا بيوم ندًى سيولًا مفخرةٍ ويوم وغًى نصالَهْ
وكم ماضى البيان رددتَ منه غبيًّا لا تبين له مقالَهْ
وذى لَسَنٍ رجعتَ به صموتاً وذى جَدَلٍ عكستَ له جِدالَهْ (١)
فخذها اليومَ قافيةً شروداً تجوب بها البلادَ ولا ضلالَهْ
فإنْ قَصُرَتْ فقد أغنتْك منها إشاراتٌ لَطُفْن عن الإطالَهْ
فلا مَلَلٌ لقلبى منك دهراً وحاشا اللهَ قلبى من مَلالَهْ

* * *

وقال فى الغزل :

ألا يا أحسنَ الثقلين عَبْلَا أنِلْنى اليومَ مَن يهواك نيلا (٢)
يميل إليك من كَلَفٍ ولكنْ إلى مَن لا يَميل إليه ميلا
فإنْ لم يأتِهِ منكم رسولٌ نهاراً فاجعلوه إليه ليلا
وقد قَطَرَ الجفاء فأوسعوه فسال علىَّ بعد القَطْر سيلا
ولو كنتُ المكَّنَ من مُرادى جررتُ على الطريق إليك ذيلا
فإنْ لم آتكمْ فى ظهر طِرْفٍ ركبتُ أخامصى نُجُبًا وخيلا (٣)

* * *

وقال فى الأدب :

ألا لا تصِدْنى بإطماعةٍ فلستُ على طمعٍ مقبلا

---

(١) اللسن (بفتحتين) : الفصاحة والبيان .
(٢) الثقلان : الإنس والجن ، والنيل : الحس التام .
(٣) الطرف (بالكسر) : الكريم من الخيل .

فأنَّى ممَّنْ إذا نمته   قبيحاً يذمّ به قال لا
وحلم لىَ فى الذلِّ من موطنٍ   ولا أجعل الفحشَ لى منزلا
ومنَّ بـــلا ذنبٍ أصطفيـ   ـه على ما به ذنبٌ إنْ حلا
أصيبتْ مقاتلُ كلِّ الرجا   لِ وما أن أصابوا لِىَ المقتلا
وكم ذا فرجتُ لهمْ ضيقاً   وكم ذا كفيتُ لهمْ معضلا

* * *

وقال يصف طيف الخيال (١) :

ومزورٍ زارنى والليـــل داجٍ   فملَّنى بباطله وولَّى (٢)
سقانى ريقَه مَن كنتُ «دهراً»   مصدوداً عن مراشفه محلَّا (٣)
وأبلى فوق ما أهواه منه   وما يدرى بما أعطى وأولى
وأرخص قربه بالليل مَن لم   ينلنا قربه بالصبح أغلى
نعمنا بالحبيب دجى فلما   تولى واضمحلَّ لنا اضمحلا
فإنْ يك باطلا فنعيمُ حبٍّ   أفاقَ به قليلا أو أبلَّا (٤)
تلاقٍ «لا تخف» ولا نبالى   بمن أوحى به وعليه دلَّا (٥)
ولو أنَّ الصباحَ يطيع أمرى   لما كشف الظلامَ ولا تجلَّى

* * *

وقال فى النسيب :

إنْ كنتُ أزمعتُ عن وجدى بكم هرباً   فلا سقانى الغمام علَّا ولا نهلا (٦)

---

(١) أورده الناظم بكماله فى «طيف الخيال» ص ١٠٠ .
(٢) المزور : الزائر ، وداج : مظلم .
(٣) فى طيف الخيال «دهرى» بدل «دهراً» ، والمصدود : المصد مطرود ، والمراشف : الشفاه والمحلا . أصله المحلأ مهموز أى المبعد .
(٤) أبل من مرضه : أفاق وبرئ .
(٥) فى «طيف الخيال» «لا يخاف» بدل «لا تخاف» .
(٦) العل والنهل : الشرب ثانية ، والنهل : الشرب أولا .

ليس التبدّلُ في الأهواء مِن خلقِي ... ولو تبدّلتَ منكمْ لم أجدْ بدلا
من غير جرمٍ ولا عذرٍ لمعتذرٍ ... مللتمُ كَلِفاً لا يعرف المَلَلا

* * *

وقال في الطيف (١) :

إنْ كان طيفُك زارنا ... فلقد تجنّبَنا طويلا
علّلتمْ بطُروقكمْ ... ومحالكم قلباً عليلا (٢)
ما كان يرضى بالكثيـ ... ـرِ وبعدكمْ رضيَ القليلا
فهو الغداةَ كفاقدٍ ... أحبابَه ندَب الطُّلولا
أوجدتموه إلى الأما ... ني في لقائكمُ السّبيلا

* * *

وقال يشكر على صنيع أسدى إليه :

أسيفَ الدّين قد حمّلتَ ظهرى ... عوارفَ لا أطيق لها احتمالا
ثقائلَ لو حُملنَ على شَرَوْرَى ... لزال بها شَرَوْرَى أو لَمالا (٣)
هززتُك صارماً لم ينبُ عنّى ... لأمرٍ ما ارتضيتُ له الرّجالا
فكنتَ إلىّ أسرعَ من غمامٍ ... تبجّسَ أو مسيلَ الشِّعْبِ سالا (٤)
ولمّا أنْ سألتُك في مهمّ ... وجدتُك قد سبقتَ به السّؤالا
ومهما كنتَ لي درعاً حصيناً ... فما أخشى المثقّفةَ الطِّوالا
وإما كنتَ لي جبلاً منيعاً ... فلم ينل العِدا منّى منالا

---

(١) وردت في « طيف الخيال » (ص ١٠٥)

(٢) الطروق : الإتيان ليلا .

(٣) شرورى : اسم جبل لبني سليم .

(٤) تبجس : تفجر ، والشعب : بطن الوادى .

وإنك من أناسٍ إنْ أغذّوا بطُرْقِ الفضلِ لم يجدوا الكلالا(1)
فإنْ تقصُرْ فإنّ لها وشيكاً كما تهواه أمثالاً طوالا
ولمّا حزتُمُ أملى أمرتمْ لسانى أنْ يقولَ لكمْ فقالا
ومَن لم يدّخرْ عنّى فعالاً كريماً كيف أدّخرُه المقالا ؟

* * *

وقال يرثى أحد ذويه وقد توفى بمرض أصابه :

أما ترى الرُّزْءَ الذى أقبلا حمّلَ قلبى الحُزْنَ الأثقلا ؟
بُليتُ والسالمُ رهنٌ على قضيّةِ الدّهرِ بأنْ يُبتَلى
مُجرَّحاً لا حاملٌ جارحى بكفّه رمحاً ولا مُنْصَلا(2)
يُقرَعُ مَرْوى بأكفّ الرّدى يرد عنى من قبل أنْ ينزلا(3)
وإنْ تأمّلتُ أوانَ الرّدى رأيتُ ليلاً دونه أليلا(4)
كأنّنى أعشى وإنْ لم أكنْ أعشى من الأمر الذى أشكلا(5)
يابؤسَ للإنسان فى عيشه يُسامُ منه أوّلاً أوّلا
يَنْأى عن الأهل وما ملّهمْ ويُبدِل الحىَّ وما استبدلا
بين ترى فى ملإٍ دارَه حتّى تراه فى صَعيدِ المَلا(6)
فقل لقومٍ زرعُهمْ قائمٌ زرعُكمْ لابدّ أنْ يُختَلى(7)

---

(1) أغذوا : أسرعوا .
(2) المنصل (بضم الميم والصاد أو بفتح الصاد) : السيف .
(3) المرو : الحجر الصلب
(4) ليل أليل : حالك شديد السواد .
(5) الأعشى : من لا يبصر ليلا .
(6) الملأ (بالهمزة) : الجماعة ، والصعيد : التراب ، والملا (بلا همزة) : الصحراء الممتدة .
(7) يختلى : يجز ويقطع ، والخلى : الرطب من النبات وقيل كل بقلة مقتلعة .

وقلْ لمن سُرَّ بتخويله ... خُوِّل مَنْ يأخذ مَنْ خوَّلا
وقلْ ناشٍ فى غِراسِ الرَّدى ... أنسيتَ مَن يستمر الأرجلا
أمْتعَك الدّهرُ فلم تخشَه ... وإنّما أسمن مَن أهزلا
إنْ تلفه للمرء مستركباً ... فهو الذى تنقاد مُستنزلا
أوْ صانه عن بذله مرّةً ... فهو الذى يرجع مستبذلا
فلا يغرّنك ومِيضٌ له ... ما لاح فى الآفاق حتى أنجلى
ولا تصدّقْ مائناً دأبُهُ ... أن يكذبَ القولَ وأنْ يبطلا (١)
وإنّما يكرع بصرفَ الرّدى ... إمّا طويلَ اللّبثِ أو مُعجَلا
فما الذى يجزعُ من طارقٍ ... إنْ لم يزرْ يوماً فما أمهلا ؟ (٢)
نمى إلى قلبيَ شطراً له ... من حقّه أنْ يلقم الجندلا
فقلتُ ما أحسنتَ بلْ يافتى ... ما أحسن الدّهرُ ولا أجملا
يادهرُ كم تنقل ما بيننا ... مَن ليس نهوى فيه أن ينقلا ؟
تأخذ منّا واحداً واحداً ... بل تأخذ الأمثلَ فالأمثلا
أفنيتَ بالأمس شقيقاً له ... فانظرْ إلى حظّك ما أجزلا
فعدتَ تستهلك ما حزته ... صبراً فصبرٌ غاية المبتلى
قالوا : تسلّ اليومَ عن فائتٍ ... فقلتُ : بُعْداً لفؤادٍ سلا
لا تعذلوا المُعولَ حزناً له ... فخيرُكم مَن ساعد المعولا
أيُّ فتًى فارقنا عنوةً ... رَحّلَ عنّا قبلَ أن نرحلا
لا الجدُّ مملولٌ لديه ولا ... يُخاف فى الخلوةِ أنْ يهزلا
وذو عفافٍ كلّما سامه ... ذو الغشّ منه مرّةً قال لا

---

(١) المائن : الكاذب .

(٢) الطارق : الآتى ليلا .

لا تألفُ الرِّيبةُ أبوابَه ولا خلا في سيّئٍ إنْ خلا

ياغائباً عنّي ولولا الرّدى ماغاب عنّي الزّمنَ الأطوَلا

سَرْبَلَني ما لا بديلٌ له وربّما استبدل مَن سربلا

لا أخطأتْ قبرَك هطّالةٌ ولا عداك المزْنُ إنْ أسبلا

وجانبٌ أنتَ به ساكنٌ لا عدم القطرَ ولا أمحلا

ولا يزلْ والجدْبُ في غيره مُرَوَّضاً حَوْذانُه «مُبْقِلا»(1)

وامضِ إلى حيث مضى معشرٌ كانتْ لهم في الدّرجاتِ العُلا

وتحرْ لما صاروا فأنت الذي أعددتَهمْ في حَذَرٍ مَوْئِلا(2)

فيهمْ شفيعٌ لك إنْ زلّةٌ كانتْ وإنْ بعضُ عثارٍ خلا

وجنّةُ الخلدِ لهمْ إذْنُها وموقَداتُ النّارِ لا للصِّلا(3)

وحبُّهمْ والفوزُ في حبّهمْ أخرجَ مَن أخرجَ أو أدخلا

* * *

وقال في النسيب(4):

أمَلِلْتَني وزعمتَ أنّـ ـك خائفٌ منّي المَلالَهْ ؟

وأطعتَ فيَّ وما أطعْـ ـتَ محرّفاً أبداً مقالَهْ

وعلمتَ منّي ما علمْـ ـتَ فلِمْ عطفتَ على الجهالَهْ ؟

يامَنْ جفاني في الضّحى وأزارني وهناً خيالَهْ(5)

---

(1) الحوذان : نبت طيب الرائحة ، والمبقل : الذي فيه البقل ، وفي الأصل « منبلا » مصحفة .

(2) الموئل : المرجع والملاذ .

(3) الصلا (بالفتح والكسر) : الوقود والاستدفاء بالنار .

(4) أورد منها في طيف الخيال ثلاثة أبيات ورابعاً لم يرد في الأصل ويأتي بعد الرابع منها وهو :

• ورضيتُ منه بأنْ ترى عيناي في سِنَةٍ مِثالَهْ

(5) وهناً : ليلاً ، والوهن : وقت منتصف الليل .

وحُرِمتُ منه صحيحَــه   وقبلتُ مضطرّاً مُحـالَهْ
هل ضامنٌ منـكمْ لنـــا   ضمن الجميل فما بَدا لَهْ ؟

* * *

وقال فی رثاء صدیق :

لم تدعْ لِي نُوَبُ الأيّــــامِ فی الخلْقِ خليلا
أنا صِفْرٌ مِن أخلاّ   ئی وما كنتُ مَلولا [1]
فمتی يسمح لِي الدّهْـ   ـرُ وقد كان بخيلا
بخليلٍ جُبتُ فی تحْـ   ـصيلِهِ البُعدَ الطّويلا [2]
أخذَتْه مِنّيَ الأقْـ   ـدارُ صَعْبــاً وذَلولا
وطوَتْه عنِّيَ الأرْ   ضُ «أغتصاباً وغُلولا» [3]
فمتی استبدلتُ عنــه   لم أجدْ عنه بديلا

* * *

وقال فی طلب العزّ :

ياطالبَ الدّنيا على ذلٍّ بهـــا   أعززْ على بأن أراكَ ذليلا
مالِی أراكَ حَمَلْتَ فی طلب الغِنی   ـ ولربّما صَفُرَتْ يداكَ ـ ثقيلا [4]
لو كنتَ تعقل أو تشـاور عاقلاً   كان الـكثير وقد ذَلَلْتَ قليلا
ذاكَ أمرؤ جعل المذلّةَ دهرَه   طَلَبَ المغــانِمِ منزلاً مأهولا

---

(١) صفر : خالية .
(٢) جبت : قطعت .
(٣) الغلول : الخيانة ، وفى الأصل « اغتصاباً وفلولا » والظاهر تصحيفها .
(٤) صفرت : ضد كثرت وربما يقصد بصفرت من الصغار أى ذلت بدليل الأبيات التى بعد هذا البيت.

عدِّ المطامعَ كيفَ شئتَ وخذْ بها   مِلْءَ اليدين من العفاف بديلا
وإذا فجعتَ بماء وجهك لم يُفِدْ   إنْ نلتَ من أيدى الرّجال جزيلا

* * *

وقال فى العتاب :

لعنــــةُ الله على مَنْ   كان بالودّ بخيلا
وإذا آثر نَيْلًا   كانَ للشرّ مُنيلا
وإذا جرّبتَ منه   مَضْرِباً كان كَليلا [1]
وكثيراً فإذا أسْتَنْـ   ـصرتَهُ عاد قليلا
وجميلَ الوجه لو كنـ   ـتَ ترى منـــه الجميلا
وصحيحاً فإذا سِيـ   ـمَ ندًى كان عليلا
ليس حَظّى وهْوَ حظّى   فى الورى إلّا قليلا
« قِطّهُ » الرّاحةُ لو أنْـ   ـتَ إلى الرَّوْحِ سبيلا [2]

* * *

وقال فى الحكم :

دعِ الغنى لبنيـــهِ   إنْ شئتَ أنْ لا تذلّا
كم ذا تعلّقُ ظِلًّا   مزايلًا مُضْمَحِلّا ؟
إنْ أنتَ أعرضتَ عنه   جثا إليك وحلّا
وإنْ رآك حريصاً   عليـــه يوماً تولّى
مَنْ فكَّ رِبْقةَ حِرْصٍ   فإنما فكَّ غلّا [3]

---

(١) فى الأصل « خيلا » محرفة عن « كليلا » .

(٢) قطه : نصيبه ، ومنه قوله تعالى « عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب » ، وفى الأصل « قطمه » ، والروح : الراحة .

(٣) الربقة : الحلقة يربق بها أى يشد ، والغل (بالضم) : الطوق من حديد يجعل فى اليد أو العنق .

وَمَنْ يَحِلَّ صنيعـــــاً كان الأعزَّ الأجلاّ

مَنْ ملَّ حَمْلَ ثقيلٍ من الرّجالِ أُمِلّا

ومن تـكثّر يوماً بالنّاسِ ذلَّ وقلّا

لا تطلبنَّ دواء للدّاء كان المُعلّا

ولا تبـعْ بحرامٍ من المعيشـــةِ حِلّا

للهِ نَدْبُ جرىء رأى الغبينةَ ذُلّا [1]

وعَـــــدَّ مافى يديهِ ثِقْلاً عليـــه وكَلّا

واستلَّ بين رجالٍ من العَضِيهةِ سَلّا [2]

ما العيشُ إلاّ كبرقٍ أو عارضٍ يتجلّى [3]

يعطيك جزءا ويأبى شُحًّا فيأخـــذ كُلّا

☆☆☆

وقال فى الشيب :

يا أسمُ إنّ صبابتى بك لو أويتِ لها طويلَهْ

وأخذتِنِي بذنوبِ شيـ بٍ لم تكنْ لى فيه حِيلَهْ

نزلتْ شَواتى وَخطَةً منه احاذرها نزيلَهْ

وقضى الشّبابُ وليتَـه لمّا قضى لم يقضِ غِيلَهْ

كان الشّبابُ وسيلتِي فالآن مالِي من وسيلَهْ

لكِ مِنَّةٌ يوم الفرا قِ ـ وقدوقفتِ لنا ـ ثقيلَهْ

وأسَوْتِ بالتّوديع فى يوم النّوى نفساً عليله [4]

---

(١) الغبينة : الخديعة .

(٢) العضيهة : البهتان .

(٣) العارض : السحاب المعترض .

(٤) أسوت : عالجت ، ومنه الآسي وهو الطبيب

وأنلتِ منـك عطيّةً ... ما كنتِ قبلُ لها مُنيلَهْ
هـ، عنـد مَن حمَل الغرا ... مَ كثيرةٌ وهى القليلَهْ

* * *

وقال فى العتب :

قلْ لقومٍ ما لـكمْ فيـ ... ـما قضى الرّحمان حِيلَهْ
كانتِ النيّاتُ منـكمْ ... كلُّها غـــيرَ جميلَهْ
رمتُمُ الغيلةَ والمُغـ ... ـتالُ من يذهب غِيلَهْ
ومودّاتٌ لـكمْ ما ... تتْ وقد كانت عليلَهْ
ربّ من يرجع بالنقـ ... ـصِ وقد أمّ الفضيلَهْ
لم تـكنْ دولتُـكمْ إلّا ... كما نهوى قليلَهْ
فخذوها حسرةً تبْـ ... ـقى على الدّهر طويلَهْ
امرَدّيـكمْ وشيـكاً ... منّــــةٌ فينا جزيلَهْ
ما ضربتمْ يومَ جدلْـ ... ـتُمْ بأسيافٍ كليلَهْ (1)
لا ولا جادتْ عليـكمْ ... بالرّدى كفٌّ بخيلَهْ

* * *

وقال يرثى الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء سنة «٤١٣» :

لكِ اللّيـلَ بعـد الذّاهبين طويلا ... ووفدَ همومٍ لم يردن رحيـــــلا
ودمعٍ إذا حبّسته عن سبيـــــله ... يعود هتوناً فى الجفون هطولا
فياليت أسرابَ الدموعِ التى جرتْ ... أسَوْن كليماً أو شفين غليلا (2)

---

(1) جدلتم : صرعتم ، والكليلة : ضد الحادة .

(2) أسون : عالجن ، ومنه الآسى وهو الطبيب ، والكليم : المجروح ، والغليل : حرارة العطش أو الحب أو الحزن .

أخال صحيحاً كلّ يوم وليلةٍ ... ويأبى الجوى ألّا أكون عليلا
كأنّى وما أحببتُ أهوى مُمَنَّعاً ... وأرجو ضَنيناً بالوصال بخيلا
فقل للذى يبكى نُؤيًا ودِمْنةً ... ويندب رسماً بالعراء مَحيلا (١)
عدانى دمٌ لى طُلّ بالطف إنْ أرى ... شجيًا أبكّى أرْبُعاً وطلولا
مصابٌ إذا قابلتُ بالصبر غَرْبَه ... وجدتُ كثيرى فى العزاء قليلا (٢)
ورُزءٌ حملتُ الثِّقلَ منه كأنّنى ... مدى الدّهر لم أحمِلْ سواه ثقيلا
وجَدتمْ عُداةَ الدّين بعد محمّدٍ ... إلى كَلْمِه فى الأقربين سبيلا
كأنّكمُ لم تنزعوا بمكانه ... خشوعاً مبيناً فى الورى وخمولا
وأيُّكمُ ما عزّ فينا بدينه ؟ ... وقد عاش دهراً قبل ذاك ذليلا
فقل لبنى حربٍ وآلِ أُميّةٍ ... إذا كنتَ ترضى أن تكون قؤولا :
سللتمْ على آلِ النبىّ سيوفَه ... مُلِئْنَ ثُلوماً فى الطُّلَى وفلولا (٣)
وقُدْتمْ إلى مَن قادكمْ من ضلالكمْ ... فأخرجكمْ من واديه خيولا
ولم تغدروا إلّا بمن كان جدُّه ... إليكمْ لتَحْظَوْا بالنّجاة رسولا
وترضون ضدَّ الحزم إن كان ملككمْ ... [بَديناً] وديناً دنتموه هزيلا (٤)
نساءُ رسول الله عُقْرَ ديارِكمْ ... يرجِّعن منكمْ لوعةً وعويلا
لهنّ ببَوْغاء الطّفوف أعزّةٌ ... سُقوا الموتَ صِرْفاً صبيةً وكهولا (٥)
كأنّهمُ نُوّارُ روضٍ هوَتْ به ... رياحٌ جنوباً تارةً وقَبولا (٦)

---

(١) النؤى: حفير يطيف بالخباء يصرف عنه ماء المطر، والدمنة: ما بقى من آثار الدار، والمحيل: المجدب.
(٢) الغرب : الحدّ .
(٣) الطلى : جمع الطلية وهى الرقبة ، والفلول : الثلوم مفردها الفل .
(٤) بدينا : سميناً وهذه الكلمة ساقطة من الأصل وضمناها لاقتضاء السياق لها .
(٥) البوغاء : دقيق التراب ، والطف والطفوف : إسم لأرض كربلاء .
(٦) النوار والنور : زهر أبيض ، والقبول (بالفتح) : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور .

وأنجمُ ليلٍ ما علونَ طوالعاً ... لأعينِنَــــا حتّى هبطن أفولا
فأيُّ بدورٍ ماتمحين بكاسفٍ ... وأيُّ غصونٍ مالقين ذبولا
أمِن بعــد أن أعطيتموه عهودَكم ... خفــــافاً إلى تلك العهود عجولا
رجعتم عن القصد المبين تناكصاً ... وحُلتم عن الحقِّ المنــير حُؤولا (١)
وقعقعتمُ أبوابَه تختِــــلونَه ... ومَن لم يردْ خَتْلاً أصاب ختولا
فمــا زلتمُ حتّى أجاب نداءكمْ ... وأيُّ كريمٍ لا يجيب سَؤولا ؟
فلمّا دنا ألفاكمُ في كتائبٍ ... تطاوَلن أقطار السّباسب طولا (٢)
متى تلك منها حَجْزَةً أو كحجزةٍ ... سمعتَ رُغاءً « مضعفاً » وصهيلا (٣)
فــلم يرَ إلّا ناكثاً أو مُنكّباً ... وإلّا قَطوعاً للذّمامِ حَــلولا
وإلّا قعوداً عن لِمامٍ بنصْرِه ... وإلّا جَبوهاً بالرّدى وخــذولا
وضِغْنَ شَغافٍ هبّ بعــد رقاده ... وأفئدةً ملأى يفِضْنَ ذُحولا
وبيضاً رقيقــاتِ الشّفار صقيلةً ... وسمراً طويلاتِ المتون عُسولا (٤)
ولا أنتمُ أفرجتمُ عن طريقــه ... إليكمْ ولا لمّا أراد قُفولا (٥)
عزيزٌ على الثّاوي بطَيْبَةَ أعظُمٌ ... نُبِذْنَ على أرض الطّفوف شُكولا (٦)
وكلُّ كريمٍ لا يلمّ بريبــةٍ ... فإنْ سيمَ قولَ الفحش قال جميلا

(١) التناكص : الرجوع ، والحؤول : التحول والميل .
(٢) السباسب : القفار مفردها سبسب .
(٣) الحجزة : المرة من المحاجزة وهي كف العدو عن القتال وهي قبل المناجزة ، والرغاء : صوت ذوات الخف ، ومضعفا : مضاعفا كثيرا ، وفي الأصل « مصمتا » ولم نجد لها معنى مناسباً .
(٤) العسول والعواسل : الرماح اللدنة اللينة .
(٥) القفول : الرجوع .
(٦) طيبة : اسم المدينة المنورة ، وشكولا : من الشكال وهو البياض الذي يخالطه احمرار أو اصفرار .

يذادون عن ماء الفراتِ وقد سُقوا الـ ... شّهادةَ من ماء الفرات بديلا [1]

رُموا بالرّدى من حيث لا يحذرونه ... وغُرّوا وكم غَرّ الغُفولُ غَفولا

أيا يوم عاشوراء كم من فجيعةٍ ... على الغُرّ آلِ الله كنتَ نَزولا !

دخلتَ على أبياتهم بمصابهمْ ... ألا بئسما ذاك الدّخول دُخولا

نزعتَ شهيدَ الله منّا وإنّما ... نزعتَ يميناً أو قطعتَ قايلا [2]

قتيلًا وجدنا بعده دينَ أحمدٍ ... فقيداً وعزّ المسلمين قتيلا

فلا تبخسوا بالجور مَن كان ربُّه ... برَجْمِ الذى نازعتموه كفيلا

أُحبُّكُمُ آلَ النبىّ ولا أرى ... وَإنْ عذلونى عن هواى عديلا

وقلت لمن يُلحى على شَغَفِى بكم ... وكم غيرِ ذى نصحٍ يكون عذولا

رُوَيْدَكُمُ لا تنحلونى ضلالَكمْ ... فلن تُرحِلوا منّى القَذاةَ ذَلولا

عليكم سلامُ الله عيشاً ومَيْتَةً ... وسَفْراً تطيعون النّوى وحلولا

فما زاغ قلبى عن هواكم ، وأَخْمَصى ... فلا زلّ عمّا ترتضون زليلا

* * *

وقال فى البرق :

جلب البرقُ لقلبى ... إذ سرى بَرْحًا طويلا [3]

ـلَ للعينين فى جُنْـ ... ـح الدُّجى سيفاً صقيلا

وهدانى فى سُرى اللّيـ ... ـلِ ـ وقد جُرتُ ـ السّبيلا [4]

(١) يذادون : يطردون ويبعدون

(٢) القايل : القلة وهى أعلا الشيء ويريد بها الرأس .

(٣) البرح : الشر والشدة .

(٤) جرت عن الطريق : ملت وعدلت ، ولعل الأصل « جزت »

وأرانى من بعيـــد ذلك الحىَّ الحلولا
وخيـــاماً حلهنّ الـ حسنُ صَعْباً وذَلولا
لم أزلْ أسأل فيهــنّ على الفقر بخيـــلا
وعزيزاً صرتُ فى الحبّ له عبداً ذليـــلا
كلّمــــا استبدل منّى لم أردْ منــه بديلا

✡ ✡ ✡

باب اللام المكسورة

قال يرثي الأمير أبا شجاع بكران بن أبي الفوارس وكتب بها إلى الوزير أبي علي وهو بواسط يعزيه (فيه للمودة التي كانت بينهم):

إنا نُعلَّلُ كلنا بمحـــــالِ ... ونُغَرُّ بالغدوات والآصالِ
وكأننا نرعى القَوَاء من الطَّوى ... أبداً ونكرع من ظمأ في آلِ [1]
يهوى الفتى طول البقاء ودونه ... وَلَعُ الرَّدى وتعرّضُ الآجالِ
وتقوده آمالُه ووراءها ... قَدَرٌ يحطّم غَرْبَةَ الآمالِ [2]
والمرء بين مصيبةٍ في النفس أو ... في الأهل أو في الحال أو في المالِ
ولئن عفتْ عنه الحوادث إنه ... رهنٌ لبعض تقلّبِ الأحوالِ
وسجيّـــةٌ للدّهر في أبنائه ... إلحاقُ كلٍّ مؤثّلٍ بزوالِ [3]
لله مُفتَقَدٌ تحيّف فقـــدُهُ ... من جانبيَّ وحزّ في أوصالي [4]
وأصمَّ ناعيه الغـــداة مسامعي ... ورمى سوادَ جوانحي بخَبـالِ
وأزارني وفدَ الهموم يسُمْنَني ... شَطَطَ المُنى فينلْن كلَّ منالِ [5]
وأباتني قَلِقَ الوساد كأنني اســــتَبْطَنْتُ للجنبين شوكَ سَيالِ [6]
يبدو غَرامي والتجلّدُ مقصدي ... ويُجيبني دمعي بغير سؤالِ [7]

---

(١) القواء : القفر لا نبت فيه ، والطوى : الجوع ، والآل : السراب .
(٢) الغربة : الحدة .
(٣) المؤثل : المؤصل .
(٤) تحيف الشيء : أخذه من حافاته وتنقصه ، والأوصال : المفاصل .
(٥) الشطط : مجاوزة القدر .
(٦) السيال : جمع سيالة (كسحاب وسحابة) : وهو نبات له شوك أبيض .
(٧) الغرام : اللازم من العذاب ، ولذا سمي الحب الشديد غراماً لما يلازمه من العذاب والتجلد : التصبر .

ومتى طلبتُ الصّبر عنــه وجدتُه | فى حَــيِّزِ الإعوازِ والإقلالِ
يانازحاً غدرتْ به غــدّارةٌ | لا يُتَّقَى مكروهــا بنزالِ
طالتْ به أيدى الخطوب ورُزْؤُه | أبقى ذُرا العلياء غــير طوالِ
رفعوا جوانب نعشه فكأنمـــا | رفعوا به جبلًا من الأجبالِ
وطوَوْا عليــه صفائحًا ما نُضِّدَتْ | إلّا على الإنعـــامِ والإفضالِ [1]
وأرَوْه غيرَ مضاجع لدنيّـــةٍ | ونعَوْه غـــيرَ مدنَّسِ الأذيالِ
وتصدّعوا عن جانبيـــه وإنّه | عَطَنُ الوفودِ ومجمعُ الأقوالِ [2]
مَنْ «للذّمارِ» إذاالفحولُ «تهادَرَتْ» | وخلطن بين تخبّطٍ وصِيالِ ؟ [3]
مَنْ للوفود تصامتوا عن حجّـةٍ | مَنْ للخصومِ تفاغروا لجدالِ؟ [4]
مَنْ « للضّريك » إذا غدا فى أزْمَةٍ | صِفْرَ اليدين وراح بالأموالِ ؟ [5]
مَنْ للجيوش يقودها فيُعيــدها | محفوفةً بالسَّبْيِ والأنفـالِ ؟ [6]
مَنْ للخيـولِ يُثيرها « مِقْوَرّةً » | مثلَ الدَّبَى هاجَتْهُ رِيحُ شمالِ ؟ [7]
مَنْ للقنـــا يروى صدورَ صِعاده | فى كلِّ رَوْعٍ من دمِ الأبطالِ ؟ [8]
مَنْ للسّيوف يفلّ حـــدَّ شفارها | بالضّربِ بين كواهلٍ وقِلالِ ؟ [9]

---

(١) الصفائح : جمع الصفيحة وهى حجارة عريضة ملساء تبلط بها القبور .

(٢) العطن : مبرك الغنم .

(٣) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته ، ويوم الذمار : يوم الحرب ، وفى (س) « الديار » ، وتهادرت : تجاوبت بالصياح ، وفى (س) « تهاترت » محرفة ، والصيال : من الصول والصولة وهى الحملة .

(٤) تفاغروا : تصايحوا ، وفغرفاه : فتحه .

(٥) الضريك : الفقير ، وفى (س) « الصريخ » .

(٦) الأنفال : الغنائم .

(٧) المقورة : المخروق وسطها خرقاً مستديراً ، ومعنى البيت أنه يثيرها لكثرتها من كل جانب فتصبح كالحلقة المفرغة الوسط . وفى (س) « مغوارة » ، والدبى : صغار الجراد ، مفردها دباة .

(٨) الصعاد : جمع الصعدة وهى القناة المستوية .

(٩) الكواهل : جمع الكاهل وهو أعلى الظهر ما بين الكتفين . والقلال : الرءوس ، مفردها القلة (بالضم) .

كشفتْ بطونُ الأرضِ شمسَ ظهورِها ... واستصحبتْ جوًّا لها فى جالِ [1]
هيهات ضلَّ عن القضاء وصرفِهِ ... كيدُ الشجاعِ وحيلةُ المحتالِ
أأبا علىٍّ لن تُراعَ بمثلِها ... فاصبرْ لها ولَصَبْرُ غيرِكَ غالِ
يا حاملَ الأثقالِ ما حُمِّلْتَهُ ... ثِقَلٌ وليس كسائر الأثقالِ
فذُدِ الدموعَ عن الجفون وطالما ... جمدتْ فلم تقطرْ على الأهوالِ
ومتى طوى عنكَ السُّلُوُّ سبيلَه ... فالبسْ لمن يلقاكَ ثوبَ السالى
وتعزَّ عمَّنْ لا يعزَّى بعده ... إلّا مكارمُ أُبقيتْ ومعالى

* * *

وقال يفتخر [2] :

رضينا من عِدانِك بالمِطالِ ... ومن جَدواكِ بالوعد المحالِ [3]
وأقنعنا هواكِ وقد ظمئنا ... إلى وِرْدِ الزلالِ بكلِّ آلِ [4]
وأنسانا دوامُ الهجر منكمْ ... وطولُ النأى أيامَ الوِصالِ
وكنتِ الزَّوْرَ يطرقنى مساءً ... وإنْ منع الضحى فإلى ظِلالى [5]
إلى أن صدَّكِ الواشون عنّا ... فما نُزدارُ إلّا فى الخيالِ
إلى كم تطلبين وليس عندى ... على الأيامِ عذراً فى المَلالِ ؟
وأشقى الناسِ مَن يُضحى ويُمسى ... يبالى فى الهوى مَن لا يبالى
وبيضٍ راعهنَّ البيضُ منّى ... فقطَّعْنَ العلائقَ من حبالى
جعلن الذنبَ لى حتّى كأنّى ... جنيتُ أذى المشيب على جمالى

(١) الجال : القبر .
(٢) وردت قطعة من هذه القصيدة فى « الشهاب » (ص ٥٩) .
(٣) العداة : الوعد ، والجدوى . العطاء .
(٤) الآل : السراب .
(٥) الزور : الزائر .

وليس الشيب من جهتى فألحى ... ولا ردُّ الشبيبة فى احتيالى
وما أنسى عشيةَ يومِ « جَمعٍ » ... ونحن نضمّ منتشرَ الرِّحالِ (١)
وإذ أُدْمُ المطىِّ معقّلاتٌ ... على وادى مِنًى بيد الكلالِ
نسالا من بنى ثُعَلٍ بن عمرو ... يُصبن هناك أفئدةَ الرِّجالِ
خرجن إلى المحصَّبِ سافراتٍ ... وجيدُ الليلِ بالجوزاء حالى
يمشّين بمَسْقَطِ الجمراتِ فينا ... كما روّعتَ حيّاتِ الرِّمالِ
فحيّاهنّ ربُّ البيتِ عنّا ... وأيّاماً بهنّ بلا ليالِ
سقى اللهُ المنقّى من محانٍ ... وما يحويه من سَلَمٍ وضالِ (٢)
وكم لى فيه من زمنٍ قصيرٍ ... بمن أهوى وساعاتٍ طِوالِ !
وأقوامٍ جرَوْا فى كلّ فضلٍ ... بلا لَجمٍ إلى «عالى» الكمالِ (٣)
بأفئدةٍ إذا احتربوا رزانٍ ... وألسانٍ وأقدامٍ عجالِ
وأغنوا فى ندًى ووغًى جميعا ... وما غبنوا بأثمان المعالى
بدورٌ إنْ سريتَ بهم هَدَوْا ... ففى يدك الأمانُ من الضلالِ
تُناط حمائلُ الأسيافِ منهم ... بعاتقِ كلّ ممتدٍّ طُوالِ (٤)
همُ منعوا من المكروه سربى ... وساقوا الأمنَ يرتع فى رحالى (٥)
وأعدَوْنى وكلُّ اليأسِ عندى ... بنصرِهمُ على نُوَبِ الليالى (٦)
كأنّى فيهمُ من ذى حِفاظٍ ... يُلاطم عنك خِرصانَ العوالى (٧)

---

(١) جمع (بلالام) : المزدلفة ؛ موضع بمنى .
(٢) السلم والضال : شجر .
(٣) فى (هـ) « عانى » بدل « عالى » تصحيف .
(٤) الطوال (بالضم) : الطويل .
(٥) السرب : القلب .
(٦) أعدونى . أعانونى .
(٧) الحفاظ : كالذمار والذمام : وهو الذب عن المحارم ، والخرصان : جمع الخرص وهو الرمح القصيرة ، والعوالى : الرماح .

تهيب به حفيظته فينزو ... كما تنزو السهامُ بكلِّ غالِ (١)
ومولًى عَلَّنِي طَرْقاً أجاجاً ... بما أسقيه من عذبٍ زلالِ (٢)
هِــدانٌ لا يريد السِّلْمَ إلَّا ... إذا ما كان يجبن عن قتالى (٣)
أرى فى وجهه ماء التصافى ... وفى أحشائه نارَ التقالى (٤)
يساميني فتُمليني عليــه ... أهاضيبُ الرَّواسخِ من جبالى
فقل لمُسوِّفٍ بلوغَ شأوى ... ويمناه تقصّر عن منالى (٥)
أَبِنْ لى أين قَطْرُكَ من سيولى ... وأين حضيضُ أرضِك من قِلالى؟ (٦)
وكيف يُعدُّ بى مَنْ ليس فيه ... لباغى المجد شئٌ من «خِلالى»؟ (٧)
تَضِنُّ يمينُه بالنَّزْرِ منها ... وأسخو للعُفاةِ بكلِّ مالى (٨)
وليس لوعــده أبداً نجاحٌ ... ويسبق موعدى أبداً نوالى
ألم تَرَ أننى أحذو قديمى؟ ... وأحذو إنْ حذوت على مثالى
وأدَّرِعُ الدّجى واللّيلُ خافٍ ... وأركب غاربَ الخطْبِ الجُلالِ
وأكشفُ باطنَ الأمرِ المعمَّى ... وأطلعُ فى «الدَّآدى» كالهلالِ (٩)
بعِرْضٍ لا أجود به مصونٍ ... ومالٍ لا أضِنُّ به مُذالِ (١٠)
سل الأبطالَ عنّى يومَ «سَلْعٍ» ... وسيلُ الموتِ مُنحاثٌ العَزالى (١١)

---

(١) تهيب به : تزجره وتهيجه ، والحفيظة : الحمية ، والنزو : الوثوب ، والغالى : الرامى .

(٢) علنى : سقانى ، والطرق : الماء المطروق الذى خاضت فيه الإبل وبالت ، والأجاج : الماء الملح المر .

(٣) الهدان : الأحمق والثقيل فى الحرب جمعها هدون .

(٤) التقالى : البغض .

(٥) الشأو : الغاية .

(٦) القلال : جمع القلة وهى أعلى الجبل .

(٧) الخلال : الخصال ، وفى (ه) « جلالى » بدل « خلالى » .

(٨) تضن : تبخل ، والعفاة : جمع العافى وهو طالب المعروف .

(٩) الدءآدى : جمع الدأداء وهى من الليالى الشديدة الظلمة ، وفى (س) « الدرارى » محرفة.

(١٠) أضن : أبخل ، والمذال:المبذول .

(١١) سلع : (بلاأل) موضع ، والعزالى:جمع العزلاء وهو مصب الماء من القربة ونحوها .

إذا عُقِد الغُمارُ الجونُ ليلاً ... ترى فيه الأسنةَ كالذُّبالِ (1)
وقد ألقى التضاغطُ كلَّ رمحٍ ... فليس الطعنُ إلّا بالنصالِ
ألستُ هناك أسبقهم بضربٍ ... وأشفاهم لذى الداءِ العُضالِ ؟
أعِد نظراً لعلّك أن تراها ... مُنَشَّرَةَ النواصى كالسَّعالى (2)
تخال بها وقدرُ الحربِ تغلى ... من النَّزَوانِ مسًّا من خَبالِ
وإنّ جلودها تهمى نجيعاً ... طلاها اليومَ بالقَطِرانِ طالى (3)
وفوق ظهورهنّ بنو المنايا ... إذا لاقوا وأبناءُ القتالِ
فيقضى نحبَه قلبٌ مُعنًّى ... أضرَّ به أفانينُ المِطالِ

* * *

وقال يمدح الطائع لله لمودة وأسباب مستحكمة كانت بينهما (4) :

ما الحبُّ إلّا موئلُ المتعلّلِ ... وبراعةُ اللاحى وطولُ العُذَّلِ
خُدَعٌ إذا أصطلتِ النفوسُ بنارها ... لم تبقَ فيها مُسكةُ المُتجمّلِ
عُذْ بالسُّلوِّ على الغرامِ فإنه ... أمدُ المشوقِ وعزّةُ المتذلّلِ
لله قلبٌ ما اطمأنّ به الهوى ... إلّا تلوّمَ مُزمِعٍ متحمّلِ
لا تحسبَنْ ودّى لأوّلِ راغبٍ ... طوعَ العيونِ ونُهزَةَ المتعجّلِ (5)
فلَطالما أعرضتُ عن وجه الهوى ... وثنيتُ عن جهة الغوانى كَلْكَلى (6)
أمّا وقد صبغ المشيبُ ذوائبى ... للناظرين فلاتَ حين تغزّلِ (7)

(1) عقد : غلظ وكثف ، والجون : الأسود ، والذبال : جمع الذبالة وهى الفتيلة .
(2) السعالى : جمع السعلاة وهى أنثى الغول كما تزعم العرب .
(3) النجيع : الدم ، والقطران : النفط الأسود .
(4) وردت قطعة منها فى « الشهاب » (ص ٦٠) .
(5) النهزة (بالضم) : الفرصة يقال فلان نهزة المختلس : أى صيد لكل واحد .
(6) الكلكل : الصدر .
(7) لات : بمعنى ليس .

وأزال من خطر المشيب توجّعي | على بأنْ ليس الشّبابُ بمَعْقِلِ
فلئن جزعت فكلُّ شيء مجزعي | ولئنْ أمنتُ فشيمـــةُ المسترسلِ
حسبُ الفتى زمنٌ يقرّب صرفهُ | ما بين كلّ إقامةٍ وترحّلِ
ممّا « يمِلّ » الحزمَ إنْ لم يُرْدِهِ | ظفرُ المقيمِ وخيبـــةُ المتوغّلِ (١)
جُهْدُ « العليمِ » كعفو آخرِ جاهلٍ | والنُّجْحُ للسّـاعى له والمُؤْتَلِي (٢)
حتّى مَ تأنسُ بالحوادثِ همّتى ؟ | والدّهرُيوحش« ظِنّةَ » المتأمّلِ! (٣)
أُلقِى على الأيّامِ وطأةَ حازمٍ | متــكشّفِ الأعضـاء خافى المقتَلِ
ومتى قدرتُ « على » الزّمان بسطوةٍ | فعلى أميرِ المؤمنين توكّلى (٤)
بالطّائع اُطّادَتْ مذاهبُ أمّةٍ | فَوَضَى على سُنَنِ النبيّ المرسلِ (٥)
نال الخـلافةَ وهى أبعـدُ مرتقًى | وأقام فيهـــا وهى أكرمُ منزلِ
كملتْ أداةُ المجد فيـــه وربّمـا | كَمَلَتْ رياسةُ مُخدَجٍ لم يكمُلِ (٦)
شِيَمٌ تَبَلّجُ للعيونِ وتنثنى | طُرُقاتُها تدجو على المُتَقَيِّلِ (٧)
متفـــاوتُ الطّعْمين أرْىٌ فى فم الـ | ـعافى وللبـاغى نقيعُ الحنظلِ (٨)
كرمٌ تبوّأ فى ظِلالِ شراسةٍ | كالماء يرتع فى فقـار المُنْصُلِ (٩)
وإذا تسرّع فى بدايةِ عزمِهِ | أخزى بهنّ رَوِيَّةَ المتمهّلِ
ماضٍ كحدِّ السّيفِ إلّا أنّه | لم تَثْنِ جُرْأتَهُ جزالةُ «مَفصِلِ» (١٠)

---

(١) فى (س) « يقل » بدل « يمل » والظاهر تصحيفها ، والتوغل فى البلاد : البعد فيها .
(٢) فى (هـ) « الأليم » محرفة عن « العليم » والمؤتلى : المقصر ، ومنه ما ألوت جهداً : أى ما قصرت .
(٣) فى (هـ) « ظلة » بدل « ظنة » .
(٤) فى (س) « من » بدل « على » .
(٥) اطادت : ثبتت ، والسنن بفتحتين : الطريق ، وبالضم جمع السنة وهى السيرة .
(٦) المخدج : المولود قبل تمامه .
(٧) تبلج : تتبلج أى تضىء ، وتدجو : تظلم ، والتقيل : متتبع الأثر .
(٨) الأرى : العسل ، والعافى : طالب المعروف .
(٩) المنصل (بضم الأول والثالث) : السيف .
(١٠) فى (س) « مفصل » مصحفة عن «مفصل» .

إنْ همّ لم تَعُقِ الهوَيْنَى همَّـــه | كالسّيلِ يُلحِق مخزناً بالمُسهِلِ
وَكَلوا إليه عُرا الأمور وإنّما | وَكَلوا السّماحَ إلى الغمامِ المُسبلِ
عاذوا بمنخرقِ اليمين مضــاؤه | يكفى «العُفاةَ» ذريعةَ المتوسّلِ (١)
فإذا سَرَوْا فسناهُ أشرقُ كوكبٍ | وإذا صَدَوْا فنداه أعذبُ منهلِ (٢)
غيرانُ يدفع عن قرارةِ دينهمْ | دَفْعَ الأسودِ عن العرينِ المُشبِلِ
متسرّعٌ للطّالبين إلى الجـــدا | ثَبْتُ المقـامةِ فى المقـامِ الأهولِ
وإذا سألتَ فلم تُغـالِ ولم تخَبْ | وإنْ اشتططتَ [أخذتَ] مالمِ تسألِ (٣)
ناتِ الظّنون فليس يهجس لامرئ | فَطِنٍ من المعروفِ مالم يفعلِ
وإذا تزاحمتِ الهموم بصدره | جلّى غيـــابتها بهمّةِ فيصلِ
قَلِقُ البصيرةِ إنْ سَرَتْ أفكارُه | ظفرتْ بما خلْفَ القضاءِ المُسدَلِ (٤)
سامى «البنيّةِ» فى المكارمِ أسكنتْ | منـــه الخلافةَ فى مُعِمٍّ مُخوِلِ (٥)
كم قد تجاذبهـــا الرّجالُ فلم تَنِخْ | إلّا على البيت الأعزِّ الأطولِ
لبّتْ نداءكمُ وكم من هاتفٍ | ما سوّغتْه إصاخةَ المتقبّلِ (٦)
أفضتْ إلى الكنفِ الخصيب فطالما | كانتْ تقلّبُ فى الجَبارِ المُمحلِ (٧)
لم تلتئمْ بأكفّكمْ حتّى رأتْ | تصديعكمْ فيها رءوس الزُّمَّلِ (٨)

(١) العفاة: جمع العافى، وفى (هـ) «العزمه» وأظنها محرفة عن «الغريم» وهو المدين.
(٢) صدوا: عطشوا.
(٣) لم تغال: من المغالاة وهى المبالغة، ومعنى البيت أنك مهما سألتهم وطلبت منهم أجيبت طلبتك ولم يخب مطلبك وإن تكن من المغالين فى سؤالك، وإن اشتططت: أى بالغت وأبعدت فى السؤال؛ أخذته وما لم تسأله أيضاً، وكلمة «أخذت» ساقطة من الأصول أضفناها لا قتضاء المقام والوزن لها وفى (س) قبل وإن اشططت «كلا». ولا معنى لها.
(٤) المسدل: المستور.
(٥) فى (س) «البذية» تحريف «البنية».
(٦) الإصاخة: الاستماع والإصغاء والتقبل: من الاقتبال، واقتبل الكلام: ارتجله.
(٧) الجبار (بالفتح): الأرض من الأرض.
(٨) الزمل (كسكر) والأزميل: هى الحديدة فى طرف الرمح لصيد البقر، ومن الرجال: الشديد.

يفديك مَن «شَرِقتْ» بمجدك نفسُه ... شَرَقَ المَذانبِ بالغوادي الهُطَّلِ (١)
رَوِيَتْ بفيض نوالك الخضل النّدى ... «فتبوّعتْ» فى بِشْرِكَ المتهلّلِ (٢)
ولقـــد بلوك على الزّمان فصادفوا ... عَضْباً غنيّاً عن يمين الصَّيْقَلِ (٣)
لا يبعـــد الله انصلاتك للعِـدا ... عجِلاً تُدَهْدِه جَحْفَلاً فى جحفلِ (٤)
متوقّداً فى هَبْوَتى ذاكَ الدّجى ... متهجّماً فى ضيقِ ذاكَ المَدخَلِ (٥)
إذْ لاجرىءَ البأسِ إلا مُحجمٌ ... حيرانُ يخبط حَيْرةً «بتأمّلِ» (٦)
والخيلُ قد عفّى النجيعُ حُجولها ... حتى لأشـكل مطلقٌ بمُحَجَّلِ (٧)
ولـكَمْ رميتَ أخا مروقٍ هزّه ... أَشَرُ الجامحِ بعزمةٍ كالمِـنْجَلِ (٨)
لا تستقلّ بـِـــا ضِفَنَيْه فتنـكفى ... إلّا وغارِبُه ضَجيعَ الجندلِ (٩)
أمساوِرِى الأضغانِ هل من غايةٍ ... ما طالها ؟ أم فاضلٍ لم يفضُلِ ؟ (١٠)
«لا تخرجوه» بالعقوقِ فتـأخذوا ... من سخطه بزمام أمرٍ مُعضِلِ (١١)
ملاّ كُمُ البالَ الرّخيَّ وكنتمُ ... ثاوين بين «تَلَدُّدٍ» وتَمَلْمُلِ (١٢)
«أطفا كُمُ» خفضُ الأناةِ ودونها ... نِقَمٌ تعدّل «جانبَ» المُتَزَيّلِ (١٣)

---

(١) شرقت : غصت ، وفى (ش) « شرفت » مصحفة ، والمذانب . جمع المذنب وهو مسيل الماء فى الحضيض ، والغوادى : السحب .
(٢) تبوعت : سالت وفاضت ، وفى (س) « تبوأت » محرفة .
(٣) الصيقل صانع السيوف .
(٤) تدهده : تدحرج ، والجحفل : الجيش .
(٥) الهبوة : الغبار
(٦) فى (ش) « تأسل » تصحيف « بتأمل » .
(٧) عفى : محى ، والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس .
(٨) المروق : الخروج عن الطاعة وغيرها،والأشر : البطر،والمنجل: كالنحت والمرد زنة ومعنى.
(٩) الماضم : الفك ، والغارب : أعلى الظهر ، والجندل : الصخر .
(١٠) المساور : المخالط والممازج ، والأضغان : الأحقاد .
(١١) فى (ه) « لا تخرجوه » تصحيف « لا تحرجوه » .
(١٢) التلدد : التلفت يمينا وشمالا ، وفى (س) « تردد » تحريف
(١٣) فى (ه) « آتا كم » بدل « أطفاكم » ، والأناة : الحلم والرفق ،والمتزيل: المنحرف . وفى (ه) « جامل » تحريف « جانب » .

ماغرّكم إلّا تغاضى خادرٍ   متيقّظِ العزماتِ مدى الأنصُلِ [1]
إنْ يغتفرْ لا ينتقمْ أو ينتقمْ   لا يَصطلمْ أو يصطلمْ لا يَنكُلِ [2]
خلّوا السّبيلَ لشمسِ كلِّ دُجُنّةٍ   كَشَفَتْ وموضحِ كلِّ خطبٍ مُشكِلِ [3]
يا كالئَ الإسلامِ ممّن رامه   ومقيمَ أحكامِ الكتابِ المُنزَلِ
أقصى مرادى أنْ أراكَ وإنّها   أُمنيّةٌ حسبى بها لمؤمّلِ
تتساقطُ الحاجاتُ عند بلوغها   عن كلّ قلبٍ بالعَلاءِ موكّلِ
هل لى إلى الوجهِ المحجّبِ نظرةٌ   ترمى «بصيبتى» فوق ظهرِ الشَّمْألِ ؟ [4]
أجلو بها صدأَ الشّكوكِ إذا اعترتْ   دونى وأسكنُ ظلّها فى المحفلِ
أُثنى وما هذا الثّناءُ لمجتدٍ   فلذاك أُبعِدُ عن مقالِ المُبطلِ [5]
لادرَّ درُّ الانتجاعِ فإنّه   دَنَسٌ لثوبِ المعتفِى والمُفضِلِ [6]
هيهات يبلغك المديحُ وإنّما   أحظى بفضلِ الجاهدِ المُتغلغلِ
أسلفتنى النّعماءَ فى أهلى معاً   فمتى ينوءُ بعبءِ حقّك مِقْوَلى ؟ [7]
ومددتَ من ضَبْعَىْ أبى فتركته   يُزرى بمنزلةِ السّماكِ الأعزلِ [8]
أوطأتَه قُلَلَ العُداةِ وإنّها   قُلَلٌ موهّلةٌ لوقعِ الأرجلِ [9]
لمّا استطار البغىُ فى آنافهم   وتنكّبوا سَنَنَ السّبيلِ الأمثلِ

---

(١) الخادر : الأسد .
(٢) يصطلم : يستأصل .
(٣) الدجنة : الظلام ، وفى (هـ) « كشفت » بدل « كشفت » .
(٤) فى (هـ) « بضيق » محرفة عن « بصيتى » .
(٥) المجتدى : طالب الجدا وهو العطاء .
(٦) الانتجاع : طلب المعروف ، والمعتفى والعافى : طالب المعروف .
(٧) المقول : اللسان .
(٨) الضبع : العضد ، والسماك الأعزل : نجم .
(٩) القلل : الرؤوس ، والعداة : الأعداء .

أمطرتهمْ غُلَواءَ بأسٍ ردّهمْ   يتدارسون بلاغةَ المتنصّلِ [1]
لم يغنِ إنْ دبّوا بعذرٍ بعدها   ركبوا بذنبهمُ قوادمَ أجدلِ [2]
لازلتَ تستقضى الدّهورَ محكّماً   فى النّائباتِ منيعَ ظهرِ المعقِلِ

☆ ☆ ☆

وقال فى معنى عرض له :

أتاركى أتلافى اليأس بالأملِ   وراجعى أتقاضى الحزمَ بالزّللِ ؟
لا تحملنّى على وعرٍ فأركبهُ   ولو توسّمتَ منه طلعة الأجلِ
ولا تُعلِّمنّي رَنْقاً فألفظهُ   ولو لوجهٍ يراه النّاسُ للقُبَلِ [3]
وأستدقِ صمتى لمغرورٍ أقتُ له   ظهرَ الرّجاء على رِجْلٍ من العِلَلِ
دعنى بغمْد حلمى ما انْتَضَتْ همى   أوْلا فهاك جوابى خُذْه مِنْ أسَلِى [4]
إنْ لم أَدْرَكْ تُلاقينى فتنكرنى   ولا أطاعتْ سيوفى أصعبَ القُلَلِ
ولا حملتُ القنا فى يومِ معركةٍ   وصارمَتْنِي ظهورُ الخيلِ عن مَلَلِ [5]
أأنتَ أشجعُ ، أم دهرٌ يسالمنى ؟   «ويشرنبُ» إلى بِشْرى فدع أملى [6]
ألقى إلىّ زماناً كان يجعله   حِبالةً لاقتناصِ الفارس البطلِ
وقال قُدْنى إلى ماشئتَ أسْعَ له   يامالكاً مالكَ الأرقابِ والدُّوَلِ
وما احتفلتُ بشىء ظلّ يبذله   لأنّ أكثرَ منه فى يدىّ ولى

☆ ☆ ☆

---

(١) غلواء البأس : القدر المتجاوز منه الشديد ، والمتنصل : المتبرىء .
(٢) القوادم : الريشات المتقدمة فى جناح الطائر ، والأجدل : الصقر .
(٣) تعلنى : من العلل وهو الشرب الثانى وأوله نهل ، والرنق : الكدر .
(٤) انتضت : استلت ، والأسل : الرماح .
(٥) صارمتنى : قاطعتنى من الصريمة وهى القطيعة .
(٦) فى (س) « يشرب » تحريف « ويشرئب » وفى (هـ) « ويشربى » مثلما

وقال فى الغزل :

ما زال يخدعنى باللطف والحيَـــلِ ... حتّى استجبتُ على كُرهٍ إلى الغزلِ
لله قلبُ عميدٍ خرّ منجـــدلًا ... لمّا رأته لحاظُ الأعينِ النُّجُلِ (١)
ما كان هذا الهوى لى فى الحساب ولا ... هذى الصّبابةُ لولا «الحسنُ» من عملى (٢)
جاء الهوى عَرَضاً لم أجْنِهِ بيدى ... كأنّه ليس منّى وهو من قِبَـــلِى
ناشدتُكمْ أن «تقرّوا» من قلوبكم ... فبين جنبىَّ قلبٌ ما «تحيَّزَ» لى (٣)
كم قد نصحتُ لعـذّالى وقلتُ لهمْ ... عذلتُمُ اليومَ مشغولًا عن العذَلِ
يعصيكمُ قلبُــهُ الغاوى ومن خَجَلٍ ... يُطيعكمْ لفظُهُ قولًا بلا عَمَـــلِ

***

وقال (أدام الله علوه) وهى من أوائل قوله :

وقوفِىَ فى ذا الورى الخاملِ ... وقوفُ المشوقِ إلى العـاذلِ
تصـــافح سمعِىَ أقوالُهمْ ... ولا يرجعـــون إلى طائلِ
فعرْضُ البـلاد على العارفيـــن «أضيقُ» من مهجةِ الباخِلِ (٤)
ومَن صدّ عن مثل أفعالهمْ ... «كمَنْ صدّ عن كُفّةِ الحابلِ» (٥)
ولمّـا خبرتُ جميـــعَ البلا ... دِ «لم» أرَ أضيعَ من عاقلِ (٦)
ولولا ذوو النّقصِ فى دهرِنا ... لَمَا عُرِفَ الفضـــلُ للفاضلِ

---

(١) العميد : من أضناه العشق ، والمنجدل : المطروح ، والأعين النجل : الحسناء الواسعة .
(٢) فى (هـ) « الجبن » تحريف « الحسن » .
(٣) فى (هـ) «تعزوا» بدل «تقروا» ولعلها تحوزوا أى : تملكوا وفيها «تخير» بدل «تحيز» .
(٤) فى (س) « لا ضيق » بدل « أضيق » .
(٥) الكفة (بضم الكاف) : ما يصاد به الظباء كالصوف ، والحابل : الصياد الذى يضم الحبالة ، وفى (هـ) « لمن صد عن كفة الحايل » تحريف وتصحيف للشطر ، وفى (س) « المائل » تحريف « الحابل » .
(٦) فى (س) « فلم » بدل « لم » .

تعاظم مِنّىَ ما أبتغيه فما إنْ أعلَّلُ بالباطلِ
وعوّدتُ قلبى فراقَ الحبيب فما حنّ شوقاً إلى راحلِ
ولا خدَعَتْهُ ذواتُ الحلى فيُصْبيَهُ مَلَقُ العاطلِ [1]
وما العزّ إلّا لمنْ لا تراه عينُك فى موقفِ السائلِ
إذا ما رأى الخِصْبَ عند اللئام أقامَ على البلد الماحِلِ
وظَلّ وبالك كلُّ « الرّخىِّ » من المجد فى شُغُلٍ شاغِلِ [*]
يُعيّرنى الضّيقَ أهلُ اليَسار ولا مالَ يبقى على نائِلِ [2]
وكيف أضَنُّ على شاكرٍ بظلّ يفارقنى زائلٍ ؟ [3]
إذا لم يفارقك فى عامه فأنتَ المفارِقُ من قابلِ

* * *

وقال فى الزهد :

يا ربِّ لا تجعل المنظورَ من أجلى يلقاكَ بالسّيء المكروهِ من عملى
واجعلْ مسيرى إلى لُقياك يوم ترى حشرَ الأنامِ على نهجٍ من السُّبُلِ
فى واضحٍ جَدَدٍ تأبى العثارَ به رِجْلى فلا هَفَوَتى فيه ولا زللى [4]
وأعطنى الأمنَ فى يومٍ تكون به قلوبُ خلقك ملقاةً على « الوَجَلِ » [5]
كم ذا أؤمّل عفواً لستُ أكسبهُ ويلٌ لجلدىَ يوم النّارِ من أملى
وأستقرّ بما أمّاتُ تخدعنى لىَ الحوادثِ إذ أرخت « من » الطوَلِ [6]

(١) الحلى : ما تتزين به المرأة ، والعاطل : الخالية من الحلى .

(*) فى (ش) « الرجا » بدل « الرخى » محرفة .

(٢) اليسار : الغنى .

(٣) أضن : أبخل .

(٤) الجدد : الأرض المستوية .

(٥) الوجل : الخوف ، وفى (س) « على وجل » بدل « على الوجل » .

(٦) الطول : حبل طويل تشد به قوائم الدابة ، وفى (س) « على » بدل « من » .

كأنني وزنادُ الخوف تلذعني ... بما أخاف وأرجو غــيرُ محتفلِ
قولٌ جميـلٌ وأفعـالٌ مقبّحةٌ ... يا بُعدَ ذا القول في الدّنيا من العملِ
يا بؤسَ للدّهرِ غبَرَ الهالكون به ... والجاهلون معاً في الأعصر الأُوَلِ
مَضوا جميعاً فلا عينٌ ولا أثرٌ ... «حانوا» وحالوا وهذا الدّهرُ لم يَحُلِ (١)
كأنّهم بعـد ما استمطَوا جنائزهم ... لم يمتطوا صهَواتِ الخيـلِ والإبلِ
قالوا: فرغتَ من الأشغال؟ قلتُ لهم: ... لو لم أكن بانتظار الموتِ في شُغُلِ
إنّي لأعـلمُ علماً لا يخالجه ... شكٌّ فأطمع للدّنيـا ويطمع لي
بأنّه لا محيصٌ عن مدى سفري ... ولا دواءَ لما أشكوه من عِللي
وإنّني سوف ألقى ما يطيح به ... كيدي وتذهب عنده ضُلّالاً حِيَلي
وكيف يطبق جفناً بالكرى رجلٌ ... ووراءه للرّدى حادٍ من الأجلِ؟
أم كيف يصبح جـذلاناً وليس له ... علمُ الإلهِ بعقبى ذلك الجذَلِ؟ (٢)
يا راقداً ونـداءُ الله يوقظه ... ألا تزوّدتَ فينا زادَ مرتحـلِ؟
ما لي أراك على ربِّ الورى «بَطِراً» ... وأنتَ في النّاس ملآنٌ من الفشَلِ (٣)
وكم تجود بجمّاتِ الثّوابِ غـداً ... وأنتَ توصف فينا اليومَ بالبُخُلِ
لله مَن لا تراه غِبَّ حادثةٍ ... مجرّحاً بشفارِ اللّومِ والعذَلِ
«يرنو إلى الدّهر من أجفان صادقةٍ ... بدا لها منه ما يخفى على المُقَلِ» (٤)
فالعزُّ في هجرة الدّنيـا وما ضمنتْ ... والذّلُّ في طلب الأموال والدُّوَلِ

* * *

(١) حانوا . هلكوا أي جاء حينهم بفتح الحاء أي هلاكهم ، وحالوا تحولوا ، وفي (هـ) « حالوا » مكرورة .

(٢) الجذلان : الفرحان ، والجذل : الفرح .

(٣) في (هـ) « بطلا » بدل « بطراً » .

(٤) هذا البيت ساقط من نسخة (س) .

وقال رضى الله عنه :

حلفتُ بشُعْثٍ من نِزارٍ تعلقوا ... بأستار مرفوع الذّلاذلِ مائلِ (١)
تلاقوا عليـــه ثائرين فأعرضوا ... بأرجائه عن أخـــذ تلك الطّوائلِ
وما رشفوا من صخرةٍ بشفاههمْ ... وما مسحوا من ركنـــه بالأناملِ
وما عقروا بالخَيفِ تجرى شعـــابُه ... بما « بذلوه » من سديسٍ وبازلِ (٢)
وأيدى المطايا إذ وقفن عشيّـــةً ... على عرفاتٍ بعـــد طىّ المنـــازلِ
لحُبُّكِ ياظبيـــاء فى باطن الحشا ... ـ وإن رُغِمَ الواشى ـ لطيفُ المداخلِ
وما أخلقتْ منـــه اللّيـــالى وإنّه ... جديدٌ على مرّ المدى المتطـــاولِ
ويُعجبنى منك الحـــديثُ إخالُهُ ... صحيحاً وإنْ حدّثتنـــا بالأباطلِ
كأنّى وقد نازعتِنى القولَ قاطفٌ ... من الصّبحِ نُوّاراً ببعضِ الخمائلِ (٣)

* * *

وقال (أدام الله تأييده) يرثى الملك قوام الدين بهاء الدولة
ـ رحمه الله ـ وكانت وفاته بأرجان فى جمادى الآخرة
وحمل تابوته إلى الكوفة ودفن بها :

أمَا ترى الدّهرَ لا يبقى على حالِ ... طوراً بأمنٍ وأطواراً بأوجالِ ؟
أبغى النّجـــاء وما أنجو وإنْ غفلتْ ... عنّى المنونُ كما لم ينجُ أمثالى
شواردٌ من مصيباتٍ ثبتن لنا ... يصبن ما شئن من نفسٍ ومن مالِ

---

(١) الشعث : جمع الأشعث وهو مغبر الرأس . والذلاذل : أسافل القميص الطويل ويعنى بها أستار الكعبة المشرفة، ومرفوع الذلاذل البيت المكرم أى الكعبة نفسها .
(٢) السديس : من الإبل البالغ السنة السادسة ، والبازل الذى بلغ التاسعة ، وفى (هـ) « نذلوا » تصحيف « بذلوه » .
(٣) النوار : زهر الشجر .

متى ينلْ الفتى قالوا دنى أجــلُ ... ياهلْ أرى فى اللّيالى غيرَ آجالِ ؟
بذلٌ يؤوب إلى منعٍ ، وعافيــةٌ ... تجرّ داءً ونُــكسٌ بعــد إبلالِ[1]
وما سُررتُ بأيامِ الــكمال فــا ... «يعرو الفتى النقصُ إلّا عند إكمالِ»[2]
ياليت شعرِىَ والأهواء مولعــةٌ ... برجم مستترٍ فى الغيب «دخّالِ»[3]
بأىّ نوعٍ من المــكروه تخرجنى ... هذا النّوائب عن أهلى وعن مالى؟
وأىُّ علقمــةٍ فى كفّ حادثةٍ ... «أجنى» لها كى أسقّاها «وتُجنى» لى[4]
ما للنّوائبِ يُعفين الثُّمامَ كما ... يَعْنُفْنَ بالنّبعِ أو يقذفن بالضّالِ ؟[5]
وما لهنّ وما يبغين من أَرَبٍ ... «يفنين» نفسى وقد أبقين أسمالِى ؟[6]
نلقى المخاوفَ فى الدّنيا «ونأْمنها» ... ونطلب العزَّ فى الدّنيا بإذلالِ[7]
وتُستَذمُّ لنـــا فى كلّ شارقةٍ ... وما لها مُبغضٌ منّا ولا قالى[8]
لِذاذةٌ لم تُنَل إلّا بمؤلمــةٍ ... وصحّــةٌ لم تدمْ إلّا بإعلالِ
فما أمنتُ بهـــا إلّا على حَذَرٍ ... ولا فرغتُ بها إلّا بأشغـــالِ
ومُسمِــعٍ جاء من أرّجان يُسمعنى ... قولًا يــكثّر من همّى و بَلْبــالى
أهدى على زعمــه بَرْدَ اليقين به ... فشبّ بين ضلوعى جمرةَ الصّــالى
نعَى إلىّ قِوامَ الدّين ؛ حادثةٌ ... أحال ما جاء منهـــا كلَّ أحوالى

(١) يؤوب: يرجع ، والنكس: عود المريض إلى مرضه بعد النقه ، والإبلال : المعافاة من المرض.
(٢) فى (هـ) « تقضى المبين إلا عند اكلى » بدل الشطر الثانى وهو من التحريفات الفاحشة .
(٣) فى (س) « دجال » تصحيف « دخال » .
(٤) فى (هـ) « أخبى » بدل « أجنى » و « تخبى » بدل « تجنى » .
(٥) الثمام: نبت ضعيف ، وفى (هـ) « يقدين » تحريف « يقذفن » ، والضال : شجر كالسدر.
(٦) الأرب (بالتحريك): الحاجة . وفى (هـ) « يعنمن » تحريف « يفنين » ، والأسمال: جمع السمل (بفتحتين) وهو الخلق من الثياب .
(٧) فى (هـ) « بمأمنها » بدل « ونأمنها » . .
(٨) القالى : المبغض .

فلو أطَقتُ فنفسى لا تَضِنُّ به ... شقفتُ قلبى ولمْ أعرضْ لِسِرْبالى
ولم تنلْ عَقْرَ نفسى فى المصاب يدى ... فبتّ أعقِرُ أطلابى وآمالى
أقول والرَّبعُ مغبرٌّ جوانبُهُ : ... مَنْ بدّلَ المنزل « المأهولَ » بالخالى؟[1]
مَنْ أخرج اللَيثَ مِن «ذاك» العرين ومَنْ ... حطّ المحلِّقَ فى العليـاء مِن عالِ ؟[2]
مَنْ زعزع الجبلَ العادىّ منبته ... ومَن طوى ذلك الجوّال فى جالِ ؟[3]
مَنْ حالّ عُقْلَ المنايا فيه ثمّ رمى ... قوائمَ السّابقِ الجارى بعُقّالِ ؟[4]
مَنْ ساجلَ الغيثَ هطّالًا بأذْنِبَةٍ ... مَنْ كايَلَ البحر مكيالًا بمكيالِ ؟[5]
مَنْ طاول الشُّمَّ حتّى طالهنّ ذراً ؟ ... مَن وازن الصُّمَّ مثقالًا بمثقالِ ؟
سائل بمَلْكِ الورَى لِمْ زلّ أخمَصُهُ ؟ ... وهو الذى كان ثبتاً غيرَ زوّالِ
وكيف أعجزه هولٌ ألمّ به ؟ ... وهو المدفّعُ أهوالًا بأهوالِ
وكيف أصحر بالبيداء منفرداً ... مُخدَّمٌ بين « أكنانٍ » وأظلالِ[6]
وكيف حطّ مُلِظٌّ فى بُلَهْنِيَةٍ ... من ناعم العيش داراً غيرَ مِحْلالِ[7]
وكيف لمْ يُعطِنى من ثِقْلِهِ طَرَفاً ... قَرْمٌ تحمّل عنّى كلّ أثقالى ؟
وكيف ضلّ بأيدى الحادثات فتًى ... مُعطِى النّجاةِ وهادى كلّ ضلّالِ ؟
مَنْ للسّرير الذى تعنو الجباهُ له ... مقسومةً بين تعظيمٍ وإجلالِ ؟

---

(١) فى (ش) « المأنوس » بدل « المأهول »
(٢) فى (س) « وسط » بدل « ذاك » ، والعرين : بيت الأسد .
(٣) الجال : جانب القبر .
(٤) العقال (بضم العين وتشديد القاف) : داء فى رجل الدابة إذا مشت ظلعت أى عرجت ثم انبسطت .
(٥) الأذنبة : جمع الذنوب (بالفتح) وهى الدلو العظيمة فيها ماء .
(٦) أصحر : صار فى الصحراء ، والأكنان : جمع الكن (بالكسر) وهو البيت والمستكن كالستر والوقاء ، وفى (س) « أكناف » والأكناف : جمع الكنف (بالتحريك) وهو الجانب والناحية .
(٧) الملظ : المقيم ، والبلهنية : رفاهة العيش .

مَنْ للرّواقِ إذا حفَّ الوفودُ به ... سامين نحو شرودِ النطقِ قوّالِ ؟

مَن للعُفَاةِ إذا ابتلوا بنائِلِهِ ... صباحَ يومٍ شديدِ الهضمِ للمالِ ؟ (١)

مَن للسّوابقِ يمرَوْرَى «مناسجَها» ... وتنثني بالدّمِ القاني بأجْلالِ ؟ (٢)

نزائعٌ كالنّعامِ الكُدْرِ نفرها ... صَراصِرٌ من حديدِ الظّفْرِ نشّالِ (٣)

أو كالسّراحينِ تَفْرى كلَّ مقفرةٍ ... غَرْثَى من الزّادِ تَنْسالُ بتعْسالِ (٤)

مَن للقنا طالَ حتى قال مبصره : ... ماهُزَّ هذا القنا إلّا بأطوالِ ؟ (٥)

مَن للصّوارمِ تَعْرَى من مغامدِها ... وتكتسى أغمُداً فى هامِ أبطالِ ؟

مَن المكيدةِ حكّتْه لتبلوَه ... تحكُّكَ القُلُصِ الجُرْبِى بأجذالِ (٦)

مَن للكتائبِ خُرساً غيرَ ناطقةٍ ... يُجلجِلُ الطّعنُ فيها أىَّ جَلجالِ (٧)

فيهنّ كلُّ هضيمِ الكَشْحِ مُعْتَرِقٍ ... مُشذَّبٍ كسَحوقِ النّخلِ طوّالِ (٨)

إذا مشى فى فضولِ الدّرعِ تحسبه ... مقلّباً نخوةً أعطافَ رِئبالِ (٩)

ذو ناظرٍ توقدُ الأضغانَ لحظتُه ... كصلِّ رملةِ وادٍ بين أصلالِ (١٠)

---

(١) العفاة : السائلون وطالبو المعروف .

(٢) المناسج : جمع المنسج وهو من الفرس منتهى عرفه من أعلى الكتفين تحت القربوس ، وفى (س) « مناسمها » بالميم وهو جمع المنسم (كمجلس) وهو الخف للبعير والسنبك للفرس، والمقصود ما أتينتاه ، والأجلال : جمع الجل بالضم وهو ما تلبسه الدابة .

(٣) نزائع : جمع النازع وهى كالجموح التى تنازع عنان فارسها أو المراتب ، والكدر : مغبرة اللون ، والصراصر : جنادب القفر .

(٤) السراحين : جمع السرحان وهو الذئب ، وتفرى : تشق ، وغرثى : جائعات ، والتنسال : الإسراع فى المشى ، والتعسال : الاضطراب فيه والذئب نسال عسال .

(٥) الأطوال : جمع الطول كالحول أى القدرة .

(٦) القلص : جمع القلوص وهى الناقة الفتية ، والأجذال : جمع الجذل (بالكسر) وهو الوتد ينصب للجربى لتحتك به .

(٧) الجلجال : الصوت الشديد .

(٨) الهضم : النحيف ، والكشح : مافوق السرة إلى الكتف ، والمعترق : الذى تعرق لحمه عن عظمه أى زال، والمشذب : المقطعة أغصانه ، والسحوق كالسحيق : الطويل الممتد ، والطوال: الطويل.

(٩) الرئبال : الأسد .

(١٠) الأضغان : الأحقاد .

قد كنتَ توعدنى العِدَّ الغزيرَ ندًى ... فالآن أقنع بعد العِدّ بالآلِ [1]

وما قنعتُ وبى فى غيره طمعٌ ... واليأسُ أرْوَحُ ولّاجٍ على البالِ [2]

وكنتَ لى وَزَراً فى كلّ مُعضلةٍ ... أمسى أشمّر فيها فضلَ أذيالى [3]

وكنتَ أدنى وقد ناديتُ منتصراً ... إلىَّ فى الخطب من نفسى ومن «آلى» [4]

ياطالبِىَّ خذا منّى اقتراحَكما ... مامانعٌ دون ما أخشى ولا والِ

واستعجلا فى يدىَ اليومَ ثأركما ... بذلتُ مالم أكن فيه ببذّالِ

قد ذَعْذَعَ الموتُ نُصّارى وحاميتى ... وضعضع الموتُ أطوادى وأجبالى [5]

ونالنى بالأذى مَن كان يرمُقنى ... قُبَيل هذا الرّدى بالمربأ العالى [6]

أصبحتُ فيك «أزيرُ الشّكَّ» معرفتى ... عمداً وأصرف ذاك «الخُبرَ» عن بالى [7]

وأسأل الرّكبَ عندى مثل علمهمُ ... أرجو تَعِلّةَ إلباسى وإشكالى

قبرٌ على الكوفة الغرّاء نتبعه ... فى كلّ يومٍ بإرنانٍ وإعوالِ

كأنّما مِسْكةٌ فى تربةٍ فُتِقَتْ ... من طيب عَرْفِكِ أو ناجودُ جرْيالِ [8]

لم يدفنوك به لكنّهم هَرَقوا ... وما دَرَوْا سَجْلَ إحسانٍ وإجمالِ [9]

وإنّنى آنفٌ سَقْىَ السّحاب له ... فتربةٌ أنتَ فيها غيرُ مِمْحالِ

جادتك من صلواتِ الله «أوعيةٌ» ... غزيرةٌ ذاتُ إسجامٍ وإسبالِ [10]

---

(١) العد : بالكسر الماء الكثير ، والآل : السراب .

(٢) الولاج : الدخال .

(٣) الوزر (بفتحتين) : الملجأ والمعتصم .

(٤) فى (س) « ولى » بدل « آلى » .

(٥) ذعذع : فرق وبدد ، والأطواد : الجبال مفردها طود .

(٦) يرمقنى : ينظرنى ، والمربأ : الموضع المرتفع ومكان البازى يقف فيه .

(٧) فى (س) « أزيد الشكر » تحريف « أزير الشك » ، وفى النسخ « الخير » تصحيف الخبر ، والخبر : هو العقل والتجربة .

(٨) العرف : الرائحة ، والناجود : إناء تصفى فيه الخمرة ، والجريال : الخمر .

(٩) هرقوا : صبوا ، والسجل : الدلو .

(١٠) الإسجام : الصب ، والإسبال : مثله ، وفى (ه) «أدعية» بدل « أوعية » . تصحيف

مُدِيمَةُ الوَدْقِ تَسرى الليلَ أجمعَهُ ... فإنْ غدتْ وصلتْ صبحاً بآصالِ [1]

لامسَ منكَ البِلَى مامسَ من بشرٍ ... فإنْ بَلِيتَ فما معروفكَ البالى

وناب عنك جميلٌ كنتَ تعملُه ... حيث النجاة لمن ينجو بأعمالِ

فالذكرُ عندى مقيمٌ إنْ نُسِيتَ وإنْ ... سُلِيتَ يوماً فغيرى قلبُه السالى

☆ ☆ ☆

وقال يهنئ فخر الملك (أعز الله نصره) بعيد الفطر الواقع فى سنة ثلاث وأربعمائة وأنفذها إلى (حضرته الشريفة) بـ «الأهواز»:

لو كنتَ فى مثل حالى لم تُرِدْ عَذَلى ... تسومنى هجرَ مَنْ فى هجره أجلى

دعْ عنك عَذْلى فإنّ العذل منك وما ... هذى الصبابةُ من عندى ولا قِبَلى

وفى الهوادج مَن لو شاء عالَنى ... يوم الرحيل وقد سرنا على عجلِ

بوقفةٍ لم يُردنى يوم ذاك بها ... «وهى» الشفاء لما أشكوه من عِلَلى [2]

فلو مررنا على وادى العُذَيبِ درى ... مَن عالجَ الشوقَ أنّى «عنك» فى شُغُلِ [3]

كم ثَمَّ من مُهجةٍ تقضى بلا قَوَدٍ ... ومن دمٍ طُلَّ من وجدٍ على طَلَلِ [4]

ومن فؤادٍ إذا سِيقتْ ركائبُهمْ ... طوعَ النوى من شَرافٍ سيقَ فى «الإبلِ» [5]

تسوقه النُّجْلُ «إذْ بانتْ» ويوقظُهُ ... على الهوى لَمَعانُ المَبْسِمِ الرَّتِلِ [6]

ومعشرٍ بمِنًى أضحتْ شفارُهمُ ... يَلِغْنَ فى ثُغَراتِ الأيْنُقِ البُزُلِ [7]

وبالمحصَّبِ ينتابُ الجمارَ به ... عصائبٌ جئن من سهلٍ ومن جبلِ [8]

---

(١) المدِيمَة: الدائمة، والودق: المطر، والآصال: جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر.

(٢) فى (س) «وهو» بدل «وهى»

(٣) فى النسخ «منك» بدل «عنك».

(٤) القود (بفتحتين): القصاص بالقتل، وطل: سفك.

(٥) شراف (كقطام): موضع، وفى (س) «الأمل» تحريف «الإبل».

(٦) النجل: جمع النجلاء وهى واسعة العين الجميلة، وفى (هـ) «النادى» بدل «اذبانت»، والرتل: المتناسق.

(٧) الأينق: جمع الناقة، والبزل: جمع البازلة والبازل وهو مابزل نابه أو بلغ التاسعة من عمره.

(٨) المحصب، والجمار: مواضع من مناسك الحج.

والبائتين بجَمْعٍ والرَّكائبُ قد … مَلّتْ هنالك من شدٍّ ومن رَحَلِ (١)
ونازلى عرفاتٍ شاخصين إلى … ذُؤابةِ الشّمسِ أن «تدنو» إلى الطَّفَلِ (٢)
لقد تبوّأ فخرُ الملك منزلةً … علياءَ شطّتْ على الأيدى فلم تُنَلِ
ملساءَ يحسبها الأقوامُ فى مَلَكٍ … وإنّما هى بالتّحصيلِ فى رَجُلِ
يا موحشى ببعادى منه فى وطنى … ومن بلادى ومن أهلى ومن حُلَلِى (٣)
وتاركى ــ بعد أنْ كانتْ زيارتُه … حَلْياً بجيدِىَ ــ مملوءاً من العَطَلِ (٤)
إنّى جليدٌ على الأهوالِ قاطبةً … ولستُ فى فرقتى إيّاكَ بالبطلِ
أنتَ الذى نلتُ منه وهو « مُخْتَفِرٌ » … فوق الذى كان يسمو نحوه أملى (٥)
من ناظماتٍ سموطَ الفخرِ باقيةً … يحول صبغُ اللّيالى وهى لم تَحُلِ
ومن مقالٍ إذا فاه الرُّواةُ به … كأنّه فى قديمِ الدّهرِ لم يُقَلِ
كم لى بحضرتك الغرّاءِ من قدمٍ … ووقفةٍ لم أخفْ فيها من الزَّلَلِ
أروح أسحب فيها ذيلَ « مفتخرٍ » … وصاحبُ الفخرِ ينسى ساحبَ الحُلَلِ (٦)
ماذا بقربك من عزٍّ ومفخرةٍ … وما بكفّك من غُنْمٍ ومن نَفَلٍ ؟ (٧)
وما بساحتك الغرّاء من شَرَفٍ … وتُربِ مجلسك المعمور «من قُبَلِ» ؟ (٨)

---

(١) جمع (بلا لام): المزدلفة : موضع بمنى.
(٢) فى (هـ) « تدنى » بدل « تدنو » والطفل : ما بعد العصر إلى الغروب
(٣) الحلل : جمع الحلة وهى الحلية .
(٤) الحلى : ما يزين به من مصوغ وحجر كريم ، والجيد : العنق ، والعطل : الخلو من الزينة.
(٥) المختفر : المستحى من الخفر وهو الحياء ، وفى (س) « مختصر » وفى (هـ) « مختفر » تصحيف والمعنى بهما ردىء سخيف .
(٦) فى (هـ) « مفخرة » بدل « مفتخر » .
(٧) النفل (بالتحريك) : الغنيمة والعطية .
(٨) فى (هـ) « بالقبل » بدل « من قبل »

« وأىُّ ذى » خنزُوانات يُدِلُّ بها … بِعُقْرِ دارِكَ لم يُعْدَدْ من الخَوَلِ ؟ (١)

إنّ العراقَ إلى نجواك طامحـة … طماحةَ الهِيمِ نحو العارض الهَطِلِ (٢)

وإنّ مَن بات « خوفٌ منك يَعقِلُه » … قد همَّ أو كاد أنْ ينجو من العُقَلِ (٣)

فلاَتمحوا الغدرَ لمّا أن بَدتَ « ومذْ » … رِيعوا بقُرْبك أغضوا عنه بالمُقَلِ (٤)

قد قلتُ للقوم غرّتهمْ بشاشتُه … وربّما شَرِق المُشتارُ بالعَسَلِ (٥)

لا تُخْرِجوه إلى شعواءَ « قاطمةٍ … فتخرجوا فيه » من أمْنٍ إلى وَجَلِ (٦)

فالصّلحُ ممّن درى الضُرَّ المحيطَ به … ولا دفاعَ له صلحٌ على دَخَلِ (٧)

عُوتِبتُمُ فأبيتمْ نصحَ ذى شفقٍ … وبالظُّبا يُعتبُ الآبى أو الأَسَلِ (٨)

أرخى لكمْ فحسبتمْ لا زمامَ لكمْ … وليس يَفْرِق فَوْتاً مُمسِكُ الطِّوَلِ (٩)

وقد وأَلْتُمْ مراراً فى نِكايتِه … وربّما عثر الجانى فلم يَئِلِ (١٠)

فاسلَمْ لنا فخرَ هذا الملك وابقَ على … مرّ الزمان بظلٍّ غير منتقلِ

وقد مضى عنك شهرُ الصّوم منسلخاً … يُثنى عليك بخير القول والعملِ

فاسعدْ بذا العيد واقبلْ ما حباك به … من المسرّةِ فيما شئت والجَذَلِ

---

(١) فى (س) « وأين ذوى » محرف عن « وأى ذى » ، والخنزوانات : جمع الخنزوانة وهى الكبر ، وعقر الدار : أحسن موضع فيها ، والخول : العبيد

(٢) الهيم : العطاش ، والعارض : السحاب المعترض .

(٣) فى (س) « هماً منك يقتله » بموضع « خوف منك يعقله » .

(٤) لاحوا الغدر : كشفوه وأوضحوه ، وفى (هـ) « وإن » بدل « ومذ » ، وريعوا : أفزعوا .

(٥) شرق : غص ، والمشتار : مجنى العسل .

(٦) فى « هـ » قاطمة فتخرجوا فيه . ساقطة.

(٧) الضر (بالفتح) : ضد النفع ، وبالضم : سوء الحال ، والدخل : الخديعة .

(٨) الأسل : الرماح .

(٩) يفرق : يخاف ، والفوت . الهرب ، والطول : الحبل .

(١٠) وألتم : لجأتم وبادرتم ، والنكاية : النقاية والقهر .

مُبرّءًا من لِمامِ السّوءِ أجمعِهِ مملّكاً أنفسَ الأعمارِ والمُهَلِ

* * *

وقال يمدح فخر الملك أيضاً :

مابالُ حِقْفٍ بكثيبِ اللّوى عُطْلاً بلا شاءٍ ولا جاملِ ؟[1]
حالتْ مغانيه ووجدى به غضٌّ جديدٌ ليس بالحائلِ[2]
لو أبصرتْني ناحلاً عينهُ لاستأنس النّاحلُ بالنّاحلِ
لولا الأُلىٰ حلّوا طلولَ اللّوى ما كان لى فيهنّ من طائلِ
دعْ عنك وقّافاً على أربُعٍ يسأل فيهنّ عن الرّاحلِ
فإن تراني أبداً سائلاً ما ليس يدرى لغةَ السّائلِ
ياصاحبيَّ اليومَ لا تَلْحَيا على الهوى مَن ليس بالقابلِ
لا تصدقاني عن ذنوبِ الصّبا وعلّلا قلبيَ بالباطلِ
فليس بالحبّ على مُتلفٍ أرْشٌ ولا عَدْوَى على قاتلِ[3]
قد قلتُ للسّارى إلى سَوْأةٍ تُغويهِ فيها لذّةُ العاجلِ
تفنى وتبقى من أحاديثها ما ليس بالفانى ولا الزّائلِ :
نَهْنِهْ بُنيّاتِ هواها ودعْ شاربها صِرْفاً على الآكلِ[4]
ولا تَرِدْ غُدرانَها ناهلاً كم ظامىءٍ أحمدُ من ناهلِ
لولا ثناءٌ خالدٌ ذكرُهُ ما انتصف العالِمُ من جاهلِ
إنّ لفخرِ الملكِ عندى يداً أعْيا بأنْ يحملها كاهلى

---

(١) الحقف : مااعوج واستدق من الرمل .
(٢) مغانيه : منازله، مفردها مغنى ، والحائل : المتغير .
(٣) الأرش : دية الجراحات ، والعدوى : طلب المعونة .
(٤) نهنه : كفكف ، وبنيات الهوى : ترهاته .

لم تُجرِها فى خاطرٍ فكرةٌ   ولم ينَلْها أمَلُ الآملِ
متى أُفِضْ فى ذكرها مُثنياً   فإنّنى فى شُغُلٍ شاغِلِ
كأنّما شَنَّ الذى بِتْها   لَطِيمةً فى المجلس الحافلِ (١)
أنت الذى تُعطى بلا موعدٍ   وتترك الوعدَ على الماطلِ
كم أنقذتْ كفُّك من مُوثَقٍ   عانٍ وكم نبّهتَ من خاملِ (٢)
والملكُ لولا أنتَ يافخرَهُ   ما كان إلّا نُهزَةَ الخاتِلِ (٣)
أىُّ مُقامٍ لك فى نصرِهِ   وهو على هارى البِنا مائلٍ !
كالشّمس إلّا أنّه فى الدّجى   ماغاب عن عينك بالحائلِ
يُرجى ويخشى فهو كالبحر فى   ردًى مُبيرٍ وندى واصِلِ (٤)
لا يُولِجُ الهَزْلَ على جِدِّه   يوماً ولا الحقَّ على الباطِلِ
سِيق إليه من قلوب الورى   كلُّ حَرونٍ بالخطا باخِلِ (٥)
وصاد من أهوائهمْ بالنّدى   مالم تَصِدْهُ كُفّةُ الحابِلِ (٦)
وعلّمتْ آلاؤُه شكرَه   والشّكر مُستَمْلًى على الباذِلِ
لاضامك الدّهرُ ولا زلتَ مِن   نعيمه فى منزلٍ آهِلِ
وانعمْ بذا العيدِ وخذْ سعدَه   فى عاجلِ العام وفى قابلِ
تبلى وتُستأنفُ أثوابه   ترفُلُ فيهنّ مع الرّافلِ (٧)
وضحِّ بالأعداء واجعلهُمُ   مكانَ ذاك النَّعَمِ الهامِلِ

---

(١) اللطيمة : العنبرة التى لطمت بالمسك .

(٢) الموثق : المقيد ، والعانى : الأسير .

(٣) النهزة : كالفرصة وزناً ومعنى ، والخاتل : المختلس والخادع عن غفلة .

(٤) المبير : المهلك .

(٥) الحرون : الذى لاينقاد من الخيل وغيرها .

(٦) الكفة : حبالة الصائد ، والحابل : الصائد واضع الحبالة .

(٧) الرافل فى ثوبه : الماشى به يجر ذيله متبخترا .

ولا عدمنا منك هذا الذى   نراه من رَوْنقِكَ الشّاملِ

* * *

وقال يمدحه أيضاً :

أَلا عوجا لمجتَمَعِ السِّيالِ   فثَمَّ شفاء ما بى من خَبالِ
وإنْ أنكرتُما منّى ضلالًا   فماذا ضرّ غيرى من ضلالى ؟
فإمّا شئتُما أنْ تُبعِدانى   فمُرّا بى على الدِّمَنِ البَوالى
خَرِسْنَ فلو ملكن النُّطقَ يوماً   شكونَ إليكَ من جَنَفِ اللّيالى (١)
لَعَلِّى أنْ أرى طَلَلاً لحبٍّ   وآثاراً لأيّامِ الوِصالِ
نصيبُ مُصاحبى منّى حنينٌ   حنينُ الرّائماتِ إلى الفِصالِ (٢)
ومُنْهَلٌّ من العَبَراتِ تجرى   فينطِقُ إنْ سكتُّ بسوء حالى
ومُسْتَرَقٍ من الأحشاء يخبُو   أُوارُ النّارِ وهو على اشتعالِ (٣)
وفى الغادين من يمنٍ فتاةٌ   تُضام مَعادةً شبه الغزالِ (٤)
أُشاق إلى المواعد من هواها   وإنْ كانتْ تُسَوِّف بالمُحالِ
وذلّلنا طويلُ الهجر حتّى   قنعنا فى التّزاور بالخيالِ
وخبّرها الوشاةُ بنا إليها   بما جعلته عذراً فى المَلالِ
وقد كنتُ اعتزمتُ الصّبرَ عنها   فلمّا أن بدأتُ به بدا لى

(١) الجنف : الجور والميل .

(٢) الرائمات : جمع الرائمة وهى الناقة التى تعطف على ولدها ، والفصال : جمع الفصيل وهو ولد الناقة .

(٣) المسترق من الأحشاء : الخفى والضعيف ، والأوار : حر النار .

(٤) المعادة : اللين والطراوة .

سقى نجداً ومَن بجنوب نجدٍ   مَلِثُّ الوَدْقِ منهمرُ العَزالى (١)
كأنَّ بروقَه يخفقن بُلْقٌ   خرجن على الظّلام بلا جِلالِ (٢)
وأسيافٌ سُلِلْن على الدّياجى   لهــا عهدٌ قريبٌ بالصّقالِ
فكم بجنوب نجدٍ من عزيزٍ   صغيرِ الذّنبِ مُحتَمَلِ الدّلالِ!
إذا سلّى العواذلُ فيــه قلباً   مشوقاً لم يكن عنه بسالِ
فقولوا للأُلىٰ دَرَجوا ملوكاً   وحازوا باللُّها رِبَقَ الرّجالِ (٣)
وهبّتْ فى حَفـاوتِهمْ وفيها   ينالون الجنوبُ مع الشّمالِ: (٤)
أجيلوا نظرةً بينى بويهٍ   تَرَوْا سَعَةً على ضيقِ المَجالِ
لهمْ فى كلّ نائبــةٍ حلومٌ   ثِقالٌ لا تُوازَنُ بالجبالِ
وفى العليـــاء فخرُ الملك يسمو   سُمُوَّ البدرِ فى غُرَرِ اللّيالى
وقد علمتْ ملوكُ بنى بويهٍ   بأنّك حاسمُ الدّاءِ العُضالِ
وأنّك فى الخطوبِ الجُونِ منهمْ   مكانَ النّارِ فى طَرَفِ الذُّبالِ (٥)
ولمّا رامها مَن رام منهمْ   تَجلّتَ إليه من قبل العِجالِ
ليوثٌ كالأجادلِ ضارياتٌ   على صَهَواتِ خيلٍ كالرِّئالِ (٦)
تَخُفُّ بصلِّ رملةٍ بطنِ وادٍ   تَنَاذرُ منــه أصلالُ الرّمالِ

---

(١) الملث : الدائم ، والودق : المطر ، والمنهمر : المنصب ، والعزالى : جمع العزلاء وهو فم القربة أو مصبها .

(٢) البلق : جمع الأبلق وهو من الخيل وغيرها ما فى لونه سواد وبياض ، والجلال : جمع الجل (بالكسر) وهو كساء الدابة .

(٣) درجوا : ماتوا ، واللها : جمع اللهوة (بالضم) وهى العطية ، والربق : جمع الربقة وهى الحلقة

(٤) الحفاوة : المبالغة فى الإكرام والإجلال وكثرة السؤال عن الحال .

(٥) الجون (بالضم) جمع الجون (بالفتح) ، وهو الأسود ، والذبال : جمع الذبالة وهى الفتيلة .

(٦) الأجادل : الصقور مفردها الأجدل ، والصهوات : جمع الصهوة وهو مقعد الفارس من الفرس ، والرئال : جمع الرأل وهو ولد النعام .

إذا ما همَّ طوَّح بالتمادى ... وداس السِّلْمَ فى طرقِ القتالِ (١)
وأرغمها أنوفاً من أناسٍ ... غَدَوْا يستنزلون عن النِّزالِ
وقد ساموك مشكلةً لَموعاً ... كما لمع الفضاء بلمعِ آلِ (٢)
وظنَّ بك الغُواةُ الصَّدَّ عنها ... وما رِيعَتْ قرومُك بالإفالِ (٣)
فيالشجاعةٍ بك ما أفادتْ ... من النَّعماء عندك للموالى !
وأيَّةُ صَعْبَةٍ ذللتَ قسْراً ... قَراها أىَّ ذلٍّ للرِّجالِ ! (٤)
فقد علَّمتَ كيف تفوت شرًّا ... وكيف تجوز ضيِّقةَ المجالِ
وليس يَضِلُّ إثْرَكَ مَن هَدَتْهُ ... مواقعُ مَنْسِمِ العَوْدِ الجُلالِ (٥)
إذا ما كنتَ لى وَزَراً حصيناً ... على نُوَبِ الزّمانِ فما أُبالى
وخوَّفنى العُداةُ الشرَّ منهمْ ... فما خطرتْ مخافتُهمْ ببالى
وراموا قطعَ أسبابٍ مِتانٍ ... علقتُ بها فما قطعوا قِبالى (٦)
وما نقموا سوى أنِّى لديه ... شديدُ القربِ مُستَمَعُ المقالِ
وأنِّى فيه دون النّاس جمعاً ... أُعادى مَن أُعادى أو أُوالى
وكم لى فيه من غُرَرٍ بَواقٍ ... ومن سحرٍ سبقتُ به حلالِ
يغور إلى القلوب بلا حجابٍ ... ويشفيك الجواب بلا سؤالِ
وقافيةٍ متى استُمِعتْ أبرَّتْ ... عذوبتُها على الماء الزُّلالِ

---

(١) طوح به : ألقاه ونبذه ، والتمادى : التأخر والتراخى.

(٢) الآل : السراب .

(٣) القروم : السادة من الرجال مفردها القرم ، والإفال : صغار الإبل مفردها الأفيل .

(٤) القرا : الظهر .

(٥) المنسم : خف البعير ، والعود (بفتح العين وتسكين الواو) : البعير المسن ، والجلال : العظيم.

(٦) القبال (بالكسر) : زمام للنعل يكون بين الوسطى والتى تليها .

فلولا أنهـا كِلَمٌ لـكانتْ فريدَ نحور ربَّاتِ الحِجالِ (١)
وهـذا العيدُ والنَّيروزُ جاءا كما نهواه فيك بخـــير فالِ
وما افترقا بهذا العصر إلّا كما افترقتْ يمينٌ معْ شمالِ
فدُم لتــكرّمٍ أرخصتَ منه ولم يزل التّــكرُّمُ وهو غالِ
ويا نُعمى له دومى وكونى على غِيَرِ الزّمان بلا زوالِ

***

وقال فى الافتخار :

مالكِ فى رِبَةَ الغَـــلائلِ ـوالشّيبُ ضيفُ لِمّتى ـمن طائلِ (٢)
أما ترين فى شَواتى نازلًا لا مُتعةٌ لى بعـــده بنازلِ ؟ (٣)
محـا غرامى بالغوانى صبغُه واجتثّ من أضالعى بَلابِلى (٤)
ولاح فى رأسِيَ منـــه قَبَسٌ يَدُلُّ أيّامى على مَقـــاتِلى (٥)
كان شبابى فى الدُّمى وسيلةً ثم انقضتْ لمّا انقضتْ وسائلى (٦)
يا عائبى ببـــاطلٍ ألِفتَهُ خذْ بيديك مِنْ تمَنٍّ باطلِ
لا تعذلنّى بعـــدها على الهوى فقد كفانى شيبُ رأسى عاذلى
وقلْ لقومٍ فاخرونا ضَلّةً أين الحصيّاتُ من الجَراولِ ؟ (٧)
وأين قاماتٌ لـكمْ دميمةٌ من الرّجال الشُّمَّخِ الأطاولِ ؟

---

(١) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .
(٢) الغلائل : جمع الغلالة وهو شعار يلبس تحت الثوب ، واللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٣) الشواة : جلدة الرأس .
(٤) اجتث : استأصل ، والبلابل : الهموم والوساوس .
(٥) القبس : الشعلة من النار تأخذ فى رأس عود .
(٦) الدمى : جمع الدمية وهى الصورة المزينة كالصنم تصنع من العاج وغيره ويضرب بها المثل فى الحسن
(٧) الجراول : جمع الجرول وهى الحجارة .

نحن الأعالى فى الورى وأنتمُ ... ما بينهمْ أســـافلُ الأسافلِ

ما تستوى ـ فلا ترومُوا مُعوزاً ـ ... فضائلُ السّاداتِ بالرّذائلِ [1]

ما فيكمُ إلّا دنىٌّ خاملٌ ... وليس فينـــا كلّنا من خاملِ

دعوا النّباهاتِ على أهلٍ لهـــا ... وعرّسوا فى أخفضِ المنـازلِ [2]

ولا تعوجوا بمهبّ عاصفٍ ... ولا تقيموا فى مصبِّ الوابلِ [3]

أما ترى خيرَ الورى معاشرى ... ثمّ قبيلى أفضـــلَ القبائلِ ؟

ما فيهمُ إن وُزِنوا من ناقصٍ ... وليس فيهمْ خُبرةً من جاهلِ

أقسمتُ بالبيتِ نطوف حوله ... أقدامُ حافٍ للتّقىٰ وناعِلِ

وما أراقوه على وادى مِنًى ... عند الجمـــارِ من نجيعٍ سائلِ [4]

وأذرُع حاسرةٍ ترمى ـ وقدْ ... حان طلوعُ الشّمسِ ـ بالجنادلِ [5]

والمَوْقفين حطّ مابينهما ... عن ظهره الذّنوبَ كلُّ حاملِ

فإنْ يَخِبْ قومٌ على غـــيرها ... فلم يخِبْ عنـدهما من آمـلِ

لقد نَمَتْني من قريشٍ فِتْيَةٌ ... ليسوا كمن تعهد فى الفضـائلِ

الواردين من عُـــلًى ومن تقًى ... دونَ المنـايا صفوةَ المنـاهلِ

قومٌ إذا ماجُهِلوا فى معركٍ ... دلّوا على الأعراق بالشّمائلِ [6]

لأنّهم أسْدُ الشّرى يوم الوغى ... لكنّهمْ أهِلّةُ المحافلِ

---

(١) المعوز : المتعذر .

(٢) عرسوا : من التعريس وهو نزول المسافر للاستراحة .

(٣) الوابل : المطر الشديد

(٤) أراقوا : صبوا ، والجمار : موضع رمى الجمار فى الحج ، والنجيع : الدم .

(٥) الجنادل : الصخور .

(٦) الأعراق : الأصول ، والشمائل : السجايا .

إنْ ناضلوا فليس من مناضِلِ　　أو ساجلوا فليس من مساجِلِ (١)

سلْ عنهمُ إنْ كنتَ لا تعرفُهمْ　　سَلَّ الظُّبا وشُرَّعَ العواملِ (٢)

وكلَّ منبوذٍ على وجهِ الثَّرى　　تسمع فيه رنَّةَ الثَّواكلِ

كأنَّما أيديهمُ مناصِلٌ　　يلعبن يوم الرَّوْعِ بالمناصلِ (٣)

من كلِّ ممتدِّ القناةِ سامقٍ　　يقصر عنه أطولُ الحمائلِ (٤)

ماضرَّني والعــارُ لايطورُ بى　　أن لم أكن بالمالك الحلاحِلُ ؟ (٥)

ولم أكنْ ذا صامتٍ وناطقٍ　　ولم أُرِحْ بباقرٍ وجاملِ (٦)

خيرٌ من المالِ العتيدِ بذلُهُ　　فى طرقِ الإفضالِ والفواضلِ

والشُّكرُ ممَّنْ أنتَ مغنٍ فقرَه　　خيرٌ إذا أحرزتَه من نائلِ

فلا تعرَّضْ منك عِرْضاً أملساً　　لخدشةِ اللُّوّامِ والقوائلِ

فليس فينــا مقدمٌ كمُحجِمٍ　　وليس منّا باذلٌ كباخلِ

وما الغِنى إلّا حِبالاتُ الثنــا　　فأنجُ إذا شئتَ من الحبائلِ

إلى متى أحملُ من ثِقْلِ الورى　　مالم يُطِقْه ظهرُ عَوْدٍ بازل ؟ (٧)

إنْ لم يزرنى الهمُّ إصباحاً أتى　　ـ ولم أعِرْه الشَّوقَ ـ فى الأصائلِ (٨)

وكم مُقامٍ فى عراصٍ ذِلَّةٍ　　وعَطَنٍ عن العَلاء سافل ! (٩)

---

(١) المساجلة : المفاخرة والمباراة .

(٢) شرع : مسددة ،والعوامل : الرماح .

(٣) المناصل : جمع المنصل (بضم الميم والصاد أو بفتح الصاد) : السيف .

(٤) القناة هنا القامة وحمائل السيف معلومة .

(٥) يطور به : يقرب منه أو يحوم حواليه ، والحلاحل : السيد الشجاع .

(٦) الباقر : جماعة البقر مع راعيها ، والجامل : جماعة الجمال .

(٧) العود : الجمل المسن ، والبازل الذى بلغ التاسعة من عمره فبزل نابه أى انشق .

(٨) الأصائل : جمع الأصيل وهو وقت مابعد العصر .

(٩) العراص : جمع العرصة وهى كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء ، والعطن مبرك الابل والغنم .

وكم أظَلُّ مُفهَقــاً من الأذى مُعَلَّلاً دهرِيَ بالأباطِلِ ! (١)
كأنني وقد كملتُ دونهمْ ـرضِي بدون النَّصْفِ ـغيرُ كامل (٢)
محسودةٌ مضبوطةٌ ظواهرى لـكنَّهـا مرحومةٌ دواخلى
كأنني شِعبٌ جفاه قطرُه أو منزلٌ أقفرَ غيرُ آهلِ
فقل لحسّادى أفيقوا فالّذى أغضبكمْ منِّىَ غيرُ آفلِ (٣)
أنا الذى فضحتُ قولاً مِصْقَعاً مُقاولى وفى العُلا مطاولى
إنْ تبتنوا من العدا معاقلاً فإنَّ فى ظلِّ القنا معاقلى
لا تستروا فضلِي الذى أُوتيتُه فالشمسُ لا تحجبُ بالخوائلِ
فقد فررتمْ أبداً من سَطْوَتى فرَّ القطا الـكُدْرِ من الأجادلِ (٤)
ولا تذقْ أعينكم طعم الـكرَى وعندكم وفيكمُ طوائلى
تقوا الرَّدَى وحاذروا شرَّ الذى شبَّ أوارى فَغَلَتْ مَراجلى (٥)
وجُنّ تيّارُ عُبابى واشتكتْ خروقُ أسماعِكمُ صلاصلى (٦)
إنْ لم أطِرْ كمْ فَرَقاً تحملكمْ نُكْبُ الأعاصير مع القساطلِ (٧)
فلا أجبتُ من صريخٍ دعوةً ولا أطمتُ يوم جودٍ سائلى
ولا أناخَ كُلُّ قومى كَلَّهُمْ فى مَغْنَمٍ أو مَغرَمٍ بكاهلى (٨)

(١) مفهقاً : ممتلئاً .
(٢) النصف: العدل ، وفى البيت تقديم وتأخير، وترتيبه : كأنى وقد كملت دونهم غير كامل رضى بدون النصف .
(٣) الآفل : الزائل .
(٤) الـكدرة : كالغبرة زنة ومعنى ، والأجادل : جمع الأجدل وهو الصقر .
(٥) المراجل : جمع المرجل وهو القدر الـكبير من نحاس .
(٦) العباب : معظم الماء ، والصلاصل : أصوات الحديد .
(٧) الفرق (بفتحتين) : الخوف والفزع، والفرق : جمع الفرقة : معلوم ويحتمل البيت المعنيين، ونكب الأعاصير : الرياح تهب منحرفة عن مهابها كالنكباء ، والقساطل : جمع القسطل وهو غبار الحرب .
(٨) كلهم (بفتح الـكاف) : أى ثقلهم والمهم من أمورهم .

وفى غدٍ تُبصرها مغـــيرةً على المَوَامِى كالنّعامِ الجافلِ (١)
يخرجن من كلّ عجاجٍ كالدّجى مثل الضّحى بالغُرَرِ السوائلِ (٢)
مَنْ يرهنٌ قال مَن هذا الذى سدّ للّلا بالنَّمَرِ المطافلِ ؟
وفوقهنّ كلُّ مرهوبِ الشّذا يروى السّنانَ من دم الشّواكلِ
أبيضُ كالسّيف ولـكنْ لم يعُجْ صِقالَه على يمـــين صاقلِ
حيث ترى الموت الزُّؤام بالقنـــا مستحبَ الأذيالِ والذّلاذِلِ (٣)
والنّقْعُ يغشى العينَ عن لِحاظها والرّكضُ يرمىالأرضَ بالزّلازلِ (٤)
وبُزّتِ الأسلابُ أو تمخّضتْ بلا تمـامٍ بطنُ كلّ حاملِ (٥)
ولم يَجُزْ همُّ الفتى عن نفســـه وذُهِل الحىُّ عن العقائلِ (٦)
إنْ لم أنلْ فى بابلٍ مآربى فلى إذا ما شئتُ غـــيرُ بابلِ
وإنْ أبِتْ فى وطنٍ مُقَلْقَلاً أبدلتُـه بأظهرِ الرّواحـــلِ
وإنْ تَضِقْ بى بلدةٌ واحـــدةٌ فلم تضق فى غـيرها مجاولى
وإنْ نبـا عنّى خليـــلٌ وجفا نفضتُ من ودّى له أنامـــلى
خيرٌ من الخِصْبِ مع الذُّلِّ به مُعَرَّسٌ على المحلِ الماحلِ (٧)

* * *

(١) الموامى : جمع الموماة وهى الفلاة الواسعة .
(٢) الغرر : جمع الغرة وهو بياض فى جبهة الفرس ، والسوائل التى سالت على أرنبة الأنف يقال: فرس ذات غرة سائلة .
(٣) الذلاذل : أذيال القميص الطويل
(٤) النقع : الغبار .
(٥) الأسلاب : جمع السلب بفتحتين وهو ما يسلب فى الحرب من سلاح ومتاع .
(٦) العقائل : النساء المخدرات مفردها العقيلة .
(٧) المعرس : مكان التعريس وهو نزول المسافر للاستراحة .

وقال فى الذم من أهل الزمان والافتخار :

خذ صاحبى عنى الذى أملى ... ودع الذى آباه من عَذْلى
أنا من أناسٍ ليت قطعَهمُ ... قد كان لى بدلًا من الوَصْلِ
لا يَطْعمون سوى القبيحِ ولا ... يَرِدون إلّا قَهْوةَ الجهلِ (١)
من كلّ عُريانِ اليدين من الـ ... ـمعروف ملآنٌ من البخلِ
وكأنّهمْ ليـــلٌ بلا سَحَرٍ ... يأتيـه أو عقدٌ بلا حلٍّ
وكأنّهمْ فى صـــدر جارهمُ ... حَنَقًا عليهمْ مِرْجَلٌ يغلى
فهمُ صقيـعٌ لا دِثارَ به ... وهَجيرُ مُقفِرةٍ بلا ظِلٍّ (٢)
وعقولُهمْ لعقولِهمْ سَفَهـــاً ... وصبيُّهمْ والٍ على الكَهْـلِ
والجدُّ مِنّى كم أبوْه كا ... أَبَى الّذى فيهمْ من الهزْلِ
ياليتنى لمّـا مشيتُ إلىٰ ... عَرَصاتِهمْ ما كنتُ ذا رِجْلِ
عَجِـلَ الزّمانُ وأهلُهُ معه ... من أن يُقيم عليهمُ مِثْـــلى
ما كان إلّا فى ديارهمُ ... هضمى وبين بيوتهمْ ذلّى
وكأنّنى لمّـا لففتُ بهمْ ... شمْـلى امرؤٌ متقطّعُ الشّمْلِ
وشغلتُ نفسى برهةً بهمُ ... فـكأنّنى منهمْ بلا شُغلِ
يرموننى من قبلِهمْ أبداً ... بالزُّور والبهتانِ والبُطْلِ
وجوائفُ الأقوالِ راميــةٌ ... تُنسِى الرّمىَّ جوائفَ النَّبْلِ (٣)
ومذانبٌ للمـــاء ليس لهـا ... نَهَـلى على ظمأى ولا عَلّى (٤)

---

(١) القهوة : الخمر .

(٢) الصقيع : الثلج الساقط من السماء ، والدثار : الثوب يلبس فوق الشعار وما يتدثر به ، والهجير : شدة الحر .

(٣) الجوائف : جمع الجائفة وهى الطعنة التى تبلغ الجوف .

(٤) المذانب : جمع المذنب وهو مسيل الماء ، والعلّ : الشرب الثانى وهو بعد النهل .

أين الذين عهِدتُ قبلهمُ ... سارين في طرقٍ إلى الفضلِ ؟

الحاملين على قلوبهمُ ... همّى وفوق ظهورهمْ ثِقْلى

وكأنّهمْ قُضُبٌ يمانيّةٌ ... مصقولةٌ من غيرما صَقْلِ

كم فيهمُ من مُنْشِرٍ كرماً ... بعد المماتِ وقاتلِ المَحْلِ [1]

ويطيع من كرمٍ تجدّدَه ... أمرَ الندى ودواعِيَ البذلِ

ما بيننا قربٌ ولا نسبٌ ... وكأنّهم من برّهمْ أهلى

ودفاعُهمْ عنّى يرفّهنى ... عن أنْ أمُدَّ يداً إلى نَصْلى

لولاهمُ في يومِ عاذمةٍ ... لم أنجُ من أنيابها العُصْلِ [2]

أرخصتُ غيرَهمُ لأنّهمُ ... يغلون أثمانى كما أُغلي

فهمُ جبالى إنْ ذُعِرتُ ولى ... يومَ ارتعاء نباتهمْ سهلى

فإذا همُ حلموا حلمتُ وفى ... يومِ انتقامِ جهلُهمْ جهلى

دَرَجوا فلا عينٌ تشاهدهمْ ... أبداً ولا تأتيهمُ رُسْلِي [3]

فعلى قبورهمُ وإنْ دَرَسَتْ ... ماشئْن من قطرٍ ومن وَبْلِ

* * *

وقال في الاعتبار :

إذا ما خطانى الدّهرُ يوماً فلم يُصِبْ ... صميمى فما يرضيه غير خليلى

وأخذُ الرّدى نفسى كأخذ أصادقِي ... فلم يَحْمِنِي كُثْرُ الأذى بقليل

(١) المنشر : المحيي .

(٢) يوم عاذمة : يوم شدة وهول ، من عذم الفرس ؛ إذا عض وأكل بجفاء ، ويوم عذمذم : ذو موت كثير ، والعصل (بضمتين) : جمع العصل (كفرح) والأعصل وهو المعوج في صلابة ، وفى الأصل « العضل » بالضاد تصحيف .

(٣) درجوا : ماتوا .

فإنْ أنت لم تسمع عويلًا بميتتى   فنى كلّ ماضٍ رنّتى وعويلى
وكيف أغبُّ الحزنَ يوماً وإنّمـا   سبيلُ جميـع الهالـكين سبيلى ؟

* * *

أيّهـا السائلُ كى يعْـ   ـلمَ حالى مِن سؤالى
أنا فى عشرِ الثمـانيـ   ـن البعيدات الطّوالِ
كم تخطّيتُ إليهـا   من سهولٍ ورمالِ
وثَراء وافتقـارٍ   واهتداء وضـلالِ
حولِىَ الآجالُ يفْرِسْـ   ـنَ نفوساً وحيالى
وأرى مِن حالِ أحبا   بِىَ أنموذجَ حالى
ليس بُدٌّ للذى يَنْـ   ـمى بعيـداً من كَلالِ
والّذى يسكن داراً   من زوالٍ وانتقـالِ
ربّ أقوامٍ ــ بلا جُر   مٍ ــ يُريغون ارتحالى[1]
والذى يهوَوْن منّى   ليس فى أيدى الرّجالِ
لستُ أقلامَهمْ فلِمْ لى   من لدُنْهم كلُّ قالٍ ؟[2]
قدّروا نيـلَ الأمانىّ رخيصاً   وهْوَ غالِ

* * *

وقال فى الآداب :

دعْ رجالًا ينـازعون على المـا   ل ولا تحفِلَنْ بجمع المـالِ
خيرُ مالَيْـكَ ماسددتَ به الحا   جةَ أوما بذلتَـه لنَوالِ

---

(١) يريغون : يطلبون ، والإراغة : طلب الشىء على وجه المكر .
(٢) أقلامهم : أبغضهم .

والغنيُّ الذي له المِنَنُ الغـــرُّ جُثوماً على رقابِ الرّجالِ
والليـــالى يعلمن أنى فيهـــنّ كصبحٍ محا سوادَ اللّيالى

٭٭٭

وقال – رضى الله عنه – مكاتباً بها العادل (أبا) منصور بن مافنة شاكراً له على كثرة مكاتباته، وأرسلها إلى الأهواز :

ألا مالقلبٍ بأيدى الغُوا ةِ يُعلَّـل فى الحبّ بالباطلِ
يَرنّ اشتكاءً إلى نازلٍ وإمّا اشتياقاً إلى راحلِ
ويُضحِى قتيلَ بدور الخدو رِ وَجْداً وما من دمٍ سائلِ
وكيف انتفاعى بأنّى كتمـ ـتُ بنطق الغرامِ عن العاذلِ
ولى ألسُنٌ شاهداتٌ به من الدّمع والجسدِ النّاحلِ
ولولا الهوى قاهرٌ للرّجا لِ ما لِيمَ فى النّاسِ من عاقلِ
وزَوْرٍ أتانى وكلُّ العيو نِ من النّوم فى شُغُلٍ شاغِلِ (١)
وكم بيننـــا حائلٌ هائلٌ وأوْهَمَ أنْ ليس من حائلِ
ولولا لذاذةُ ذاك الغرو رِ ما كان فى الطّيف من طائلِ
وما ضرّ أنْ فاتنى آجلاً وقد مسّنى النّفعُ فى العاجلِ
ولا نُكْرَ فى الحقّ إنْ لم أنلْــه إذا جاء نفعِىَ من باطِلِ
أقول لركبٍ على أينُقٍ سِراعٍ كذئبِ الغضا العاسلِ (٢)
وقد أكل السّيرُ أوصالَهـــا وأيْنُ السُّرى خيرُ ما آكلِ (٣)

(١) الزور (بالفتح) : الزائر.
(٢) الأينق : النوق، والغضا : شجر شديد الوقود بطىء الخمود، والعاسل : المضطرب فى عدوه وهى صفة ملازمة للذئب.
(٣) الأوصال : الأعضاء، والأين : التعب، وفى الأصل «وإن» بدل «وأين» محرفة.

فما شئتَ من تامكٍ ناحلٍ ... وما شئتَ من خَيْقٍ حائلِ (١)

ألا فاعدلوا بى بتلك المنى ... إلى عَقْوَةِ الأوحدِ العادلِ (٢)

دعوا قائلاً غَـــيرَ ما فاعلٍ ... وعوجوا على القائل الفــاعلِ

إلى صائلٍ لم تَطُفْ مرّةً ... عليـه صِقـالاً يدا صاقِلِ

فتى يُعمِلُ السّيفَ يوم الهيـا ... ج ويَتْرُكُ الجُبنَ للنّابِلِ

وما كان يوماً وقد مسّـه الأ ... غوبُ من الجِدِّ بالهـــازلِ

فلله دَرُّكَ من زائدٍ ... عطـــاءً على أملِ الآملِ

ومن مُلحِقٍ بالجبان الشّجـا ... عَ فضلاً وذا الجود بالبــاخلِ

ويوم يُسقّى الرّدى حاضرُ ... هُ بلا وارشٍ وبلا واغلِ (٣)

شهدتَ فـكنتَ مكانَ العفا ... رِ وللرّمح فى موضعِ العاملِ (٤)

وإنّى لأعشقُ منك الكما ... لَ فلم أرَ قبلك من كاملِ

وآسى على زمنٍ مرّ بى ... وماليَ مثلك من كافلِ (٥)

لدى معشرٍ أنا ما بينهمْ ... بلا منزلٍ منهمُ آهلِ

فدُرٌّ قريضى بلا ناظمٍ ... وغُرُّ مقـــالى بلا قائلِ

وحَلْىُ كلامى وما استأصلو ... هُ مَدَى الدّهرِ منهم على عاطلِ

ولولا مـكانك كان الملو ... كُ بلا عضـــدٍ وبلا كاهلِ

ولا دافعٍ شرّ ما حاذرو ... هُ ولا ناهضٍ لهمُ حاملِ

وكم ذا أعدتَ لهمْ مُلـكَهمْ ... وقد صار فى كُفّةِ الحابلِ (٦)

فأضحى على ثابتٍ راسخٍ ... وقد كان فى هائرٍ مائلِ

---

(١) التامك : السنام ، والحائل : المتغير اللون .

(٢) العقوة : ما حول الدار .

(٣) الوارش : الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يدع ، والواغل : الداخل عليهم وهم يشربون .

(٤) العفار : شجر ، والعامل . الرمح .

(٥) آسى : أحزن ، ومنه الأسى وهو الحزن .

(٦) الـكفة (بضم الكاف) : مصيدة الصائد ، والحابل : واضع حبالة الصيد .

وقد جرّبوا منك ما جرّبو ه غداة المنى فى يد الباسلِ
وخالوك جهلاً كمن يعهدو ن وكم غرّ ذو الحزم بالجاهلِ
ولمّا طلعتَ ولم يشعروا فأيقظتهم من كرى الغافلِ
أطاعَ لك الصعبُ بعد الجما ح وبان لنا الحقّ من باطلِ
وإنّ خراسانَ زلزلتَها وما لكَ من ركنِ زائلِ
وساروا إليك كأسْدِ الصّري م فطاروا مع النّعمِ الجافلِ[1]
وأضحى كثيرهمُ كالقلي ل وناصرهمْ منك كالخاذلِ
وأسمعْتَنا أنةَ المُغولا تِ على القوم أو رنّةَ الثاكلِ
وأشبعتَ منهمْ سِغابَ السّيوفِ ورويتَ منهمْ صدَى الذابلِ[2]
ولمّا رأوا صهَوات الجيا د عليهنّ كلُّ فتًى باسلِ[3]
رمتْ كلّ سيفٍ ورمحٍ بها على الرّغم منها يدُ الحاملِ
فلم ترَ غيرَ قتيلٍ هوى تدوّسه الخيلُ أو قاتلِ
وولّوا وفارسهمْ فى المما ت بحدّ سيوفك كالرّاجلِ
وظنّوا نكولَك لمّا دعو ك وحاشاك من خلُقِ النّاكلِ
وليس الشّجاعةُ هتكَ الوري د طعناً ولا ضربةَ القابلِ
ولكنّها بامتطاء الصّوا ب والحزم فى الموقفِ الهائلِ
فلا تلُمِ النّاسَ فى شوقهمْ إلى غيثك المسبلِ الهاطلِ
ولِمْ لا يحِنّ إلى المخصبا ت مَن كان فى البلد الماحلِ ؟
فإن كنتَ قد غبتَ عن « بابلٍ » فذكرُك ما غاب عن « بابلِ »
ومثلُ مثولك بين الرّجا ل ثناؤك فى المجلس الحافلِ
وما زلتَ تمطلنا باللّقا ء للحزم عاماً إلى قابلِ

(١) الصريم : الأرض الجرداء السوداء .
(٢) السغاب : جمع الساغب وهو الجائع ، والصدى : الظمأ ، والذابل : الرمح .
(٣) الصهوات : جمع الصهوة ، وهى مقعد الفارس من الفرس .

وَمَن كان إرجاؤه باللقـــاء مصلحةٌ ليس بالمـــاطلِ
فقولِي لقومِيَ إنّي اعتصمـتُ بعرّيسَةِ الأسدِ الصّائلِ
فلا مُفزِعٌ أبداً مُفزِعِي ولا هائلٌ أبداً هائلي
ولا مثل عزّى به لامرئٍ ولا لِكُلَيْبِ بنى وائلِ
وكيف أخاف وأنتَ الخفيـرُ لدارى ورحلِيَ من غائلِ ؟
ألا فاحبُنِي بدوام الصّفـاء فحسبِيَ ذلك من نائلِ
وقد حزتَ منّى جميع القبولِ وأرجوك أنك لى قابلِ
وإنّى لأرضى بأنْ كنتَ بِي عليماً وكلُّ الورٰى جاهلِ
وما أنْ أبالى جفـــاء لهمْ إذا كنت وحدَكَ لى واصلى
ولمّا جعلتك لِي مَوْئلا دعانى الورٰى خيرَ ما وائلِ (١)
فأسندتُ ظهرى إلى يَذْبُلٍ وألقيتُ ثِقْلِى على بازلِ (٢)
وإنّى مقيمٌ وإن أجدبتْ بلادى على الرّجل الفـاضلِ
ولستُ بغـير الطّوالِ الخطـا إلى الفخر فى النّاس بالحـافلِ
ولا مِن حياض الأذى والصَّدٰى يُزعزعنى قطُّ بالنّـاهلِ (٣)
وليس الفتى للذى سار عنـه من دَنَسِ العِرْضِ بالغاسلِ
فخذها ومِن بعدها مثلَهـــا فـكمْ ذا تُنَبِّـــه من غافلِ
مقـــالًا يبرّح بالقـــائليـن وقد جاء عفواً من القائلِ
ولمْ أكُ قبـل امتـداحى علاكَ إلّا كبُرْدٍ بلا رافلِ (٤)
فهبْ لِيَ مافات من زلّةٍ فما زلتَ تصفح عن واهلِ (٥)
وفى الشّعر إمّا خمولُ النّبيـه وإمّا التّنـــابُلُ للخاملِ (٦)

---

(١) الموئل : المرجع والملاذ ، والوائل : اللائذ .
(٢) يذبل : اسم جبل ، والبازل : من الإبل ما بلغ التاسعة .
(٣) الناهل : الشارب .
(٤) الرافل بيرده أو ثوبه : الساحب له متبخترا .
(٥) الواهل : المخطئ .
(٦) التنابل : التفاضل ، من النبل وهو الفضل .

وما كلُّ مَن قرعتْ كفُّهُ   لأبوابه فيـــه بالدّاخلِ
فلا زال نجمُك نجمُ السّعو   دِ غيرَ الخفيِّ ولا الآفلِ [1]
وبُقّيتَ مشتملاً بالثّوا   ءِ بغير رحيلٍ مع الرّاحلِ

* * *

وقال فى الغزل :

مَن شاء أن يعذُلنى فى الهوى   فلستُ بالمصغى إلى عـذلِهِ
يعذلنى فى ذا الهوى فارغٌ   وطافحٌ قلبِىَ من شُغـــلِهِ
قد لامَنِى فى عِشْقِ مَن حُبُّهُ   أبلى فؤادِى وهو لم يُبْـلِهِ
وقاتلى سحرٌ بأجفــــانِه   وليس لى طَرفٌ إلى قتـلِهِ

* * *

وقال فيه أيضا :

صاد قلبى عشيّـةَ النَّفْرِ ظَبْىٌ   وظباء الفلاة صيدُ الرّجالِ [2]
ذو دلالٍ وإنّمـا يسكن القلـ   ـبَ كما شاء واشتهى ذودَلالِ
بتُّ أشكو إلى وَلوعٍ بهجرى   نافرٍ عن زيارتى ووصالى
راجياً وعدَه وإنْ أخاف الوعـ   ـدَ وأنساك طيبَـه بالمطالِ

* * *

وقال يهنئ جلال الدولة بعيد الفطر :

كم للنّواظر مِن دمٍ مطلولِ   ومُدَفّعٍ عن وَجْدِهِ ممطولِ [3]

---

(١) الآفل : الزائل الغارب .
(٢) عشية النفر ويومه : اليوم الذى يخرج فيه الحاج من منى إلى مكة .
(٣) المطلول : المهدور .

ولقد حملتُ غـداة زُمّتْ للنّوى ... أُدْمُ الرّكائبِ فيـه كلَّ ثقيلِ (١)

وقنعتُ منهمْ بالقليـل ولم أكنْ ... أرضى قُبَيْـلَ فراقهمْ بقليـلِ

لولا دموعى يوم قامتْ ودّعتْ ... ما كان روضُ الحَزْنِ بالمطلولِ (٢)

وأرَتْك وجهاً لم تُنِرْ شمسُ الضّحى ... إلّا به ماكان بالمـــلولِ

وتقـلّدَتْ بأساودٍ من فرعهـا ... وتبسّمتْ عن أشْنَبٍ معسولِ (٣)

وَرَنتْ إليك بطرف جوْذَرِ رملةٍ ... وخطتْ بحِقْفٍ فى الإزار مَهيلِ (٤)

إنْ كنتَ تُنكرماجَنَتْه يدُ النّوى ... فالشّاهدان صبابتى ونحولى

ماضرّ من ضنّتْ يداه بمُنْيَـتِى ... أن لا يَضِنّ علىّ بالتّعليـلِ ؟ (٥)

فإلىٰ متى أشـكو إلى ذى قسوةٍ ... وإلى متى أرجو نوالَ بخيـلِ ؟

قل للحُداةِ خـلال عيسٍ ضُمّرٍ ... بطُلًى إلى حادى الرّكائبِ مِيلِ (٦)

حُطّوا إلى ملكِ الملـوكِ رحالَـكمْ ... ففناؤه للرّكبِ خيرُ مَقيلِ (٧)

حيث الثّرىٰ لاقى الجبـاه وأرضُه ... للقومِ موسَمَـةٌ من التّقبيـلِ

وكأنمـا قمرُ الدّياجى وجهُهُ ... ورُواءُ لونِ الصّارمِ المصقولِ (٨)

للهِ درُّك فى مقـامٍ لم تزلْ ... مُجِـلًا تلفّ رعيلَه برعيـلِ (٩)

والخيـلُ جائلةٌ على قِمَمٍ هوَتْ ... ومناكبٍ فارقن كلّ قليلٍ (١٠)

---

(١) زمت : شدت ، والأدم : السمر من الأدمة وهى السمرة ، والأدم أيضاً : جمع الأديم وهو الجلد

(٢) الحزن (بفتح الحاء) : ما غلظ من الأرض، والمطلول : الذى أصابه الطل وهو المطر الضعيف.

(٣) الأساود : جمع الأسود ، والفرع : الشعر ، والأشنب : ذو الشنب وهو صفاء الأسنان .

(٤) رنت: نظرت، والجوذر: ولد البقرة الوحشية، والحقف (بالكسر): ما اعوج واستطال من الرمل

(٥) ضنت : بخلت .

(٦) الطلى : جمع الطلية وهى العنق .

(٧) الفناء (بالكسر) : الساحة أمام البيت .

(٨) الرواء (بالضم) : المنظر .

(٩) الرعيل : كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال وغيرها .

(١٠) القمم : الرءوس ، والمناكب : جمع المنكب وهو مجتمع رأس الكتف بالعضد . والقليل : العنق والصريع .

وكأنّهنّ يخُضن ماء ترائبٍ ... لجدّلين يخُضن ماء وُحولِ (١)
قد جرّبوك غداةَ جنّتْ فتنةٌ ... رَمَتِ العقولَ من الورى بخبولِ
فكأنّ مُضرمَها مضرِّمُ عَرْفَجٍ ... فى الدَّوِّ حان حصادُه بقبيلِ (٢)
وكأنّها عشواءُ فى غبشِ الدُّجى ... تطوى الفَلا خَبْطاً بغير دليلِ
فعدلتها بالرأى حتّى نكّبَتْ ... عنّا بغير قَنًى وغير نصولِ
وركبتَ منها وهى شامسةُ القَرا ... عمّا قليلٍ ظهرَ أىِّ ذَلولِ (٣)
ولو أنّها عاصتْك حكّمتَ القَنا ... فيها وحدَّ الباترِ المسلولِ
وملأْتَ قطرَ الأرضِ وهى عريضةٌ ... بصوارمٍ وذوابلٍ وخيولِ
وبكلّ مُستَلَبِ الظَّلامِ كأنّما ... شهد الكتيبةَ طالباً بذُحولِ (٤)
عُريانَ إلّا من لباسِ بسالةٍ ... ظمآنَ إلّا من دمٍ لقتيلِ
وأنا الذى أهوى هواكَ وأبتغى ... أبداً رضاكَ وإنّه مأمولى
ومتى تبدّل جانباً عن جانبٍ ... قومٌ فإنّك آمنٌ تبديلى
وإذا صححتَ فإنّ قلبى مُقيمٌ ... أنْ لايبالى فى الورى بعليلِ
وذرِ انتقادى بالشّناةِ فلم تُنِرْ ... شمسُ الظّهيرةِ للعيونِ الحُولِ (٥)
وليسلنى عن فوت مانال الورى ... إنْ لم أقمْ فيه مقامَ ذليلِ
خدُّها كما ابتسمَ النّهارُ لمُدجنٍ ... أعيا عليه قصدُ كلِّ سبيلِ (٦)
وكأنّها للمبصريها جَذوةٌ ... ولناشقيها « فَغْمَةٌ » لشمولِ (٧)

---

(١) الترائب : عظام الصدر مفردها تريبة ، والجدل : المطروح .
(٢) العرفج : نبت واحدته عرفجة ، والدو : المفازة ، والقبيل : الجماعة من الناس .
(٣) الشامسة : صعبة القياد ، والقرا : الظهر .
(٤) الكتيبة : القطعة من الجيش ، والذحول (بالضم) : جمع الذحل (بالفتح) وهو الثأر .
(٥) الشناة : بفتح البغض ، والضم : جمع الشانىء وهو المبغض .
(٦) المدجن : الذى دخل الدجنة وهى الظلمة
(٧) الجذوة : الشعلة ، والفغمة : النفحة من الطيب ، وفى الأصل « نفمة » مصحفة والشمول : الخمرة .

وكأنما هى عزةٌ لا تُبْتَغَى عرِّيسةٌ للأُسْدِ ذاتُ شبولِ [1]
وكأنّها روضُ الفلا عبثتْ به أيدى شمالٍ سُحْرةً وقَبولِ [2]
صِينتْ عن المعنى المعاد وقولُها ما كان فى زمنٍ مضى بمقولِ
وإذا النَّضارةُ فى الغصون تغيّرتْ كانت نضارتُها بغير ذبولِ
فاسعدْ بهذا العيد وأبقَ لمثله فى منزلٍ من نعمةٍ مأهولِ
ولقد نَضَوْتَ الصومَ عنك ولم تَمُجْ فيه بجانب هفوةٍ وزليـــلِ
وكففتَ عن كلّ الحرامِ وإنّما صاموا عن المشروب والمأكولِ
وإذا بقيتَ فما نبالى مَن جرتْ منّا عليه ردًى دموعُ ثَكولِ

* * *

وقال يهنئ بتحويل مولده وقدومه :

أُسعدْ سَعِدتَ بساعة التّحويلِ وبقاء ملكٍ فى الأنامِ طويلِ
وإذا قدمتَ على المسرّةِ فليكنْ ذاك القدوم لنا بغير رحيلِ
وإذا دخلتَ إلى رباعك كان ذيـ ـــاك الدّخولُ لديك خيرَ دخولِ
قدآن أن تحظى الأسرّةُ منك بالا سكنى كما حَظِيَتْ ظهورُ خيولِ
دعْ منزلًا لا أهلَ فيه ولا به وأقمْ لنا بالمنزل المأهولِ
لو تستطيع منازلٌ فارقتها وحللتَ فيها اليومَ أىَّ حلولِ
لسعتْ إليك تشوّقًا ولأوْسَعَتْ يُمناك من ضمٍّ ومن تقبيلِ
ولقد رأيتُ بخاطرى وبناظرى فى غابك المرهوب خيرَ شبولِ
الشّمسُ أنتَ وهمْ نجومٌ حولَها أقسمن أن لا رُعْننا بأفولِ

---

(١) العريسة : بيت الأسد .
(٢) السحرة : آخر السحر ، والقبول (بالفتح) : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور .

لولا شهادتُهم عليك لـكنتَ فى ... ما بيننا حقًّا بغـــــير دليلِ

إنْ ينحفوا لصباً فقد جنموا عُلًى ... ولهمْ بفضل الأصل كلُّ عَبولِ[1]

أىُّ البدور وقد تبدَّى طالعــاً ... من قبلِ تَمٍّ ليس بالمهزولِ ؟

زينَتْ علاك بنور أوْجههمْ كما ... زين الجواد بغرَّةٍ وحُجولِ

لهمُ القبول من المحـاسن كلِّها ... والحسنُ مطرُوحٌ بغير قبولِ

مافيهمُ إلّا الذى هو صارمٌ ... ماضى الشَّبا ذو رَوْنَقٍ مصقولِ[2]

إنْ كان أُغمِدَ برهةً فَلَسَلِّهِ ... وانغمـدُ المرجوّ كالمسلولِ

عبقوا بنشر الملك وسط مهودهمْ ... و بغايةِ التّعظيم والتّبجيلِ

فهمُ غصونٌ لاذَوَيْن على مدًى ... مرّ الزّمان ولا دنتْ لذبولِ

لاتختشِ ماعشتَ بادرةَ العِدَى ... فـكثيرهمْ من مكرهمْ كقليلِ

وابعثْ إلى معطيك كلَّ إرادةٍ ... من دعوةٍ مسموعةٍ برسولِ

إنّ الذى أعطى المُنَى فيما مضَى ... يُعطيك فى آتيك فوقَ السُّولِ

لك من مَعوناتِ الإلهِ ونصرِهِ ... فى الرّوعِ أىُّ أسِنَّةٍ ونصولِ

ولقـد أقول لمن أراه يخيفنى ... و يسدّ عن طرقِ الرّجاءِ سبيلى

دعنى وعاداتِ الإله فإنّنى ... لا أترك المعلومَ للمجهولِ

أوَ ما رأيتَ اللهَ لمّا ضاقتِ الـــأرجاء كيف أتى بكلّ جميلِ؟

وأنا الذى أهوى هواكَ ولا أرى ... إلّا بحيثُ تقيل فيـه مَقيلى

وأنا الجوادُ فإنْ سئلتُ تحوّلًا ... عن دار ودّك كنتُ جِدَّ بخيلِ

حوشيتَ أن يَهْنَى سواكَ بخاطرى ... أو أنْ أجرّر فى ذراه ذيولى

---

(١) العبول والعبلة : المرأة تامة الخلق ، والعبول (بالضم) : مصدر عبل أى غلظ والجبل فتل.

(٢) الشبا : الحد .

وإذا بقيتَ مملَّكاً ومسلَّماً   فقد ارتقيتَ إلى ذُرا مأمولى
خذها على عجلٍ فإنْ قصّرتُها   فبقدرِ ما أسلفتَ من تطويلى
لى فى الثّناء على علاك قصائدٌ   كالشّمس تدخل دارَ كلِّ قبيلِ
طبّقن شرقاً فى البلاد ومغرباً   ولهنّ فى القِيمان كلُّ ذميلِ (١)
وسكنّ ألبابَ الرّجال وحينما   كان القريض إليه غيرَ وَصولِ

* * *

وقال يهنئ الملك العزيز بإبلاله من مرضه :

نادمتُ طيفَكِ ليلةَ الرّملِ   والرّكبُ من وَسَنٍ على شُغلِ (٢)
فطنوا لهجركِ إذ بخلتِ ضحًى   وعموا كرًى عن ساعة البذلِ
بتنا نُجدّ وكيف جدّ فتًى   مسترهنٌ فى قبضةِ الهزلِ
أهدى التى خلقتْ كما اقترحتْ   حسناً وما استرضته من «دَلّ» (٣)
كم قد أساءتْ وهى عامدةٌ   فجعلتها للحبِّ فى حِلّ
ولقد درى من لا يخادعنى   أنّى صريعُ الأعينِ النُّجْلِ
إنّ الذين ترحّلوا سَحَراً   قتلوا بذاك وما نَوَوْا قتلى
لم يحملوا يومَ الرّحيل سوى   قلبى العميد بِهم على البُزْلِ (٤)
وإذا رأيت جمالَ غانيةٍ   فهو الذى سَرَقَته من جُمَلِ (٥)
بيضاء تفضح بالضّياء ضحًى   ودُجًى بفاحمِ شعرها الجَثْلِ (٦)

---

(١) الذميل : ضرب من السير اللين للإبل .
(٢) الوسن : أول النوم والنعاس .
(٣) الدل (بفتح الدال) : الدلال والتغنج ، وفى الأصل « ذل » مصحفة .
(٤) العميد : من أضناه العشق ، والبزل : جمع البازل وهو من الإبل ما بزل نابه أى شق وبلغ التاسعة من عمره .
(٥) جمل : اسم امرأة حسناء .
(٦) الفاحم: الأسود ، والجثل : الغليظ .

وتنكّرتْ لمّا رأتْ وَضَحاً ... متلهّباً فى مَفرَقى يغلى (١)
وليَنْنِى زمناً بهنّ فمذْ ... شاب العِذارُ كتَبْنَ بالعَزْلِ
فكم ارتديتُ وذا الشّبابُ معى ... بغَديرةٍ وبعصمٍ طَفْلِ (٢)
فالآن مايمشى لغانيةٍ ... خَطْوى ولا تقتادها رُسْلى
قُيِّدتُ عنها بالمشيب كما ... عُقِلَ الشّرودُ الصَّعْبُ بالشِّكْلِ (٣)
لا تُلزمينى اليومَ ظالمةً ... ماليس من عَقْدى ولا حَلّى
إنّ المشيبَ وقد ذُمِمْتِ به ... من فعل ربّكِ ليس من فعلى
ما إنْ نزلتُ عليه أرْحُلَه ... وهو الذى وافى إلى رَحْلى
مَن مبلغٌ عنّى لأشكرَه الـ ... ملكَ العزيزَ وجامعَ الفضلِ
والفاعلَ الفعلاتِ ما عُهِدتْ ... بين الأنام وقائلَ الفَصلِ
أنتَ الذى سوّيتَ معتلياً ... بالفخر بين الفرع والأصلِ
لله دَرُّكَ فى الهياجِ وقد ... قامَ الحِمامُ به على رِجْلِ
والحكمُ للسّمرِ الطّوالِ به ... فى القومِ أو للأبيضِ النَّصْلِ
والحربُ تعذِمُ كلَّ مُضْطَبِعٍ ... بروانها بنيوبها العُصْلِ (٤)
وهناكَ من شرّ القنا عَلَقٌ ... كالطّلّ آونةً وكالوَبْلِ (٥)
والطّعنُ يفتقُ كلَّ واسعةٍ ... كالباب فاغرةٍ إلى الأكلِ
فى موقفٍ زلقٍ تشيب به ... لو أبصَرَتْه مفارقُ الطِّفلِ

(١) الوضح : البياض .
(٢) الغديرة : الذؤابة التى تتدلى على الصدر ، والطفل : الرخص الناعم .
(٣) الشكل (بالضم) : جمع الشكال (بالكسر) وهو حبل تشد به رجل الدابة .
(٤) تعذم : تعض وتأكل بجفاء ، والمضطبع : الذى لبس ثوبه كالمحرم ، والنيوب : جمع الناب ، والعصل : المعوجة .
(٥) العلق : الدم ، والطل : المطر الخفيف ، والوبل والوابل : المطر الشديد ، ومنه قوله تعالى: « فإنْ لم يصبها وابلٌ فطلٌّ » .

ملآن بالآسادِ ضاريةً غصّان من خيلٍ ومن رِجْلٍ [1]
كنتَ الأعزَّ به وقد خفضتْ فيه رؤوس القوم من ذُلِّ
وسَقَيْتَ أُمّاتِ الكماةِ به ضرباً وطعناً جرعةَ الثُّكْلِ [2]
حتّى كأنّك لا تخاف ردًى أوْلا تعافُ مرارةَ القتلِ
كم قد فرجتَ وأنتَ محتقرٌ لا ترتضي مِن ضَيّقٍ أزْلِ [3]
ونفحتَ من كَرَمٍ قضى ومضى روحاً لنا وقتلتَ مِن مَحْلِ
وأريتَنا أنّ الأُلَىٰ سُطِرَتْ نَفَحاتُهمْ كانوا أُولي بُخْلِ
قد كان في قلبي وأنت على شكواكَ مثلُ صوائبِ النَّبْلِ
وكأنني لمّا سمعتُ به حيرانُ ممتلئٌ من الخَبْلِ
ولو أنّني أسطيع فِدْيَتَها لفديتُها بالنفسِ والأهلِ
وحملتُ ثِقْلاً لامرىءٍ حملتْ طولَ الزّمانِ يمينُه ثِقْلي
أنتمْ إذا خفتُ الأذى عُمُري وإذا ضَحيتُ. فأنتمُ ظِلّي
وإذا ضُربتُ فأنتمُ جُنَني وإذا ضَربتُ فأنتمُ نَصْلي [4]
وإذا ظمئتُ فمن غديركمُ نَهَلي ومن جَدْواكمُ عَلّي [5]
ولقد فرغتُ من الأمور معاً وثناؤكمْ ومديحكمْ شُغلي
ولأنتَ من قومٍ إذا وعدوا سفّوا عن الإخلافِ والمَطْلِ
زحموا الكواكبَ عن مراكزها ومشوا على النَّسْرين بالنَّعْلِ [6]

---

(١) الرجل (بالكسر) : الجيش الكثير .
(٢) الكماة : الشجعان المدججون بالسلاح مفردها الكمىّ ، والثكل : الموت .
(٣) الأزل : الضيق .
(٤) الجنن : جمع الجنة (بالضم) وهى الدرع وكل ما واراك من سلاح ، والنصل : حديدة السهم والسيف .
(٥) الجدوى : العطية ، والنهل أول الشرب ، والعلل : ثانيه .
(٦) النسران : نجمان أحدهما يسمى النسر الطائر والآخر يسمى النسر الواقع .

والوعرُ كالجَرْدِ المبين إذا قطعوا مدًى والحَزْنُ كالسَّهْلِ
يا مالكاً لا مثلَ يعدله مافى ولائك آخَرٌ مثلى
ما كان بعضى فى يدَىْ بشرٍ فالآن خذ منّى هوًى كُلِّى
واسمعْ مديحاً بتّ أنظمه بعليه منك علىَّ ما يُملى
أغليتهُ دهراً ومذ علِقتْ بك راحتى أرخصتُ ما أغلى

* * *

وقال فى الآداب :

إذا لم أجدْ خِلًّا من النّاسِ مُجملًا فمن لِىَ منهمْ بالعدوّ المجاملِ ؟
فما إنْ أرى إلّا عدوًّا أخافه علىّ ويرمى كلَّ يومٍ مقاتلى
ومن كلّ ما فكّرتُ فى محنتى به قرعتُ جبينى أو عضضتُ أناملى
وفى الخير تلقى قائلًا غيرَ فاعلٍ وفى الشّرّ تلقى فاعلًا غيرَ قائلِ

* * *

وقال يرثى الشريف أبا الحسن محمد بن عمر [العلوى]
خليفته بالكوفة (١) :

مَن ذا الذى ينجو من الآجالِ فى هابطٍ من أرضه أو عالٍ ؟
ومَنِ المعرّجُ عن صُروفِ نوائبٍ يُجرَرْنَ فيه أو حُتوفِ ليالٍ ؟

(١) جاء فى نسخة الأصل بعد اسم « الشريف أبا الحسن . . على بن أبى طالب محمد . . » وهو من سهو الناسخ ، وقد ورد ذكره واستفاضت أخباره فى كتب التاريخ ، منها المنتظم لابن الجوزى « ج ٧ ص ٢١١ ـ ٢١٣ » وفى ذيل تاريخ ابن مسكويه وغيرها . وتوفى الشريف المذكور فى سنة « ٣٩٠ » وخلف من الأموال والضياع شيئاً كثيراً .

يا قربَ بين إقامةٍ وترحُّلِ والصّبحُ صبحُ العيش والآصالِ (١)
وإذا الليالي قوّضَتْ ما تبتَني فكأنّها ما بلّغتْ آمالي
ما لي أُعلِّلُ كلَّ يومٍ بالمُنى وأُساقُ من عِدٍّ إلى أوشالِ ؟ (٢)
ويغرّني الإكثارُ من نَشَبٍ وما الـ إكثارُ إلا أوّلُ الإقلالِ (٣)
قطّعْ حبالكَ من فتًى عصفتْ به هوجُ المنون فقد قطعتُ حبالي
كم من أخٍ عزّيتُ منه بالرّدى فعططتُ قلبي منه لا سِرْبالي (٤)
ووصلتُه حيًّا ولمّا أن أتتْ رُسُلُ الحِمامِ إليه مات وِصالي
جزَعي رخيصٌ يوم فاجأَ فقدُه قلبًا به صبًّا وصبري غالِ
ونبذته في حفرةٍ ممدودة الـ أعماق عن رِيحَيْ صَبًا وشمالِ
وكأنّه لمّا مضى بمسرّتي عجلًا أتاني من مَطيفِ خيالي
حتّى متى أنَا في إسارِ غرورةٍ وَرْهاءَ تَسحرني بكلِّ مُحالِ ؟ (٥)
مالي بها إلّا الشّجى وعلى الصّدى وقد استطال عليَّ غيرُ الآلِ (٦)
بخلائقٍ مملولةٍ مذمومةٍ عُوجٍ ولكنْ مالهنّ مَلالي
أوَ ما رأيتَ وقد رأيتَ معاشرًا سكنوا كما اقترحوا قِلالَ معالِ
حكّوا بهامِهمُ السّماء وجرّروا في الخافقين فواضلَ الأذيالِ
وتحلّقوا شرفًا وعزًّا باهرًا والموتُ حطّهمُ من الأجبالِ

---

(١) الآصال : جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر .
(٢) العد (بالكسر) : الماء الكثير ، والأوشال ، المياه القليلة مفردها الوشل .
(٣) النشب : المال .
(٤) عططت : شققت .
(٥) الإسار : القيد ، والورهاء : الحمقاء .
(٦) الشجى : الهم والحزن وما يعترض في الحلق من عظم ونحوه ، والصدى : الظمأ ، والآل : السراب .

مِن كلِّ مهضوم الحَشا سَبْطِ الشّوى ... كَرَماً وممتدِّ القناةِ طُوالِ (١)
دخّالِ كلِّ كريهةٍ ولاجِها ... جوّابِ كلِّ عظيمةٍ جوّالِ
متهجّمٍ إذ لاتَ حينَ تهجّمٍ ... واليومُ مُثْرٍ من قنًى ونصالِ
وإذا هُمُ سُئِلوا ندًى وُجدوا وقد ... سَبقوا إليه قبلَ كلِّ سؤالِ
طلعوا على أُفقِ النّدى في ساعةٍ ... لا طالعٌ فيها طلوعَ هلالِ
يا نازحاً عنّي على ضَنّي به ... خذ ما تشاء اليومَ مِن إعْوالي (٢)
قد كنتُ ذا ثِقْلٍ ولكنْ زادني ... فيك الرّدى ثِقْلاً على أثقالي
ياليتني ما إنْ تخذتُك صاحباً ... وأُحيلَ ودٌّ بيننا بتَقالِ
فارقتني وأُخِذْتَ قسراً من يدي ... من غيرِ أنْ خطر الفراقُ ببالي
مَن ذا قضى من شملنا بتبدّدٍ ... ورمى اجتماعاً بيننا بزيالِ ؟
إن يَسلُ عنك الجاهلون محاسناً ... عرّسْنَ فيك فلستُ عنك بسالِ (٣)
أوْ لمْ ترُعْهمْ بالفراق فإنّني ... مذ بِنتَ ممتلئٌ من الأوجالِ
إنْ تدنُ منّي وُصلةً وقرابةً ... فَلَأنتَ في قلبي من الخلالِ
وأجلُّ من قُرباك بالنسب الذي ... لا حمدَ فيه قرابةُ الأفعالِ
فدعِ التّناسبَ بالشّعوب فما له ... جدوًى تَفِي بتناسب الأحوالِ
ماضرّ خِلّي أن يكون مفارقاً ... في عنصري وخلاله كخِلالي
وإذا خليلي لم أُطِقْ فعلاً به ... يكفي الرّدى زوّدتُه أقوالي
وسقى الإلهُ حفيرةً أسكنتَها ... ماشئتَ من سحٍّ ومن هطّالِ

---

(١) مهضوم الحشا : دقيق الخصر ، والسبط : ضد الجعد ، والشوى : الأطراف ، والقناة : القامة ، والطوال ، بالضم : الطويل.
(٢) النازح : المرتحل والبعيد، والضن : البخل.
(٣) عرسن : أقمن، من التعريس وهو نزول المسافر للاستراحة .

وأتتْـكَ عِزاً كلُّ وَطفاء الـكُلى   ملأى من الأمطارِ والجلجالِ[1]
وإذا مضتْ تجلى استنابتْ غيرها   كيلا تضرَّ بذلك الإمحـــالِ
وإذا انقلبتَ إلى الجنانِ فإنمــا   ذاك التفرّقُ غايةُ الإقبالِ
ولقيتَ من عفو الإلهِ وصفحهِ   فوقَ الذى ترجو بغير مِطالِ
وإذا نجوتَ السّوء فى يومٍ به   كان الجزاء فإنّ كعبك عالِ

* * *

وقال فى الأدب :

ومن عجـائب أمرى أننى أبداً   أريدُ من صحّتى ماليس يبقى لِى
هل صحّةٌ من سقامٍ لادواء له   وكيف أبقى ولمّا يبقَ أمثالى؟
وما أريدسوى عينِ المحالِ فلا   سبيلَ يوماً إلى تبليــغ آمالى

* * *

وقال فيه كذلك :

والله لاذقتُ يوماً   مرارةً للسّؤالِ
ولاسمحتُ بعِرْضِى   وقايةً دون مالى
ولا رضيتُ قراراً   إلّا قلالَ المعــالى

* * *

وقال فيه أيضا :

والله لا كان لِى مالٌ أضِنّ به   ولارددتُ بغــير النُّجْحِ سُؤّالى

---

(١) الوطفاء : من السحاب التى قد تدلت ذيولها لكثرة مائها ، والكلى : جمع الكلية ، والجلجال : الصوت الشديد .

ولا ادّخرتُ سوى جودٍ ومكرُمةٍ ... ذخائراً لم أبتْ فيهـــا بأوجالِ

المـــالُ مالى إذا يوماً سمحتُ به ... وما تركتُ ورائى ليس من مالى

وفى غـــدٍ أنا مرموسٌ بمقفرةٍ ... ملساء عاطلةٍ من جانبِ الخالِ (١)

خالٍ وإنْ كنتُ ذا أهلٍ وذا نَشَبٍ ... عارٍ وإن كان بالبَوْغاء سِربالى (٢)

✲ ✲ ✲

وقال يرثى الوزير أبا الفتح (٣) ويعزى عنه أباه وأبناءه :

لا تَلُمِ الدّهرَ ولا تعذُلِ ... فطالمـــا صَمَّ عن العُذَّلِ

فى كلّ يومٍ مرّ من صرْفِهِ ... لنا أميمُ الرأسِ بالجندلِ (٤)

مُفَوَّقاً أسهمَه وجهتى ... مَن كان مدلولاً على مقتلى (٥)

أُنقَلُ من سُفلٍ إلى علوه ... طوراً ومن عالٍ إلى أسفـلِ

كأنّنى قســطلةٌ أُلقيتْ ... فى كفِّ مجنونٍ من الشَّمْألِ (٦)

ياموتُ ما أبقيتَ من شَمَخٍ ... غرٍّ وما جاوزتَ من رُذَّلِ

صرعْتَنى بكاساتك ممـلوءةً ... مُترعةً من ذلك الأقتلِ

كم أخرجتْ كفّك مستعصماً ... لا يحذر السّوءَ من المعقلِ

أين أناسٌ سكنوا قبلنــــا ... ذُرا العُلى فى الزّمن الأوّلِ ؟

مِن كلّ غَرثانِ الشّوى من خنًى ... مُستَمَعِ الأقوالِ فى المحفِلِ (٧)

كأنّمـــا طلعتُه طَلْقَةً ... سيفٌ قريبُ العهد بالصَّيْقَلِ (٨)

---

(١) الخال : الفرجة كالمائدة .

(٢) البوغاء : التراب .

(٣) لعله الوزير أبو الفتح ابن دارست وزير القائم .

(٤) الأميم : الذى أصابته الآمة وهى الشجة بلغت أم الرأس .

(٥) المفوق : المسدد والمصوب .

(٦) القسطلة : قطعة القسطل وهو غبار الحرب ، والشمأل : ريح الشمال .

(٧) الشوى : الأطراف ، والخنى : الفحش .

(٨) الصيقل : عامل السيوف .

سِيقوا إلى الموتِ كما سوّقَتْ   نجائبُ الغادين بالأرحُلِ
ولجعةٍ جاءتْ على بغتةٍ   تفعتني بالبارد السَّلْسَلِ
كأنّما جرّعني نابهُ   بذكرها كأساً من الحنظلِ
إنّ أبا الفتح قضى هالكاً   بفادحٍ من قدَرٍ مُنزَلِ
ثلْمَ من مَرْوَيَ فِقدانُه   وحزّ لمّا حزّ بالمنصلِ (١)
فالآن قلبي « جُرُحٌ » كلّه   ربّ جروحٍ نُشِنَ بالأنصُلِ (٢)
نجمَ المعالي إنّها خطّةٌ   يبين فيها كلُّ مُستَبْسِلِ (٣)
حملتَ منها أيّما صخرةٍ   والثِّقْلُ محمولٌ على البزَّلِ (٤)
لا تنظرِ اليومَ إلى حرّها   لذاعةً تعنُفُ بالمُصْطَلِي (٥)
وانظرْ إلى ما تركتْ بعدها   من نعمٍ للواهب المُجْزِلِ
دعْ زمناً في الغاب خلّى لنا   أسودَه تعبث بالأشبالِ
ولا تلمْهُ ورءوسٌ لنا   سليمةٌ إنْ عاثَ بالأرجلِ
وفي كثيبٍ فاتنا سَلْوةٌ   إن دفع السّوء عن الأجبلِ
واصبرْ عليها طَخْيَةً مرّةً   فإنّها عن كَثَبٍ تنجلي (٦)
عداكَ ما أرهفَ من حدّها   وعن أبيك الأوحدِ الأكملِ
ثمّ بنيك الغرّ مُلّيتَ مِنْ   بقائهمْ بالأملِ الأمثلِ
فاعدلْ لهذي نعماً ضخمةً   عن سُنّةِ المكتئبِ المُعْوِلِ

(١) المرو : حجر صلب براق .

(٢) في الأصل «جروح» في الشطر الأول ولا يستقيم الوزن بها، وضمت الراء في جرح للضرورة ، والأصل التسكين .

(٣) المستبسل : الشجاع .

(٤) البزل : جمع البازل وهو من الإبل ما بلغ التاسعة وبزل نابه أي شق .

(٥) المصطلي : المستدفئ بالنار

(٦) الطخية : الظلمة ، والكثب : القرب .

وكذبَ القـائلَ فى قولهِ : قد ظلمَ الدّهرُ ولمْ يعـدلِ
إنْ كان حزنٌ فليكنْ من فتًى لم يقلِ السّوءَ ولمْ يفعـلِ
فالحزنُ مغفورٌ ولولا الأسى لم يحسنِ الصّبرُ ولمْ يجمُـلِ
لابدَّ للمصبحِ فى نعمـةٍ يصبحه فى ليلهِ الأليَـلِ
وليس للقـاطنِ فى بلدةٍ معرّساً بدٌّ من المرْحَلِ (١)
إنّى منكمْ بودادى لـكمْ ووسط أبياتـكمْ منزلى
مامسّكمْ من جـذلٍ مسّنِى وما يصبْ من حُرَقٍ فهوَ لِى
ياراحـلًا لا أرتجى عودَه وإنْ رجونا عودَةَ الرُّحَّلِ
سَقَى الذى واراكَ فى تربةٍ سحُّ قُطارِ الواكفِ المُسبِلِ (٢)
ولا يزلْ قبرك فى روضـةٍ يُنفَحُ بالجادِىّ والمَنْدَلِ (٣)
تعاقبُ الأنواءِ نوّارَه فمن مُلِثِّ القَطْرِ أو مُنجَلِ (٤)

* * *

وقال فى التوكل على الله :

طلبتُ الغنى حرصاً على بذلِيَ الغنى فلم أرد إلّا بكفّ بخيـلِ
وكنتُ متى أرجو البخيلَ لحاجةٍ حُرِمتُ رشادى أو ظَلَلْتُ سبيـلى
وقلتُ لمن ذمّ القليـلَ ضراعةً : قليلٌ يصون الوجه غـيرُ قليلِ (٥)
وكم للذى حاز الغنى بعد فقده بكاءٌ ومن حزنٍ عليـه طويلِ

---

(١) المعرس : المسافر النازل للاستراحة .

(٢) القطار : المتقاطر فى الماء ، والواكف : المطر المنهل ، والمسبل : الهاطل السائل .

(٣) الجادى : نبت طيب الرائحة ، والندل : عود البخور .

(٤) الأنواء : السحب ، وأصل الأنواء : مساقط النجوم الشمرة بسقوط المطر مفردها نوء كضوء ، والنوار : زهر أبيض ، والملث : الدائم ، والودق : المطر .

(٥) الضراعة : الذلة والخشوع .

فأين وأحوالُ الرّجالِ شتائتٌ مقامُ عزيزٍ من مقامِ ذليــــلِ ؟
فـلْ خالقاً فضلَ العطيّـةِ مجزلا فإنّ عطاء الخلق غيرُ جزيلِ
وأشقى الورى مَن كان أكبرَ همّه هجله ضنينٍ أو مديحُ مُنيـلِ (١)

❊ ❊ ❊

وقال فى الطيف :

ياقاتلى إنْ كنتَ ترْ ضى من ودادى بالمحالِ
فلسوفَ أقنع من لقـا ئك لى بطيفٍ من خيالِ
زَوْرٌ بزَوْرٍ مثـلِهِ حذوَ الأديمِ على مثالِ (٢)
كيف أستجزتَ الصّدقَ فى هجرى وكذباً فى وصالى؟
وجعلتَ منعكَ فى الضّحى وتركتَ برّكَ فى الليالى
مانلتقى إلّا كما زعمتْ أمانٍ فى الكرى لى
أنتَ الحبيب فلِمْ صنيـ عك لى شبيهٌ بالتّقالى؟ (٣)
وأرى نوالَكَ فى يدى إنْ رمتُه صعْبَ النّوالِ
والرُّخصُ عنـدكَ كلُّه فى باطلٍ والحقُّ غالِ

❊ ❊ ❊

وقال فى ذم الزمان :

أماترى الدّهرَ مـلولّا صوارمُه تفرى وتقطع منّا كلَّ موصولِ؟
معلّلاً كلّنا يدوى ويُسقِمُه وربّما ضرّ ذا سُقمٍ بتعليلِ

---

(١) الضنين : البخل .
(٢) الزور (بالفتح) : الزائر .
(٣) التقالى : التباغض .

أمّلتُ فيه أموراً ما ظفرتُ بها   وعاد يسحب ذيلَ المنعِ تأميلى
فعدِّ مثواكَ عن شىء منيتَ به   فلا انتفاعٌ لمشغولٍ بمشغولِ

* * *

وقال يهنئ جلال الدولة بعيد الفطر « سنة ٤٢٥ »[1]

ما صِيدَ قلبُك إلّا بابنةِ الكِلَلِ   وكم نجا النّبلَ مَن لم ينجُ من مُقَلِ
دعتْ هوايَ إليها فاستجاب لها   غنيّةٌ عن سوادِ الكُحلِ بالكَحَلِ[2]
بيضاء تفضح صبحَ اللّيلِ إنْ نشرتْ   ذُؤابةً فى فروع الفاحمِ الرَّجِلِ[3]
ولو رأتْ وجهَها شمسُ النّهارِ وقدْ   ألقتْ معاجرها غابتْ من الخجلِ[4]
ولم يَطُرْ بِيَ لولا حبُّهـا غَزَلٌ   فساقنى حسنُها كرهاً إلى الغزَلِ[5]
فلو رآها عذولٌ تاب معتـذراً   من أنْ يعود إلى شىء من العَذَلِ
مرّتْ بنـا وفؤادى لى فما برحتْ   حتّى كأنّ فؤادى قطُّ لم يكُ لى
وزارنى طيفُها وَهْناً فأوهمنى   زيارةً كنتُ أرجوها فلم أنلِ[6]
هى الزّيارةُ معسولًا تطعّمُهـا   وليس فيهـا لنـا شىء من العَسَلِ
لو كان طيفُكِ أوْلانا زيارتَه   على الحقيقـةِ ماولّى على عجَلِ
عطيّةُ النّومِ منعٌ لا انتفاعَ بهـا   للعاشقين ، وجودُ الطّيف كالبُخْلِ
فكيف جئتِ إلينـا غيرَ سائرةٍ   على جوادٍ ولا «حِدْجٍ» على جملِ؟[7]

---

(١) جاء فى طيف الخيال صدر مطلعها وسبعة أبيات منها (ص ١١٣) .

(٢) الكحل (بفتحتين) : اسوداد منابت الأشفار خلقة .

(٣) الفروع : جمع الفرع وهو الشعر ، والرجل : من الشعر مالم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة .

(٤) المعاجر : جمع المعجرة وهى مايلف به الرأس من عمامة وغيرها .

(٥) يطر : من الفعل طار يطور به الشىء ، أى ألم به وقرب منه .

(٦) الوهن : ظلام منتصف الليل .

(٧) الحدج : مركب للنساء ، وفى (س) « حدجاً » بدل « حدج » .

وكيف لم توقظى صحبى وقد هجعوا ... برنّةِ الحَلْىِ أو من «فَغْمَةِ» الحُلَلِ ؟ (١)

قد قلتُ للرَّكب حثّوا كلَّ سَلْهَبَةٍ ... جَرْداءَ أو جَسْرَةٍ من أَيْنُقٍ بُزُلِ (٢)

فى مَهْمَهٍ لا ترى فيه لناجيةٍ ... فى ظهرها الكُورُ غيرَ الشدِّ والرَّحَلِ (٣)

حُطّوا بعَقْوةِ ركنِ الدّينِ وابتهجوا ... بالمنهلِ العَذْبِ أو فى المنبتِ الخضِلِ (٤)

حيثُ الملوكُ ملوكُ الأرضِ خاشعةٌ ... لمالكِ الأرضِ والأعناقِ والدُّوَلِ

وجانبٌ تُنهبُ الأموالُ فيه فما ... يرضى لمن أمّلَ الأموالَ بالأملِ

ومطرحٌ ليس فيه للملامِ يدٌ ... ولا معابٌ لتفصيلٍ ولا جُمَلِ

ما فيه إلّا صريحٌ أو علانيةٌ ... بالاتّفاقِ ولا صالحٌ على دَخَلِ (٥)

كم موقفٍ ثَمَّ فيه ليس مُحتكِمٌ ... غيرَ الصوارمِ والخطّيّةِ الذُّبلِ (٦)

حيث النّجاةُ مَروقٌ كفَّ طالبه ... ومَوْقِدُ الحربِ يرمى القومَ بالشُّعَلِ (٧)

شهدتَه بجَنانٍ ما ألَمَّ به ... ذعرٌ ولا مسّه مسٌّ من الوَجَلِ

ثَبْتَ المقامة فى دحضٍ مزالقُه ... لو زالتِ الصُّمُّ يوماً عنه لم يَزُلِ

وأنتَ فى ظهرِ ملطومٍ بغرّته ... كأنّه شِدّةٌ قَدْ قُدَّ من جَبَلِ

لا يعرف الطّيشَ فى سِلْمٍ وممتلئاً ... فى ساعة الرَّوع ممّا شئتَ من خَبَلِ

مُحكَّمٌ فيه أنّى شاء فارسه ... للرَّيثِ إنْ رامه طوراً وللعَجَلِ

فقل لمن شكّ جهلاً فى شجاعته ... وإنّه قانصٌ نفسَ الفتى البَطَلِ :

---

(١) الفغمة : تضوع الرائحة ، وفى الأصل « نعمة » مصحفة .

(٢) السلهبة : الطويلة الممتدة من الخيل وغيرها ، والجسرة : القوية ، والأينق : جمع الناقة ، والبزل : جمع البازل والبزلاء وهى التى بلغت التاسعة فى عمرها وبزل نابها أى شق .

(٣) المهمه : المفازة ، الناجية الناقة السريعة والكور الرحل .

(٤) العقوة : ما حول الدار ، والخضل : المبتل .

(٥) الدخل : الغش .

(٦) الخطية : الرماح تجلب من بلاد الخط بالبحرين ، والذبل : جمع الذابل وهو الدقيق من الرماح .

(٧) المروق (بفتح الميم) : الخارج .

من أين تحكم إلا في يديه ظُبـاً ... يوم الكريهة في الأجسام والقُلَلِ ؟[1]
أوْ مَن سواه تروّى فتقَ طعنتِـه ... نحرَ المدجّجِ ظمآناً من الأَسَلِ ؟[2]
مَن عالج الملك لولاه وقد طرأتْ ... على ضواحيه صعباتٌ من العِلَلِ ؟
مَن راشَهُ بعد أنْ حُصَّتْ قَوادِمُهُ ... مَن صانه وهو في أظفارِ مبتذلِ ؟[3]
مَن ذبّ عنه ببيضٍ ما عَرفن وقد ... سُلِلْن في نصره عَوْداً إلى الخِلَلِ ؟[4]
مَن ردّ عنـه نيوباً للخطوب وقد ... هَفَوْن بالرأى أو برّحْن بالحِيَلِ ؟[5]
مَن كفّ أيدِيَ أقوامٍ به عبثوا ... وردّهنّ بما يكرهن من شَلَلِ ؟
لا تحسبنّى كأقوامٍ خبرتَهمُ ... قِيدوا بأرشيـةِ النَّعماء والنَّفَلِ[6]
بلا قرارٍ على دارٍ يحلّ بهـا ... ولا مقامٍ على شيء من السُّبُلِ
فإنني لك صافٍ غيرُ ذى كَدَرٍ ... ووارِدٌ منك عِدّاً غيرَ ذى وَشَلِ[7]
وإنْ تبدّل قومٌ عنك وانتقلوا ... فليس لى منك عُمْرَ الدهر من بَدَلِ
وإنْ يحولوا وَيضْحَوْا غيرَ مَن عُهدوا ... فإننى لم يَزَلْ وُدّى ولم يَحُلِ
وإنْ يُمَلّوا وما مُلّ الجميلُ بهمْ ... فإننى مُعتَقٌ من رِبْقَـةِ المَلَلِ
خوّلتني منك إكراماً يُخيَّلُ لى ... أنّ الأنامَ لما خوّلتنى خَوَلى[8]
وما جذلتُ لشيء في الزّمان وقدْ ... أسجبتنى باجتبائى حُلّةَ الجذَلِ[9]

---

(١) القلل : الرءوس .
(٢) المدجج : لابس السلاح ، والأسل : الرماح .
(٣) راشه : جعل له ريشا أى أنعشه وقواه ، وحصت : كقصت زنة ومعنى ، والقوادم : الريشات المتقدمة من جناح الطائر .
(٤) الخلل : جمع الخلة بالكسر وهى قراب السيف .
(٥) النيوب : جمع الناب .
(٦) الأرشية : جمع الرشاء وهو الحبل ، والنفل : الغنيمة .
(٧) العد (بالكسر) : الماء الكثير ، والوشل : القليل .
(٨) الخول : بفتحتين : الخدم .
(٩) الاجتباء : الاصطفاء والاختيار ، والجذل : الفرح .

فإنْ وردتُ زلالًا غبَّ معطشةٍ ... فنى ولائك عَلَّى اليومَ أو نَهَلِى (١)

ومذْ وصلتُك دون النّاس كلّهم ... فقد قطعتُ على خُبْرٍ بهمْ وُصُلِى (٢)

ومذْ جعلتُ لظهرى منك مستَنَداً ... غَنِيتُ عن أُكَمِ القِيعانِ بالجبلِ (٣)

فاسعدْ بذاالعيد وليمضِ الصّيامُ فقد ... أثنى عليك بخيرِ القولِ والعملِ

يمضى بلا هفوةٍ فى عرضه مرقتْ ... ولا عثارٍ ولا شىءٍ من الزَّلَلِ

وعشْ مُوَقًّى خطوبَ الدّهرِ محتمياً ... عمادُ عزّك عن ثلمٍ وعن مَيَلِ

وثوبُ فخرك لا يُطوَى على شَعَثٍ ... وشمسُ ملكك لاتُدنى إلى طَفَلِ (٤)

* * *

وقال فى النسيب :

يا عليلَ الطَّرْفِ رفقاً ... بِضَنَى قلبٍ عليلِ

هو راضٍ بعد أنْ لم ... يرضَ ما دون القليلِ

كم لعينيك ولمّا ... تجنِ فينا من قتيلِ ؟

أنتَ فى قلبى وإنْ غُيِّبْتَ عن عينى نزيلى

أىُّ عذرٍ مَعَ إمْكا ... نِ العطايا بالبخيلِ ؟

وأحقُّ النّاس بالإجْ ... مالِ ذو الوجه الجميلِ

ما الّذى ضرّك لوعا ... نقتنى يومَ الرّحيلِ ؟

يومَ لا يحفلُ لى سَمْ ... عٌ بعذلٍ من عذولِ

طال من يومِ فراقْ ... ـكمُ غيرُ طويلِ

---

(١) غب : بعد ، والعل : الشرب الثانى ، والنهل : الشرب الأول .

(٢) الخبر : التجربة ، والوصلة : الاتصال .

(٣) الأكم : جمع الأكمة وهى الرابية والتل ، والقيعان : جمع القاع .

(٤) الشعث : التفريق ، وتشعث الشعر : تلبدواغبر ، والطفل : قبيل الغروب

بأبى مَن حملتْ كفَـــاه قلبى فى الحمولِ
فهو من بعد قرارٍ من وجيفٍ وذميلِ [1]
سَفَرٌ ما كان لى زا دٌ به غـــيرُ عويلى
ليس لِى غـيرُ الأسى عنـ دك والهَمُّ الدّخيلِ
لاحرمتُ السُّولَ ممّنْ هو دون الخلق سولى
وإذا حَلَأْتنى عَنْـ ـكَ فمن يروى غليلى ؟[2]
وإذا لم تُنِلِ الرِّفْـ ـدَ فمـــالى من مُنيلِ

* * *

وقال فى العتب :

رأيتكمْ فى أمورٍ غـير مسفرةٍ ما ينقضى شُغُلٌ إلّا إلى شُغُلِ
فإنْ تكنْ تلـكمُ الأشغالُ قاطعةً عن غيركمْ فشفاها الله من عللِ
وإنْ يكن ذاكَ تعويقًا لشرّكمُ فينا فياحبّذا الأشغالُ من عُقَلِ
لا خير فيمن تناساه الرّجاء فما تسرى إليه بُنيّاتٌ من الأملِ [3]
ولم يَبِتْ أحدٌ منه وإن بعدتْ عنه محلّته إلّا على وَجَلِ

* * *

وقال فى تمنى صاحب :

مَن لى بمن إنْ سُمتــه حاجةً شمّر فيهـــا فَضْلَ أذيالِهِ ؟

---

(١) الوجيف والذميل : ضربان من السير.
(٢) حلأه : طرده وأبعده ، والغليل : شدة العطش .
(٣) بنيات الأمل : ترهاته وفنونه .

فيبذل النّفسَ ولا يرتضى   فى لزَباتى بذْلَ أمواله [1]
وحاملٍ ثِقلى على ظهرهِ   كأنّه من بعض أثقالِه
لو غــدر النّاسُ به كلُّهمْ   ما خطر الغــدرُ على بالِه
وربّما أعرضتُ عنــه فلا   أعدَمُ منه فضلَ إقبالِه
ماعثرتْ رِجلُ أمرىءٍ مُنفضٍ   أغنتــه كفّاهُ بإذلالِه [2]
ولا رأته عينُ ذى زلّةٍ   أبدلَ إلحاشاً بإجمــالِه

* * *

وقال يذكر منشرأ أنشر ، فنظم على فحواه ويذكراه :

أيّها الشّيخُ إنّ مَن نوّرَ الصّيـ   ـدَ كمن صاده بحُكمِ العقولِ
هِجتَ منّى على القوافى جَناناً   لم يكن عن بديعها بكليلِ
فطمى بحرُ خاطرى فتراءى   فيه قولى من غــير معنًى مقولِ
ذلك الفضل إذ دللتَ على الفضـ   ـل ولا بدّ فى السُّرى من دليلِ

* * *

وقال فى غرضه له :

ألا إنّ قلبىَ من بعدكمْ   أفاق وفارقنى باطــلى
فأصبحتُ خلوَ ضمير الفؤاد   وقد كان فى شُغُلٍ شاغلِ
وما لِىَ يا قومُ تعريجةٌ   بذاتِ حُلِىّ ولا عاطِلِ [3]
ولا أنا أطمعُ فى جائدٍ   ولا أنا أيأسُ من باخلِ
ولا بتّ أشتاق من صبوةٍ   إلى غاربٍ بالنّوى آفلِ

---

(١) اللزبات . جمع اللزبة كالأزمة وهى الشدة والقحط .   (٢) المنفض : الذى ذهب زاده .
(٣) العاطل : الخالية من الحلى .

ولا كنتُ أحفل فى بلدةٍ — مقيماً بمُستوفِزٍ راحـــلِ [1]
ومن عجبٍ أنّ ذات السّوار — تواصِلُ مَن ليس بالواصـــلِ
يُصبُ بهـــا يَمَنِيُّ النِّجار — وتسكن وسْطَ بنى وائلِ [2]
وتعتاض من جانبٍ فاهقٍ — من الخِصْبِ بالجانب الماحِلِ [3]
أُعيذك من مُهبِلاتِ الزّمان — حكمن على الرّجالِ العاقلِ [4]
ومن نفحاتٍ عَدَوْن النّبيه — وعُجن على «منزلِ» الخاملِ [5]
ومن آنفٍ أضرعته الخطوبُ — حتّى تعرّض للنّائلِ [6]
ومن كَلِمٍ جَدَّ بالسامعين — وجـــدّ عن المنطقِ الهازلِ
ومن طمعٍ للفتى خائبٍ — ومن أَمَلٍ فى الغنى حائلِ [7]
ومن صَبْوَةٍ نحو مُسْتَقْلَعِ الـ — ـغُروسِ وشيكِ النّوى زائلِ
ومن خُدَعٍ لبُدور النُّضار — وهبن المذلّةَ للسّائلِ [8]
وقد علم القومُ أنّى شَطَطْتُ — بسَرْحِىَ عن مَسْقَطِ الوابلِ [9]
وأجمَمتُه يرتعيه العـــدوّ — نجاءً عن الخُلُقِ السّافلِ [10]
ولمّا أنفتُ من الأعطيات — رميتُ الوفىَّ على الماطلِ

---

(١) المستوفز : المتهيىء للسفر ، والمستعجل .

(٢) النجار (بالكسر) : الأصل .

(٣) الفاهق : الممتلىء .

(٤) مهبلات الزمان : صروفه وغفلاته ، والهبل : الثكل .

(٥) فى الأصل « المنزل » بدل « منزل » .

(٦) أضرعته : أذلته ، والضراعة : الذل والخشوع .

(٧) الحائل : العقيم لا رجاء فيه .

(٨) البدور : جمع البدرة بوزن البذرة وهى كيس فيه الدراهم قيل عشرة آلاف وغير ذلك . والنضار : الذهب .

(٩) شططت : بعدت ، والسرح : المال السائم كالغنم والإبل ، والوابل : المطر الشديد .

(١٠) أجم المال: جمعه وأكثره ، والنجاء : الهرب .

فأصبحتُ عُرْيانَ من مُنْيَةٍ   تسوق الهوانَ إلى الآملِ
أقول لقومٍ يودّون أنْ   تصوب عليهمْ يدُ الباذلِ (١)
فما شئتَ من مَلْطَمٍ ضارعٍ   وماء حياء لهم سائلِ (٢)
إذا كان نفعُكمُ آجلاً   فلى دونكمْ راحةُ العاجلِ

* * *

وقال فى تهذيب النفس :

لا تقطعنّ رجاء العيش بالعِللِ   فالعمرُ أقصر أوقاتاً من الشُّغُلِ
وما السّرورُ على خَلْقٍ بمتّئدٍ   وما النّعيم على الدّنيا بمتّصلِ (٣)
قضى الزّمانُ بأن يبتزّ نِحْلَتَه   ما يُبْرِم الصّبحُ تُعريه يدُ الطَّفَلِ (٤)
أقول إذ لامنى فى الحبّ جاهله   لو كنتَ لاقيتَ ما ألقاه لم تَقُلِ
خفِّضْ عليك فإنّى غيرُ منعطفٍ   على ملامٍ ولا مُصغٍ إلى عَذَلِ
إذا نزعت هوًى فى ثوب غِرّته   فإنّ سرّ الصِّبا فى خمرة الغَزَلِ
وشافعُ الحبّ لا تنفكّ طاعتُه   أدنى إلى النّفس من همٍّ إلى جَذَلِ (٥)
لا تأنسنّ بلين الصّعبِ فى كَلَفٍ   فاللّيثُ يصبو ويعلو منكِبَ البَطَلِ
ولا يغرّنْك حلمٌ فى مواطنـه   فالدّهر يُغضى ويقضى أعضلَ العُقَلِ (٦)
وكيف يُدْنى من التّشمير فى حَدَثٍ   مَن داؤه فى ظهور الخيلِ والإبلِ ؟ (٧)

---

(١) تصوب : تمطر وتنهمر .
(٢) الملطم : الخد ، والضارع : الذليل .
(٣) المتئد : الدائم الثابت .
(٤) نحلته : عطيته ، والطفل (بالتحريك) : وقت ما بعد العصر .
(٥) الجذل : الفرح .
(٦) العقل : جمع العقلة وهى ما يعقل به كالقيد والعقال .
(٧) التشمير : النهوض والتهيؤ للأمر والجد فيه .

أدنى شعارَيْه درعٌ فى تفضّـــلِه — وكفُّه منبتُ العَسّالةِ الذُّبلِ (١)

يرضى النِّجادَ بديلاً من تمـــائمه — وأحمرَ النَّقْعِ من مُحمرّةِ الحُلَلِ (٢)

ولا وِسادَ له إلّا جوارحُـــــه — ولا يُمهِّد إلّا جَلْدَةَ الشُّبُلِ

مايَعجِمُ الخطبُ لِي عوداً على خَوَرٍ — ولايكشّفُ منّى القلبُ عن وَهَلِ (٣)

ولا امتطيتُ صنيعاً ذمَّ راكبه — ولا أدار لسانى القولَ فى خَطَلِ (٤)

هيهات أرهب من هذا الورى أحداً — وقد رأيت شمولَ العجز والفَشَلِ

إنّ الرّجالَ وإنْ راعتْك كثرتُهمْ — إذا خبرتَهمُ لم تُلفِ من رجلِ

مَن لم تــكن غايةَ العلياء بغيتُه — فلن أُلابِسَهُ إلاّ على دَخَلِ (٥)

لله يومٌ أتانى وهـــو مبتسمٌ — لقيتُ فيه نفوسَ القومِ بالأجلِ

على حصانٍ ، حصينٌ مَنْ تَجلَّله — كأنّه قد تعـــلّى ذروةَ الجبَلِ

رَحْبِ الجبين قصيرِ الظّهر من سَعَةٍ — كأنّ راكبه منه على الــكَفَلِ (٦)

لمّا طلعتُ بصدق العزمِ مشتملاً — رأى الــكماة بوجهى مالىء المُقَلِ

وغُرّةُ الشّمسِ بالقَسْطالِ فى كِلَلٍ — وبالبصائرخدُّ الأرضِ فى خَجَلِ (٧)

قل للنوائب إمّا كنتَ مخبرَها : — بينى وبينك قرعُ البيضِ والأَسَلِ (٨)

---

(١) الشعار : الثوب الذى يلى البدن ، والعسالة : الرمح ، والذبل : الرقيقة .

(٢) النجاد : حائل السيف ، والتمائم : جمع التميمة وهى خرزة تعلقها الأعراب على أولادها لتقيهم العين على زعمهم ، والنقع : غبار الحرب .

(٣) يجم العود : عضه ليعلم صلابته ، والخور : الضعف ، والوهل : الفزع .

(٤) الخطل : الفحش والخطأ .

(٥) الدخل : الغش .

(٦) الـكفل : العجز أو القطن .

(٧) القسطال : غبار الحرب .

(٨) البيض : السيوف ، والأسل : الرماح .

فى فتيةٍ عشقوا الحربَ العَوانَ فما ... يزورُ عشقَهمُ شئٌ «سوى» المَلَلِ (١)

لا يرهبون المنايا أنْ تلمّ بهمْ ... ولا يخافون يوماً جرعةَ الثُّكُلِ

إليكِ عنِّىَ أخلاقَ اللّئامِ فما ... يُجيد سمعى إلى نجواكِ من مَيَلِ

مَن شاء أن يتحامَى الهُونُ حوزتَه ... يكنْ بوفدِ الأمانى غيرَ محتفلِ

لا يقنُصُ الدّهرُ قلبى فى حبائله ... ولا يميل اعتزامى فى صِبا أملِ

لا زلتِ ياأعينَ الحسّاد مُطرَفةً ... دونى و ياقلبَهمْ لازلتَ فى خَزَلِ (٢)

من يحسدِ المجدَ غَصّانٌ بحسرتِهِ ... وعاشقُ المجد لا يُلْفى على مَلَلِ

لاتنظرنّ امرأً من غير حاسده ... فليس يُدرك صدقاً ناظرُ الحُوَلِ (٣)

* * *

وقال راثياً بعض أصدقائه :

متى أنَا ناجٍ من سهام الغوائلِ ... يصبن فما يرضين غير المقاتلِ ؟

وحتّى متى تبرى النّوائبُ صَعْدَتى ... وتقرع بابى طارقاتُ النّوازلِ ؟ (٤)

أروح وأغدو فى إسار « غرورها » ... تخادعنى فى كلّ يومٍ بباطلِ (٥)

إذا لم يُصبنى سهمُ عامى تخاطئاً ... أصاب كما شاء الرّدَى سهمُ قابلِ

رهينُ رزايا ما يُمَلُّ طروقُها ... ومُلّ طروقى فى مدًى متطاولِ

تُخالسنى قومى وغُرُّ أصادقى ... وتُعرِى بنانى من نفيس عقائلى (٦)

---

(١) الحرب العوان . التى قوتل فيها مرّة ، ولعل لفظة « سوى » محرفة عن « من » بدليل وله فى البيت قبل الأخير من هذه القصيدة « وعاشق المجد لا يلفى على ملل » .

(٢) المطرفة : المغمضة ، والخزل : الفشل والانقطاع .

(٣) الحول (كصرد) : الحاجز بين الشيئين .

(٤) الصعدة : القناة المستوية .

(٥) فى الأصل « غروره » بدل « غرورها » .

(٦) العقائل : النفائس الكريمة من كل شىء ، ومن النساء : المخدرات .

فإنْ لم يَرِدْ صبحى علىَّ مع الرَّدى ... فياويلُ أُمّى ويلُها من أصائلى [1].
أصاب الرَّدى أبناء لَخمٍ وحِمْيَرٍ ... وساق إلى الأجداثِ شُوسَ القبائلِ
وأفنى نِزاراً واليمانين قبلهمْ ... وحطَّهمُ من شاهقاتِ المعاقلِ
وزارهمُ صبحاً وكلَّ عشيّةٍ ... فلم يسبقــوه بالجياد الصَّواهلِ
ولم تغنِهمْ بيضٌ رقاقٌ قواطعٌ ... ولم تُنجِهمْ زُرقٌ لسمر الذَّوابلِ
وما انتصروا من بأسه وهو واحدٌ ... بما احتشدوا أو جمّعوا من قَنابِلِ [2]
ولا مُضمَراتٍ للطِّرادِ كأنّها ... تجوب الفَلا بعضُ الذِّئابِ العواسلِ [3]
يُقَدْن إلى أرضِ العدوّ عوارياً ... فتدخل فى نسج الثَّرى فى غلائلِ [4]
عليهنّ ولّاجونَ كلَّ عظيمةٍ ... ومحتقرون فى عُلَى كلِّ هائلِ [5]
إذا ظمئتْ أحشاؤهمْ من حفيظةٍ ... فلم تروهمْ غــيرُ الدِّماء السَّوائلِ
فـكم فى الثَّرى مَن كان عِبئاً به الثَّرى ... وكم فى التُّرابِ من مليكٍ حُلاحلِ [6]
ومن مغرمٍ بالجود لم يَثنِ عنــده ... بلا ملئها من رِفدِه كفُّ سائلِ
إذا زاره يوماً فقــيرٌ فإنَّما ... يروح غنيًّا من جيادٍ وجاملِ [7]
أقول لناعى المـكرُماتِ وقد ثوى ... أبوها بملتفِّ الظُّبا فى القساطلِ [8]

---

(١) الأصائل : جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر إلى الغروب .
(٢) القنابل : جمع القنبلة (بفتح القاف والباء) وهى الطائفة من الناس ومن الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه .
(٣) مضمرات : ضامرات ، وتجوب : تطوف ، والعواسل . جمع العاسل أى المضطرب فى مشيه وهى صفة للذئب يقال له عاسل نسال .
(٤) الغلائل : جمع الغلالة (بالكسر) شعار يلبس تحت الثوب أو الدرع .
(٥) ولاجون : دخالون .
(٦) الحلاحل : السيد الشجاع .
(٧) الجامل : القطيع من الجمال مع رعاتها .
(٨) القساطل : جمع القسطل وهو غبار الحرب .

بمَدْرَجة للعاصفات تلاحفتْ … معارفُها مطموسةٌ بالمجاهلِ (١)
ألا قلتَ ما يا ليتَ ما كنتَ قلتَه … فكم ضَرَمٍ فى القلب من قول قائلِ
نعيتَ إلى قلبى ولم تدرِ مثلَه … وعرّفتَ ما بينى و بين البلابلِ (٢)
و باعدتَ عن عينى قِراها من الكرى … وأغريتَ جَفنى بالدّموع الهواطلِ
فتًى كان محجاماً عن العار راكباً … ـوقدرُ الوغى تغلى ـ صدورَ العواملِ (٣)
إذا قال لم يترك مقالًا لقائلٍ … و إن صال لم يترك مصالًا لصائلِ
ودلّ على أحسابه بفعاله … ونمّ على أعراقه بالشّمائلِ (٤)
ولا كان إلّا ناجياً من عَضِيهَةٍ … ولا ساعياً إلّا بطرق الفضائلِ (٥)
تعادل منه الأصلُ والفرعُ وارتوتْ … أواخرُه من شبه ماء الأوائلِ
كأنّىَ لمّا أنْ شَنَنتُ حديثه … شننتُ ذكىَّ المسك بين المحافلِ
فإنْ عقمتْ فيه ليالٍ قصيرةٌ … فقد أنجبت فيه بطونُ الحواملِ
و إنْ نزل القاع القفار فكم له … بحَبِّ قلوبٍ بيننا من منازلِ
و إنّك من قومٍ كأنّ وجوههمْ … سيوفٌ ولكنْ ما جُلين بصاقلِ
إذا افتخروا حازوا الفخارَ وطأطأوا … بأيديهمُ طولَ الفتى المتطاولِ
ولم تُلفِهمْ إلّا بعيدين بالعلا … وطيب السّجايا من يد المتناولِ
فكم فرجتْ ألفاظُك الغرُّ ضيِّقًا … وما فرجوه بالقنا والمناصلِ
وما زالتِ الآراء منك صوائباً … يقطّعن فى الأعداء كلّ الوصائلِ
ولمّا استُلبتَ اليومَ وحدكَ من يدى … رجعتُ ومالى غيرُ عضِّ الأناملِ

---

(١) المدرجة : الطريق ، وتلاحفت : تكاثفت وتغطت .
(٢) البلابل : الهموم والوساوس .
(٣) العوامل : صدور الرماح مما يلى السنان مفردها؛ العامل .
(٤) الأعراق : الأصول ، والشمائل : السجايا والخصال .
(٥) العضيهة : البهتان والكذب .

فمِنْ غيرَ مذمومٍ فكم بان بيننا ... بلومٍ وتعنيفٍ جريحُ المفاصلِ
أقمتَ مقامَ الأمن فينا أو الغنى ... وأقلعتَ إقلاعَ الغيوث الهواطلِ
وما كنتُ أخشى أنَّ أيامك التى ... طردنا بهنَّ الهمَّ غيرُ أطاولِ
ولا أنَّنى أدعوك حزناً ولوعةً ... وأنت بشغلٍ عن جوابِىَ شاغلِ
ولو أنَّنى وفَّيتُ رُزْءك حقَّه ... لأصبحتُ أو أمسيتُ رُزؤك قاتلى
كأنِّىَ مرميًّا بفقدك كارعاً ... كؤوسَ الشَّجايا من رمىِّ الشَّواكلِ (١)
وما ضرَّ مَن أدعوه أوفى أصادقى ... إذا لم يكن من معشرى وقبائلى ؟
ألا فاسقِنى من دمع عينى وغنِّنِى ... بنوح النِّساء المُعولاتِ الثَّواكلِ
وإن كان حزنى عندك اليوم مسرفاً ... فلا تُدنِ سمعى من مقال العواذلِ
فقل للذى « عالاه » فوق سريره ... يريد به البيداء فوق الكواهلِ : (٢)
هُبِلتَ ؛ أتدرى مَن حملتَ إلى الثَّرى ... صريعاً وقد واريتَ خلفَ الجنادلِ؟
وأىُّ لِزازٍ للخصومِ دفنتَه ... وأنزلتَه فى منزلٍ غيرِ آهلِ ؟ (٣)
فلا مَطَلَتْك الرَّاهماتُ برحمةٍ ... فما كنت يوماً فى ندًى بمماطلِ (٤)
ولا زال قبرٌ أنت فيه تجوده ... كما شاء أنواءُ الضُّحى والأصائلِ (٥)
وإنْ حالتِ الهيآتُ منك على البِلى ... ففضلك ما بين الورى غيرُ حائلِ
وإنْ زال شجوٌ عن قلوبٍ شجيةٍ ... فحزنى عليك الدَّهرَ ليس بزائلِ

* * *

---

(١) الشجايا : الهموم والأحزان ، والشواكل : جمع الشاكلة وهى الخاصرة .
(٢) عالاه : حمله وفى الأصل « عاداه » محرفة .
(٣) اللزاز : الخصام .
(٤) الراهمات : الأمطار تأتى بالرهمة (بالكسر) وهو المطر اللين الدائم .
(٥) الأنواء : الأمطار ، والأصائل : جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر .

وقال فى النسيب :

يا صاحبيّ تنجّزا عِدَةً ... من صائد الألباب والمُقَلِ
عِدَةَ النّوى غيرُ الوفاء بها ... والقولُ مُطَّرَحٌ بلا عملِ
قولا له والقولُ مطمعةٌ ... للعتْب فى أسماح ذى بُخُلِ
يافارغاً لا وَجْدَ يسكنه ... حتّى متى أنا منك فى شُغُلِ ؟
يامنْ يَضَنّ بكلّ نافعةٍ ... حتى يَضَنَّ علىّ بالأملِ
لو شئتَ عدتَ إلى مواصلةٍ ... وزيارةٍ حالتْ ولم أحُلِ

* * *

وقال فى مثل ذلك (١) :

لمّا اعتنقنا ليلةَ الرّمل ... ومُضاجِعِى مابيننا نَصْلِى
قالت : أما ترضى ضجيعك مِنْ ... جسمى الرّطيب ومِعْصَمى الطِّفْلِ ؟(٢)
ألّا احتملتَ فراقَ نصلك ذا ... فى هذه الظّلماء مِن أجلى ؟
انظرْ إلى ضيق العناقِ بنا ... تنظرْ إلى عقدٍ بلا حَلِّ
لا بيننا يجرى العُقارُ ولا ... فضلٌ به لمَدَبّةِ النّمْلِ (٣)
فأجبتُها : إنّى أخافُ إذا ... فطنوا بنا أهلوكِ أوْ أهلى
عدّيه مثلَ تميمةٍ نصبتْ ... كى لا نُصابَ بأعينٍ نُجْلِ (٤)
إنّى أخاف العارَ يلصق بى ... يوماً ولا أخشى من القتلِ

* * *

---

(١) أوردها بهاء الدين العاملى فى كشكوله ولم ترد فى أصول الديوان .

(٢) الطفل : الرخص الناعم .

(٣) العقار : الخمرة .

(٤) التميمة : خرزة تعلقها الأعراب على أطفالها لوقايتهم من الإصابة بالعين على زعمهم .

وقال فى التوكل :

وقالوا نراها خُطَّةً مُدْلَهِمَّةً فَفُتْها وإلاَّ أنتَ رهنُ حبالها
فقلتُ وهل أخشى ودرعى كفايةٌ من الله ما ترمى العِدا من نبالها ؟
فكم وَرْطَةٍ ضاقتْ علىَّ فلم يزلْ بِىَ الله حتى أُنتاشنى من خلالها (1)
وكم نكبةٍ طالتْ يداً لتنالنى فباعد ما بينى وبين مَنالها

* * *

(1) انتاشه : استخرجه وأنقذه .

باب اللام المسكنة

قال يمدح سلطان الدولة ، وكان عزم على ترك الشعر بعد فخر الملك ،

فلما قدم سلطان الدولة بن بهاء الدولة بغداد « سنة ٤١٦ » ؛ طلب منه الملك ، فعرفه ماعزم عليه ، فألح عليه مرات فلم يسمه إلا الإجابة فقال يمدحه :

أرسلها ترعى ألاءً ونَفَلْ تامكةً بين الجبالِ كالجبلْ (١)
حنّ لها نبتُ الخزامى باللّوى وشبّ حَوْذانُ العميم واُكتهلْ (٢)
مِن يَعْمَلاتٍ ماوردن عن هوًى ولم تَبِتْ مِن شلّها على وَجَلْ (٣)
كرائمٌ يبذلن للضّيف قِرًى ودونهنّ البيضُ تدمى والأَسَلْ (٤)
يوسعْنَنا الرّسْـــلَ مقيمين وإنْ سرنا فيوسعن الرّسيمَ والرَّمَلْ (٥)
كَمَلْن حتّى ما « يُعيِّرْن » إذا جدّ لخارٌ بسوى قربِ الأجلْ (٦)
قد قلتُ للسّارين يبغون العُــلا وربّ سارٍ عَمِيَتْ عنــه السُّبُلْ
فى مَهْمَـــهٍ مُلتَبِسٍ أقطارُه لو نَسَلَ الذّئب به صبحاً لَضلْ (٧)
يسترجف الطِّرْفَ إذا خبّ به غبُّ السُّرى ريحُ النّعامى والشَّمَلْ (٨)

---

(١) الألاء : شجر مرّ دائم الخضرة ، والنفل : نبت من أحرار البقول له نور أصفر طيب الرائحة ، والتامكة : المرتفعة والعظيمة السنام .

(٢) الخزامى : نبت طيب الرائحة ، والحوذان : مثله ، والعميم : موضع .

(٣) اليعملات : جمع اليعملة وهى الناقة السريعة ، والشل : الطرد ، والوجل : الخوف .

(٤) القرى : ما يقدم للضيف ، والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .

(٥) الرسل : السير السهل ، والرسيم : سير فوق الذميل ، والرمل : السير السريع .

(٦) فى الأصل « يعير » بدل « يعيرن » والنون سقطت بسهو الناسخ .

(٧) المهمه : المفازة ، ونسل . أسرع مضطرباً .

(٨) الطرف (بكسر الطاء) : الكريم من الخيل ، وخب : سار الخبب وهو ضرب من السير السريع ، وغبّ : بعد ، والسرى : السير ليلا .

أمّوا بها مالكَ أمـلاكِ الوَرى ... عمادَ هـذا الدّين سلطانَ الدُّوَلْ
حيث تُرى الهامُ إليـه سجّداً ... وأرضُــه معمورةٌ من القُبَلْ
والسُّؤدُدُ الرَّغْدُ وأموالُ الغنى ... تُهان فى عِراصِـــهِ وتُبتَذَلْ
ومنبتُ الجود الذى نُوّارُه ... يمُطَرُ فى كلّ صباحٍ ويُطَلْ (١)
الثّابتُ العـــزمِ إذا طيشٌ هفا ... والواجدُ الرّأى إذا الرّأى بَطَلْ
ذو فكرةٍ تُنير كلَّ ظلمةٍ ... كأنّها جَذوة نارٍ تشتعـــلْ
ظَلْتَ بحرّ الحرب فى عصابةٍ ... يحرّمون الطّعنَ إلاّ فى المُقَلْ
من كلّ سيّارٍ إلى الذّكرِ وإنْ ... شتّتَ ذاك الذّكرُ شملاً أو قَتَلْ
كأنه أقنى على مَرْقَبَةٍ ... يُدمِى إذا ضمّ وإنْ أُدْمِى نَشَلْ (٢)
حتّى حميتَ جانبَ الملكِ وقد ... خِيف عليه ثَلَلٌ بعد ثَلَلْ (٣)
لولا مداواتُك من أمراضـــه ... بالضّربِ والطّعنِ جميعاً ما أبَلْ (٤)
كم صعبةٍ ركبتها معضـــلةٍ ... تُطعمها الريثَ إذا أكدَى العَجَلْ (٥)
وطامحٍ بغير حقٍّ للعُـــلا ... زحزحتَه عن التّراقى فنزلْ (٦)
وجامحٍ إلى الهوى ومائلٍ ... عن النُّهى رددتَه عن المَيَلْ
أىُّ فتًى من قبل أنْ أرشــدتَه ... قعقع أبوابَ المعالى فدخَـــلْ ؟
وأىُّ خرقٍ عَبَقَ الجود به ... لم يُسألِ المعروفَ يوماً فبذَلْ
وأىّ ماشٍ فى مزلّاتِ الرّدى ... جاز ولم يُخش عليـه مِن زَلَلْ

(١) النوار : زهر النبات ، ويطل : يصيبه المطر الطل أى الخفيف .
(٢) الأقنى : مرتفع أرنبة الأنف وهى صفة البازى ،والمرقبة : الموضع المشرف يقف عليه البازى.
(٣) الثلل : الهدم .
(٤) أبل المريض من مرضه : عوفى وأفاق .
(٥) أكدى : كلّ وعجز ، من أكدى الحافر إذا بلغ الـكدية (بالضم) وهى الأرض الصلبة.
(٦) التراقى : جمع الترقوة وهى أعلى الصدر .

وأين ما حُمّل ما حُمّلته بين عظيمٍ وجسيمٍ لحمل
مِن معشرٍ ما خُلقت إلاّ لهم أسرّةُ الملكِ وتيجانُ الدُّوَل
ما وُلدوا إلاّ وفى أيديهمُ أزمّةُ الدّولاتِ مِن عَقْـدٍ وَحل
فى حُلَلِ الملك لهم ـ كاسيةً أجسادَهمْ ـ مَندوحةٌ عن الحُلَل
قد جاءنى ما كنتَ تهديه على شَحْطِ النّوى طوراً وفى قربِ النّزَل (١)
قولٌ وفعلٌ ألحقـانى بالعُـلا والماء قد يلحق غصاً بالطُّوَل (٢)
فضّلتنى على الورى وكلُّ مَنْ فضّلته على الورى كلاًّ فَضَل
وقلتَ ماحَلَّيْتَني الدّهرَ به وكم ثويتُ موسعاً من العَطَل (٣)
كم لك عندى نِعَمٌ فُتن المُـنى ولم تنلهنَّ بُنيّاتُ الأَسَل (٤)
أرفلُ منهنّ وكم ماشٍ أرى على الثّرى فى مثلهنّ مارَفَل (٥)
يا أيّهـا المالك منّى رِبقةً أعيتْ على الشّمّ العرانين الأُوَل (٦)
كم رام منّى بعضَ ما أجرَزْتَه مَن مدّ ضَبْعَيـه له فما وَصَل (٧)
أيقظتنى على القريض بعـدما نـكّب غاوِيه طريقى وعَدَل
وقال فى مجدك إنْ كنتَ تفى عقدتَ أنْ لاتقرضَ الشّعرَ فحَل
فخـذ كما أثرتَهـا قافيةً كأنّمـا شىء سواها لم يُقَل
نزّهتُهـا لمّا أردتُ سَوْقَهـا إلى علاك من نسيبٍ وغزَل

---

(١) الشحط: البعد ، والنزل (بفتحتين): النزل ، والنزل (بالضم على زنة القفل) : مايهيأ للنزيل.
(٢) الطول : جمع الطولى وهى مؤنث الأطول .
(٣) العطل : الخلو من الحلى .
(٤) الأسل : الرماح .
(٥) رفل فى ثوبه : مشى يجر ذيله متبخترا .
(٦) الربقة : العروة تشد فى حبل فتربط بها الدابة ، وهنا معناها المنة ، والعرانين : جمع العرنين وهو أعلى الأنف .
(٧) الضبع : العضد ، ومد ضبعيه : رفع شأنه وأدناه .

كأنمـــا هشّتْ وقد صِيغتْ بهـا حَبُّ القلوب من سرورٍ وجَذَلْ (١)
لا ملّكَ اللهُ لنـا غـيرَكمُ ولا نأى عزّكمُ ولا أنتقــلْ
ودارُ ملكٍ أنتَ فيهـا لم تزلْ مأهولةً من الوفود والخَوَلْ (٢)
ودرّتِ النُّعمى عليكمْ ثرّةً ونلتموها عَلَلاً بعد نَهَـلْ (٣)

* * *

(١) حب القلوب : سويداؤه ، والجذل : الفرح .

(٢) الخول : العبيد والإماء .

(٣) الثرة : الغزيرة ، والعلل : الشرب الثانى ، والأول نهل

قافِيَة المِيمُ

باب الميم المضمومة

قال يفخر ويعرض ببعض أعدائه(١) :

أمّا الشّبابُ فقد مضت أيّامُهُ وأُستُلَّ من كفّى الغداةَ زِمامُهُ
وتنكّرتْ أيّامُهُ وتغيّرتْ جاراتُه وتقوّضتْ آطامُهُ(٢)
ولقد درَى من فى الشبابِ حياتُه أنّ المشيبَ إذا علاه حِمامُهُ
عوجا نحيِّ الرَّبعَ « يدللنا » الهوى فلربّما نفع المحبَّ سَلامُهُ(٣)
واستعبرا عنّى به إنْ خاننى جَفنى فلم يمطرْ عليه غمامُهُ
فمن الجفون جوامِدٌ وذوارفٌ ومن السّحاب رُكامُهُ وجَهامُهُ(٤)
دِمَنٌ رضعتُ بهنّ أخلافَ الصّبا لو لم يكن بعد الرّضاعِ فطامُهُ(٥)
ولقد مررتُ على العقيق فشفّنى أنْ لم تغنّ على الغصون حَمامُهُ(٦)
وكأنّه دَنِفٌ تجلّد مؤنساً عُوّادَه حتّى أستبان سَقامُهُ(٧)
من بعد ما فارقتُه فكأنّه نشوانُ تمسح تربه آكامُهُ(٨)

---

(١) أورد ابن شهرآشوب فى « المناقب » (ص ٧٧ من المجلد الثانى) سبعة أبيات من هذه القصيدة لاتخلو من التصحيف والتحريف ، إلا أن بيتا منها لم يذكر فى أصول الديوان ويقتضى وضعه بعد البيت الخمسين منها وهو :

وهو الذى ما كان دين ظاهر فى الناس لولا رمحُهُ وحسامُهُ

(٢) الآطام : الحصون مفردها أطم بضمتين .

(٣) فى (هـ) « فيه لنا » بدل « يدللنا » .

(٤) الركام من السحاب : المتراكم ، والجهام : الذى لا مطر فيه .

(٥) الأخلاف : جمع الخلف (بالكسر) وهو حلمة ضرع الناقة .

(٦) شفه الحب : أمرضه وأهزله .

(٧) الدنف : المريض .

(٨) الآكام : جمع الأكمة وهى التل .

مَرِحٌ يهزّ قنـــاتَه لا يأتلى   أَشَرُ الصِّبا وغرامُهُ وعُرامُهُ (١)
تندَى على حرّ الهجير ظِلَالُهُ   ويضىء فى وقت العشىّ ظَلَامُهُ
وكأنّمـا أطيارُه وميـــاهُهُ   للنّـازليه قِيانُه ومُـــدامُهُ
وكأنّ آرامَ النّساء بأرضه   للقانِصِى طَرْدِ الهوى آرامُهُ (٢)
وكأنّمـا برد الصّبـا حَوْذانُه   وكأنّمـا ورق الشّباب بَشامُهُ (٣)
وعضيهةٍ جاءتك من عَبِقٍ بهـــا   أزرى عليك فلم يجُزه كلامُهُ (٤)
ورماك مجترئاً عليـك وإنّمـا   وافاك من قعر الطَّوِىّ سِلامُهُ (٥)
وكأنّمـا تَسْفِى الرّياحُ بعالِـجٍ   ما قال أوما سطَّرتْ أقلامُهُ (٦)
وكأنّ زُوراً لفقتْ ألفـاظُهُ   سِلْكٌ وَهَى فانحلّ عنه نظامُهُ
وإذا الفتى قعــدتْ به أخوالُهُ   فى المجـــد لم تنهض به أعمامه
وإذا خصالُ السّوءِ باعَدْن امرءًا   عن قومه لم تُدنِهِ أرحامُهُ
وَلَـكَمْ رمانى قبـل رَمْيكِ حاسدٌ   طاشتْ ولم تخدش سواه سهامُهُ
ألقى كلاماً لم يَضِرْنى وأنثنى   وندوبُه فى جـلده وكِلامُهُ (٧)
هيهاتَ أن «ألفى رَسيلَ مُسافهٍ»   ينجو به يوم السّبابِ لِطامُهُ (٨)
أو أن أرى فى معركٍ وســلاحُهُ   بدلَ السّيوف قِذافُهُ وعِذامُهُ (٩)

---

(١) لا يأتلى : لم يقصر ، والأشر : البطر ، والعرام : الشراسة .
(٢) الآرام : الظباء البيض مفردها الرئم .
(٣) الحوذان والبشام : نبتان طيبا الرائحة .
(٤) العضيهة : البهتان والكلام القبيح ، وعبق بها ، لصق بها .
(٥) الطوى : البئر ، والسلام (بكسر السين) : جمع السلمة وهى الحجارة .
(٦) تسفى : تذرى ، والعالج : دقيق الرمل .
(٧) الندوب : مابقى من آثار الجراح ، والكلام (بكسر الكاف) : الجراح .
(٨) فى (هـ) « ألقى وسيل مسافة » تصحيف « ألفى رسيل مسافه » وفى (س) وسيل بالواو تصحيف رسيل ، والرسيل : هو الموافق لك فى النضال وغيره .
(٩) العذام : العض .

ومن البلاء عـــداوةٌ من خاملٍ لاخلفه لعُلى ولا قُدّامُهُ
كثرتْ مساويه فصــــار كمدحه بين الخلائق عيبُهُ أوْ ذامُهُ (١)
والُخرْقُ كلُّ الُخرق من متفاوتالـــأفعال يتلو نقضَــــه إبرامُهُ (٢)
جَدِبِ الجَناب لجــارُهُ فى أزمةٍ والضَّيفُ موكولٌ إليـــه طعامُهُ
وإذا عاقتَ بحبـــله مستعصماً فكفقعِ قرْقَرَةٍ يكون ذِمامُهُ
وإذا عهودُ القوم كنَّ كنبعهمْ فالعهد منه يَراعُهُ وثُمامُهُ (٣)
وأنا الذى أعييتُ قبلك مَن رَمَتْ أطوادُه واستشرفتْ أعلامُهُ (٤)
وتتبّع المعروفَ حتّى طُنِّبتْ جوداً على سَنَنِ الطّريقِ خِيامُهُ (٥)
وتنادرتْ أعداؤه سطواتِهِ كالّليث يُرهب نائياً إرزامُهُ (٦)
وترى إذا قابلته فى وجهـــه كالبدر أشرق حين تمّ تمامُهُ
حتّى تذلّل بعـــد لأْيٍ صعبُهُ وانقاد منبوذاً إلىّ خطامُـــهُ (٧)
يُهدَى إلىّ على المغيب ثنـاؤُهُ وإذا حضرتُ أظلَّنى إكرامُهُ
فمضَى سليماً من أداة قوارصِى واستام ذمّى بعـــده مستامُهُ (٨)
والآن يوقظنى لنحتِ صَفَـاتِهِ مَن طال عن أخذ الحقوق نيامُهُ (٩)
ويسومنى مالم أزلْ عن عزّةٍ ونزاهةٍ آباه حين أسامُهُ (١٠)

(١) الذام : الذم .
(٢) الخرق : الحمق .
(٣) اليراع : القصب مفرده يراعة ، والثمام : نبت ضعيف يشبه الخوص مفرده ثمامة .
(٤) استشرفت : علت ، والأعلام : الجبال .
(٥) السنن : وسط الطريق .
(٦) الإرزام : صوت الأسد .
(٧) اللأى : البطء .
(٨) القوارص : اللواذع .
(٩) الصفاة (بفتح الصاد) : الصخرة . ونحت صفاته : عابه .
(١٠) هذا البيت ساقط من (س) .

« ويلسُنِي » ولئنْ حَلَوْتُ فإنّني مَقِرٌ وفى حنكِ العدوّ سِمامُهُ (1)
فلبئسما منّتْه منّى خاليـــاً خطراتُه أو سوّلتْ أحلامُهُ
أمّا الطّريفُ من الفخار فعندنا ولنا من المجد التّليد سنـــامُهُ (2)
ولنا من البيت المحرّم كلّمـــا طافتْ به فى موسم أقدامُهُ
ولنا الحطيمُ وزمْزَمٌ وتراثنا نِعْمَ التّراثُ عن الخليل مَقامُهُ (3)
ولنا المشـــاعر والمواقفُ والّذى تهـدى إليـه من مِنًى أنعامُهُ (4)
وبجَدّنا وبصِنْوِه دُحِيَتْ عن الـ بيت الحرامِ وزُعزِعتْ أصنامُه (5)
وهما علينـا أطلعـا شمس الهـدى حتى استنار حلالُهُ وحرامُهُ
وأبِي الذى تبدو على رغم العِدا غُرّاً محجّلَةً لنـــا أيّامُهُ
كالبدر يكسو اللّيلَ أثواب الضّحى والفجرُ شُبّ على الظلام ضِرامُهُ
وهو الذى لا يقتضى فى موقفٍ إقدامُهُ نُكُصٌ به أقدامُهُ (6)
حتّى كأنّ حيـاتَه هى حتفُه ووراءه ممّا يخـاف أمامُـهُ
ووقى الرّسول على الفراش بنفســه لمّـــا أرادَ حِمـامَه أقوامُهُ (7)
ثانِيهِ فى كلّ الأمور وحصنُه فى النّائبـاتِ وركنُه ودِعامُهُ
لله درٌّ بلائه ودفاعِـه واليومُ يغشى الدّارعين قَتامُهُ (8)

---

(1) يلسنى : من الاس وهو الأكل واللحس ، والمقر : السم،والحامض المر ، والسمام : السم ، وفى (س) « ويسومنى » بدل « ويلسنى » .
(2) الطريف : من المال المكتسب ، ويقابله : التليد وهو الموروث .
(3) الحطيم وزمزم والمقام . مواضع مقدسة فى مكة المكرمة .
(4) المشاعر : مواضع مناسك الحج .
(5) الصنو : الشقيق وابن العم ويريد به هنا بطل الله الغالب على بن أبى طالب عليه السلام حيث كان جد الشاعر وكان صنواً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه .
(6) نكص : راجعة القهقرى .
(7) يشير الى مبيت على عليه السلام على فراش النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة وهو معلوم، وفيه أنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ .
(8) الدارع : لابس الدرع ، والقتام : غبار الحرب .

وكأنما أجمُ العوالى غِيلُهُ وكأنما هو بينها ضِرغامُهُ (١)
وترى الصريعَ دماؤه أكفانُه وحَنوطُه أحجارُه ورَغامُهُ (٢)
والموتُ من ماء الترائب وِردُه ومن النفوسِ مَرادُه ومَسامُهُ (٣)
طلبوا مداه ففاتهمْ سبقاً إلى أَمَدٍ يشقّ على الرِّجالِ مَرامُهُ
فتى أجالوا للفخارِ قِداحَهمْ فالفائزاتُ قداحُهُ وسِهامُهُ (٤)
وإذا الأمور تشابهت واستبهمتْ فجلاؤها وشفاؤها أحكامُهُ
وترى « الندىَّ » إذا احتبى لقضيّةٍ عوجاً إليها مُصْغِياتٍ هامُهُ (٥)
يُفْضِى إلى لُبِّ البليد بيانُه فيعِى ويُنشِئه فهمَه إفهامُهُ
بغريبِ لفظٍ لم تُدِرْهُ « ألْسُنٌ » ولطيفِ معنًى لم يُفضَّ ختامُهُ (٦)
وإذا التفتَّ إلى التُّقى صادفْتَه من كلِّ برٍّ وافراً أقسامُهُ
فالليلُ فيه قيامُه متهجّداً يتلو الكتابَ وفى النهارِ صيامُهُ
يطوِى الثلاثَ تعفّفاً وتكرُّماً حتّى يُصادفَ زادَه معتامُهُ (٧)
وتراه عُريانَ اللّسانِ من الخَنا لا يهتدى للأمر فيه ملامُهُ (٨)
وعلى الذى يُرضى الإلهَ هجومُه وعلى الذى لا يرتضى إحجامُهُ
فمضى بريئاً لم تَشِنْهُ ذنوبُه يوماً ولا ظفِرتْ به آثامُهُ

---

(١) الأجم : جمع الأجمة وهو الشجر الكثير الملتف والغيل : مكمن الأسد .
(٢) الرغام : التراب .
(٣) الترائب . الصدور وأصلها عظام الصدر مفردها تريبة ، والمراد (بفتح الميم)، والمسام : المرعى ترتاده الأنعام .
(٤) القداح : السهام مفردها القدح بالكسر .
(٥) فى (هـ) « النبى » محرفة عن « الندى » .
(٦) فى (س) « سفانه » بدل « ألسن » ولم نجد للأولة معنى .
(٧) المعتام : السائل .
(٨) الخنا : الفحش .

ومفاخرٍ ما شئتَ إن عددتَهـا فالسّيلُ أطبق لا يعدّ زهامُهُ (١)
تعلو على مَن رام يوماً نيلَها من يَذْبُلٍ هَضَبَاتُهُ وإكامُهُ (٢)

✿ ✿ ✿

وقال فى معنى عرض له :

ألا ربّ أمرٍ بتّ أحذر غِبَّهُ وقد نابنى فيه العناء المُجَشِّمُ (٣)
غدا وهو سِرٌّ لا يُرامُ « أطّلاعُهُ » وعاد مساء وهو نَهْبٌ مُقَسَّمُ (٤)
تندّمتُ فى أعجازه حين لم يكنْ وقد فات مِن كفىّ إلّا التّندُّمُ
وما خاننى التّدبير فيه وإنّما قضاء جرى فيما سخطتُ مبرّمُ (٥)
ولو كان لا يَكْدِى أخو الحزم مرّةً ويُشوَى لما مات الصّحيحُ المُسَلَّمُ (٦)
ومَن ذا الّذى يُعطى الإرادةَ كلَّها ومَن ذا الذى فى الأمر لا يُتَلَوَّمُ ؟ (٧)
إذا شئتَ أنْ تلقَ السَّليمَ عَدِمْتَه وأكثرُ مَن تلقى المُرَزَّى المُكَلَّمُ (٨)
وأغبنُ مَن تلقى من النّاس جاهلٌ يظنّ الّذى يُخفيه لا يُتَعَلَّمُ
ومسترسلٍ فى فعله بعد ما بدا لعينيه جهراً ما يَزِمّ ويَخطِمُ (٩)

✿ ✿ ✿

---

(١) زهام البحر : طغيانه .
(٢) يذبل : اسم جبل ، والآكام : الهضاب والروابى مفردها أكمة .
(٣) المجشم : الشاق المكلف .
(٤) فى (ه) « امتناعه » محرفة عن « اطلاعه » .
(٥) مبرم : محكم .
(٦) يكدى : يعجز ويكل وأكدى الرجل : لم يظفر بحاجته ، ويشوى : تصاب : شواه أى أعضاؤه .
(٧) يتلوم : من اللام معروف ، وتلوم (على الملوم) فى الأمر : تربث وانتظر انتظار من يتجنب اللام .
(٨) المرزى : الذى نزلت به الرزايا ، والمكلم : المجروح .
(٩) يزم : يجعل له زماماً كما يزم البعير ، ويخطم : يجعل له خطاماً .

وقال يعزّى الوزير أبا علىّ عن خاله (أى جعفر بن المغيرة) [1] :

ألا لله ما صنع الحِمامُ ... وما وارَتْ بساحتها الرِّجامُ [2]
طوى مَن لا سبيلَ إلى لقاهُ ... وإنْ جدّ التطَلُّبُ والمَرامُ
وكيف لقاء مَن دهتِ الليالى ... وغرّبه صباحٌ أو ظلامُ ؟
وهيهات المطامعُ فى أُناسٍ ... أقاموا حيث لا يُغنى المقامُ
ثوَوْا متجاورين ولا لقاءٌ ... وناجَوْا واعظين ولا كلامُ
خُلقنا للفناء وإنْ غُرِرْنا ... بإيماضٍ من الدُّنيا يُشامُ [3]
ونُبصِرُ مِلْءَ أعيننا فعالَ الـ ... ـرَّدى وكأنّنا عنه نِيامُ
« وتحلو » مَذْقَةُ الدّنيا لحىٍّ ... له من بعدها كأسٌ سِمامُ [4]
غمامٌ من مواعدها جَهامٌ ... وأسبابٌ لجدْواها رِمامُ [5]
وما الأحزانُ والأفراحُ فيها ... وإنْ طاوَلْننا إلّا مَنامُ
ولو علم الحَمامُ كما علمنا ... من الدّنيا لما طَرِب الحَمامُ
سلامُ الله غادٍ كلّ يومٍ ... على مَن ليس يبلغه السّلامُ
على عَبِقِ الثّرى خَضِلِ النّواحى ... وإنْ لم يُستَهلّ له الغَمامُ [6]
مضى صِفْرَ الحقيبةِ من قبيحٍ ... غريباً فى صحيفته الأثامُ [7]

---

(١) الزيادة المحصورة بين هلالين موجودة فى (هـ) وغير موجودة فى باقى النسخ .
(٢) الرجام : جمع الرجم (بفتحتين) : وهو القبر .
(٣) يشام : ينظر .
(٤) فى (س) « أتحلو » بدل « وتحلو » ، والمذقة : قليل اللبن الممزوج بالماء أى المذيق أو المذوق ، والسمام : السم .
(٥) الجهام ، السحاب لا مطر فيه ، والأسباب : الحبال مفردها سبب ، والجدوى : العطية ، ورمام : بالية .
(٦) العبق : العطر ، والخضل : المبتل .
(٧) الصفر : الخالى .

نقيّ الجيبِ عفّ الغيبِ «برّ» حرامٌ ليس يألفه الحرامُ (١)
من القومِ الأُلى درجوا خفافاً وزادُهمُ صلاةٌ أو صيامُ (٢)
لهمْ في كلِّ مأثرةٍ حديثٌ كما طابتْ لناشقها المُدامُ (٣)
مضوا وكأنّهمْ ـ من طيبِ ذكرٍ تراه مخلّداً لهمُ ـ أقامُوا
نعزّ أبا عليٍّ فالرّزايا متى تعدوك ليس لها احترامُ
وما صابتْ سهامُ الموت خلقاً إذا طاشتْ له عنك السّهامُ
وغيرُك مَن تُثقّفه التّعازى ويعدِلُ من جوانبه الكلامُ
فإنّك مَن تجافى العتْبُ عنه وأعْوزَ فى خلائقه الملامُ (٤)

***

وقال يعزى عمه ابنة له توفيت فى يوم السبت (٥) :

مالقلوب غداةَ السّبتِ مزعجةً وللدّموع غداةَ السّبت تنسجمُ ؟
وللرّجالِ يحلّون الحبا ولهاً من «أنّهمْ علموا» فى ذاك ما علموا (٦)
تجرى دموعُ عيونٍ ودّ صاحبُها لو أنّهنّ على حرّ المصابِ دمُ
كأنّنا اليوم من همٍّ تقسّمنا نَهْبٌ بأيدى ولاة السّوء مُقتسَمُ
نثنى الأكفّ حياءً عن ملاطمنا وفى الحشا زفراتُ الحزنِ تلتطمُ
ونكتم النّاسَ وَجْداً فى جوانحنا وكيف نكتم شيئاً ليس ينكتِمُ ؟

---

(١) فى (س) « برعاً » بدل « بر » .
(٢) درجوا : : ماتوا أورحلوا .
(٣) المدام : الخمر .
(٤) أعوز : تعذر .
(٥) أورد الثعالبى فى « خاص الخاص » ثلاثة أبيات من هذه القصيدة (ص ١٥٩) فلتراجع .
(٦) فى (س) « أن علمهم » بدل « أنهم علموا » ، والحبا : جمع الحبوة وهى مايحتبى به
ى يشتمل من ثوب أو عمامة .

يا موتُ كم لكريمٍ فيك من تِرَةٍ ... أعيا بها الرّمحُ والصّمصامةُ الخَذِمُ (١)

وكم وَلجتَ وما شاورتَ صاحبَه ... قصراً على بابه الحرّاسُ والخدمُ ! (٢)

وكم عظيمِ أناسٍ قد سطوتَ به ... لم يُغنِ عنه فتيلًا ذلك العِظَمُ ! (٣)

وما نجا منك لا صُغْرٌ ولا كِبَرٌ ... ولا شبابٌ ولا شيبٌ ولا هرمُ

هيهات مُكِّن من أرواحنا حَنِقٌ ... فظٌّ وحُكِّمَ فى أجسامنا قَرِمُ (٤)

أين الّذين على «هذى الثّرى» وطأوا ... وحُكّموا فى لذيذ العيش فاحتكموا ؟

ومُلِّكوا الأرضَ من سهلٍ ومن جبلٍ ... وخُوِّلوا نعماً ما مثلها نِعَمُ (٥)

حتّى إذا بلغ الميقاتُ غايتَه ... لم يسلموا « ولشىء » طالما سلموا (٦)

لم يبق منهمْ على ضنّ القلوب بهمْ ... إلّا رسومُ قبورٍ حشوُها رِمَمُ (٧)

مسنَدين إلى زَوْراء موحشة ... ظلماء لا إرَمٌ فيها ولا عَلَمُ (٨)

كأنّما طبّقتْ أجفانَهمْ سِنَةٌ ... أو شفّهمْ لبِلَى أجسادهمْ سَقَمُ (٩)

يُغضون من غير فكرٍ يرتأون له ... ويأزمون على الأيدى وما ندموا (١٠)

فلا يغرّنْك فى الموْتى وجودُهمْ ... فإنّ ذاك وجودٌ كلُّه عدمُ

قل للوزير وإن جلّتْ مصيبتُه : ... هيهات فاتكَ ما يجرى به القلمُ

إنّ التى أنت ملآنٌ بلوعتها ... مضتْ كما مضتِ الأحياء والأممُ

---

(١) الترة : الثأر ، والصمصامة الخذم : السيف القاطع .

(٢) ولجت : دخلت .

(٣) الفتيل : القشرة التى فى بطن النواة : كناية عن عدم الفائدة .

(٤) الحنق : الشديد الغيظ ، والفظ : القاسى ، والقرم : الذى اشتدت شهوته إلى اللحم .

(٥) فى (ﻫ) « إلى » بدل « من » .

(٦) فى (س) « ولأمر » بدل « ولشىء » .

(٧) الضن : البخل والشح ، والرمم : العظام البالية .

(٨) الإرم : الحجارة تنصب علماً فى المفازة ، والعلم : العلامة .

(٩) السنة : أول النوم والخفيف منه .

(١٠) يغضون : يطبقون أجفانهم ، ويأزمون : يعضون .

مُلِّيتَ دهراً بها من غير محسبة ... وغيرُ مَن رَجَعَ الموهوبَ متهَمُ
وحزنُك اليوم عُقبَى ما سُررتَ به ... حيناً وعقبى الذى تلتذُّه الألمُ
وما خُصِصتَ بمكروهٍ تجلّلنا ... ونحن قبلك بالبأساءِ نَختتِمُ
فاصبِرْ فصبرُك موصولٌ بموهبةٍ ... تبقى وكلُّ الذى أعطيتَ منصرِمُ
وكنْ كمن أنت مشغوفٌ بسيرته ... ممّن أصابهمُ المكروه فاحتزموا
لا يألمون بشىء من مصائبهمْ ... حتّى إذا أُولِمُوا فى دينهم أَلِموا
وقد مضى ما اقتضاه الرّزء من جزعٍ ... فأين ما يقتضيه العلم والكرمُ ؟

* * *

وقال يفخر (١) :

بقاء ولكنْ لو أتى لا أذمُّهُ ... وورْدٌ ولكنْ لو حلا لىَ طعمُهُ
خطوتُ عدا العشرين أهزأ بالصّبا ... فلمّا نأى عنّى تضاعف همُّهُ
فياليت ماأبقى الشّبابُ وجازَهُ ... سريعاً على علّاته لا يؤمُّهُ
وليت « ثرائى » من شباب تعجّلتْ ... بشاشتُهُ عنّى تأبّد عُدْمُهُ (٢)
مشيبٌ أطار النّومَ عنّى « أقلُّه » ... فكيف به إن شاعَ فى الرّأسِ عِظَمُهُ (٣)
تعاقبنى بؤسُ الزّمانِ وخفضُهُ ... وأدّبنى حربُ الزّمانِ وسِلمُهُ
وقد علم المغرورُ بالدّهر أنّه ... وراءَ سرور المرء فى الدّهر غمُّهُ
« فكيف » سرورى بالكثير أنالُهُ ... وحكمُ قليلِ الوُجدِ فى القصدِ حُكمُهُ (٤)

---

(١) ورد منها فى الأمالى ج ٢ (ص ٧٠ و ٧١) أحد عشر بيتا .
(٢) فى (ش) « ترانى » وفى (هـ) « ثرى » تصحيف ، والعدم : الفقر .
(٣) فى (هـ) « أمله » تصحيف « أقله » ، وفى (ش) « ساغ » تصحيف « شاع » .
(٤) الوجد : السعة والمقدرة من الجدة ، والقصد : الاستقامة ونقيض الإفراط وفى (ش و س) « وكيف » بدل « فكيف » .

وما المرء إلا نَهْبُ يَوْمٍ وليــلةٍ تحُثُّ به شُهْبُ الفنــاء ودُهْمُهُ (١)
يُعلِّلُهُ بَرْدُ الحيــاةِ بِمَسِّهُ ويغــتره رَوْحُ النَّسيمِ بِشمِّهُ
وكان بعيــداً عن منــازعةِ الرّدى فألقتْهُ فى كفِّ المنيّة « أمُّهُ » (٢)
على أنّنا نبغى النّجاء وكلُّنــــا يلاقيه من أمر المنيّــةِ حتمُهُ (٣)
ألا إنّ خيرَ الزّاد ماسدّ فاقةً وخيرُ تِلادِيَّ الذى لا أُجُمُّه (٤)
وإنّ الطَّوى بالعِزِّ أحسنُ بالفتى إذا كان من كسب المذلّةِ طعمُهُ (٥)
إذا وَطَرٌ لم أنضُ فيــه عزيمةً فسِيّانِ عندى صحّتاه وسُقمُهُ (٦)
وإنّى لأنْهَى النّفسَ عن كلّ لذّةٍ إذا ماارتقى منها إلى العِرضِ وَصْمُهُ
وأعرِضُ عن نيل « الثّراء » إذا بدا وفى نيله سوء المقــالِ وذمُّهُ (٧)
أعِفُّ وما الفحشاء « منّى » بعيدةٌ وحسبِيَ من صَدّى عن الأمرِ إثمُهُ (٨)
وماالعَفُّ مَن ولّى عن الضّرب سيفه ولكنّ مَن ولّىٰ عن السُّوءِ حزمُهُ
وهبتُ اهتمامى للعُلا ومآربى وللمرء يوماً « إنْ حبا » مايَهُمُّهُ (٩)
وما ضرّ مسلوبَ العزيمـةِ إنْ وَنَى عن السّعىِ والأرزاقُ حرصاً تؤمُّهُ؟
يفوت طِلابى مشربٌ لمــا أعافُهُ ويُعْوِزُ لحمى صاحبٌ لا أذمُّهُ (١٠)
إذا كان هذا الغدرُ فى النّاس شيمةً فأنفسُ شىءٍ صاحبَ المرءِ عزمُهُ

---

(١) شهب الفناء ودهمه : كناية عن الأيام والليالى .
(٢) فى (هـ) « حتمه » بدل « أمه » من تحريف الناسخ نقلها من الشطر التى تحت هذا .
(٣) هذا البيت ساقط من (هـ) .
(٤) أجم المال : جمه وكثره ، والتلاد : المال الموروث .
(٥) الطوى : الجوع .
(٦) نضا : سل .
(٧) فى الأمالى « الثريا » محرفة عن « الثراء » .
(٨) فى (هـ) « عنى » بدل « منى » .
(٩) حبا : أعطى ، وفى (هـ) « إلى حي » تحريف « إن حبا » وفى (ش) « حى » وفى الشطر تقديم وتأخير وغموض فى المعنى ، ولعل ترتيبه وتقديره : وللمرء مايهمه إن حبا يوماً .
(١٠) يعوز : يتعذر .

ولما نبا زيدٌ « عن الطّيبِ » عهدُه ... نبوتُ وفى قلبى من الوَجْدِ جَمُّهُ [(١)]

وداويتــــه بالهجر والهجرُ داؤه ... وخـير دوائى مُعضِلِ الدّاء حسمُهُ

ومن يكُ من قبل الوشاةِ بسمعِ ... تقاصر عن نيل الحقيقـــةِ علمُهُ

وأروعَ لم تَمْلَ النّوائبُ ذرعَه ... ولا ضلّ فى ليلِ السّفاهةِ حلمُه [(٢)]

ثقيلٌ على جنب العدوّ وإن غــــدا ... خفيفـــاً على ظهر المطيّـةِ جسمُهُ

شددتُ يدى منـــه بحُجْزَةِ حازمٍ ... مصيبٍ لأغراض العواقب سهمُهُ [(٣)]

وباضٍ على الشّحنـــاء فى غير زلّةٍ ... وقد ملّ إلّا من عتـــابك جُرمُهُ

له الدّهرِ منّى إنْ ألمّ خلاله ... وأعوزه منّى مكانٌ يلمُّــــه

وأتعبُ مَن عاداك مَن لا تنالُهُ ... ولم يرتبطْ يوماً بِعِرْضك وسْمُهُ

وعيشٍ كما شاء الحسود صحبته ... حوى غُنْمَه قومٌ وعنـــدِىَ غُرْمُهُ

« تُحَلّأ »عن الطَّرْقِ الأُجاجِ «قُرُومُهُ» ... وتـكرعُ من عذب المشارب بَهْمُهُ [(٤)]

وحُقّ لمـــا لا يُبهجُ النّفسَ قربُهُ ... على وصله أن يُبهج النّفس صَرْمُهُ [(٥)]

مآركبهـــا بَزْلاء ذاتَ مخاوفٍ ... متى يُخبر « المرغوب » عنهـا تضمَّهُ [(٦)]

وأتركُ ما بينى وبين حبـــائبى ... وحظّهمُ منّى على الغيبِ رَجْمُهُ

---

(١) فى (س) « على طيب » بدل « عن الطيب » وفى (ه) « عن أطيب » وما وضعناه أنسب.

(٢) الأروع : من يعجبك بالحسن والشجاعة ولم تمل . أى لم تملأ وحذفت الهمزة للضرورة ومن ملأت النوائب ذرعه ضاق بها ذرعا أى لم يطقها .

(٣) الحجزة : معقد الإزار وموضع التكة من السراويل ، وأخذ بحجزته : تمسك به واقتدى .

(٤) تحلا (على المجهول) : والأصل مهموز تحلأ أى تطرد وتبعد ، وفى (ه) « يحكى » عرفة ، والقروم : الشجعان والسادة مفردها القرم ، وفى (ه) « قرون » وهى جمع القرن بالكسر وهو الشجاع أيضاً ، وتكرع : تشرب وفى (ش) « ترتع » . والبهم : جمع البهمة وهى ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى .

(٥) الصرم : القطع .

(٦) البزلاء : من النوق التى بزل نابها وبلغت التاسعة ، وفى (س) « المرعوب » بدل « المرغوب » .

فلا عيش إلا مَن تحـــامتْ نعيمَه ... صروفُ اللّيـــالى أو تجافَىْ مُلمُّهُ

وجيشٍ كما مدّ الظّـــلامُ رِواقَه ... سواءٌ به هَضْبُ «العريك» وهَضْمُهُ[(1)]

إذا ما سرى يبغى «الفِرارَ» «مُشَمِّراً» ... فأنفَسُ خوّاضِ الكريهةِ «غُنْمُهُ»[(2)]

بضمّ رجالًا من قريشٍ إذا دُعوا ... ليومِ نزالٍ أشبعَ الطّـــيرَ لحمُهُ

بنفسِىَ مَن ولّى تسايرُهُ المُنىٰ ... حميداً وما ولّى عن القلب وَهْمُـــــهُ

أغارُ عليـــــه من فلاةٍ تُقِلُّهُ ... وأحسدُ فيـــه جِزْعَ وادٍ يضمُّهُ[(3)]

وما غاب إلّا أحضر البـــدر وجهُهُ ... وليس له فى منتهى الهَشِّ قِسْمُهُ[(4)]

* * *

وقال يعزى بهاء الدولة بولده أمير الأمراء أبى منصور بويه ،

وقد توفى بالبصرة فى ذهابه إليها :

أرأيتَ ما صنعتْ «بنا» الأيّامُ ؟ ... ضاع العزاء وضلّتِ الأحلامُ[(5)]

نبأٌ تُفَكّ له الصدور عن الحِجٰى ... وتُهـــانُ أخطارُ النُّهٰى وتُضامُ

ومصيبةٍ وَلَجَتْ على ملك الورٰى ... أبوابَه «والذّائدون» نيـــامُ[(6)]

حلّ الرّجال بأمرها عُقَدَ الُحبا ... فـكأنّهمْ وهمُ القعودُ قيامُ[(7)]

---

(1) فى (هـ) « العرك » بدل « العريك » وفى (س) « العراك » وكلتاهما مصحفتان ، والعريك : الرمل المتداخل بعضه فى بعض ، والهضم بكسر الهاء وفتحها . المطمئن من الأرض .

(2) فى (ش) « غلمه » تحريف « غنمه » ، « والمراء » بدل « الفرار » ، و «مشهراً» بدل « مشمراً » تصحيف .

(3) تقله : تحمله ، والجزع : بطن الوادى .

(4) الهش : البشاشة ، والقسم : النصيب .

(5) فى (س) « بك » بدل « بنا » .

(6) ولجت : دخلت ، وفى (هـ) « والزايدون » تصحيف « والذائدون » وهى جمع الذائد وهو الدافع ، وذاده : دفعه وطرده .

(7) الحبا : جمع الحبوة وهى مايحتبى به أى يشتمل ويعقد من إزار أو عمامة .

وَاستوهلتْ آراؤهمْ فـتراهمُ ... لا نَقْضَ عنـدهمُ ولا إبرامُ (١)
حاروا فليس لديهمُ إنْ خوطِبوا ... أو خاطبوا فَهْمٌ ولا إفهـامُ
كالغِمْدِ فارق نَصْـلَه فى معركٍ ... والسِّلْكُ مُلْقًى ليس فيـه نِظامُ
يأيّهـا الملك الذى لجلاله ... يتعَظَّمُ التوقيرُ والإعظـامُ
صـبراً فبالأدبِ الذى أسلفتَه ... فى النائبـاتِ تَأدَّبَ الأقوامُ
أين التَّشَزُّرُ للخطوب وأين ذا ... كَ الصّبرُ والإطراقُ والإزمامُ ؟ (٢)
فالثِّقْلُ لا يسطيعه من شارفٍ ... « كوماء » إلّا غاربٌ وسنامُ (٣)
والنبعُ تسلبـه النِّجابةُ فرعَهُ ... ونجا بلؤمٍ خِرْوَعٌ وثُمامُ (٤)
والثَّلْمُ ليس يكون إلّا فى ظُبا الـ ... ماضى ويخلو منـه وهْوَ كَهامُ (٥)
والبُخلُ يترك النَّفيسَ وإنّما ... فقد النَّفائسَ ما جـدون كِرامُ
والحربُ تقتنص الشّجاعَ وآمِنٌ ... فيهـا المَنونَ الواهنُ المِحجامُ
شِبلٌ محا فيـه الرَّزيّةَ إنّه ... باقٍ لنا من بعـده الضّرغامُ
وثنيّةٍ من يَذْبُلٍ جُدنا بهـا ... « إذ » يَذْبُلٌ خَلْفٌ له وشَمامُ (٦)
أخـذ الرَّدى نفساً وغادر أنفساً ... فاذهبْ حمامُ فمـا عليك مَلامُ
وأحقُّ منّا بالبكاء ـ على الذى ... سلب الزّمانُ ـ الفضلُ والإنعامُ
والخيلُ قانيـةَ النّحورِ كأنّما ... بجـلودها الحِنّاءُ والعُلّامُ (٧)

---

(١) استوهلت : فزعت .
(٢) التشزر : الغضب والنظر بمؤخر العين ، والإزمام : الإطراق والسكوت .
(٣) الشارف : من النوق المسنة ، والكوماء : الناقة ذات السنام الضخم ، والغارب : ما بين السنام والعنق .
(٤) النجابة : من الانتجاب،وانتجب الشجرة : أخذ قشرها ، والخروع والثمام : نبتان ضعيفان.
(٥) الكهام : غير الحاد .
(٦) الثنية : العقبة فى الجبل ، ويذبل وشمام : جبلان .
(٧) العلام : كالحناء أو هى .

لم يدنُ منهنّ النُّزول ولم يَغِبْ ... عنهنّ إسراجٌ ولا إلجامُ

وليَبْكِهِ الرّمحُ الأصمُّ تعطّلَتْ ... حركاتُهُ والباترُ الصَّمْصامُ

ومؤمّلون أناخَ شُعْثَ رِكابِهِمْ ... بفِنائِهِ « الإنفاضُ » والإعدامُ (١)

بكروا ليستلبوا الغِنى « ويروّحوا » ... فخلا لهمْ ثمرُ النّدى فأقاموا (٢)

« يانازحاً » فَضَلَ الأكابرَ ناشئاً ... وجنى ثمارَ السِّنِّ وهْوَ غلامُ (٣)

تَزْوَرُّ عن صَبَواته سُنَنُ الصِّبا ... وتطيح عن خَلَواته الآثامُ

وقضى ولم تقضِ اللُّبانةُ رِيبةً ... منه ولا عَلِقَتْ به الأجرامُ (٤)

أمّا القلوبُ فإنّهنّ رواجِفٌ ... حزناً ليومك والدّموعُ سِجامُ

ماذا على الجدَثِ الذى أُسكِنْتَهُ ... ألا يمرّ على ثراه غمامُ ؟

«يكفيه منك السّكبُ» إنْ جمدَ الحيا ... والمستهلّ إذا السّحابُ جَهامُ (٥)

أوْ لا يجاورَ روضةً وضريحُهُ ... منه بعَرْفِك روضةٌ ومُدامُ (٦)

أولا يُحيّيه الرّفاقُ وعاكفٌ ... لله منه تحيّةٌ وسلامُ

قبرٌ تُشَقّ له القلوبُ وقبلَهُ ... عند القبور تُشقّق الأهدامُ (٧)

وتُعقَرُ المُهجُ الحرامُ حِيالَهُ ... وسواه تُعقر عنده الأنعامُ (٨)

---

(١) الفناء بالكسر : الساحة ، والإنفاض : الفقر وذهاب الزاد ، وفى النسخ « الإنقاض » بالقاف وهو تصحيف ، فأنفض : ذهب زاده فهو منفض وجاء فى شعر المرتضى مثل ذلك ، منه قوله :

أو مُنفضٍ من كلّ أزْواده ... يحرقه القيظُ بنار الصّدَى

(٢) فى (س) « وتروحوا » بدل « ويروّحوا » .

(٣) فى (هـ) « يانازحا » تصحيف « يانازحاً » والنازح : البعيد والراحل .

(٤) اللبانة : الحاجة يريد الإنسان قضاءها .

(٥) فى (هـ) « يلقيه منك الساب » محرفة عن « يكفيك منه السكب » ، والجهام : السحاب لا مطر فيه .

(٦) العرف (بالفتح) : الرائحة مطلقا وغلبت على الطيبة منها ، والمدام : الخمرة

(٧) الأهدام : جمع الهدم (بالكسر) وهو الثوب .

(٨) المهج : جمع المهجة وهى النفس ودم القلب والروح .

ما نحن إلّا للفناء وإنّما تغترّنا بمرورها الأيّامُ
ومتى تأمّلتَ الزّمانَ وجدْتَهُ أجَلًا وأيّامُ الحياةِ سَقامُ
نُضحِي ونُمسِي ضاحكين وإنّما لبكائنا الإصباحُ والإظلامُ
ونُسَرُّ بالعام الجديد وإنّما تسرى بنا نحو الرّدى الأعوامُ
فى كلّ يومٍ زَوْرَةٌ من صاحبٍ منّا إلى بطن الثّرى ومقامُ
لا تُرتجى منه إيابةُ قادمٍ هيهات أعوزَ من ردًى قَدّامُ [1]
فأسلمْ لنا ملكَ الملوكِ مُحصَّناً فى راحتيك من الخطوب زِمامُ
تأبى المقادرُ ما أبيْتَ ولا تزلْ تجرى بما تختاره الأقلامُ
ولمن هَوِيتَ نجاحةٌ وفلاحةٌ ولمنْ شَنِئتَ الكَبْتُ والإرغامُ
فالملك مذْ رُفعتْ إليك أمورُه حَرَمٌ على كلّ الرّجالِ حرامُ

✿ ✿ ✿

وقال يمدح الملك بهاء الدولة ويهنئه بالنيروز الواقع فى شعبان من سنة اثنتين وأربعمائة :

أرقْتُ للبرق بالعلياء يضطرمُ وحبّذا ومضُهُ لو أنّه أَمَمُ [2]
أمسى يشُنُّ على الآفاقِ صِبْغَتَه كأنّما الجوّ منه عَنْدَمٌ ودمُ [3]
« ينزو خلال الدّجى والّليلُ مُعتكرٌ نَزْوَ الشّرارةِ من أرجائها الفحمُ » [4]
ولامعٌ قابعٌ طوراً إخالُ به الّليلُ يضحك والآفاق تبتسمُ

(١) أعوز : تعذر .
(٢) الأمم : القرب .
(٣) العندم : صبغ أحمر قيل هو دم الأخوين (بلغة العطارين) أو البقم ، والأول مادة راتينجية لها لون دموى ، والثانى : خشب ، ولعل المادة من صموغه .
(٤) ينزو : يثب ، والمعتكر : شديد السواد والظلمة ، وهذا البيت ساقط من (س) .

قد شاقنى وبلادى منه نازحةٌ … إلى وجوهٍ بهنّ الحسنُ يعتصمُ

قومٌ يَضِنّون بالجدْوَى فإن بذلوا … من غير عمدٍ لشىء فى الهوى ندموا[1]

ويأمروننا بصبرٍ عن لقائهمُ … وكيف نصبرُ والألبابُ عندهمُ ؟

وعيّرتنى مشيبَ الرأس خُرْعُبَةٌ … وربّ شيبٍ بدا لم يجنه الهرمُ[2]

«لاتنتَشكِىْ» كنومًا تصبك فما … يشكو أذى الشيب إلّا العُذرُ واللِّممُ[3]

شيبٌ كما شُنّ فى جُنح الدّجى قَبَسٌ … أو انجلَتْ عن تباشير الضحى ظُلَمُ

ما كنتُ قبل مشيبٍ بات يظلمنى … لظالمٍ أبدَ الأيامِ أنظلمُ

ياصاحبىَّ على نَعْمانَ دونكما … قلباً تَذَكَّرُ نَعمانٍ له سَقَمُ[4]

كم فيه من قاتلٍ عمداً ولا قَوَدٌ … وظالمٍ لمحبّيه ولا حَكَمُ[5]

وماطلٍ ما اقتضيناهُ مَواعدَنا … إلّا وفى سمعه عن قولنا صَمَمُ

وسلْمَا فهناكَ الحبُّ مجتمعٌ … على «شعاب» بهنّ الضّالُ والسَّلَمُ[6]

يَلحَى العذولُ وما استنصحته سَفَهاً … وكلُّ من يبتديك النُّصحَ متّهَمُ

وما على مثله لولا تكلّفهُ … من الأحبّةِ لمّوا الحبلَ أم صَرَموا؟[7]

يامنزلَ الغيثِ مرخًى من ذلاذلهِ … يحثّه صَخَبُ التفريدِ مهتزمُ[8]

---

(١) يضنون : يبخلون ، والجدوى : العطاء .

(٢) الخرعبة : الشابة الغضة الحسنة .

(٣) فى (س) « لاتنتشك » ، والعذر والعذرة : موضع العذار وهو شعر جانب اللحية ، واللمم : جمع اللمة (بالكسر) وهى شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

(٤) نعمان (بفتح النون) : واد، وقيل: حصن وغير ذلك .

(٥) القود (بالتحريك) : دية القتيل .

(٦) فى (هـ) « شمار » تصحيف « شعاب » ، والضال والسلم : شجر ، والشمار (بالفتح) أيضاً : الموضع فيه شجر .

(٧) صرموا : قطعوا .

(٨) الذلاذل هنا : ما يتدلى من السحاب .

كأنما سُحْبُهُ سُحْماً مهدّلةً زالتْ بها الصُّمُّ أو «شُلَّتْ» بها النَّعَمُ (١)
سقى المنازلَ من «أرجانَ» ما احتملتْ رَفْهاً فلا حاجةٌ تبقى ولا سَأَمُ (٢)
مواطنٌ « أُبهاتُ » الملك ثاويةٌ فيهنّ والسُّؤْدُدُ الفَضْفاضُ والكرمُ (٣)
المَوْرِدُ العَذْبُ مبذولاً لواردِهِ والمالُ يُظلَمُ بالجَدْوى ويُهتَضَمُ
وجانبٌ لا يُخاف الدّهرُ فيه ولا يهابُ من « نَفَجاتٍ » عنده العَدَمُ (٤)
للنّازلين محلٌّ القاطنين به والأقربون لأضيافِ القِرى خَدَمُ
وواهبٌ سالبٌ ما شاء من عَرَضٍ ومنعمٌ محسنٌ طوراً ومنتقمُ
«يُلقِي» على كُثُبِ النُّعْمى شَراشِرَهُ فالحمدُ مجتمِعٌ والمالُ مُقتَسَمُ (٥)
أمّا قناتُك يامَلْكَ الملوك فما زالتْ تردّ نُيوبَ القوم إذ عَجَموا (٦)
صُمّاً يُرجّعُ عنها الغامزون لها وفى أناملهمْ من غمزها أَلَمُ
وقد بلَوْكَ ونارُ الحربِ موقَدَةٌ واليومُ ملتهبُ القُطرين محتدمُ
يومٌ كأنّ أُسودَ الغاب ضاريةٌ فرسانُهُ وقنا فرسانِهِ الأَجَمُ (٧)
فى ظهر مَعْروقةِ اللَّحْيَيْنِ ثائرةٍ كأنّما مسّها من طيشها لَمَمُ (٨)

---

(١) السحم : جمع الأسحم وهو الأسود ، وشلت : طردت ، وفى (س) «شالت» أى ارتفعت.
(٢) « أرجان » بلدة لفارس وأصلها بتشديد الراء المفتوحة ، وفى (هـ) «رجان» : وهو واد عظيم بنجد .
(٣) الأبهات : جمع الأبهة وهى العظمة ، وفى (س) « أمهات » بدل « أبهات » .
(٤) النفجات : جمع النفجة وهى الوثبة ، وفى (س) « نفحات » مصحفة .
(٥) فى (هـ) «ملق» بدل « يلقى » ، والكثب : جمع الكثيب ، والشراشر : النفس يقال ألقى عليه شراشره : أى نفسه حرصاً ومحبة .
(٦) النيوب : جمع الناب ، وعجم العود : عضه ليعلم صلابته اى اختبره .
(٧) الأجم : جمع الأجمة وهى الغابة ذات الشجر الكثيف .
(٨) المعروقة : التى زال لحمها عن عظامها ، واللحيان : مثنى اللحى (بالفتح) وهو موضع منبت اللحية وعظم الحنك ، واللمم : الجنون .

معقولةٌ بازدحام الخيل تُعثرها — ولا عِثارَ بها ـ «الأحشاء» والقِمَمُ (١)

وفتيةٌ كقِداحِ النبعِ تحملهمْ — على خِطارِ الرّدى «الأخطارُ» والشِّيَمُ (٢)

بين القنـا والظُّبا مسلولةً نشأوا — وفي ظهور الجيادِ القُرَّحِ احتلموا (٣)

من كلِّ مُلتبِسٍ بالطّعنِ منغمسٍ — يَغْتَمُّ بالدمِ طوراً ثمّ يلتثمُ

تراهمُ كيفما لاقوا أعاديَهمْ — لا يغنمون سوى الأرواح إنْ غنموا

محجّبين عن الفحشاء قاطبـةً — كأنّهمْ بسوى المعروف ما علموا

إنْ ظاهروا البدرَ في ثوب الدّجى ظهروا — أو ظالموا اللّيثَ في عِرِّيسهِ ظَلموا (٤)

كم أوْهنوا من جراثيمٍ وما وهنوا — وأرغموا من عرانينٍ وما رُغِموا (٥)

وأرهقوا من عظيمٍ خُنزُوانَتَـه — يئِطُّ في القِـدِّ أو تهفو به الرَّخَمُ (٦)

«تقيّلوا» منك أخـلاقاً تثبّتهمْ — في مأزقٍ هزّه الشّجعانُ فانهزموا (٧)

وأقدموا بعـد أنْ ضاق المَكَرُّ بهمْ — لمّا رأوك على الأهوالِ تقتحمُ

مَن مبلغٌ مالكَ الأطرافِ مألُكةً — فإنّما العِيُّ في الأقوالِ مُحتشَمُ (٨)

بعُـدتمُ فحسبتمْ بُعدَكمْ حرَماً — والأمنُ دون النّوى منكم هو الحَرَمُ

---

(١) المعقولة: المصابة بالعقل (بفتحتين) وهو اصطكاك الركبتين أو التواء في الرجل، وفي (م) «الأجساد» بدل «الأحشاء» والقمم: الرءوس.

(٢) القداح: جمع القدح (بالكسر): وهو السهم، والخطار (بالكسر): جمع الخطر وهو السبق بالتحريك الذي يترامى عليه في التراهن، والأخطار: جمع الخطر وهو الشرف وعلو القدر.

(٣) القرح: جمع القارح وهو من الخيل ما بلغ الخامسة.

(٤) ظاهروا البدر: أي باروه في الظهور، والعريسة: بيت الأسد.

(٥) أوهنوا: أضعفوا، والجراثيم: الأصول، والعرانين: جمع العرنين وهو أعلى الأنف، وأرغم أنفه: أي أذله.

(٦) الخنزوانة: الكبر، ويئط: يصوت والقد: القيد، وتهفو: تعلو، والرخم (بالفتح): جمع الرخمة (بفتحتين) وهو طائر كالنسر.

(٧) تقيلوا: تتبعوا، وفي (س) «تقبلوا» مصحفة.

(٨) المألكة: الرسالة، والعي: الحصر في الكلام.

وكلُّ ناهٍ وإنْ شطّ البِعادُ به ... تناله من بهاءِ الدّولةِ الهِمَمُ (١)

كالشّمس فى الفلك الدّوّار « قاصيةٌ » ... ويصطلى حرّها الأقوامُ والأُمَمُ (٢)

وإنّما غرّكمْ بالجهلِ أنّكم ... سرقتمُ ماظننتمْ أنّه لكمُ

« تغنّموا » سِلْمَه واخشَوْا صريمَتَه ... فالسِّلْمُ من مثلِهِ « يا قومُ » مُغتَنَمُ (٣)

واستمسكوا بذمامٍ من عقوبتِهِ ... فليس تنفع إلّا عنده الذّممُ

بنى بُوَيْهٍ أتمّ اللهُ نعمتكمْ ... ولا يزلْ منكمُ فى الملكِ محتكِمُ

وأنتَ ياملكَ الأملاكِ عشْ أبداً ... فما سلمتَ لنا فالخلقُ قد سلموا

وأنعمْ نعمتَ بذا النّيْروزِ مُرتقياً ... إلى المحلّ الذى لم ترْقَهُ قَدَمُ

مُبَلّغاً كلّما تهوى وإنْ قَصُرَتْ ... عنه الأمانىُّ موصولاً لك النِّعَمُ

* * *

وقال يمدح فخر الملك فى عيد النحر (٤) :

أشاعرةٌ بما ناقى ظَلومُ ... فما ناقى وإنْ حقَرَتْ عظيمُ

ولو صدق الوشاةُ إليك عنّى ... لقالوا إنّه دَنِفٌ سقيمُ

أفاقوا من هوًى فلَحَوْا عليه ... ومن لا يعرف البَلْوى يلومُ

يلومُ على الهوى مَن ليس يدرى ... بأنّ ضَنَى الهوى داءٌ قديمُ

---

(١) شطّ : بعد .

(٢) فى (س) « قاطنة » بدل « قاصية » والظاهر تحريفها .

(٣) فى (هـ) « تغلموا » بدل « تغنموا » محرفة ، وفى (س) « منجى » بدل « ياقوم » .

(٤) ورد فى طيف الخيال (ص ٧٤) الشطر الأول من مطلع هذه القصيدة وأربعة أبيات منها، وبيت منها لم يذكر فى الأصل وجاء بعد قوله: (وايلة زارنا منكم ... البيت السادس) وهو:

أَلَمَّ بباطلٍ ويودُّ قلبى ... وداداً أنّه أبداً مُقيمُ

وناموا والهوى سَقَمٌ دَخيلٌ طويلٌ لاينام «ولا يُنيم»[(١)]

وليلةَ زارنا منكمْ خيالٌ «وجِلْدُ» الليل من وَضَحٍ بَهيمُ[(٢)]

وأحسبُهُ الضجيعَ على وسادى وما رام اللقاءَ ولا يرومُ

وكيف يزور من بلدٍ بعيدٍ ولا عَنَقٌ هناك ولا رسيمُ ؟[(٣)]

ومشوقٍ له نطقٌ رخيمٌ يُدِلُّ به ومُنْتَطَقٌ هضيمُ[(٤)]

لنا من لفظه درٌّ نَثيرٌ ومن ثغرٍ له درٌّ نظيمُ

خلوتُ به وباطنه سليمٌ بلا دَنَسٍ وظاهره كليمُ[(٥)]

لمنْ طَلَلٌ وقفتُ به سُحيراً أُصَيْحابى وقد هوَتِ النجومُ ؟

وللظلماءِ فى الخضراء بُرْدٌ وُشومٌ بالكواكب أو رُقومُ[(٦)]

ونُجنا نحوه والشوقُ حادٍ قلائصَ فى مغانيها القَصيمُ[(٧)]

وكيف سؤالُ رسمٍ «عن فريقٍ» ولم تعرف فتخبرك الرسومُ ؟

لفخر الملك فى شرف المعالى محلٌّ لا يُرامُ ولا يَرِيمُ[(٨)]

وفضلٌ حلّ ساحته خصوصٌ وأفضالٌ تجلّانا . عُمومُ

خلائقُ كالزلالِ العَذْبِ أضحى يزعزعه لدى سَحَرٍ نسيمُ

وصدرٌ لا يبيت عليه حِقْدٌ ولا تَسْرِى بساحته السَّخيمهْ[(٩)]

---

(١) فى (س) «ولا ينام» بدل «ولا ينيم» من سهو الناسخ .

(٢) فى طيف الخيال «ووجه» بدل «وجلد» . ، والوضح (بالتحريك) : البياض والضوء ونور القمر ، والبهيم : المظلم والأسود ويعنى لاضوء فيه .

(٣) العنق والرسيم : ضربان من السير .

(٤) المنتطق : الخصر ، والهضيم : النحيف .

(٥) الكليم : المجروح .

(٦) الخضراء : قبة السماء ، والوشوم : النقوش مفردها ؛ الوشم .

(٧) نجنا : ملنا ، والقلائص : النوق الفتية مفردها القلوص ، والمغانى : المنازل مفردها المغنى ، والقصيم : موضع

(٨) يريم : يفارق ويزول .

(٩) السخيم والسخيمة : الحقد .

وبِشْرٌ قبل أنْ تكفَ العطايا يُشاهده فيستغنى العديمُ
وإنْ قسناه فالتَّبريزُ نقصٌ لمن يَعدوه والتّبذيرُ لُومُ (١)
ألا قلْ للأُلَى ملكوا البرايا وعشعش فى ديارِهمُ النّعيمُ
وحلّوا كلَّ شاهقةِ المبانى من العلياء يسكنها الكريمُ
وطالتْ فيهمُ أيدٍ إذا ما تمنَّوْه كما طالتْ جُسومُ
ملوكٌ ما لهمْ طرفٌ دَنِيٌّ يعابُ به ولا خُلُقٌ ذميمُ
أرونا مثل فخر الملك فيكمْ يقوم من الأمور بما يقومُ؟
ومَن خضعتْ لغُرّتِه النّواصى وقيدَتْ فى أزمّتِه القُرومُ
فللهِ انبعاثُك كلَّ يومٍ تسوم من العظيمة ما تسومُ
على جرداء إنْ حُبِسَتْ فقصرٌ وإنْ ركضتْ لِهمٍّ فالظّليمُ (٢)
وحولك فى مُلَمْلَمَةٍ رجالٌ رُكودٌ فى سُروجِهمُ جُثومُ (٣)
وفى أيديهمُ أَسَلٌ طِوالٌ لَهاذِمَةٌ إلى الأرواح هِيمُ (٤)
إذا غضبوا رأيتَ الموتَ صِرْفاً على مُهَجِ الكرامِ بهمْ يحومُ
وعِيدُ النَّحْرِ يخبر أنّ ظِلّاً مَنَنْتَ به على الدّنيا يدومُ
وقد جادتْ سحائبه سعوداً ونُعْمَى لا تجود بها الغيومُ
فنلْ منه الطِّلابَ فكلُّ يومٍ أنالَكَ ماطلبتَ أخٌ حميمُ
فعيشٌ لا تكون به ممَاتٌ ودهرٌ لستَ عاذرَه مَلومُ

---

(١) التبريز: التفضيل والإظهار. ويريد إنا إذا قسنا به غيره وفضلنا ذلك عليه فهو نقص وإن نسبنا التبذير إلى غيره ولم نخصصه به فهو لؤم، وحذفت الهمزة فى اللؤم للتخفيف كالشوم للشؤم.
(٢) الظليم: ذكر النعام.
(٣) الململة: الكتيبة المتجمعة.
(٤) الأسل: الرماح، واللهاذم: جمع اللهذم (كجعفر): الماضى من الأسنة. والهيم: العطاش.

وأمُّ الدّهر ناسلةٌ ولكنْ لمثلك أنْ يكونَ لها عقيمُ
وما تخشى صُرُوفَ الدّهرِ جَمعاً وأنّك من بوائقها حريمُ (١)

***

وقال يمدحه أيضاً :

ماأرادتْ إلّا الجفاءَ ظَلومُ يوم رامتْ عنّا ولسنا نَريمُ (٢)
روّعتْ بالفراقِ قلباً إذا رِيـ ـعَ بذكر الفراق كاد يهيمُ
وأرادتْ قصدَ النَّميمِ ولو أنّـا استطعنا كان المحلَّ النعيمُ (٣)
وكتمنا وَجْداً بها ساعةَ البَيْـ ـنِ ولكنْ دَمْعُ العيونِ نَمومُ
لم يَطُلْ بيننا غداةَ افترقنـا ـ من حِذارٍ ـ ضمٌّ ولا تسليمُ
ضاع مِنّا بين الوشاة ببينٍ ـ ما احتسبناه ـ سِرُّنا المكتومُ
أيُّ دمعٍ جرى ونحن بنَجْرا نَ لنا والدّيارُ ثَمَّ رسومُ
دِمَنٌ لو رَنَتْ إليهنّ عينا كَ قُبَيْلَ الفراقِ قلتَ النُّجومُ
ومغانٍ من النّحولِ كأروا حٍ ولكنْ ليستْ لهنّ جُسومُ (٤)
ما مررنا إلّا بهنّ ومنهنّ قفاراً سِيقتْ إلينا الهُمومُ
ما على مَن ينامُ ليلَ مُحِبِّيـ ـهِ طويلاً لو كان فيه يُنيمُ
وعجيبٌ وهْوَ المَلِيءُ ثراءً كيف يُلوى عن جانبيه الغَريمُ (٥)
طلعتْ فالهلالُ يُبصَرُ منها ورَنَتْ نحونا فقيلَ الرِّيمُ (٦)

---

(١) البوائق : الدواهي ومفردها البائقة .
(٢) رام عن المكان يريم ريماً : زال عنه وفارقه .
(٣) النميم : اسم واد .
(٤) المغاني : جمع المغنى وهو المنزل
(٥) الغريم : الدائن ، والمدين أيضاً .
(٦) رنت : نظرت .

وشككنا فى دمعها وهو منهـــــلٌّ أدَمْعٌ أم لؤلؤٌ منظومُ ؟

رحل النّا كثون بالعهدعن دا ر حفاظٍ وأنتَ فيهـا مقيمُ

وتناهَوْا عن الوفاء وهـذا الْ غَدْرُ داء بين الأنـــام قديمُ

وملامٌ سمعتـــه لا يُرى فيـ ـه لجوجاً إلّا المُريبُ المُليمُ

لا أبالى متى استقمتُ إذا كا ن جميعُ الأنام لا يستقيمُ

وإذا كنتُ لا يطورُ بىَ الذ . . مُّ فما ضرّنى مَنِ المذمومُ ؟ (١)

وإذا سُمتُها كما اشترط الجـ ـدُ فنادِ الرّجالَ : لا ، لا تسوموا

قلْ لفخر الملوك عَنّىَ والقوْ لُ صحيحٌ بين الورى وسقيم

قد رأينا بك الملوك وإنْ رُمْـ ـتَ من المأثرات مالم يروموا

لك من فوقهم إذا نحن قسنا هُمْ إلى مجدك المحلُّ العظيمُ

إنّ فى بلدة السّلام هُماماً ليس يُهدَى إلاّ له التّسليمُ

من أناسٍ لهمْ إلى سَوْرَة الجهـ ـلِ أناةٌ وفى السَّفاه حُلومُ

ونِراهمْ لا يعزفون عن العيـْـ . . ـث كما يعزف الملولُ السَّؤومُ

وإذا مادُعوا لحومة حربٍ وطيورُ الرّدَى هناك تحومُ

وهبوا العذرَ للجبانِ وعاصوا مَن على مكرعِ الحِمامِ يلومُ

وأتَوْا فى ظهور هُوجٍ كما هِيـــجَ على صَحْصَحانِ أرضٍ ظَليمُ (٢)

قد لبسن الدّماء فالبُلْقُ كُمْتٌ ما توضّحْنَ والأغرُّ بَهيمُ (٣)

والرّدَى بالظُّبا الرّقاقِ وبالسُّمْــــرِ العوالى بين العدا مقسومُ

---

(١) يطور به : أى يدنو منه ولم به .

(٢) الهوج : جمع الأهوج وهو الطائش ، والصحصحان : المستوى من الأرض ، والظليم : ذكر النعام .

(٣) البلق : جمع الأبلق وهو الأبيض ، والكمت جمع الكميت وهو الأسود ، وتوضح : ابيض والأغر : ذو الغرة وهى البياض فى الجبهة ، والبهيم : الأسود .

زار أرضَ الزَّوْراءِ لمّا اقشعرتْ مثلما زارتِ المُحولَ الغيومُ

جاءها حين لا يَمرّ بها السّا ري دُثوراً ولا يُسيم المُسيمُ (١)

ليس يُقضى عنها وتُمضى قضايا ه عليها إلاّ الغَشومُ الظَّلومُ

فهي الآن كالصَّفاةِ استدارتْ ليس فيها لمجتليها ثُلومُ (٢)

روضةٌ غَضّةٌ فأمّا نداها فرذاذٌ وريحُها فنسيمُ (٣)

فإلى بابه مُناخُ المطايا وعليه وَفْدُ الرّجاء مقيمُ

حرمٌ آمنٌ به يُنصَفُ المظ لومُ عفواً ويُمنحُ المحرومُ

بلغوا عنده الرّجاءَ وكم با توا وأمُّ الرّجاء فيهمْ عقيمُ

دَرَّ دَرُّ الذى فَضَلْتَ به النّا سَ عطاءٌ دَثْرٌ وخُلْقٌ كريمُ

وسجايا مَلَكْنَ كلَّ فؤادٍ هنّ فيه عند الصّميمِ صَميمُ

أيّها المنعمُ الذى أعوزَ الفق رُ على جوده وأعيا العديمُ (٤)

لكَ مِن شكرِ كلِّ مَن سَطَرَ الشُّكْ رَ قديماً خُصوصُهُ والعُمومُ

أنتَ تُعنىْ به وإنْ لم يَقُلْ فيـ ـك ومَن قيل فيه فَهْوَ المَلومُ

وإذا ما مدائحُ المرءِ لم يَصْ دُقن فى نعته فهنّ خصومُ

وإذا ما أُعيرَ وصفاً محالاً فهو قذفٌ لعرضِهِ ورُجومُ

إن هذا التحويلَ جاء وقد عا هَدَنا أنّه الدُّهورَ يدومُ

---

(١) يسيم : يرعى والمسيم : الراعى .

(٢) الصفاة : الحجر العريض الأملس ، والمجتلى : الناظر .

(٣) الرذاذ : المطر الخفيف .

(٤) أعوز : تعذر ، والعديم : الفقير

وهوَ يُهدِى إليكَ ما أنتَ تهوا ه وما نحن فى هواكَ نرومُ
فخذِ السّعدَ منــــه فالفَلَكُ الدّوّارُ منــــه سُعودُه والنُّجومُ
لا قَلاكَ الذى علاكَ من السَّعْــــدِ ملالًا ولا جفاكَ النَّعيمُ [1]
وأبقَ مستخدِمَ الزّمانَ لخيرِ الـ ـعيشِ عيشٌ به الزّمانُ خَدومُ

* * *

وقال يعزى أبا سناد غريب بن محمد بن معن عن ولد توفى له رجزاً :

جسيمةٌ حمّلهـــا جسيمُ على العظيمِ يصـــبرُ العظيمُ
مصيبةٌ خفَّ بهـــا الحليمُ مسكّنُها من الفتى الصَّميمُ
ليس بها غمضٌ ولا تهويمُ كأنّها بكرِعكِ الخُرطومُ [2]
رامك من دهرك ما تَرومُ وأرتجعَ الرِّفْدُ فمنْ تَلومُ ؟
مضتْ إفالٌ وثوَتْ قُرومُ والبدرُ باقٍ فلتَبِنْ نجومُ [3]
فلتسلُ عنـــه إنّك السَّليمُ ساوَى السخيَّ فى الرّدى اللّئيمُ
وذاقه المرزوق والمحروم نحن على طرق الرّدى جثومُ
ونحوه الإيجافُ والرَّسيمُ لولا الرّدى وإنّه الهجومُ [4]
ما شَمِتتْ بنـــاتِجٍ عقيمُ ولا استوى الصّحيحُ والسّقيمُ
الموتُ داءٌ للورَى قديمُ سِيطَ به الممدوحُ والمذمومُ
ما عنـــه تعريجٌ ولا تحويمُ وليس تأخيرٌ ولا تقـــديمُ

---

(١) لا قلاك : لا أبغضك من القلى (بالكسر) وهو البغض .
(٢) التهويم : هز الرأس من النعاس ، والخرطوم : الخمر السريعة الإسكار .
(٣) الإفال : جمع الأفيل وهو الفصيل وابن المخاض والقروم : جمع القرم وهو الشجاع ، والبعير الفحل
(٤) الإيجاف والرسيم : ضربان من السير .

لا تَشكُوَنْ وغيرُكَ المظلومُ   كلٌّ بما لاقيتَهُ أميمُ (١)

صبراً وإنْ أوجعتِ الكُلومُ   ولتَفْنأْ عن جانبك الهمومُ (٢)

ففي البلاءِ يُعرفُ الكريمُ   خيرٌ من الزائلِ ما يدومُ

لكَ النعيمُ إنْ يفُتْ حميمُ   لا كانَ منكَ جانبٌ مثلومُ

ولا مشتْ في صدركَ الغمومُ   ولا عراكَ القدَرُ الغشومُ

سقى ثراهُ الهاطلُ السَّجومُ   وجادَهُ هَيْدَبُهُ المركومُ (٣)

واعتَصِرتْ في قبرهِ الغيومُ   ففيهِ نجمٌ ثاقبٌ مقيمُ

* * *

وقال في النسيب :

ومِن سَفَهٍ لمّا مررتُ على الحِمَى   بكيتُ وهل يُبكى الجليدَ المعالِمُ ؟ (٤)

شربتُ به لمّا رأيتُ خشوعَهُ   دموعي وغنّتني عليهِ الحمائمُ

ولمّا رأينا الدارَ قفرى من الهوى   وليس بها إلّا الرياحُ السمائمُ (٥)

كرَعنا الجوى صِرْفاً بأيدي رسومِها   فلم ينجُ منّا يومَ ذلكَ سالمُ

وما برحتْ أيدي المطيِّ مكانَنا   كأنّ المطايا مالهنّ قوائمُ

كأنّيَ لم أعصِ الهوى وهو غالبٌ   ولم يقلِ الأقوامُ إنّكَ حازمُ

ولم ألْقَ صلبَ العودِ يوم يقودني   أكُفٌّ شِدادٌ أو نيوبٌ عواجمُ (٦)

---

(١) الأميم : الذى أصابته الآمة وهى الضربة تبلغ أم الرأس أى قشرة الدماغ .

(٢) الكلوم : الجروح .

(٣) السجوم : المنصب ، والهيدب : المتدلى من السحاب ، والمركوم : المتراكم بعضه فوق بعض .

(٤) الجليد : الصبور ، والمعالم : ما بقى من آثار الديار كالرسوم .

(٥) السمائم : جمع السموم (بالفتح) وهى الريح الحارة .

(٦) النيوب : جمع الناب ، والعواجم : جمع العاجم وهو الذى يعجم العود أى يعضه ليعلم صلابته .

فإنْ يكُ لى دمعٌ بسرِّىَ بائحٌ فلى منطقٌ للوَجْدِ مِنىَ كاتمُ

فلله يومُ الشِّعْبِ ما جنتِ النّوَى علينا وما ضمّتْ عليه الحيازمُ (١)

عشيّــةَ رحنــــا والغرامُ يقودنا وليس لنا إلّا الدّموعُ السّواجمُ

نُطارُ إلى داعى الهوَى فـكأنّنـــا جيادٌ سِراعٌ مالهنّ شكائمُ (٢)

نظرتُ وظعنُ الحىّ تُحدَى بذى النّقَا وأيدى المطايا بالحدوجِ رواسمُ (٣)

وقد رثّ شملٌ بالفراقِ وحولنـــا من الوَجْدِ لُوّامٌ لنـــا ولوائمُ

فلاهٍ تخطّـــاه التجلدُ مُفحَمٌ وساهٍ توخّاه التبلّدُ واجمُ

فلم تُلفنِى إلّا عيونٌ فواترٌ وإلّا خــــدودٌ للعيون نواعمُ

غُذين الصِّبا حتّى ارتَوَيْنَ من الصِّبا سنينَ كما تغذو الصبىّ المطاعمُ

ومشتكيـــاتٌ ليس إلّا أناملٌ يشرن إلى شكوى النّوَى ومعاصمُ

ونادمةٌ كيف استجابتْ لِبَيْنِنَا ؟ وقد شَقِيَتْ بالعضّ منها الأباهمُ (٤)

وأعرض عنّا بالخدودِ وما لنـــا إليهنّ لولا بَغْيُهنّ جرائمُ

وما كنتُ أخشى أنّ قلبى تنوشه محكّمةً فينـــا النّساء الظّوالمُ

ولا أنّ شوقى لا يزال يَهيجُـــه ثرًى مُقفرٌ أو منزلٌ متقـــادمُ

***

وقال يرثى أختا له أسنت فبلغت من العمر نيفا وتسعين سنة

وكانت وفاتها فى أواخر شعبان من « سنة ٤١٩ » :

صَمَتَ العواذلُ فى أساكِ وسلّموا لمّا رأوْا أنّ العزاء محرّمُ

(١) الشعب : التفرق والصدع ، والحيازم : جمع الحيزوم وهو وسط الصدر .

(٢) الشكائم . جمع الشكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

(٣) النقا (بالقصر) : كثيب الرمل ، والحدوج : الهوادج ، ورواسم : مسرعات يسرن الرسيم وهو فوق الذميل كأن أقدامها ترسم أثراً على الأرض .

(٤) الأباهم : جمع الإبهام .

لاموا وكم من فائهٍ بملامةٍ ... هو عند نُقّادِ الملامةِ ألْوَمُ

ما أغفلَ العذّالَ عمّا في الحشا ... من لاذعاتٍ جمرها يتضرّمُ

لو أنصفوا اعتذروا وقد عاصيتهمْ ... وأبَيْتُ نصحَهمُ بأيِّ مُغرَمُ

كم بيننا تتنعّمون وأُبتلَى ... أوْ تسلمون من الكلوم وأُكْلَمُ ؟(١)

في القلب من حرّ المصيبة لوعةٌ ... لا تعلمون بها وقلبي أعلمُ

لا يستوي بكمُ ـ وما من ثلمةٍ ... بصَفاتِكمْ ـ شَعثُ الصَّفاةِ مُثلَّمُ (٢)

ذاوي القضيب له بَنانةُ آسفٍ ... يجري لطولِ عضاضِها منها الدّمُ

يالَلرّجالِ لها جمٍ بيد الرّدى ... أعيا فقيلَ هو القضاء المبرَمُ

ومصيبةٍ ليلى ـ وقد ساوَرْتُها ـ ... ليلُ اللّديغِ بها ويومي أيْوَمُ (٣)

ركبتْ من الأثباج مالا يُرتقَى ... وتهضّمتْ في القوم مالا يُهضَمُ (٤)

شوطِرتُ نصفي واقتسمتُ وأنتمُ ... أشطارُ كمْ موفورةٌ لا تُقسَمُ

فمتى نَطَشْتُ فإنّ أنفيَ أجدعٌ ... وإذا بَطَشْتُ فساعِدٌ لِيَ أجذمُ (٥)

وإذا نظرتُ فليس لِي من بعد مَنْ ... خُولستُهُ إلاّ السّوادُ المظلِمُ

وهو الزّمانُ فوافِدٌ ومودِّعٌ ... ومؤخَّرٌ فاتَ الرّدى ومقدَّمُ

ومبلَّغٌ آمالَهُ ومُخيَّبٌ ... ومُجرِّرٌ ذيلَ الثّراءِ ومُعْدِمُ

لا تعجبوا لمُرَزَّءٍ ومُكَلَّمٍ ... إنّ العجيبَ مُصحَّحٌ ومُسَلَّمُ

قلْ للذي يبني البناء كأنّه ... لم يدر أنّ بناءه مُتهدِّمُ :

مَهْلاً فما الدّنيا وإنْ طالتْ لنا ... إلاّ كظلّ غمامةٍ يتصرّمُ

(١) الكلام : الجروح مفردها الكلم .

(٢) الصفاة : الحجر العريض الأملس . ومثلم الصفاة : اى معيب .

(٣) ساورتها : واثبتها وخاصمتها .

(٤) الأثباج : جمع الثبج (بالتحريك) وهو أعلى الظهر مايلي الكاهل .

(٥) الأجدع والأجذم : الأقطع .

هلْ حظُّنا منها وإن عظمتْ بها الـــنَّعماء إلاَّ مَشْربٌ أو مطعمُ ؟

أرِنِي بها صَفْواً بغيرِ تَــكدُّرٍ   وحلاوةً ما سِيطَ فيها العلقمُ (١)

أو لذَّةً نِيلتْ وليس يحفُّها   أبدَ الزَّمان تــكلُّفٌ وتجشُّمُ

عُجْ بالمطِيِّ على الدِّيار فنادِها   أين الأُلى بُربانكِ دهراً خيَّموا ؟

من كلِّ مرهوبِ الشَّذاةِ كأنَّه   ليثٌ إذا ضغط الفريسةَ يَرْزِمُ (٢)

يقظان ينتهز الفخارَ إذا خلَتْ   سُبُلُ الفخار ونام عنهـــا النُّوَّمُ

ومُحجَّبون من القِذاعِ كأنَّهمْ   بسوى جميلِ الذِّكرِ لمَّا يعلموا (٣)

ومهذَّبون وكم يفوت معاشراً   شتَّى الشُّعوبِ مهذَّبٌ ومقوَّمُ

وتراهمُ متهجِّمين على الرَّدى   وإذا رأوا سُبُلَ «العَضِيهةِ» أحجموا (٤)

الشَّاهدين اليومَ وهو عَصَبْصَبٌ   والهازمين الجيشَ وهو عَرَمْرَمُ (٥)

والفالقين الهامَ فى يوم الوغى   مُتَوَّجٌ يهوى ردًى ومُعَمَّمُ

أخْنَى على إثرائهمْ فأبادَهُ   جودٌ لهمْ لا يَنثني وتــكرُّمُ (٦)

وأبَى لهمْ كرمُ العروق إذا جنَوْا   يوماً على أموالهمْ أن يندمـــوا

ويصون عِرضَهمُ الذى شحُّوا به   دينـــارُهمْ فى بذلِهِ والدِّرْهَمُ

وإذا همُ سلموا وبات وليُّهمْ   مــتهلّــكاً فــكأنَّهمْ لمْ يسلموا

كم فيهمُ قَرِمٌ إلى بذل القِرَى   صَبٌّ بأسبابِ العَلاءِ مُتيَّمُ (٧)

متقدِّمٌ واليومُ مسوَدُّ الدُّجى   إذ قلَّ مَن نحوَ الرَّدى يتقـــدَّمُ

---

(١) سيط : مزج .

(٢) الشذاة : كالأذاة وزناً ومعنى ، ورزم الأسد فهو رزام أى برك على فريسته وجثم .

(٣) القذاع : السباب وفحش القول .

(٤) العضيهة : البهتان ، وفى الأصل « العضيمة » مصحفة .

(٥) العصبصب : الشديد ، والعرمرم : الكثير .

(٦) أخنى عليه الدهر : أهلكه وأباده .

(٧) القرم : شديد الشهوة لأكل اللحم .

فى موقفٍ فيـــه الحسامُ مُثَلَّمٌ والرّمحُ فى طعنِ الـكُلى متحطِّمُ
والطّعن يفتق كلَّ نجلاء لهـــا قَمْرٌ كما فغرَ البعيرُ الأعلمُ (١)
والخيل تخضبُ بالنّجيعِ فشُهْبُهـــا محمرّةٌ والوَرْدُ منهـــا أدهمُ (٢)
كانوا البدور و بعد أن عصف الرّدى بهمُ همُ رِمَمُ الثّرى والأعظمُ
سكنوا العراء وطالما امتلأتْ وقد جُعلتْ لهمْ تلك الأسرّةُ منهمُ
يا ربّةَ البيتِ المحرّمِ تُربُهُ عن أنْ يلمّ به فعـــالٌ يحرُمُ
قطن العَفافُ به وعرّس عنـــده كرمٌ كعمر الدّهرِ لا يتثلّمُ
ما إنْ به صبحاً وكلَّ عشيّةٍ خَشْناء إلّا صُوّمٌ أو قُوّمُ
ومسهّدون كأنّما حسنـــاتُهمْ فى ليلهمْ ذاك البهيمِ الأنجمُ
مالى أراكِ وكنتِ جِـــدَّ حَفِيّةٍ لا نلتقى أبداً ولا نتكلّمُ ؟ (٣)
بينى و بينكِ شاسعٌ متبـــاعدٌ أو حالكٌ شَحِبُ الجوانبِ مظلمُ
آب الرّجالُ الرّاحلون ودوننـــا سَفرٌ طويلٌ ليس منـــه مَقْدَمُ
ما كان عندى والبلايا جَمّـــةٌ أنّى أصابُ بـكمْ وأعرى منـكمْ
وأذادُ حين أذادُ عن أمواهـكمْ وأصدّ عن باب اللّقاء وأُحْرَمُ (٤)
كان أبتهـــالُكِ جُنّةً فإذا رمى جهتى العِدا تَزْوَرّ عنّى الأسهمُ (٥)
ودُعاؤكِ المرفوعُ مصلحُ دائمـــاً ما أفسدوا أو ناقضٌ ما أبرموا
فالآن لِى من بعد فقـــدك جانبٌ عارٍ وظُفرٌ فى العـــدوّ مُقَلَّمُ

---

(١) النجلاء : الواسعة الفوهاء ، وفغر : فتح فاه ، والأعلم : المشقوقة شفته العليا .

(٢) النجيع : الدم ، والشهب : البيض ، والورد من الخيل : الأحمر الضارب إلى الصفرة ، والأدهم : الأسود .

(٣) الحفية : التى تحتفى بالزائر بالسؤال عنه بكثرة .

(٤) أذاد : أبعد وأطرد .

(٥) الجنة (بالضم) : الدرع .

لم يمضِ ماضٍ بان وهو محمّدٌ ونأى أشدَّ النــأى وهو مذمَّمُ
للِكِ جنّـــةٌ مأهولةٌ فاستبشرى بدخولهـــا فلِلآخرين جهنّمُ
وإذا وصلتِ إلى النعيمِ فهبّنْ من قبـــله ذاك البلاء الأعظمُ
صلّى الإلهُ على ضريحك والتقتْ فيـه عليك كما يشــاء الأنعمُ
وجرى النسيمُ عليه كلَّ عشيّـــةٍ واعتـاده نَوْءُ السِّماكِ المُرْزِمُ (١)
فالغيثُ فيـــه ناشجٌ مستعبرٌ والبرقُ منـــه ضاحكٌ متبسّمُ
وتروّضتْ جنَبــاتهُ فـكأنّه بُرْدٌ تَنشّرَ بالفَلاةِ مُسَهَّمُ (٢)
وإذا المطىُّ بنـــا بلغن مكانه فـكلّمٌ منّـــا له ومسلّمُ
ومن الشّجـا أنّا نـكلّم فى الثرى من لا يُصيخُ لنـا ولا يتكلّمُ (٣)

* * *

وقال فى النسيب :

من ذا عذيرىَ من قومٍ أذاقهم ضغنُ العداوةِ حتّى مالها عَلَمُ ؟
مُـكَتّمٌ كلُّ ما بينى وبينهمُ وليس كلُّ الذى نأباه ينـكتمُ
وقد رضيتُ اتقاءً أنْ أكاشحها أن يظلمونىَ أحيــاناً فأنظلمُ

* * *

وقال يهنىء شاهنشاه جلال الدولة بعيد الفطر من سنة « ٤٢٠ »

بعد استدعاء لذلك :

أطوادُ عزّك لا ترامُ ولَصيقُ بيتك لا يُضامُ

---

(١) النوء : المطر ، والسماك : نجم ، والمرزم : المصوت .
(٢) المسهم : المخطط .
(٣) يصيخ : يصغى ويستمع .

وللكِ المكارمُ قصّرتْ عن نيل غايتها الكرامُ
وإذا حللتَ ببلدةٍ فكأنّما حلَّ الغمامُ
ولقد درى كلُّ الملو كِ بأنك الملك الهمامُ
وإذا همُ قِيدوا إليـ ك فأنت رضوى أو شمامُ (١)
وكأنّما أنتَ الضّيا ء لمبصرٍ وهمُ الظّلامُ
وإذا اقتسمتمْ فالشّوى لهمُ وحصّتُك السّنامُ (٢)
وسلا الملوكُ عن العلا ء وأنت صبٌّ مستهامُ
فمتى رأوك مشمّراً لعظيمةٍ قعدوا وقاموا
ولربّ معضلةٍ يُقَضُّ لبُعدِ مطلبها المنامُ
ضاقوا بها ووسعتَها ورأوك يقظاناً فناموا
لله دَرُّك فى مُقا مٍ لا يطيب به المقامُ
والرّمحُ يَنطُفُ فى يمينـ ك من نجيعٍ والحسامُ (٣)
والخيلُ تعثر فى الجما جم والشّفيع لها القَتامُ (٤)
لم يبقَ فوق جلودها بالطّعنِ سرجٌ أو لجامُ
والدمّ ملء فروجها وإهابُهُ موتٌ زُؤامُ (٥)
والأرضُ حمراء «القَرا» حصباؤها جُثَثٌ وهامُ (٦)
يهتزّ فوقهمُ ـ وقد طُرحوا ـ ثُغامٌ أو بَشامُ (٧)

---

(١) رضوى وشمام : جبال .
(٢) الشوى : الأطراف كالأرجل والأيدى .
(٣) ينطف : يقطر ، والنجيع : الدم .
(٤) القتام : غبار الحرب .
(٥) الإهاب : الجلد .
(٦) القرا : الظهر ، وفى الأصل « العرا » مصحفة .
(٧) الثغام والبشام : نباتان .

لهمُ بطونُ الطّير أجـ ـداثٌ وأكفانٌ رَغامُ[1]
لاموكَ فى حسـدٍ وكمْ من لائمٍ فيـه الملامُ
ورأوا قعودَكَ فى أمو رٍ والصّوابُ بهـا القيامُ
وتوهّموا جهلاً بأنّـ ـكَ مغمداً سيفٌ كَهامُ[2]
حتّى رأوكَ وقد نَهضْ تَ بعِبْئِها وهمُ رغامُ[3]
وركبتهـا متوقّراً خرقاءَ ليس لها زِمامْ
وملكت منهـا ما وهبْ تَ وفى يديكَ لها انتقامُ
لكَ من إلٰهِكَ والملو كِ بجحفلٍ جيشٌ لُهامُ[4]
والنّصرُ منـه وحده إنْ خانَ نُصّارٌ وخاموا[5]
كم أخرجَتْكَ عن المضا ئقِ منـه أفعالٌ كرامُ
كم ذا أجارَ ولا مُجيـرٌ أو أذمّ ولا ذِمامُ
كم أوقدوا ناراً لهـا فى كلّ ناحيةٍ ضَرامُ
فنجوتَ منهـا وهى بَرْ دٌ لا يَضيركَ أو سلامُ
إنّى أودّكَ والمودّةُ خيرُ ما حُبِيَ الأنامُ
وولايتى لكَ عروةٌ وُثقى فليس لها انفصامُ
وإذا ذكرتُكَ عرّجتْ عن ساحتى الخططُ العظامُ
وقصائدٌ لِى فى أبيـ ـكَ وفيكَ زِينَ بها الكلامُ
راقتْ فجُنَّ بها رُوا ةُ الشّعرِ أوْ غنّى الحمامُ

---

(١) الأجداث : القبور مفردها الجدث (بالتحريك) ، والرغام : التراب .
(٢) الكهام : غير الماضى .
(٣) العبء : الثقل ، والرغام : الأذلاء المرغمون .
(٤) اللهام (بالضم) : الجيش العظيم .
(٥) خاموا : نكصوا وجبنوا .

فكأنما هي روضةٌ   بالحَزْنِ جاد بها غَمامُ(١)
أو دِيمةٌ وطْفاءُ ضا   حكها نسيمٌ مُستهامُ(٢)
ولها بكلِّ مفازةٍ   رَتَكٌ كما رَتَكَ النعامُ(٣)
وصحائحٌ وَلَرُبَّ شيءٍ   لايفارقه السَّقامُ
فأفطِرْ فقد أثنى بما   أوْلَيْتَه ذاك الصِّيامُ
شهرٌ يمرّ وليس فيـ   ـه نزاهةٌ فعلٌ حرامُ
وصحائفٌ يرفعنها الـ   أملاك ليس بها أثامُ
وكأنّما أرَجُ الجميـ   ـلِ بها عَبيرٌ أو مُدامُ(٤)
فدُمِ الدّهورَ فبعض ما   ذخر الإلهُ لك الدّوامُ
وبناؤك المرفوع في الـ   عَيّوق ليس له انهدامُ(٥)
وعليك تجتاز الشُّئو   نُ مُخلّداً عامٌ فعامُ
وإذا ألمّ ردًى فليـ   ـس له بداركمُ لِمامُ
وكفى به الله الكفا   يةَ كلّما فغرَ الحِمامُ

***

وقال في النسيب :

قل لقومٍ لا أبالي   فيهمُ مَن ذا ألومُ
رحلوا نجداً وقلبي   في ثرى نجدٍ مقيمُ

---

(١) الحزن : ماغلظ من الأرض .
(٢) الديمة : السحابة ، والوطفاء : المتدلية لكثرة مائها .
(٣) الرتك : العدو في مقاربة خطو .
(٤) الأرج . توهج ريح الطيب ، والعبير : الأطياب المزعفرة ، والمدام : الخمر
(٥) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة .

أنا وحدى دائمٌ وَجْداً بمن ليس يدومُ
إنّ من يسلف فى الحبّ ولا يقضى كريمُ
قل لمن يعذل دعْ عَذْ لِىَ فالخطبُ جسيمُ
ما استوى منك ومن قلْبى صحيحٌ وسليمُ

* * *

وقال فى الشيب :

لا تسلنى عن المشيبِ فمذ جَلَّلَ رأسى كرهاً جفانى الغرامُ
ليس للهو والصّبابة واللّذّاتِ فى أربُعِ المشيب مُقامُ
ما جنى الشيبَ فى المفارق إلّا عَنَتُ الغانياتِ والأيّامُ (١)
هو نقصٌ عند الحسان كما أنّ شباباً مكانَ شيبٍ تَمامُ
وسقامٌ وما استوتْ لك فى نيل أمانيك صحّةٌ وسقامُ
ومتى رمتُ عَرجةً عنه قالتْ لِىَ التّجاريبُ رُمتَ مالا يُرامُ (٢)

* * *

وقال يجيب أخاه الرضىّ عن قصيدة مدحه بها :

طريقُ المعالى عامرٌ لِىَ قيّمُ وقلبى بكشفِ المعضلاتِ مُتيّمُ
ولى همّةٌ لا تحمل الضّيمَ مرّةً عزائمها فى الخطب جيشٌ عَرَمْرَمُ
أُريدُ من العلياء ما لا تنالُهُ السّيوفُ المواضى والوشيجُ المقوّمُ (٣)

---

(١) العنت : العناد والشدة .
(٢) العرجة : الميلة والانعطاف .
(٣) الوشيج : الرمح .

وأُوردُ نفسي ما يُهابُ ورودُهُ … ونارُ الوغى بالدّارعين تضرّمُ

ألا ربَّ مرهوبٍ جلوتُ ظلامَه … ووجهِيَ من ماءِ النُّحورِ ملثّمُ

وعُدتُ وقد أبليتُ ما جلَّ قدرُه … ورأسي بتاج النّصرِ فيه معمّمُ

بطيب بنِيَّ الموتُ ما شجر القنا … وكلُّ فمٍ فيه من الموتِ علقمُ

وقد عجمَتْ منّي الليالي أبنَ همّةٍ … يهون عليه ما يجلّ ويعظمُ

صليبٌ على الأيّامِ لا يستفزّه … وعيدٌ ولا يجري عليه تحكّمُ

نظرتُ إلى هذا الزّمان بعينِه … فثغرِيَ في أحداثِهِ مُتبسّمُ

إذا المالُ ذلّتْ دونه عنقُ كادحٍ … تطاول منّي ما جناه المُذمّمُ

سقى الله أيّاماً نعمنا بظلّها … وكلٌّ إلى كلٍّ حبيبٌ مكرّمُ

وكم ليلةٍ بتنا برغم رقيبنا … علينا من التقوى رداءٌ مسهّمُ (١)

أضمُّ حشًى قد أنهش السيرُ بُرْدَها … إلى مَنْ حشاه مطمئنٌّ منعّمُ

وأدنى بناناً دأبُها سلُّ قائمٍ … إلى مَن له كفٌّ رطيبٌ ومِعصَمُ

فإنْ أبلَتِ الأيّامُ ناظرَ بهجتي … فلم تُبلِ منّي ما به أتقدّمُ

فغرّتُهُ من أبيضِ النّصرِ نورها … وصهوتُه إلى المآثرِ سُلّمُ (٢)

أبا حسنٍ لا غاض ما فاض بيننا … من الصّفوِ ما تصبو إلى الماءِ حُوّمُ

تضاءل ما نسمو به من ولادةٍ … بمحضِ ودادٍ لم يَشُبْهُ تجرّمُ

أطال لساني في ثنائك أنّه … ثناءٌ عليَّ ما حَييتُ ينظّمُ

وقدّمتُ قولاً من مديحي مصدّقاً … طرازُ افتخاري منه بالحسنِ يُعلَمُ

وهذا جوابٌ عنه لمّا استطعته … فبحرِيَ منه الآنَ ملآنُ مفعمُ

* * *

(١) المسهم: المخطط.

(٢) الصهوة: مقعد الفارس من الفرس.

وقال يمدح الملك جلال الدولة :

قَبابٌ لها أعلى الرُّبى وخيامُ ... تُرامُ وهل في الباخلين مَرامُ ؟ (١)
وقفنا فجَفنٌ ماؤه متحدِّرٌ ... وجَفنٌ جفاه الماء فهوَ جَهامُ (٢)
وأعجلنا حادى المطايا فمالنا ... عليهنّ إلاّ أنّةٌ وسلامُ
وما الدّار من بعد الذين تحمّلوا ... عن الدّار إلاّ يَرْمَعٌ وسِلامُ (٣)
فمالكِ بالمَيْاء في جانب النّوى ... تُطيعينَها فينا وأنتِ غَرامُ (٤)
وهجرُكِ صِرْفٌ لا لقاءَ يشوبُهُ ... فإنْ عَنَّ يوماً فاللّقاء لِمامُ (٥)
تصدّين عنّا ساهراتٍ عيونُنا ... وما زرتنا إلاّ ونحن نيامُ
لقاء بجُنحِ اللّيلِ طَلْقٌ محلّهُ ... وفي الصُّبحِ محظورٌ علىَّ حَرامُ
فخيرٌ من اليقظان مَن بات نائماً ... وخيرٌ من الصّبحِ المنيرِ ظَلامُ
ألا قلْ لمن ملَّ الطّريق إلى العِدا ... وقد ملّ من مسَّ الرِّحال سَنامُ
وللعيس من طولِ الوجيفِ مع الوَجَى ... على كلّ ملحوبِ السَّراةِ بُغامُ (٦)
لهنّ وأيديهنّ تستلب المدا ... طُلًى مائلاتٌ بينهنّ وهامُ (٧)
أنيخوا بركن الدِّين شُعْثَ مَطيّكمْ ... وحُلّوا فما بعد الهُمامِ هُمامُ
وقولوا لسُوّاقِ المطايا تنازحوا ... بعيداً فهذا منزلٌ ومُقامُ (٩)

---

(١) القباء (بالفتح) : الثوب الطويل .
(٢) الجهام : الذى لا ماء فيه .
(٣) اليرمع : حصى بيض رخو ، والسلام (بالكسر) : حجر .
(٤) الميّاء : الجارية تعلو شفتها سمرة مليحة . والغرام : اللازم من العذاب ومنه سمى الحب الشديد غراماً لما فيه من العذاب .
(٥) عن : عرض ، واللمام : الوقت القصير ، وما يزورنا إلا لماماً أى فترة قصيرة بين حين وحين
(٦) العيس : الإبل البيضاء ، مفردها الذكر أعيس والأنثى عيساء ، والوجيف : ضرب من السير ، والوجى : الحفا ، والملحوب : الذى ذهب لحمه ، والسراة : الظهر ، والبغام : الصوت .
(٧) الطلى : الرقاب ، والهام : الرءوس .
(٩) تنازحوا : ابتعدوا .

أقيموا على مَنْ وجهُهُ الشمسُ بهجةً وكفّاه من فيض النوالِ غمامُ
فللجود إلاّ في نواحيه كُلْفَةٌ وللمال إلاّ في يديه زمامُ
فتًى يهب الأموال طَلْقًا وإنما تجود سماءُ القطر حين تُغامُ
ولا ضيمَ للجار المقيم ببابه وإنْ كانتِ الأموالُ فيه تُضامُ
وكم موقفٍ صعب الوقوف شهدتَه وللشمس من نسج الكُماةِ لِثامُ
وللأرض رَيٌّ من سيول نجيعِهِ وللطّير من لحم الجسومِ طعامُ
ومالبث الأعداء حتّى نثرتَهمْ كما انحلّ من عقد الفتاةِ نظامُ
كأنّهمُ صَرْعَى بمدرجةِ الصَّبا إكامٌ بِقاعٍ ليس فيه إكامُ (١)
وظنّوا وكم ذا للرّجال طماعةٌ نجاحًا فخابوا يوم ذاك وخاموا (٢)
وكم حاملٍ يومَ الكريهة قاطعًا وساعدُه عند الضّرابِ كَهامُ (٣)
وحولك ولاّجون كلَّ مضيقةٍ نحافٌ ولكنَّ النفوسَ ضِخامُ (٤)
وما بذلوا الأرواح إلاّ لأنّهمْ كرامٌ وما كلُّ الرّجالِ كرام
وقد علموا لمّا عرا الملك ما عَرا ولجّ به داءٌ وطال سَقامُ
بأنّك أصبحتَ الدّواء لدائه ومالك في شيء صنعت مَلامُ
وأصلحتها ماهُزَّ رمحٌ لطعنةٍ ولا سُلَّ فيها للقِراعِ حسامُ
ولُذْتَ بحلمٍ عنهمُ يوم طيشهمْ ينافس فيه يَذْبُلٌ وشمامُ (٥)
ولولا اعتبارُ النَّصْف عندك لم تكنْ تُسام خلاف النَّصْف حين تُسامُ (٦)

---

(١) المدرجة : الطريق ، والصبا (بالفتح) : الريح ضد الدبور ، والإكام : الروابى المرتفعة مفردها الأكمة .
(٢) خاموا : نكصوا وجبنوا .
(٣) الكهام من السيوف : غير الماضى .
(٤) ولاجون : دخالون .
(٥) يذبل وشمام : جبلان .
(٦) النصف (بالفتح) : العدل .

أعذِنيَ من قول الوشاة ومعشرٍ ... لهمْ كلماتٌ حشوهنَّ كِلامُ (١)
فلو شئتَ لم يخدُشْنَ جلدى وطالما ... وَقَيتَ فلم تخلُصْ إلىَّ سهامُ (٢)
فشبهُ سقيمٍ من حديثٍ مُصحَّحٌ ... وصدقٌ وكذبٌ فى المقال كَلامُ
فما أنَا ممّنْ يركب الأمرَ يُجتَوى ... عليه ويُلحَى عنده ويُلامُ (٣)
ومالِيَ تعريجٌ بدارِ خيانةٍ ... ولا لِى على غير الوفاء مقامُ
نفذتَ بذَرٍّ من هوائك أعظُمِى ... فليس لها عمرَ الزّمانِ فِطامُ (٤)
فما لِيَ إلاّ من هواك علاقةٌ ... ولا لِيَ إلاّ فى يديك زِمامُ
وما كنتُ لولا أنّك اليومَ مالِكِى ... أرامُ ونجمُ الأُفقِ ليس يُرامُ
وكم لِى بمدحى فى علاك قصائدٌ ... لهنَّ بأفواهِ الرُّواةِ زِحامُ
مُرقَّصَةٌ للسّامعين نشيدُها ... كما رقصتْ بالشّار بين مُدامُ
هَدَجْنَ على القيعان شرقًا ومغربًا ... كما هيج فى دوّ الفلاةِ نَعامُ (٥)
فلا تخش من جحدٍ لنُعماك فى الورٰى ... فنُعماك أطواقٌ ونحن حَمامُ
ولا تُدنِ إلّا مَنْ خبرتَ مغيبَه ... ففى النّاس نبعٌ منجبٌ وثُمامُ (٦)
فلا عبثتْ منك اللّيالِى بفُرصةٍ ... ولا عاث فى رَبْعٍ حللتَ حِمامُ
ولا خصمتْ أيّامنا لك دولة ... فلم يك فى حقّ أبَنْتَ خصامُ
وهُنِّئْتَ بالعيد الجديد ولم تزلْ ... بعودك فِطرٌ بعده وصيامُ
فما كُتبتْ فيه عليك خطيئةٌ ... ولا شان من برّ أتيتَ أثامُ

---

(١) الكِلام (بالكسر) : الجروح .
(٢) خلص إليه : وصل .
(٣) يجتوى (على المجهول) : يكره .
(٤) الذر (بالفتح) : اللبن ، وهوائك : يعنى « هواك » والهمزة زائدة لضرورة الشعر .
(٥) هدجن : مشين مشية الشيخ بارتعاش :
(٦) الثمام : نبت ضعيف .

وأعطاكَ يومُ المِهْرَجانِ مسرّةً   لها يوم نقصان العطاء تمامُ
وطالتْ لنا أيامُكَ الغرُّ سَرْمداً   ودام لها بعد الدّوام دوامُ
ولا زال فينا نورُ وجهك ساطعاً   فإنّك شمسٌ والأنامُ قَتامُ (١)

* * *

وقال فى الشيب :

نضوتُ ثيابَ اللهو عنّى فقلّصَتْ   وشيّبنى قبل المشيب هومُ (٢)
وقد كنتُ فى ظلّ الشّباب بنعمةٍ   وأىُّ نعيمٍ للرّجال يدومُ ؟
وقد علم الأقوام إنْ لم يغالطوا   بأنّ صحيحاً بالمشيب سقيمُ
و إنّ غنيًّا فى الهوى ونزيلُهُ الـ   ـمشيبُ فقيدُ الرّاحتين عديمُ

---

(١) القتام : الغبار .
(٢) نضى الثوب عنه : نزعه .

باب الميم المفتوحة

وقال وقد سئل إجازة قول أبي دهبل الجمحي [1]، والذي التمس ذلك الوزير الحسن بن محمد (أدام الله تأييده)

« وأبرزها » من بطنِ مكّةَ بعد ما ... أصات المنادي بالصّلاة وأعتما [2]

وأن يجمل الوصف الذي قصد به أبو دهبل إلى ناقة مصروفاً إلى امرأة مرتجلا في الحال

فطيّب ريّاها المقامُ وضوّأتْ ... بإشراقها بين الحطيم وزمزما

فياربَّ إنْ لقّيتَ وجهاً تحيّةً ... فحيِّ وجوهاً بالمدينةِ سُهَّما [3]

تجافين عن مسِّ الدّهان وطالما ... عصمن عن الحِنّاء كفّاً ومِعْصما

وكم من جليدٍ لا يُخامره الهوى ... شَنَنَّ عليه الوَجْدَ حتّى تتيّما

أهانَ لهنّ النّفسَ وهى كريمةٌ ... وألقى عليهنّ الحديثَ المُكتّما

---

(١) أبو دهبل : هو وهب بن ربيعة ، كان شاعراً محسنا. قيل إن أكثر أشعاره في عبدالله بن عبد الرحمن بن الأزرق والى اليمن على ما ذكره ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » .

(٢) في الأمالي للمرتضى (ج ١ ص ٧٨ و ٧٩) . والشعر والشعراء « خرجت بها » بدل « وأبرزها » وهو الأقرب للأصل لأن أبا دهبل يقول الأبيات في ناقته . وبعد هذا البيت :

فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ ... من الناس حتى جاوزت بي يلملما

ومادرَّ قرنُ الشّمسِ حتى تبيّنتْ ... بعُلّيبَ نجلاً قائماً ومجثّما

(٣) السهم : جمع الساهم ، وهو المتغير .

تسفهْتَ لمّا أنْ « مررتَ » بدارها وعوجلتَ دون الحِلْمِ أنْ تتحلّما (١)
فمُجْتَ تقرّى دارساً مُتنكِّراً وتسأل مصروفاً عن النُّطقِ أعجما (٢)
ويوم وقفنا للوداع وكلُّنا يَعُدّ مُطيعَ الشّوقِ مَن كان أحزما
نُصِرتُ بقلبٍ لا يُعَنَّفُ فى الهوى وعينٍ متى أستمطِرُها «مَطَرتْ» دما (٣)

✿✿✿

وقال (أدام الله تأييده) يرثى عميد الجيوش أبا على أستاذ هرمز
ـ رحمه الله ـ وكانت وفاته فى جمادى الأولى
سنة إحدى وأربعمائة :

من ذا يؤمّلُ بعدك الأيّاما ويروم فى الدّنيا الغداة مراما
« خلطتْ » مصيبتك الولاةَ ونظّرتْ بين الرّجال وسوّت الأقداما (٤)
فاليومَ لا حرمٌ يُصان ولا شبًا يُخشى ولا عِزٌّ عليه يُحامى (٥)
« الملكُ » زالَ دعامُهُ وقد التوى والجيشُ ضلّ دليلُهُ فأقاما (٦)
والرّأى مشتَرَكٌ بأيدى معشرٍ لا يحسنون النّقضَ والإبراما
كانت حياتُك الزّمان حياتَه وغدا زمانُك الزّمان حِماما

---

(١) فى الأمالى « وقفت » بدل « مررت » .
(٢) تقرّى : سار وتتبع .
(٣) فى الأمالى « قطرت » بدل « مطرت » .
(٤) فى س « خامت » بدل « خلطت » ، ونظرت : ساوت وجعلت الشىء نظيرا لغيره ، وفى (س) « نفرت » .
(٥) الشبا : الحد .
(٦) فى (ه) « الأمر » بدل « الملك » وفى (س) « زل » بدل « زال » .

فبكاؤنا حِلٌّ عليك وطالمـــــا ... كان البكاء على سواك حراما

ماذا الذى صنع الحِمام فإنه ... ماجَبَّ إلّا ذِرْوَةً وسناما (١)

« وهوى إلى مَطْوى » الشّجاعِ لحازه ... واُستلّ من أخياسه الضّرغاما (٢)

ما ضرّه لو كان قدّم غيره ... لـكنّـــه يتخيّر الأقواما

ومعوَّدٍ جَذْبَ الأزمّةِ فى الورَى ... جذَب الرّدى منه إليه زماما

بلغ المُنَى ويزلّ مَن بلغ المُنَى ... وكما اعتبرتَ النّقصَ كان تماما

يجنى الحِمامُ ونحن نُلحِى غيره ... « فاذهبْ » حِمامُ فقد كُفيتَ ملاما (٣)

تعدو على مَن شئتَ غيرَ « مدافَعٍ » ... تَلِجُ البيوت وتدخل « الآطاما » (٤)

قل للذين بنَوْا عليـه ضريحَه ... وطَوَوْا عليه صفائحًا وسِلاما (٥)

لم تدفنوه وإنّمـــا واريتُمُ ... فى التّربِ منـه يَذْبُلًا وشَماما (٦)

وكأنّمـــا الجدَثُ الذى وُسّدْتَه ... جَفْنٌ تناول من يدىٌّ حساما (٧)

أرِجُ الجوانبِ لم أُصِبْـهُ بمَنْدَلٍ ... لَدِنٍ ولم أشْنُنْ عليه مُداما (٨)

مازال والأوتارُ تحقر غيظَه ... يُضوِى الحقودَ ويُسمِنُ الأحلاما (٩)

---

(١) جب : قطع .

(٢) فى (س) « أثوى إلى مثوى » بدل « وهوى إلى مطوى » . والأخياس : جمع الخيس (بكسر الخاء) وهو مكمن الأسد .

(٣) فى (هـ) « فأخر » بدل « فاذهب » .

(٤) فى (هـ) « ملاوح » بدل « مدافع » تحريف ، وتلج : تدخل ، والآطام : الحصون مفردها الأطمة كالأكمة .

(٥) السلام (بالكسر) : الحجارة .

(٦) يذبل وشمام : جبلان .

(٧) الجدث : بالتحريك : القبر .

(٨) الأرج : العطر ، والمندل : عود البخور ، واللدن : الطرى ، والمدام: الخمر .

(٩) الأوتار : جمع الوتر (بالكسر) وهو الثأر ، ويضوى : يهزل .

وتراه يدّخر المكارمَ والعُلا ... وسواد يذخر عسجداً أوْساما (١)

إنّ الجيوش بلا عميدٍ بعده ... فَوْضى كسِيد الدَّوِّ راع سَواما (٢)

يُغضون من غير العَوارِ عيونَهم ... جزعاً له ويطأطئون الهاما (٣)

فضعوا السّيوفَ عن الكواهل خُشَّعاً ... لحسامكمْ قد شامه مَن شاما (٤)

وإذا أرادكمُ العدوّ فأحجِموا ... ذهب الذى يعطيكمُ الإقداما

وإذا عقرتمْ فالجيادُ فلا فتًى ... يبغيكمُ الإسراجَ والإلجاما

كُبّوا الجفانَ فليسَ تُملأُ بعده ... للنّازلين من الضّيوفِ طعاما

«وتعوّضوا» عنه «القُطوبَ» فلن تَرَوْا ... من بعده متبلِّجاً بسّاما (٥)

والثّغرَ خافوه فقد أخذ الرّدى ... مَن كان للثّغرِ المخوفِ كِماما (٦)

وأنسوا نظامَ الأمر بعد وفاته ... بَطَلَ النّظامُ فما نحسّ نظاما

قد بصّرتنا الحادثاتُ وأيقظتْ ... منّا العقولَ وإنّما نتعامى

وأرَتْ مصارعَنا مصارعُ غيرنا ... لكننّا نتقوّتُ الأوهاما

يُفني البنينَ اليومَ مَن أفنى لهمْ ... من قبله الآباءَ والأعماما

أين الّذين على التّلاعِ قصورُهمْ ... قطعوا السّنينَ وصرّموا الأعواما؟ (٧)

من كلّ معتصبِ المفارقِ لم يزلْ ... تعنو له قِمَمُ الرّجالِ غلاما

ومحكّمين على النّفوسِ كرامةً ... حَكَم الزّمانُ عليهمُ فألاما (٨)

---

(١) العسجد : الذهب .

(٢) السيد (بالكسر) : الذئب ، والدو : المفازة ، وراع : أفزع ، والسوام : الإبل السائمة .

(٣) العوار : بالفتح العيب وبضم العين مع تشديد الواو : الرمص والرمد يصيب العين .

(٤) الكواهل : جمع الكاهل وهو أعلى الكتف ، وشام : نظر .

(٥) فى (س) « وتمرضوا » تصحيف « وتعوضوا » ، « والمطلوب » تحريف « القطوب » ، والمتبلج : الوضاء .

(٦) الكمام (بالكسر) : ما يشد به فم البعير وغيره .

(٧) التلاع : المرتفعات ، مفردها التلعة ، وصرموا : قطعوا .

(٨) ألام . أتى ما يلام عليه .

لمّا بنَوْا خُططَ العَلاء وشيّدوا ... قعد الرّدى فيما أبتَنَوْهُ وقاما

سكنوا الوِهادَ من القبور كأنّهمْ ... لم يسكنوا الأطوادَ والأعلاما (١)

أأبا عليٍّ دعوةً مردودةً ... هيهات يُسمعك الأنيس كلاما

مالى أراكَ حللتَ دارَ إقامةٍ ... من حيث لاتهوَى الرّجالُ مقاما ؟

هبّ النّيامُ وفارقوا سِنَةَ الكَرى ... وأراكَ مُلقًى لاتهبّ مَناما (٢)

شِبهَ السّقيمِ وايت ما بك من ردًى ... نزلتْ به الأقدارُ كان سقاما

جادتْك كلُّ سحابةٍ هطّالةٍ ... وحدا الغمامُ إلى ثراكَ غماما

وعداكَ ما كان الجهامُ فلم تكنْ ... «المُريغ» ماتحوى يداكَ جَهاما (٣)

وعليك من ماضٍ سلامُ مودّعٍ ... ويقلّ إهدائى إليك سلاما

* * *

وقال يرثى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى وقد توفى فى رمضان «سنة ٤١٣» (٤):

مَنْ على هذه الدّيار أقاما ... أو ضفا ملبسٌ عليه وداما ؟

عُجْ بنا نندبُ الذين تولّوْا ... بأقتيادِ المنونِ عاماً فعاما

فارقونا كهلًا وشيخاً وهِمًّا ... ووليداً ويافعاً وغلاما (٥)

وشحيحاً جعْدَ اليدين بخيلاً ... وجواداً مخوَّلًا مِطعاما

سكنوا كلَّ ذُرْوَةٍ من أشَمٍّ ... يَحسِرُ الطّرْفَ ثمّ حلّوا الرَّغاما (٦)

---

(١) الأطواد والأعلام : الجبال ، مفردها : الطود والعلم .

(٢) السنة : أول النوم والخفيف منه .

(٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه ، والمريغ : الطالب ، وفى (ش) « المريع » بالعين تصحيف .

(٤) أورد ابن الجوزى فى المنتظم (ج ٨ ص ١٢) ثلاثة أبيات من هذه القصيدة عند تعرضه لوفاة الشيخ المفيد فلتراجع .

(٥) الهم (بالكسر) : الشيخ الفانى .

(٦) الرغام (بالفتح) : التراب .

يا أخا الله مُهْمِلاً حسبَ الدّهــــرَ نَوُّومَ الجفونِ عنــه فنـــاما
وكأنّى لمّا رأيتُ بنى الدّهــــرِ غُفولًا رأيتُ منهمْ نيــاما
أيّهـــا الموتُ كم حَطَطْتَ عليًّا سامىَ الطّرْفِ أوْ جَبَبْتَ سَناما؟[1]
وإذا ما حـــدرتَ خلفاً وظنّوا نَجْوةً من يديك كنت أماما
أنتَ ألحقتَ بالذكىّ غبيًّا فى اصطلامٍ وبالدّنىّ هُماما[2]
ولقـــد زارنى فأرّق عينى حادثٌ أقعــد الحِجى وأقاما[3]
حِدتُ عنــه فزادنى حَيَدى عنــه لصوقاً بدائه والتزاما
وكأنّى لمّا حملتُ به الثّقــلَ تحمّلتُ يَذْبُلاً وشَماما[4]
فخذ اليومَ من دموعى وقد كنّ جموداً على المصـــابِ سجاما
إنّ شيخَ الإسلامِ والدّين والعلـم تولّى فأزعج الإســلاما
والّذى كان غُرّةً فى دُجى الأيّـــام أودى فأوحش الأيّاما
كم جَلَوْتَ الشّكوكَ تعرض فى نصٍّ وصىٍّ وكم نصرتَ إماما
وخصومٍ لُدٍّ ملأتَهمُ بالحـــقّ فى حومة الخصـــامِ خصاما
عاينوا منك مُصْمِياً ثُغرةَ النّحْـــرِ وما أرسلتْ يداك سهاما[5]
وشجاعاً يَفرى المرائر ما كلّ شُجاعٍ يفرى الطُّلى والهَاما[6]
من إذا مال جانبٌ من بنـــاءِ الدّين كانتْ له يداه دِعاما ؟
وإذا ازورّ جائرٌ عن هـــداه قاده نحوه فكـان زماما

(١) جببت : قطعت .
(٢) الاصطلام : الاستئصال .
(٣) الحجى : العقل .
(٤) يذبل وشمام : جبال .
(٥) المصمى : الرامى .
(٦) يفرى : يشق ، والطلى : الرقاب، مفردها الطلية ، والهام : الرءوس .

من لفضلٍ أخرجتَ منــه خبيئاً ومعانٍ فضضتَ عنهــا ختاما ؟
من لسوء ميّزتَ عنــه جميلاً وحلالٍ خلّصتَ منـه حراما ؟
من يُنيرُ العقولَ من بعـــد ما كنّ هُموداً ويُنتجُ الأفهاما ؟
مَن يُعـير الصّديقَ رأياً إذا ما سلّه فى الخطوب كان حساما ؟
فامضِ صِفراً من العيوبِ فكم با ن رجالٌ أثرَوْا عيوباً وذاما [1]
إنّ جِلداً أوضحتَ عاد بهيماً وصباحاً أطلعتَ صار ظلاما [2]
وزُلالاً أوْرَدتَ حال أُجاجاً وشـــفاء أورثتَ آل سَقاما
لن ترانى وأنت من عدد الأمـ ـواتِ إلّا تجمُّلاً بسّاما
وإذا ما اختُرِمتَ منّى فما أرْ هب من سائر الأنام اخترِاما [3]
إنْ تكن مجرماً ؛ ولستَ فقد وا ليتَ قوماً تحمّلوا الأجراما
لَهُمُ فى المَعـــادِ جاهٌ إذا ما بسطوه كفَى وأغنى الأناما
لا تخفْ ساعة الجزاء وإنْ خا ف أُناسٌ فقــد أخذتَ ذِماما
أودع الله ما حللتَ من البيـ ـداء فيه الإنعـــامَ والإكراما
ولوى عنـــه كلّما عاقه التّرْ بُ ولا ذاق فى الزّمانِ أُواما [4]
وقضى أن يكون قبرك للرّحمــــةِ والأمن منزلاً ومقـــاما
وإذا ما سقى القبورَ فروّا ها رِهاماً سقاكَ منـــه سلاما [5]

* * *

(١) الصفر : الخالى ، والذام : الذم .
(٢) أوضحت : بيضت ، والبهيم : الأسود .
(٣) اخترمت : استؤصلت ، واخترمته المنية : أخذته .
(٤) الأوام : العطش الشديد .
(٥) الرهام : المطر اللين .

وقال فى الفخر :

خلّها إنّها تريد الغميما ... طالما أنجد الصّحيحُ سقيما (١)

ليس ترغى حتّى تقيمَ بوادِ الـ ... حبّ إلاّ وجيفَها والرَّسيما (٢)

ليس إلاّ « نجران » إنّا نرى منّا قلوباً بآلِ « نجرانَ » هِيما (٣)

جنّبوها التّعريسَ حتّى تروها ... نازلاتٍ « بحضرموتٍ » جُثوما (٤)

يادِيارَ الأحبابِ لاأبصرَتْكِ الـ ... عينُ من بعد أن حللت رسوما

إنّ عيشاً لنا خلسناه من أيْـ ... دِى الرّزايا لديك كان نعيما

أين ظبىٌ عهدتُه فى نواحيـ ... كِ دَخولاً حَبّ القلوبِ هَجوما؟

أقصدتنى عيناه يوم تلاقيـ ... ـنا بفسحِ الحِمى وراح سليما (٥)

والتقطنا من لفظه الدُّرَّ نثراً ... ورأيناه بابتسام نظيما

واعتنقنا فكنتُ سقماً هضيماً ... ذا نحولٍ وكان حُسناً هضيما (٦)

كيف أبغى نَصْفاً وقلبىَ ولّىْ ... طائعاً للهوى علىَّ غَشوما (٧)

وإذا قلتُ قد سلوتُ وخلّى الـ ... حبُّ عنّى لقيتُ منه عظيما

وشكوتُ الهوى وما صنع الحبُّ بقلبى ... فما وجدتُ رحيما

ليس يجدى ودمعُ عينى نَمومٌ ... بالهوى أنْ ترى اللّسانَ كَتوما

ولقد قلتُ والجوى يخرس النُّطْـ ... ـقَ ذُهولاً وحَيْرَةً ووُجوما :

---

(١) الغميم : اسم واد .

(٢) الوجيف والرسيم : ضربان من السير .

(٣) الهيم : جمع الهائم وهو العاشق المغرم، كالهائمة أشد العطش.

(٤) التعريس : نزول المسافر للاستراحة ليلا .

(٥) أقصدتنى : طعنتنى فلم تخطىء .

(٦) الهضيم : الدقيق الخصر وهى صفة مستحسنة عند العرب .

(٧) النصف (بالفتح) : العدل والإنصاف ، والغشوم : الظالم .

كيف أمسيتَ راحلاً بفؤادى عن بلادى ولم أرِمْها مقيما [1]
لستَ ياأيها العَذولُ عن الحبِّ كَليماً منه وتَبَّ كليما [2]
لاتلمنى فكلُّ مَن حَمَلَ الأشْ جانَ يرضى بأن يكون مَلوما
أىُّ شىء منّى على راقدِ الطَّرْ فِ خَلِىٍّ إنْ بتُّ أرعى النُّجوما؟
وإذا كنتُ بالهوى ذا اعوجاجٍ فأهنَ دونى بأن تكون قويما
لا تزدنى بذا الزّمان اختباراً فلقد كنتُ بالزّمان عليما
أين أهلُ الصّفاء كنّا جميعاً ثمّ ولَّوْا إلفَ الرّياح هشيما [3]
رُمتُهمْ بعد أن توفّاهُمُ المَوْ تُ فما أن أصبتُ إلاّ رميما
مَن عذيرى من الزّمان أخى عَوْ جاءَ أعيا علىَّ أنْ يستقيما؟
ليس يُعطِى البقاء إلاّ لمن يسـ لُبُنَّهُ ذلك البقاء حميما
كم أرانى قصراً مشيداً فما ابتُّ حتّى رأيته مهدوما
وغنيًّا ما زال صَرْفُ اللّيالى يعتريه حتّى ثناه عديما
وسُعوداً جرتْ إلينا نحوساً وسروراً جنى علينا هموما
نحن قومٌ إذا دُعِى النّاس للفخ رِ إفالاً نُدعى إليه قُروما [4]
وإذا ماثَوَوْا لدى العزّ فى الأطْ رافِ كنّا عند الصّميم صميما
ومتى عدّدوا محلَّةَ فخرٍ لم تكنْ تلك زَمْزَماً وحطيما

(١) لم أرمها : لم افارقها .
(٢) الكليم : المجروح ، وتب : هلك وخسر . ومنه قوله تعالى « تبت يدا أبى لهب » .
(٣) الهشيم : النبات اليابس المتكسر .
(٤) الإفال : جمع الأفيل وهو فصيل الناقة وما فوقه ، والقروم : جمع القرم وهو البعير الفحل الذى لايحمل عليه ولا يذلل ولكن للفحلة والضراب .

من أناسٍ كانوا كما اقترح الجِـ ـدُ جُنوحاً عندا لحِفاظِ لزوما[1]
لم يحلّوا دارَ الهَوانِ وكانوا في المعالي فوق النّجوم نجوما
فهُمُ للزّمانِ أوضاحُهُ الغُـ ـرُّ ولولاهُمُ لـكان بَهيما
وإذا استُلّتِ الجيادُ وأبْـكَيْـ ـن جلوداً أو اعتصرن حميما[2]
ورأيتَ الرّماحَ يجمان يوم الـ ـقُرِّ بالطّعنِ في النّحورِ جحيما[3]
لبسوا البيض والرّماحَ دروعاً لم يصونوا إلاّ بهنّ الجسوما
كلّ مُستبسلٍ تراه لدى الحر ب سفيهاً وفي النّديّ حليما
لا يحبّ الحياةَ إلاّ لأنْ يُغْـ ـنِي فقيراً أو أنْ يصون حريما
وتراه مكلَّماً وصفيحُ الـ ـهند يزداد بالضِّراب ثُلوما[4]
قد حفظنا ما كان جِدَّ مضاعٍ ودعمنا مالم يكنْ مدعوما
وبنا استنتج الرّجاءُ وقد كا ن رجاءُ الرّجال قبلُ عقيما
وإذا هبّت الخطوبُ ولم تكـ ـفِ كَفَيْنا العظيم ثمّ العظيما
سلْ بنا أيُنا وقد وُزِنَ الأمْـ ـجادُ أسنى مجداً وأكرم ُخِيما؟[5]
وإذا شانتِ القروفُ أديماً من أناسٍ من ذا أصحُّ أديما؟[6]
ولنا عزمةٌ بها نمطر المظـ ـلومَ عدلاً ونرزق المحروما
والفتى من إذا يهبّ على العا في سَموماً قومٌ يهبّ نسيما[7]

---

(١) جنوحاً : أي مائلين ثابتين ، ومنه قوله تعالى « وإنْ جَنَحوا للسّلْمِ فاجْنَحْ لها » . أي إن مالوا وركنوا ؛ فمل واركن ، والحفاظ : العهد والذمام

(٢) الحميم : العرق .

(٣) القر : برد الشتاء .

(٤) الكلم : الجرح .

(٥) الخيم (بالكسر) : السجية .

(٦) القروف : جمع القرف (بالكسر) والقرفة وهي القشرة تعلو الجراح عند البرء ويراد بها هنا العيب ، والأديم : الجلد .

(٧) العافي : طالب المعروف ، والسموم (بالفتح) : الرياح الحارة .

كم أداري وقلمـا نفـع التّـ ـعليلُ همًّا لا يبرح الحيْزوما[1]
لم أجدْ مسعـداً عليـه ومن ذا مسعدٌ في الورى الحُسامَ الحذوما؟[2]
وإذا مادعوتُ قوماً إلى الهبّـةِ فيـه لم أدعُ إلّا نَؤوما
ولخيرٌ من أنْ تعيش غبيًّا باخسَ الحظِّ أن تموت كريما

* * *

وقال في معنى القصيدة الرائية التي تقدمت
في الجزء الأول والتي أولها :

ألا هَلْ أتاها كيف حُزْنِيَ بعدها . . .

إذا شئتما أنْ تبكيانى صبـابةً فكرّا على قلبي حديثاً تقدّما
تصرّم عنّي رغم أنفِي وذكرُهُ على القلب منّي جاثمٌ ما تصرّما[3]
ترثّ الليالى كلَّ شيء وإنّما يزيد عليهـا جِـدّةً وتصرّما
ولا تعـ[ـجبا] من دمعتى وتعجّبـا لعينيَ إنْ لم تجرِ من «بعدها» دما[4]

* * *

وقال مفتخراً ومعرضاً بأعدائه وذاكراً غرضاً له[5] :

إنّ على رَمْلِ العقيق خِيماً زوّدني مَنْ حلّهنّ السَّقما

---

(١) الحيزوم : أعلى الصدر .
(٢) الحذوم : القاطع .
(٣) تصرم : انقطع وذهب .
(٤) فى (ش و هـ) « بعدهم » بدل من « بعدها » والصحيح ما أثبتناه ، لأن المرثى امرأة والقصيدة الدالية المشار إليها وردت فى القسم الأول من هذا الديوان (ص ٢٤٨ وما بعدها) .
(٥) وردت فى طيف الخيال (ص ٩٨) بضعة أبيات من هذه القصيدة شرح الناظم قسما منها .

« بِنَا » فما نأمل « من » لقائنا ذاتَ الثنايا الغرِّ إلّا الحُلُما (١)

أهوى وإن كان لنا تعلّةً طيفاً يوافى منكم مسلّما

يبذل لى من بعد أن ضَنَّ به «وشافعى النومُ العذارَ والفما» (٢)

وجاد «حِلًّا» والدُّجى شعارُنا بنائلٍ لو كان صبحاً حَرَما (٣)

حُبٌّ بها إلمامةٌ مأمونةٌ وزَوْرةٌ يُزيحُ فيها التُّهَما

وجدْتُ فيها كلّما أحببته لكنَّ وجداناً يضاهى العَدَما

ماعلمتْ نفسى بماذا حُيِّيَتْ ولا الذى جاد عليها عَلِما

عجبتِ ياظمياء من شيبٍ غدا منتشراً فى مَفْرِقى مبتسما ؟

لو كان لى حكمٌ يُطاعُ أمرُهُ حميتُ منه لِمَّتى واللِّمَما (٤)

تَهوَيْنَ عن بيضٍ برأسى سُودَه وعن صباحٍ فى العذارِ الظلما ؟

قَليتِ ظلماً كالثَّغامِ لونُهُ ولونُ ماتبغين يحكى الفحما (٥)

صِبغُ الدّجى أبعدُ عن فاحشةٍ ولم يزلْ صبغُ الدُّجى متّهما

مَنْ عاش لم تجنِ عليه نُوَبٌ شابتْ نواحى رأسه أم هرما (٦)

أما ترى صاحِ اليَماعَ بارقٍ طالعنى وميضُهُ من الحِمى ؟

مُعَصْفَرَ الأرفاغِ مَوْشِىَّ المَطا مضرَّجاً إمّا دماً أو عَنْدَما (٧)

---

(١) فى الطيف « نبا » بدل « بنا » أى افترقنا ، و« فى » بدل « من » .

(٢) فى الأصل « وشافعى العذار خداً وفا » وما أثبتناه ورد فى طيف الخيال وهو أنسب كما شرحه الناظم فيه أيضاً ، وضن : بخل .

(٣) فى الأصل « خل » بدل « حلا » تصحيف ، والشعار : الثوب الذى يلى البدن .

(٤) اللمة (بالكسر) : شعر الرأس .

(٥) قليت : أبغضت والقلى بالكسر: البغض ، والثغام : نبت أبيض يشبه به الشيب غالباً .

(٦) فى الأصل « نواصى » جمع ناصية وهى مقدم الرأس وفى الشهاب (ص ٥٣) « نواحى » وهو أنسب ، وفيه « أو » بدل « أم » .

(٧) المعصفر : المصبوغ بالعصفر بضم العين والفاء وهو نبات زهره أصفر يصبغ به ، والأرفاغ : بواطن الأفخاذ والآباط لا واحد لها ، والموشى : المنقوش ، والمطا : الظهر ، والعندم : ر اتينج نبات له صبغة حمراء كالدم ويسمى بلغة العطارين دم الأخوين وقيل هو البقم .

لولا اختلاسى فى الدّجى لومْضهِ ... رأيت منه فى صُحارٍ إضَما (١)

لم أدرِ ماجَدواهُ إلّا أنّه ... أذكرنى إلمامُهُ ذاتَ اللّمى (٢)

عجبتُ من سهمٍ له أقصَدَنى ... ولم يَسِلْ لى مقتلٌ منه دما (٣)

وعاج مَن أودى الهوى فؤادَه ... بحبّها يعجب ممّن سَلِما (٤)

قلْ لبنى الحارث خلّوا نَعَمى ... فلستمُ ممّنْ يَشُلّ النّعما (٥)

يشلّهـــا كلُّ غلامٍ مُنتمٍ ... يوم الوغى إلى القنا إن انتمى

تراه إنْ خِيف الرّدى ضلالةً ... صَبًّا بأسبابِ الرّدى متيّما

كتمتمُ البغضاءَ دهراً بيننا ... فالآن قد شاع الذى تكتّما

وخلتمونا شحمــةً منبوذةً ... يأخذها مَن شاءها ملتقما

لو كنتمُ باعدتمُ شِرارَكمْ ... عن يابسِ العَرْفَجِ ماتضرّما (٦)

وطالما كنّا ـ وأنتمْ نُكَّصٌ ـ ... نجبَهُ إمّا عاملاً أو لَهذَما (٧)

ضاغمتمونا جَهْلةً وإنّما ... ضاغمتمُ مَن كان منكمْ أضغما (٨)

وإنّما طلْتمْ بمـــا جُدْنا به ... ولم نَذَرْه عنـــدنا مخيّما

فمـــاد ماصُلْتمْ به وطُلْتمُ ... قد رَثَّ أو أخلقَ أو تهـدّما

فما الذى أطمعكمْ ولم تكنْ ... أهلاً لأطماعكمُ وما رَمَى

---

(١) صحار : قصبة عمان مما يلى الجبل ، وإضم (بالكسر) : جبل ، والوادى الذى فيه مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) الجدوى : العطاء ، واللمى (بالفتح) سمرة مستحسنة تعلو شفاه الفتاة .

(٣) أقصدنى : رمانى فأصابنى .

(٤) عاج : مال ، وأودى : أهلك .

(٥) يشل : يطرد ، والنعم (بالفتح) : البهائم .

(٦) العرفج : نبت دقيق واحدته عرفجة .

(٧) العامل : الرمح ، واللهذم : السيف القاطع :

(٨) ضغمه : عضه ، ومنه سمى الأسد ضيغما .

تركتم أعراضكم مبذولة وصنتم دينارَكم والدرهما
وقلتم إنّ النجارَ واحدٌ كم من أديمٍ فاق فضلاً أدما(١)
في كلِّ يوم لي منكم صاحبٌ أضاء في وداده وأظلما
أقسمَ أنْ يفضلني وطالما في مفخرٍ أحنثتُ منه قسما(٢)
وذو اعوجاجٍ كلما محّصني صادف منّي صاحباً مقوّما
فإنْ فخرتمْ بذوي تنعمٍ فقومُنا لم يعرفوا التنعّما
باتوا قياماً في الدجى وبتمُ من بعد سوْآتٍ مضين نوّما
ولم يكونوا في ضحًى وأنتمُ في كِظّةِ الإكثارِ إلّا صوّما(٣)
لا تأمنوا الليثَ على إطراقه قد يعزم الليثُ إذا ما أرزما(٤)
وحاذروا عازمَ قومٍ آده فوتُ المُنى ففاعلٌ من عزما(٥)
إلى متى أنتَ على سَمْتِ الأذى تَكظِم داءً قد أبى أنْ يُكظَما؟(٦)
هل نِلتَ إنْ نِلتَ الأمانيَّ التي تروم إلا مشرباً أو مطعما ؟
إنّا مقيمون بدار ذلّةٍ نُسقى بها في كلّ يومٍ علقما
ومُهمَلون لا يُجازَى محسنٌ ولا يخاف جرمَه من أجرما
نهضاً إلى العزّ فمن عاف القذى ولم يَهبْ وِرْدَ الحِمام أقدما
كأنني بهنّ أعجاز السُّرى يلكن عن لوكِ العليق اللُّجما(٧)

---

(١) النجار (بالكسر) : الأصل ، والأديم : الجلد وجمعه أدم .

(٢) فضله : غلبه بالفضل ، وأحنث في قسمه : جعله لا يبر فيها .

(٣) الكظة (بالكسر) : الكربة تنشأ عن الامتلاء من الطعام أي التخمة .

(٤) الإطراق : إغضاء البصر ، والإرزام : صوت الأسد .

(٥) آده : أثقله ومنه قوله تعالى « وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا » أي لا يثقله .

(٦) السمت : الطريق ، وكظم الداء : كتمه .

(٧) العليق (كأمير) : النبات اليابس كالقضيم .

يخبطن غِبَّ الضَّرب والطَّعنِ وقد ... سَئِمْنَ إمَّا لِمَّةً أو أعظما

وفوقهنَّ كل مرهوبِ الشَّذا ... إذا همَى أنهلَّ وإن زاد طما

من معشرٍ إنْ حاربوا أو غالبوا ... لم يعرفوا مَلالةً أو سَأَما

أهِلَّةُ النَّادى وآسادٌ إذا ... كان القنا فى الرَّوْع منهم أجَما[1]

همْ طردوا الإمْلاقَ عن ديارهمْ ... وأمطروا فى المُعتَفين النِّعَما[2]

دعْ شجرَ القاعِ لمن يخبِطُهُ ... يَخْبِطُ إمّا نَشَماً أو سَلَمَا[3]

فما الفتى كلُّ الفتى إلّا أمرؤٌ ... زمَّ خياشيمَ الهوى أو خطما[4]

والرِّزق يأتيك لم تبسط له ... كفًّا ولم تَسْعَ إليه قدما

لا نزل الرِّزقُ على مستمطرٍ ... ارزقه من المخازى دِيَمـــا

ولا ثوى اليُسْرُ بدارِ باخلٍ ... متى يُسَلْ بَذْلَ اليسارِ جَمْجَمَا

ولا رعى اللهُ أخا مَكرُمَةٍ ... أوسعها من بعد فَوْتٍ نَدَما

☆☆☆

وقال فى الطيف :

لقاؤكِ يا سلمى وإنْ كان دائماً ... يعزّ علينا أنْ يكونَ لماما

وقد كانَ صبحاً يملأُ العينَ قرَّةً ... فعادَ بقول الكاشحين ظلاما

كلاَ الهجرِ منكِ الطّرف أن لا تمرّجى ... على الحىّ أيقاظاً وزرتِ نيـــاما

ولم يشفِ ذاك القربُ وهو مرَجَّمٌ ... من القوم سُقماً بل أثار سُقاما

---

(١) الأجم : جمع الأجمة وهى غابة الأسد

(٢) الإملاق : الفقر ، والمعتفى : طالب المعروف .

(٣) القاع : الأرض الواسعة المطمئنة ، والنشم (بالتحريك): شجر القسى ، والسلم (بالتحريك): شجر واحدته سلمة (بفتحتين) .

(٤) زم وخطم البعير : جعل له زماما وخطاما .

وما كان إلا باطلا غـــير أننا كفينا به ممّن يلومُ ملاما

***

وقال فى غرضه عرضه له :

إنْ كنتَ ياعمرو قد أسأتَ فقد رأيت فيك العــدوَّ محتكما
فى ساعةٍ لو رآك فى يده أقسى عــدوّ لرقّ أو رحما
قُتِلتَ بالذُّلِّ والمهانةِ والقتـ ـلُ مريحٌ إذا أسال دما
فإن تعشْ برهةً فأنت بمـا رُمِيتَ مَيْتٌ لم تسكن الرَّجما(١)
وإنْ تكن ناجياً من الموتِ فالمو تُ مُنى مَن يعالجُ السَّقما
لم تنجُ منه كما علمتَ ومَنْ سلّمـــه الاتّفاقُ ما سلما
شُلَّتْ يدا من رمى فـلم تُصِبِـــك الرّميةُ لتالم يدر كيف رمى
إنّ الألىٰ فى صدورهمْ حَنَقٌ لم تعفُ آثارُهُ ولا انصرما(٢)
همّوا ولم يفعلوا لعائقــةٍ وفاعلٌ للأمور مَن عزما
ألمَّ سوءٌ وما أتمَّ وكمْ أنشبَ أظفارَه وما عدما
فاخشَ لهـا عودةً فجارمُها صَبٌّ بهـا ليس يعرف النّدما
إنّ الذى أنت غُنْمُ بُغْيتِهِ ما ظَفِرتْ كفُّهُ وما غنما
وقد قضى اللهُ أن يزيل لنا نعمةَ من ليس يشكر النِّعَماَ
ما شكَّ قومٌ قُذِفتَ وسْطَهُمُ أنْ جنوناً بالدّهر أو لَمَاَ(٣)
أخفقتَنِى ثمّ ما أمنتَ فلا يأمن منّا من خاب أو نَدِما

---

(١) الرجم (بفتحتين) : القبر .

(٢) الحنق : الغيظ ، وانصرم : ذهب وانقطع .

(٣) اللمم (بالفتح) : الجنون .

فقل لقوم غرّوا بفتنته إنّ أديمًا دبغتمُ حَلِمـا [1]
ظننتمُ أنّه ينير لـكمْ فزادكمْ فوق ظُلمـةٍ ظُلَما
وإنْ أبيتمْ إلّا عبـادَتَه فقد رأينـا من يعبد الصَّنَما
وقلتمُ إنّه أخو كرم وما رأينا فيـكمْ له كرما
وقال قومٌ أعطى فقلتُ لـكمْ إنْ كان أعطى فطالمـا حرما
قد ثلم الدّهرُ ما بناهُ لـكمْ وتاب ممّا جناه واجـترما
فلا تروموا مثلَ الذى كان ن فذاك الشّبابُ قد خَرِما [2]
بالجدِّ نلتَ الذى بلغتَ ولم تعملْ إليه كفًّا ولا قدما
ولا أساسٌ لما بنيتَ فـما ننكر منـه أن زال وانهدما
فقد سئمناك والمدى كَثبٌ ومن ثوى الرّيفَ جانبَ السَّأَما [3]
وإنْ تُصَبْ بالرّدى فليس ترى دمعًا لعينٍ عليـك منسجما
وإنْ تغبْ فالذى به غُصَصٌ منك بَواقٍ يقول : لا قَدِما
فلاسقى اللهُ واديًا ـ حلّه السّوْءاتُ لمّا حلاتَه ـ الدِّيَما
ولا هَنـاك الذى أتاك ولا أمنتَ فيما جنيتَه النِّقَما
وماء قوم حللتَ بينهمُ لا كان عَذْبًا لهمْ ولا شَبِما [4]
فلا يرُعْنِي منك الوعيد فـما زاتُ أوليه مِنِّيَ الصَّمَما
ومَن ترى أنّنى أهاب أذًى فبصرٌ فى منامه حُلُمـا

---

(١) الأديم : الجلد ، وحلم : أصابته الحلمة (بفتحتين) وهى الصغيرة من القردان أو دودة تقع فى الأديم فتأكله فيثقب .

(٢) خرم : ذهب وتصرم .

(٣) المدى : المسافة والبعد ، والكثب : القريب .

(٤) الشبم : البارد .

سلْ عن صخوري مَن كان يقرعها   وعن قناتي أمرءاً لها عَجَما (١)

فلم أكنْ شحمةً لمُزْدَرِدٍ   كلاّ ولا مضغةً لمن ضغما

قد كنتُ سيلاً وكنتمُ وَهَداً   وكنتُ ناراً وكنتمُ فحما

لله قومٌ رأيتُ قبلك فو   ق العرش من هذه البنا جُثُما

كانوا بسِلْمٍ - إنْ ساد في حومة الحـ   ـرب أسودٌ - إفراسةً حَطِما (٢)

لم يك فيهمْ ولا لهمْ أحدٌ   خالٍ بسوء الفعالِ متّهما

من كلِّ قَرْمٍ يشفي إذا شهد الحومةَ   بالبيض والقنا القَرَما (٣)

يرهب في عرضة الملام ولا   يرهب يوماً في جسمه الألما

كأنني بالخيول ثائرةً   مُعجَلَةً أنْ تَقَلَّدَ اللُّجُما

مثل الدَّبا إذْ يقول مبصرها   شلَّ اليمانون بالقنا النَّعَما (٤)

وفوقهنَّ الكماةُ حاملةٌ   سُمْراً طِوالاً وبُتَّراً خُذُما (٥)

لم ينثروا بالسّيوفِ مصلتةً   في الحرب إلّا الأجسادَ والقِمما

فلا غَبَتْ منِّيَ المعارضُ فالتّـ   ـعْريض مثلُ التصريحِ إنْ فُهِما

وربّما ساعد اللّسان فلمْ   أحبسْ لساناً عن نطقه وفما

فطالما لم يخفْ رجالٌ من الـ   ـأسيافِ كَلْماً وحاذروا الكَلِما (٦)

خذها ومن بعدها نظائرها   فلستُ للصّدق فيك مُحتشِما

---

(١) عجم القناة أو العود : عضه ليعلم صلابته .
(٢) الإفراسة : مصدر مايترك الافتراس ، والحطم من الخيل وغيره : المنكسر المهزول .
(٣) القرم (بتسكين الراء) : الشجاع ، والقرم (بفتحتين) : شدة الشهوة إلى اللحم .
(٤) الدبا (بفتحتين) : صغار الجراد مفردها الدباة . وشل : طرد ، والنعم : السوائم .
(٥) الكماة : جمع الكمي وهو الشجاع المدجج بالسلاح ، والسمر : الرماح،والبتر : السيوف ، والخذم : القاطعة .
(٦) الكلام : الجرح .

فأغبنُ النّاسِ كلُّهمْ رجلٌ   هاج لساناً أو نبَّهَ القلـــــا

* * *

وقال فى الشكر لله تعالى والدعاء :

ربِّ كنْ لى منها لباساً حصيناً   إنّها دونَ ما كفيتَ قديما
أنتَ أطلقتنى وكنتُ أسيراً   ثمّ داويتَ من أمورى سقيما
أنتَ ألقيتنى على ذِرْوةِ الأمْـ   ـنِ وقد كان لِى الحِذارُ نديما
أنتَ نكّبتَ عنّىَ الخُطَطَ الجو   نَ ظماءً إلى ذرارِىَ هِيما [1]
أنت نجّيتَنِى ومن حولِىَ الأسْـ   ـدُ سِغاباً هَرَتَ الشّدوقِ سليما [2]
ورفعتَ الملامَ عنّى وقد كنـ   ـتُ لدَى كلِّ مَن أراه مُليما [3]
وتلافيتَ بِى أعوجاجاً إلى الشرِّ   فأصبحتُ من لَدُنْك قويما
كم أراد العُداةُ ثلْمى وقدّر   تَ سواه فلم يرَوْنى ثليما
كمْ أرادوا بِىَ الشّقاء فأبْدَلْـ   ـتَ بما حاولوه منّى نعيما
كم عظيمٍ حملتَ عنّىَ لولا   نصرةٌ منك ماحملتُ عظيما
لستُ أنسى وهم يهبّون لى كلّ   سمومٍ لمّا هببتَ نسيما [4]
لا تُضِيفنِى وقد جعلتُك فى الأخْـ   ـطار حِرْزاً من الأذى وحريما
وأجبْ منّىَ النّداء فلم تحْـ   ـرِمْ سؤالاً ولا مَطَلْتَ غريما

* * *

---

(١) الجون : السوداء ، والهيم : العطاش .
(٢) السغاب : الجائعة ، والهرت (بالتحريك) : سعة الشدق .
(٣) المليم : الذى أتى ما يلام عليه .
(٤) السموم (بفتح السين) : الريح الحارة .

وقال في الرثاء :

كنّا جميعاً ثمّ فرّق بيننا قَدَرٌ إذا ما كفّ صمّ وصمّما
فارقتُ منه طِيبَ عيشى كلّه ورُزِئتُه فرُزِئتُ منه الأنعما
وحملتُ كلَّ عظيمةٍ من بعدها خُولِسْتُ مَن كان الأجلَّ الأعظما
وكأنّنى من بعد أنْ فارقته كفٌّ يفارق ساعداً أو مِعصما
مانلتقى من بعد أن صار الثرى مَثْواك إلاّ أنْ أعوج مسلّماً
والوصلُ كان محلّلاً حتّى اهتدتْ طُرُقاتِهِ البَلْوى فصار محرّما
وعليك من ربّ السلام تحيّةٌ وسقاكَ منحلَّ العَزالِى مفعما[1]
وعلىّ إهداءُ المراثى شُرّداً فى كلّ يومٍ عشتُهُ متكلّما

* * *

وقال في البرق :

مَنْ رأى لى فى الدّجى ذا خَطَلٍ أقْدَمَ الأشواقَ لمّا قَدِما ؟[2]
لاح منه طَرَفٌ ذو مَأْقةٍ لِـ«ينزو»[في الأفق]حتّى اْلتأما[3]
كلّما قلتُ أتى ولّى وإنْ ضاء لِى شيئاً قليلاً أظلما
خِلتُه مقتبساً ذا عجلٍ أو فماً من عَجَبٍ مبتسما
أو جباناً هاب من إقدامه أو لساناً عن مقالٍ جمجما
أوْ تقيّاً وَرِعاً ذا عِفّةٍ كلّما همّ بذنبٍ ندما

---

(١) العزالى : جمع العزلاء وهى فوهة القربة .
(٢) الخطل : السرعة والطيش .
(٣) فى الأصل « يسفر » محرفة عن « ينزو » و [فى الأفق] ساقطة من الأصل أضفناها من عندنا لاقتضاء السياق والوزن لها .

أوْ حُساماً ردّه مَنْ سَلّهُ   أو فتًى أفصحَ ثمّ اُستعجما
فهو النّاكصُ عن زَوْرَتِهِ   وهو الرّاجع عمّا عزما
عَصفَرَ الأفقَ فقلنا إنّه   أمْطَرَ الجوَّ عن الأرضِ دما(١)
كان سُقمى قدمضَى من جسدى   فأزار البرق جسمى السَّقَما

✿ ✿ ✿

وقال فى الافتخار بقومه :

حلفتُ بمعشرٍ عَسَفوا المطايا   يريدون البنيّةَ من تِهامَهْ(٢)
وكلِّ مُعرَّقٍ كالنِّسْعِ ضُمْراً   له رَتَكٌ ولا رَتَكُ النّعامَهْ(٣)
أتوا « جَمْعاً » وقد وقفوا جميعاً   على عَرَفات يا سُقيتْ مُقامَهْ(٤)
عِراصٌ مَن يزرْ منهنَّ شِعباً   فقد أمِنَ الملامةَ والنّدامَهْ
وما هَرَقوه عند مِنًى يُبارِى   بجَرْيَتِهِ بها ماء الغمامَهْ
وأحجار قُذفن تُقًى وبِرّاً   كما قُذفتْ بإصبعها القُلامَهْ(٥)
وأقدامٌ يُطفْن على أشَمٍّ   بُطِلْنَ ـ وقد علقن به ـ اُستلامَهْ
لقد فَضَل القبائلَ آلُ موسى   كما فضلتْ على العَطَبِ السّلامَهْ(٦)
هُمُ دعموا قِبابَ المجـد فينا   ولولاهمْ لكان بلا دِعامَهْ
وهمْ دأبوا إلى طُرُقِ المعالى   وما حَفِلوا بشىء من سآمَهْ

---

(١) عصفر : صبغه بالعصفر وهو زهر له صبغة صفراء .

(٢) عسفوا : ساقوا ليلا ، والبنية : يريد بها الكعبة المشرفة ، وتهامة: اسم مكة المكرمة أو أراضي شمال الحجاز .

(٣) المعرق (بتشديد الراء): الذى ذهب لحمه ، والنسع : الجلد المضفور تشد به الرحال ،والضمر: الهزال ، والرتك : العدو السريع .

(٤) جمع (بلا لام) : المزدلفة .

(٥) القلامة (بالضم) : ما سقط من الشىء المقلوم كقلامة الظفر وغيرها .

(٦) العطب : الهلاك .

وما أيمانُهمْ إلاّ لبيضٍ ... يبلّغنَ الفتى أبداً مَرامَهْ

وسُمرٍ مثل أرْشِيَةٍ طوالٍ ... يَقُدْن إلى الكَمِيِّ بها حمامَهْ (١)

وما أموالُهمْ إلاّ لجودٍ ... وإلاّ للحَمالةِ والغرامَهْ (٢)

وفيهمْ عرّستْ وبهمْ أقامتْ ... شريداتُ الشّجاعةِ والصّرامَهْ (٣)

وعَرْفُهُمُ يضوع على البرايا ... كما طابتْ لناشقِها المُدامَهْ (٤)

ولولا أنّهمْ فينا لكانتْ ... رباعُ العزِّ ليس بها إقامَهْ

* * *

وقال فى الشيب :

جزعتْ أُمامَةُ من مشيب الـ ... رّأسِ إذ سفهتْ أُمامَهْ

وتنكّرتْ بعـــد الصُّدو ... دِ وقد ألَمَّ بنا لِمامَهْ (٥)

واُستعبرتْ لمّا رأتْ ... فى لِمَّتِي منه اُبتسامَهْ (٦)

ورأتْ على ظُلَمِ الْمَفا ... رِقِ من تَوَضحِهِ علامَهْ

مثلُ الثَّغامة لونُها ... لكنّها غيرُ الثَّغامَهْ (٧)

وتظلّمتْ منه على ... أنْ ليس تنفعها الظُّلامَهْ

ولقد أقول لها وكمْ ... من قائلٍ أمِنَ المَلامَهْ :

---

(١) الأرشية : الحبال واحدها الرشاء ، والكمى : الشجاع .

(٢) الحمالة (بالفتح) : الدية .

(٣) عرست : نزلت؛ من التعريس وهو نزول المسافر للاستراحة .

(٤) العرف (بالفتح) : الرائحة مطلقاً وغلبت على الطيبة منها ، ويضوع : يفوح وينتشر ، والمدامة : الخمر .

(٥) اللمامة : الزمن القصير .

(٦) اللمة : (بالكسر) : شعر الرأس .

(٧) الثغامة : نبت أبيض يشبه به الشيب غالباً .

لا تُنكِرِى ثَمَرَ المشيـ ـب فإنّه ثَمَرُ السّلامَهْ

* * *

[وقال فى النسيب] (١) :

قلْ لمنْ خدُّهُ من اللحظِ دامٍ : رقَّ لِى من جوانحٍ فيك تُدْمَى

ياسقيمَ الجفون من غيرِ سُقْمٍ لا تلُمْنِى إنْ متُّ منهنَّ سُقْما

أنا خاطرتُ فى هواكَ بقلبٍ ركِبَ البحرَ فيك « أبًا » وأُمّا

* * *

[وقال فى طيف الخيال] (٢) :

ألَمَّتْ بنا بعــد الهدوِّ وربّما ألمَّ بنـــا من ليس نرجو لِمامَهْ

فيالكَ مِن يومٍ شَحَطْتَ بياضَهُ فلم يَغْذُنى حتّى رضيتُ ظلامَهُ

ومِنْ مُغرَمٍ يَقْلِي لذيذَ انْتباهِهِ ويَهْوَى لمـا جرَّ المنامُ منامَهُ (٣)

ومِنْ مُسعِفٍ جُنْحاً بطيبِ عناقِهِ وكم حَرَمَ العُشّاقَ صُبحاً كلامَهُ (٤)

فإنْ لم يكن حقًّا فقــد بات مُغرَمٌ يداوِى بتلكَ الباطلاتِ سَقامَهُ

فحُبٌّ به من باذلٍ لى حلالَهُ وفادٍ بذاكَ البــذل منّى حرامَهُ

ومِنْ مُلتَقًى عَذْبِ المَذاقِ وتحتَهُ فلم يرضَ لى حتى رَبِحتُ أثامَهُ

ولا عيبَ فيـه غيرَ قربِ زوالِهِ على أنَّ مُشتاقاً أراد دوامَهُ

* * *

---

(١) هذه القطعة غير موجودة فى أصول الديوان نقلناها عن روضات الجنات للخونسارى (طبع العجم ص٨٨) نقلها عن الوافى بالوفيات للصفدى ، وأوردها كذلك السيد على خان فى أنوار الربيع (طبع العجم ص ٤٨٢) وفيه « أما وأما » بدل « أبا وأما » .

(٢) هذه القطعة لم ترد فى أصول الديوان نقلناها عن « طيف الخيال » (ص ٩٣) .

(٣) يقلى : يبغض .

(٤) الجنح (بالضم) : الظلام ؛ والطائفة من الليل .

باب الميم المكسورة

قال وكتب بها إلى الوزير أبي على الحسن بن محمد يشير عليه
بمخالفة قوم من أعدائه كانوا أشاروا
عليه بالخروج من بغداد :

أيا ظبيـــةً فى رُبى جاسمٍ　　سُقيتِ حَيا واكفٍ ساجمِ (١)
طلعتِ لنا فى خلالِ الهضابِ　　فبُحتِ بسرِّ أمرىءٍ كاتمِ
تناهَى العواذلُ فى عَذْلهِ　　وأعيا على رُقْيَةِ اللائمِ (٢)
فلّلهِ « حلمُكَ » يا بنَ الحسينِ يوم ألتقينـــا على واقمِ (٣)
وقد ضمّنا موقفٌ للوداع　　خلا للمحبّين من زاجمِ
كأنّى أجيـلُ لفقـــد اليقينِ فى صَحْنهِ مُقْلَتَىْ حالمِ
و بيض الوجوه سباط الأكفّ .. فى السِّرِّ والبيتُ من هاشمِ
يمرّون يخبطون الدّجى والظّلام غمـــدُ الفتى البطلِ الصارمِ
أقول وقد بشّروا بالوزيرِ .. ألا مرحباً بك من قادمِ
وردتَ ورودَ زُلالِ السّحاب .. شُنَّ على كَبِدِ الحائمِ (٤)
وكنّا وأنتَ بعيدُ المَزار .. نثراً فرادَى بلا ناظمِ
نُصانعُ فيك عيونَ العُداةِ .. «ونحذرمن» قبضةِ الظّالمِ (٥)

---

(١) الحيا (بالقصر) : المطر .
(٢) الرقية : العوذة .
(٣) فى (س) « درك » بدل « حلمك » .
(٤) الحائم : العطشان .
(٥) فى (ه) « وتحذرون » بدل « ونحذر من » .

فمن مظهرٍ شوقَهُ بائحٍ ومن كاتمٍ وجْدَه كاظمِ
إذا اضطرب الشوق فى قلبهِ تمـــايلَ كالغصُنِ الناعمِ
أطِلْ عَجَباً من خطوب الزّمانِ ودُنيًا تَلاعَبُ بالعـــالَمِ
ولا تحسَبَنْ أنَّ صَرْفَ الزّمانِ تنبو ظُباهُ عنِ الحازمِ
فلو كان نَصْفاً أنامَ القيامَ .. وقام بكلّ فتى نائمِ
وكم فيـــه من عادمٍ عائمٍ ومن واجدٍ للغِنَى آجمِ [1]
وإنّى أُشيرُ برأىٍ يضمُّ .. إلى النُّصْحِ تجْرِبَةَ العالمِ
أقِمْ حيث يُشجَى بك الحاسدونَ وخلِّ المُوادَعَةَ للنّادمِ [2]
وكن غُصّةً فى لَهاةِ العدوِّ .. ورغماً على مَعْطِسِ الرّاغمِ
ولا تبعُدَنْ عن نداء الصّريخِ وعن هبّةِ الثّائرِ العازمِ
فلا بدّ من وثبةٍ للذّئابِ .. طُلْسًا إلى الغنمِ السّائمِ [3]
ولستُ بمستبطىءٍ للزّمانِ وقد ضمنوا سرعةَ السّالمِ
ولولاكَ كنتُ نَفورَ الجَنانِ لا أستنيمُ إلى رائمِ [4]
ولمّا بلَوْتُ الورَى أنكرتْ وما ظلمتْ إصبعى خاتمى

☆ ☆ ☆

---

(١) العادم : الفاقد كالعديم والمعدم وهو الفقير ، والواجد : الغنى ، والآجم : المكره لشىء من مداومته عليه .
(٢) الموادعة : اللين والرفق .
(٣) الطلسة (بالضم) : كالغبرة وزناً ومعنى .
(٤) الجنان (بفتح الجيم) : القلب ، والرائم : المحب والعطوف كالرءوم .

نقيين من كلّ ما شانهمْ ... بريئين من كلّ عارٍ وذامِ

وليدُهُمُ فى حِجًى كالكهو ... لِ وواحدُهمْ مثلُ جيشٍ لُهامِ (1)

يُرَوْن نحافاً وأيديهمُ ... مُحكّمةٌ فى الأمورِ الجسامِ

كرامٌ ولكنّهم بَذْلَةٌ ... لأموالهم برّحوا بالكرامِ (2)

أُحِبُّك حبَّ النفوسِ الحيا ... ةِ وحبَّ الشِّفاء خلالَ السَّقامِ

وما إنْ أبالي إذا كنتَ مِنْ ... ورائى إذا جاءنى من أمامى

وكنتُ نفوراً شديد الإبا ... ءِ فقادتْ بَنانُك منّى زمامى

وإنّىَ ذاك الذى ترتضيـ ... ـهِ وجرّبتَه فى الأمور العظامِ

كأنّى سِنانُك يومَ الطِّعا ... نِ وماضى لسانك يومَ الخصامِ

وإنْ كنتَ منتقماً مرّةً ... بكفّى أرَيْتك كيف انتقامى

وإمّا ضربتَ بحدّى الرءوسَ ... ضربتَ بغير البَليدِ الكَهامِ (3)

وإنّ لسانِىَ فى الذَّبِّ عنك ... يجرى متى شئتَ مجرى حسامى

فخذها فكمْ كَلِمٍ قد قَصَرْ ... نَ أغنيننا عن طويل الكلامِ

كأنّ نَشاها نَشا روضةٍ ... وإلّا فرائحةٌ من مُدامِ (4)

لها رَتَكٌ فى جميع البلادِ ... كما رَتَكَتْ جافلاتُ النّعامِ (5)

فلا تستمعْ إنْ سمعتَ القريضَ ... سوى ما أنظّمهُ من كلامى

سلامٌ ولا زلتَ ملآنَ مِنْ ... تحيّتنا أبداً والسّلامِ

☆ ☆ ☆

---

(١) اللهام (بالضم) : الجيش العظيم .

(٢) بذلة : يريد بذلة جمع باذل ككافر وكفرة وسكنت الذال ضرورة .

(٣) الكهام من السيوف : غير الماضى .

(٤) النشا (بالفتح) : الريح الطيبة ، والمدام : الخمر .

(٥) الرتك : العدو فى مقاربة خطو .

وقال يذم الزوراء لداعٍ :

ليس دارُ الزّوراءِ دارَ مُقامِ ... وثراها حربٌ لمـــاء الغَمامِ
وإذا مانظرتَ لم ترَ إلّا ... نعمةً جمّةً لقومٍ لئـــامِ
وبطيئين عن مزاولةِ الخيـ ... ـر سراعاً إلى انتهـالكِ الحرامِ
كلُّ جارٍ لهمْ بغـــير وفاء ... وصديقٍ لهمْ بغـــير ذِمامِ
وبمن حلَّ أرضَهـا كلَّ يومٍ ... سَخطٌ دائمٌ على الأيّامِ
ليس فيها عيشٌ قصيرٌ وساعا ... تُكَ فيهـا الطّوالُ كالأعوام
وإذا ماطلبتُ فيهـــا دواءً ... لسَقامى فليس غـيرُ سَقامِ
فضحاها مثلُ الدُّجى بمخـازٍ ... فاضحاتٍ وصبحُها كالظّلامِ
ومحلٌّ لاعهدَ فيـــه لمعرو ... فٍ ولا عَرْجَةٌ على إنعـــامِ
قد كَرَعْنـــا منه ولا ظَمَأٌ فيـ ... ـنا من البَوِّ فى بحورٍ طَوامِ (١)

* * *

وقال يمدح جلال الدولة ويهنئه بعيد الفطر :

قد مضى شهرُ الصّيـامِ ... عارياً من كلّ ذامِ
صُمتَ عن كلّ قبيحٍ ... وأثامٍ وحـــرامِ
لا كقومٍ عن شرابٍ ... صومُهمْ أو عن طعـامِ
وأتى العيـــدُ بشيراً ... بالتحيّـــاتِ الجسـامِ
وبظلٍّ لك ممدو ... دٍ على هـــذى الأنامِ

---

(١) البو : ولد الناقة ، وجلد الحوار يحشى تبناً أو ثماماً فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر اللبن ، ويكرع من البو مثل يضرب لمن لم يظفر بحاجته .

ونُزوحٍ عن حذارٍ وبلوغٍ لمرامٍ (١)
وقرارٍ وسرورٍ وثبـاتٍ ودوامِ
يدع الأعداء ما بيـن قعودٍ وقيـامٍ
كم مقـامٍ لك فيـه للورى خيرُ مقامِ
حيث ليس الأمر إلّا للقنـا أو للحسامِ
ومواضٍ تملأ البيـد خليّاتٍ بهامٍ (٢)
ما يُغادِرْنَ وقد دحْـرَجْن بياضاتِ النّعامِ
لك وجهٌ فى الوغى يُشـرق ما بين القَتامِ (٣)
مثلمـا أشرق صبحٌ بين أثنـاء الظّلامِ
كم أيادٍ لك فى النّـاسِ كأطواق الحمـامِ
وعطاء يُخجلُ الدّرّا تِ من ماء الغَمامِ (٤)
وسُرًى فى ظُلَمِ اللّيـلِ إلى فعـل الكرامِ
لم تزلْ تعدِلُ عن دارِ مَعابٍ ومَلامِ
غيرَ راضٍ من ظهور العِيسِ إلّا بالسّنـامِ
فافخرِ اليومَ بأنْ ليـس مُناوٍ ومُسامٍ (٥)
ما توازى أبداً بالـنّبعِ عِيدانُ الثّمامِ (٦)

---

(١) النزوح : البعد .
(٢) الهام : الرءوس .
(٣) القتام : غبار الحرب .
(٤) الدرات : الصبات .
(٥) المناوى : المعادى ، والمسامى : المبارى والمفاخر .
(٦) الثمام : نبت ضعيف .

لا ولا الماضى من الأسـ ياف بالسيف الكهام (١)
قل لقوم غرّه منـ ـه تغاض وتحام
وازورار عن مكافا ة لجان ذى اجترام
ليس إطراق أسود الغا ب إطراق النيام
إنما يخشى الذى يعـ جل عن طيش السهام
قد رأوا عاقبة الإبـ قاء عاماً بعد عام
وإذا ما قيس فضل بان هضب من شمام (٢)
وجيوش الحكم كم أغـ نين عن جيش لهام (٣)
لم تزل كفاك فينا بين عفو وانتقام
واصطناع لكرام وامتناع من مضام
وبلوغ فى الأعادى للأمانى واحتكام
واجتذاب من أنوف الـ خلق صغراً بالزمام (٤)
لا قضى الله لما أعـ طاك إلا بالتمام
وثنى عنه سريعاً كل خرم وانثلام
واختلال وانحلال وانقطاع وانصرام
فاستمعها كلمات صادرات عن غرام
وصريح من ولاء وصفاء كالمدام (٥)
ناقعات إن حساهـ ـن الفتى كل أوام (٦)

---

(١) الكهام من السيوف : غير الماضى .
(٢) شمام : اسم جبل .
(٣) اللهام : الجيش العظيم .
(٤) الصغر : الذل .
(٥) المدام : الخمر .
(٦) ناقعات : راويات للعطش وحساهن : شربهن ، والأوام : شدة العطش .

ماجرى إلّا ولأنى لك ما بين عظامى
وله منك رَضاعٌ دام من غير انفطامِ
وإذا ناجاك مدحٌ فاطّرِحْ عنّى كلامى

* * *

وقال يمدحه فى المهرجان :

على الرَّبع رَبْعِ الرّاحلين سلامى وإنْ هاج تسليمى عليه أُوامى (١)
تذكّرتُ لمّا أنْ مررتُ على اللِّوى بأهلِ اللّوى وجْدِى وطولَ سَقامى
وما مكّنَ الحادون بى من تَلَوّمٍ عليه ولا مَن حطَّ بعضَ لثامى
وساروا وقلبى من ورائى تلفّتاً وإنْ كان قصدُ النّاعجاتِ أمامى (٢)
وما كنتُ من قبل الذين ترحّلوا أُقادُ إلى دار الهوى بزمامِ
ولمّا تركنا الأثلَ من جَنَباتِنا وأطربنى منهنّ نَوْحُ حَمامِ (٣)
رمانى غزالُ الواديين بسهمِهِ وطاشتْ وعندى الشَّيبُ عنه سهامى
وما رابه إلاّ ابيضاضُ مفارقى وأنّ صباحى فى مكان ظلامى
نفضتُ الصِّبا عن أمّ رأسى وقَلّصَتْ عن الغانياتِ شِرّتى وعُرامى (٤)
فما لِىَ تعريجٌ بذاتِ قلائدٍ ولا لِىَ إلمامٌ بذاتِ خِدامِ (٥)
فكم بين أنّى رُقْتُهنّ بفاحمٍ وبينِىَ لمّا راعهنّ ثَغامى (٦)

---

(١) الأوام (بالضم) : شدة العطش .
(٢) الناعجات : النوق السريعة .
(٣) الأثل : شجر كالطرفاء .
(٤) الشرة (بالكسر) : نشاط الشباب ، والعرام : الشدة والصرامة .
(٥) الخدام . جمع الخدمة (بفتحتين) : الخلخال
(٦) رقتهن : أعجبتهن ، والفاحم : الأسود ويقصد به الشعر ، والثغام : نبت له زهر أبيض يشبه به الشيب غالباً .

أقول وقد خلقتُ سَلماً لناقتى وزفرتُها موصولةٌ ببُغامِ (١)
وحنّتْ كما حنّ الأباء محرّقاً تلاطمُهُ النّكْباء أىَّ لِطامِ (٢)
فؤادىَ مشتاقٌ ودمعِىَ جامدٌ وأنتَ بلا شوقٍ ودمعُك هامِ (٣)
وليس بمغنٍ فى سوادِ جوانحٍ لقلبك من وَجْدٍ بياضُ لُغامِ (٤)
قِفِى بى على الزّوْراء فى خير موقفٍ وعوجى بنا منها بخير إمامِ
فما لَكِ إنْ بلّغْتِنيه مشافرٌ يعدْن إلى قطع المدَا بخطامِ (٥)
ولستُ أبالى كيف أصبحتِ بعدها أجبّاء أم كَوْماء ذاتَ سَنامِ (٦)
وقد عَلِقَتْ كفِّىَ بالنّبعِ من مُنًى فما أنا أمْنِى بعدها بثُمامِ (٧)
فقولوا لِمَلْكِ النّاس عنّىَ قولةً إذا قلتُها لم أخشَ فيه مَلامى
ألستَ الذى لولاه لم يكُ «ركْننُا» بركنٍ ولا مدعومُهُ بدعامِ ؟ (٨)
ولولا الذى نظّمتَهُ منه جاهداً لغُودِر محلولاً بغير نظامِ
ولا كان منّا غيرُ حائمٍ قفرةٍ يلوذ على حرّ الصّدَى بحِيامِ (٩)
فأين ملوكُ الأرضِ منك وأين مِنْ تبَلّجِ إصباحٍ سوادُ ظلامِ ؟
وأىُّ مليكٍ قبلك اليومَ قادرٌ مضى لم يطُفْ فيه بَربْعِ أثامِ ؟
وأىُّ حلالٍ قبلما أنت فاعلٌ رأيناه لم يَمزِجْهُ بعضُ حرامِ ؟

---

(١) سلم (بلالام) : موضع ، والبغام (بالضم) : صوت الظبية والناقة .
(٢) الأباء : القصب مفرده : الأباءة ، والنكباء : الريح تهب منحرفة عن مهاب الرياح .
(٣) هامى : منهمل .
(٤) الجوانح : الضلوع ، واللغام (بالضم) : الزبد الذى يخرج من فم البعير .
(٥) المشافر: جمع المشفر وهو من البعير كالشفةمن الإنسان،والمدى:المسافة والبعد، والخطام:الزمام.
(٦) الجباء : مقطوعة السنام ، والكوماء : ضخمة السنام .
(٧) الثمام : نبت ضعيف .
(٨) فى الأصل « ديننا » بدل « ركننا » والظاهر تحريفها .
(٩) الحائم : العطشان الذى يحوم حول الماء ، والصدى : العطش .

وأنتَ الذى أوليتنا النِّعمَ التى ... تركْن كِرامَ النّاسِ غيرَ كِرامِ

وقد جرَّبوا منك الحفيظةَ حينما ... دُعيتَ إليها والعيونُ سوامِ (١)

لدَى ساعةٍ ما إنْ بها متحكَّمٌ ... سوى ذابلٍ لَدْنٍ وحدِّ حُسامِ (٢)

وأنت على جَنْبَىْ سريعٍ إلى المدَا ... كأنّك منه فوق ظهرِ شَمامِ (٣)

وللخيلِ إمّا من نجيعٍ براقعٌ ... وإلاَّ عثارٌ فى الصّعيد بِهامِ (٤)

يثُرْن خفافاً فى الوغى فكأنّما ... شَلَلْتَ على دَوٍّ قطيعَ نَعامِ

وحولك طلاَّعون كلَّ ثَنيَّةٍ ... إلى الموتِ ورّادون كلَّ حِمامِ

إذا قُذِفوا فى حَوْمَةٍ فكأنّما ... تَضَرَّمُ منه قفرُها بضِرامِ

تراهمْ كراماً بالنّفوسِ لدى الوغى ... ولكنّهمْ فى الحربِ جِدُّ لِئامِ

جعلتُك حِصْنى يوم خوفى من الأذى ... وتُرساً من الأعداء يوم أُرامى

فأنتَ سِنانى يوم طعنِىَ فى الكُلَى ... وأنت حُسامى إن سَلَلْتُ حسامى

ولستُ أُبالى ـ بعد أن إبْتَ بالّذى ... تريع جروحى عنده وكِلامى (٥)

وإنّ عَنائى فى هواك لَراحةٌ ... وإنّ انتقاصى فى رضاك تَمامى

وعن كلِّ شىء تجتويه طرائدى ... وفى كلِّ شىء ترتضيه حِيامى (٦)

وما ضرَّنى لمّا شَرِبتُك أنّنى ... غَرَفتُ فلمْ أشربْ كؤوس مُدامِ (٧)

---

(١) الحفيظة : الذمام وما يذب عنه ، والسامى : المرتفع .

(٢) الذابل : الرمح الرقيق ، اللدن : اللين المهتز .

(٣) شمام : جبل .

(٤) النجيع : الدم ، والصعيد : التراب ، والهام : الرءوس .

(٥) إبت : رجعت ، وتريع : تزيد ، والكلام (بالكسر) : الجروح واحدها الكلم (بالفتح بعده سكون) .

(٦) تجتويه : تكرهه ، واجتوى البلد : كره الإقامة فيه .

(٧) المدام : الخمر .

ولا أنّ كفّى لم أنُطْهــا بعصْمَةٍ ... من النّاس أطواراً وأنت عصامى [1]

وحوشيتُ أنْ أنْقى سواكَ مُمَلَّكاً ... هوايَ ومعطى باليدين غرامى

فإنْ تكُ أسبابٌ لديكَ ضعيفةٌ ... فأسبابُ قربى منك غيرُ رمامِ [2]

فلا حان يومٌ منك فيـــه قطيعتى ... ولا آن وقتٌ فيه منك صِرامى [3]

ولا اُطُّرِحَتْ إلّا بربْعِك أرحُلى ... ولا كان إلّا فى ذَرَاكَ مقامى

وأىُّ كلامٍ لم يكنْ بتفاخرٍ ... سبقت بها سِلْكاً فليس كلامى [4]

وهُنّيتَ يومَ المِهْرَجانِ فإنّه ... كفيلٌ بمـــا تهوى بكلّ مَرامِ

يبشّرنا فيما نرى بإقامةٍ ... وفى نعمٍ أُلْبِستَهـــا بدوامِ

وما جاءنا إلّا بأســـعدِ طالعٍ ... ولا زارنا إلّا بأفضـــلِ عامِ

ومهما تَدُمْ فالعينُ فيه قريرةٌ ... وكلُّ غصونِ الأنامِ نوامِ

✿ ✿ ✿

وقال فى الوزير أبى سعد بن عبد الرحيم يشكره على جميل بلغه عنه :

ألا قلْ للوزير مقالَ مُثْنٍ ... عـــا يولى من المِنَنِ الجسامِ

أبى سعدٍ ومَن لولاه كانتْ ... أمورُ العالمين بلا نظامِ

أنِفْتُ تفضُّلاً من أنْ يُرى لى ... مديحٌ سار فى قومٍ لئامِ

ولو أنّى جريتُ على اختيارى ... وكانتْ راحتى فيهــا زمامى

---

(١) أنطها : أعلقها ، والأطوار : التارات .

(٢) الأسباب : الحبال مفردها السبب ، والرمام : البالية .

(٣) الصرام : القطيعة .

(٤) السلك : الخيط ينظم فيه الخرز .

لمَا عرّجتُ إلّا عن لئام ... ولا عرّستُ إلّا فى كرامِ [1]

ولكنّ التَّقِيَّةَ لم تزلْ بى ... تقود إلى فعالٍ أو كلامِ

عن القومِ الذين على هداهمْ ... بقولٍ فى حلالٍ أو حرامِ

تلقّينا مجـــاملةَ الأعادى ... وفى الأحشاءِ وَقْدٌ كالضّرامِ

ولولا ما تراه سمعتَ قولى ... وكم بُلِيَ المُفَوّهُ بالكِمامِ [2]

وإنّى راقبٌ زمناً وشيكاً ... يَبينُ به الصّباحُ من الظّلامِ

أقولُ إذا أردتُ بلا اتّقاء ... وآتى ما أشاء بلا احتشامِ

فعيشُ المرء لا عَبَقاً بسُؤلٍ ... ولا جَذِلًا بشىءٍ كالحِمامِ [3]

هو الزّمنُ الذى ما صحّ يوماً ... لعانٍ فى يديه من السّقامِ [4]

جَموحٌ بين أضدادٍ فنَحْسٌ ... بلا سَعْدٍ وصبحٌ فى ظلامِ

وما يسطيعُ فَرْقاً فيــه إلّا ... قليلٌ بين عَضْبٍ أو كَهامِ [5]

وقد عَشِيَتْ عيونٌ فيه عن أنْ ... تميّز بين نَبْعٍ أو ثُمامِ [6]

وكلُّ مقالةٍ قيلتْ دفاعاً ... لشرّ فهى صِفرٌ من ملامِ

ومَنْ لا فضلَ فيه ولا خِلالٌ ... تقدّم ما يقـــدّمه كلامى

فمـا الأقدامُ تُعْدَلُ بالهوادى ... ولا خُفٌّ يُسَوّى بالسّنامِ [7]

ومَن هو ناقصٌ لم يدنُ يوماً ... بتفضيلٍ إلى دارِ التّمامِ

ومدحُكَ لامرىءٍ كَذِباً هجاءٌ ... وطيفٌ زار فى سُكْرِ المنامِ

---

(١) التعريج : الإقامة ، والتعريس : نزول المسافر للاستراحة ليلا .

(٢) المفوه : البليغ ، والكمام : ما يكم أى يغطى به فم البعير وغيره .

(٣) العبق : الزوق الرائحة ، والسؤل : مايسأل عنه ، والجذل : الفرح .

(٤) العانى : الأسير .

(٥) العضب : السيف الماضى ، والكهام : الكايل غير الماضى .

(٦) الثمام : نبت ضعيف .

(٧) الهوادى : الأعناق والرءوس .

ولو أنّا عددنا كلَّ نابٍ عن الحسنى حقيقٍ بالملام
لكان النّاسُ كلُّهمُ سواءً وأخرجناك من كلِّ الأنام
فمدحُك دون كلِّ النّاسِ حِلٌّ وفى باقى الورى كلٌّ الحرام

* * *

وقال يمدح القائم بأمر الله فى عيد الفطر « سنة ٤٣٢ » :

عليك أميرَ المؤمنين سلامى وفى يدك الطُّولى زمامُ غرامى
وأنتَ الذى لمّا بلغتُ ديارَه بلغتُ المُنى عفواً ونلتُ مَرامى
ولم يكُ لى إلّا عليك توكّلى ولا كان إلّا فى ذُراك مقامى
وحبُّك ثاوٍ فى سوادِ جوانحى وأنت صباحى فى سوادِ ظلامى
ولمّا وردتُ العِدَّ فى عزِّك الذى به الشَّرفُ الأقصى بللتُ أُوامى (١)
ولستُ أُبالى من لِمامٍ عظيمةٍ أمامى بها دون الأنامِ إمامى
ومالى التفاتٌ بعد أنْ كنتَ جُنَّتى إلى مَنْ رمانى عامداً بسهامِ (٢)
وما شقّت الأوطار إلّا بافتها بكلِّ صهيلٍ تارةً وبُغامِ (٣)
ومحتقرين للدُّءوبِ كأنّهمْ سِراعاً إلى القِيمانِ فوق نعامِ (٤)
إذا التفَّ منهمْ واحدٌ بقبيلةٍ فقد لفَّ نبعٌ منهمُ بثمامِ (٥)
وإنْ قُذِفوا فى حَوْمةٍ فكأنّما قذفتَ يَبيساً من غَضاً بضِرامِ (٦)
كأنّهمُ لم يعرفوا الموتَ جُرأةً عليه ولا وارَوْا فتًى برِجامِ (٧)

(١) العد (بالكسر) : الماء الكثير ، والأوام (بالضم) : شدة العطش .
(٢) الجنة (بالضم) : الدرع .
(٣) شقت : صعبت ، والبغام : صوت البهائم .
(٤) الدءوب : التعب .
(٥) الثمام : نبت ضعيف .
(٦) الغضا : شجر شديد الوقود بطىء الخمود .
(٨) الرجام : جمع الرجم (بفتحتين) وهو القبر .

فقلْ للذى يبغى مساماةَ هاشمٍ وقد فَضَلوا فى الفخر كلَّ مُسامِ
وفيهمْ شعارُ الدّين يجرى ومنهمُ ـ كما شاهد الأقوامُ ـ كلُّ هُمامِ
وقد ملكوا الأرضَ العريضةَ كلَّها وقادوا عرانينَ الورى بخطامِ (١)
عدلتَ بحصباء الثَّرى أنجمَ العُلا وسوّيتَ ظُلْماً جُثَّماً بقيامِ
فأين ضياءٌ ساطعٌ من ظلامهِ ؟ وأين سماءٌ من حضيض رَغامِ ؟ (٢)
فللّه أيّامٌ مضين وأنتمُ تخوضون فيها الخيلَ لُجَّ قَتامِ (٣)
وللخيلِ إمّا بالجسومِ طريحةٌ عِثارٌ وإمّا بالصّعيدِ بهامِ (٤)
وما إنْ ترى فى ذلك « الحين» آمراً مطاعاً سوى رمحٍ وحدِّ حُسامِ (٥)
ولمّا أردتمْ فصلَ ما كان مُلبِساً ضربتمْ لُهاماً فى الورى بلُهامِ (٦)
وما زلتُمُ حتّى أخذتمْ تراثَكم وأنتمْ كرامٌ من أكفّ لئامِ
وطار الذى لاخيرَ فيه كأنّه عقيبَ انبلاجِ الصّبح طيفُ مَنامِ
وحقُّكمُ فى النّاس ما كان خافياً ولكنْ تغاب دونه وتَعامِ
وفزتمْ به من غير أنْ تتدنّسوا بعارٍ وأنْ تُقْذَوْا عليه بذامِ
فللّه ما قاسيتُمُ من شديدةٍ وداويتُمُ فى الله أىَّ سَقامِ
وعرّضتُمُ أجلادكمْ فى حفيظةٍ لكلِّ كُلومِ صَعْبةٍ وكَلامِ (٧)
وحُمِّلتُمُ الأعباءَ وهى ثقيلةٌ وكم من ثقيلٍ فوق ثِقلِ سِلامِ (٨)
وإنْ كنتمُ عُرِّيتُمُ من مقامكمْ زماناً فكم صُدَّ الضُّحى بظلامِ

---

(١) العريضة : الواسعة ، والعرانين : جمع العرنين وهو الأنف .
(٢) الرغام : التراب .
(٣) القتام : غبار الحرب .
(٤) الصعيد : التراب ، والهام : الرءوس .
(٥) الحين ساقطة من نسخة (س) .
(٦) اللهام : الجيش العظيم .
(٧) الكلوم : الجروح .
(٨) السلام : الحجارة .

فواديكمُ والحمدُ لله مُفْهقٌ من العزِّ فينا والبحورُ طوامِ (١)

وأنتمْ كما شئتُمْ وشاء وليُّكمْ ودمعُ الذى يُشجَى بذلك هامِ

وبالقائمِ الماضى الشَّبا قامتِ العُلا وهبّتْ عيونٌ بعد طول مَنامِ

ولولاه كنّا مثلَ نَهْبٍ مقسَّمٍ وليس لنا فى ذى الأذيّة حامِ

هنيئاً بهذا العيد ياخيرَ مفطرٍ كما كنتَ عصرَ اليومِ خيرَ صيامِ

فإنْ تركوا مأكلاً ومشارباً فإنّك تَرّاكٌ لكلِّ حَرامِ

وإنْ جانبوا بعضَ الأثامِ تورُّعاً فأنتَ الذى جانبتَ كلَّ أثامِ

وإنْ خشع الأقوامُ يوماً لربّهمْ فأين خشوعٌ من خشوع شَمامِ ؟ (٢)

فلا زلتَ طلّاعاً لكلِّ ثنيّةٍ من العمرِ سبّاقاً لكلّ حِمامِ (٣)

وإنْ لم يدمْ شىءٌ فمتِّعتَ بالذى به أنتَ مشغوفٌ بكلّ دوامِ

وبُلِّغتَ من ذُخرِ النُّبوّةِ كلّما تُرامِى وعنه بالنِّضالِ تُحامى

فبشّرْ بوالى العهدِ قومَك عاجلاً فلا طَرْفَ إلاّ نحو ذلك سامِ

ولا أجتاز ثَلْمٌ لم تَرُدْه بريبةٍ ولا مرَّ نقصٌ محتوٍ بتمامِ

ولا أعتلَّ شىءٌ كان فيك مُصحَّحاً ولا أُحلَّ منك الدَّهرَ سلكُ نظامِ

وإنْ أجدبتْ أجراعُ قومٍ فلا يزلْ جنابُك ممطوراً بكلّ غَمامِ (٤)

فلا تَحفِلَنْ إلاّ بما أنا قائلٌ ولا تسمعنْ فى المدحِ غيرَ كلامى

ونُصحُكمُ فرضٌ فدونك قولةً حططتُ لها حتّى أقولَ لِثامى

---

(١) مفهق : ممتلىء .

(٢) شمام : جبل .

(٣) الثنية : طريق العقبة فى الجبل، ويقال: فلان طلاع الثنايا: أى شجاع جلد يركب الأمور العظام.

(٤) الأجراع : جمع الجرعة (بالتحريك) والأجرع وهى الرملة المستوية لا نبت فيها .

لقــــد ظفِرتْ أيامُــكُمْ بمحمَّدٍ ... بماضٍ حديدِ الغَرْبِ غيرِ كَهامِ (١)

لخدمتُهُ أغنتــكُمُ وهو واحدٌ ... وكم واحدٍ أغنى غَناءَ أنامِ

فضمّا عليــه باليدين فإنّه ... مَلِيٌّ كما نهوىٰ بــكلِّ مَرامِ

وليس سعودُ المرء إلّا رضاكُمُ ... وإنْ لم يَطُفْ منــكمْ برَبْعِ مَلامِ

خدمتُــكمُ والرّأسُ منِّيَ فاحمٌ ... وها الرّأسُ مُبيضُّ الذُّرا كثَغامِ (٢)

ولم تظفروا منّى بهفوةِ عامدٍ ... تطأطئُ رأسى أو تجرّ مَلامى

فمَغْنِيَ جفوتمْ لا وطأتُ تُرابه ... ولا ضُربتْ يوماً عليه خيامى (٣)

ومالِيَ تعريجٌ بغــير شعابــكمْ ... وواد حللتمْ فيه دارُ مقامى

وعنــكمْ ضرابى أو طعانِيَ فى العِدا ... وفيــكمْ جِدالى كلُّه وخصامى

فلا زلتُ موقوفَ الغرامِ عليــكمُ ... إلى أنْ أزورَ تربتى بحِمامى

وعَقْرُكُمُ لا كان منه ترحُّلِي ... ودَرُّكُمُ لا كان منه فِطامى (٤)

وإنِّيَ منــكمْ وُصلَةً وولادةً ... وفى حبّــكمْ ـ لازلتُ عنه ـ مَسامى (٥)

وسِيطَ بلحمى ودُّكمْ ثمّ رُوِّيَتْ ... عظامِيَ منه وهى غيرُ عظامى (٦)

وذِكرُكُمُ زادى وقوتِيَ فى الورىٰ ... ومثلُ شرابى طعمُهُ وطعامى

* * *

وقال يعزّى الوزير أبا الفرج ابن فسانجس عن عمّه أبى الحسين :

مِن أين لِى مُعْدٍ على الأيّامِ ... ومعالجٌ فيهن طولَ سَقامى؟ (٧)

(١) الغرب : الحد والكهام من السيوف : غير الماضى .

(٢) الفاحم : الأسود ، والثغام : نبت أبيض .

(٣) المغنى : المنزل .

(٤) العقر (بالفتح) : القصر ، والدر : اللبن .

(٥) الوصلة : الذريعة والاتصال ، والمسام : موضع سوم الإبل أى المرعى .

(٦) سيط : خالط

(٧) المعدى : المعين .

أو ضامنٌ لِي أن أعمرَ ساعةً ... والموتُ من خلفي ومن قُدّامي

مالي بما تقضي الليالي طاقةٌ ... ياصاحِ في نقضٍ ولا إبرامِ

عصفَ الرّدى بأقاربي وأصاحبي ... وأتىَ بالآباءِ والأعمامِ

وأجتثّ إخواني معاً وقبائلي ... وأجتذّ نَبْعي تارةً وثُمامي (١)

وأباتني صِفْرَ الأناملِ من أخٍ ... آوي إليه أوْ أبلُّ أوامي (٢)

وأرى من الأقوام لمّا أنْ مُحوا ... بيد الرّدى ماحلَّ في أقوامي

كم ضلَّ عنّي ما أحاول وأهتدى ... داري الذي لم يجر في أوهامي

وأتى النّجاحُ فتًى وما أنْ سامَهُ ... ومضتْ بخيبتها يدُ المُستامِ

هل نحن في الأيّام إلا معشرٌ ... صُمٌّ بلا فهمٍ ولا إفهامِ

وكأنّنا فيهـا نحزُّ جلودَنا ... حزَّ المُدى لحاً على أوْضامِ (٣)

نهوى وِصالَ مَلولةٍ قطّاعةٍ ... ونريد مثوى غيرِ ذاتِ مقامِ

وأريد لِي فيهـا دواماً كاذباً ... ما تمَّ في أحدٍ وأين دوامي ؟

والمرء في هذي الحياةِ مُحكَّماً ... يُمناهُ بين تصامُمٍ ونَمامِ

في أسْرِ تقتيرٍ مكانَ تكرُّمٍ ... أو قهرِ إقدامٍ مكانَ تحامِ (٤)

وتقودُه ذُلًّا وصَغْراً مَذْقَةٌ ... من حائلٍ أوْ وَدْقَةٌ لجهامِ (٥)

ولنا النّهى وكأننا في غفلةٍ ... في هذه الدّنيا من الأنعامِ

نبكي على الدّنيا ومنها دهرنا ... فالجفنُ منها أو عليها هامِ

(١) اجتث : اقتلع واستأصل .

(٢) الصفر : الخالي ، والأوام : شدة العطش .

(٣) المدى : جمع المدية وهي السكين ، والأوضام : جمع الوضم (بفتحتين) : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم ، وفي المثل « تركهم لحاً على وضم » أي أوقع بهم فذللهم وأوجعهم .

(٤) التقتير : التضييق في النفقة .

(٥) الصغر (بالفتح) : الذل والمهانة ، والمذقة : قليل اللبن الممزوج بالماء ، والحائل : الناقة التي لا تحمل ، والودقة : مؤنث الودق وهو المطر ، والجهام : السحاب لا ماء فيه .

وزضاعُها ـ لادَرَّ دَرُّ رضاعها ... فهو البليّةُ فى جوار فطامِ
وكأنّما العمرُ الطّويلُ إذا انقضى ... طيفٌ رأته مُقلةٌ بمنامِ
ويغرّنى فأظنّ أنّى خالدٌ ... ما طال أو ما امتدّ من أعوامى
وإذا وعُظتُ بمن أُصيبُ من الورى ... فحِمامُ كلِّ العالمين حِمامى
كم ذا فرجتُ شدائداً ودفعتُها ... بالرّمحِ آونةً وبالصّمصامِ
ورقيتُ فى الآدابِ كلّ ثنيّةٍ ... وعلوْتُ فى الأطلاب كلّ سَنامِ
حتّى إذا أمّ الحِمامُ زيارتى ... لم يُنجِ إسراجى ولا إلجامى
لابدّ للسّارى دُجًى من وقفةٍ ... والنّاطقين بنا من الإرْمامِ (١)
والصّاعدين على الورى فوق الرّبى ... من أن يُحطّوا عن ذُرا الأعلامِ (٢)
ومصيبةٍ غطّتْ علىّ بصيرتى ... ورمتْ ضياء جوانحى بظـــلامِ
وغفلتُ عنها والرّزايا زُوّرٌ ... ساحاتِ أيقاظٍ ورَبْعَ نيامِ
ونسلّتْ وَسَنَ الكرى من مُقلتى ... وتناولتْ خَفْضى من الأيّامِ (٣)
وتقطّعتْ عِصَمى وكان حلولُها الـ ... ـسّبَبَ القوىّ إلى انحلالِ نظامى
ولقــــد هفا قلبى بها ولَعثْرَةٌ ... بالقلبِ تُنسى عَـــثْرَةَ الأقدامِ
قلْ للوزير وقد حسا من حرّها ... لمّا أتتْهُ غــــير كأسِ مُدامِ
حوشيتَ من حزنٍ عقيبَ مسرّةٍ ... فينا ومن نقصٍ بُعَيــدَ تمامِ
وإذا خطاك الدّهرُ لم يجتزْ بما ... لا نرتضيه فما عليـــه ملامى
وإذا التوتْ عن ساحتيك صُروفُهُ ... عفواً فقد فُزنا بكلّ مَرامِ

---

(١) السارى : السائر ليلا ، والإرمام : السكوت .

(٢) الأعلام : الجبال .

(٣) الوسن : خفيف النوم ، وخفض العيش : لينه وطيبه .

وإذا بقيتَ مُسَلَّماً فلْيَهْنِ من بات حَشْوَ جنادلٍ وسِلامِ (١)
وإذا صححتَ من الكُلُومِ فدع بنا من شئتَ مجروحاً بكلّ كِلامِ (٢)
وإذا « السَّراةُ » تخصّصَتْ وتمنّعَتْ فدعِ الشَّوَى تُرْمَى بأيّ سِهامِ (٣)
فاصبِرْ لها وإنِ ارتمَضْتَ فطالما يَزداد في اللَّأْواءِ صبرُ كِرامِ (٤)
وإذا جزعتَ فكيف يصبر معشرٌ ما فيك ليس بهم من الأحلامِ ؟
ولربّما أَمَّ الحزينُ ولم تزلْ فينا شَرِيَّ الكفِّ من آثامِ
أنت الذي لمّا نزلنا شِعْبَه لذْنا بهضْبَيْ يَذْبُلٍ وشَمامِ (٥)
وإذا تقاسمتِ الرجالُ وكان في قسمٍ فذلك أوفرُ الأقسامِ
وإذا احتبى فعلى السكينةِ والنُّهى وإذا اختطى فبأنّي الخُلّ السّامي
ومكارمٌ مشكورةٌ حين افتقدتْ فينا طويلَ لِزامِها بِلِمامِ (٦)
ولِيُسْلَ عنه إنّ آخذه الذي أَخَذَ الشُّبُولَ ردًى من الضِّرغامِ
أَنا مُقتدٍ بك في الأمور وضاربٌ أنّى حللتَ من البلادِ خيامي
وإذا حللتَ أسًى حَلَلْتُ وإن تُرِدْ صبراً صبرتُ وفي يديك زِمامي
وبحسبِ ماترجو قعوديَ وادعًا وبحسب ماتخشى يكون قيامي
وضربتُ منك بحدّ عَضْبٍ قاطعٍ لمّا ضربتُ من الورى بكَهامِ (٧)

---

(١) السلام (بالكسر) : الحجارة .
(٢) الكلوم والكلام : الجروح .
(٣) السراة : أعلى الشيء وفي الأصل « والسواه » ولعلها مصحفة عن « الشواة » وهي جلدة الرأس ، والشوى : الأطراف وغير المقاتل من الأعضاء ، وتخصصت : فنخلت وانفردت بالسلامة ، ولعلها محرفة عن « تحصنت » .
(٤) ارتمض : وقع في الرمضاء وهي الأرض التي أحمتها الشمس ، واللأواء : الشدة .
(٥) يذبل وشمام : جبلان .
(٦) اللزام : الملازمة والمداومة ، واللمام : الإتيان غباً . وزاره لماماً : أي فترة قصيرة .
(٧) الكهام : من السيوف غير الماضي .

لا تُنكِرَنْ مَيْلِي إذا ما مِلْتُ بِي صَفْبٍ يَلُمُّ وأنتَ فيه دِعامى
فَجميعُ أعضاءِ الرِّجالِ تصرُّفاً طولَ الزّمانِ توابعٌ للهامِ
كلُّ الوصائلِ يُقتطعن على الفتى إلاَّ وصالَ محبَّـــةٍ وغرامِ
يا آلَ عبّاسٍ ومَن لولاهُمُ كنّا بلا سُرُجٍ على الإظْلامِ
إنْ يمضِ منكمْ شيخُكمْ فلَفَخْلُكمْ باقٍ لكمْ ولنا على الأعوامِ
وَلَيْلَهُ عن ماضٍ مضى ثاوٍ ثوى وليُسْلَ عن نهرٍ ببحرٍ طامِ
وإذا ذوى غصنٌ فلا جزعٌ وقدْ أبقى لنا الأصـــلَ الأشمَّ السّامى
لم يمضِ عنّا مَن مضى وظلامُـــهُ لِتَهجُّدٍ ونهارُهُ لصيامِ
صلّى الإلهُ على الّذى قَنَصَ الرّدى وعلى ثراه تحيّتى وسلامى
ولتَبْكِ فيـــه غُدْوَةً وعشيّةً فى كلِّ يومٍ عينُ كلِّ غمامِ
فلقد مضى صِفْرَ الحقيبةِ من قذًى عُرْيانَ من دَنَسٍ وثوبِ حَرامِ
أرضى بطاعتِهِ الصّباحَ ولم يكن يوماً عليه ملامـــةٌ لظلامِ
فلَقَلَّ فيه رعايةً لحقوقِهِ ما سيّرتْ أو آرَتْ أقلامى

* * *

وقال فى الشيب :(١)

هل الشيبُ إلاّ غُصّةٌ فى الحيازمِ وداءٌ لِرَبّاتِ الخدورِ النواعمِ (٢)
يَحِدْنَ إذا أبصرْنَه عن سبيلِهِ صُدودَ النّشاوى عن خبيثِ المطاعمِ
تعمّمْتُهُ بعـــدَ الشّبيبةِ ساخطاً فكان بياضُ الشّيبِ شرَّ عمائمى

(١) وردت هذه القصيدة فى « الشهاب » (ص ٧٤ ، ٧٥ ـ وشرح المرتضى قسما من أبياتها شرحاً لطيفاً فلتراجع).

(٢) الحيازم : جمع الحيزوم وهو الصدر .

وقنّعتُ منـــه بالمخوفِ كأنّنى تقنّعتُ من طاقاتِهِ بالأراقمِ (١)
وهيّبنى منـــه كما هاب عائجٌ على الغابِ هيباتِ اللّيوثِ الضراغمِ
وهدّدنى فى كلّ يومٍ وليلةٍ سَنا وَمْضِهِ بالقارعاتِ الحواطمِ
كفانِىَ عُذّالى على طرْبَةِ الصّبا وقام بلوْمٍ عِفْتُهُ من لوائمى
وقصّر عنّى باعُ كلِّ لَذاذَةٍ وقصّر دونى خَطْوُ كلِّ مُخالِمِ (٢)
فواللهِ ما أدرى أصُكّتْ مفارقى بِفِهْرِ مَشيبٍ أوْ بفهرِ مُراجِمِ ؟ (٣)
ولمّا سقانيهِ الزّمانُ شربتُهُ كما أُوجِرَ المَأْسورُ مُرَّ العلاقمِ (٤)
حَنَتْنِىَ منـــه الحانياتُ كأنّنى إذا ظَلْتُ يوماً قائماً غـــيرُ قائمِ
وأصبحتُ يُستَبْطىَ «مُثُولِى» ويُدَّعى ـ وما صدقوا فِىَّ ـ اُختلالُ العزائمِ (٥)
فلا أنا مدعوٌّ ليومِ تَفاكُهٍ ولا أنَا مرجُوٌّ ليومِ تخاصمِ
فلا تطلبا منّى لقاءَ محاربٍ فما أنا إلاّ فى ثيابِ مُسالِمِ
«ولا تدفعا بى » عنكما غَشْمَ غاشمٍ فإنّىَ فى أيدى المشيبِ الغواشمِ (٦)
فلو كنتُ آسو منكما الكَلْمَ مارأتْ عيونُكما عندى كُلومَ الكوالِمِ (٧)
وإنّى أميمٌ بالمشيبِ فخلّيا ولا تطلبا عندى علاجَ الأمائمِ (٨)
مشيبٌ «كخَرْقِ الصُّبحِ عالٍ» بياضُهُ بُرودَ اللّيالى الحالكاتِ العوارمِ (٩)

---

(١) قنعت : ألبست القناع وهو الخمار ، والأراقم : جمع الأرقم وهو أخبث الحيات .
(٢) المخالم : الصادق المخلص .
(٣) الفهر : الحجر ، والمراجم : المرامى ، ورجمه بالحجارة : قذفه بها .
(٤) أوجر : سقى ، والمأسور : الأسير المقيد .
(٥) المثول : القيام بانتصاب ، وفى (الشهاب ص ٧٤) « منونى » بدل « مثولى » .
(٦) فى « الشهاب » « ولا يدفعى عنكما » بدل « ولا تدفعابى عنكما » ، والغاشم : الظالم.
(٧) آسو : أعالج ، ومنه الآسى وهو الطبيب ، والكلم : الجرح .
(٨) الأميم : المشجوج الذى بلغت الضربة أم رأسه أى قشرة دماغه .
(٩) فى الأصل « كخد الورد غال » تحريف « كخرق الصبح عال » . والحالكات : المظلمات.

وتطلع في أفقِ الشّبابِ نجومُهُ ... طلوعَ الدّراري في خلالِ الغمائمِ

كأنّيَ منه كلّما رمتُ نهضـــةً ... إلى اللّهوِ مقبوضُ الخطا بالأداهم[1]

تُساندني الأيدي وقد كنتُ برهةً ... غنيًّا بنفسي عن دِعامِ الدّعائمِ

وأخشع في الخطبِ الحقيرِ ضراعةً ... وقد كنت دفّاعًا صدورَ العظائمِ[2]

وقد كنتُ أبّاءً على كلِّ «جاذِبٍ» ... فلمّا علاني الشّيبُ لانت شَكائمي[3]

ولمّا عراني ظِلُّهُ وحلتهُ ... أنِستُ على عَمْدٍ بحَمْلِ المظالِمِ

فلا ينغضَنْ «رأسي» إلى العزّ بعدما ... تجلّلهُ منـــــه مُذلُّ الجماجمِ[4]

فياصِبْغَةً حُمّلتُها غـــيرَ راغبٍ ... وياصبغةً بدّلتُها غيرَ سائمِ

ويازائري من غــيرِ أن أستزيرَهُ ... كما زيرَ حَيْزومُ الفتى باللّهاذِمِ[5]

أقِمْ لاتَرِمْ عني وإنْ لم تـكنْ هوًى ... فـكم قد سَخِطنا فقْدَ غــيرِ مُلائمِ

فمن مُبدٍ لي من صبحِهِ بظلامِهِ ؟ ... ومَن عائِضي عن بيضهِ بالسّواهمِ ؟[6]

ومن حاملٌ عنّي الغَداةَ غرامَهُ ؟ ... وقد كنتُ نهّاضًا بثِقلِ المغارمِ ؟

فيابيضَ بيضَ الرّأسِ هل ليَ عَوْدَةٌ ... إلى السُّودِ من أغيارِكُنّ الفواحمِ ؟[7]

تنازحن بالبيضِ الطّوالعِ شُرَّدًا ... كما شرّدَ الإصباحُ أحلامَ نائمِ[8]

---

(١) الأداهم : جمع الأدهم وهو القيد .

(٢) الضراعة : الذلة والخضوع، وفي الشهاب بعد هذا البيت الآتي وهو غير موجود في الأصل

وكانتْ تغيرُ الأغبياء نضارتي ... فأصبحت نَدْمانَ الغيورِ المُعارِمِ

(٣) في الأصل «حادث» بدل «جاذب» تصحيف ، والشكائم : جمع الشكيمة وهي الأنفة وأصلها الحديدة المعترضة في فم الفرس، وهي من اللجام. ويقال فلان شديد الشكيمة: أي أنوف صعب القياد

(٤) في (الشهاب) «رأس» بدل «رأسي» ، ونغض رأسه : حركه كالمتعجب .

(٥) الحيزوم : الصدر ، واللهاذم : جمع اللهذم وهو السيف القاطع .

(٦) السواهم : المتغيرات .

(٧) الفواحم : السوداوات .

(٨) تنازحن : تباعدن .

وياجبرَ رأسى هــل إلى ليلةِ المُنى ... سبيلٌ وكرّاتِ المواضى القواضمِ ؟
ليالِىَ أفدى بالنفوسِ وأرتدى ... من البيضِ إسعافاً ببيضِ المعاصمِ
فإنْ كان فقدانى الشبيبةَ لازماً ... فحزنى عليها الدّهرَ ضربةُ لازمِ
وإنْ لم يكنْ نوْحى بشافٍ وأدمعى ... فدمعُ الحيا كافٍ ونوحُ الحمائمِ [1]

* * *

وقال يفخر ويفنن بأنواع الفخر :

خلِّ عنها منيحةَ للّئـــــامِ ... وأسلْ عمّا يُسيلُ سُحْبَ الملامِ [2]
وتعلّمْ كلَّ الذى أنت محتــا ... جٌ إليه فى هــــذه الأيّامِ
أين أخطِى صوابَها والتّجاربُ ... جُنومٌ خلفى ومن قدّامى
ببيانٍ بسرى برأيٍ مُصيبٍ ... كالسُّرى بالمصباحِ فى الإظلامِ
خُلِقَ المرءُ ناقصاً وهو يُدمِى ... أظهرَ العيسِ فى ابتغاءِ التّمامِ
من رأى اللهُ أن ينوط به الحا ... جَ فليس الغِنى له بمَرامِ [3]
ومُعنًّى بسدِّ طُرْقِ المنايا ... وهو ملقًى على طريقِ الحمامِ
قد مضى باطلى وأقشع عنّى ... وتجلّتْ جهــالتى وعُرامى [4]
وتنـاسيتُ ما تقولُ لِىَ الشِّـــرّةُ والشيبُ لامعٌ فى ظلامِى
فعدولِى عن الهوى وصُدوفى ... وعكوفى على النُّهى ومُقـامى
وأطعتُ النّصيحَ من بعدأنْ كُنْـ ... ـتُ على النُّصحِ خالعاً لِلجامى

---

(١) الحيا (بالقصر) : المطر .

(٢) المنيحة : الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها فهى كالعارية .

(٣) ينوط : يعلق ، والحاج : الحاجة .

(٤) العرام : الشدة والصرامة .

وتجافيتُ طائعاً مَسْرَحَ اللّهْـ وِ ومجنَى المُنَى ومحيَى اللّئـامِ

وأعدْتُ العُفاةَ بالجـاهِ والمـا لِ يجرّون بُردَةَ الإنعـامِ [1]

وتعلّمتُ أنّمـا زَوْرَةُ الآ مالِ فينـا كزَوْرَةِ الأحلامِ

ومُقامى من الخـلائف فى يو مِ اجتماعِ الوفود خيرُ مُقامِ

ما لغيرى مثلُ الذى لِىَ منهمْ من صنوفِ الإعظامِ والإكرامِ

لم يزالوا ولن يزالوا مُشيدِيـ نَ محلّى ومُجزِلى أقسامى

ومُهيبين بى وقد عَنَتِ الشُّو رَى إلى الرّأى فى الأمورِ الجسامِ

وإذا ماحكمتُ فى الأمر سدّوا طُرُقاتِ الخروجِ عن أحكامى

ويَعافون كلَّ وِرْدٍ به الرِّىُّ إذا كان لا يَبُلُّ أُوامى [2]

ويردّون سَرْحَهُمْ عن جميع الـ قاعِ ما لم يكن به أنعامى [3]

وتُخَلّى أكفُّهمْ مُحْصَداتِ الـشَّـرِّ ما لم يكن بهنّ اعتصـامى

ملكوا رِبْقَتى لِما سيّروهُ من لُصوقٍ بودّهمْ والتزامى [4]

فلهمْ إنْ عفوتُ يوماً عن الذنـ ـبِ ومن أجلهمْ يكونُ انتقامى

وإليهمْ إذا تحيّزَ أقوا مٌ بقومٍ تحيُّزى وانضمامى

وتخصّصتُ بالملوكِ يلبُّو نَ ندائى ويسمعون كلامى

وإذا ما ذممتُ يوماً عليهمْ فى عظيمٍ أمضَوْا هناك ذِمامى

ومتى أعضلَتْ خُطوبٌ صِعابٌ أو وَهَى للملوكِ سِلْكُ نظـامِ

جعلونى دليلَهمْ فى ضَلالٍ مُوقَدٍ أو صباحَهمْ فى ظلامِ

---

(١) العفاة : جمع العافى وهو السائل وطالب المعروف .

(٢) الأوام : شدة العطش .

(٣) السرح : الحيوانات السارحة ، والقاع : الأرض المستوية المطمئنة ، والأنعام : البهائم .

(٤) الربقة : الحلقة تربق أى تربط بها الشاة وغيرها ، وملك ربقته : من عليه وتفضل .

كم كفيتُ الكُلومَ بالكَلِمِ الغُرِّ وحدَّ السُّيوفِ بالأقلامِ (١)

قدرأَوْا يومَ هيَّجوا ملكَ البَصْرَةِ كَفِّى له عن الإقدامِ

بعد أنْ أزمعَ اللقاءَ وأهوى لاقتناصِ الطُّلى هَوِىَّ القَطامى (٢)

وتراءتْ للنّاسِ شنعاءُ صَماءُ تجوبُ الدُّجى بغير خِطامِ

قلّدونى إصلاحَها ورَمَوْا بى طلبَ السِّلمِ فى صعابِ المرامى

فتلافيتُ دَرْأَها باعتدالى ودعمتُ أعوجاجها بدِعامى (٣)

وأعدتُ الصفاءَ من بعد أنْ كان «مسوقاً» من قبضةِ الُسْتامِ (٤)

كيف يبغى شأوى وقد ملك الفوتَ عَثورُ الخطا قصيرُ المَرامِ؟ (٥)

وغبىٌّ يَخالُ وهو ورائى أنّه من فضيلةٍ مِن أمامى

ليس ذنبى عليه غيرَ زيادا تى عليه ونقصُه عن تمامى

قد خصمتُ الذين مدّوا إلى الفخرِ طماحاً بقطعِ كلِّ خصامِ

لم يُصبنِى بالسُّوءِ رامٍ وكم أصْمَى وأرْدى بما يَعابُ الرّامى

غُرِستْ فى ذُرا الفخارِ أصولى وفروعى خُضْرُ الغصونِ نوامِ

فَدَعُوا للشّجاعِ مَطْواهُ فى الوادى وخلّوا العرينَ للضِّرْغامِ

فلَئِنْ غرّكمْ صُموتى فكم صِلٍّ فَلاةٍ يَهُبُّ بعد مَنامِ

ليس بينى وبين أوّلِ قومى غيرُ بَرٍّ أوْ مُرْسَلٍ أو إمامِ

أوْ عظيمٍ مؤهَّلٍ لخطوبٍ شامساتٍ أوْحادثاتٍ عِظامِ (٦)

بحُلومٍ مثلِ الصُّخورِ رِزانٍ ووجوهٍ مثلَ البُدورِ تَمامِ

---

(١) الكلوم : الجروح .

(٢) الطلى : الرقاب مفردها الطلية ، والقطامى : الصقر .

(٣) الدرء : الدفع .

(٤) « مسوقاً » كذا ورد فى الأصل ولعلها « مروقاً » أى خارجاً ، أو « مسوماً »

(٥) الشأو : الغاية

(٦) الشامسات : الشدائد الصعاب

أرِجِي الذِّكرِ طيِّبِي النَّشرِ بسّا ... مين من كلِّ باسلٍ بسّامِ (١)

ليس فيهمْ إلّا الرئيسُ على الأشـ ... ياخ طُرًّا والسِّنُّ سِنُّ الغلامِ

خَلَفوا الغيثَ في المحولِ وكانوا ... في البرايا الأرواحَ في الأجسامِ (٢)

وإذا ما الدِّماءُ سِلْنَ وأطرا ... فُ العوالي هَمَتْ بموتٍ زُؤامِ

وهبوا العيشَ للمماتِ وآبوا ... بأنوفٍ شُمٍّ عن الإرغامِ

وتسلَّوْا والمرضُ أملسُ لم يُذْ ... مَ بقرفٍ عن الجلودِ الدَّوامي (٣)

وأبى طعنُهمْ سوى ثُغرةِ النحْـ ... رِ وضربُ السُّيوفِ غيرَ الهامِ (٤)

وإذا ما قرنتَهمْ بسواهمْ ... بان ما بين تَلْعةٍ وشمامِ (٥)

كان أولاي غائصاً مكرعُ الفقـ ... ـهِ سحيقَ المدا وبحرُ الكلامِ (٦)

ومعانٍ شَحَطْن لُطفاً عن الأفـ ... ـهامِ قرّبتُها من الأفهامِ

ودقيقٍ أبرزتُهُ بجليلٍ ... وحلالٍ أبنْتُهُ من حرامِ

كم لَدودٍ خصمتُهُ بجدالٍ ... فكأنّي كَمَمْتُهُ بكِمامِ (٧)

وعنودٍ هديتُهُ بعد أنْ كا ... نَ شروداً عن سُنّةِ الإسلامِ

وطويلِ اللّسانِ صُبَّتْ عليه ... بمقالي غمائمُ الإفحامِ

وبنثري والنَّظمِ سارتْ إلى الآ ... فاقِ شوسٌ يَمُدُّنَ فضلَ زمامِ

قد بلغتُ الذي أردتُ وجاوز ... تُ طويلاً تمنّيَ الأقوامِ

---

(١) الأرج : العطر ، والأرج : (بفتحتين) : توهج رائحة الطيب .

(٢) الغيث : المطر

(٣) القرف : إزالة قشرة القرحة عن الجرح .

(٤) الهام : الرءوس .

(٥) التلعة : الأرض المرتفعة ، وشمام : جبل

(٦) المكرع : المشرب ، والسحيق : البعيد الموز .

(٧) الكمام : مايشد به فم البعير.

ما أبالي - وقد رأيتُ بنفسي ما ترجّت منّي - بُدورَ حِمامي [1]
وإذا كنتُ في يَفاعٍ من العِـــزِّ منيفٍ على ذُرا الأحلامِ
وتعرّتْ مآزري وذُيولي من عيوبٍ مذمومةٍ وأثامِ
فحياةٌ كميتةٍ ورحيلٌ إنْ تدانى وشيكُهُ كمُقامِ

☆☆☆

وقال مجيباً من اعتذر إليه من تقصير وقع منه في خدمته :

ربّ ذنبٍ يضيق عن مَسرَح العُذ رِ وجانٍ لاصفحَ عن إجرامِهْ
وحقيقٍ باللومِ أخرَسَني الدَّه رَ زماناً فلم أفُهْ بملامِــــهْ
وشتيتِ الظّنونِ يحذر كلّ الـــحِذْرِ من خلفِهِ ومن قُدّامِهْ
لم يَبِنْ لِي إقبالُهُ من تولّيـ ـهِ ولم أدرِ بُرْأَه من سَقامِهْ
كلّما ساءني بفعلٍ قبيحٍ جاءني منه سرّني بكلامِهْ

☆☆☆

وقال يذكر جدّه الحسين عليه السلام ومن قتل معه :

يادارُ دارَ الصُّوّمِ القُوَّمِ كيف خلا أُفقُكِ من أنجُمِ ؟
عهدي بهـــا يرتع سُكّانُها في ظلِّ عيشٍ بينهـــا أنعَمِ
لم يُصبحوا فيها ولم يغبُقوا إلّا بكأسَيْ خَمْرَةِ الأنعُمِ [2]
بكيتُها من أدمُعٍ لو أبَتْ بكيتُها واقعةً من دمِ
وعُجتُ فيها راثياً أهلَها سَواهِمَ الأوصالِ والمَلْطَمِ [3]

---

(١) البدور : الإسراع والتعجيل .
(٢) الاصطباح : هو الشرب صباحاً ، والاغتباق : الشرب ليلا ، والأنعم : موضع .
(٣) السواهم : جمع الساهم والساهمة ، وهو المتغير اللون ، والأوصال : الأعضاء .

نَحَلْنَ حتّى حَالَهنَّ السُّرى بعضَ بقايا شَطَنٍ مُبْرَمِ (١)

لم يدعِ الإسْآدُ هاماتِها إلّا سقيطاتٍ على المَنْسِمِ (٢)

ياصاحبي يوم أزالَ الجوى لحيَ بخدَّىَّ عن الأعظُمِ

« داويتَ » ما أنت به عالمٌ وداٰنِيَ المعضلُ لم تعلمِ (٣)

واستُ فيما أنا صبٌّ به ، مَنْ قَرَنَ السالِيَ بالمُغرَمِ ؟

وَجْدِي بغير الظَّعنِ سيّارةً من مَخْرِمٍ ناءٍ إلى مَخْرِمِ (٤)

ولا بلفّاءَ هضيمِ الحشا ولا بذاتِ الجيدِ والمِعْصَمِ (٥)

فأسمعْ زفيري عند ذكرا الأُلىٰ بالطَّفِّ بين الذِّئبِ والقَشْعَمِ (٦)

طَرْحَى فإمّا مُقعَصٌ بالقَنا أو سائلُ النَّفسِ على مِخْذَمِ (٧)

نَثْرٌ كدُرٍّ بَدَدٍ مُهْمَلٌ لغفلةِ السِّلكِ فلم يُنْظَمِ

كأنّما الغَبراءُ مَرْمِيَّةٌ مِن قِبَلِ الخضراءِ بالأنجُمِ (٨)

دُعُوا فجاءوا كِرَاماً منهمُ كم غرَّ قوماً قَسَمُ المُقسِمِ

حتّى رأوْها اخْرَيات الدُّجى طوالعاً من رَهَجٍ أقتَمِ (٩)

كأنّهمْ بالضُّمَّ مطرورةٌ لمنجد الأرض على مُتهِمِ (١٠)

---

(١) السرى : السير ليلا ، والشطن : الحبل .

(٢) الإسآد : السير ليلا بلا استراحة ، والهامات الرءوس والمنسم : خف البعير .

(٣) فى الأصل « واريت » تصحيف « داويت » .

(٤) المخرم : منقطع أنف الجبل ، والمخارم : أفواه الفجاج ، والنائى : البعيد .

(٥) اللفا : من النساء الملتفة الربلات ، والربلة : باطن الفخذ ، والجيد : العنق .

(٦) الطف : شاطىء النهر وصار علماً على كربلاء المشرفة بدماء الشهداء الذين قتلوا مع سيدنا الحسين بن على عليهم صلوات الله جميعا ، والقشعم : النسر .

(٧) المقعص : الذى أصابته ضربة أو طعنة فمات مكانه ، والمخذم : السيف القاطع .

(٨) الغبراء : الأرض ، والخضراء : السماء .

(٩) الرهج : الغبار الثائر ، والأقتم : الأسود .

(١٠) كذا ورد البيت فى الأصل ، والظاهر تحريفه ، ولعل الشطر الأول محرف عن « كأنها بالضمر مطرودة » والوصف للخيل بدليل البيت التالى لهذا : والضمر والهزال ، والتضمير : ترويض الخيل لتخف أجسامها ، والمنجد : داخل نجد أو مرتقى الأرض المرتفعة ، والمتهم : داخل تهامة .

وفوقها كلُّ مَغيظِ الحشا ... مُستكحِلِ الطرْفِ بلونِ الدَّمِ

كأنه من حَنَقٍ أجدَلٌ ... أرشده الحِرْصُ إلى مَطعَمِ (١)

فاستقبلوا الطعنَ إلى فتيةٍ ... خُوّاضِ بحرِ الحذَرِ المُفعَمِ

من كلِّ نهّاضٍ بثِقلِ الأذى ... موكَّلِ الكاهلِ بالمُعظَمِ (٢)

ماضٍ إما أمَّ فلو جاد في الـ ... ـهيجاء بالحَوْباء لم يندَمِ (٣)

وكالفٍ بالحربِ لو أنه ... أُطعِمَ يومَ السِّلْمِ لم يطعَمِ (٤)

مثلِ السيفِ ومن دونِه ... عِرْضٌ صحيحُ الحدِّ لم يُثْلَمِ

فلم يزالوا يُكرعون الظُّبا ... بين تراقي الفارسِ المُعلَمِ (٥)

فمُثخَنٌ يحملُ شهّاقةً ... تحكي لراءٍ فُغْرَةَ الأعلَمِ (٦)

كأنما الوَرْسُ بها سائلٌ ... أو انبتَتْ من قُضُبِ العَندَمِ (٧)

ومُستزَلٌّ بالقنا عن قَرا ... عَبْلِ الشَّوَى أو عن مَطا أدهَمِ (٨)

لو لم يكيدوهم بها كيدةً ... لانقلبوا بالخِزْيِ والمَرْغَمِ

فاقتُضِبَتْ بالبِيضِ أرواحُهم ... في ظلِّ ذاك العارضِ الأسحَمِ (٩)

مصيبةٌ سِيقَتْ إلى أحمدٍ ... ورَهْطِه في الملأ الأعظمِ (١٠)

---

(١) الحنق : شدة الغيظ ، والأجدل : الصقر .

(٢) الكاهل : أعلى الظهر مما يلي الكتفين .

(٣) الحوباء : النفس .

(٤) الكالف : العاشق والمولع بالشيء .

(٥) يكرعون : يدنون ، والتراقي : جمع الترقوة وهي أعلى الصدر حيث يترقى النفس . وقيل هي العظم بين ثغرة النحر والعاتق ، والفارس المعلم : البين الذي عليه سمة الحرب أو علامتها .

(٦) المثخن : الذي أثخنته الجراحات ، والشهاقة : الرمح التي تحمل الطعنة، لها صوت كالشهيق ، والفغرة : الفتحة ، والأعلم : الذي شقت شفته العليا .

(٧) الورس : نبت كالزعفران وقيل هو ، والعندم : صبغة شجر البقم، وقيل دم الأخوين وهو صمغ ذلك الشجر .

(٨) القرا : الظهر ، والعبل: الضخم ، والشوى : الأعضاء ، والمطا : الظهر ، والأدهم: الأسود.

(٩) العارض : السحاب المعترض ، والأسحم : الأسود ، يريد بذلك غبار الحرب .

(١٠) رهط الرجل : قومه .

رُزْءٌ ولا كالرُّزْءِ من قبلِهِ ومؤلِمٌ ناهيك من مؤلِمِ
ورميةٌ أصمتْ ولكنّها مُصمِيةٌ من ساعدٍ أجْذَمِ (١)

قلْ لبنى حربٍ ومَنْ جمّعوا من جائرٍ عن رُشْدِهِ أوْعَمِ
وكلُّ عانٍ فى إسارِ الهوى يُحسب يَقظانَ من النُوّمِ
لا تحسبوها حُلْوةً إنها أَمَرُّ فى الحلقِ من العَلْقمِ
صرّعَهمْ أنّهمُ أقدموا كم فُدِىَ المُحْجِمُ بالمُقدِمِ
هل فيكمُ إلّا أخو سَوْءةٍ مُجرَّحُ الجلْدِ من اللُّوَّمِ
إنْ خاف فقراً لم يجُدْ بالنّدى أوهاب وَشْكَ الموتِ لم يُقْدِمِ
ياآلَ ياسينَ ومَنْ حُبُّهمْ مَنْهجُ ذاك السَّنَنِ الأقومِ (٢)
مهابطُ الأملاكِ أبياتُهمْ ومُستقَرُّ المنْزَلِ المُحكَمِ (٣)
فأنتمُ حُجّةُ ربِّ الورَى على فصيحِ النّطقِ أو أعجمِ
وأين ؟ إلّا فيكمُ قُرْبةٌ إلى الإلهِ الخالقِ المُنعمِ
والله لا أخليتُ من ذكركمْ نَظْمِى ونثرى ومَرامِى فمى
كلّا ولا أغْبَبْتُ أعداءكمْ من كَلِمِى طَوْراً ومن أسْهُمِى (٤)
ولا رُئِى يومَ مصابٍ لكمْ مُنكشفاً فى مشهدٍ مَبْسِمِى
فإنْ أغِبْ عن نصركمْ برهةً بمُرْهَفاتٍ لم أغبْ بالفمِ
صلّى عليكمْ ربُّكمْ وارتَوَتْ قبورُكمْ من مُسبِلٍ مُثْجِمِ (٥)

---

(١) أصمت : رمت فأصابت ، والأجذم : الأقطع .

(٢) السنن (بالتحريك) : الطريق .

(٣) المنزل المحكم : هو القرآن الكريم .

(٤) أغببت : من الإغباب وهو ترك الشىء فترة ، ومنه : زرغباً تزدد حبا ، أى بين حين وآخر .

(٥) المطر المثجم : الكثير ، يقال : أثجمت السماء أياماً ثم أثجمت : أى كثر مطرها ثم أقلعت .

مُقَعْقَعٍ تَخْجِلُ أصواتُهُ أصواتَ لَيْثِ الغابةِ المُرْزِمِ (١)
وكيف أستحقِّ لكُمْ رحمةً وأنتمُ الرَّحمةُ للمجرمِ ؟

☆☆☆

وقال فى العتاب :

غُررْتُ بما أظهرتموه وليس لى بدائكمُ تحت الأضالعِ من عِلْمِ
وما كنتُ أخشى أنْ ذنباً جنيتُمُ يَضيق به ذَرْعى مَدا الدّهرِ أوْ حِلْمِى
ولا أنّنى أُدْهى من الأمنِ غافلاً ويكْلِمُنى من كنتُ آسو به كَلْمى (٢)
ومن عَجَبٍ أنّ السِّهامَ تصيبنى من القوم ما فَوَّقْتُ نحوَهمُ سهمى (٣)
وإنّىَ أقضى كلَّ يومٍ وليلةٍ فأقربُ إبقاءً وأُرمى فلا أرْمِى
فلا تطمعوا أنْ تظلمونى فإنّنى بعيدٌ متى حاولتُمُ عن يد الظلْمِ
فلا تطلبوا حربى فإنّ غَبينَةً طِلابُ أمرئٍ حربى وفى كفِّه سِلْمِى (٤)
وإنْ كنتُ مغروراً بكمْ بعد هذه فلا تقبلوا عذرى ولا تغفروا جُرمى
وما الذّنبُ إلّا للزّمان الذى رمى صَميمِى بكمْ كُرْهاً وصيَّركُمْ قِسْمِى

☆☆☆

وقال فى الطيف :

وزائرٍ مازار إلّا فى سوادِ الظُّلَمِ
جاد ولم يدرِ بما جاد ولمّا يعلمِ

---

(١) المرزم : المصوت من الإرزام وهو صوت والأسد .
(٢) يكلمنى : يجرحنى ، وآسو : أداوى . والكلم : الجرح .
(٣) فوق السهم : سدده .
(٤) الغبينة . الخديعة .

وَمتّعَ القلبَ من الـ خيرِ بمـا لم يَدُمِ
باتَ الكرى يشفعُ لى فى نيلِ تلكَ النِّعَمِ
عطيّــةٌ ما طُلبتْ ومِنّــةٌ لم تُرَمِ
لاعيبَ إلّا أنّهـا زيارةٌ فى الحُلُمِ

* * *

وقال فيه أيضاً :

خادَعتنِي بزيارةِ الحُلُمِ وظلمتَ لمّا جئتَ فى الظُّلَمِ
وعددتُها جهلاً بموقعِها من جملةِ الإحسانِ والنِّعَمِ
وظننتُ أنّكَ طاردٌ سَقَمـاً فجلبتَ لى سُقماً على سَقَمِى
وَصْلٌ بغيرِ رِضًى ولا لِهوًى وعطيّـةٌ ليستْ من الكَرَمِ
كذبٌ وما شكرٌ على كَذِبٍ ماصحَّ فى فِكرٍ ولا كَلِمِ
وودِدتُ من مَقتى مخادعتى أنّ الرُّقادَ جفـا فلم أنَمِ
قالوا أمَا استمتعتَ قلتُ لهمْ هل متعـةٌ لفتًى من العَدَمِ ؟
ما الطّيفُ إلّا كالسّرابِ ولا رِىٌّ بغيرِ البارِدِ الشَّبِمِ (١)

* * *

وقال فى الحماسة :

ولمّا التقينا والقلوبُ مَهيجـةٌ وأيمانُنا مشغولةٌ بالقوائِمِ
جعلنا القنا فيهمْ مكانَ ضلوعِهمْ وحدَّ الظُّبا منهمْ مكانَ العمائِمِ

---

(١) الشبم : البارد .

وأقدَمَتِ النَّصْرَ البعيدَ سيوفُنا ... وقد كان لولا سلُّها غيرَ قادِمِ
وعُدنا كما شئنـــا تَمَتَّرُ خيلُنــا ... عقيبَ التَّلاقى بالطُّلَىٰ والجماجِمِ (١)

* * *

وقال فى التوكل على الله تعالى :

لا تخشَ من غائلةٍ فُوِّضَتْ ... إلى الإلٰهِ القادرِ العـــالِمِ
ونَمْ إذا شئتَ فإنّ الذى ... يرعاك فيهـــا ليس بالنّائمِ
كم ذا وَقَى اللهُ بألطـــافِهِ ... شرَّ غَشُومٍ مُجمِعٍ عازمِ
وكم أزال اللهُ من ظالمٍ ... وأنصفَ القاعدَ من قائمِ

* * *

وقال فى الطيف : (٢)

ضنَّ عنّى بالنَّزْرِ إذْ أنا يقظا ... نُ وأعطىٰ قليلَه فى « مَنامى » (٣)
زَوْرَةٌ عاجَلَتْ وما هى إلاّ الزّ ... ورُ سُقماً مُبرِّحاً من « سَقام » (٤)
والتقينا كما اشتهينا ولا عيـ ... ـبَ سوى أنّ ذاكَ فى الأحلامِ
وإذا كانتِ المُلاقاةُ ليلاً ... فاللّيالى خـــيرٌ من الأيّامِ
وبلغتُ « المرامَ » آيسَ ما كُنـــتُ على النّأىِ من بلوغِ المَرامِ (٥)

* * *

---

(١) الطلى : الرقاب ، واحدتها : الطلية .
(٢) وردت هذه القطعة فى طيف الخيال (ص ١٠٩) .
(٣) فى الأصل « منام » بدل « منامى » .
(٤) فى « الطيف » « سقامى » بدل « سقام » .
(٥) فى الأصل « المراد » بدل « المرام » ، والنأى : البعد .

وقال يهنئ ركن الدين جلال الدولة فى ظفره بالبصرة وذلك فى « سنة ٤٢١ » :

كذا تُكشفُ الغَمّاء بعد ظلامِها — وتبرأ أوطانُ العُلا من سَقامِها
وتُغمدُ بيضُ الهندِ من بعد فَجْعِها — جُسومَ الكُماة المُصْلِتين بِهامِها
وتُركَزُ سمر الهندِ من بعد خَرْقِها — نُحورَ العِدا طعناً وفَضِّ ختامِها
وتُضحي رياضُ الحَزْنِ خُضْراً أريضةً — وقد رُويتْ كما اشتهتْ مِن غمامِها(١)
ويضحك وجهُ الخَطْبِ بعد عُبوسِه — وتخمدُ نارُ الحربِ بعد اضطرامِها
فيارُكْنَ دينِ الله والعروةُ التى — كُفينا بصُنْعِ اللهِ شَرَّ انفصامِها
هنيئاً بها من نعمةٍ فاتتِ المُنى — فلم يَبْقَ للآمالِ غيرُ دوامِها
وما قادَها من بعد أنْ أعيَتِ الورى — إليك سوى ربُّ الورى من خِطامِها
فلم تكُ إلاّ عَزْمةً منك فى التُّقى — كفَتْك من الأيامِ سوءَ اعتزامِها
دعوتَ لها مَن لا يخيبُ دعاؤُهُ — فأرعاك منها مِنْ أجَلِّ مَسامِها
فكان ضميناً بعدها بدُنُوِّها — وكان كفيلاً صَدْعِها بالتئامِها
ومازلتُ أرجوها ومنتظراً لها — كمنتظرٍ من حاملٍ لتمامِها
وبشّرني ظنّى بها قبل كونها — وأظهرها لِى فى زمانِ اكتتامِها
وكنتَ إذا ما حادثاتٌ تعرّضَتْ — رأيتَ جَلاها من خِلالِ قَتامِها(٢)
فكفكَفْتَ منها قبل حين طلوعها — وروّأْتَ فيها قبلَ وَشْكِ انهجامِها(٣)
فإنْ كنتَ قد قاسيتَ منها عظيمةً — فإنّ العظيمَ مُبتَلًى بعظامِها
فإنْ أجرمتْ فيك اللّيالِي فقد أتتْ — على تَجَلٍ منها بمحوِ اجترامِها

(١) الحزن (بفتح الحاء) : ما غلظ من الأرض .
(٢) جلاها : انكشافها ، والقتام : الغبار .
(٣) روأ فى الأمر : تروى ولم يعجل .

وقد وادَعَتْنا اليومَ فاغفر لها الذى ... مضى من تجنّيها وفَرْطِ عُرامِها [1]

وداوتْ جروحاً من يديها رغيبةً ... وعَفّتْ ندوباً من ندوبِ عِذامِها [2]

ووقّرتَها بعد الجنونِ وقد ثوَتْ ... خَبوطاً عَثوراً خُفّها بزمامِها

فباهِيَ لا تُقذَى بشيء من القَذَى ... ولا يستطيع الدّهرُ حلَّ نظامِها

حتى يتقيه المُقدِمون وخِطّـــةً ... أبَتْ لمُغـــيرٍ ثُلّةً من سَوامِها [3]

فيابُعْدَ مَرْمَى ليلها من صباحها ... ويابُعْدَ مَرْمَى نَبعها من ثُمامِها [4]

وعَمّتَ أملاكَ الورَى إنْ تعلّوا ... لدى نكْبةٍ أنْ يخلصوا من مَذامِها

وإنْ يشتروا فى ساحةِ العِزِّ رُتبةً ... تجاذبُها الأيدى بحكمِ استيامِها

ومغرورةٍ بالسِّلْمِ حنّتْ إلى الوغى ... فلم تمشِ إلاّ فى طريق اصطلامِها

رَمَتْك فلمّا لم تُصِبْك تناكصتْ ... مُخَيَّبَةً مجروحةً بسهامِها [5]

ولمّا رأتْ منك الصّريمةَ أبدلَتْ ... على مَضَضٍ إقدامَها بانهزامِها [6]

فروّيتَ ظمآنَ الثّرَى من دمائها ... وأشبعتَ ذُؤبانَ الفضا من عظامِها

وما برِحتْ حتّى أدرْتَ وما دَرَتْ ... كؤوسَ رَداها لا كؤوس مُدامِها

ولمّا تركتَ السّيفَ فيهمْ وحُكْمَه ... جعلتَ بُكاها فى مكان ابتسامِها

عصابةُ بَغْيٍ بوعِدَتْ عن حلومها ... فلم تدرِ جهلاً شيخَها من غلامِها

---

(١) التجنى : ادعاء الجناية على الغير ، والعرام : الشدة والشراسة .

(٢) الرغيبة : الواسعة الفوهاء، وعفت : محت ، والندوب : ما بقى من آثار الجراح بعد البرء ، والعذام : العض .

(٣) الخِطة (بالكسر) : الأرض التى تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك ، والثلة (بالضم) : الجماعة من الناس أو الأنعام ، (وبالكسر) : الهلكة ، وبالفتح : واحدة الثل وهو الهدم، وامل الأصل « شلة » بالشين وهى واحدة الشل : وهو الطرد ، والسوام : الإبل السائمة أى الراعية .

(٤) الثمام : نبت ضعيف .

(٥) تناكصت : تراجعت .

(٦) الصريمة : القضيمة .

أقامتْ على دار العُقوقِ فلم ترِمْ ... وما رَدَّدَتْ إلاَّ طويلَ ملامِها [1]
ولمّا رأتْك مُقبـــلاً حار فَهْمُها ... وأشْكَلَ فيها رُمحُها من حسامِها
وطاح الذى غُرَّتْ به من وساوسٍ ... وصارتْ كحُلْمٍ أبصرتْ فى منامِها
هُمُ ثوّروها فتنةً لم تفِدْهُمُ ... سوى حزْمِهِمْ أوصالَها وانتقامِها
وقد نَـكَّروها جُهْدَهمْ فعرفتَها ... وقد طلعتْ من قبلِ حَطِّ لثامِها
وهمْ أوقدوها جَهْلَةً بمآلها ... فما احترقوا إلاَّ بشبِّ ضِرامِها
وهمْ زعزعوها وارتَجَوْا لذّةَ الجنى ... فلم يجتنوها اليومَ غـــيرَ حِمامِها
نَثَرْتَهمُ ضرباً وطعناً بقفرةٍ ... كأنَّهُمُ بالعين بعضُ رَغامِها [2]
وزدتَ وقد طَرَّحْتَهمْ حِزَقاً بها ... بطُرْقِ المنايا فى عِدادِ إكامِها [3]
ولم تكُ إلاَّ مثلَ قَبْسَةِ قابسٍ ... ونُغْبَةِ كُدْرٍ ماارتَوَتْ من أُوامِها [4]
وكان تَوَلِّيها عقيبَ مجيئها ... وكان الرَّضاعُ فى جِوارِ فطامِها
وأنت على مَمْروقةٍ عنـــد شدِّها ... كذئبِ الفلا أوْ شِدَّةً كسِلامِها [5]
تُخال وقد هزَّ المَراحُ كَليلَها ... نجومُ الثُّرَيّا حِلْيَةً للجامِها [6]
كأنّك منها فوقها أوْ كراكبٍ ... من الشُّمِّ أعلى هَضْبَةٍ من شَمامِها [7]
فكفّاكَ فى تصريفها كعِنانِها ... ورِجْلاك فى إمساكِها كحِزامِها

---

(١) لم ترم : لم تفارق .
(٢) الرغام : التراب .
(٣) الحزق : الجماعات ، والإكام : كالهضاب زنة ومعنى .
(٤) القابس : آخذ النار ، والنغبة (بالضم) : كالجرعة زنة ومعنى ، والكدر : الذى فى لونه كدرة ، والأوام : شدة العطش .
(٥) الممروقة : المهزولة ، وشدها : حملتها ، والسلام (بالكسر) : الحجارة .
(٦) المراح : الموضع يراح منه وإليه .
(٧) شمام : اسم جبل .

تدوس بك القتلى وقد ملأوا الثرى بغير توقيها وغير احتشامها
فخذها كما أعطاك ربك دولة حباك بما تهوى بدار مقامها
مجددة ما للخطوب مفرج عليها ولا إلمامة من لمامها
ورام العدا أن يستلبوك ثيابها وقد حالت الأقدار دون مرامها
وأن ينزلوك عن قراها كأنهم بما فعلوا عالوك فوق سنامها[1]
فلا طرقتها للحوادث طرقة ولا عبثت أيدى الردى بانثلامها
ولا زلت محبوا بها كل ليلة محيا على طول المدا بسلامها

* * *

وقال فى العتب :

عذيرى من القوم الذين أراهم مدى الدهر لا يهوون منى سوى ظلمى
هم كلموا جسمى ولم يك عندهم بأن كلومى ليس ياقوم من جسمى[2]
ولولا احتقارى هم عدى لرميتهم ولكننى فيهم أغار على سهمى
وقد خبرونى كل يوم وليلة فما أنكروا منى ولا كرهوا طعمى

* * *

(١) القرا : الظهر .
(٢) كلموا : جرحوا ، والكلوم : الجروح .

باب الميم المسكنة

وقال يمدح فخر الملك :

زارك زَوّارُ الحُلُمْ ... مسلماً بذى سَلَمْ (١)
فى ليلةٍ ظلماؤها ... حالكةٌ من الظُّلَمْ
كأنها إثمِدَةٌ ... أوْ صَلْدَةٌ من الفَحَمْ (٢)
جاء وِسادى عائداً ... فلم أبِنْ من السَّقَمْ
والرَّكبُ فى ظلِّ نَقًى ... لو زَعزعوه لأنهدمْ (٣)
كأنما مَرُّ الصَّبا ... رَقَّشَ فيه بقَلَمْ
فى فِتْيَةٍ جابوا الدُّجى ... إلى الضُّحى جُوبَ الأُدُمْ (٤)
عارِين من كلِّ قَذًى ... كاسين من صَفْوِ الشِّيَمْ
توسّدوا أذرُعَهم ... من الكَلالِ والسَّأمْ
وأفترشوا من الكَرى ... على الثَّرى تلك اللِّمَمْ (٥)
من سَبْسَبٍ خافى الصُّوى ... لا إرَمٌ ولا عَلَمْ (٦)
مَن عاذِرى وأين لِى ... من عاذرٍ - فيما يَلُمْ ؟
يُؤلمنى جزاءُ ما ... داويتُه من الألَمْ

(١) ذو سلم : موضع .
(٢) الإثمدة : الواحدة من الإثمد وهو الكحل الأسود .
(٣) النق : الكثيب من الرمل
(٤) جابوا : طافوا ، والأدم : من الإبل التى شربت جلودها بحمرة .
(٥) اللمم : جمع اللمة (بالكسر) : وهى شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
(٦) السبسب : القفر ، والصوى : جمع الصوة وهى الحجارة تنصب فى المفازة ليستدل بها على الطريق كالعلامة ، والإرم : مثلها إلا أنها حجارة مجمعة ، والعلم : العلامة والجبل .

وإنْ غفرتُ جُرمَــهُ أعاد ما كان جَرَمْ

يَبْغِى سقاطى والذى يريده أعيــا الأُمَمْ

ويرتجى أنَّى فى الـ ـنّاسِ كما كان زَعَمْ

متىٰ أُرِدْ شيئــاً أبى أوْ قلتُ: لا؛ قال: نَعَمْ

عن الفتىٰ سَلْ فعلَهُ ودَعْ أُصولًا وجِذَمْ (١)

ما ينفع المرءَ بلا نَحيزةٍ خالٌ وعَمْ (٢)

ومن يَدَىْ كلِّ امرئٍ يصيبهُ حَمْــدٌ وذَمْ

لا خيرَ فى مبتــذَلٍ يصغر فى يومِ العِظَمْ

هان فلا قَدْرٌ له مثلُ لفيظٍ من عَجَمْ (٣)

يُغضِبُهُ إنْ لِيمَ فى سيئةٍ ولم أَلَمْ

وإننى رِمْتُ عن الـ فحشاء وهْوَ لم يَرِمْ (٤)

عدٍّ عن القومِ همْ مَنٌّ ولم يُسْدُوا نِعَمْ

ضلّوا عن الخيرِ كما ضلَّ شَرودٌ عن لَقَمْ (٥)

وعن مكانٍ لم يُقِمْ غيرُك فيــه لا تُقِمْ

إنّ لفخرِ الملك عِنْـ ـدى نِعَماً فُقْنَ النِّعَمْ

جِئْنَ غِزاراً خفّــلًا يَفضَحْنَ فى السَّحِّ الدِّيَمْ (٦)

ما سرّنى وكنّ لى بأنّ لى حُمْرَ النَّعَمْ

---

(١) الجذم : جمع الجذم وهو الأصل .

(٢) النحيزة : الطبيعة

(٣) العجم : النوى مفرده ؛ العجمة (بالتحريك) .

(٤) رمت : فارقت ، ولم يرم : لم يفارق .

(٥) اللقم (بالفتح والضم) : وسط الطريق .

(٦) الحفل : الممتلئات المحتشدات .

أنت الذى أوْلَيتَني ... من العُلا مالم أرُمْ
وكنتُ عنها غافلاً ... وقاعـــداً لو لم تُقِمْ
فالآن يمشي قدمي ... بحيثُ لم تمشِ قَدَمْ
والآن أُثني مُعلنـــاً ... بـكلِّ غرّاء البُهَمْ (١)
يسمعهـا مَن بينـــه ... وبينها كلُّ صَمَمْ
من ذا يُعاليني وقدْ ... ساندني الصَّخرُ الأصَمّْ ؟
مَتقيـاً لفخرِ الملكِ مِنْ ... مُغتفـــرٍ ومنتقمْ
ومَن أطاعتْ أمرَه ... عُرْبُ الفيـافي والعَجَمْ
كم ذا على أرجائِهِ ... زَمَّ أُنوفًا وخَزَمْ (٢)
وكم على رِفقٍ به ... قوّضَ بيتًا وهَدَمْ
وهو كما شاء له ... ذاكَ النِّجارُ والـكَرَمْ (٣)
قد قلتُ للقومِ وقد ... غُرّوا بطولِ ما كَظَمْ
حِذارِ من خافي السُّرى ... أسرى بجُنْحٍ من ظُلَمْ
كالصِّلِّ إذْ همَّ مَضى ... واللَّيثِ إنْ ضَمَّ عَذَمْ (٤)
والبحرِ إنْ زاد طَمى ... والغيثِ إنْ جاد سَجَمْ
وموقفٍ ضَنْكِ الخُطـا ... ملآنَ من لَحمٍ ودَمْ
يُذَمّ مَن عفَّ كما ... يُحمَـدُ فيـه مَن ظَلَمْ
كأنّمـــا القومُ به ... من قاقي على ضَرَمْ (٥)

---

(١) البهم : الظلمات .

(٢) الأرجاء : النواحي ، وزم البعير : جعل له زماماً ، وخزم : ثقب ، والبعير جعل في خنابته الخزامة ، وخزم أنف فلان : أي أذله .

(٣) النجار : الأصل .

(٤) عذم : عض .

(٥) الضرم : الحطب المشتعل ، وفي الأصل « صرم » .

حَضَرْتَهُ بهجةٍ أوْفَتْ على كلِّ الهِمَمْ
وأنتَ طَلْقٌ باسِمٌ في لاتَ حينَ مُبْتَسَمْ
تُشْبِعُ فيه بالقَنا مَن زاره مِنَ الرَّخَمْ
إنِّيَ عَضْبٌ باتِرٌ فاْستلِّنِي في كلِّ هَمّْ
والسِّرُّ عندى راهنٌ أكْتُمهُ عمَّن كَتَمْ
وإنْ ألَمَّ حادثٌ فإنّنِي لِما أَلَمْ
سِيّانِ عندى في هوًى ترومُهُ بَرٌّ وَيَمْ
وأيُّ خطبٍ مُعضِلٍ ضرّم ناراً فاْضطرمْ
وانقبضتْ عنه الخُطا واقفةً لمّا أدْلَهَمْ
فاْجعلْ عِيانى دونَهُ لسدٍّ مامنه انثَلَمْ
فإنّنِى من بينهمْ فرّاجُ هاتيك الغُمَمْ
ولا تَعُجْ في خُطّةٍ عن ناصحٍ بِمُتّهَمْ
واْجدَعْ أنوفاً رَغَمَتْ من كلِّ ذى أنفٍ رَغَمْ (١)
ودُمْ على شكر الذى خوّلك اللهُ يَدُمْ
والمِهْرَجانُ مُخبِرٌ أنّ لك العُمرَ الأتَمّْ (٢)
تبقى لأمثالٍ له في نِعَمٍ لاتنثلِمْ
لابُدِّلَ العِزُّ الذى أُولِيتَه ولا انصرَمْ (٣)
وبابُك المعمورُ لا عُطِّلَ من وَفْدِ الخَدَمْ

---

(١) اجدع: اقطع .
(٢) المهرجان: من أعياد الفرس ، ومعناه: فرحة الروح .
(٣) انصرم : انقطع .

وعشتَ ما شئتَ لنا لا عَدَمٌ ولا هَرَمْ

* * *

وقال في البرق :

ضرّم قلبي فاضطرمْ في أفقهِ ذاكَ الضَّرَمْ
كأنّه نجمٌ هوى أو عَلَمٌ على عَلَمْ [1]
يخفق في جُنحِ الدّجى مُضَوّئاً تلك الظُّلَمْ
يقول مَن يُبصِرهُ : مَنْ ضرّج الأفقَ بِدَمْ ؟
كأنّما خالطَهُ مَسٌّ جُنونٍ أوْ لَمَمْ [2]
شككتُ لمّا لمْ تقفْ حالٌ له على قَدَمْ
وخلتُ من رَيْبِي به أنّي أراهُ في الحُلُمْ
كأنّه ذو بُخُلٍ يقول لا بعد نَعَمْ
أو جَسَدٌ مُرَدَّدٌ بين العوافي والسَّقَمْ
فالليلُ مُبْيَضٌّ به وقبلَه كان الأحَمْ [3]
كان بهيماً فانثنى منه أغرَّ ذا رَثَمْ [4]
عجبتُ والليلُ على قُطوبه كيف ابتَسَمْ ؟
زار ولمْ يَجرِ له ذِكْرٌ ولمْ يَدْعُ بِفَمْ

---

(١) العلم : الراية ، والجبل .
(٢) اللمم : الجنون .
(٣) الأحم : من الحمة وهى السواد .
(٤) البهيم : الأسود ، والرثم : البياض .

مَا نامَ عنّي وَمْضُهُ طولَ الدُّجى ولم أَنَمْ

أَذكرني إِيماضُــــهُ عيشاً تقضّى وانْصَرَمْ

وفِتْيَةً مُفَهَّقَةً صدورُهمْ من الهِمَمْ (١)

من نِعَمٍ مخلوقةٌ أَيديهمُ ومن نِقَمْ

ما فيهمُ إِلاّ فتًى ممتلئٌ من الكَرَمْ

كم قد سرى في كَرَمٍ فما اشتكى من السَّأَمْ

وكم علا في سُؤدُدٍ ظهرَ ثَبيرٍ وإِضَمْ (٢)

إِذا ادَّعى ماشاء من فضيلةٍ فما ظَلَمْ

* * *

وقال في البرق أيضاً :

أقول لصحبي وقد هوّموا أَصُبحٌ بدا لكُمُ أمْ ضَرَمْ ؟ (٣)

أضاء الظّلامَ ولم يَدْنُهِ صباحٌ وأنّى تضيء الظُّلَمْ ؟

بُريقٌ يؤرّقني بالعقيـ قِ ولو لم يَلُحْ لَمْعُهُ لم أَنَمْ

كأنّ تخاطيطَه في السّوا دِ تخاطيطُ وارسةٍ أو عَنَمْ (٤)

كأنّ الرّياحَ شَنَنَّ النُّضا رَ وإمّا نَضَحْنَ سماهُ بدَمْ (٥)

---

(١) مفهقة : ممتلئة .

(٢) ثبير وإضم : جبلان .

(٣) هوموا : هزوا رءوسهم من النعاس ، والضرم : الحطب المشتعل .

(٤) الوارسة : المصبوغة بالورس ، وهو نبت كالزعفران له صبغة صفراء ، والعنم : شجر له ثمر أحمر .

(٥) شنن : صببن وفرقن ، والنضار : الذهب ، وفي الأصل «سنن» مصحفة ، ونضحن : رششن .

أوِ الصّبحُ يقلِصُ ظلَّ الظّلا م أو النّارُ ساريةٌ فى فَحَمْ
وإمّا جوادٌ بهيمٌ بَدَتْ لمُبصِرهِ غُرّةٌ أو رَثَمْ [1]
فياحبّذا ومَضُـــهُ لو أرا كَ ـ وأنتَ بيَبْرِين ـ أهلَ العَلَمْ [2]
أُناساً يدارون سُقْمَ السّقيـــمِ ومن أجلِهمْ دَبَّ ذاك السَّقَمْ
وكم ضيمَ وسْطَ مغانيهمُ فتًى قبل حبّهمُ لم يُضَمْ
ولا خيرَ فى بارقٍ لم يكنْ رسولَ الحيا وبشيرَ الدِّيَمْ [3]

* * *

(١) الغرة : البياض فى جبهة الفرس ، والرثم : بياض فى جحفلة الفرس العليا .
(٢) يبرين : قرية بحذاء الأحساء بديار بنى سعد .
(٣) الحيا : المطر .

قافِيَة النّون

باب النون المضمومة

قال يمدح الملك السعيد بهاء الدولة ويهنئه بالمهرجان الواقع فى صفر سنة إحدى وأربعمائة [1]:

يا صاحِ ليس لسرٍّ منك كِتمانُ ... فى «الودِّ والودُّ» لا يدرى له شانُ [2]

وللغرام – وإنْ بِتْنا نُكتِّمُه – ... عن أعينِ النّاس – آياتٌ وعُنوانُ

وقد تبيّن ما بى الرَّكْبُ حين بَدَتْ ... لنا من الشِّعْب أقمارٌ وأغصانُ

حلّوا القلوبَ وما كانتْ لهم وَطَنًا ... إنَّ القلوب لِما تهواه أوطانُ

إنّ الذين على وَدّانَ دارُهُمُ ... فيهمْ ضنينٌ بما نهواه خَوّانُ [3]

إذا سألناه مَنّانا وماطَلَنا ... وراح وهْوَ بأنْ مَنّاكَ منّانُ

وإنْ شكوتُ إليه الحبَّ أعطِفُهُ ... إلى المحبّةِ ولّى وهو غضبانُ

بَدْرٌ حُرِمنا المُنى منه «ويُرْزَقُها» ... وإنما الحبُّ أرزاقٌ وحِرْمانُ [4]

كأنّهمْ بعد ما بانوا وحبُّهُمُ ... مخيِّمٌ فى سواد القلبِ ما بانوا

هلْ أنتَ ياقلبُ صاحٍ عن لقائهمُ ... أمْ فيك ياقلبُ إنْ سُلّيتَ سُلْوانُ ؟

فالحبُّ عندهمُ بُغضٌ ومَقلِيَةٌ ... والصّدقُ بينهمُ زورٌ وبُهتانُ [5]

---

(١) جاء فى (طيف الخيال ، ص ٨١) الشطر الأول من مطلعها وثلاثة أبيات منها .

(٢) فى (هـ) « فى الواد والواد » بدل « فى الود والود » .

(٣) ودان : قرية قرب الأبواء بين مكة والمدينة شرفهما الله تعالى ، والضنين : البخيل .

(٤) فى الأصل « وليرزقنا » والظاهر تحريفها عما أثبتناه .

(٥) المقلية : البغض .

يُقَادُ نحوَكمُ قلبي ويجذبني ... إليكمُ معَ بُعدِ الدارِ أشطانُ (١)
وماالبليّةُ إلا أنني كَلِفٌ ... بفارغٍ وفؤادى منه ملآنُ
نبكى ومن قبلُ ماكنّا يُرَوِّعُنا ... داعى الفراقِ ولاتجرى لنا شانُ (٢)
كأنّ أعيُنَنا تجرى لبَيْنِهِمُ ... دَوْحٌ يُزعزِعُهُ فى الطَّلِّ شَفّانُ (٣)
ياقاتَلَ اللهُ مَن بالرّملِ ودّعنا ... فهنّ للقلبِ أشجاءٌ وأشجانُ
لمّا بسمْنَ لنا أبدين عن شَنَبٍ ... مُمَنَّعٍ ليس يُروى منه ظمآنُ (٤)
«كالبدْرِ إذْ شَفّ» عنأنوارِهِ سَدَفٌ ... والدرّ أبرَزَهُ للعينِ أكنانُ (٥)
ماذا على زائرى ليلاً على سِنَةٍ ... لوْزارَ صُبحاًوطرفُ العينِيقظانُ! (٦)
زيارةُ الطّيفِ ضَرْبٌ من قطيعتهِ ... ووصلُ مَن لاتراه العينُ هِجْرانُ
وليس ينفعنى والبعدُ أعلمُهُ ... قربٌ أتانى به ظنٌّ وحسبانُ
ياراكبَ العِرمِسِ الوجناءِ فى غَلَسٍ ... تَنْجابُ عنمَرِّهامَرْوٌ وصَوّانُ (٧)
قلْ للذى حلّ أرْجاناً فشرّفها ... إنّ المُنىَوالغِنىَفىالأرضِ أرْجانُ (٨)
حيثُ الثرىخَضِلُ الأكنافِترفَعُفى ... يفاعِهِ لقِرَى الأضيافِ نيرانُ (٩)

---

(١) الأشطان : جمع الشطن (بالتحريك) ، الحبل .
(٢) الشأن : مجرى الدمع من العين وحذفت الهمزة للتسهيل .
(٣) الدوح : الشجر ، والطل : المطر الخفيف ، والشفان : الريح .
(٤) الشنب : عذوبة الثغر أو برد مائه .
(٥) فى (ﻫ) « كالصبح » بدل « كالبدر » وفى (س) « إن شق » بدل « إذ شف » ، السدف (بالتحريك) : الظلمة ، والأكنان : جمع السكن (بالكسر) وهو الستر .
(٦) السنة : أول النوم أو الخفيف منه .
(٧) العرمس : الناقة الصلبة ، والوجناء : مثلها ، والغلس : الظلمة ، وتنجاب : تنكشف ، والمرو والصوان : أحجار صلبة .
(٨) أرجان : بلدة بفارس .
(٩) الخضل : المبتل ، والأكناف : النواحى ، وفى الأصول « بقاعه » بالباء بدل « يفاعه » بالياء المثناة ، واليفاع : ماارتفع من الأرض .

نارٌ يُهانُ ذكيُّ المندلىّ بها ... ويُوقَدُ العنبرُ المندىُّ والبانُ (١)

للهِ دَرُّكَ من قاضٍ لنا عِـــدَةً ... ألوى بها من لئيمِ القومِ ليّانُ (٢)

معجّلِ الخيلِ والهيجاء ضاحيةٌ ... عن أنْ تُناط بها لُجُمٌ وأرسانُ

من كلِّ هوجاء كالسِّرْحان عاديةٍ ... كأنّما مسّها فى الرَّوْعِ شيطانُ (٣)

واليومَ ترجفُ بالأبطالِ ساحتُهُ ... كأنّه ثَمِلُ الأوصالِ نشْوانُ (٤)

أنتَ الذى إنْ رآه الخلقُ من أمَمٍ ... فللثّرى أنُفٌ منهمْ وأذْقانُ (٥)

لغيرك الجهرُ منهمْ دون سِرِّهِمُ ... ويستوى فيك إسرارٌ وإعلانُ

ما أذعنوا لك حتّى كنتَ فذَّهمُ ... وللفضائلِ إنـكارٌ وإذْعانُ

قد جرّبوكَ خلالَ الأمرِ يحفِزُهُمْ ... فما هَفَوْتَ وأرسى منك ثَهْلانُ (٦)

وعاينوا منك إقداماً على خَطَرٍ ... إنّ الملوكَ على الأهوال شجعانُ

كم نلتُ منك الرِّضا عفواً بلا تعبٍ ... وكم أتانِيَ من جَدْواكَ إحسانُ

كرّمتنِي فملـكتَ الرِّقَّ من عُنُقى ... إنّ الـكراماتِ للأحرار أثمانُ

بنِي بُوَيْهٍ أدام اللهُ مُلْـكَـكُمُ ... ولا يزلْ فيكمُ عزٌّ وسلطانُ

ولا خلا وَطَنٌ منكمْ ولا عَطَنٌ ... فإنّ أعطانكمْ للجودِ أعطانُ (٧)

لم « يَألَفِ الملكُ » إلّا فى بيوتِكمُ ... حَلَلْتُمُ دارَه والنّاسُ جيرانُ (٨)

---

(١) المندلى : عود البخور .

(٢) ألوى به : ذهب به ، والليان : المماطل .

(٣) السرحان : الذئب .

(٤) الثمل : السكران ، والأوصال : الأعضاء .

(٥) الأمم : القرب .

(٦) أرسى : كرسى أى ثبت ، وثهلان : اسم جبل .

(٧) العطن (بالتحريك) : مبرك الابل ومربض الغنم .

(٨) فى (س) « يألف الدين » وفى (ه) « يؤلف الملك » وما أثبتناه أنسب .

فللترائبِ منكمْ كلّما « نَضرَتْ » وللمفارقِ أطواقٌ وتيجانُ (١)
إنْ جلَّ خَطبٌ فأنتمْ منه لِي وَزَرٌ أوْ آدَ صَعْبٌ فأنتمْ فيه أعوانُ (٢)
و إنْ لقيتُ العِدا يومَ الكفاحِ فلِي من دونهمْ أذرُعٌ منكمْ وأيمانُ
ومعشرٍ جحدوا نعماكَ عندهمُ وغرّهمْ منك للزّلات غفرانُ
أغضيتَ عنهمْ فما ارتابوا وما فطِنوا إنّ التغاضِيَ « إمْلاءٌ » و إهوانُ (٣)
حتّى رأوْكَ مُغِذًّا في مُلَمْلَمَةٍ كالّليلِ في طيّها خيلٌ وفرسانُ (٤)
فأجفلوا كشرارِ الزّندِ تخطفهمْ خَطفَ الأجادِلِ أسيافٌ وخُرصانُ (٥)
فراكبٌ رأسَ جِذْعٍ ليس يبرحُهُ وهاربٌ دونه أُكْمٌ وقيعانُ (٦)
أضحوْا وقد لَزّهمْ منكَ العنيفُ بهمْ كخِرْوَعٍ لَزَّهُ نَبْعٌ وشَرْيانُ (٧)
وقد درَى كلُّ ذي لُبٍّ بأنّهمُ عزّوا وعمّا قليلٍ بالرّدَى هانوا
وطاح ما لَفّقوهُ من أباطِيلِهمْ إزاءَ حقّك إنّ الحقّ عُرْيانُ
والمِهْرَجانُ زمانٌ بالسّعودِ وبالـ نُجْحِ القريبِ إليكَ الدّهرَ عجلانُ
مضى الهجيرُ به عنّا لطيّتِهِ فالظّلُّ مُستَبرَدٌ والجوُّ رَيّانُ
فأنعمْ به وخذِ اللذّاتِ من يده فإنّما هو للذّاتِ إبّانُ
ودمْ لنا لنعيمٍ ما لغايتِه وقتٌ ولا لمزيدٍ منه نقصانُ

* * *

---

(١) الترائب : الصدور أو عظامها ، وفى الأصول « نظرت » ، بدل « نضرت » التى هى من النضارة وهى النضاضة والطراوة .

(٢) الوزر (بفتحتين) : الملجأ ، وآد : أثقل .

(٣) الإملاء : الإمهال ، وفى (س) « إملال » والإهوان : الترفق .

(٤) المغذ : المجد فى السير ، والململمة : الثلة الكثيفة من الجيش .

(٥) أجفلوا : أسرعوا فى الهرب ، والأجادل : جمع الأجدل وهو الصقر ، والخرصان : الرماح .

(٦) الأكم : جمع الأكمة وهى التل أو الرابية .

(٧) لزهم : شدهم وألصقهم ، والخروع : نبت ضعيف معلوم ، والنبع والشريان : نبت تتخذ منه القسى .

وقال فى الأدب :

لاتطلبِ الرّزق فى الدّنيا بمنقصةٍ فالرّزقُ بالذُّلّ خيرٌ منه حِرْمانُ
المالُ يمضى وتبقى بعده أبدا على الفتى منه أوساخٌ وأدْرانُ
ماللفتى فى الغنى من ذِلّةٍ عِوَضٌ وليس فى المال للأعراضِ أثمانُ

* * *

وقال فى الاعتبار ، وذم الزمان ، ورثاء بعض أصحابه :

إساءاتٌ وإحسانٌ وإعطاءٌ وحِرمانُ
ونقضٌ ثمّ إبرامٌ وسِرٌّ ثمّ إعلانُ
فكمْ ذا أيها الدّهـ رُ زياداتٌ ونُقصانُ ؟
ولِمْ أنتَ لمن عاهَد تَ أوْ عاقدتَ خَوّانُ ؟
فلا وصلُك موصولٌ ولا هجرُك هِجرانُ
فمن تكسوه عُريانٌ ومَن تسقيه ظمآنُ
ومَن يرجوك محرومٌ ومن يعروك أسوانُ (١)
ومَنْ تُدْنيهِ أوْ تَهْديـ ـهِ مُقْصَى ثمّ حَيْرانُ (٢)
مضى شِيبٌ إلى الموْ ت كما شاءَ وشُبّانُ
ولمّا يُغنِ أنصارٌ من الموتِ وأعوانُ
ولا جاهٌ ولا مالٌ ولا عِزٌّ وسلطانُ
ولا قومٌ لهمْ فى قُلّةِ العلياءِ بُنيانُ

(١) أسوان وأسيان : حزنان .
(٢) المقصى : البعد .

وما يبقى من النّا   سِ على الأيّامِ إنسانُ

ألا أين بهاليلٌ   عهدناهمْ وغرّانُ ؟ (1)

غُزاةٌ من لباسِ العا   رِ ما خانوا ولا مانوا (2)

رءوسٌ وجميعُ النّا   سِ أجسادٌ وأبدانُ

لهمْ في أزماتِ « العُسْرِ » إطعامٌ وضِيفانُ (3)

وأوطانُهُمُ للجو   دِ والإنعامِ أوطانُ

قضى كسرى وقد سِيـ   قَ إلى الأجداثِ خاقانُ (4)

ولم يبقَ لنا عَدنا   نُ في باقٍ وقحطانُ

وطاحتْ عنهمُ بالمو   تِ أطواقٌ وتيجانُ

وأحراسٌ وآناسٌ   وولدانٌ وندمانُ

وأفراسٌ لهنَّ الشُّمْـ   ـرُ في الهيجاء أرسانُ

وسُمْرٌ من سَبايا الخَـطِّ تعلوهنَّ خُرصانُ (5)

وأسيافٌ لهنَّ الْها   مُ أغمادٌ وأجفانُ

وزوراءُ لغيرِ الثُّكْـ   ـلِ بالأهاينِ مِرْنانُ (6)

فقلْ يا صاحبَ الإيوا   نِ : لم يُنجِك إيوانُ (7)

---

(1) البهاليل : جمع البهلول (بالضم) ، وهو السيد الجامع لكل خير ، والغران : الأشراف واحدها . الأغر .

(2) مانوا : كذبوا .

(3) في الأصل « القر » بدل « العسر » والقر : برد الشتاء ولعل القر مصحفة عن العر بفتح العين : الشدة وبضمها الجرب وما ضمناه أنسب وإلى الأصل أقرب .

(4) الأجداث : القبور ؛ مفردها . الجدث (بفتحتين) .

(5) الخط:(بالفتح والكسر):مرفأ في البحرين تنبت إليه الرماح الخطية، والخرصان: الرمح.

(6) الزوراء : القوس ، والثكل : الموت ، ومرنان : ذات رنين .

(7) صاحب الإيوان : يعني كسرى الفارسي .

ومَن بات على غُمدا   نَ : ماذا ردّ غُمدانُ ؟[1]
وقد خفّ الأُلى كا   نَ لهمْ كالخِيسِ خفّانُ[2]
وزالتْ نعمٌ غُودِرْ   نَ يحويهنّ نَعمانُ[3]
وقد ذلّ وقد كا   نَ محلّ العزّ نجرانُ
ألا إنّ ذوى الأموا   لِ للوُرّاثِ خُزّانُ
تعامَينا وكلّ النّا   س فى ذى الدّار عُميانُ
ونودينا ولـكنْ أيـ   ـن أسماعٌ وآذانُ ؟
فكمْ ذا نبتغى الرِّبْـ   ـحَ و بعضُ الرّبح خُسرانُ
وما ننجو وباغينا   سريعُ الخطوِ غرثانُ
ولا خُلْدَ وطرْفُ المو   تِ للأحياء يقظانُ
وفى دارِ الأُلى كانوا   وبادوا نحن سُكّانُ
أتانى والفتى يأتيـ   ـه همٌّ وهوَ جذلانُ
نعىٌّ أنا من جرّا   هُ بالأحزانِ ملآنُ
كأنّى خَبَلاً منـه   ـومابى السُّكْرُ سكرانُ
ذوى غصنٌ من الأصحا   بِ والأصحابُ أغصانُ
ولم يُغنِ الذى يُغنيـ   ـهِ أهلونَ وإخوانُ
وإنْ تمضى ففى قلبى   عليك الدّهرَ نيرانُ
وإنْ بنتَ فما أنتَ   كقومٍ بالرّدى بانوا
وإن سُلّيتُ ما عندى   لمثلِ عنك سُلوانُ

(١) غمدان : قصر باليمن .
(٢) الخيس (بالكسر) : غابة الأسد ، وخفان : موضع قرب الكوفة أشب بالغياض كثير الأسود .
(٣) نعمان : حصن وواد وقيل غير ذلك .

ولى من بعد فقدانيك للسرّاء فقدانُ
وما للقلبِ أفراحٌ ولا للغمضِ أجفانُ
سقى قبرك هطّالٌ من الأنواء هتّانُ (١)
له فى الصّبحِ والإمسا ءِ إرزامٌ وإرْنانُ (٢)
ولا زالَ به رَوْحٌ تلقّاه وريحانُ
وغفرانٌ عن الإجرا مِ إنْ كانتْ ورضوانُ
فقد كنتَ من القوْ مِ لهمْ بالله إيمانُ
وإيقانٌ إذا شكّ أُولو الشكّ وإذعانُ
وقد واليْتَ مَن فى عَرْ صةِ البعثِ لهمْ شانُ
وإنعامٌ على المَوْلى إذا شاءوا وإحسانُ
فكن يوم نشور الخلْ قِ فيهمْ حيثما كانوا

* * *

وقال يرثى أحد العلويين :

صبراً ففى الصّبر الجميـ لِ يهون فينا ما يهونُ
لا تجزعنَّ لكائنٍ ماضٍ وخذْ ما لا يكونُ
ودعِ الحنينَ فإنّه ما ردّ مُفتَقَداً حنينُ
وأترك لنا قَرْعَ الجبيـ نِ فما جنى شيئاً جبينُ
وإذا التفتَّ إلى الذى خلّتْ لنا منك المَنونُ
وإلى أبيك فإنّهُ جبلٌ لنا أبداً حصينُ

---

(١) الأنواء: الأمطار وأصلها سقوط النجوم المثمرة بنزول المطر ومفردها النوء ، والهتان: المنصب.
(٢) الإرزام : الصوت ، والإرنان : مثله .

فالعزمُ غُنْمٌ واصلٌ وخشونةُ الأيّامِ لِينُ
مضتِ الشّمالُ و بقِيَتْ رِفقاً بنـا منك اليمينُ
وذوى لنا غُصنٌ و با قٍ منك للدّنيا غُصونُ
فلَئِنْ ظمئنا بالفقيـ ـدِ فعندنا العذْبُ المَعينُ(١)
ولَئِنْ مضى ليثٌ لنـا فاللّيثُ باقٍ والعرينُ
قَرَّتْ عيونٌ إنْ بقيـ ـتَ لنا و إنْ ذَرَفَتْ عيونُ
أنتمْ لنا دارُ المُقا مِ وأنتمُ الحبلُ المتينُ
ولنـا كما شئنـا بعقوَ ةِ دارِكُمْ دُنيا ودينُ(٢)
أنتمْ هداةٌ فى الظّلا مِ وأنتمُ الحقُّ المبينُ
أنتمْ سيوفٌ فى الحوا دِثِ لاتلمُّ بها القُيونُ(٣)
وإذا أنتُـدِيتمْ فالنّدىّ لـكُم هو البلدُ الأمينُ
والمَوْقفـانِ وزَمْزَمٌ والحِجْرُ والحَجَرُ المَصونُ
من ذا ترى عَفَتِ النّوا ئبُ عنه والزّمنُ الخؤونُ؟
داءُ المنيّـةِ معضلٌ ماتتْ بحسرتِهِ القُرونُ
لم ينجُ منه لاجوا دٌ فى الرّجالِ ولاضَنينُ(٤)
ومحبّةُ الدّنيا وهذى مِنْ جنـايتهـا جنونُ
ياأيّهـا الذُّخرُ النّفيـ ـسُ سلمتَ والكنزُ الثمينُ
وأبنَ الذى شابتْ ولم تَرَ مثلَ دولتِهِ القرونُ

---

(١) المعين : الماء الجارى .
(٢) العقوة : ما حول الدار .
(٣) القيون : جمع القين وهو الحداد .
(٤) الضنين : البخيل .

سامَ الأقاصى والأدا ني واحداً لا يستعينُ
بدِّلْ بحزنك غيرَه فلربّما نَدِمَ الحزينُ
واتركْ مراعاة اليقيـ ن فربّما ضرّ اليقينُ
فالعيشُ ليس تُطيبُهُ إلّا أمانٍ أو ظنونُ
صلّى الإلهُ على الذى قَرِحَتْ لمصرعِهِ الجفونُ
حلَّ الترابَ وما له إلّاكَ شِبْهٌ أو قرينْ
وسقى جوانبَ قبرِهِ وَطْفاءُ هَيْدَبُها هَتونُ (١)
تَهْمِى عليه فإنْ رَقَتْ خَفَقَتْ بِعبرتِها الشُّؤونُ (٢)

✿ ✿ ✿

وقال رضى الله عنه [فى الأدب] :

يظنّ رجالٌ بى ظنوناً شنيئةً وكم أخففتْ ممّن يظنّ ظنونُ
ويلقوْنني بالبِشْرِ منهمْ ودونه حُقودٌ وغِلٌّ فى الصُّدور دفينُ
فإنْ غرتُ فى تفتيشِ مَن أستعينهُ فما هو إلّا مَن علىَّ يُعينُ
وإنّ امرأً يُمسى ويُصبح آمِناً من النّاسِ مَعْ تجريبهمْ لَغَبينُ

✿ ✿ ✿

وقال فى النسيب :

رماكَ فأصماكَ امرؤٌ لم تكن له رَمِيًّا ولم يخطرْ ببالك شانُهُ
ولو أنّنى حاذرتُهُ لكَفيتُهُ وكم آمِنٍ جانٍ عليه أمانُهُ

---

(١) الوطفاء : من السحاب التى تدلت ذيولها لكثرة مائها ، والهيدب : ذيل السحاب المتدلى ، والهتون : المنصب .

(٢) رقت : رقأت ، ورقأ الدمع : جف وحذفت الهمزة للخفة ، والشؤون : مجارى الدمع .

فإنْ ساءنی منــه الغداةَ مَغيبُهُ ... لقد سرّنی منه طویلاً غِیابُهُ
وإنْ كنتُ مكلوماً بعقدِ ضميره ... فإنّ شفــاء ما يقول لســانُهُ
ولَلموتُ خيرٌ للفتیٰ من مذلّةٍ ... تنمُّ عليـه أوْ هَوانٌ يُهــانُهُ
وإنْ كنتُ يوماً تائباً عن مودّةِ الـ ... رّجالِ فهذا وَقْتُهُ وأوانُهُ

* * *

وقال فيه أيضاً :

وحَلَلْتِ من قلبی وأنتِ بخيلةٌ ... مالا يحلُّ به الجوادُ المحسنُ
وسكنتِ مّمنْ كلُّ جارحةٍ له ... شوقاً إليكِ وصَبْوَةً لاتسكنُ
وأسَرْتِنِی وأنا الطَّليقُ وطالما ... أسَرَ الهویٰ وقتَلْتِ مَنْ لا يُفتَنُ
وأردتِ كتمانَ الهوی فـكتَمْتُهُ ... والدّمع يُبدی ما أُسرُّ وأُعلِنُ
وحَبَسْتِ فی الشّكوی لساناً واحداً ... ولم تـكنْ لِی بالشّـكايةِ ألْسُنُ

* * *

وقال فی الغزل :

لعمرُكَ إنّنی فارقتُ نجـداً ... وقلبی مُودَعٌ فيهـا رهينُ
ومالِی بعــد فُرقةِ أهْلِ نجدٍ ... قِرًی إلاّ نحيبٌ أوْ أنينُ
وعينٌ جفَّ منها الدّمعُ حتّی ... أحاذِرُ أنْ نجودَ بها الشّؤونُ(١)
جفاها غمضُها فـكأنّ عينـاً ... لنـا بعــد الفِراقِ ولا جُفونُ
فياليتَ الصّبــابةَ يومَ ولوْا ... ضُحًی خفّتْ كما خفَّ القطينُ(٢)

---

(١) الشؤون : مجاری الدمع
(٢) القطين : المقيم المتوطن .

وَلَيْتَهمُ وحسبي ذاكَ منهمْ   دَرَوْا أنّى لفرقتهمْ حَزينُ
أُحبُّكمُ وبيتِ اللهِ حتّى   يُقالَ به ـ وماصدقوا ـ جُنونُ
وكم أنكرتُ حبّكمُ فنادَى   به دمعٌ يبوح به هتونُ
وأعظمُ ما يُلاقيهِ قرينٌ   وأشجَى ؛ أنْ يفارقه قرينُ
وكم لكمُ بقلبي من غرامٍ   يؤرّقني إذا هدتِ العيونُ
أُلجلجُ كلّما سوئلتُ عنه   كما وَرّى عن البذلِ الضّنينُ (١)
فلا أنا مُعرِضٌ عنه صَموتٌ   ولا أنَا مُعرِبٌ عنه مبينُ
أرُوناه وضعَ الإنصافِ منكمْ   فقد جاءتْ عن المَطْلِ الدّيونُ
ولا تُبدوا صريحَ المنعِ منكمْ   فيُغنينا عن الخبرِ اليقينُ

٭ ٭ ٭

[وقال يذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام] (٢)

يا آلَ خيرِ عبادِ اللهِ كلّهمُ   «ومَن لهمْ فوق» أعناقِ الورى مِنَنُ (٣)
كم تُشْقَون بأيدى النّاسِ كلّهمُ   وكم تُعرِّسُ فيكمْ دهرَها المِحَنُ؟ (٤)
وكم يذودُكمُ عن حقّكمْ حَنِقاً   مُمَلَّأُ الصّدْرِ بالأحقادِ مُضْطغِنُ
إنّ الذين نَضَوْا عنكمْ تُراثَكمُ   لم يَغْبِنوكمْ ولكنْ دينَهمْ غَبَنوا (٥)
باعوا الجِنانَ بدارٍ لابقاءَ لها   وليس للهِ فيما باعه ثَمنُ

---

(١) ورى : غطى ، ومنه التورية ، وهى اصطلاحاً : الإتيان بلفظ له معنيان قريب وبعيد فيراد البعيد منهما ويورى عنه بالقريب ، والضنين : البخيل .

(٢) هذه القطعة أوردها ابن شهر آشوب فى المناقب (ج ٤ ص ٥٨ و ٥٩) ولم توجد فى أصول الديوان .

(٣) فى المناقب « ولم له بك » بدل « ومن لهم فوق » والظاهر تحريف الأولة وما وضعناه يتسق مع البيت والمعنى .

(٤) تعرس : تقيم من التعريس وهو نزول المسافر للاستراحة .

(٥) نضوا : نزعوا .

أحِبُّكُمْ والذى صلّى الجميعُ له   عند البناءِ الذى تُهدَى له البُدُنُ (١)
وأرْتجيكمْ لما بعد المماتِ إذا   وارى عن النّاس جَمْعاً أعظُمٌ جُبُنُ
وإنْ يَضِلَّ أناسٌ عن سبيلهِمُ   فليس لِى غيرُ ما أنتمْ به سَنَنُ (٢)
وما أُبالِى إذا ما كنتمُ وَضَحاً   لناظِرَىَّ ، أضاء الخلقُ أم دَجَنوا (٣)
وأنتمُ يومَ أرمِى ساعدى ويدى   وأنتمُ يوم يرمينى العِدا الجُنَنُ (٤)

***

---

(١) البدن : جمع البدنة (بفتحتين) وهى الناقة المسمنة تهدى للبيت المحرم .
(٢) السنن (بالتحريك) : الطريق .
(٣) الوضح (بالتحريك) : الضياء ، ودجنوا : أظلموا من الدجنة وهى الظلمة .
(٤) الجنن . الدروع ومفردها الجنة (بضم الجيم وتشديد النون) .

باب النون المفتوحة

قال عند (منصرفه) من الحج يذكر أحوال طريقه

ويحمد (ما اتفق) فيه (من) صحبة الوزير (أبي علي ؛ فقد كانا اجتمعا في تلك السنة على الحج ولم يفترقا طول الطريق) : (١)

ماذا على الرِّيمِ لوحيّا «فأحيانا»   وقد مررنا على عُسفانَ رُكبانا ؟ (٢)
وليتَهُ إذْ تحامى أن ينوّلَنا   لم يستردَّ الذى قد كان أعطانا
بل ليتَ ماطِلَنا بخلاً ومانِعَنا   يوماً تشبّه بالمعطى فمنّانا
لا يستفيق يجازينا بلا تِرَةٍ   بالوصلِ هجراً و بالإعطاء حرمانا (٣)
وكيف يأبى مواعيداً نُعلّلُنا   مَن كان يوسعنا مَطْلاً وليّانا ؟ (٤)
عُجنا إليه صدورَ اليَعْمَلاتِ وقدْ   نضا الصّباحُ ثيابَ الليلِ عُريانا (٥)
والرَّكبُ بين صريعٍ بالكَرى ثَمِلٍ   ومائلِ الرّأسِ حتّى خِيلَ نَشْوانا (٦)
محلّقينَ تهادَوْا فى رحالِهِمُ   من بطن مكّةَ أفراداً وأقرانا
حلّوا حقائبهمْ فيها مفرّغةً   واستحقبوا من عطاء الله غفرانا
من بعدما طوّفوا بالبيتِ واعتمروا   « واستلَموا »منه أحجاراً وأركانا (٧)

---

(١) ما حصر بين هلالين ساقط من نسخة (س) .

(٢) فى (ه) « فحيانا » بدل « فأحيانا » تحريف ، وعسفان: من مدن الشام

(٣) الترة : الثأر .

(٤) الليان : من اللى وهو المطل والالتواء فى المواعيد

(٥) اليعملات (بفتح الميم) : جمع اليعملة وهى الناقة الحسنة ، وجاء فى (أدب المرتضى للدكتور عبد الرزاق محيى الدين ص ٢٣٩) تشكيلها بضم الميم وهو خطأ ، ونضا : خلع .

(٦) الكرى : النوم ، والثمل : النشوان وهو السكران .

(٧) جاء فى (أدب المرتضى) « واستلموا » بدل « واستلموا » وهو غير صحيح فالأركان والأحجار المقدسة تستلم لا تستلم : قال الفرزدق فى الإمام زين العابدين عليه السلام :

يكادُ يُمسكه عرفانُ راحتِهِ   ركنَ الحطيمِ إذا ما جاء يستلمُ

وردوا السَّقى بين المَرْوَتين تُقًى ... حيناً عجالاً وفوق الرَّيْثِ أحيانا

وعقّروا بمِنًى من بعـــد حَلْقِهِمُ ... كُومَ المطىِّ مُسِنَّاتٍ « وثُنْيانا » (١)

واستمطروا بعِراص المَوْقفين وقد ... غامتْ عليهمْ سماهُ اللهِ رضوانا

أرضٌ تراها طِوالَ الدَّهرِ مُقفرةً ... والحجُّ يُنبِتُها شيباً وشبّانا

« مُسَلِّبِينَ » كأنَّ البعثَ أعجلَهمْ ... فاستصحبوا من بطونِ الأرضِ أكفانا (٢)

للهِ درُّ اللَّيالى فى مِنًى سَلَفَتْ ... فكم جميلٍ بها الرَّحمان أولانا

خِلنا منازلَنا منها وقد نَزَعَتْ ... كلُّ النزوعِ عن الأوطان أوطانا (٣)

والقاطنين بها والشَّعبُ مفترقٌ ... فينا وفيهم لنا أهـــلاً وإخوانا

وبالمحصَّبِ ظَبْىٌ سلَّ مِعْصَمَـــهُ ... يرمى الجِمارَ فأخطاها وأصمانا

أهدتْ إلينا وما تدرى ملاحتُهُ ... للعينِ بَرْداً وللأحشاء نيرانا

وسائلٍ عن طريقِ الحجِّ قلت له : ... لا يقبل اللهُ إلاّ الصَّعْبَ قُربانا

فهوَ الطَّريقُ إلى سُكنى الجنان فقلْ : ... فيما يُصيِّرنا فى الخلدِ سُكّانا

لمّا ركبناهُ أخرجْنا على « شَغَفٍ » ... من الصُّـــدور أهالينا ودُنيانا (٤)

ثمَّ استوى فيه فى أمنٍ وفى حَـــذَرٍ ... عدلًا من اللهِ أدنانا وأقصانا

فكم لقينـــا عظيماً مرَّ جانبنـــا ... وكم مُنِينـــا بمكروهٍ تخطّانا

وكم رمانا الرَّدى عن قوسِ مَعْطَبَةٍ ... فصدَّه اللهُ أن يُصمِى فأشوانا (٥)

وكم طلبنـــا مَراماً عزَّ مطلبُهُ ... لمّا أنثنينا بيأسٍ عنـــه واتانا

---

(١) الكوم : جمع الأكوم، والكوماء وهى من الإبل الضخمة السنام، والثنيان : جمع الثنى وهو من الإبل ما بلغ السادسة ، وجاء فى « أدب المرتضى » سالف الذكر « نيبانا » تصحيف .

(٢) فى « أدب المرتضى » « مسلين » بدل « مسلبين » تصحيف .

(٣) نزعت : حنت .

(٤) فى (هـ) « شغب » بدل « شغف » كالشغف زنة ومعنى وهو شدة الحب .

(٥) المعطبة : المهلكة ، ويصمى : يصيب ، ويشوى : يخطىء .

ومشمخرِّ الذُّرا تهفو الوُعولُ به تخاله من تمامِ الخَلْقِ بُنيانا
يستحسرُ الطَّرْف عن إدراكِ ذُرْوَتِهِ حتى يكرَّ إلى راميه حيرانا
جُبْناءُ لا تهتدى إلّا بساريةٍ من أنجمِ الليلِ مَسْراها كَسْرانا[1]
ننجو سِراعاً كأنّ البُعدَ غلَّ لنا أو امتطينا بذاك الدَّوِّ ظُلْمانا[2]
إذا دنا الفجرُ منّا قال قائلُنا يا بُعدَ مُصْبحِنا من حيثُ نُمْسانا
والعِيسُ طاويةُ الأحشاءِ ضامرةٌ لولا الرِّحالُ لخلناهنّ أشطانا[3]
إذا أتتْ بلداً عن غِبِّ مَتْلفةٍ رمى بها البلدُ النّائى بلدانا
تهوى بشُمْثٍ شَرَوْا بالأجرِ أنفسهمْ وقلَّ ما أخذوا عنهنّ أثمانا
لمّا دُعُوا من نواحى مكّةَ «أبتدِرُوا» ظهرَ الرّكائبِ إيماناً وإيقانا[4]
بأرضَ نجدٍ سقاكَ اللهُ «مُنبعقاً» من الغمامِ غزيرَ الماءِ ملآنا[5]
إذا تضاحكَ منه البرقُ مُلتَمِعاً فى حافتَيْهِ أرنَّ الرّعدُ إرْنانا
أرضٌ ترى وحشَها الآرامَ مُطفِلةً وفى منابتِها القَيْصُومَ والبانا[6]
وإنْ تُجِلْ فى ثراها طَرْفَ مُختبرٍ لا تلْقَ إلّا حديقاتٍ وغُدرانا
ذكرتُ فيها أعاصيرَ الصِّبا طَرَباً واستأنفتْ لِيَ فى اللّذاتِ رَيْعانا
أيامَ لم تَمْلِ الأيّامُ من غُصُنى ولم يُطِرْ عن شَواتى الشّيبُ غِرْبانا[7]

---

(١) جبناء: طفتاه.
(٢) غل المفازة: يتعدى ويلزم: دخلها وتوسطها، والظلمان: جمع الظليم وهو ذكر النعام.
(٣) العيس: الإبل البيضاء، المذكر: أعيس، والأنثى: عيساء، والأشطان: الحبال، واحدها الشطن (بفتحتين).
(٤) ابتدروا: أسرعوا، وفى (هـ) «ابتدأوا» مصحفة.
(٥) المنبعق: المنبثق، قال رؤبة:

☼ جُودٌ كجَوْدِ الغَيْثِ إذْ تَبَعَّقا ☼ والجود بالفتح: المطر الغزير

وفى (س) «منبعثاً» تصحيف، وفى أدب المرتضى (ص ٢٤٢) «ملتمعاً» منقولة عن الشطر الذى تحت هذا سهواً.
(٦) الآرام: جمع الرئم وهو الظبى الخالص البياض، والقيصوم والبان: شجر.
(٧) الشواة: جلدة الرأس.

أيامَ ترمي الغواني إنْ خطرْتُ وإنْ ... نطقتُ نحوِيَ أحداقاً وآذانا [1]

أيامَ لم تُلفِني إلّا على كَثَبٍ ... من موعدٍ أتقاضاه إذا حانا [2]

أيامَ كان مكاني للصِّبا وَطَناً ... وكان عصرِيَ للذّاتِ إبّانا [3]

أمّا ابنُ حَمْدٍ فقد أوفى بذمّتهِ ... لمّا اصطحَبْنا ولكنْ خان مَن خانا

وما تغيّر لى والقومُ إنْ جَهِدوا ... حالوا وإنْ كرُمُوا فى النّاس ألوانا

ولا قُذيتُ بعَوْراء له مَرَقَتْ ... سِرّاً ودافع عنها النّاسُ إعلانا [4]

ولا تكرّر طَرْفى فى خلائقهِ ... إلّا انثنىٰ غانماً حُسناً وإحسانا

أظما فيوردنى من عذب منطقهِ ... راحاً ومن نفحاتٍ منه ريحانا

كأنّنى منه فى خضراء أوسمها ... نَوْءُ السّماكين تَهْطالاً وتَهْتانا [5]

* * *

وقال وقد سئل أن يعمل فى وزن أبيات المتنبى التى أولها :

نزور دياراً ما نُحِبّ لها مَغْنى ... ونسأل فيها غيرَ سكّانها الإذْنا

نقود إليها الآخذاتِ لنا المَدَى ... عليها الكُماةُ المحسنون بها ظنّا [6]

ونُصْفِى الذى يُكنى أبا الحسنِ الهوىٰ ... ونُرْضِى الذى يُسمّى الإلٰه ولا يُكنى

* * *

فقال وهى من أوائل قوله :

أقول لزيدٍ كفّ كفِّ الخيلَ عَنْوةً ... وإلّا فلا حَمْداً كسبتَ ولا مَنّا

(1) خطر فى مشيته : تبختر .

(2) الكثب : القرب .

(3) إبان الشىء : أوله .

(4) قذيت : من القذى وهو ما يقع فى العين أو يصيبها من قش ونحوه ، والعوراء : الشنعاء والنقيصة ، ومرقت : خرجت .

(5) النوء : المطر ، والسماكان : نجمان أحدهما السماك الأعزل ، والآخر الرامح ، والتهتان : الانصباب .

(6) هذا البيت والذى بعده ساقطان من نسخة (س) .

سُقيتَ الرّدَى إن هبتَ بادرة الرّدى ... وما أنت منّى إنْ جَنَحتَ إلى الأدنى
ألمْ ترَنى والموتُ مُلقٍ جِرانَه ؟ ... أقدّم نفساً ما أساءتْ به ظنّا (١)
وإنّا لنُعطى الشرَّ ما شاء من حِمًى ... وتأبى لنا الحَوباء أن نستر الضِّغنا (٢)
حريّون أن نُعطَى المَقادةَ فى الورَى ... وقد قصّرتْ فى الرّوع كلُّ يدٍ عنّا
طِوالُ القنا ما بين أجفاننا قذًى ... وظِلُّ المنايا «الكالحاتِ» لنا مَغنى (٣)
تخوّفنا أبناء قيسٍ وعيدَهمْ ... ولو أننا نخشى الوعيـــد لما سُدْنا
ولو فهموا عنّا مَقالَ سيوفنا ... لعلّمَهمْ حَوباه أنْ يقرعوا سِنّا
أحقًّا بنى الإحجام ما طار عنكمُ ؟ ... أطرتمْ ورنّى فى ضلوعكمُ اللّدْنا (٤)
وقد كنتمُ أطفأتمُ نارَ حِقدِكمْ ... فإنْ عدتمُ فى شبّ جمرتها عُدنا
لَحا اللهُ مَن يحنو على الضّيم جَنبَهُ ... ولو أنّ عنقَ الرُّمحِ فى جنبه يُحنى
يقولون إنّ الأمنَ فى هجرك الوغَى ... ألا قبّح اللهُ امرأً يبتغى الأمْنا
رعَى اللهُ فِتياناً خِفافاً إلى العُـــلا ... إذا عزموا أمضَوْا ولم يرقبوا إذْنا
إذا ركبوا جُنحاً أشابوا عِذارَه ... وإنْ يمتطوا صُبْحاً أعادوا الضُّحَى وهْنا (٥)
أذالوا على الأيامِ صَوْنَ غرامهمْ ... فلن يُبصروا من غير طلعتها حُسنا (٦)

---

(١) الجران (بالكسر) : مقدم عنق البعير ، وألقى بجرانه أى برك .

(٢) الحوباء : النفس .

(٣) الكالحات : العابسات ، وفى (ﻫ) « الدالجات » بدل « الكالحات » ومعناها الداخلات فى الدج وهى الظلمة ، والادلاج أيضاً : السير ليلا وما وضعناه أقرب إلى الأصل . والمغنى : المنزل .

(٤) اللدن : وصف للرمح اللين .

(٥) الجنح : الظلام ، والعذار : شعر الوجه . والوهن : منتصف الليل ، والطائفة من الليل ، فما أجمل ما جاء به المرتضى من التشبيه فى هذا البيت فقد وصف أنهم إذا ركبوا لشن الغارة ليلا جعلوا ذلك الظلام كالصباح المضىء بلمعان سيوفهم وبريق أسنتهم وعددهم ؟ فيصبح الظلام كالشيب فى العذار واللمام : وهو شعر الرأس ، وإن يركبوا متن الصباح أعادوا ذلك الضياء ظلاماً لكثرة ما يثيرونه من التراب قتاماً .

(٦) أذالوا : نشروا .

ونالتْ بأسرار القلوب ظنونُهمْ كأنّ لهمْ فى كلّ جارحةٍ إذْنا

* * *

وقال فى الغزل : (١)

قل لجافٍ كلّما سِيـ ـمَ وصالاً زاد ضَنّا(٢)
ليته يزداد إحسا ناً كما يزداد حسنا
قد لَبِسنا من جوى حُـبّـك ما أبلى وأضنى
لا أرانا اللهُ فى نفـ ـسك ما أبصرتَ منّا
بلغَ الكاشحُ بالبيـ ـنِ الّذى كان تمنّى
فوحقّ الحبِّ لم يَصْـ ـدُقْك مَن بلّغ عنّا
لو درَى العاذلُ أنّى لم أطِعْه ما تعنّى
لم أدعْ فى العَذْلِ للحُـبِّ على أذْنِيَ إذْنا
أترُى عن حسنِ رأىٍ زارنا طيفُك وَهْنا ؟
لم يفُدْنا ، وطريفٌ خادعٌ يوجِبُ مَنّا
إنّما الطّيفُ كلفظٍ فارغٍ ما فيه مَعْنىً(٣)
كمْ رأينا باطلاً نفّسَ كرْباً مِنْ مُعَنّى !

* * *

وقال يفخر بآبائه عليهم السلام ويذكر مناقبهم (٢) :

ـلا عنّا المنازلَ لِمْ بَلِينا ؟ ولا سَقَمٌ بهنّ ولا هَوِينا

---

(١) جاء فى « طيف الخيال ص ٩١ » أربعة أبيات من هذه القطعة .

(٢) الضن : البخل .

(٣) جاء فى (طيف الخيال) هذا البيت (ص ٧١ و ٩١) .

ولمّا أنْ رأينـا الدّارَ وَحْشاً　　من الآناسِ أمْطَرْنا الجفونا
وقفنا نأخـذُ العبراتِ منّا　　«ونجريهنّ» ماشاءوا وشينا[1]
وقال الفارغون من الغوانى　　وداءُ الحبِّ : إنَّ بنا جُنونا
كأنّ عيونَنا فَنَنٌ مَطِيرٌ　　تُسَيِّلُهُ نُعاماهُ فُنونا [2]
ومِن قِبَلِ الهوادجِ يومَ بانوا　　رُمِينا بالمحاسنِ إذْ رُمِينا
أخذْنَ قلوبَنا وعجبن منّا　　ونحن بلا قلوبٍ لِمْ بَقِينا ؟
فياللهِ أحـداقُ الغوانى　　أمَرْنَ بأن عَشِقْنَ فما عُصِينا
مَرَرْن بنا ونحن بغيرِ بَلْوَى　　فما جاوَزْنَنا حتّى بُلينا
وما زال الهَوَى حتّى رَضِينا　　بهنّ على الصُّدودِ فما رضينا
ولمّا أنْ مَطَلْن وَدِدْتُ أنّى　　فدَيْتُ ردًى نفوسَ الماطلينا
ومِن سَفَهٍ وقوفُكَ فى المغانى　　تَساءلُ عن فريقٍ فارقونا [3]
سُقينا بعد بينِهِمُ دموعاً　　وكُفْنَ فما وقَفْن وما رَوِينا
فليت الحبَّ أشْعَرَ مَنْ عزيزٌ　　عليه أنْ يبينَ بأنْ يبينا
ولم نَرَ من خلال السِّجْفِ إلّا　　عيوناً فى الوصاوصِ أوْ جبينا[4]
وِددْتُ وما وِددْتُ لغير جُرمٍ　　وهنَّ القالياتُ وما قُلينا [5]

(١) فى الأصل « ونجزرهن » بدل « نجريهن » ولعلها مصحفة عن نخررهن أو « نخزرهن » وما وضعناه أنسب .

(٢) الفنن : الغصن ، والمطير : الممطور ، والنعامى : ريح الجنوب ، والفنون : الضروب والأشكال .

(٣) المغانى : المنازل ، مفردها : المغنى .

(٤) السجف (بالكسر) : الستر ، والوصاوص : جمع الوصواص وهو البرقع الصغير .

(٥) القالى : المبغض .

ولمّا أنْ مشَيْن أرَيْنَ صُبحاً   دِعاصَ الخَبْتِ يَهزُزْن الغصونا [1]
وهان على عيونٍ وادعاتٍ   هجوعاً أنْ نَبيتَ مُؤَرَّقينـا
وشَنْباء المضـاحك من نِزارٍ   فقـدتُ لحسنِ بهجتِها القَرينا [2]
من اللّائى أدَرْعَنَ الحسنَ سَهْماً   يُصِبْنَ به صَميمَ الدّارعينا
ولولا أنّهـا سألتْ فؤادى   فجُدتُ به لـكنتُ به ضَنينا
رَمَتْني بالخِيانةِ فى ودادى   وكنتُ على مودّتهـا أمينا
دَعِينا أنْ نزوركِ أمَّ عَمْرٍو   وإلاّ بالزِّيارةِ واعِـدِينا
وقد أوْرثِتِني سَقَماً فإنْ لمْ   تُداويه الغداةَ فعلِّلينا
فـكمْ ليلٍ لبستُ بهْ وشاحاً   ذوائبَ من هضيمٍ أو قُرونا [3]
عَفَفْتُ وقد قدرتُ وليس شىءٌ   بأجْمَلَ من عفافِ القادرينا
وزَوْرٍ زارنى والليلُ داجٍ   وقد ملأ الـكَرى منّا العيونا
يُرينى أنّه ثانِ وِسادِى   مُضاجِعُهُ ؛ وزُورٌ ما يُرينا
نعمتُ بباطلٍ ويودّ قلبى   وداداً لو يـكون لنا يقينا
فياشَعَراتِ رأسٍ كُنَّ سُوداً   وحُلْنَ بما جناه الدّهرُ جُونا [4]
مَشيبُكِ بالسِّنينَ ومن همومٍ   وإيثكِ قد تُرِكْتِ مع السِّنينا
كرِهتُ الأربعين وقد تدانتْ   فمَنْ ذا لِى بردِّ الأربعينا ؟

(١) الدعاص : جمع الدعص (بالكسر) وهو الكثيب من الرمل شبه به الأرداف ، والخبت : المطمئن من الأرض .
(٢) الشنباء : التى فى ثغرها الشنب وهو عذوبة الريق أو برده ، والقرين : يريد به العقل .
(٣) الوشاح : شبه القلادة من جلد عريض بجوهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها ، والهضيم : النحيف ، والقرون : خصل الشعر المفتولة .
(٤) الجون : جمع الجون (بالفتح) وهو الأبيض ويطلق على الأسود كذلك فهو من الأضداد .

ولاحَ بمفرَقي قَبَسٌ منيرٌ يَدُلُّ على مقاتِلِيَ المَنونا
وإنّي إنْ فخرتُ على البرايا فخرتُ بمن يبذُّ الفاخرينا [1]
بآباءٍ وأجدادٍ كِرامٍ كما كانوا على كلِّ البنينا
ألَسْنا أشجعَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا وأوفاهمْ وأجودَهمْ يمينا؟ [2]
وأطعَمَهمْ وأقراهمْ ضيوفاً وأعطاهمْ إذا وهبوا الثَّمينا
وأركبَهمْ لمُعضلةٍ قَموصٍ تَشامَسُ عن ركوبِ الرَّاكبينا [3]
وأنصَرَهُمْ وأطهرَهمْ ذُيولاً وأمضاهمْ وأقضاهمْ ديونا؟
وإنّا إنْ شهدنا الحربَ يوماً فَرَيْنا بالسّيوفِ وما فُرِينا [4]
وإنْ أبصرْتَنا نحمي حريماً رأيتَ الأُسدَ يَحمِين العرينا
فإنْ طُلِبَ النّدى كُنّا بحوراً وإنْ حُذِرَ الرّدى كنّا حُصونا
نقود إلى الكريهةِ كلَّ يومٍ خيولاً ماوَنِينَ ولا وَجِينا [5]
وكلَّ مُغمَّسٍ في الرَّوْعِ يَقْرِي صفائحَه التَّرائبَ والشُّؤونا [6]
يطاعنُ بالرّماحِ فلا يُبالي سليماً عاد منها أمْ طعينا
فإنْ عدّوا خَوَرْنَقَهمْ عَدَدْنا لنا البيتَ المحرَّمَ والحَجُونا [7]
وزَمْزَمَ مَوْرِداً تُثني عليه إذا وردتْ شفاهُ الواردينا

---

(١) يبذ : يفوق ويغلب .

(٢) الثقلان : الجن والإنس مفرده الثقل (بفتحتين) وهو أيضا كل شيء نفيس ، ومنه الحديث الشريف « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » .

(٣) القموص : النفور والوثوب ، وتشامس : تتشامس : أي تتصعب وتمتنع على راكبها فهي شموس (بالفتح) .

(٤) فرينا : شققنا .

(٥) ونى : من الونى وهو الفتور والضعف ، ووجين : من الوجا وهو الحفا .

(٦) المغمس في الحرب : الذي يرمي نفسه وسطها ، ويقري : يضيف ، والصفائح : السيوف والترائب : الصدور ، والشؤون : مجاري الدموع .

(٧) الخورنق : قصر النعمان ، والحجون : جبل بمكة .

وَجَمْعاً تَلْتجِى زُمَراً إليه لَوَاغِبُ يضطرِبْن بلاغِبينا [1]
يُحَلِّن ضُحًى وبحرُ الآلِ يجرى صفائنَ يتبعْن بنا سَفينا [2]
وخَيفَ مِنّى تفاهَقَ وإدياهُ بهاماتِ الرّجالِ مُلَبِّدينا [3]
فلستَ ترى بها إلاّ عَقِيراً من الكُوم الذُرا أوْ عاقِرينا [4]
وإنْ فخروا بطِخْفَةَ أوْ كلابِ فخرنا باللّيالى الغُرّ فينا [5]
بخَيْبَرَ أوْ ببدرٍ أو حُنينٍ وأُحْدٍ والمنايا يرتمينا
دَفَعْنا عن رسول اللهِ طعناً وضرباً بالصّوارِم مَن لقينا
وقَيْناه ومن يهوى هواهُ بأسيافِ الجِلادِ وما وُقينا
بأبصارٍ تُذَرُّ من السّوافى وتُكحَلُ بالرّياحِ إذا قُذِينا [6]
وأجسادٍ عُرِينَ من المخازى ومن كرمٍ وخيرٍ ما عُرينا
فلا أرماحُنا يعرفن رَكْزاً ولا الأسيافُ يعرفن الجُفونا
وكنّا فى اللّقاء وفى عطاءٍ يُضَنّ به نُجيبُ إذا دُعينا [7]
وكم طافتْ بدَوْحتنا عيونٌ فلم تَرَ فى جوانبها هَجينا [8]
ألمْ ترَ هذه الأيّامَ عُوجاً موارِقَ من أكُفّ اللّابسينا [9]
وقد كنّ الصّحاحَ بغير داءٍ فهاهنّ الصِّحاحُ قد دُوِينا [10]

---

(١) جمع (بلالام) : المزدلفة ، واللواغب : جمع اللاغب : التعبان .

(٢) الآل : السراب .

(٣) تفاهق : امتلأ ، والهامات : الرءوس ، والملبدين : المتجمعين .

(٤) العقير . المعقور ، والكوم: جمع الأكوم والكوماء من الابل والنوق ذوات السنام الضخم.

(٥) طخفة ، (بالكسر) : موضع ، ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر ابن ماء السماء .

(٦) السوافى : الرياح ، والقذى : ما يدخل فى العين من قش وغيره .

(٧) يضن : يبخل ، من الضن؛ وهو البخل والشح .

(٨) الهجين : غير الأصيل .

(٩) الموارق : جمع المارق ، وهو الخارج .

(١٠) دوين : أصابهن اداء .

أقلّبُ فى الورى قلبى وطرْفى ... فأعجبُ من ضَلالِ الحائرينا
عيونٌ عاشياتٌ من هُداها ... وقِدْماً ما كَلِلْنَ ولا عَشِينا
وآراء مضلّلة النّواحى ... لُوين عن الإصابةِ أوْ زُوينا
وإنّى لو شكوتُ إلى جنينٍ ... أشبْتُ بحرِّ شكوايَ الجنينا
« وصمّاء بَثَثْتُ » لهاالتّشكّى ... أهوِّنُهـا وتأبىٰ أن تَهونا [1]
رأتْعندى السُّرورَ ولو بغيرى ... ألمَّتْ ظلَّ مكتئباً حزينا
وظنّوا أنّهـا تفنى اصطبارى ... وشرُّ القومِ أكذبُهمْ ظنونا
وقالوا إنّهـا خُطَطٌ صعابٌ ... فقلت : نعم، ولكنْ قد خُطينا
ولمّا لم تنَلْ منّى مَراماً ... أحالَتْ شامتِيها حاسدينا
وكم غرّ الرّجالُ مجرِّبونى ... فلم أكُ فى تجاربهمْ غبينا
وقد لمسوا بأيديهمْ صَفاتى ... فما وجدوا على الأيّامِ لِينا [2]
جزَى الزَّوراء عن مَلَلٍ فإنّى ... رأيتُ بها الأذمّةَ مارِعينا [3]
فلا تُنحى ولا تحدى ركابى ... إليها بالرّجال متى حُـدينا
فإنّ محاسناً حُدِّثتُ عنهـا ... وكنّ بهـا زماناً قد فَنينا
وليس لها لأرْوى غيرُ رسمٍ ... وأطـلالٍ لنعماء بَلينا
فإنْ تنزعْ نزعتَ لباسَ عزٍّ ... وإنْ تلبسْ لبستَ هناك هُونا [4]
وإنْ تنظرْ نظرتَ إلى خطوبٍ ... ترقّصُ عن قلوب الشّامتينا
فصدّ قرارَ عَقْوَتِها سليماً ... طليقاً كنتَ فيها أم رهينا [5]

---

(١) الصماء : مؤنثة الأصم ، والداهية ، وفى الأصل « وصمأة عبثت » بدل « وصماء بثثت » ولعل الأصل « مصمية » وهى الضغنة التى تصمى أى تميت .

(٢) الصفاة (بالفتح) الحجر العريض الأملس .

(٣) الأذمة : جمع الذمام .

(٤) الهون : الذل والمهانة .

(٥) العقوة : ما حول الدار .

وقرّبْ للنّجاء قَطَاةَ نَهْدٍ ... وإلّا فالعُذافِرةَ الأمونا [1]

فلا بقيتْ كما نحن اللّيالى ... وأبدلنا من الرّيب اليقينا

وأطْلِعْها نُجوماً غاربات ... كُشِطْنَ بما نراه أو مُحينا

وذَعْذِعْها جهالاتٍ تلاقتْ ... وضَعْضِعْها ضلالاتٍ بُنينا [2]

* * *

وقال فى العتاب :

أنتمْ علىَّ وإنْ لم ... تدروا أرقُّ وأحْنَى

أردتُ أنْ تحملوا اليو ... مَ فوق ظَهْرِىَ مَنّا

فعـــفتمُ وأبيْتمْ ... شُحًّا علىَّ وجُبْنـــا

فـكنتمُ باتّفــاقٍ ... خـــيراً لنا الآن منّا

وما غُبِنّا بل أنتمْ ... بذاك أظهرُ غُبْنا

وما أسأتُ ولـكنْ ... أحسنتُ بالسّوء ظَنّا

ظَنَنْتُــــكُمْ لِمُلِمّ ... عَوْناً وفى الخوف أمْنا

حتّى خبرتُ فـكنتمْ ... كاللّفظ ما فيه مَعْنى

* * *

وقال فى الطيف [3] :

وزائرٍ ما أجْبَنَــــهْ ... ما زار إلّا فى سِنَهْ [4]

وعنَّ لى فى غَلَسٍ ... فلا عَدِمْنا عَنَنَهْ [5]

---

(١) القطاة : مركب الفارس من ظهر الفرس ، والنهد : الفرس الجميل القوى ، والعذافرة : من النوق العظيمة الشديدة ، والأمون : المأمونة العثار القوية .

(٢) ذعذعها : فرقها .

(٣) ورد فى (طيف الخيال ص ١٠٣ و١٠٤) عشرون بيتا من هذه القصيدة .

(٤) السنة : أول النوم والخفيف منه .

(٥) عن : عرض ، والغلس : الظلام .

ذو دَدَنٍ وإنّما نعشَقُ منه دَدَنَهْ (١)
يهجرنى مجاوراً يُسمِع قولى أُذُنَهْ
حتّى إذا حلّ النّوى حـدا إلىّ ظُعُنَهْ
لم يأتِ إلّا فى دُجًى وصبحُه ما أمِنَهْ
وزارنى فى وطنى مُخلّياً لى وَطَنَهْ
ثمّ أطاب وَسَنِى لمّا أطار وَسَنَهْ
أبدَلَنِى هِجرانُهُ بزَوْرَةٍ مؤتَمَنَهْ
باطلةٍ لكنّها من المسىء حَسَنَهْ
ما أحسنَ النصرَ على مُقاطعٍ ما أحسَنَهْ!
فليتَهنا زيارةٌ تكون منه ديدَنَهْ
مابعث الواشى إلى ما نحن فيه ظِنَنَهْ
ولا رمى ذو فِطَنٍ إليه يوماً فِطَنَهْ
فبِتُّ ليلى كلّه أضمُّ منه غُصُنَهْ
وألثِمُ الصُّدغَ الذى عَقْرَبَهُ وزَرْفَنَهْ (٢)
لولا الدّجى يشفع لى لَما لقيتُ مِنَنَهْ
«جاد». به مُستَرخَصاً وما نَقَدْتُ ثمَنَهْ (٣)
فى ساعةٍ كأنّها لَذَاذَةً ألفُ سَنَهْ
واصَلَ فيها سَكَنٌ بعد فراق سَكَنَهْ
ما أنصف الدّهرُ الّذى أخافَنِي وآمَنَهْ

---

(١) الددن: اللهو واللعب.

(٢) عقربه: جعله كالعقرب، وزرفنه: جعله كالزرفين (بضم الزاء أو كسرها) وهى الحلقة.

(٣) فى الأصل «جادت» بدل «جاد» والتاء زائدة.

أُلقِي إليــه رَسَنِي ثمَّ أجرُّ رَسَنَهْ
ما أغبَنَ الحبَّ لمنْ حُمِّــلَهُ ما أغبنَهْ ؟!
مُمتَحَنٌ يكره إنْ فارق منكمْ محنَـهْ
وسابحٌ في دَرَنٍ ولا يُميط دَرَنَهْ (١)
ثمَّ طعينٌ همُّهُ تقبيلُهُ مَن طَعَنَهْ
أوْ زمَنٌ يموت من حيث غشومٌ أزمنَهْ
قلتُ له فقراً إلى نَوالِهِ ومَسْكَنَهْ : (٢)
يامالـكاً لِي بهوًى أسْرَرْتُهُ وأعلَنَـهْ
ومن إذا غابن حُسْـ نًا بَدْرَ تَمٍّ غَبَنَـهْ
هل عودَةٌ لمثلها فقــال لِي : ما أهْوَنَهْ

* * *

وقال في التوكل على الله تعالى :

لا تَستَعِنْ أبداً بمنْ يحتــاج منك إلى معونَهْ
وأفزعْ إلى نصر الذى نَصَرَ الأنامَ بلا مَؤُونَهْ
وإذا وفَى لك بالمرا دِ فلا تكنْ أبداً خؤونَهْ
فجهاتُ مَن لبس التُّقى محروسةٌ فيـه مَصونَهْ

* * *

---

(١) الدرن : الوسخ ، ويميط : يزيل .
(٢) المسكنة : الذلة والخضوع .

وقال فى الطيف (١) :

بأبي زائراً أتانيَ جُنْحاً ... لا وِداداً منه فمَنَّ ومَنَّى (٢)
« زاده » ضِنَّةً بموضعه المـا ... لكِ قلبي بُخلاً عليَّ وضَنَّا (٣)
لم يُنِلْني شيئاً وعنـد رُقادي ... أنّه جاءني فأغنى وأقنى (٤)
صَدَّ صُبحاً والعينُ مِنِّيَ يَقظى ... وسرى واصلاً وعيني وَسْنى (٥)
وجفا بالنّهار من بعد أن خُيِّـلَ لِي أنّه أتانيَ وَهْنا (٦)
زَوْرَةٌ ما دري بها ذلك الزّا ... ئرُ رَبْعِي فكيف يوجب مَنّا؟
هو لاهٍ عنهـا وما بتُّ فيـه ... لم يُحِطْهُ عِلْمـاً ولم يكُ ظَنّا
فهْيَ تعليلةٌ لصبٍّ عليلٍ ... أوْ خداعٌ يُهْدَى لقلبي المُعَنَّى
فهْيَ مثلُ السّرابِ أومثلُ لفظٍ ... « ماله حاصلٌ » ولافيه معْنى (٧)

* * *

وقال فى العتاب :

يامنْ قُرِنتُ به على ... رغمي فصرتُ له قرينـا
وشريتُـه لمّـا غرِرْ ... تُ فلم يكن عِلْقاً ثَمينا (٨)

(١) وردت هذه القطعة فى (طيف الخيال ص ١١٠) .
(٢) جنح الليل : ظلامه .
(٣) فى (الطيف) « زارنى » بدل « زاده » ، والضنة والضن : البخل .
(٤) أقنى : جعل له قنية (بالضم) أى أصل مال .
(٥) وسنى : نائمة نوماً خفيفاً ، من الوسن بالتحريك .
(٦) الوهن : منتصف الليل .
(٧) فى الطيف؛ الشطر الثانى « فارغ ماله ولا فيه معنى » وقد مر المرتضى مثل ذلك قوله :

إنما الطيف كلفظٍ ... فارغٍ مافيه معْنى

(٨) العلق : النفيس من كل شيء .

وظننتُ أنّى غابنٌ فيـه فـكنتُ به غبينـا
لمّا خبرتُك لم أجدْ شيئاً أكون به ضَنينا[1]
وإذا جعلتك قُرّةً للعين أسخَنْتَ العيونا

***

وقال فيه أيضا :

قل لقومٍ شنّوا المعـــاتبَ منهمْ في الأحاديث شَأْمَةً ويمينا :[2]
لم تُنيلوا شيئاً ففيمَ شمختمْ ؟ وعَهِدنا ذا النَّيْلِ يشمخ فينا
إنّ كِبْرَ الفتى ولا فضلَ فيـــه عنـــد أهل النُّهى يكون جنونا
قد تركناكمُ وويلٌ لمن يتـــركُهُ النّاسُ كلُّهم فأتركونا
في غدٍ يرجع الغنىُّ فقـــيراً وهزيلًا من كان ليس سمينا
لم يكن مَن شراكمُ وتدلَّسْـــتم على ناظِرَيْهِ إلّا غبينا
وظننّا بكمْ جميـــلاً ولـكنْ «أكْذَبَتْ» منكمُ السّجايا الظُّنونا[3]
وَوَرَدْنا فـــلم تـكونوا مَعيناً وهززنا فـــلم تـكونوا غُصونا
ما رأينـــا منكمْ وأنتم على أفْـــضالِ ما تبتغونَ إلّا مَهينا
عَبِقاً بالقبيح ما كانتِ السَّوْآت إلّا مُوَتَّماً مَزْنونا[4]
لم يكن للدّفاعِ حصناً حريزاً لا ولا في البِياعِ عِلْقاً ثمينـــا

---

(١) الضنين : البخيل .
(٢) الشأمة : اليسار .
(٣) في الأصل « أكذبتم » بدل « أكذبت » من تحريف النساخ .
(٤) العبق : من العبق (بفتحتين) وهو لصوق الرائحة ، والمزنون : المتهم المظنون به .

وخصالًا إذا تؤمّلن كانت مسخنات «قلوبنا» والعيونا[1]

ووجوهاً بيضاً فإن سُئلوا الخيـ ـرَ وما هنّ أهله عُدن جُونا[2]

لا سقى الله معشراً تسكن السّـ ـرّاء أبياتنا إذا فارقونا

عجزوا مُعظمَ الزّمانِ فلمّا قدروا بعد عجزهم ظلمونا

وتراهم عن كلّ خيرٍ نُكولًا وعلى الشّرِّ وحده قادرينا

ليس وعدٌ منهم وإن غلظوا بالـ ـوعدِ يوماً كانوا له ماطلينا

وهُمُ الواجدون حتّى إذا ما سُئلوا الرِّفدَ أصبحوا عادمينا[3]

نتمنّى من لؤمهم أنهم لم يرفدونا وأنّهم حرمونا

ليت قلبي وقد صبا سَفَهاً منـ ـه إلى ما دعوه كان حرونا[4]

والذي ذاق مُرّهُمْ يتمنّى بدلًا منه أن يذوق المنونا

أرِني منهمُ وخذْ مُهلةَ طو لَ مدا الدّهرِ واجداً مأمونا

وقريناً أكون فرداً فأرضا هُ أنيساً لوحشتي وقرينا

كلُّ مَنْ قرّبوه قرّبَ نَهْداً هَرَباً منهمُ وإلّا أمونا[5]

فاذهبوا حيث شئتمُ لم تروا منّـ ـا اشتياقاً إليكمُ وحنينا

لا ولا ناكثاً لبيْنٍ ثنـايا هُ ولا قارعاً لبُعْدٍ جبينا

وإذا ما جفوننا سِلْنَ حزناً لنواكم فلسْنَ منّا جفونا

* * *

---

(١) فى الأصل « قلوبهن » بدل « قلوبنا » من تحريف النساخ .

(٢) الجون : جمع الجون (بفتح الجيم وتسكين الواو) وهو الأسود .

(٣) الواجد : الغنى ، والعادم : الفقير .

(٤) الحرون : الصعب قياده والممتنع على راكبه .

(٥) النهد : الفرس الجسيم العالى الوسيم ، والأمون : للأمونة العثار القوية .

باب النون المكسورة

قال وقد انصرف من جنازة الشريف أبي الحسين بن الشبيه : – رحمه الله – وكان صديقاً له[1] :

كم ذا تطيش سهامُ الموتِ مُخطئةً ... «تحرى» وتُصمى أخلّائى وأخدانى[2]

ولو فطنتُ وقد أردَى الزّمانُ فتًى ... علمتُ أنّ الذى أصماه أصمانى

وكيف تبقىَ حُشاشاتٌ تقلّبهـا ... فى كلّ يومٍ يدا غَرْثانَ ظمآنِ ؟[3]

أم كيف نأمل أنْ يبقى امرؤٌ أبداً ... يفدى من الموتِ إنساناً بإنسانِ ؟

سودٌ وبيضٌ من الأيامِ لونُهما ... لا يستحيلُ وقد بدّلْنَ ألوانى

هيهاتَ حُكْمَ فينا أزْلَمٌ جَذَعٌ ... يُفنِى الورَى بين جُذعانٍ وقُرحانِ[4]

فلا حميمٌ لنا يُبقى الحِمامُ به ... ولا جديدٌ لنا يُبقى الجديدانِ[5]

يُعطى العطيّةَ تتلوها رَزِيّتُها ... ويُطعِمُ الشّهْدَ ممزوجاً بحُطْبانِ[6]

وربّما حُرِمَ الرِّزقَ الحريصُ وقد ... أنضَى المطيَّ ووافى منزلَ الوانى[7]

***

---

(١) أورد الثعالبي فى تتمة اليتيمة أربعة أبيات من هذه المقطوعة (ج ١ ص ٥٥) .

(٢) فى (هـ) « تحوى » تصحيف « تحرى » وتطيش : تخطىء ، وتصمى : تصيب فتقتل .

(٣) الحشاشة : بقية الروح فى الجسد ، والغرثان : الجائع .

(٤) الأزلم الجذع : الدهر ، والجذعان : جمع الجذع (بفتحتين) ، وهو من البهائم الشاب قبل الثنى ، والقرحان : جمع الأقرح وهو من الإبل مالم يجرب قط .

(٥) الجديدان : الليل والنهار .

(٦) الحطبان : الحنظل .

(٧) أنضى : أهزل وأعيا ، والوانى : الكسول .

وقال فى بيغاء قنصها ابن عرس ليلاً :

فجعةٌ ماأحتسبتُها فى زمانى نادَمَتْ بى غرائبَ الأحزانِ
وأشدُّ الخطوب عُنفاً بنفسٍ ما أتى بَغْتَةً بغيرِ أوانِ
أيُّها الآخذِى بشأنِ التسلِّى جلَّ مابى عن طاعةِ السُّلْوانِ
رُمْتَ عَذْلى وأنتَ تجهل مابى وفؤادى مستيقِنٌ ماعَنانى
خَلَجَتْ فى بَبغاء نَبْوَةُ دهرٍ مُولَعٍ بالنَّفيسِ من « أثمانى » (١)
بعث الدّهرُ نحوها يدَ شخصٍ مُزْعِجِ الكيدِ ثائرِ الأضغانِ
غالها فرصةً وما الغافلُ الوَسْنانُ كُفْوًا للرّاصدِ اليقظانِ
لو أتى معلناً بيوم رَداها لأتتنى غانماً من الحرمانِ
أمكَنَتْهُ حُشاشةٌ طالما خابَتْ لديها وسائلُ الإمكانِ
صدّها الحَيْنُ عن تعاطى حِذارٍ منه والحَيْنُ عُقْلَةُ الأذهانِ (٢)
إنْ تكنْ عُوجِلَتْ فما مُهلةُ المُرجَى على سُنَّةِ الرّدَى بأمانِ (٣)
ذاتُ جسمٍ يحكى الزَّبَرْجدَ قدْ نِيطَتْ ذُراهُ بمِنْسَرٍ مَرْجانى (٤)
وخَوافٍ قد فارقتْ لونَها الأظهرَ فيها بمنظرٍ أرجُوانى (٥)
غضَّةُ اللونِ تبصرُ العينُ منها روضةً « أخْمَلَتْ » بلا بُستانِ (٦)
ترجع القول كالصّدَى فى أقاصى درجاتِ الإفصاح والتّبيانِ

---

(١) فى (هـ) « أشجانى » تصحيف « أثمانى » .
(٢) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك .
(٣) المرجى : المؤخر .
(٤) نيطت : علقت ، والمنسر : المنقار .
(٥) الخوافى : ريش ماتحت الجناح .
(٦) أخملت : كستها الخمائل . والخمائل : الشجر الملتف ، ومفردها الخميلة ، وفى (هـ و س) «أهملت» تصحيف « أخملت » .

تمحضُ الصّدقَ إنْ أجابتْ سُؤولاً ٭ وهْيَ خِلْوٌ من فهم تلك المعانى
لا استقلّتْ من بعد فقدِكِ وَرْقا ٭ تُبكّى الدّجى على الأغصانِ

٭ ٭ ٭

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه من الرؤساء وهو الأستاذ الجليل أبو سعد محمد بن خلف [النيرماني] ، وهي من أوائل قوله :

حتّامَ ذمّى عندكمْ أزمانى ٭ وبحبّكمْ طرق الزّمانُ جَنانى؟ (١)
تاللّه ما أنصفتُمُ فى حبّكمْ ٭ فَرداً وأنتمْ والغرامُ اثنانِ
لو أنّ هذا الحبَّ يظهر شخصُهُ ٭ لدخلتُ فى أحشائه بسِنانِ
لكنّه يرمى القلوبَ ويتّقى ٭ بسوادِها من أسهمِ الشّجعانِ
ياليتَ شعرى كيف يثأر عاشقٌ ٭ وعدوُّه فى موطنِ الأخدانِ ؟
يامن يغير على المحبّ بقلبه ٭ ألاّ انفردتَ له من الأعوان ؟
لو كان ذاك لما انفردتَ بطائلٍ ٭ ولَعُدْتَ تسحب بُردةَ الحِرْمانِ
وأنا الذى راع اللّيالى بأسُهُ ٭ فشِعارُها من أسترِ الألوان
يلقَى الرّدَى بعزيمةٍ هو عندها ٭ والعيشُ إلاّ فى الذّرا سِيّانِ
سلْ عنّيَ الأبطالَ إذْ عمّمْتُهمْ ٭ بقواضبٍ بدلاً من التّيجانِ
تخبرْكَ عن نَصْلِ الفَراشِ رءوسُهمْ ٭ ونحورُهمْ تُنبيك عن خِرصانى (٢)
لا تأمنُ الأعداءُ منّى نَجْدَةً ٭ ظَفَرى بهمْ يلقاهُمُ بأمانى (٣)
ياعاذِلى فى بذلِ نفسى الوغَى ٭ أنتَ الكفيلُ بعيشِ كلّ جبانِ

---

(١) الجنان (بالفتح) : القلب .
(٢) الخرصان : الرماح ، والفراش : الرقيق من السيوف والنصال .
(٣) النجدة : الشجاعة .

إنّ الرّدى دَيْنٌ عليك قضاؤه ... فأسمحْ به فى أشرفِ الأوطانِ

مَن فات أسبابَ الرّدى يوم الوغى ... لحقَتْهُ فى أمْنٍ يدُ الحدَثانِ

لو كان هذا الدّهرُ يُنصف «ساعيًا» ... لوَطِئْتُ منه مطالعَ الدَّبَرانِ (١)

لا تأمُلَنْ زمنًا يؤلّف وِردُهُ ... بين الأسودِ الشُّوسِ والسِّرْحانِ (٢)

يُعطِى بنيه العيشَ لاعن صَبْوَةٍ ... ويشلُّهُمْ عنــه بلا شَنَآنِ (٣)

فتى رأيت مجرّرًا أذياله ... ناديته ياصاحبَ الأكفانِ

عندى له صبرٌ يردّدُ ريقَــه ... فى صــدره وقذاه فى الأجفانِ

ولَطالما جرّعتُه كأس الأسى ... وجَدَحْتُها بأسنّــةِ المُرّانِ (٤)

كن يازمانى كيف شئتَ فلن ترى ... شخصَ «المذلّةِ» لانذاً بلُبانى (٥)

ما كلُّ مَن تلقى يبيعك عقــلَه ... ولَبَيْعُهُ من أكبر الخسْرانِ

ألقيتُ عن قلبى السّرورَ لفارغٍ ... من همّتى بغروره ملآنِ

ماعاقنى ميرْبُ السّرورِ وإنّمــا ... كِبَرُ النّفوسِ شبيبةُ الأحزانِ (٦)

ومُبَرّأٍ من كلّ ماشمل الورى ... ألقيتُ من ثِقتى إليه عِنانى

لمّا كسانى حُلّةً من وُدِّهِ ... أنسيتُ سَلْبَ حَبائبى رَيْعانى (٧)

مازلتُ «أخصُ» فى الورى عن مثلهِ ... حتّى ظفرتُ بمن أقول كفانى (٨)

طمحتْ إليــه عينُ كلّ رئاسةٍ ... لولاه مانظرتْ إلى إنسانِ

---

(١) فى (س) « ساعة » بدل « ساعياً » والدبران : منزل القمر .

(٢) السرحان : الذئب .

(٣) الصبوة : الميل بالجهل ، ويشلهم : يطردهم ، والشنآن : البغض .

(٤) جدح : خاض وخلط ، والأسنة : الرماح ، والمران : شجر الرماح .

(٥) فى (ش و ه) « الخديعة » بدل « المذلة » واللبان : الحاجة يريد الإنسان قضاءها لا عن فاقة بل عن همة وطموح .

(٦) الشبيبة : الشبوبة أى الموقدة .

(٧) ريعان الشباب : نضارته .

(٨) فى (ه) « أنعى » بدل « أخص » عرفة .

لو شاء مافاتتْه أبعدُ رُتْبَةٍ   يسعَى إليها الخلقُ بالأجفانِ

لكنّه نظر الممالكَ دونه   فزَهِى على السُّلطانِ مِن سلطانِ (١)

سبق الكرامَ السَّالفين إلى العُلا   والسَّبْقُ للإحسانِ لا الأزمانِ

يامَنْ علاَ بى ظهرَ « وَرْدٍ » سابقٍ   لمّا رأى ذمّى إليه حِصانى (٢)

إيّاكَ أنْ تُفشِى سَريرةَ وُدِّنا   فيصدّنى عن قربكَ المَلَوانِ (٣)

ويمدّ صَرْفُ الدّهرِ نحوى طرْفَه   وهو الذى لولاكَ ليس يرانى

هذا الذى ذكراه آنسَ ناظرى   وهواه أوحشنى من الأشجانِ

أهدِى إليه من كلامى أيِّماً   لكنْ لها من مدحِهِ بَعْلانِ (٤)

تتجاذبُ الخُطّابُ دون جنانها   ويرُدُّ عنها أجملُ الفِتْيانِ

فتَوَدُّ كلُّ جوارحى فى مدحه   أنْ كنّ من شوقٍ إليه لسانى

* * *

وقال فى معنى عرض له :

بربّك أيّها البرقُ اليمانى   تكشّفْ لى بلمعك عن أبانِ (٥)

فقدْماً ما جلَوْتَ علىّ وَهْناً   شماماً فى صبيغةِ أرْجُوانِ (٦)

وكدْتَ وما شعرتَ بذاك منّى   تَدُلُّ الطّالبين على مكانى

أرِقتُ لضوءِ نارٍ منك تبدو   وتخبو فى السّماء بلا دُخانِ

---

(١) زهى : فخر .

(٢) الورد : من الخيل ما بين الكميت والأشقر ، والأنثى وردة ، وفى الأصول « ود » بدل « ورد » والظاهر تحريفها .

(٣) الملوان : الليل والنهار ، والواحد : ملا (بالقصر) .

(٤) الأيم : التى لا زوج لها ، والبعل : هو الزوج .

(٥) أبان : جبل وموضع .

(٦) الوهن : ظلمة منتصف الليل ، وشمام : جبل .

كما لَوَّحتَ في ظلماء ليلٍ ... إلى الأبطال في العَضْبِ اليماني

أراكَ إذا لمعتَ وعن قليلٍ ... تغيب فلا أراكَ ولا تراني

«وأرقبُ» منك خدّاعاً لِحَيٍّ ... مَروقاً بالتقلّبِ عن عِياني (1)

كأنّكَ لاتقرّ على طريقٍ ... أخَذتَ سَناكَ من عهدِ الغواني

وتخفق في نواحي الأُفقِ حتّى ... كأنّكَ في الوغى قلبُ الجبانِ

تخبُّ إليَّ من بَلَدٍ بعيدٍ ... مَنيعٍ لا تَنالُه الأماني (2)

وتُذكِرُني وبالُكَ غيرُ بالي ... ضلالاً ما تقدّم من زماني

وعيشاً كنتُ أجري فيه دهراً ... إلى اللّذّاتِ مُستَلَبَ العِنانِ

إذا خَطَرَتْ ملاحتُه بقلبي ... جرى شوقاً إلى رؤياه شاني (3)

إذِ البيضُ الحِسانُ إليَّ ميلٌ ... وإذْ وَصْلُ الغواني في زماني

وإذْ أُمسي وأُصبحُ كلَّ يومٍ ... على عُقَبِ الحوادثِ في أمانِ (4)

زمانٌ كان لي فيه صِحابٌ ... كِرامٌ من بني عبدِ المُدانِ

من النَّفَرِ الذين أبَوْا إباني ... وقادوا في أزِمَّتِهم جِراني (5)

ولَفّوا شملَهمْ بالشّملِ منّي ... وكنتُ مدا الزّمانِ بغيرِ ثانِ

ولولا أنّهمْ «حِلْفُ» الأعادي ... وَقَوْني من عُداتي «ماعَداني» (6)

يَمَسُّهمُ الأذى قبلي ويَعني ... جميعَهمُ لِعِزّكَ ماعَناني .

---

(1) في (س) «أراقب» بدل «وأرقب» .

(2) تخب : من الخبب وهو ضرب من السير السريع .

(3) الشان : الشأن وهو مجرى الدمع وسهلت الهمزة تخفيفاً .

(4) العقب : جمع العقبة بالضم وهي النوبة ؛ يعني تعاقب الحوادث

(5) الجران (بالكسر) : مقدم عنق البعير ، وفي (س) «حراني» بالحاء ، والحران : هو صعوبة القياد وامتناع الدابة على راكبها فهي حرون . والعداة : جمع العدو . وفي (س) «ماغذاني» بالغين تصحيف «ما عداني» .

(6) في (س) «جنف» بدل «حلف» والظاهر تحريفها .

وتَلْقاهمْ يؤودُهُمُ احتياجي ولا يكفيهمُ لي ما كفاني (١)
مَضَوْا لسبيلهمُ و بقيتُ فَرْداً أعضّ على فراقهمُ بَناني

* * *

وقال يرثي بعض أهله ، وكانت وفاته في شهر رمضان «سنة تسع وتسعين وثلثمائة» :

وسائلةٍ لتعرفَ ماعَراني وما جرَتْ إلىَّ يَدَا زماني
فقلتُ لها لو استمليتِ مابي لأمْلتهُ عليكِ غُروبُ شاني (٢)
تعمّدني زماناً ريبُ دهري فلمّا أنْ تعمّدني رماني
ولي مُتزَحْزَحٌ عنه لو انّي أراهُ بناظِريَّ كما يراني
أقود إلى المقابرِ كلَّ يوم على رغمي خبيئاً في جَناني (٣)
وأُودِعُهُ على أنّي شفيقٌ عليه كلَّ غبراء المَحاني
«مُطَمَّسَةٍ» يضلّ المرء فيها ضَلالَ العَصْفِ خرّ من الفِنانِ (٤)
مُعَرَّسُ كلِّ مملوكٍ ومَلْكٍ ومُضطَجَعُ المكرَّمِ والمُهانِ
وفارقني بداهيـةِ الليالي حبيبٌ ما سلوْتُ ولا سَلاني
فأصبح فيه مجتمع الأماني وأمسى حيث لاتأتي الأماني
وقالوا : قد مرَنْتَ على الرّزايا فقلتُ لهمْ : وما يُغني مِراني ؟

---

(١) يؤودهم . يثقلهم .
(٢) الغروب : جمع الغرب ، وأصله الدلو ويريد هنا انهمال الدمع ، والشأن : مجرى الدمع
(٣) الجنان (بالفتح) : القلب .
(٤) في (هـ) « مطممة » بدل « مطمسة » والمعنى واحد ، والعصف : ورق الشجر المتساقط ، والفنان والأفنان : جمع الفنن بفتحتين على زنة جبل وجبال وأجبال ؛ الغصن .

وفى الأيّامِ مُطْرِقةٌ صَموتٌ   تَقَمَّصُ بالشّجاعِ و بالجبانِ [1]
فَهَبْها لم تَكن جَذَمَتْ يمينى   أليْستْ بالّتى أوْهَتْ بَنانى؟ [2]
وهَبْها لم تكن صدعتْ قَناتى   أليستْ بالّتى ثلمتْ سِنانى؟ [3]
ألا مَن عاذرى من جارِ سوءٍ   إذا لم آتِهِ هَرَبًا أتانى
مُعانٍ فى الّذى يبغيــهِ منّى   وإنْ أرْبَى ومدلولٍ مكانى [4]
له أيدٍ بما أجنِى عليــه   ومالى بالذى يجنى يدانِ
أقدّرُه الْمُسالِمَ وهو حَرْبٌ   وأحسبُهُ بعيداً وهو دانِ
وتعدونى صوائبُهُ لغيرى   وما أعـدى حميمى ما عدانى
فياليتَ الذى أقلاهُ منــه   وأجفوه قلانى أوْ جَفانى [5]
تأمّلْ أنتَ أدرَى اليومَ منّى   أصِرْفٌ ما سقانى السّاقيانِ ؟
وهلْ غنّى لِىَ «العَصْرانِ» فيمنْ   هويتُ بما سمعتُ لِيُطرِبانى؟ [6]
وهلْ أحسستَ ياحادِى المطايا ـ عشيّةَ فارقونى ـ «بافْتِتانى»؟ [7]
عشيّةَ قلّص المحبوبُ عنّى   وقام بما كرهتُ النّاعيانِ
وقد أرعيتُ نطقى منك سمعاً   فهل أنـكرتَ شيئاً من بيانى ؟
فإنّى مَن ينال الخطبُ منه   فيأنف أنْ يفوه به لسانى

---

(١) تقمص : تثب وتعدو .

(٢) جذمت : قطعت ، والبنان : رءوس الأصابع أوهى .

(٣) القناة : الرمح ، والسنان : الحديدة فى رأس الرمح .

(٤) أربى : أخذ أكثر مما أعطى ، وفى (س) « أدنى » مصحفة .

(٥) أقلاه : أبغضه من القل (بالـكسر) وهو البغض .

(٦) فى (س) « القطران » بدل « العصران » .

(٧) فى (س) « بافتنان » تصحيف بافتتانى ، وفى (هـ) « يفتنانى » كالأولة من تحريف الناسخ ، والافتتان : الابتلاء والوقوع فى الفتنة ، والمفتون : المدله والمجنون .

وغمرُ الذَّوْدِ مُلِّئَ بعد خِمْسٍ   جِمامَ الماءِ قُعْقِعَ بالشِّنانِ (١)

وصبراً بالتى لا أتقيها   بغَرْبى فى الـكريهةِ أو طِعانى

ومن طَمَعٍ أُخادعُ مِنْ يقينى   على عَمْدٍ وأُكذِبُ من عِيانى

وأُضحِى فى بنى الدّنيا مقيماً   وفى أيدى نوائبها عنانى

تلاعبُ بى الحوادثُ كلَّ يومٍ   وتُقرِئُنى أساطيرَ الزّمانِ

وبالزَّوْراءِ أحداثٌ بَناها   على الإعظامِ والإكرامِ بانِ

عَلَوْنَ تَقى على شُرُفاتِ رَضْوَى   وطُلْنَ عُلاً على هَضَبَىْ أبانِ (٢)

وهنّ على العراقِ لمن يراها   وأفنيةُ الإلهِ لها مَغانِ (٣)

فكم سَبَبٍ لهنّ إلى العطايا   وكم بابٍ لهنّ إلى الجِنانِ

وللأقوامِ تَطْوافٌ عليها   طوافَهُمُ على الرّكنِ اليَمانى

قبورٌ للأجادلِ من قريش   ذوى السُّوراتِ تُتْلَى والمَثانى (٤)

من النّفرِ الأُلَى جمعوا المعالى   وحازوا فى العُلا قَصَبَ الرِّهانِ

أُناسٌ لا يبالون المنايا   ونارُ الحربِ ساطعةُ الدُّخانِ

وتلقاهمْ بحربٍ أوْ بجَدْبٍ   مطاعيناً مطاعيمَ الجِفانِ

فحُطّا صاحِبَيَّ بهمْ رِحالى   قُبَيْلَ نزولِ أمرٍ ترقُبانِ

أُقِمْ فى ظلّهمْ ما دمتُ حيّاً   ويُدرِكُنى بعَقْوَتِهمْ أوانى (٥)

---

(١) الذود : الجماعة من الإبل بين الثلاث إلى العشر ، والخمس (بالكسر) : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى الرابع فيحسبون يوم صدرها خامساً ، والجمام : معظم الماء ، والشنان : جمع الشن (بالفتح) وهى القربة الخلق الصغيرة ، وفى المثل : فلان لا يقعقع له بالشنان ؛ أى لا يروعه ما لا حقيقة له .

(٢) رضوى وأبان : جبلان .

(٣) الأفنية : جمع الفناء (بالكسر) وهى الساحة ، والمغانى : المنازل واحدها المغنى .

(٤) الأجادل : الصقور مفردها الأجدل ، والمثانى : آيات القرآن الكريم .

(٥) العقوة : ما حول الدار .

لعلّى أنْ أُجاورهمْ صريعاً   فآخذ من شفاعتهمْ أمانى
فقد قضّيتُ بالهفواتِ عمرى   ونلتُ من الخطايا ما كفانى

* * *

وقال يرثى الأستاذ أبا الحسن محمد بن الفضل ، وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة :

قطعتَ بهـا يادهرُ حبلَ وَتينى   فشأنك أنّى اليومَ طوعُ شُؤونى (١)
ولا تَلْحَنى إنْ ضَلّ عنّى تصبُّرى   فقـد ضلّ عنّى صاحبى وقرينى
ويامَنْ عهدناه ضَنيناً بدمعِهِ   كنِ اليومَ فى ذا الرُّزْءِ غيرَ ضَنين (٢)
وإنْ كنتَ مرتاداً حنيناً ولوعةً   فخـذ سَرَفاً من لوعتى وحنينى
فلم تُشْفَ إلّا بالبكاء حرارتى   ولم تُقضَ إلّا بالدّموع ديونى
فأىُّ نفيسٍ قلّص الموتُ شخصَه   على بَغْتةٍ عنّا وأىُّ ثمينِ !
مُعَرَّسُ أسرارى إذا ما تَقَلْقَلَتْ   ومَلْقى همومى خالياً وشُجونى (٣)
ومَن كان عَوْنى يومَ أبغى معونةً   بحيث شمالى لا تُعـين يمينى
وعارٍ من الفحشاء زلّ به الرّدى   كما زلّ نَصْلٌ فى أكفّ قُيونِ (٤)
أمينٌ على سرّ الأخلّاء حينما   يكون أمينُ القومِ غـيرَ أمينِ
فأىُّ شَجاةٍ بعـده لجوانحى   وأىُّ قذاةٍ بعـده لجفونى (٥)

(١) حبل الوتين : عرق يخرج من القلب تتفرع منه العروق جميعها واسمه «الأبهر» ، والشؤون: مجارى الدموع .
(٢) الضنين : البخيل .
(٣) المعرس : منزل الاستراحة للمسافر .
(٤) النصل : حديدة السهم والسيف ، والقيون : جمع القين وهو الحداد .
(٥) الشجاة : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه ، والقذاة : ما يدخل فى العين من قش وغيره .

وعاذلةٍ هبّتْ عليَّ تلومني فقلتُ دعيني والمصابَ دعيني

«لقد» فاتني منه الذي كنتُ أرتجي وأخلفتِني فيه الذي تَمِدِيني [1]

عِدِيني ومَنّيني سواه فقد محا طُروقُ الرّدى فيه «طريقَ ظُنونِي» [2]

وإنْ كنتِ تبغيني فني جانبِ الأسى فإنّكِ في السّلوانِ لا تجدِيني

فلا «تتقيني» في البكاءِ وكلّما سئمتُ فأعييتُ البكاءَ فقِيني [3]

ولا تسأليني: لِمْ «جَزِعْتَ؟» وإنما عن الحزنِ لم أبلغْه فيه سَلِيني [4]

قرعتَ به ياموتُ قلبي فلِمْ تَلُمْ؟ على فقده أنّى قرعتُ جبيني

ولا غَرْوَ أنْ أبكي لِمنْ خفَّ بالرّدى إذا كنتُ أبكي يومَ خفّ «قطيني» [5]

أفي كلِّ يومٍ أيُّها الدّهرُ فُرقةٌ؟ فراقُ حميمٍ أوْ فراقُ خَدينِ!

ففي أيِّ فجٍّ لا أراكَ تنوبني؟ وأيُّ عجيبٍ لا أراكَ تُريني؟

وكم أنا مغرورٌ بكَ العمرَ كلَّه تخادعني عن خبرتي ويقيني

تقلّبني فيما أرجّي وأتّقي وترغي سهولي تارةً وحُزوني [6]

وإنّ حَرُوني يومَ ينقاد مِقْوَدي سريعٌ إلى الغاياتِ غيرُ حَرونِ [7]

ألا يا ابنَ حَمْدٍ رُزْءُنا فيه واحدٌ وما كنتَ يوماً بالمُرَزَّءِ دوني

فلا تحملنَّ العبْءَ وحدَكَ كلَّهُ فإنّي على الأعباءِ خيرُ معينِ

☆☆☆

---

(١) في (هـ و ش) «قد» بدل «لقد» .

(٢) في (س) «طروق ظنون» تصحيف «طريق ظنون» والطروق: الإتيان ليلا .

(٣) في (هـ) «ولا تلقيني» بدل «فلا تتقيني» .

(٤) في (هـ) «حزنت» بدل «جزعت» .

(٥) القطين: القاطن والمقيم ، وفي (هـ) «وطيني» تحريف «قطيني» .

(٦) الحزون: جمع الحزن (بفتح الحاء وتسكين الزاى) ما غلظ من الأرض .

(٧) الحرون: غير المنقاد ، والمقود: الزمام .

وقال يمدح فخر الملك[1] :

يا حاديَ العيسِ عرّجْ بى على الدِّمَنِ ... فكم لنا عندهنّ اليوم من شَجَنِ
ما ذا على النّفرِ الغادين لو سمحوا ... بنظرةٍ من خلالِ السِّجْفِ لم تَبِنِ[2]
قالوا : نراك بلا سُقْمٍ ، فقلتُ لهمْ : ... السُّقْمُ فى الجسمِ ليس السُّقْمُ فى البدنِ
فى القلبِ منكمْ حَزازاتٌ لو انكشفتْ ... لِعاذِلى فيكمُ ما باتَ يَعذُلنى[3]
هل فى الهوى من غريمٍ لا يُماطلنى ... أوْ من خليلٍ عليه لا يُعنّفنى
لا يعرف الدّارَ إلّا قام يندبُها ... ولا يسائلها إلّا عن السَّكَنِ
ولى فؤادٌ إذا أصبحتَ تأمُرُه ... بالصّبرِ أمسى بغير الصّبْرِ يأمرنى
ومسرفٌ كلّما واصَلْتُ قاطعنى ... بَغْياً علىّ وإنْ واصلتُ باعدنى
وإنْ شكوتُ إليه بعضَ قَسْوَتِهِ ... لانَتْ صخورُ شرورى وهو لم يَلِنِ
وقد جفانىَ حتّى أنّ طارقَهُ ... فى ظُلمةِ اللّيلِ عمداً ليس يطرُقنى[4]
للهِ أيّامُ فخرِ الملكِ مَن عَلِقَتْ ... به المكارمُ مجرى الرّوحِ للبدنِ
ومَن يجودُ بما تحوى أناملُهُ ... من النّفائسِ فى سرٍّ وفى عَلَنِ
أعطيتَ حتى كأنّ الجودَ مُبتدَعٌ ... وإنّ شيئاً من المعروفِ لم يكنِ
للهِ درُّكَ والأبطالُ هائبةٌ ... واليومُ يعنُفُ بالطّاقاتِ والمُنَنِ[5]

---

(١) ورد فى « طيف الخيال » (ص٨٦) مطلعها وبيتان آخران أحدهما لم يرد فى أصول الديوان سيأتى ذكره .

(٢) السجف (بالكسر) : الستر .

(٣) الحزازة : وجع فى القلب من غيظ ونحوه .

(٤) الطارق : الآتى ليلا

(٥) المنن (بضم الميم) : جمع المنة (بالضم) وهى القوة، وفى طيف الخيال بعد هذا البيت البيت الآتى وفيه غموض وهو :

ومَنْ يضنّ بزَوْرٍ فيه كيف يَدِى ... والنّقل للحقّ يوماً فيه ينقصُنى

والسُّمرُ تفتُقُ طعناً كلَّ «راعفةٍ» ... من النّجيع بمثل العارضِ الهَتِنِ [1]
فى ظهر طاويةِ الأحشاء ضامرةٍ ... كأنّها قِدْحُ نَبْعٍ جِيب بالسَّفَنِ [2]
قلْ للذين أرادوا نيـــلَ غايتِهِ ... أين الخضيضُ من الأعلاءِ والقُنَنِ؟ [3]
كم ذا اهتديتمْ ولا هادٍ سواه على ... ظلماء لو مرّ فيهـا الصّبحُ لم يَبِنِ
أحبُّهُ ، وقليـــلٌ ذاك مُحتَقَرٌ ... حبَّ الغريبِ القَصِىِّ الدّارِ للوطَنِ
وأرتضى مُلْكَه لى بعد ما عزفتْ ... نفسى عن أمْلاكِ الجبّار يملكنى
وأرتجيهِ لأيّامٍ أُطالعُهـــا ... غيباً بلا باطلٍ فيها ولا دَرَنِ
يفديك كلُّ وساعِ الباعِ فى طَبَعٍ ... شَحْطٍ على مُرتجيهِ ضيّقِ العَطَنِ [4]
مازال والنّاسُ شتّى فى خلائقهم ... غَرْثانَ من كرمٍ ملآنَ من جُبُنِ
يريد نيلَ العُلا عفواً بلا تعبٍ ... وكم دُوَيْنَ العُلا من مركبٍ خَشِنِ
لايُدرك العزَّ إلاّ كلُّ ذى أنَفٍ ... نابٍ عن العجزِ شرّادٍ عن الوَهَنِ
يُلقى الثَّراء على وجهِ الثَّرى أبداً ... ويترك الغثَّ منبوذاً على السِّمنِ
دان الزّمانُ لنا بعـــد الجِماحِ ولو ... سواك راضَ شِماساً منه لم يَدِنِ [5]
فالآن نجرى إلى اللذّاتِ نأخذها ... بلا عِـــذارٍ يُعنّينا ولا رَسَنِ [6]
هُنّيتَ بالعيدِ واعتادتْ ربُوعَك مِنْ ... سعودِهِ كلُّ وطفاء من المُزُنِ [6]

---

(١) الراعفة : التى تسيل د ا ، وفى الأصل « راعية » ع رة ، والنجيع : الدم ، والعارض : السحاب المعترض فى السماء ، والهتن : المنصب .

(٢) القدح : السهم ، وجيب : قطع . والسفن (بفتحتين) : حجر ينحت به كالمبراة .

(٣) الخضيض : مااطمأن من الأرض ، والأعلام : الجبال ، والقنن : كالقلال زنة ومعنى .

(٤) الشحط : البعيد ، والعطن : مبرك الإبل والغنم .

(٥) الجماح (بالكسر) : فى الخيل الشدة والسرعة فى السير وعدم الانثناء ، والشماس : الامتناع على الركوب وصعوبة تمكين الدابة من ظهرها .

(٦) العذار : من اللجام ما سال على خد الفرس .

(٧) الوطفاء : من السحاب التى تدلت ذيولها لكثرة مائها .

وعشتَ من نَبَواتِ الدّهرِ قاطبةً ـ وإنْ دَهَيْن الورى فى أوثقِ الجُنَنِ (١)
ولا تَغِبْ عن نعيمٍ ظَلْتَ تألفُهُ ولا تَخِبْ عن مُنًى فيــه ولا تَهِنِ
هــذا الثناء فإنْ كانتْ مدائحُهُ يقصُرْن عنك فبُعْدُ الشَّأْوِ يعذُرنى (٢)
ومَنْ يُطيقُ ـ وإن أَوْفَتْ بلاغتُهُ ـ يُثنى بكلِّ الذى أوتيتَ من حَسَنِ ؟

☆ ☆ ☆

وقال يرثى :

ألم تَرَنى فى كلِّ يومٍ وليــلةٍ أحِنُّ إلى من لا يَحِنُّ حنينى ؟
وأندُبُ مرموساً بملساء قَفرةٍ فياليتنى ناديتُ غــيرَ دفينِ
كأنّى وقد قُطِّعتَ عنّىَ هالكاً ـ تقطّع منّى أكْحَلِى ووَتينى (٣)
فَرَتْ نائباتُ الدّهرِ أغصانَ دَوْحَتِى ولاقَ أصولى ما أصاب غُصونى (٤)
فإنْ بقيتْ بعــد القرينِ حُشاشتى قليلاً فإنّى لاحقٌ بقرينى (٥)

☆ ☆ ☆

وقال فى العتاب والاعتبار :

رضيتُ بالدّونِ لمّا لم أجدْ وَزَراً ولو وجدتُ لما أرضيتُ بالدُّونِ (٦)

---

(١) الجنن : جمع الجنة وهى الدرع .
(٢) الشأو . الغاية .
(٣) الأكحل : عرق فى وسط الذراع ، والوتين: عرق يخرج من القلب تتفرع منه باقى العروق.
(٤) لاق : كذا فى الأصل ولعلها « لاق » ، ولاق الشىء : مرسه ، ولاقه : أمسكه ، وجاء للمعرى فى سقط الزند :

أراكَ فى الأرضِ سيّارًا إلى شرَفٍ كما رفيقُكَ فى الآفاقِ سيّارُ
كأنّكَ البدرُ وَالدُّنيا منازِلُهُ فلا تَليقُكَ إلاّ ليــلةً دارُ

(٥) الحشاشة : بقية الروح فى البدن .
(٦) الوزر (بفتحتين) : الملجأ ، جاء فى القرآن الكريم « كلا لا وزر » .

كم ذا أعالجُ إمّا كاشحاً حَنِقاً ... أوْ أبتَلى بصديقٍ غيرِ مأمونِ (١)

ما زلتُ بُقياً على الأحوالِ تجمعنا ... أُطيعه وهو طولَ الدّهرِ يعصيني

بُعداً وسُحقاً لقومٍ لا حِفاظَ لهمْ ... كنزتُ عندهمُ وُدّاً فلَوني

مازلتُ فيهمْ وَصولاً مَن يقاطعني ... ورائشاً عندهمْ من كان يَبْريني

منّوا عليّ بأن لم يسلبوا نَشَبي ... سَقْياً ورَعْياً لفضلٍ غيرِ ممنونِ

من كلِّ أخْرَقَ مأسورٍ بشهوتِهِ ... مُخَدَّعٍ برخاء العيشِ مفتونِ (٢)

ظنّوا وليس لهمْ فضلٌ يقدّمهمْ ... إنّ التقدّمَ في أيدي السّلاطينِ

هيهاتَ ما الفضل إلّا ما حبَتْك به ... أمُّ الفضائلِ من عقلٍ ومنْ دينِ

ما كان مُبتاعُهمْ إلّا أخا نَدَمٍ ... وليس بائعهمْ إلاّ بمغبونِ

جَنَوْا سَقامي وكم فيهمْ وعندهمُ ... طَبٌ بدائي ولكنْ لا يُداويني (٣)

يقولُ قومٌ ومالي فيهمُ دُوَلٌ ... أجفوهُ بَذْلاً له فيهمْ ويجفوني: (٤)

كم بين فقرٍ وإثراءٍ؟ فقلت لهمْ: ... ما بين عزِّ الفتى في النّاسِ والهُونِ (٥)

عشْ مفرداً غيرَ مقرونٍ فلا جَذَلٌ ... إلاّ بأنّيَ فردٌ غيرُ مقرونِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ البعدَ يؤمنني ... بعدتُ لكنّ بُعدي لا يُنجّيني

مَن مُخرجي من بلادي فهْيَ موبئةٌ؟ ... وكلّ داءٍ بها في الخلقِ يُعديني

وقد عَمَرْتُ زماناً في مرابعها ... أعدو المحاذرَ فيها وهْيَ تعدوني

وقد صحبتُ الذي بالغيِّ يأمرني ... وبالّذي يُدنِسُ الأعراضَ يُغريني

إنّي لأعجبُ منه وهو ذو عَجَبٍ ... يبيعني قبل أن يلقى ويَشريني!

---

(١) الكاشح: العدو المبغض.

(٢) الأخرق: الأحمق

(٣) الطب بالفتح: الحاذق العليم.

(٤) يقال أصبح ماله دولا بينهم: أي يتداولونه.

(٥) الهون: الذل والهوان.

يَقِيهِ نحرِىَ من رامٍ فريسَته ... يوم الوغى هو عُمْرَ الدهرِ يرمينى

وكلّما أخرجتْ كفّى القذاةَ له ... من جَفْنِهِ بات يُشجينى ويُقذينى[1]

وكم أُلَبِّيهِ فى ضَرّاء يركبُها ... ولم يكن يومَ سَرّاء يُلَبِّينى

مَن لى بِحُرٍّ من الإخوانِ ذى أَنَفٍ ... أَكفيه أثقالَه طَوْراً ويكفينى ؟

لا يَلْتقِى بِىَ إلاّ عند نائبةٍ ... يُعين فيها ومكروهٍ يُعنّينِى

فهو المُؤاتِى ، ولكنْ فى مُذَمَّمَةٍ ... يُثنِى علىَّ « ونَرْدى » لا يُؤاتينِى[2]

خذْ كيف شئتَ فما الدّنيا بخالدةٍ ... ولا البقاء على خلقٍ بمضمونِ

خُلِقتَ من طينةٍ لمّا خُلِقتَ فلِمْ ... تَرْبأ بنفسكَ أنْ تُهدَى إلى الطّينِ ؟[3]

إلى التّراب يصير النّاسُ كلُّهمُ ... مِن مُفْهَقٍ بالغنَى كفًّا ومِسكينِ[4]

مُبَدَّلين بتُرْبٍ عن ملابسهمْ ... وبالخشونةِ عن خَفْضٍ وعن لينِ

قلْ للّذى رَقَمَتْ أموالَه يدُه : ... يُغنِى مُوَيْلُكَ مُغْنِى مالِ قارونِ[5]

أين الذى رفع الإيوانَ تحسَبُه ... إذا بدا لك طَوْداً لاح فى بِينِ ؟[6]

وأين عالٍ على غُمدانَ مُحتقراً ... ـ من كِبْرياه به ـ غُرَّ الثّنانين ؟[7]

وأين مَن حلّ فى خَفّانَ مُحتكماً ... على الملوكِ مُحَيًّا بالرّياحين ؟[8]

كأنّهمْ ساكنى غُبْرِ القبورِ لهمْ ... لم يسكنوا بيننا غُبْرَ البساتين

---

(١) القذاة : ما اعترض فى العين من قش ونحوه ، والشجاة : مايعترض فى الحلق من عظم وغيره

(٢) النرد : لعبة معروفة عندنا بالطاولى ويقصد بها الحظ ، وجاء فى الأصل « نروى » و معنى لها .

(٣) ربأ بنفسه عن كذا : أى رفعها وأجلها .

(٤) المفهق : الممتلىء .

(٥) رقمت : كتبت ، ومويل : تصغير المال .

(٦) الطود : الجبل ، والبين (بكسر الباء) : الموضع المرتفع .

(٧) الثنانين : جمع الثنون (بالضم) وهو ما نبت من اللحية على الذقن .

(٨) خفان : موضع قرب الكوفة على طريق القادسية .

بادوا فلا أثرٌ منهم ولا خبرٌ   إلاّ أساطيرُ تقريظٍ وتأبينِ
ياليتَ شعرِيَ أيُّ الأرض تَنبتُ لِي؟   وأيُّ تُربٍ من البَوْغاءِ يَعلُوني ؟ (١)
وأيُّ وقتٍ من الأوقاتِ أكرَهُهُ ؟   أُجيبُ فيه حِمامِي إذْ يناديني
إنْ كنتُ لمْ أعْيَ من خَطْبٍ رُميتُ به   فإنّ خَطْبَ صُروفِ الدّهرِ يُعْيِيني

* * *

وقال وكتب بها يذكر ما بينه وبين القاضي أبي القاسم التنوخي من المؤانسة :

رُمِ النَّجاءَ عن الفحشاءِ والهُونِ   ولا تَعُجْ بصديقٍ غيرِ مأمونِ (٢)
ولا تُقِمْ بين أقوامٍ خلائقُهُمْ   خُشْنٌ وإنْ كنتَ في خَفْضٍ وفي لِينِ
ماذا الغناءُ وظِلُّ العودِ يُقنعني   وذا الشّقاءُ وبعضُ القوتِ يكفيني
والمالُ تُصبِحُ صِفراً كفُّ جامعِهِ   ولو أنافَ على أموالِ قارونِ
وليس ينفعني والدّاءُ يعنُفُ بي   إذا وجدتُ طبيباً لا يداويني
مَن لي بمن إنْ هفَتْ رِجلاهُ في زَلَقٍ   حَمَيْتُهُ أو هفَتْ رِجْلايَ يحميني ؟
يرمي العِدا أبداً عنّي وليس يُرى   – ولو رماني جميعُ النّاسِ – يرميني
أشكو إلى اللهِ قوماً عشتُ بينهمُ   يرضون من كلّ ما يبغون بالدُّونِ (٣)
لارَوْنَقٌ لهمُ يرضاهُ لِي بصري   ولا لهمْ عَبَقٌ يرضاه عِرْنِيني (٤)
من كلّ أخْرَقَ بالشّنعاءِ مُضطَبِعٍ   وبالّذي دنّسَ الأعراضَ مَزْنونِ (٥)

---

(١) البوغاء : التربة الرخوة .
(٢) الهون : الذلة والمهانة .
(٣) « ما » ساقطة من (س) .
(٤) العبق (بفتحتين) : مصاق الريح، وغلب على الطيبة منها ، والعرنين : الأنف .
(٥) الأخرق : الأحمق ، والشنعاء : العيب والفضيحة ، والمضطبع : الملتف بإزاره كالمحرم ، والمزنون : المتهم .

أغدوه لا جائزاً منه بناحيةٍ ... والشرُّ كالعُرِّ فى الأقوام يُعدينى (١)

لولا التنوخىُّ لم آنسْ إلى أحدٍ ... ولا أجبْتُ وداداً من يناديني

ولا رأتنيَ عينٌ لامرىءٍ أبداً ... إلاّ عَرِيًّا خَلِيًّا غيرَ مقرونِ

ليلى بزَوْرَته فى مُشْرِقٍ يَقَقٍ ... والصبحُ أسعدُ صبحٍ حين يأتيني (٢)

كأنه مبهجٌ أضحى يبشّرنى ... ومطربٌ أبداً أمسى يغنّيني

لو يستطيع حمانى كلَّ بائقةٍ ... وباعد السّودَ فى رأسى عن الجُونِ (٣)

يُطيعنى وهو ممّن لا امتنان له ... كأنه طولَ هذا الدهر يَعصيني

كم ليلةٍ بتُّ منه فى بُلَهْنِيَةٍ ... أُعطيه ما يبتغى منّى ويُعطيني (٤)

كأننا باخضرارٍ من تذكّرنا ... نُمسى ونُصبحُ فى خُضرِ البساتينِ

ونابَ مِنّا حديثٌ بات يُطربنا ... عن أنْ أُسَقِّيَهُ كأساً ويَسقيني

متى سقانى فروّانى مواصلةً ... فما أُبالى بمن فى الخَلقِ يجفوني

وإنْ جرى لىَ مدحٌ فى مقالته ... فقل لمن شاء فى الأقوام يهجوني

لم تخلُ إلّا به الدّنيا ولا مَرَقَتْ ... منه الخلائقُ عن مَحْبُوحَةِ الدِّينِ (٥)

لا أدركَتْ أُذُنى ما ليس يُعجبنى ... فيه ولا مُقلتى ما ليس يُرْضيني

ولا أستَردُّ الذى أعطيتُ منه ولا ... عادتْ غصونٌ كَسَتْنى منه تَعريني

* * *

(١) العر بالضم: الجرب .

(٢) اليقق (بفتحتين) : شدة البياض .

(٣) البائقة : الداهية ، والجون : البيض .

(٤) البلهنية : طيب العيش وسعته .

(٥) مرقت : خرجت ، ومحبوبة الدار : وسطها .

وقال فى الشيب :

إنّ نعمى وما درَتْ ... حمّلتني بظعنها
سَرَقت ليلة الجما ... رِ فؤادى بحسنها [1]
كنتُ صُبحاً حُرًا وأمـ ... ـسيتُ من بعض قِنّها [2]
طَلَبتْنى على شجا ... عةِ قلبى بجُبْنِها
كنتُ لمّا كَنيْتُ عنـ ... ـها كأنّى لم أعْنِها
لَيْتنى كنتُ فى الظّلا ... مِ ضجيعاً لغُصنها
أو نسيمَ الصَّبا يَمـ ... ـرُّ اجتيازاً برُدْنِها [3]
ولقد عدّدَت علَىّ ... ذُنوباً لم أجْنِها

* * *

وقال يمدح جلال الدولة ويهنئه بعيد الفطر :

يا طائرَ الأيْكِ غرّدْ لى على الفَنَنِ ... وداوِ ما بِىَ من همٍّ ومن حَزَنِ [4]
وفى الفؤاد شجونٌ غيرُ زائلةٍ ... إنْ كان قلبُك خِلْواً غيرَ ذى شَجَنِ
ما لى أراك بلا شَوْقٍ ولا كَلَفٍ ... ولا حبيبٍ تُرَجِّيه ولا سَكَنِ؟ [5]
إنْ كنتَ تُنْصَفَ ممّنْ أنتَ تعشقه ... فإنّنى عاشقٌ من ليس يُنصفنى
وما الشّقاوةُ إلّا فتنةٌ سكنتْ ... قلبا وأفلح قلبٌ غيرُ مُفتَتِنِ

---

(١) ليلة الجمار : ليلة رمى الجمار فى مناسك الحج .

(٢) القن (بالكسر) : العبد ، ويستوى فيه الفرد والمثنى والجمع .

(٣) الردن : أصل الكم .

(٤) الفنن : الغصن ، والأيك : الشجر .

(٥) الكلف : شدة الحب .

وفى الكثيب الذى فارقتُهُ عجلاً ... ماشاءتِ العينُ من حُسْنٍ ومن حَسَنِ
أُحبُّ فيه عَسوفاً ليس يرأفُ بِي ... وقاسِيَ القلبِ فَظًّا ليس يرحمني
ما الوعدُ منه بمألوفٍ لعاشقِهِ ... فإنْ يَعِدْ فهْوَ بالإنجاز يُمطِلُني
يسبى بى مالكاً رِقِّي ولستُ أرى ... حظًّا لنفسِيَ منه أنْ يُحرِّرني
نفسى الفداء لخوّانٍ كلفتُ به ... أظلُّ أُونِسُهُ دهراً ويوحشني
وهمّ نفسى خَلِيٌّ بات يشغلني ... أو الصّحيحُ الذى ما زال يُمرضني
وكم ليالٍ مضتْ لى فى خُناصِرَةٍ ... ينام فيها قريراً مَنْ يؤرِّقُني (1)
ظَبْيٌ تجافى الجوى عنه فروّحه ... يُقيمني حُبُّهُ طوراً ويُقعِدني
مُحيِّرٌ وجهُهُ للشّمسِ إن طلعتْ ... ومُخجِلٌ قَدُّه إنْ ماس للغُصُنِ
أُطيعُهُ وهو يَعصيني وأُنصِفُهُ ... كما يحاول من نفسى ويظلمني
ما للخيالِ الذى قد كان يطرقنا ... أيّامَ وَصْلِكُمُ قد عاد يطرُقُني ؟
نَفَتْ يقينِيَ عن قلبى أباطِلُهُ ... فما لعينِيَ حقٌّ لا ولا أُذُني
قلْ للحُداة وقد زَمّوا لِرحلتِهمْ ... يومَ الفراقِ خياشيماً من البُدُنِ (2)
دقّتْ وما زالتِ الأشطانُ تجذبُها ... إلى المَهامِهِ حتى صِرْنَ كالشَّطَنِ: (3)
حملتمُ اليومَ قلبى فى هوادجكمْ ... فليس ينفعُني أنْ تحملوا بدني
ولستُ فى وطنٍ فارقتموهُ وفى ... رِحالِكمْ حيثما يَمَّمْتُمُ وطني (4)
يا صاحبيَّ على ما الدّهرُ يُحدِثُهُ ... من مركبٍ لَيِّنٍ أوْ مركبٍ خَشِنِ
قولا لِمَلْكِ ملوك الأرض كلِّهمُ ... والرّكنِ للدِّين والماضى على السُّنَنِ :

---

(1) خناصرة : بلدة فى الشام .
(2) زموا : شدوا الزمام ، والبدن . (بضمتين) : جمع البدنة (بفتحتين) وهى الناقة السمنة .
(3) الأشطان : جمع الشطن (بفتحتين) : وهو الحبل ، والمهامه : المفاوز .
(4) يمم : قصد .

قد نِلتَ مالم ينَلْ كسرى ولا بلغتْ ... هِمّاتُ عمروٍ ولا سَيفِ بن ذي يَزَنِ
ما إنْ يكون لأخلاقٍ خُصصتَ بها ... كريمةٍ في الورى شِبهٌ ولم يكنِ
تُغضى وما حاذرَ الأقوامُ كلُّهمُ ... من الرّجالِ سوى إغضاء ذي فِطَنِ
وتتركُ القولَ لم تُحمَدْ مواضعُهُ ... وكم صَموتٍ ومايُدعَى من اللَّكَنِ (١)
يَفديكَ كلُّ جمودِ الكفِّ عن كرمٍ ... للعرضِ مُطَّرِحٍ للمالِ مُحتَجِنِ (٢)
ناءٍ عن الخير منحازٍ بناحيةٍ ... عن المكارمِ صبّارٍ عن الوَهَنِ
للهِ درُّكَ في هولٍ نفضتَ به ... عن الضلوعِ مُرورَ الرُّعبِ والجُبُنِ
والطعنُ يفتُقُ في كفَّيك فاغرةً ... كشِدْقِ أعلمَ أو لا فهى كالرُّدُنِ (٣)
وأنتَ في معشرٍ شُمٍّ أنوفُهمُ ... لم يرتضوا في هضابِ المجدِ بالقُنَنِ (٤)
عارينَ إلاّ من الحسناء قاطبةً ... كاسِينَ إلاّ من الشنعاء والدَّرَنِ (٥)
ومشترى الحمدِ لمّا قلّصتْ هِمَمٌ ... عن غاية الحمد بالغالى من الثمنِ
لهمْ ثيابٌ نقيّاتٌ بلا دَنَسٍ ... مَرَّ الليالى وعيدانٌ بلا أُبَنِ (٦)
وإنْ دعوتَ بهمْ في يومِ ملحمةٍ ... جاءوكَ شدًّا على الأكوارِ والحُصُنِ
بأذرُعٍ لم تزلْ منهمْ معوّدةً ... هزَّ الظُّبا البيضِ، سُمرَ القنا اللّدُنِ
قلْ للّذى باتَ يرمينى وليس له ... علمٌ بأنّك لِى أوقَى من الجُنَنِ : (٧)

---

(١) اللكن (بالتحريك) : عجمة وعى فى اللسان .
(٢) احتجن المال : ضمه واحتواه .
(٣) الفاغرة : المفتوحة الفم ، ويقصدبها الطعنة الفوهاء ، والشدق (بالكسر) : جانب الفم ، والأعلم : الذى شقت شفته العليا ، والردن : أصل الكم .
(٤) شم الأنوف : أى ذوو إباء وعزة ، والقنن : كالقلل زنة ومعنى .
(٥) الدرن : الوسخ .
(٦) الأبن : جمع الأبنة (بالضم) وهى العقدة فى العود والعيب أيضاً .
(٧) الجنن : جمع الجنة (بالضم) وهى الدرع

لا تَبْغِ سَلْبِي ولا تَمْدُدْ إلى سَلَبِي ... منك اليدين ورُكْنُ الدّين يحرسني

قد كنت قبلك أهجو الدّهرَ مجتهداً ... وقد رُزِقْتُك لا عَتْبٌ على الزّمنِ

فأنت أحلى لقلبي من مُناهُ وفي ... عيني عقيبَ السُّرى والأَيْنِ من وَسَنِ (١)

قُدْني إليك فما أعطيتُ معتصباً ... بالتاج قبلك رِقِّي لا ولا رَسَني

وأعـــلمْ بأنِّيَ في يُمناك مُدَّخَراً ... خيرٌ من المالِ في أبياتِ مُختَزِنِ

فإنْ تجدْني كما جرّبتَ ذا لَسَنٍ ... فإنَّ مدْحَك موقوفٌ على لَسَني (٢)

وما رضيتُ سواكمْ آمراً أبداً ... وقد رضيتُك تنهـــاني وتأمرني

إذا مدحتُك لم أقرعْ بلائمـــة ... وبات يعذرني من بات يعذلني

قصائدٌ رقَصَتْ بالسّـــامعين كما ... ترقّص الخمرُ في أحشاء ذي أرَنِ (٣)

فالغَوْرُ كالنَّجدِ في نشر الرُّواةِ لها ... والحيُّ من مُضَرٍ كالحيِّ من يَمَنِ

لِي في امتداحك أسبابٌ تُقدّمني ... وتارةً لِيَ أسبـــابٌ تؤخّرني

فطَوْلُ فضلك عن قومي يُجنّبني ... وعِظَمُ حلمك عن هفوي يشجّعني

فاسعدْ بذا العيدِ والإفطار إنّهما ... والنُّجحَ في كلِّ ما تبغيه في قَرَنِ (٤)

وقد مضى الصّومُ لم يكتبْ عليك به ... ذنبٌ ولا ناله شيءٌ من الظِّنَنِ

يُثني عليك كما أثنى الرّياضُ وقد ... جيدَتْ ضواحيه إصباحاً على المُزنِ

ودُمْ لمجدٍ تُعلّيهِ ومُمتَحَنٍ ... أخرجْتَه كَرَماً من قبضةِ المِحَنِ

ما افْتَرَّ فجرٌ وما لاحَتْ بشائرُهُ ... وما ترَنّمَ قُمْرِيٌّ على غُصُنِ

✡ ✡ ✡

(١) الأين : التعب ، والوسن : أول النوم أو الخفيف منه .

(٢) اللسن (بفتحتين) : الفصاحة والبلاغة .

(٣) الأرن : النشاط .

(٤) القرن (بفتحتين) : الحبل .

وقال فى الغزل :

يامالكاً رِقِّى بلا ثَمَنِ غير الملاحةِ منه والحسنِ
إنَّ الذى نمَّ الوشاةُ به لم يصدقوا فيه ولم يكُنِ
وهَجَرتنِى فطردتَ معتمداً عن مُقْلَتَىَّ لَذاذَةَ الوَسَنِ
فقبيح ظلمِكِ فيه يعذُلنِى ومليحُ ظُلمٍ منك يعذرنى
ولِمَنْ ألومُ وإنَّما بصرى هذى جنايتهُ على بَدَنى ؟
هى محنةٌ لولا الغرورُ بها حازتْ ضِراراً سائرَ المِحَنِ
ولو أنَّ لِى قلباً يطاوعنى لِيئِسْتُ ممَّنْ ليس يرحمنى
فقطعتُ من إنصافِهِ أمَلِى ونفضتُ من إسعافِهِ دَرَنِى

* * *

وقال فى غرضه :

سأبلغُ حاجاتى وإنْ كنَّ نُزَّحاً بكلِّ رقيقِ الشَّفْرتينِ يمانِ (١)
وكلِّ طويلٍ كالرِّشاءِ مَدَدْتهُ يناجيك منه رأسُهُ بِسنانِ (٢)
وإنِّى حَرونٌ عن ديارِ مَريبةٍ وكم ساقَ لِى عِزًّا طويلُ حِرانى (٣)
وقلبِى مطيعٌ لِى وإنْ كنتُ كالّذى نلاقيه من هذا الزّمانِ عصانى
وأعلمُ أنَّ الدّهرَ يعبث صَرْفُهُ بمالِ فُلانٍ تارةً وفلانِ

* * *

(١) نزحاً : بعيدات .
(٢) الرشاء : الحبل .
(٣) الحرون : صعب القياد .

وقال يهنيء بالخلافة القائم بن القادر ويذكر مودته لهما :

أقِلا فشأنكما غيرُ شانى ولستُ بطوعكما فاتركانى
ولا تجشما عَذْلَ من لا يُصيخ فما تَعدِلانى بأنْ تَعذُلانى
غرامى بغير ذوات الخدود ووجدى بغير وصالِ الغوانى
ولِى شُغُلٌ عن هوى الغانياتِ وما الحبُّ إلاّ فَراغُ الجَنانِ [١]
ومن أجلِ وَسْواسِ هذا الغرامِ أقام العزيزُ بدار الهَوانِ
ولولا الهوى ما رأيتَ الشُّجاعَ يَقنِصُ فى حومةٍ للجبانِ
ولِى عِوَضٌ بوجوهِ الصَّوابِ مُشرقةً عن وجوه الحِسانِ
فأغنَى من البِيضِ بِيضُ الضِّراب وأغنَى من السُّمرِ سُمْرُ الطِّعانِ
دعانى إليهِ فلبَّيْتهُ مليكُ الورى والعُلا والزَّمانِ
دعانى ولولا ولائى الصَّريح لدولتِهِ وَجْدُها مادعانى
أتتْهُ ولم يأتِها ريبةٌ يَغارُ على مثلها الفَرقدانِ [٢]
وكنتُ أراها له بالظُّنون فقد صرتُ أُبصرها بالعِيانِ
فدونَكها دولةً لا تَبيدُ كما لا يبيدُ لنا النَّيِّرانِ
بناها لك اللهُ فى شامخٍ بعيدِ الرِّعانِ رفيعِ القِنانِ [٣]
فقد علم المُلكُ ثمّ الملوكُ أنّك أَولاهُمُ بالرِّهانِ
وأنّك أضرَبُهُمْ بالحسامِ وأنّك أطعَنُهمْ بالسِّنانِ

---

(١) الجنان (بالفتح) : القلب .
(٢) الفرقدان : نجمان عاليان .
(٣) الرعان : جمع الرعن وهو انف الجبل، والجبل الطويل. والقنان : جمع القنة كالقلة من الجبل زنة ومعنى .

وأنك أبذلُهمْ للبــدُورِ وأملاهُمُ فى قِرَى للجفانِ (١)
وأنك سِلْمًا وحربًا أحقُّ بظهرِ السّرير وظهرِ الحِصانِ
وأنك فى خَشِناتِ الخطوبِ أبعــدُهُمْ عن محلٍّ اللّيانِ
فللهِ دَرُّك يوم ألتَوَتْ عليك الخطوبُ ألتواء المثانى (٢)
وقد ذهبوا عن طريق الصّوابِ وأنتَ عليــه وما ثَمَّ ثانِ
دعوك إليها دعاء الرُّكوبِ سُرَى اللّيلِ للقمرِ الاضْحَيانِ (٣)
وقالوا هَــلُمَّ إلى خُطَّةٍ تُقَعْقِعُ بالشَّرِّ لا بالشِّنانِ (٤)
عشيَّةَ لاكوا ثِمارَ النُّكولِ وذاقوا جَنَى عجزِهمْ والتّوانى
ولاحتْ شواهدُ مشنوءةٍ ودلَّ على النّارِ لونُ الدُّخانِ
وأشعرنا الحزمُ قبلَ اللّقاءِ بيومٍ يسيل ردًى أرْدَنانِ (٥)
وأنتَ على ظَهرِ مجدولةٍ من الشّدِّ والطّرْدِ جَدْلَ العِنانِ (٦)
كأنَّ الذى فوقهــا راكبٌ قَرَا يَذْبُلٍ أوْ سَرَاتَىْ أبانِ (٧)
إلى أن جذبتَ صِعابَ الرّقابِ وشُمَّ الخَاطمِ جَذْبَ العِرانِ (٨)
وغيرُك ينــدم فى فائتٍ وليس له غــيرُ عضِّ البَنانِ
وغرَّهُمُ منك طولُ الأناةِ وكمْ غُرَّ فى السّرْعِ من بُعْدِ دانِ (٩)

(١) البدور: جمع البدرة (بالفتح): وهى كيس فيه دراهم، قيل عشرة آلآف وقيل غير ذلك، والجفان: جمع الجفنة وهى القصعة.
(٢) المثانى: من أوتار العود بعد الأول.
(٣) الأضحيان: والضحيان: المضىء.
(٤) الشنان: جمع الشن، وهى القربة الصغيرة الخلق، وقعقع له بالشنان: روعه بما لا حقيقة له وفلان لا يقعقع له بالشنان: أى جرىء لا يفزع مما لا يفزع.
(٥) الأردنان والأردن: ما خالطت حمرته صفرة.
(٦) المجدولة: المفتولة.
(٧) القرا: الظهر، ويذبل: اسم جبل، والسراة: أعلى الشىء كظهر البعير وغيره، وأبان: جبل.
(٨) الخاطم: الأنوف، والعران (بالكسر): عود يجعل فى وترة أنف البعير.
(٩) الأناة: الرفق واللين، والسرع ـ بالعين والغين ـ: قضيب الكرم الغض.

فلا تستغرّوا بإطراقـــةٍ تهابُ كإطراقةِ الأفعُوانِ (١)
ولا تحسبوا حِلْمَهُ دَيْدَناً فكم نزع الحِلْمَ إصرارُ جانِ
وإنّك فى معشرٍ شـــأنُهمْ إذا شهدوا معركًا« خيرُ » شانِ (٢)
لهمْ رُمَمٌ كلّما رُجِّلَتْ فبالسّائل «العَصْب» لا بالدّهانِ (٣)
وأيمانُهمْ خُلقتْ فى الهِياجِ لضربٍ يقطُّ الطُّلى أو طِعانِ (٤)
يحلُّونَ فى كلِّ مرهوبةٍ محلَّ الغِرارِ الُحسامِ اليمانى (٥)
وإنْ أنتَ طاعَنْتَ أغنَوْكَ فى الـ ـقناةِ ـ وقد حضروا ـ عن سِنانِ
فيارُكنَ أديانِنـــا والجمالُ لِملّتنـــا فى نأى أو تَدانِ
أبوكَ الذى ســـامنى مدحَه وما زلتْ عنه طويلَ الحِرانِ (٦)
إلى أنْ ثنـــانى إليه الوِدادُ منه وكــرّمنى فاْشــترانى
وما زال يجذبنى باليـــدين حتّى عطفتُ إليهِ عِنـانى
ولمّا رَقانى ولم أعْيِهِ وأعيَيْتُ مِنْ قبله مَنْ رَقانى (٧)
فسيّرتُ فيـــه من الصّائباتِ دِراكاً نحورَ العدا والمعـانى
وأطربتُهُ بغنـــاءِ المَديحِ فأغنيتُهُ عن غِنـــاءِ القِيانِ
فخذْ منِّىَ اليومَ ما شئتَ مِنْ صنيعِ الضّمير ونسجِ اللّسانِ

---

(١) الإطراق: السكوت وغض البصر ، وفى المثل: أطرق إطراق الشجاع (بضم الشين أو كسرها) أى إطراق الحية لايدرى متى تثب .

(٢) فى الأصل « غير » تصحيف « خير » .

(٣) الرمم : جمع الرمة (بالضم): وهى الرأس، والعصب :بالصاد: ضرب من البرود الحمراء ويعنى به الدم ، وفى الأصل « العضب » بالضاد تصحيف .

(٤) الطلى : الرقاب .

(٥) الغرار : حد السيف .

(٦) الحران : صعوبة الانقياد .

(٧) رقاه : قرأ عليه الرقية، وهى العوذة .

كلاماً يغور إليه البليدُ ويَنقلُه مُسرعاً كلُّ وانِ
شَموساً يُبرِّحُ بالهاتفين ولمّا هَتَفْتُ به ما عصانى (١)
غنيًّا بصنعته لم يَطُفْ بلفظِ فلانٍ ومعنًى فلانِ
فلو رامه الأفوَهُ ما ناله ولولاك كفواً له ما عدانى
ولى خدمةٌ سلفتْ فى الزّمان صدعتُ بها غرّةً فى زمانى
ولمّا رأتنيَ منك اللّحاظُ حَمَتْنى هنالك منك اليدانِ
وأسكنتُ عندك ظلًّا أقول: كفانِىَ ما نلتُ منه كفانى
وما زلتُ مذْ ذاك تحنوا علىَّ ودادك فى الصّدرِ منّى الحوانى
يَهابُ مراميَ مَن رامنى ويُخطئنى خِيفةً من رمانى
ولولا دفاعُك عنّى لَمَا تغيّبَ عن رَيْبِ دهرى مكانى
ولا كنتُ ممّنْ يرى سيئاً بغـيرى ومقلتهُ لا ترانى
ولمْ لا أُتيهُ ؟ وأنت الذى تَنَخَّلَنِى خِبرةً واصطفانى (٢)
ولمّا انتسبتُ إلى عزّهِ حميتُ الذى كان قِدْماً حمانى
فلا زِلْتَ من تَبِعاتِ الخطوب ومن كلّ طارقةٍ فى أمانِ
وأصبحتَ مصطبحاً ما تَبيتَ تُرامقهُ من مُنًى أو ترانى (٣)
ولا فارقَتْكَ ضُروبُ السّرورِ ولا صارمَتْك فنونُ التّهانى (٤)

* * *

---

(١) الشموس : من الخيل وغيرها : من صعب قياده وامتنع على راكبه .
(٢) أتيه : أفخر وأعجب .
(٣) ترامقه : تنظره من الرموق وهو إدامة النظر بترقب .
(٤) صارمتك : قاطعتك .

وقال فى الطيف [1] :

وَسَّدنى كفَّهُ وعانقنى ... ونحن فى سَكْرَةٍ من الوَسَنِ [2]
و بات عندى إلى الصّباح وما ... شاع ألتقاءٌ لنـــا ولم يَبِنِ
خادعنى ثمّ عَـدّ خُدْعَتَـه ... لمُقْلَتِى مِنَّــةً من المِنَنِ
فليت ذاك اللّقــاء مازال أوْ ... ليتَ خيالًا فى النوم لم يَكُنِ
وزارنى زَوْرَةً بلا عِـدَةٍ ... وما أتى وقتَهـا ولم يَحِنِ
فإنْ تـكنْ زَوْرَةً موهَمــةً ... فقد أمِنّا فيهـا الظِّنَنِ [3]
و إنْ تـكن باطلاً فـكم باطلٍ ... عاش به ميّتٌ من الحَزَنِ

* * *

وقال يرثى جده الحسين عليه السلام فى عاشوراء :

يايومُ أىُّ شجًى بمثلك ذاقه ... عُصَبُ الرّسولِ وصفوةُ الرّحمانِ ؟
جرّعتَهم غُصَصَ الرّدى حتى ارتوَوْا ... ولذَعتَهم بلواذعِ النّـيرانِ
وطرَحتَهم بَدَدًا بأجوازِ الفَلا ... للذّئبِ آونةً وللعِقْبـانِ [4]
عافوا القرارَ وليس غير قرارهمْ ... أوْ بردِهمْ موتًا بحدّ طعـانِ
مُنِعوا الفُراتَ وصُرّعوا مِن حولِهِ ... مِن تائقٍ للوِرْدِ أوْ ظمآنِ [5]
أوَ ما رأيتَ قِراعَهم ودفاعَهم ... قِدَمًا وقد أعْرُوا من الأعوانِ
متزاحمين على الرّدى فى موقفٍ ... حُشِىَ الظُّبا وأسِنّـةَ المُرّانِ [6]

---

(١) وردت هذه المقطعة فى (طيف الخيال ص ١٠٩) .
(٢) الوسن : النعاس والنوم الخفيف .
(٣) الظنن : جمع الظنة (بالكسر) وهى التهمة .
(٤) العقبان : جمع العقاب (بالضم) وهو من الطيور الجوارح .
(٥) الفرات : نهر فى العراق ، والتائق : المشتاق .
(٦) أسنة المران : الرماح اللدنة .

ما إنْ به إلّا الشّجاعُ وطائرٌ عنه حِذارَ الموتِ كلُّ جَبانِ
يومٌ أذلَّ جماجماً من هاشمٍ وسرى إلى عدنانَ أوْ قحطانِ
أرْعى جميمَ الحقِّ في أوطانهمْ رَعْيَ الهشيمِ سوائمَ العُدوانِ (١)
وأنارَ ناراً لا تبوخُ وربّما قد كان للنّيرانِ لونُ دُخانِ (٢)
وهُوَ الذي لم يُبقِ من دينٍ لنا بالغدرِ قائمةً من البُنيانِ
ياصاحبيَّ على المصيبةِ فيهمُ ومشاركيَّ اليومَ في أحزاني
قوما خُذا نارَ الصّلا من أضلُعي إن شئْتُما « والماءَ » من أجفاني (٣)
وتعلّما أنّ الذي كتّمتُهُ حَذَرَ العِدا يأبى على الكتمانِ
فلو أنّني شاهدتُهمْ بين العِدا والكُفْرُ مُعْلَوْلٍ على الإيمانِ
لخَضَبْتُ سيفي من نجيعِ عدوّهمْ ومحوتُ من دمهمْ حُجول حصاني
وشفيتُ بالطّعنِ المبرِّحِ بالقنا داءَ الحقودِ ووغْكةَ الأضغانِ
ولَبِعْتُهُمْ نفسي على ضَنّي بها يومَ الطُّفوفِ بأرخصِ الأثمانِ (٤)

* * *

وقال في العتاب :

إذا أنتمُ لم تشفعوا في قباحةٍ ولم تشفعوا في خائفٍ بأمانِ
فما أنتمُ إلّا سرابٌ بقيعةٍ يضلُّ رَأْيي أوْ يغرّ عِياني (٥)

---

(١) الجميم : النبات الكثير المنتشر . والهشيم : النبات اليابس المتكسر ، والسوائم : جمع السائمة وهى البهائم الراعية .
(٢) تبوخ : تنطفىء .
(٣) الصلا (بالفتح) : الوقود ، وفى الأصل « النار » فى محل الماء مكرورة سهواً .
(٤) الضن (بالضاد) : البخل ، والطفوف : أرض كربلاء موضع مصرع الحسين بن على عليهما السلام وأصحابه الكرام .
(٥) القيعة (بالكسر) كالقاع وهى الأرض المستوية المطمئنة .

وجدتُكم لم تصلحوا لرخائنا ... ولا لزمانِ البؤسِ والحدثانِ
وما أنتم أهلٌ لودٍّ قلوبنا ... ولكنّ للبغضاء والشَّنآنِ (١)
أقمْ واحداً فرداً ودعْ عنك مرّةً ... نفاقَ فلانٍ أوْ خِداعَ فلانِ
فكمْ عشتُ مقروناً بقومٍ صحبتُهمْ ... ولكنّنى لم أنتفعْ بقِرانِ
أذمُّ زمانى فيهمُ ومِنَ أجلِهم ... وما الذّنبُ لو أنصفتُ ذنبَ زمانى
فإنْ أنتَ أنكرتَ المعاريضَ وانتهتْ ... إليك مَغازٍ بينها ومعانِ
فهذا وقولى فى يد الحزمِ مُوثَقٌ ... فكيف إذا أطلقتُ فيه عِنانى ؟

***

وقال فى مثله أيضاً :

لا عَدِمتم هـذا العنـاء المُعَنّى ... فى العناء الطّويل كيف وقعتم ؟
قد مضتْ نوبةُ السُّرور فلم يبـ ... ـقَ سوى ترْحةٍ ونَوْبةِ حُزْنِ (٢)
ورَكوبٍ ظهورَ حُدْبٍ شَموسا ... تٍ على كلّ راكبيهنّ خُشْنِ (٣)
أيّها المظهرُ القبيحَ وقد كا ... ن قديماً ما بين قُبحٍ وحُسْنِ
ليس مَن بات مُرصداً مضمرَ الكيـ ... ـدِ بكُفْوٍ للغافلِ المطمئنِّ
أىُّ شىءٍ أردتَ بى ثمّ ماذا ؟ ... رابَ يوماً صميمَ قلبكِ مِنّى ؟

---

(١) الشنآن : البغض .
(٢) الترحة : ضد الفرحة .
(٣) الشموسات : جمع على غير القياس لشامس والشموس وهى من الدواب الجموح المانع لظهره من الركوب وجمعه الصحيح شمس بضمتين للمذكر والمؤنث وينفرد المؤنث بشمائس ولا يقال «شموسات» فهو هنا من الضرائر .

ليت حالًا دامتْ بعقل فمن ذا ؟ يرتجى أنْ يدوم حالًا بأفنِ (١)
إنْ تَبتْ حِصْنك الثَّراء وقومٌ نصرهمْ فى يديك فالله حِصْنى
و إذا ما اتخذتَ ركناً من النا س فمن غيرهمْ لعَمْرُكَ ركنى
لم تقُدنى قهراً إليك فمن قب لك بالقهر نحوه لم يقُدْنى
أنا حرٌّ بين الرّجالِ فما يَمْ لك رِقّى ذو المنّ فيهمْ بمَنّ
رابنى فى اختيارِ مثلِك عقلى وأرَتْنى المحالَ عينى وأذنى
وظننتُ الجميلَ ثمّ تأمّلْتُ فأكدى حَدْسى وأخفقَ ظنّى (٢)
ولو أنّى لمّا شريتُك جرّبْ تك قبل الشّراء ما بان غَبْنى
كيف ضيّعْتَنى وقد كنتَ بى فَوْ قَ محلّ السّماك لو لم تُضِعْنى (٣)
فإذا هِجتَنى فقد وَدّ مِنْ قب لك مَن ودّ أنّه لم يَهِجْنى
أنا فى كلّ ساعةٍ بين أمرَيْ نِ فمُبْكٍ عينى ومضحكُ سِنّى
ومقيمٌ على خِطارِ الليالى بين راوٍ يروى علىّ وغنٍّ
وتَجَنٍّ من الزّمان ومن يُدرِ كُ ياقومُ غايةَ المُتَجَنّى ؟
ولو أنّى أطعْتُ عزمى لأصبحـ ـتُ من النّاس نافضاً فضلَ رُدْنى

* * *

---

(١) الأفن : ضعف الرأى والعقل ، والمتصف بذلك ؛ مأفون .
(٢) أكدى : كل وفشل، وأصل الكدية : الأرض الصلبة لايبلغها الحفر .
(٣) السماك : نجم ، وهو سماكان ، السماك الأعزل أى العارى من السلاح، والسماك الرامح أى ذو الرمح .

وقال فى السيف : (١)

ولمّا تعانقنا ولم يكُ بيننا سوى صارمٍ فى جَفْنِهِ لامن الجُبْنِ
كرِهتُ عناقَ السّيفِ من أجلِ جَفْنِهِ فها عانِقِى منّى حُساماً بلا جَفْنِ
فما كنتِ إلاّ منه فى قبضةِ الحِمى ولا ذقتِ إلاّ عنده لذّةَ الأمْنِ
ويَجنِى على مَنْ شئتِ منكِ غِرارُهُ وأمّا عليكِ ساعةً فهْو لا يَجنِى

* * *

(١) أوردها بهاء الدين العاملى فى الكشكول (ص ٣٢٥) .

باب النون المسكنة

وقال يفخر بآبائه ويذم أعداءهم :

كتمتُ من أسماء ما كان عَلَنْ ... يومَ طلولٍ ورسومٍ ودِمَنْ
لولا ليالِى الخَيفِ ما كان لنا ... قلبٌ على حبِّ الغوانى مُرْتَهَنْ (١)
عَنَّ لنا منكِ على وادى مِنى ... نَوْءُ غرامٍ ليته ما كان عَنْ (٢)
لم تقصدى رَمْىَ الجمارِ إنّما ... رميتِنا دون الجمارِ بالفِتَنْ
كم صادنا ثَمَّ فصِرْنا رِقَّهُ ... مِنْ شَعَرٍ جَعْدٍ ومن وجهٍ حَسَنْ !
ليتَ قَطِيناً بان عنّا باللِّوَى ... مِن بعد أنْ أوْرَطَ حُبًّا لم يَبِنْ (٣)
وليتَــــه مَنَّ بوصلِ حَبْلِهِ ... على قلوبٍ لم تُطِقْ حَمْلَ المِنَنْ
نِمْتُمْ وما تعرف منّا أعــيُنٌ ... من بعد أنْ ظَعَنْتُمُ طَعْمَ الوَسَنْ (٤)
راعكِ يا أسماء منّى بارقٌ ... ضوءاً ما بين العِذارِ والذَّقَنْ (٥)
لا تنفرى منــه ولا تستنـكرى ... فهو صباحٌ طالما كان دُجَنْ (٦)
ثاوٍ نأى إذْ رحـــل الدّهرُ به ... وأىُّ ثاوٍ فى اللّيالِى ما ظَعَنْ ؟ (٧)

---

(١) الخيف : موضع بمنى (المزدلفة) .
(٢) عنّ : عرض ، والنوء : المطر .
(٣) القطين : القاطن المتوطن ، وبان : افترق ، واللوى : منعرج الرمل ، وأورط : أوقع فى الورطة .
(٤) الوسن : النعاس والنوم الخفيف .
(٥) العذار: شعر الخدين، والذقن بفتحتين وبكسر الذال وتسكين القاف: معلوم وهو مجمع اللحيين.
(٦) الدجن : جمع الدجنة وهى الظلمة .
(٧) الثاوى : المقيم ، وظعن : ارتحل .

إنْ كان أحيا الحِلْمَ فينا والحِجى ... فإنّه غالَ المِزاحَ والأَرَنْ (١)

كم كَعَّ مملوءُ الإهابِ من صِباً ... عن العُلا وأُطْلقَ الهِمَّ اليَفَنْ ؟ (٢)

نحن أناسٌ مالنا محلّةٌ ... إلاّ قِلالُ الرّاسياتِ والقُنَنْ (٣)

ما تقتنى إلاّ لِهِبَاتِ الوَغى ... سُمرَ الرّماحِ والصّفاحِ والحُصُنْ (*)

منّا النبىُّ والوصىُّ صِنْوُهُ ... ثمّ البَتولُ والحسينُ والحَسَنْ

وعمُّنا العبّاسُ ، مَن كعمِّنا ؟ ... أبناؤه الغرُّ مصابيحُ الزَّمنْ

من كلِّ مرهوبِ الشَّذا دانتْ له ... ممالكٌ لمّا تَدِنْ لذى يَزَنْ (٤)

جرّوا الجيوشَ والزُّحوفَ مثلما ... جرّ اليمانيّون أذيالَ اليُمَنْ (٥)

واعتصبوا بالعزّ لمّا اعتصبتْ ... ملوكُ لَخْمٍ بالنُّضارِ فى شَدَنْ (٦)

وكم لنا مفخرةٌ دينيّةٌ ... أحْذَتْ نِزارَ كلّها هامَ اليَمنْ (٧)

سائلْ بنا إنْ كنت لا تعرفنا ... سَلَّ الظُّبا البيضِ وهزّاتِ اللُّدُنْ (٨)

وكلَّ شَعْواءَ لها غَمْغَمَةُ الـ ... شّاكى إذا حَنَّ لمنْ يشكو وأَنْ (٩)

مُغْبرّةٌ بالنقْعِ حمراءِ الثّرى ... إذْ ليس عينٌ للفتى ولا أُذُنْ (١٠)

---

(١) الحجى : العقل ، والأرن : النشاط .

(٢) كع : صد ومنع ، والإهاب: الجلد ، والهم (بالكسر) الشيخ الفانى، واليفن : بفتحتين: مثله.

(٣) القلال : جمع القلة وهى كالقنة ، والراسيات : الجبال .

(*) الحصن كذا فى الأصل ولعلها الجنن : جمع الجنة وهى الدرع .

(٤) الشذا : كالأذى زنة ومعنى ، وذو يزن : ملك حمير ؛ لأنه حمى الوادى المسمى يزن .

(٥) اليمن : جمع اليمنة وهى البردة من اليمن .

(٦) النضار : الذهب ، وشدن : موضع باليمن .

(٧) أحذت : طامنت ، والهام : الرءوس .

(٨) اللدن بضمتين : جمع اللدن بفتح اللام وكسر الدال وهو الرمح اللين المهتز .

(٩) الشعواء : صفة للغارة ، يقال غارة شعواء أى فاشية متفرقة ، ولعل الأصل شغواء بالغين وهى العقاب، سميت بذلك لزيادة منقارها الأعلى على الأسفل وهى صفة للفرس ، والغمغمة : أصوات الأبطال عند القتال ، والشاكى : ذو الشوكة ، يقال رجل شاكى السلاح أى ذو شوكة وحدة فى سلاحه .

(١٠) النقع: غبار الحرب .

نُعُـــدُّ فى يومِ الوغَى أنجبَنا مَن ضرب القِرْنَ بسيفٍ وطَعَنْ
ومَن تراه خائفاً حتّى إذا توردَ الحَوْمــةَ فى الرَّوْعِ أمِنْ
ومن إذا أعتنَ هياجٌ لم يَخِمْ أوْ جاد بالنَّيْلِ الجزيلِ لم يَمُنْ (١)
لم تدخلِ الفحشاء فى أبياتنا ولم نُشِرْ يوماً إليهنّ الظِّنَنْ (٢)
ليس بهنّ صَبْوَةٌ ولا صِباً ولم يُصَبْ فيهنّ لَهْوٌ أو دَوَنْ (٣)
مَرافِـــدُ الفقرِ وأبوابُ الغِنَى وعصمةُ الخوفِ وعزُّ المُمْتَهَنْ (٤)
وليس فينا كِظَّةٌ من مَطْعَمٍ ولم نُعَبْ قطُّ بما تجنى البِطَنْ (٥)
فقل لقومٍ فاخرونا قبل أنْ ينفضوا أعراضهمْ من الدَّرَنْ (٦)
أين رؤوسُ القومِ من أخامصٍ فى مَفخرٍ أمْ أينَ وَهْدٌ من قُنَنْ ؟
كيف تُراموننا وأنتمْ حُسَّرٌ أم كيف تغشَوْنَ الظُّبا بلا مِجَنْ؟ (٧)
قـــد كنتمُ هادنتمونا مرّةً ثمّ ألتوَيتُمْ هُدْنَةً على دَخَنْ (٨)
وإنْ تكنْ عِيدانُـكمْ صِيغتْ لنا مِنْ أُبَنٍ فإنّنا بلا أُبَنْ (٩)
وإنْ يَبِتْ أديمكمْ ذا نَخَنٍ فلم يكنْ فينا أديمٌ ذا نَخَنْ (١٠)
شَنَنْتمُ بغضاءكمْ فينا وكمْ شَنَّ أمرؤٌ فى قومهِ مالمْ يَشِنْ

---

(١) اعتن : اعترض ، ويخم : ينكص ويجبن .
(٢) الظنن : جمع الظنة (بالكسر) وهى التهمة .
(٣) الصبوة : الميل عن العفة ، والدون (بالتحريك) : الخسة .
(٤) الممتهن : المهان .
(٥) الكظة : التخمة والألم من شدة الامتلاء بالطعام .
(٦) الدرن : الوسخ .
(٧) الحسر : جمع الحاسر وهو الذى لامغفر له ولا درع ، والمجن : الترس .
(٨) هدنة على دخن: مثل يضرب للسكوت لعلة لا لصلح .
(٩) الأبن : جمع الأبنة وهى العقدة فى العود وغيره ، والعيب كذلك .
(١٠) الأديم : الجلد ، والنخن : النتانة وفساد الريح .

وكم وَرَدْتُمْ صَفْوَنا ولم نَرِدْ مِن صفوكمْ إلاّ أُجاجاً قد أَسِنْ (١)
ولم نزلْ نحملُ من أثقالكمْ ما عجزتْ عنه ضَليعاتُ البُدُنْ (٢)
دعوا لنا ظاهِرَكمْ ثمّ أجملوا قبيحكمْ إنْ شِئتُمُ فيما بَطَنْ
ماذا على مَنْ بجميلٍ ضَنَّهُ على أخٍ لو كان بالشَّنعاء ضَنْ ؟ (٣)
لولا احتقارى لكُمُ بَرَيتُكمْ ولم أرِدْ تقويمَكمْ بَرْىَ السَّفَنْ (٤)
لا تحذروا رَبَّ حُسامٍ صارمٍ وحاذروا رَبَّ بيانٍ ولَسَنْ (٥)
يَفْنَى الفتى وقولُهُ مُخلَّدٌ يمضى عليه زمنٌ بعد زمَنْ
خلٌّ لأبناءِ الغِنَى دُنياهمُ فمنْ يُهِنْ هذا الثَّراء لم يَهُنْ
فإنّما الرَّاحةُ فى هجر الغِنَى والمالُ للألْبابِ هَمٌّ وحَزَنْ
سِيّانِ ـ والدّهرُ أخو تبدّلٍ ـ خِصْبٌ وجَدْبٌ وهِزالٌ وسِمَنْ
وليس يُنجى من ردًى ساقتْ إلى ورودِهِ الأقدارُ مالَ مُختَزِنْ
ولا الرِّماحُ والكِفاحُ بالظُّبا ولا الخيولُ والدُّروعُ والجُنَنْ (٦)
ولا تُقِمْ على الأذى فى وَطَنٍ فحيثُ يعدوك الأذى هو الوَطَنْ
فإنّما بيتُ فتًى ذِى أَنَفٍ إمّا السّماءُ شاهقاً أو الجَنَنْ (٧)

* * *

---

(١) الأجاج : الماء الملح المر ، وأسن : نتن وفسد ريحه .

(٢) الضليع : القوى الأضلاع ، والبدن (بضمتين) : جمع البدنة (بفتحتين) وهى الناقة أو البقرة البدنية اى السمينة .

(٣) الضن : البخل ، والشنعاء : العيب .

(٤) السفن (بفتحتين) : حجر حاد كالمبراة .

(٥) اللسن (بفتحتين) : الفصاحة .

(٦) الجنن : جمع الجنة (بالضم) وهى الدرع وكل ماوقى من سلاح .

(٧) الجنن (بفتحتين) : القبر .

قافية الواو

باب الواو المضمومة

قال في الغزل :

قال لي عاذلي تَنَاءَ عن الحبِّ وأنَّى من سَكْرةِ الحبِّ صَحْوُ؟
لامَ مُسْتَهْتَراً بها وهو سالٍ وشجيًّا بحبها وهْوَ خِلْوُ
كلَّ يومٍ على الهوى لمحبٍّ هو في قبضةِ الصَّبابةِ لَغْوُ
ليس إلا التَّكديرُ في الحبِّ والتَّرْ نيقُ عَمْداً فكيف يُطلَبُ صَفْوُ؟(١)
قد شكونا إلى التي ساقنا الحُسْ نُ إليها لو كان ينفعُ شَكْوُ
وسألنا الجاني علينا مدا الأيَّـ ـام عفواً فلمْ يكنْ منه عَفْوُ
كلَّ يومٍ له عليك احتراقٌ من فراقٍ ومِنْ صدودِكَ شَجْوُ
وعقابٌ وليس منه اجترامٌ وعتابٌ ولم يكن منه هَفْوُ

✡ ✡ ✡

وقال فيه أيضا :

لا تطمعِي في سُلُوِّ قلبٍ ليس له عن هوًى سُلُوُّ
قلبُكِ خالٍ وبي انشغالٌ وما استوى الشُّغْلُ والخُلُوُّ
يا بأبي من هدا منامًا وما لعيني به هُدُوُّ
إنْ تَدْنُ يوماً إلى وِصالي فحبَّذا ذلك الدُّنُوُّ
أوْ تَحْنُ من بعدِ طولِ صدٍّ فربَّما أكْثَبَ الحُنُوُّ(٢)

---

(١) الترنيق : التكدير .
(٢) تحنو : تعطف ، وأكثب : دنا وقرب .

قافية الهاء

باب الهاء المضمومة :

قال، وقد دخل عليه في يوم عيد أخو صديق له قد توفي ،

وسبق أن رثاه بالقصيدة البائية التي أولها :

أَلاَ يالقومي لأَعتنـــانِ النّوائبِ ... وللغُصنِ يُرْمَى كلَّ يومٍ بشاذبِ :

مالي أرى في العيــد كلّ معيّدٍ ... ويفوت طرفي شخصَ مَن أهواهُ

ما ذاكَ إلّا أنه غبَطَ الرّدَى ... أهلَ الزّمانِ بقُرْبِهِ فدهاهُ

لَبّاهُ لمّا أنْ دعاه مُشَمِّراً ... وبرغمِ قلبي أنّه لبّـــاهُ

ولقد رمَى قلبي الرّدَى لمّا انتحَى ... من كان حشوَ ضميره فرماهُ

كيف السُّلُوُّ ؟ وكلّما أمرَ النُّهَى ... بلزومِهِ قلبي أبَى فعصـــاهُ

أمْ كيف أنساهُ ؟ وفقْدُ نظيرِهِ ... يأبَى لقلبي الدّهرَ أنْ ينْساهُ

وكأنني وَجْـداً به وصبابةً ... أنّى طمحتُ بناظِرَيَّ أراهُ

ولقد تمكّن في الفؤادِ مكانُهُ ... لمّا بلوتُ على الزّمانِ سواهُ

ولرُبّما أصْفَى بودِّكَ كلَّه ... نحو الذي تهواهُ مَن تقْلاهُ (١)

ويُحَقُّ لي آبي العزاءَ عن امرىءٍ ... ما زال إنْ عزّ القبيحُ أباهُ

يُضحِي خميصَ البطنِ من زادالهوَى ... والحرُّ مَن للهِ كان طَواهُ (٢)

وتراه مُنقبضَ الجوارحِ والخطا ... فإذا سَرَى فإلى الجميل سُراهُ

---

(١) أصفى : ذهب ، و (تقلاه): تبغضه من القلى (بالكسر) وهو البغض .

(٢) الخميص : الجائع ، والطوى : الجوع .

يعيى الورى إسخاطُهُ مَعَ أنّه ... فى كلّ شىء يرتضيه رضــــاهُ
والأمرُ يُعرِضُ عنـــه ما لم يرتبطْ ... بك نفعُهُ فإذا عَناك عناهُ
ولِمنْ يوَدُّك وُدُّهُ وصَفاهُ ... ولمن يَرِيبك رَيْبُهُ وقِلاهُ
ولكَ الّذى يرجوه لا يثنى به ... كفًّا وليس عليـــك ما يخشاهُ
ولقد رأيتُ أخاه فى النّسَبِ الذى ... لا حَمْدَ فيـــه وما رأيتَ أخاهُ
والنّاسُ كلهُمُ لأصلٍ واحــدٍ ... وتفاضُلُ الأقوامِ فى عُقباهُ
لَهْفِى على مَن كان قولى بعـد ما ... واراهُ خَلْفَ التُّربِ ما واراهُ
ليس البعيدَ أخو التّغرُّبِ والنّوى ... لـكنّ مَن هِلْنا عليـــــه ثَراهُ
سيّانِ عندى بعـــد نازلةِ الرّدى ... مَنْ مدّ أوْ قَصَرَ الزّمانُ مَداهُ
والدّارُ زائلةٌ بنــــا لولا المُنى ... ممّنْ تَعَوّدَ أنْ تخيبَ مُناهُ
يسعَى الفتى فيما يجرّ ذيولَه ... وإلى المنـــايا سَعْيُهُ وخُطاهُ
ويُسَرُّ إنْ أرخَى الزّمان خِناقَهُ ... ووراءه حَنِقٌ يَحُدُّ مُداهُ (١)
يُخفِى على عَمْـــدٍ أوانَ طُروقِهِ ... فالمرء لا يدرى متى يلقاهُ (٢)
هيهاتَ حلّ الموتُ كلَّ قَرارةٍ ... منّا والتى فى الجميعِ عَصاهُ
وحـــدا إليه غُدْوَةً وعشيّةً ... بركابنــا مَن لا يملّ حُداهُ
والنّفسُ ترجو عَوْدَ كلِّ مُسافرٍ ... إلّا أمرأً قضتِ المنونُ « نَواهُ » (٣)

* * *

وقال : وقد سُئل إجازة أبيات على هذا الوزن وهذه القافية :

عذيرى من خليلٍ لِـ ىَ يَقْلانى وأهواهُ

---

(١) المدى : جمع المدية وهى السكين .

(٢) الطروق : الإتيان ليلا .

(٣) نواه : بعده وفراقه ، وفى (س) « مناه » تصحيف .

يؤاتيني فأرجوهُ ويجـــفوني فأخشاهُ
وما أنسى ــ وحوشيتُ من الغـدرِ وحاشاهُ ــ
« حبيباً » شَفَعَ الحبُّ إليهِ فترضّاهُ (١)
فأدناهُ إلى صدري وفيه كان مأواهُ (٢)
« وخدّى فوق يُسْراهُ » وجَنْبي تحت يُمناهُ (٣)

* * *

---

(١) فى (س) « حبيب » بدل « حبيباً » والأخير مفعول لأنسى .
(٢) هذا البيت ساقط من (س) .
(٣) فى (س) « وصدرى فوق يسراه » بدل « وخدى فوق يسراه » .

باب الهاء المفتوحة

وقال في غرضه :

أَرِنى العجائبَ يا أباها ... فكَبَخْصِ عينى أنْ أراها[1]
وأجِل بعينِي ثُمَّ قلـ ... ـبى ذا جَواهُ وذى قَذاها[2]
أَرِنى فبين جوانحىَ ... مِمَّا تُرينيـهِ لَظاها
فى كلِّ يومٍ من نوا ... ئِبَ طارقاتٍ لى سُراها
مالى أُقيمُ على منـا ... زِلَ أَوْحَشَتْ مِمَّنْ ثَواها
وتبدَّلَتْ غـيرَ الّذى ... قد كنتُ أعهدُ من حُلاها
آوِى هواها بعـد ما ... أسكِنْتُ فى أعلا رُباها
دِمَنٌ إذا مرَّ اللّبيـ ... ـبُ على نواحيها طَواها
وكأنّه يأتى الحتو ... فَ أوالخسوفَ إذا أتاها[3]
وإذا الفتى ملكَ اختيا ... رًا فى مآربهِ عَـداها
لكَ عِبرَةٌ فيمنْ عَرَتْـ ... ـهُ وعِبرةٌ فيمن عَراها
هيهات منك إذا نَزَلْـ ... ـتَ بها على سَغَبٍ قِراها[4]
فى قفرةٍ فقدتْ بهـا ... عينى وقد تاهتْ ضِياها
عرِّجْ على الأبواء منْ ... عِيسٍ نَجَوْتَ به خُطاها[5]

---

(١) البخص : لحم ناتىء تحت الجفن .
(٢) الجوى : حرقة القلب من عشق أو حزن ، والقذى : مايعترض فى العين من قش ونحوه .
(٣) الحتوف : الهلاك .
(٤) السغب : الجوع ، والقرى : طعام الضيف .
(٥) الأبواء : موضع بين مكة والمدينة ، والعيس : الإبل البيضاء المفرد الذكر أعيس وللأنثى عيساء .

ونَعَدَّها   فالحظُّ إمّـــا كنتَ تبغى فى سواها

انظر إلى النَّعْماء والنَّـــــرّاء فيها هلْ ترَاها ؟

وكأنّهـــا فى قَفرةٍ   عَصْفٌ تصفّقهُ صَباها[1]

ولقد عَفَتْ من قبل أنْ   أوْفَتْ فقلْ لى مَن عَفاها؟

قلْ للقطين بعُقْرِها   وهوالمواصِلُ لِمْ جَفاها؟[2]

لِمْ ملَّها من غـير جُر   مٍ كان منها لِمْ قَلاها؟[3]

مِن بعـــد ما كان المُعَرِّ   سَ والمُحبِّسَ لِمْ نآها؟[4]

سَلْهُ لتعرفَ غَيْبَهُ   لِمْ باعها لمّا اشتراها ؟

ولقد لبستُ بهــا الغَضا   رَةَ والنَّضارةَ فى دُماها[5]

وعقيــــلةٍ ما لى إذا   ما زُرتُهـا إلّا هواها[6]

وإذا تمنّتْ لم يَجُزْ   خَلْقى وأخلاقى مُنـاها

ما لى مَقيلٌ عند حَسْـ   ـناء اللَّمى إلّا حشاها[7]

ولىَ الغصونُ من الشَّبيـ   ـبةِ لا أُحاذرُ مِنْ ذَواها

وإذا سخطتُ فليس لى   من كاعبٍ إلّا رضاها[8]

فالآن أُدعَى شيخَها   من بعد أنْ أُدعَى فتاها

لا أطعَمَ الرّحمانُ دا   رأً للهوانِ ولا سقـاها

(١) العصف : ورق النبات أو الذى أكل حبه كالتبن ، والصبا (بالفتح) : ريح ضد الدبور .

(٢) القطين : القاطن والمقيم . والعقر : خير موضع فى الدار .

(٣) قلاها : أبغضها .

(٤) المعرس : المسافر النازل للاستراحة ، والمحبس : الذى يحبس المطايا وغيرها من الوقوف والوقف على المنبين ، ونآها : بعد عنها .

(٥) الدمى : جمع الدمية وهى الصورة المجسمة تصنع من العاج وغيره .

(٦) العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء ، وزرتها بمعنى أزرتها فعل لازم أنزله منزلة المتعدى .

(٧) اللمى (بالفتح) : سمرة مستحسنة تعلو شفاه الفتاة .

(٨) الكاعب : الجارية التى نهد ثديها .

وأفترَّ عنهـــــا كلُّ فا   تحةٍ بمـاء المُزْنِ فاها[1]
فالفقرُ فيهـــا للغنى   خيرٌ كثيرٌ مِن غنـاها
فإذا رهنتَ القربَ منـ   ـها والدُّنوَّ على نَواها
آمنتَ نفسك طولَ عمْـ   ـرِك مِن شجاها أو أساها
ومعاشرٍ قبلوا بهـــا   عن عِزِّ أنفسهمْ رُشاها
وتعوّدوا أنْ يأخـــذوا   بضراعةٍ منهـا جَداها[2]
والذُّلُ فى الدّنيـا لِمنْ   إمّا أتَّقاها أوْ رجاها
خفيتْ فـــا تدرى لَخيْـ   ـرتنا خَـاها مِنْ زَكاها
لم ترضَ إلّا بالرُّءو   سِ وليس يُقنعها شَواها[3]
ما للعيونِ عيونُنـــا   فيهنّ حَظٌّ مِنْ كَراها[4]
وكأنّمـــا عَشِيَتْ ولمْ   يَلمُ بهـا هَرَماً عَشاها
وبِنًى يقولُ خبيرُها   شُلّتْ أناملُ مَن بَناها
وأهاضبٌ ما كان إلّا   فى الحَضِيضةِ مَن عَلاها[5]
وأكاذبٌ دَنِسَتْ مَدا   رِعُ مَن تلاها أوْ رواها[6]
كم غُطِّيَتْ بتجمُّلٍ   للسّامعين فـــا غطاها
أين الذين تبوّأوا   مِن هذه الدُّنيا عُلاها؟
ولِمْ أناملُ لم يَفِضْ   فى المُجدِبين سوى حِباها[7]

---

(١) افتر : ضحك .

(٢) الضراعة ، الذلة والخشوع ، والجدا (بالفتح والقصر) : العطية .

(٣) الشوى : الأطراف من الأعضاء كاليد والرجل مما ليس بمقتل ويجوز أن يكون الأصل « سواها » أى لاتقنع بغيرها .

(٤) الكرى : النعاس .

(٥) الحضيضة : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

(٦) المدارع : جمع المدرعة وهى ثوب كالدراعة من صوف .

(٧) الحباء : العطاء .

ما أمسكتْ يومَ الوغَى   إلّا ظُباها أوْ قَناها
ولهمْ إذا اجتُنِبَتْ شرا   رُ الحربِ منها مُصطلاها
وكأنّمـــا أحـــداقُهمْ   حَنَقاً على حَنَقٍ جِذاها[1]
وإذا الشّدائدُ فى رِحا   لِ معاشرٍ ألقتْ عصاها
أرْوَوْا صَداها بالنّجيـ   ـعِ وأشبعوا الحاَّ طَواها[2]
لم يسكنوا إلّا قِلا   لًا ليس يُرقَى مُرتقاها
وإذا الوغَى دارتْ بتـكْـ   ـروهِ ومحبوبٍ رَحاها
لم يأخذوا لنفوسهمْ   إلّا مُناها أوْ رداها
من كلِّ وضّاحٍ إذا   عَرَضتْ له رِيَبٌ أباها
بلغ النّهايةَ فى الورَى   وكأنّه ما إنْ تناهَى
وإذا تولّى خُطّـــةً   عن قومِه فرْداً كفاها
ولَطالما أكدى الرّجا   لُ الحافرون إذا أماها[3]
وعَمُوا عن العلياء شا   هقةَ المحلِّ وقد رآها
ما كان يومَ عظيمـــةٍ   إلّا أباها أوْ أخاها
كانوا نجومَ الأرضِ سا   مقةً وهمْ مَوْتَى ثراها[4]
طُرِحوا بحالِـكةٍ جَوا   نبُها دَحاها مَن دَحاها[5]
يمحوهُمُ بالرّغمِ مِنْ   آنافهمْ منها بِلاها[6]

---

(١) الجذى والجذاء (بالكسر) : جمع الجذوة (بالضم والكسر) وهى الجمرة الملتهبة ، وجذا على الشىء جذواً وجُذواً : أقام وثبت .

(٢) صداها : عطشها ، والنجيع : الدم ، والطوى : الجوع .

(٣) أكدى الحافر : بلغ الكدية أى الأرض الصلبة فلا يمكنه أن يحفرها ، وأماه الحافر فى الأرض : بلغ الماء وأنبطه .

(٤) السامقة : العالية .

(٥) الحالكة : المظلمة ، ودحاها : بسطها .

(٦) بلاها : من البلى (بالكسر) وهو الهلاك .

دَرَجوا فما للعينِ بَعْـ ـدَ فراقهمْ إلّا بكاها (١)

* * *

وقال في بعض أغراضه أيضا :

هي الدّارُ موقوفٌ عليك بكاها … فلا تعدُها يوماً تؤمُّ سواها (٢)

وخلِّ اعتذاراً بالرِّكاب فإنّما … بكفّ الذي يعدو الرِّكابَ خُطاها

هويتُ ثراها قاصداً مَن مشى بها … ولولا هواها ماهويتُ ثَراها

ولمّا عرفنا دارَها بمُحَجَّرٍ … وَحَلَّتْ عيونٌ بالدّموعِ حُباها (٣)

نظرتُ إليها يوم سارتْ حُدوجُها … فلم يكُ للأجفانِ غيرُ قَذاها (٤)

وقفنا عليها طاعةً لقلوبنا … رِكاباً حَداها الشّوقُ حين حَداها

فكان حنينَ المُهجَساتِ رُعودُها … وصوبَ دموعِ النّاشجين حَياها (٥)

فيا منزلًا بانتْ وفيه ضياؤها … وليستْ به وَهْناً وفيه نَشاها (٦)

سقاكَ من الأنواءِ ماشئتَ من ندًى … ولا زلتَ ريّانَ الثّرى وسَقاها (٧)

أُحبّكَ والبيتِ الّذي طوّفتْ به … قريشٌ ومسّتْ تُربَهُ بلحاها

ومَنْ حَطّهُ بيتاً عتيقاً محرّماً … وجاب له الأحجارَ ثمّ بناها (٨)

---

(١) درجوا : ماتوا أو رحلوا .

(٢) ورد في طيف الخيال (ص ٩٦) الشطر الأول من مطلعها وخمسة أبيات منها .

(٣) محجر : موضع ، والحبا : جمع الحبوة وهي من الاحتباء وهو التلفع بالثوب بأن يجمع بين ظهره وساقيه بذلك الثوب أو العمامة ، وحلت العيون حباها : أي أطلقت دمعها .

(٤) القذى : ما يدخل في العين من قش وشبهه .

(٥) المهجسات كذا ورد في الأصل ولعله يريد بها من أصابهن الهاجس من ثكل وغيره ، والحيا (بالقصر) : المطر .

(٦) الوهن : نحو منتصف الليل ، والنشا (بالقصر) : الريح الطيبة .

(٧) الأنواء : الأمطار وأصلها مساقط لنجوم المثمرة بنزول المطر ، ومفردها : النوء .

(٨) جاب الحجر : قطعه ومنه قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾

وقوم نَضَوْا بالمَوْقفَيْنِ ذنوبهمْ ... ومَن حلَّ في وادي مِنًى وأتاها
وبالحَصَيات اللاتي يُنبِذْن حِسْبَةً ... ومَنْ قَلَّبَا مِنْ صخرِها ورماها [(1)]
لَئِنْ كنتِ من دارِ الغرامِ صحيحةً ... فلي مُهْجَةٌ لم يبقَ غيرُ ذَمَاها [(2)]
وزارتْ وِسادي في الظلامِ خَرِيدةٌ ... أراها الكرى عيني ولستُ أراها
تَمَانَعُ صبحاً أنْ أراها بناظري ... وتبذلُ جُنحاً أنْ أُقَبِّلَ فاها [(3)]
ولمّا سَرَتْ لم تخشَ وَهْناً ضلالةً ... ولا عرف العُذّالُ كيف سُراها
فما ذا الذي من غيرِ وعدٍ أتى بها ... وماذا على بُعدِ المزارِ هَداها؟
ويا ليتني لمّا نزلتُ بشِعْبِها ... تكون قِرَايَ أوْ أكون قِراها [(4)]
وقالوا: عساها بعد زَوْرةِ باطلٍ ... «تزور بلا ريبٍ فقلتُ: عساها» [(5)]
ألَا نكّبَ الأنواءُ دارَ مَهانةٍ ... فما عندنا للنفسِ غيرُ ضَناها [(6)]
مقيمٌ بلا زادٍ سوى الصبرِ والحِجَى ... على شَجَراتٍ لا أذوق جَناها [(7)]
لغيري اخضرارٌ من فروعِ غصونِها ... وليس عليه بَلْ عليَّ ذَواها
أشيمُ بُروقاً لا أرى الغيثَ بعدَها ... وأرقبُ سُحباً لا يَطُلُّ نَداها [(8)]
ولو كنتُ أرجوها قنعتُ فإنّني ... حُرِمْتُ بها فيما حُرِمتُ مُناها
وإنّي لَمغرورٌ بقومٍ أذِلّةٍ ... يحلّون من أرضِ الهوانِ ذُراها
وإنْ جئتَهمْ تشكو مضيضَ مُلِمَّةٍ ... تَقَوْا بك مغلولَ اليدين شَباها [(9)]

---

(١) الحصيات: جمع الحصى، وينبذن: يقذفن، والحسبة: من الاحتساب وهو الأجر والثواب، وقلبا: حلها.
(٢) الذماء: بقية الروح في الجسد.
(٣) الجنح: الظلام.
(٤) القرى: طعام الضيف، وفي الشطر زحاف مألوف عند الشعراء.
(٥) في طيف الخيال «تزور بلا ريب فقلت عساها».
(٦) الأنواء: الأمطار، والضنى: المرض.
(٧) الحجى: العقل.
(٨) أشيم: أرى، ويطل: يمطر، من الطل: وهو المطر الخفيف.
(٩) المغلول: المقيد، والشبا: حد السيف.

وكلُّ مَلِيءٍ وبالمَلامِ مذمَّمٍ   عَرَتْه المخازى مرّةً وعَراها
يهشُّ إلى العَوْراءِ وهْيَ قَصِيَّةٌ   ويَعْمَى عن العلياءِ وهو يراها[1]
صحبْتكُمُ أجلو بكمْ عنِّيَ القَذا   فأعشَى عيونى قربُكمْ وغَطاها
وكنتُ أُرَجِّى صبحَكمْ بحنادسٍ   فكنتمْ نهاراً للعيونِ دُجاها[2]
فليت الذى ماكان للعين قرّةً   وقد أبصَرَتْه لا يكونُ عَماها
ودارُكُمُ دارٌ إذا ما مضَى بها   كريمٌ عداها مُعرِضاً وطَواها
إذا قرَّبَتْ شيئاً لديه أنتوَى لها   وإنْ عرضتْ يوماً عليه أباها[3]
وماهانَ إلاّ خائفٌ يستجيرُها   ولا خاب إلاّ مَنْ مَنا فَرَجاها[4]
وما المُسْلَمُ المخدوعُ إلاّ نَزِيلُها   ولا المُهْمَلُ المبذولُ غيرُ حِماها
فلا باركَ الرحمانُ فيمنْ أحبَّها   وبارَكَ فيمن مَلَّها فقلاها[5]
ولا بلّغتْها الناجياتُ طَلائِحَها   وعُقِّلْنَ عن إدراكها بوَجاها[6]
فأىُّ انتفاعٍ بالبلادِ عريضةً ؟   وبات قصيراً فى الرجالِ جَداها[7]
فكلُّ بلادٍ لم يُفِدْكَ اقترابُها   فما قربُها إلاّ كبُعدِ مَداها
رُمِ المَطرَحَ الأعلَى من الفضلِ كلِّهِ   ولا ترضَ فى أُكرومةٍ بسواها
وخلِّ ضنيناً بالحياةِ فإنّه   فداها ببذلِ العِرْضِ حينَ فَداها[8]

---

(١) العوراء : الفحشاء والنقيصة ، والقصية : البعيدة .
(٢) الحنادس : الظلمات ، مفردها : الحندس (بالكسر) ، والدجى : الظلام .
(٣) انتوى لها : ابتعد عنها .
(٤) منا : اختبر وابتلى .
(٥) قلاها : أبغضها .
(٦) الناجيات : جمع الناجية وهى الناقة السريعة ، وعقلن عن إدراكها : منعن كأنهن شددن بالعقال ، والوجا : الحفا .
(٧) الجدا (بالقصر) : العطاء .
(٨) الضنين : البخيل .

فلستَ لدى حكمِ العشيرةِ شيخها ... إذا لم تكنْ يوم الطِّعانِ فتاها

وكيف ولم تحملْ بظهرك ثِقْلَها ... تدور على قطبٍ نَصَبْتَ رحاها ؟

وما سُدْتَها في يوم سِلْمٍ ولم تكنْ ... بسيِّدها في الضَّربِ يوم وغاها

فكن إنْ أردتَ العزَّ فيها مسالمًا ... شِفارَ مَواضيها وزُرْقَ قناها

فلِي في معاريضِ الكلامِ تَعِلَّةٌ ... ومن عِلَلِ الأدواء منه شفاها [1]

فإن يمكن التصريحُ صرّحتُ آنفًا ... وروّيتُ أحشاءً أطَلْتُ ظماها

وإلاّ فَجمجامٌ من القولِ سائرٌ ... بأيدي عِناقِ النّاعجاتِ كفاها [2]

* * *

وقال في الحماسة :

نجوتُ القَنا والبيضُ تدمَى مُتونُها ... ولم أنجُ يومًا من مقالِ سَفيهِ

ففخرُ الفتى بالفضلِ منه وعنده ... أجلُّ له من فخرِه بأبيه

فكمْ بين عِرْضٍ سالمٍ ومُمزَّقٍ ... وكم بين مرءٍ خاملٍ ونبيهِ

وكم قلتُ للنّفسِ العَزوفِ لدى الوغى ... رِدِي مَكْرَعًا من قبل أنْ تَرِدِيهِ [3]

ولا تطلبي مني الفِرارَ على الرّدَى ... فإنك إنْ رُمتِيهِ لم تجِدِيهِ

* * *

(١) المعاريض: جمع المعراض ، وهي التورية بالكلام ، والتعلة : ما يتعلل به كما يقال: له في المعاريض مندوحة عن الكذب .

(٢) الجمجام من القول : غير المبين والخفي ، والناعجات : النوق الجميلة السريعة واحدتها الناعجة .

(٣) العزوف : المنصرفة الزاهدة ، والمكرع : المشرب .

قافية الياء

باب الياء المفتوحة

قال يصف البرق :

خليليَّ مِن فَرْعَىْ مَعَدٍّ تأمَّلا	بعينيكُما بَرْقاً أضاء يَمانيا
كما قلَّبَتْ خَرْقاءُ فى غَبَشِ الدُّجى	ذراعاً شَعاعِيَّ المَعاصِمِ حاليا [1]
« هفا » ثُمَّتَ استخفى فقلت لصاحبى	ألا هلْ أراكَ البرقُ ماقد أرانيا؟ [2]
تبسَّمَ عن وادى الخُزامَى وميضُهُ	وخالَسَ عَيْنَىَّ الحِمَى والمَطاليا [3]
وضرَّم ما بينى وبين مَتالِعٍ	فأبصرتُ أشخاصَ الخيامِ كما هيا [4]
أضاءَ القصورَ البيضَ من جانب الحِمَى	فقلتُ أثغراً ما أرَى أمْ أقاحيا ؟ [5]
وأقبل يشتقّ الغمامَ كأنَّما	يُزاحِمُ بالبيداءِ كُوماً مَتاليا [6]
تراغَيْن « لمَّا أنْ دعاهنّ » حالبٌ	وأرْسلْنَ بالإبساسِ أبيضَ صافيا [7]

---

(١) الخرقاء : الحمقاء ، والغبش (محركة) : ظلمة آخر الليل ، والحالى : الذى عليه الحلى .

(٢) فى (هـ) « حفا » تصحيف « هفا » ، وثمت : ثم العاطفة أدخلت عليها التاء كما تدخل على رب فتصبح ربت ، والشاهد على ذلك كثير ، منه قول الشاعر :

ولقد أمرّ على اللئيم يسبُّنى	فمضيت « ثُمّت » قلتُ : لا يَعنينى

(الصحاح) والشاهد على الثانى :

ورُبَّتَ حزمٍ كان للشُّغْمِ عِلَّةً	وعِلَّةُ بُرْءِ الداءِ حظُّ المُغفَّلِ

(أورده الجاحظ فى البيان والتبيين) .

(٣) الخزامى : نبت طيب الرائحة ، والمطالى : المواضع التى تغذو فيها الوحش أطلاءها أى أولادها ، ومفرد الأطلاء : الطلى ، (كغنى) ، وهو الصغير من أولاد الغنم .

(٤) المتالع : الربى والمرتفعات .

(٥) الأقاحى : جمع الأقحوان وهو ضرب من الريحان .

(٦) الكوم : جمع الكوماء وهى من النوق الضخمة السنام العالية ، والمتالى : جمع المتلية وهى التى لها ولد يتلوها أى يتبعها ، وفى (هـ) « مثاليا » مصحفة .

(٧) الرغاء : صوت ذوات الخف ، وفى (س) « لما دناهن » بدل « لما أن دعاهن » فـ (أن)، ساقطة منها ، ودناهن بمعنى دنا منهن وما أثبتناه أنسب ، والإبساس : دعاء الحالب الناقة بقوله : بس بس لتدر اللبن .

أقول وقد والى عليَّ وميضه ألا ما لهذا البرق صَحْبي وماليا؟
يشوّقني مَنْ ليس يشتاق رؤيتي ويذكرني مِنْ ليس عنّيَ راضيا
وما ذاك عن جُرْمٍ ولكنْ بدأته بصفوِ ودادٍ لم يكنْ عنه جازيا
ديارٌ وأحبابٌ إذا ما ذكرتهم شَجيتُ ولم أملِكْ دموعي هواميا
أوانسُ إنْ نازعننا القولَ ساعةً نَثَرْنَ على الأسماعِ منه لآليا
ويُحْسَبْنَ من حُسنٍ بهنّ وزينة على أنّهنّ عاطِلاتٌ حَواليا (١)

* * *

وقال يرثي الأمير أبا الغنائم محمد بن مزيد ـ رحمه الله ـ

وقد قتله بنو دبيس غدراً بعد أن أمنوه وبرد في أيديهم، وهم مع ذلك أهله، ويعزي عنه الوزير أبا علي الحسن بن حمد؛ وكان قتله في صفر سنة إحدى وأربعمائة:

ألا غادِ دمعَ العينِ إنْ كنتَ غاديا فلستُ ألومُ اليومَ بعدكَ «باكيا» (٢)
ولو كنتُ لا أخشى دموعاً غزيرةً تنمُّ على ما بي كتمْتُك ما بيا
وغيرُ لساني ناطقٌ بسريرتي فلم يُنجِني أنّي ملكتُ لسانيا
أعنّي على شَجْوي بشجوٍ مضاعفٍ ولا تدنِني قلباً من الحزنِ خاليا
ولا تُسْلِني عمّنْ رُزِئْتُ وإنْ تُرِدْ مساعفتي في «الرُّزْءِ لم تكُ» ساليا (٣)
«إذا صاحبي» أضحى وبي مثلُ ما به غداةَ تلاقينا أطَلْنا التّشاكيا (٤)
يلوم المعافَى وهو خِلْوٌ من الأذى ولم يَعْنِه من أمره ما عنانيا

(١) العاطلات: الخاليات من الحلي، والحوالي: ذوات الحلي.
(٢) في (س) «ناعيا» بدل «باكيا».
(٣) في (هـ) «فلا تكن أنت» بدل «في الرزء لم تك».
(٤) في (س) «أياصاحبا» بدل «إذا صاحبي» تحريف.

ولو كان مابي من هوى لمُحجَّبٍ أقام على هجري أطَعْتُ اللواحيا [1]
وَهمٌ عراني من أخٍ عَصَفَتْ به صُروفُ اللّيالي ليتَه ما عَرانيا
فقرّبَ منّي كلَّ ما كان شاحطاً وبعّد منّي كلَّ ما كان دانيا [2]
وقالتْ لمنْ ألقى إليَّ نعيَّـــهُ على الكُرْهِ منّي : لا أبَا لكَ ناعيا
« هَتَفْتَ » إلى قلبي بفقد محمّدٍ فغادَرْتَ أيّامي عليَّ ليــاليا [3]
ولمّا تبَاكينا عليـه وعزّيَتْ طَاعتُنا منـه شَأوْتُ البَواكيا [4]
فقـــلْ لأُناسٍ أمكنوا من أديمِهمْ بمـا ركبوا منـه هناك العواريا
خذوها كما شاء العقوقُ « عَضيهةً » وجرّوا بهـا حتّى المماتِ المخازيا [5]
ولا تَرْحَضوها بالمعـــاذير عنكُمُ فلنْ تُخفِيَ الأقوالُ ما كان باديا [6]
« ألُوْمًا » مبيناً للعيون وأنتمُ تعدّون « عِرْقاً » في « الأكارمِ » خافيا؟ [7]
فلو كنتمْ منـه كما قيـل فيكمْ لَكَفْكَفْتُمْ عنـه سيوفاً نَوابيا [8]
خطَوْتُمْ إليه بالحسام ذِمامَكمْ فأنَّى ولم تخطوا إليه العواليـا ؟ [9]
أفي الحقِّ أنْ تعدوا عليه « ولم يكنْ » على مثلكمْ ـ ما غَدَرَ النّاسُ ـ عاديا [10]

---

(١) اللواحى : جمع اللاحى وهو اللائم .

(٢) الشاحط : البعيد

(٣) فى (س) « حتفت » تصحيف « هتفت » .

(٤) شأوت : سبقت .

(٥) العضيهة : البهتان ، وفى (س) « عضيمة » تصحيف .

(٦) ترحضوها : تغسلوها ، ورحض الثوب : غسله .

(٧) فى (س) « لاؤما » بدل « ألؤما » ، « وعرفاً » بدل « عرقاً » تصحيف ، « وفى المكارم » بدل « فى الأكارم » .

(٨) النوابى : جمع النابى وهو من السيوف الكليل غير الماضى .

(٩) العوالى : الرماح .

(١٠) فى (س) « وإنما » بدل « ولم يكن » و « كم أغدر الناس » بدل « ما غدر الناس » وما وضعناه أصح إذ يقصد أنه ليس من الحق والعدل أن تعتدوا عليه ولم يكن هو معتد على أمثالكم مهما غدر الناس .

فما نفعُكم إنْ نِلتمُ منه غِيلَةً ... وما ضرَّه أنْ زلَّ «فى التُّرْب» هاويا[1]
فتكتم به غدراً فألّا وكفُّه ... تُقلِّبُ مَسنونَ الغِرارَيْنِ ماضيا ؟ [2]
على قارحٍ مثلِ العَلاةِ وتارةً ... تراه كسِرْحانِ البسيطةِ عاديا [3]
ملكتمْ عليه مِنَّةً لو نهضتمُ ... إلى كَسْبِها نِلتمْ بذاك الأمانيا
ولكنَّكم ضيَّعتموه شَقاوةً ... فكنتُمْ كمُهْرِيقِ الإداوةِ صاديا [4]
« وهوّن وَجْدى أنّ قتلاً أراحَهُ ... ولم يتحمّلْ للِّئامِ الأياديا » [5]
فياليتَ أنّى يوم ذاك شَهِدتُهُ ... فدافعتُ عنه باليدين الأعاديا
ورَوّيتُ من ماء التَّرائبِ والطُّلَى ... من الغادرين صَعْدَتى وسِنانيا [6]
بنِى مَزْيَدٍ لا تقتلوا بأخيكمُ ... من القومِ « خَوّارَ » الأنابيبِ خاويا [7]
وإنْ تثأروا فالثأرُ بالحىِّ كلِّه ... وما ذاك من داء الرَّزيّةِ شافيا
ألا قوّضوا تلك الخيامَ على الرُّبا ... وكُبّوا جِفاناً للقِرَى ومَقاريا [8]
وجُزّوا رقابَ الخيلِ حولَ قِبابِهِ ... فلستُ براضٍ أنْ تجزّوا النّواصيا [9]
وحُثّوا عويلَ النّادباتِ وأبرزوا ... إليهنّ عُوناً منكمُ وعَذاريا [10]

---

(١) فى (س) « فى الذب » تصحيف « فى الترب » .

(٢) الغرار : حد السيف .

(٣) القارح من الخيل ما أتم الخامسة ، والعلاة : الجبل ، والسرحان : الذئب .

(٤) المهريق : كالمريق من هرق الماء وأراقه أى صبه وسفحه ، والإداوة : المطهرة وهى إناء صغير من جلد تتخذ للماء ، والصادى : الظمآن .

(٥) هذا البيت ساقط من (س) .

(٦) الترائب : الصدور أو عظامها ، والطلى : الرقاب مفردها الطلية ، والصعدة: القناة المستوية، والسنان : الرمح أو الحديدة فى رأسه .

(٧) فى (س) « غرار » تصحيف « خوار » وخوار الأنابيب : الضعيف الجبان .

(٨) القرى : طعام الضيف ، والمقارى : جمع المقراة وهى الجفنة الكبيرة .

(٩) جزوا : اقطعوا ، والنواصى : جمع الناصية وهو منبت شعر مقدم الرأس .

(١٠) العوف : جمع العوان وهى التى بلغت النصف من عمرها أى الفتية ، ومنه قوله تعالى : « لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ » ، والعذارى (بكسر الراء وفتحها) جمع العذراء.

ولا تسكنوا تلك المغانيَ بعده … « فقد أوحشت تلك المغانى مغانيا » [1]

« ولولا الذى أبقى لنا اللهُ بعـده » … بمثوى عليٍّ لافتقدنا المعاليا [2]

« هوى » كوكبٌ والبدرُ فى الأفقِ طالعٌ … فما ضرّ مُرتاداً ولا ضلّ ساريا [3]

إذا طعنوا لزّوا الـكُلى فى نحورها … وإنْ ضربوا قدّوا الطُّلى والتَّراقيا [4]

بداراً إلى السَّرحِ المُفيء بقفرةٍ … فقد هاج راعى السَّرحِ أسداً ضواريا [5]

ولا تتهمّدْ جانيَ القومِ منهمُ … فـكلُّ أمرىءٍ فى الحيِّ أصبح جانيا

سقىَ اللهُ قبراً حلّ غربىّ « واسطٍ » … ولا زال من نَوْءِ السِّماكَيْن حاليا [6]

ولا برحتْ غُرُّ السحائبِ تُرْبَه … تُنشِّرُ حَوْذانًا به وأقاحيا [7]

تعزَّ أبنَ حمْدٍ فالمصائبُ جمّةٌ … يُصِبْنَ عـــدوًّا أوْ يُصِبْنَ مصافيا

وهلْ نحن فى الأيّامِ إلاّ معاشرٌ … نُقضّى ديونًا أوْ نردّ عواريا

أجِلْ فى الورى طَرْفًا فإنّك مبصرٌ … قبوراً مُثولاً أوْ دياراً خواليا [8]

وداءُ الرّدى فى النّاسِ أعيا دواؤهُ … فلا تشكُ داءً أوْ تصيبَ مُداويا

إذا شئتَ أنْ تلْقىْ « مُنَى » العيشِ كلّه … فـكنْ بالذى يقضى به اللهُ راضيا [9]

وكيف أعاطيك العَزاءَ وإنّما … مصابُك فيه يا أبنَ حمْدٍ مصابيا ؟

---

(١) المغانى : المنازل مفردها المغنى ، والشطر الثانى من البيت ساقط من (س) وفيها الذى تحته.

(٢) صدر هذا البيت ساقط من (س) .

(٣) فى (س) « هو » بدل « هوى » بحذف الياء من الناسخ ، والسارى : السائر ليلا .

(٤) لزوا : طعنوا ، والطلى : الرقاب واحدتها الطلية ، والتراقى : جمع الترقوة وهى أعلى الصدر حيث يترق النفس أو العظم بين نقرة النحر والعاتق .

(٥) البدار : المسارعة ، والسرح : مايسرح من الأنعام ، والمفىء : الراجع من أفاء أى رجع .

(٦) واسط : بلد مشهور فى العراق ، والنوء : المطر ، والسماكان : كوكبان ، والحالى ، ذوالحلى.

(٧) الحوذان : نبت طيب الرائحة ، والأقاحى : جمع الأقحوان وهو ضرب من الريحان .

(٨) المثول : جمع الماثل وهو الشاخص أى البارز كالتمثال .

(٩) فى (س) « من » تصحيف « منى » .

ولست أبالي مَن مضى مِن أصادِقي ... إذا كنتَ لي ـ وُقِّيتُ فَقدَكَ ـ باقيا

* * *

وقال في معنى عرضه له :

أيها اللائمُ الذى لايملُّ اللــــومَ صبحاً حتى يلومَ عَشِيّا

لُمتَنِي أنْ نبَوْتُ عمّنْ رمانى ... ثمّ لم أقضِ أنْ أكون رَمِيّا

وحقيقٌ باللوم دونك دهرٌ ... لاأرى فيه «صاحباً» مَرْضِيّا(١)

كم أرانى الزّمانُ قبلك مَن كنـ ... ـتُ خَلِيًّا منـه فعدتُ شَجِيّا

لم أزلْ مُغضِياً على هَفَواتٍ ... منه لو جُزْتَنِي لـكنتُ غبيّا

لو وفى صاحبٌ وفى لى سوادٌ ... زار فَوْدَىَّ مذْ كنتُ صَبِيّا(٢)

شطّ عنّى لمّا ارعَوَيْتُ وقد كا ... ن مقيماً أيامَ كنتُ غَوِيّا(٣)

قد سلَوْنا وفاءَكمْ ويئِسْنا ... أنْ نرى منـكمُ عطاءً هَنِيّا

وسئمنا علاجكمْ وعلمنـــا ... أنّ بين الضلوعِ داءً دوِيّا

يَعِدُ البرَّ ماطِلاً فإذا أوْ ... عَدَ يوماً شرّاً «أتاك» وحِيّا(٤)

علّلونا بظاهرٍ من جميـــلٍ ... ودعوا مضمرَ القلوبِ خَفِيّا

فبعيدٌ عن المجرّبِ منّا ... أنْ يُعيدَ العدوَّ «شيءٌ» وَلِيّا(٥)

أتَرانى أنسَى حفاظَ كِرامٍ ... كان بالى منهمْ زماناً رَخِيّا ؟

قارعوا عنّىَ الخطوبَ وسدّوا ... يومَ سيلِ المكروهِ عنّى الأتِيّا

---

(١) في (هـ) «صباحاً» بدل «صاحبا» وفي (س) «مصبحا».

(٢) الفودان : جانبا الرأس .

(٣) شط : بعد .

(٤) في (س) «أراك» بدل «أتاك».

(٥) في (س) «شيئا» بدل «شيء» خطأ .

وانتضوا بينهم وبين أعادى طوال الخطى والمشرفيا[1]

كم بلاهم أعداؤهم فأصابوا / محتداً أملساً وعرضاً نقيا[2]

وخلالا تكذب الكلم العو / راء فيهم أو اللسان البذيا

« وترى وعدهم وبذلهم الأمـ / ـوال هذا نزراً وذاك سنيا »[3]

يضعف المرء منهم فى يد الحق وإن كان فى اللقاء قويا

وتراه الوقاح فى حومة الحر / ب وفى حومة السؤال حييا

لا رعى الله لى متى لم يجد عـ / ـدهم فى جوانحى مرعيا

أنا من قد علمت لا أركب الظهـ / ـر الموطا حتى يكون عليا

وإذا جانب من الأرض لم يسـ / ـطع مقامى أستطعت عنه مضيا

ومتى ما أقتضى كلامى أمر / لم أكن بالمقال فيه عييا

* * *

وقال فى الاعتبار[4]:

يا حامل الكأس ناولنى مشعشعة / لم تقرها ولا تجلا بواديها[5]

أحسر بها غيهب الأحزان عن فكرى / فكم ليال بها زيدت واريها[6]

لم أدر لما أمتطتها كف حاملها / أحلت الكأس أم خدى معاطيها

وعائب لمشيبى وهو لا يسه / ولم يعب حلة فى الناس كاسيها

(١) انتضوا : سلوا ، والخطى : الرمح ، والمشرق : السيف .
(٢) المحتد (كمجلس) : الأصل .
(٣) هذا البيت ساقط من (س) .
(٤) أورد المرتضى فى أماليه (ج ٢ ص ٩٠) أربعة أبيات من هذه القصيدة
(٥) قرى الماء بقربه : جمعه ولم تقرها : أى لم تضمها (على المجاز) أو لم تضفه من القرى بالكسر وهى الإضافة .
(٦) أحسر : أكشف ، والغيهب : الظلام ، والوارى : المشتعل .

«لم يدر أنّ مشيبَ الرّأس من فِـكَرى   لم يَسْرِ رَكْبُ مشيبٍ فى نواصيها»[1]
أليس ينقص يوماً فى ذُراً هُمُ   ماء الشَّباب غزيرٌ فى عَزاليها ؟[2]
وما الفنـاء بموقوفٍ على حَدَثٍ   والنّابُ فى الذَّوْدِ أغْنى من حواشيها[3]
وعاذلٍ من صنيعٍ قد تدرّعه   وليس يَشْفِى من الأمراضِ شاكيها
طويتُ كَشْحَىَّ عنه ثمّ قلتُ له :   ما العيشُ إنْ جَنَحَتْ نفسى لِلاحيها[4]
دَعْنى أنَلْ من زمانى بعضَ لَذّتِه   فقد وثِقْتُ بأنّ الدّهرَ يَفْرِيهـا[5]
وكيف آنسُ بالدُّنيا ولستُ أرى   إلّا أمرءاً قد تعرّى من عَواريها؟[6]
كأنّهـــــا غُصّةٌ حلّتْ بمَبْلَعِها   أوْ كالقَذاةِ أقامتْ فى مآقيها[7]
« نَصبوا » إليهـا بآمالٍ مُخَيَّبَةٍ   كأنّنـا ما نَرى عُقْبى أمانيها[8]
فى وحشةِ الدّار ممّنْ كان يسكنهـا   كلٌّ أعتبـارٍ لمن قد ظلّ يأويها
لا تـكذِبنّ فـا قلبى لها وطنٌ   وقد رأيتُ طُلولًا من مَغانيها[9]

---

(١) فى (س) :

« إن لم يدر أن مشيب الرأس من فكر   ماء الشباب غزير فى عزاليها »

وجاء الذى بعده هكذا :

« أليس ينقص يوماً فى ذرا هم   لم يسر ركبُ مشيبٍ فى نواصيها

وكلاهما من تحريف الناسخين .

(٢) العزالى : جمع العزلاء وهو فم القربة .

(٣) الحدث (بفتحتين) : الشاب ، والناب : الناقة المسنة ، والذود : الجماعة من الإبل .

(٤) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وطوى كشحه عن الأمر : أى صد عنه ، وعليه : ستره وأضمره ، واللاحى : اللائم

(٥) يفريها : يشقها ويعنى أنه ينقصها ويذهب بها .

(٦) العوارى : جمع العارية وهى ما يستعار للانتفاع به ، قال الشاعر :

وتسابقوا خيلَ الشبابِ وحاذِرُوا   أنْ تُسْتَرَدَّ فإنّهنّ عَوارِى

(٧) القذاة : ما يعترض فى العين من قش ونحوه ، والمآق : جمع الماق ، والموق وهو من العين معلوم .

(٨) فى (س) « نرى » بدل « نصبو » وما أثبتناه نقلناها من الأمالى ، ولعل الأولة « نرنو » أى نترقب وننتظر .

(٩) المغانى . المنازل مفردها المغنى .

كم قد ركبتُ إلى العلياء ظهرَ فَلاً ... تضلّ فيه قطاةٌ عن تجائيها
وقفرةٍ تُنكرُ الأنس الوحوش بها ... ولا يُرجّى ورودَ الماء صاديها
إذا تراخَتْ ركابى عن مَهامِهِها ... ركبتُ فيها اعتزاماً لا يُباليها
هانتْ علىَّ مَخوفاتُ الخطوب فما ... أُثنى يمينىَ عن قُصْوى مَراقيها
كأنما قد نعَى الدّنيا مُخَلّدُها ... أوْ فى يدىَّ أمانٌ من لياليها
«ومنْ تكنْ» نفسُهُ لم يَمْلَها جزَعٌ ... فزجرُ مُهْرِكَ فى الهيجاء ماليها (١)
وإنْ تكن لم تَذَرْ كُثْرَ الأنامِ لها ... قُلّا فشِلْوُ هزيلِ الجنْبِ كافيها (٢)
نفسى تنازعنى حالًا يضيق لها ... عَرضُ البلادِ فمن لى مِن تقاضيها ؟
لقد دعَتْ سامعاً لم تَكْدَ دعوتُهُ ... وطالبتْ بعظيمٍ مَنْ يُؤاتيها ؟ (٣)
أقللْ لدىّ بأنباء الزّمانِ فما ... أهابُ نفسى لأنّى لا أُرَجّيها
لا تجْتنِ العزّ إلّا من حدائقِهِ ... فكم رياضٍ عِراضٍ خاب جانيها
ما عزّ من ذلَّ فى تَطْلابِ عِزّتِهِ ... مجاوِرُ النّارِ من قُرٍّ كصاليها (٤)
إنّ المعالىَ لا تُعطيك صَهْوتَها ... وما سَعَتْ لك رجلٌ فى مساعيها (٥)
لم تَنْتَهِزْ ما دنا من فرعِ دَوْحتِها ... فكيف تسمو إلى ما فى أقاصيها ؟ (٦)

* * *

---

(١) فى الأصل « من لم تكن » بدل « ومن تكن » ولا يستقيم المعنى مع الأولى .
(٢) الشلو : العضو والبقية من اللحم المسلوخ المأكول منه .
(٣) لم تكد : من الفعل أكدى أى لم تكل ، من أكدى الحافر إذا بلغ الكدية وهى الأرض الصلبة فلم يحفر ، والمؤاتى : الموافق والمطيع .
(٤) القر : برد الشتاء ، والصالى : المستدفئ .
(٥) الصهوة : مركب الفارس من الفرس .
(٦) الدوحة : الشجرة .

وقال في الغزل :

يا خليلي أراكَ من شَغَفِ الحبِّ خَليّاً وأنتَ تُلحِى عليهِ

لو هداني إلى سُلُوِّي سُلُوٌّ منكَ في الحبِّ لاهتديتُ إليهِ
بأبي مَنْ يودّ قلبي بأنْ أمْـ ـسيتُ وَحدي مُقبِّلاً شَفَتَيْهِ
والذي نَشْرُ كلِّ طيبٍ ذكيٍّ في نَدَى يُستفادُ مِن نَفْحَتَيْهِ
وغزالٍ وقفتُ لمّا تعاطَيْـ ـتُ فراراً من الهوى في يَدَيْهِ
أنكَرَتْ عينُهُ ادّعاءَ سَقامي كم سَقامٍ في باطني لَمْ تَرَيْهِ

* * *

تمّ القسم الثالث من ديوان الشريف المرتضى ــ رحمه الله ــ
وبه كمل الديوان والحمد لله أولاً وآخراً

فهرس

أغراض ومضامين القصائد والمقطوعات

«القسم الثاني»

«في الأدب»

«في الاعتبار»

«في البرق»

«في التمني»

«في التهنئة والمدح»

«في التوكل على الله»

« في الفخر والحماسة »

٧، ١١، ٣٣، ٦٠، ٩٣، ٩٥، ١١١، ١٢٩، ١٣٧، ١٥٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٥، ٢٦٥، ٣١٨، ٣٤٣، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٥٤، ٤٧٨، ٤٨٧، ٥٢١، ٥٦٥، ٥٨٥.

« في المدح »

٤١، ٥٣، ٦٤، ٧٢، ١٥٤، ٢١٢.

« في غرض له وأغراض أخر »

٢٥، ٢٩، ٨٦، ١٠٧، ١١٤، ١٢٢، ١٣٥، ١٤٢، ١٦٤، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٦٩، ٣٢٦، ٣٧٦، ٤٤٩، ٥١٩، ٥٣٧، ٥٥٥، ٥٧١، ٥٧٨، ٥٨٢، ٦٠٢.

« في النسيب »

٧٩، ١٠١، ١٠٣، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٩٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٧٧، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٧٤، ٣٨٤، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٥٦، ٥١٢، ٥١٣، ٥٦٤.

« في الوصف »

٢٠، ١٦٣، ٥١٦، ٥٣٤

« في الوعظ »

٦٦، ٢٥٨، ٢٧٣، ٣٤٩، ٥٠٧، ٥٤٦، ٦٠٣.